مركز البحوث الإسلامية
إستانبول
سِلْسِلَةُ عيُونِ التُّرَاثِ الإِسْلَامِيِّ

تتمة الكشاف

(حاشية الجاربردي على الكشاف)

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
(ت. ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)

تحقيق
أ.م. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف
أ.م. محمد طه بويالق

المجلد العاشر

نشريات وقف الديانة التركي

نشريات وقف الديانة التركي
رقم النشر ١٤٢٩
نشريات إسام ٢٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢

تتمة الكشاف (حاشية الجارَبَردي على الكشاف)
فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارَبَردي

المجلد العاشر

تحقيق أ.م. ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي

تم إعداد تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بـ **مركز البحوث الإسلامية** (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye - Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
الهاتف: 50 08 474 216 90+ www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

التحرير أوقان قدير يلماز
المراجعة العلمية محمد طه بويالق، عبد الرحمن رضوان خرش
التدقيق النهائي لقسم الدراسة سعيد قاياجي (العربي)، مصطفى دَميرآي (التركي)
التصحيح (العربي) عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحيلة (الإملاء)، علي حيدر أولوصُويْ (الإملاء والفهارس)، آزاد سارْسَانْبَايُوف (الإملاء)، (التركي) عيسى قايا ألْبْ (الإملاء)، إسماعيل أُزْيلْكِين (المصادر)
التصميم علي حيدر أولوصُويْ، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)، حسن حسين جان (غلاف)، رمزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام / İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٧ ورقم ٢٠٢٤/١١.

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
(مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9
(المجلد العاشر) 978-625-428-645-2

الطباعة والنشر والتوزيع
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف) / فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤.
المجلد العاشر (٦٥٦ صفحة)؛ ٢٤ سم. – (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٢٩. نشريات إسام؛ ٢٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
(المجلد العاشر) 978-625-428-645-2 (مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9

فهرس المحتويات

سورة الدخان

مكيَّةٌ إلَّا قولَه: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾الآية،
وهيَ سَبْعٌ وخَمسُون، وقيل: تسعٌ وخَمسُونَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ① وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ② إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④﴾

الواوُ في ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ﴾ واوُ القَسَم إنْ جُعِلت ﴿حمٓ﴾ تَعديدًا للحُروف أو اسْمًا للسُّورة مَرفوعًا على خبرِ الابْتِداء المحذوف، ووَاوُ العطف إن كانت ﴿حمٓ﴾ مُقسَمًا بها، وقولُه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ جوابُ القسم.

و"الكِتابُ المبينُ": القرآن.

و"اللَّيلةُ المُباركةُ": ليلةُ القَدْرِ.

وقيل: ليلةُ النِّصف من شعبان، ولها أَرْبَعةُ أَسماءٍ: "اللَّيلةُ المُبارَكة"، و"ليلةُ البراءة"، و"ليلةُ الصَّكِّ"، و"لَيلةُ الرَّحمة"، ....

/ سورة الدخان [٣٤٩ظ]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قولـه: (وواوُ العطف)... إلخ فيكون ﴿حم﴾ مجرورًا بإضمار حرف القَسَم، وهذا عطفًا عليه، ويكون العاطف نائبًا عن الجارّ المحذوف هناك. وقوله:[٢] (جواب القَسَم) أي: على التقديرين.

---

١ ف ن – وبه نستعين.

٢ ن: قوله.

وقيل: بيْنَها وبين ليلَة القدْرِ أَربعُون ليلةً.

وقيل في تَسْمِيتِهَا: "ليلة البَراءة" و"الصَّكّ": أَنَّ البُندارَ إذا استَوفى الخراجَ من أَهْلِه كتبَ لهُم البراءة، كذلك اللهُ عزَّ وعَلا يكتُبُ لعبادِه المؤمنين البراءةَ في هذه الليلة.

وقيل: هي مُختصَّةٌ بخمسِ خصَالٍ:

تَفْريقُ كُلِّ أَمْرٍ حَكيم.

وفضيلةُ العبَادة فيها: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن صلَّى في هذه اللَّيلةِ مئةَ ركعةٍ أرسَلَ الله إليه مئةَ ملكٍ: ثلاثُون يُبشِّرونَه بالجنَّة، وثلاثُون يُؤمِّنُونَه من عذاب النَّار، وثلاثون يدفعُون عنه آفاتِ الدُّنيا، وعشرَةٌ يدفعُون عنه مكائدَ الشَّيطان».

ونزُولُ الرَّحمة: قال عليه السَّلام: «إنَّ الله يَرْحَمُ أُمَّتِي في هذه اللَّيلة بعدَد شَعر أَغْنَام بَني كلْبٍ».

وحصُولُ المغفِرة: قالَ عليه السَّلام: «إن الله تعالى يَغفر لجميع المُسلمين في تِلك اللَّيلة إلَّا لِكاهنٍ أو سَاحِرٍ أو مُشَاحنٍ أو مُدْمِن خمرٍ أو عاقٍّ للوالدَين أو مُصرٍّ على الزِّنا».

قوله: (**أربعون ليلة**)[١] فعلى هذا يكون ليلة القدر ليلة السابع والعشرين مِن رمضان؛ لأنَّ الليالي الواقعة بين الليلة الخامسة عشر مِن شعبان والليلة السابعة والعشرين مِن رمضان أربعون ليلة.

قوله: (**البُندار**) البُنْدار: مَن في يده القانون، وهو أصل الخراج.[٢]

قوله: (**آفات الدنيا**) الآفة: العاهة، وقد إيفَ الزرع، أي: أصابته آفة، فهو مَئُوف.[٣]

قوله: (**أو مُشاحِن**) أي: مُضاغِن.

---

١ ن + فيكون ليلة القدر ليلة الخامس والعشرين ليلة؛ وفي هامش د ف: قوله: (أربعون ليلة) فيكون ليلة القدر ليلة الخامس والعشرين.

٢ قال الطيبي: «البُندار: معرّب، وما وجدت له ذكرًا سوى في الحاشية: 'البندار: مَن في يده القانون، وهو أصل الخراج'، ثمّ وجدتُ في كتاب ابن الصلاح في **معرفة الحديث**: 'البُندار: مَن يكون مُكثرًا مِن شيء يشتريه منه مَن هو دونه، ثمّ يَبيعه'». **فتوح الغيب** للطيبي، ١٧٩/١٤.

٣ **الصحاح** للجوهري، «أوف».

وما أُعطي فيها رسُولُ الله من تَمام الشَّفاعةِ: وذلك أنّه سَألَ لَيلَةَ الثالثَ عشَرَ من شعبان في أُمَّتِه فأُعطِي الثُّلثَ مِنها، ثم سألَ ليلةَ الرَّابعَ عشَرَ فأُعطِي الثُّلثين، ثمَّ سألَ ليلةَ الخامسَ عَشَرَ فأُعْطي الجميعَ إلّا مَن شرَدَ على الله شِرادَ البَعيرِ.

ومِن عادةِ الله في هذه الليلة: أن يَزيد فيها ماءَ زمزَم زيادةً ظاهرةً.

والقَولُ الأَكْثرُ أنَّ المرادَ باللَّيلة المباركة: ليلةُ القَدْر؛ لِقَوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر ١/٩٧]، ولمُطابَقةِ قوله: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان ٤/٤٤] لقَوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ﴾ [القدر ٤/٩٧] وقولِه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة ١٨٥/٢]، وليلةُ القدرِ في أكثر الأَقاويلِ في شهْرِ رمَضان.

فإن قلتَ: ما مَعنى إنزالِ القرآنِ في هذه اللَّيلَةَ؟

قلتُ: قالوا: أُنزِلَ جُملةً واحِدةً من السماء السَّابعة إلى سماء الدُّنيا، وأُمِر السَّفَرةُ الكرامُ بانتساخِه في ليلة القدر، فكان جبريل عليه السلام يُنزِله على رَسُول الله صلى الله عليه وسلم نجومًا نجومًا.

فإن قلتَ: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ ما مَوقعُ هاتَين الجُملتَين؟

قلتُ: هما جُملتان مُستأنفَتان مَلْفوفَتان، فُسِّر بهما جَوابُ القَسم الَّذي هو قولُه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ كأنّه قِيل: "أَنْزلناه لأنَّ مِن شَأْنِنا الإنذارَ والتَّحذيرَ من العِقابِ، وكان إنزالُنا إيَّاهُ في هذه اللَّيلة خصُوصًا لأنَّ إنزال القرآنِ من الأمُور الحَكيمةِ، وهذه اللَّيلةُ مَفْرقُ كُلِّ أَمْرٍ حكيمٍ".

و"المُباركةُ": الكثيرةُ الخَيْرِ؛ لِمَا يُتِيحُ اللهُ فيها من الأمور الَّتي تتعَلَّق بها

قوله: (مَلفوفتان) فيهما[١] لفٌّ، إذا **الأولى** متعلّقة بقوله: ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾، **والثانية** بقوله: ﴿فِي لَيۡلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾.

قوله: (لِما يُتيح الله) متعلّق بمحذوف، كأنّه قيل: سُمّيت المباركة -أي: كثيرة[٢] الخير- لِما يُتيح الله.

---

١ ف: منهما.

٢ ن: كثير.

منَافعُ العباد في دِينهم ودُنياهُم، ولو لم يُوجَدْ فيهَا إلَّا إنزالُ القرآنِ وَحْده لكَفى به بركةً.

ومَعْنى ﴿يُفۡرَقُ﴾: يُفصَلُ ويُكتَبُ ﴿كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ من أَرزاقِ العبادِ وآجَالِهم وجميعِ أَمْرهم مِنها إلى الأُخْرَى القابلةِ.

وقيل: يُبدأ في استنساخِ ذلك من اللوح المحفُوظ في ليلة البراءةِ، ويقعُ الفَراغُ في ليلة القدر، فتُدْفَعُ نُسخة الأَرْزاقِ إلى ميكائيل ونُسخة الحرُوب إلى جبريل، وكذلك الزَّلازِلُ والصَّواعِقُ والخَسْفُ، ونسْخةُ الأَعمال إلى إسماعيل صاحبِ سماء الدُّنيا وهُو مَلَكٌ عظيمٌ، ونُسخةُ المَصائب إلى ملكِ المَوْتِ.

وعن بَعضِهم: يُعطَى كلُّ عاملٍ بركاتِ أَعْمالِه فيُلقَى على ألسنَةِ الخَلْقِ مَدْحُه وعلى قُلُوبهم هَيْبَتُه.

وقرئ: "يُفرَّقُ" بالتشديد، و: "يَفْرُقُ كُلَّ" على بنائه للفاعل ونصبِ "كلَّ"، والفارِقُ: اللهُ عزَّ وجلَّ. وقرأ زيْدُ بن عَليّ: "نَفْرقُ" بالنُّونِ.

﴿كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾: كلُّ شأنٍ ذي حكمةٍ؛ أي: مفعولٍ على ما تَقتضِيه الحكمةُ، وهو من الإسناد المجازيِّ؛ لأن الحَكيم صفةُ صاحِب الأمر على الحقيقةِ ووَصْفُ الأمر بهِ مجازٌ.

﴿أَمۡرًا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦﴾

﴿أَمۡرًا مِّنۡ عِندِنَآ﴾ ....

قوله: (منها إلى الأخرى) أي: مِن هذه الليلة إلى الليلة الأُخرى مِن السنة القابلة، فقوله: "منها" متعلّق بقوله: (جميع أمرهم)،[1] حالٌ منه.

قوله: (كلُّ شأن) يعني: أنّ "الأمر" هنا بمعنى الشأن والفعل، وهو واحد[2] الأمور.[3]

---

[1] ن: أمورهم.

[2] ن: أحد.

[3] وفي هامش د ف: قوله: (وهو مِن الإسناد المجازي) مِن قَبيل الإسناد إلى المفعول، نحو: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة ٦٩/٢١]، فيكون الفعيل بمعنى المفعول، أمّا إذا نحمله على المُفعّل يكون حقيقة.

نصبٌ على الاختصاصِ، جَعَل كلَّ أَمْرٍ جَزْلًا فخمًا بأنْ وَصَفهُ بالحكِيم، ثم زادَهُ جَزالةً وكَسَبهُ فخامَةً بأن قال: أَعْنِي بهذا الأمر أَمْرًا حاصِلًا مِن عندِنا كائنًا من لدُنَّا وكما اقتضَاه عِلمُنَا وتَدْبيرُنا.

ويجوز أن يُراد به الأمرُ الَّذي هو ضِدُّ النَّهي، ثمَّ:

إِمَّا أَن يُوضَعَ مَوضِعَ "فُرقَانًا" الَّذي هو مَصْدرُ ﴿يُفْرَقُ﴾ لأنَّ معنى الأمر والفُرقانِ وَاحدٌ من حيث إنَّه إذا حَكَم بالشيء وكتبَهُ فقد أَمَر به وأوجَبه.

أو يكونَ حالًا من أحَدِ الضَّميرين في ﴿أَنزَلْنَهُ﴾: إمَّا مِن ضميرِ الفاعِل؛ أي: أَنزلناه آمرِينَ أَمْرًا، أو مِن ضمير المَفعُول؛ أي: أنزلنَاه في حال كونهِ أَمْرًا من عندنا بما يجِبُ أن يُفعَلَ.

فإن قلتَ: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ بِمَ يتعلَّقُ؟

قلتُ: يجوز أن يكون بدلًا من قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾، و﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ مفعُولًا له على معنى: إنَّا أنْزلنَا القرآنَ لأنَّ مِن شأنِنا إِرْسَالَ الرُّسل بالكُتُبِ

قوله: (**نصبٌ على الاختصاص**) فيكون المراد بقوله: ﴿أَمْرًا﴾، أي: شأنًا، ويكون واحدَ الأمور، كالأمر الأوّل.

قوله: (**ويجوز أن يراد به**) أي: بـ"الأمر" في قوله: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾، فيكون واحدَ الأوامر، بخلاف الأمر الأوّل.

قوله: (**ثمّ إمّا أن يُوضَع**) يعني: بعد أن ثبتَ أنّه الأمر الذي هو ضِدّ النهي، فإمّا أن يكون منصوبًا على المصدر أو على الحال.

قوله: (**لأنّ معنى الأمر والفرقان واحد**) أي: الأمر الذي هو ضدّ النهي بمعنى الفرقان. وقوله: (**إمّا مِن ضمير**) بدل مِن قوله: (**أحدِ[1] الضميرين**) بتكرير العامل وزيادة "إمّا"، لجواز زيادتها قبل "أو".

قوله: (**على معنى**) لمّا ذَكر أنّ قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ بدلٌ بنى الكلام عليه،

---

[1] ن: واحد.

إلى عِبادنا لأجْل الرَّحمة عليهم، وأن يكون تَعليلًا لِـ﴿يُفْرَقُ﴾ أو لقَوله: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾، و﴿رَحْمَةً﴾ مفعُولًا به، وقد وصَف الرَّحْمةَ بالإرْسَال كما وَصَفها به في قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر ٢/٣٥]؛ أي: يُفصَلُ في هذه اللَّيْلة كلُّ أمرٍ، أو تَصْدرُ الأوَامرُ من عندنا؛ لأنَّ مِن عادتِنا أن نُرسِل رَحمتَنا، وفَصْلُ كُلِّ أَمْرٍ -من قسْمةِ الأَرْزاقِ وغيرها- من باب الرَّحمة، وكذلك الأوَامِرُ الصَّادرةُ من جهتِه عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ الغَرض في تكليف العِباد تعريضُهم للمَنافِع،

وتركَ قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾؛ لأنّ البدل[1] هو المقصود، والمبدل منه في حكم المطروح. وقوله: (**أو لِقوله: ﴿أَمْرًا﴾**) ويكون بمعنى ضِدّ النهي،[2] ويكون حالًا مِن أحد الضميرين.

قوله: (**في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾** [فاطر ٢/٣٥]) قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ﴾ [فاطر ٢/٣٥].

قوله: (**أي: يُفصَلُ**) هذا على تقدير[3] أن يكون تعليلًا لـ﴿يُفْرَقُ﴾.

قوله: (**أو تَصدُر الأوامر**) هذا على تقدير أن يكون تعليلًا[4] لقوله: ﴿أَمْرًا﴾.

قوله: (**لأنّ من[5] عادتنا**)... إلخ فيه لفّ ونشر؛ لأنّ "مِن عادتنا" متعلّق بقوله: "**يُفصَل**"... إلخ، وبقوله: "تصدُر"... إلخ أيضًا. وقوله: (**وفَصْلُ**) إلى (**الرحمة**) متعلّق بالوجه / الأوّل، وهو أن يكون "لأنّ"... إلخ متعلّقًا بـ"يُفْصَل". [٣٥٠و]
وقوله: (**وكذلك**)[6] إلى قوله: (**للمنافع**) متعلّق بالوجه الثاني، وهو أن يكون "لأنّ"... إلخ متعلّقًا بـ"تصدُر"... إلخ. فقوله: (**وفصْلُ كلِّ أمرٍ**)... إلخ ابتداء كلام مِن المصنّف لبيان الكلام السابق بطريق اللَّفّ والنشر كما بيّنّا. وقوله: (**لأنّ الغرَض**) متعلّق بقوله: "كذلك".[7]

---

١ ن: البذل.
٢ ف: التهي.
٣ ن: على هذا التقدير.
٤ ن + ليفرق قوله: (أو تصدر الأوامر) هذا على تقدير أن يكون تعليلًا.
٥ ن - من.
٦ ن: ولذلك.
٧ ن: لذلك.

والأصْلُ: إنَّا كُنَّا مُرْسِلينَ رحمةً مِنَّا، فوُضِعَ الظاهرُ مَوضعَ الضَّمير إيذانًا بأنَّ الربوبيَّة تقتضِي الرَّحمةَ على المَربُوبين.

وفي قراءةِ زيدِ بن عَليّ: "أَمْرٌ من عندنا"، على: هو أَمْرٌ، وهي تَنصُر انتصَابَه على الاختصاصِ.

وقرأ الحسَنُ: "رَحمةٌ من ربِّك" على: تلك رَحْمةٌ، وهي تنصُر انتصَابَها بأنَّها مفعُولٌ له.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وما بعْدَه تحقيقٌ لربُوبيَّتِه، وأنَّها لا تحِقُّ إلَّا لمَن هذه أوْصَافهُ.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

وقرئ: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و: "رَبِّكم ورَبِّ آبائكم" بالجر بدلًا من ﴿رَبِّكَ﴾.

فإن قلتَ: ما معنى الشَّرطِ الذي هو قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾؟

قلتُ: كانوا يُقِرُّونَ بأنَّ لِلسَّماواتِ والأرض رَبًّا وخَالِقًا، فقيل لهُم: إنَّ إرسال الرُّسُلِ وإنزال الكُتب رحمةٌ من الرَّبِّ، ثمَّ قيل: إنَّ هذا الربَّ هو السَّميعُ العليمُ الذي أنتُم مُقِرُّون بهِ ومُعترفُون بأنَّه ربُّ السَّماوات والأرض وما بينهما إن كان إقرارُكُم عن عِلْم وإيقانٍ؛ ....

قوله: **(وهي تنصُر انتصابها[1] بأنّها مفعول له)** إذ يصير المعنى: الإرسالُ رحمة، فدلّ على أنّه ليس مِن[2] حيث المعنى مفعول "أرسلنا".

قوله: **(وأنّها)** أي: الربوبيّة.

قوله: **(ثمّ قيل: إنّ هذا الربّ)** أي: هذا الربّ المُنزِل للكتاب، فكأنّه قيل: إن كنتم موقنين في هذا الإقرار ينفع فيكم ذِكرنا هذه الصفات.

---

[1] وفي هامش د: ﴿رَحْمَةً﴾.

[2] ف ن + رحمة.

كما تقول: "إنَّ هذا إنعامُ زيدٍ الَّذي تَسامَع النَّاسُ بكرمهِ واشتَهَرُوا سخَاءَه إن بلَغك حديثُه وحُدِّثتَ بقصَّتِه".

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾

ثمَّ ردَّ أن يكُونوا مُوقنين بقَوله: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ وأنَّ إقرارَهم غيرُ صادرٍ عن علم وتَيقُّنٍ، ولا عن جِدٍّ وحقيقَةٍ، بل قولٌ مخلوطٌ بهُزءٍ ولَعبٍ.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ﴾ مفعولٌ به مُرتَقَبٌ، يقال: رَقَبْتُه وارتَقَبْتُه، نحو: نظرْتُه وانتظرْتُه.

قوله: **(تسامَع الناس)** أي: سمع بعضُهم بعضًا. وقوله: **(واشتَهروا سخاءَه)**[١] "اشتهر" جاء لازمًا ومتعدّيًا، وههنا متعدّ. وقوله: **(إن بلَغك)** فائدة قوله: "إن بلغك حديثُه" التنبيه للمخاطب على أنّ مِن حقّك[٢] أن تكون عالِمًا ولا تكون غافلًا عن مثله، فإنّه أمر عظيم، فكذلك الشرط في الآية.

قوله: **(وأنّ إقرارَهم)**[٣] عطفٌ على قوله: **(ردَّ أن يكونوا)** عطفًا معنويًا، على طريقة قولهم: "علفتُه تبنًا وماءً باردًا"، فكأنّه قال: ردّ الله تعالى بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ أن[٤] يكونوا موقنين، وأثبت أنّ إقرارهم غير صادر عن علم. أو نقول: هو خبر مبتدأ محذوف، أي: وهو أنّ إقرارَهم. أو نقول: هو مِن العطف الذي للبيان، وقد مرّ كثيرًا أمثالُه. وهذا هو الوجه، فيكون عطفًا على قوله: **(بقوله)**، فكأنّه قال: ردّ كونهم[٥] موقنين ببيان أنّ إقرارهم غيرُ صادر عن علم وتيقُّن، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فِى شَكٍّ﴾، ولا عن جِدّ، وإليه الإشارة بقوله:[٦] ﴿يَلْعَبُونَ﴾.

قوله: **(مفعولٌ به[٧] مُرْتَقَبٌ)** يريد أنّ ﴿يَوْمَ﴾ مفعول ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾،[٨] فيكون مُرتقَبًا

---

١ ن: واسحاءه.
٢ ن: جعل.
٣ ن: قرارهم.
٤ ن: أي.
٥ ن: لونهم.
٦ ن – ولا عن جِدّ، وإليه الإشارة بقوله.
٧ ن + ولا عن جدّ، وإليه الإشارة بقوله.
٨ ن: فارتقب.

واختُلِف في الدُّخان: فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وبه أَخذ الحسَنُ: أنّه دخانٌ يأتِي من السَّماء قَبْلَ يوم القيامة يَدخُل في أسماع الكفرة حتى يكون رأسُ الواحد منهم كالرَّأس الحَنِيذ، ويَعْتَري المؤمنَ مِنه كهيئة الزكام، وتكونُ الأرضُ كلُّها كبَيْتٍ أُوقِدَ فيه ليس فيه خَصَاصٌ.

وعَن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: «أوَّلُ الآيات: الدجَّالُ، ونزولُ عيسى ابنِ مريم، ونارٌ تَخرج من قعرِ عدَن أَبينَ تسُوق الناسَ إلى المحْشَرِ» قال حُذيفةُ: يا رسول الله! وما الدُّخان؟ فتلَا رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم الآية، وقال: «يَملأُ ما بينَ المشرق والمغرب، يَمكُثُ أرْبَعين يومًا ولَيْلةً، أمَّا المؤمنُ فيُصِيبه كهيئة الزُّكْمةِ، وأمَّا الكافرُ فهو كالسَّكرانِ يخرُج من مَنْخرَيه وأذنَيه ودُبُره».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: خمسٌ قد مضَتْ: الرُّومُ والدُّخانُ والقَمَرُ والبَطشةُ واللِّزَامُ.

ويُروَى أنَّه قِيل لابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: إنَّ قَاصًّا عِند أَبوابِ كِنْدَة يقول: إنَّه دخانٌ يأتي يومَ القيامةِ فيأخذُ بأنفاس الخَلْق، فقال: مَن عَلم عِلمًا فليقُل به، ومَن لم يَعلم فليقُل: الله أَعْلَمُ، فإنَّ مِن عِلْمِ الرَّجلِ أن يقولَ لشيءٍ لا يَعْلمه: الله أَعْلمُ، ثمَّ قال: ....

لا محالة، فإنّك إذا قلت: ارتقَبتُ[1] زيدًا، يكون زيدًا مُرتقَبًا[2] لا محالة.

قوله: (الحَنِيذ) أي: المَشْويّ.

قوله: (خَصاص) الخَصاص: الفُرَج.

قوله: (عَدَن أَبْيَن)[3] أَبين:[4] اسم رجل بنى هذه البلدة ونزل بها.[5]

قوله: (واللِّزام) اللِّزام: العذاب اللازم، وهو ما أصاب قريشًا مِن القَحْط سبع سنين.

---

١ ن: ارثقبت.

٢ ن: مرثقبًا.

٣ ن: اتبين.

٤ ن - أبين.

٥ **الصحاح** للجوهري، «ابن».

أَلَا وسَأُحدِّثكُم: إنَّ قرَيشًا لمَّا استعصَتْ على رسُول الله دعَا عليهم فقال: «اللّٰهم اشدُدْ وَطْأتك على مُضَر واجعَلها عليهم سنين كسِني يُوسُف» فأصَابَهُم الجَهْدُ حتى أكلوا الجيفَ والعِلْهِزَ، وكان الرجلُ يَرى بين السماء والأرض الدُّخانَ، وكان يحدِّث الرجلَ فيسمَعُ كلامَه ولا يَراهُ من الدُّخان، فمشَى إليه أبو سُفيانَ ونَفرٌ مَعه وناشدُوه اللهَ والرَّحمِ، ووَاعدُوه إنْ دَعا لهُم وكُشِف عنهم أن يُؤمِنُوا، فلمَّا كُشِفَ عنهُم رجَعُوا إلى شِرْكهم.

﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: ظَاهرٍ حالُه لا يَشُكُّ أحَدٌ في أنّه دخانٌ.

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢﴾

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾: يَشملُهم ويلبسُهم، وهو في محلِّ الجرِّ صفةٌ لـ"دُخانٍ".

و﴿هَٰذَا عَذَابٌ﴾ إلى قوله: ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ منصُوبُ المحلِّ بفعلٍ مُضْمرٍ وهو: "يَقولُون"، و"يقُولون": منصوبٌ على الحالِ؛ أي: قائلين ذلك.

﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مَوْعِدَةٌ بالإيمان إنْ كُشِف عنهم العذاب.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: كيف يذَّكَّرُونَ ويَتَّعِظُون ويَفُونَ بما وَعَدُوه من الإيمان عندَ كشفِ العذابِ ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ ما هُو أعظمُ وأدخَلُ في وجُوبِ الادِّكار من كشفِ الدُّخَان، وهو ما ظهرَ على رسُول الله من الآيات والبيِّناتِ من الكتاب المُعْجزِ وغيْرِه من المعجزات، فلم يَذَّكَّرُوا وتولَّوا عنه وبَهَتُوه بأنَّ عدَّاسًا

قوله: (استَغْصَتْ) أي: عَتَتْ.

قوله: (والعِلْهِزَ) "العِلْهِز": دم يُعالَج بالوَبَر، وكانوا يأكلونَه في الشدائد.[1]

قوله: (بأنّ عَدّاسًا) كان غلامًا روميًّا، وكان عليه السلام يَجْلِس عنده.

---

[1] مجمل اللغة لابن فارس، «علهز».

-غلامًا أعجميًا لبعضِ ثقيفٍ- هو الَّذي عَلَّمَهُ، ونَسبُوه إلى الجنُون، ثمَّ قال: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾؛ أي: رَيْثما نكشِفُ عنكُم العذابَ تعُودُون إلى شِرْكِكُم لا تَلبَثُون غِبَّ الكشفِ على ما أنتُم علَيه من التَّضرُّعِ والابْتهالِ.

فإن قلتَ: كيف يَستقيمُ على قَولِ مَن جَعل الدُّخانَ قبل القيامة قولُه: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾؟

قلتُ: إذا أتتِ السَّماءُ بالدُّخانِ تضَوَّرَ المعذَّبُون به من الكفَّار والمنافقين وغَوَّثوا وقالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مُنِيبُونَ، فيكشِفُه اللهُ عنهم بعد أَربعين يومًا، فرَيثما يكشِفُه عنهم يرتَدُّون ولا يتَمهَّلُون، ثم قال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يُريد يوم القيامة؛ كقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات ٧٩/٣٤] ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾؛ أي: ننتَقم منهُم في ذلك اليوم.

فإن قلتَ: بِمَ انْتَصَبَ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾؟

قلتُ: بما دلَّ عليه ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ وهو: نَنْتَقِمُ، ولا يَصحُّ أن يَنتَصِبَ بـ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ لأن "إنَّ" تَحجُبُ عن ذلك.

قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ ظرفٌ أو وصفٌ.[١]

قوله: **(غِبَّ)** أي: عَقيبَ.

قوله: **(أي: رَيثما)**[٢] يقال: راثَ رَيْثًا، أي: أبطأَ، وقولهم: أمهلتُه ريثما فَعلَ كذا، أي: ساعةً.[٣]

قوله: **(تَضوَّرَ)** التَّضوُّر: الصِّياح والتلوِّي عند الضرب أو الجوع.[٤]

[٣٥٠ظ] قوله: **(﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ [النازعات ٧٩/٣٤])** / استشهاد.[٥]

قوله: **(تَحجُبُ ذلك)** لأنَّ لها صدرَ الكلام.

---

١ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ أي: زمانًا قليلًا، أو كَشْفًا قليلًا. أبو البقاء. | التبيان لأبي البقاء العكبري، ٢/١١٤٦.

٢ ن - قوله: (غِبَّ) أي: عَقيب. قوله: (أي: رَيْثما).

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «ريث».

٤ **الصحاح** للجوهري، «ضور».

٥ ن - قوله: (﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ [النازعات ٧٩/٣٤]) استشهاد.

وقرئ: ﴿نَبْطُشُ﴾ بضمّ الطّاء، وقَرأ الحسنُ: "نُبطِشُ" بضم النون، كأنّه يَحملُ الملائكةَ على أن يَبطِشُوا بهم البَطْشَةَ الكُبرَى، أو يَجْعلُ البَطْشةَ الكُبرَى باطِشةً بهِمْ.

وقيل: ﴿ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يوْمُ بَدْرٍ.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

وقرئ: "ولقد فتّنّا" بالتشديد للتأكِيد، أو لِوقوعهِ على القَوم.

ومعنى الفِتنة: أنّه أمْهَلهُم ووسّع عليهم في الرّزق فكان ذلك سَببًا في ارتكابهم المعاصِيَ واقتِرافِهم الآثام، أو ابتلاهُم بإرسالِ مُوسى إلَيْهم لِيُؤمنُوا فاختارُوا الكُفرَ على الإيمانِ، أو سَلَبهُم مُلكَهُم وأغرَقهم.

﴿كَرِيمٌ﴾ على الله وعلى عبادِه المؤمنين، أو: كريمٌ في نفْسِه لأنّ الله لم يَبْعث نبيًّا إلّا مِن سَراةِ قومه وكِرامهم.

قوله: (**بضمّ النون**)[١] وكسر الطاء،[٢] والبطشة: السَّطوة والأخذ بالعنف، وقد بَطَش به.[٣]

قوله:[٤] (**بالتشديد**) شاذّ.[٥]

قوله: (**أو لِوقوعه**) فيكون للتكثير.[٦]

قوله: (**أو ابتلاهم**) فعلى الوجه **الأوّل** معنى "فَتَنّاهم": أوقعناهم في الفتنة، أي: الكفرِ والمعاصي، لكنّ المصنّف أوّله بأنّ المراد الإمهال والتوسيع. وعلى الوجه **الثاني** المراد بالفتن الامتحانُ والابتلاء.

---

١ ن – النون.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وطلحة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٣١.

٣ **الصحاح** للجوهري، «بطش».

٤ ن – والبطشة: السّطوة والأخذ بالعنف، وقد بَطَش به. قوله.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٣١.

٦ ن: التكبير.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨﴾

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾ هي ﴿أَنْ﴾ المُفسِّرةُ؛ لأنَّ مجيء الرَّسُول مَن بُعث إليهم مُتضمِّنٌ لمَعنى القَول؛ لأنَّه لا يَجِيئهُم إلَّا مُبشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله.

أو المخفَّفةُ من الثقيلة، ومَعناه: وجاءهم بأنَّ الشَّأنَ والحديثَ أَدُّوا إليَّ.

و﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ مفعُولٌ به، وهُم بنو إسرائيل، يقولُ: أَدُّوهم إليَّ وأرسلُوهم مَعِي؛ كقوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [طه ٤٧/٢٠].

ويجُوز أَن يكون نداءً لَهُم على: أَدُّوا إليَّ يا عبادَ الله ما هُو واجبٌ لي عَليْكُم من الإِيمان لِي وقبولِ دَعْوَتي واتِّباعِ سبيلي، وعلَّل ذلك بأنَّه ﴿رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ غيرُ ظَنِينٍ قد ائتمنَهُ اللهُ على وحْيهِ ورسَالتِه.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٩﴾

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ﴾ "أَنْ" هَذه مِثلُ الأُولَى في وَجْهَيْها؛ أي: لا تَستكبِرُوا ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بالاستهانَةِ برسُوله ووحْيِهِ، أو: لا تستكبِرُوا على نبيِّ الله.

قوله: **(مَن بُعِث)** مفعول **(مجيء)**.

قولـه: **(لِمعنى[1] القـول)** وإذا كان فـي معنـى[2] القـول جـاز أن يُؤتـى بـ"أن" المفسِّرة بعدها.

قوله: **(ومعناه: وجاءهم بأنّ الشأن)** يريد أنّه إذا كان مخفّفة مِن الثقيلة يكون حرف الجرّ محذوفًا، وهو الباء للتعدية أو للملابسة، أي: جاءهم مُلتَبِسًا[3] بهذا، وهو أنْ أدُّوا.

قوله: **(على: أدُّوا)** أي: على معنى: أدُّوا.

قوله: **(ظَنِين)** أي: مُتّهم.[4]

---

[1] ف: بمعنى.
[2] ن: بمعنى.
[3] ن: ملبسًا.
[4] ن: منهم.

﴿بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾: بحجَّةٍ واضحةٍ.

﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَن تَرۡجُمُونِ﴾: أَن تَقتُلون، وقرئ: ﴿عُتُّ﴾ بالإِدْغام.

ومَعناه: أنَّه عائذٌ بربِّه مُتَّكِلٌ على أنَّه يَعْصِمُه منهم ومِن كيْدِهم، فهو غيرُ مُبَالٍ بما كانوا يتوعَّدُونَهُ به من الرَّجْم والقَتْل.

﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَٱعۡتَزِلُونِ﴾ يُريد: إن لم تُؤمِنوا لي فلا مُوالاةَ بيْني وبين مَن لا يُؤمِنُ، فتَنحَّوا عنِّي واقطَعُوا أسبَابَ الوُصْلة عنِّي، أو: فخَلُّوني كَفَافًا لا لي ولا عَليَّ ولا تتعَرَّضُوا إليَّ بِشرِّكُم وأذاكُم، فليْسَ جزاءُ مَن دعَاكم إلى ما فيه فَلَاحُكُمْ ذلك.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: بأنَّ هؤلاء؛ أي: دعَا ربَّه بذلكَ، قيل: كان دُعَاؤهُ: اللّٰهم عَجِّلْ لهُم ما يَسْتحقُّونَهُ بإجرامهم، وقيل: هو قولُه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس ١٠/٨٥] وإنَّما ذكَر اللهُ تعالى السَّبَب الَّذي استوجَبُوا به الهلاكَ وهو كونُهم مُجْرمين.

وقرئ: "إنَّ هؤلاء" بالكسر على إضمارِ القول؛ أي: فدعَا ربَّه فقال: إنَّ هؤلاء.

﴿فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَأَسۡرِ﴾ قُرِئ بقَطعِ الهمزة من أَسْرَى، ووصْلِها مِن سَرَى.

وفيه وجهان: إضمارُ القَول بعدَ الفاء؛ أي: "فقال: أَسْرِ بعبادِي"، وأَن يكون جوابَ شرطٍ محذُوفٍ؛ كأنَّه قيلَ: إنْ كان الأمرُ كما تقُولُ ﴿فَأَسۡرِ بِعِبَادِي﴾ يعني:

قوله: **(كَفافًا)** منصوب على المصدر، مِن الكَفّ، أي: تكُفُّونِ[١] عنّي وأكُفُّ عنكم.

قوله: **(ذلك)** خبر **(ليس)**.

---

[١] ن: تكفرون.

فأَسْرِ ببنِي إسرائيل فقد دبَّر اللهُ أَنْ تتقدَّمُوا ويتْبَعَكُم فرعونُ وجنُودُه فيُنْجِيَ المُتقدِّمينَ ويُغرِق التابِعين.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًاۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾

"الرَّهْوُ" فيه وجهان:

أحدُهما: أنَّه السَّاكِنُ، قال الأَعْشَى:

يَمشِينَ رَهْـوًا فلا الأَعـجاز خَـاذِلَةٌ ولا الـصُّـدورُ على الأعـجاز تَتَّكِلُ

أي: مَشيًا ساكنًا على هِينةٍ.

أرَاد موسى لمَّا جاوَز البَحرَ أَن يَضْرِبه بعصَاه فيَنطبِقَ كما ضَربه فانفَلقَ، فأُمِرَ بأن يترُكه سَاكِنًا على هَيْئتِهِ قارًّا على حالِهِ -مِن انتصاب الماء وكونِ الطَّريقِ يَبسًا- لا يَضربُه بعصَاه ولا يُغيِّرُ منه شَيئًا؛ ليَدْخُله القِبْطُ فإذا حَصَلوا فيه أطبقَه الله عليهم.

والثَّاني: أنَّ الرَّهوَ الفَجوةُ الوَاسعة، ....

قوله:

(يَـمْـشِـيـنَ[1] رَهْـــــوًا)... الـبـيـتَ[2]

أي: يَمْشِين الإبلُ، فلا الأعجازُ[3] تَخذُلُ قوائمها فلا تنصُرها، ولا الصدور تتّكل على أعْجازها.

قوله: (أن يَضرِبه) "أن يَضرِب" مفعول (أراد)، وجواب "لمّا" محذوف، أي: لمّا جاوز موسى البحر أراد أن يَضْرِب. هذا فيه نظر، والصواب أن يقال: "لمّا" ظرف "أراد"، وهو العامل.

قوله: (أطبَقَه الله) أي: يجعله طَبَقًا على القِبْط[4] بالقَلب عليهم.

قوله: (الفَجْوة) أي: الفُرْجة بين الشيئين.

---

١ ن: يمش.

٢ للقطامي في ديوانه، ص ١٩٥.

٣ ف: للإعجاز.

٤ ن: الطبق.

وعن بعض العَرب: أنّه رَأى جَملًا فالِجًا فقال: سبحان الله رَهْوٌ بَيْنَ سنَامَيْنِ.

أي: أتْرُكْهُ مفتُوحًا على حاله مُنفرجًا.

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ﴾ وقرئ بالفتح بمعنى: لِأنّهم.

﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

و"المقامُ الكريمُ": ما كان لهُم من المجَالِسِ والمَنازِل الحَسنة، وقيل: المنابرُ.

و"النَّعمة" بالفتح من التَّنعُّم وبالكسر من الإِنْعام، وقرئ: ﴿فَكِهِينَ﴾ و: ﴿فَكِهِينَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكافُ منصوبةٌ على مَعنى: مثلَ ذلك الإخْراجِ أخرَجْناهُم مِنها ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾، أو في مَوضع الرَّفع على: الأمرُ كذلك.

قوله: **(فالِجًا)** الفالِج: الجمل الضخم ذو السَّنامَين يُحمَل مِن السِّند للفِحْلة.[١]

قوله: **(قُرئ بالفتح)** شاذّ.[٢]

قوله: **(وقيل: المنابِرُ)** أي: المواضِع المرتفعة، يقال: نَبَرْتُ الشيءَ أنْبِرُه نَبْرًا؛ رفَعتَه،[٣] ومنه سُمّي المِنْبَر.[٤]

قوله: **(مثلَ ذلك الإخْراج)** اعلم أنّ لفظ "الإخراج" غير مذكور ههنا؛ بل في موضع آخر في هذه القِصّة، ولمّا ذكر الإخراج في مثل هذا الموضع أشار إلى أنّ قوله: ﴿كَمْ تَرَكُواْ﴾ ههنا في معنى الإخراج ثمّة، وإلّا فالمناسب في هذا الموضع

---

١ **الصحاح** للجوهري، «فلج». | وفي هامش د ف: والمصدر الفِحْلة بالكسر. **صحاح**. | **الصحاح** للجوهري، «فحل».

٢ أي: بفتح الهمزة في ﴿إِنَّهُمْ﴾. قراءة شاذّة، غير منسوبة. ذكرها كذلك البيضاوي في **أنوار التنزيل**، ١٠١/٥ (الدخان، ٢٤/٤٤).

٣ ن: بين ارفعت.

٤ **الصحاح** للجوهري، «نبر». | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿فَكِهِينَ﴾ أي: ناعمين، و﴿فَكِهِينَ﴾ أشرين بَطِرين. | **المُغرب** للمطرّزي، «فكه». وقرأ أبو جعفر: ﴿فَكِهِينَ﴾ بحذف الألف بعد الفاء، وقرأ باقي العشرة: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بإثبات الألف. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٥٤/٢.

﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ ليسُوا مِنهم في شيءٍ من قرابةٍ ولا دينٍ ولا وَلاءٍ وهُم بنو إسرائيلَ، كانوا متسخَّرين مُسْتَعْبَدِين في أَيْدِيهم فأَهلكهُم الله على أَيْديهِم وأورثَهُم مُلكَهم وديارَهُم.

﴿فَمَا بَكَتْ﴾ إذا مات رَجُلٌ خَطِيرٌ قالت العربُ في تَعظيم مَهْلكهِ: "بكَتْ عليه السماءُ والأرضُ" و"بكتْهُ الرِّيحُ" و"أَظلَمت له الشَّمسُ".

وفي حديثِ رَسُولِ الله: «ما مِن مُؤمنٍ ماتَ في غُرْبةٍ غابَتْ فيها بَواكيه إِلَّا بكَتْ عليه السَّماءُ والأرضُ». وقال جريرٌ:

تَبكي عَليك نُجومَ الَّليل والقَمَرا

وقالتِ الخَارجيَّةُ:

أَيا شجَرَ الخابورُ مالكَ مُورِقًا كأَنَّك لم تجزَعْ على ابن طَرِيفِ

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مُبَالغةً في وجُوب الجزَع والبُكاء عليه.

أن يقال: على معنى: مثلَ ذلك الترك تَرَكوا، ولكنّ المصنّف نظر إلى المعنى مع مطابقة قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾.

قوله:

(تَبْكي[1] عليك نجومَ الليلِ والقمرا)

أوّله:

الشمسُ طالعة ليست بكاسفة[2]

يَرثِي عمرَ بنَ[3] عبد العزيز. ويُروى برفع "النجوم" ونصبِها، أي: كنجوم. كأنّه يُنكر طلوعَ الشمس، أو يتعجّب مِن طلوعها بعد المَرْثِيّ.

قوله: **(الخابور)**[4] بالخاء المنقوطة موضع بناحية الشام، وبالحاء غير المنقوطة[5] مجلس الفتيان.

---

[1] وفي هامش د ف: أي: الشمس.
[2] ديوان جرير، ص ٧٣٦.
[3] ن: ابن.
[4] وفي هامش د ف: أيا شجر...
[5] ن: منقوطة.

وكذلك ما يُروَى عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما -مِن بُكاء مُصَلِّي المؤمنِ وآثارِه في الأرض ومصَاعِدِ عَمله ومَهابط رِزقه في السماء- تَمثيلٌ.

ونفيُ ذلك عنهم في قَوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فيه تهَكُّمٌ بهِمْ وبحالِهم المُنافيةِ لحالِ مَن يُعَظَّمُ فقْدُه: فيُقالُ فيه: بكَتْ عليه السَّماءُ والأرضُ.

وعن الحسن: فما بكَى عليهم الملائكةُ والمؤمِنون بل كانوا بهلاكِهم مَسْرُورِينَ. يَعْني: فما بَكى عَليْهم أَهْلُ السَّماء وأَهلُ الأرض.

و﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ لمَّا جاء وقتُ هلاكِهم لم يُنظَرُوا إلى وقْتٍ آخرَ، أو لم يُمْهَلوا إلى الآخرة بل عُجِّل لَهُم في الدُّنيا.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدَلٌ ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ كأنَّه في نفْسِه كان عذابًا مُهينًا لإفْراطِه في تَعذيبهم وإهَانتِهم، ويجوز أن يكون المَعنى: من العذَابِ المُهين واقعًا من جهةِ فرعَوْن.

وقرئ: "من عذابِ المُهين"، ووجْهُه: أن يكُونَ تقديرُ قوله: ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾: مِن عذاب فرْعَونَ، حتَّى يكُونَ "المُهين" هُو فرعَونَ.

وفي قراءة ابن عبَّاس رضي الله عنه: "مَن فرعَونُ" لمَّا وصَف عذاب فرعَون بالشِّدَّة والفَظاعة قال: "مَن فرْعَوْنُ"، على: هَلْ تَعْرِفُونه مَن هُو في عُتوِّه وشيْطَنتِه؟ ثم عَرَّف حالَه في ذلك بقَوْلِه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: كبيرًا رَفيعَ الطَّبقَةِ مِن بَيْنهم، فائِقًا لهُم بلِيغًا في إسْرَافه.

قوله: **(ونَفيُ ذلك)** أي: البكاء.[1]

قوله: **(كأنّه في نفسه)**... إلخ يشير إلى أنّه بدل[2] الكلّ.

قوله: **(على:[3] هل تعرفونه)** أي: على معنى: هلْ تَعْرفونه.

---

[1] ن: البكى.

[2] ن: بذل.

[3] في بعض مطبوعات الكشّاف: على معنى.

أَو: عاليًا متكبِّرًا كقَوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص ٢٨/٤] و﴿مِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ خَبرٌ ثانٍ؛ كأنَّه قيل: إنَّه كان مُتكبِّرًا مُسْرِفًا.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٢﴾

الضمير في ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ لبني إسرائيلَ، و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في مَوضع الحال؛ أي: عالمين بمكانِ الخِيَرة وبأنَّهم أَحِقَّاءُ بأَن يُختَارُوا.

ويَجُوز أن يكون المَعنى: مَع علمٍ مِنَّا بأنَّهُم يَزِيغُونَ وتَفْرُطُ مِنهم الفَرطاتُ في بَعض الأحْوَال.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: على عالَمِي زمانِهم، وقيل: على الناسِ جميعًا لكثرة الأَنبياء مِنهُم.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ٣٣﴾

﴿مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ من نحوِ فَلْقِ البحرِ وتَظْليلِ الغَمام وإِنزالِ المنِّ والسَّلْوَى، وغيْرِ ذلك من الآيات العِظام الَّتي لم يُظهِر الله في غَيْرهم مثلَها.

﴿بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾: نعمةٌ ظاهرةٌ؛ لأنَّ الله تعالى يَبْلُو بالنِّعمة كما يَبْلُو بالمُصيبَةِ، أو: اختبارٌ ظاهِرٌ ليَنظرَ كيف تعملُون؛ كقَوله: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة ٢/٤٩].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ٣٤ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ٣٥ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣٦﴾

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارةٌ إلى كُفَّار قُرَيش.

قوله: (متكبِّرًا) تفسير ﴿عَالِيًا﴾. وقوله: (و﴿مِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[١] خبر ثانٍ) / أي: على هذا الوجه. [٣٥١و]

[١] ن: المشرقين.

فإن قلتَ: كان الكلامُ واقعًا في الحياةِ الثَّانية لا في المَوت، فهَلَّا قيل: "إنْ هي إلَّا حيَاتُنا الأولَى وما نحنُ بمُنشَرين"، كما قيل: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام ٦/٢٩]، وما مَعنى قولِه: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ وما مَعْنى ذكرِ ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ كأنَّهم وُعِدُوا مَوتةً أُخرَى حتَّى نفَوْهَا وجَحدُوها وأَثبَتُوا الأولى؟

قلتُ: معناه -واللهُ المُوفِّق للصَّواب-: أنَّه قيل لهم: إنَّكُم تَموتُونَ مَوْتةً تتعقَّبُها حيَاةٌ كما تَقدَّمتْكُم مَوتةٌ قد تعَقَّبَتْها حيَاةٌ، وذلك قولهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة ٢/٢٨] فقالوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ يُرِيدون: ما المَوتةُ التي من شأنِها أن يَتعقَّبَها حيَاةٌ إلَّا المَوتَةَ الأولَى دُون الموتةِ الثانِية، وما هذه الصِّفةُ التي تصِفُونَ بها الموتةَ مِن تعقُّب الحَياة لهَا إلَّا للمَوْتةِ الأُولى خاصَّةً، فلا فرق إذًا بين هذا وبين قوله: ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام ٦/٢٩] في المَعْنى.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ يقال: أَنْشَر اللهُ المَوتى ونشرَهُم: إذا بَعثَهم.

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَا﴾ خطابٌ للَّذين كانوا يَعِدُونهم النُّشورَ من رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ أي: إنْ صَدَقتُم فيما تقُولُون فعجِّلُوا لنا إحْيَاءَ مَن مَات من آبائنا بسُؤالِكم ربَّكُم ذلك حَتَّى يكُونَ دليلًا على أنَّ ما تَعِدُونه من قيام الساعة وبعْثِ الموتَى حَقٌّ.

وقيل: كانوا يطلبُون إليهم أَن يَدْعُوا اللهَ فيُنشِرَ لهُم قُصَيَّ بنَ كلابٍ ليُشاوِرُوه، فإنه كان كبيرَهم ومُشَاوَرَهُم في النَّوازل ومَعاظم الشُّؤُونِ.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝٣٧﴾

هو تُبَّعٌ الحميَريُّ، كان مُؤمنًا وقومُه كافرينَ، ولذلك ذمَّ اللهُ قومَه ولم يَذُمَّهُ. وهُو الَّذِي سَار بالجيُوش وحَيَّر الحِيرةَ وبنى سَمَرْقندَ -وقيل: هَدمَها-،

قوله: (ومشاوَرَهم) المشاوَر: اسم مفعول مِن المشاوَرة.

قوله: (حيَّر[1] الحِيرة)[2] أي: بناها. يقال: مدَّنَ، أي: بنى المدينة.

---

[1] ف ن: خير.

[2] ف: الحيزة؛ ن: الحميرة.

وكان إذا كتب قال: بسْمِ الَّذي مَلَك برًّا وبَحْرًا.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لا تَسُبُّوا تُبَّعًا فإنَّه كان قد أَسْلَم».

وعَنه عليه السَّلام: «ما أَدْرِي أكَانَ تُبَّعٌ نبيًّا أو غَيرَ نبيٍّ».

وعن ابن عبَّاسٍ: كان نبيًّا.

وقيل: نُظِر إلى قَبْرين بناحيةِ حِميرَ: هَذا قَبرُ رَضْوَى وقبرُ حُبَّى بِنتي تُبَّعٍ لا تُشركانِ بالله شيئًا.

وقيل: هو الَّذي كسَا البيت.

وقيل لمُلوك اليمن: التَّبابِعةُ؛ لأَنَّهم يُتبَّعُون؛ كما قيل: الأَقيالُ؛ لأَنَّهم يُتقَيَّلُون، وسُمِّي الظلُّ تَبَعًا لأنَّه يَتبعُ الشَّمسَ.

فإن قلتَ: ما معنى قولِه: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ ولا خيرَ في الفَريقين؟

قلتُ: معناه: أهم خيرٌ في القُوَّة والمنَعةِ؛ كقَوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ [القمر ٤٣/٥٤] بَعد ذكر آل فرعون، وفي تفسير ابن عبَّاس: أهُم أشَدُّ أم قومُ تُبَّعٍ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: وما بين الجِنْسين، وقرأ عُبيد بن عُميْر: "وما بينهنَّ".

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠﴾

وقرأ: "ميقَاتَهم" بالنَّصب على أنه اسْمُ ﴿إِنَّ﴾ و﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ خَبرُها؛ أي: إنَّ ميعَاد حسَابهم وجزائهم في يَوم الفصل.

قوله: (حُبَّى) على وزن فُعْلى.[1]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (يُتقَيَّلُون) تَقَيَّل فلان أباه، أي: أشبهه. صحاح. القَيْل: شُرب نصف النهار، يقال: قَيَّله فتقَيَّل، أي: سَقاه نصف النهار فشَرِب. صحاح. | الصحاح للجوهري، «قيل».

﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤١﴾

﴿لَا يُغۡنِي مَوۡلًى﴾ أيُّ مولًى كان من قَرابةٍ أو غَيْرها ﴿عَن مَّوۡلًى﴾ عن أيِّ مَولًى كان ﴿شَيۡـٔٗا﴾ من إغناءٍ، أي: قَليلًا منه.

﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ الضَّميرُ للمَوالي لأنَّهم في المَعنى كثيرٌ؛ لتنَاوُل اللَّفظ على الإبْهام والشِّياع كُلَّ مَوْلًى.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢﴾

﴿مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ في محلِّ الرَّفع على البَدل من الواو في ﴿يُنصَرُونَ﴾؛ أي: لا يُمنَع مِن العذاب إلَّا مَن رحمهُ الله، ويجوز أن يُنصَبَ على الاستِثناء.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ لا يُنصَرُ مِنه مَن عصَاه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لمَن أطاعَه.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٦﴾

قرئ: "إن شِجَرة الزَّقوم" بكسر الشين، وفيها ثلاثُ لغاتٍ: "شجرة" بفتح الشين وكسرها، و"شِيَرة" بالياء.

ورُوي أنَّه لمَّا نزَلَ ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الصافات ٦٢/٣٧] قال ابن الزِّبَعْرَى: إنَّ أهل اليَمن يَدْعُون أكل الزُّبد والتَّمر: التَّزقُّم، فدعَا أبُو جهْلٍ بتَمْرٍ وزُبْدٍ

قوله: **(مِن[1] قَرابة أو غيرها)** مخالف لِما ذُكر فيما مرّ مِن[2] أنّ اللفظ المشترك[3] لا يستعمل في المعنَيين المختلفين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ أي: بالشفاعة، فإنّ النُّصرة في القيامة بالشفاعة. وقيل: لا ينصرهم الذين كانوا يعبدونهم مِن دون الله.

قوله: **(بكَسر الشين)** شاذّ.[4]

---

[1] ن: ومن.
[2] ن - من.
[3] ن: المشرك.
[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٢.

وقال: تَزقَّموا فإنَّ هذا هو الذي يُخوِّفكُم به مُحمَّدٌ! فنزلَ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ وهو الفاجِرُ الكثيرُ الآثام.

وعن أبي الدَّرْداء أنَّه كان يُقرِئُ رَجُلًا فكان يقول: "طعامُ اليَتيم" فقال: قُل: "طعام الفاجر" يا هذا.

وبهذا يُسْتدَلُّ على أن إِبْدَال كلمةٍ مكانَ كلمَةٍ جائزٌ إذا كانت مُؤدِّيةً معناهَا، ومنه أجَاز أبو حنيفة رحمه الله القراءة بالفارسيَّة على شريطة، وهي: أَنْ يُؤدِّيَ القارئُ المعَانيَ على كَمالها من غيْرِ أن يَخْرِمَ منها شيئًا، قالوا: وهذه الشريطةُ تشهَد أنَّها إجَازةٌ كلَا إجازَةٍ؛ لأنَّ في كلام العَرب -خصُوصًا في القرآن الَّذي هو معجِزٌ بفصاحتِه وغرابةِ نظْمِه وأسَاليبه- من لطائف المَعاني والأَغْراض ما لا يَستقِلُّ بأدائه لسانٌ من فارسيَّةٍ وغيرِها، وما كان أبو حنيفة رحمه الله يُحْسِنُ الفارِسيَّة فلم يكُن ذلك مِنه عن تَحقُّقٍ وتَبصُّرٍ.

وروى عليُّ بن الجَعْد عن أبي يُوسُف عن أبي حنيفةَ رحمه الله مِثلَ قول صاحبَيه في إنكار القراءة بالفارسيَّةِ.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قرئ: بضمِّ الميم وفتحها، وهوَ دُرْديُّ الزَّيْت، ويَدُلُّ عليه قولُه: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج ٨/٧٠] مع قوله: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن ٣٧/٥٥].

قوله: (وعن أبي الدرداء رضي الله عنه)... إلخ، وغرض أبي الدرداء[١] مِن هذا الكلام أن يصرّح بالمعنى على وجه يَصرِف الرجل[٢] عن التلفّظ بما يَلْفَظُ[٣] به، ولم يكن غرضه جواز الإتيان بهذه الكلمة بدلَ تلك.

قوله: (خصوصًا في القرآن) أي: خاصّةً في القرآن.

قوله: (ما لا يستقلُّ)[٤] اسم "أنّ"، و(مِن لطائف) بيان "ما"، وخبره قوله: (في كلام العرب).

قوله: (﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن ٣٧/٥٥]) أي: كعصير الزيت.

---

١ ن – الخ، وغرض أبي الدرداء.
٢ ف: الرحل؛ ن: الردل.
٣ ن: يلفظه.
٤ ن: يستعمل.

وقيل: هو ذائبُ الفِضَّة والنُّحاسِ.

والكافُ رفعٌ خبرٌ بعد خَبرٍ، وكذلك ﴿يَغْلِي﴾، وقرئ: بالتَّاء للشَّجرة وباليَاء للطَّعام.

و﴿ٱلْحَمِيمِ﴾: الماءُ الحارُّ الَّذي انْتَهى غَلَيَانُه.

﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

يُقال للزَّبَانِيَةِ: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾: فقُودُوه بعُنْفٍ وغِلظَةٍ، وهو أن يُؤخذَ بتلبيبِ الرَّجُلِ فَيُجرَّ إلى حَبْسٍ أو قَتلٍ، ومنه: العُتُلُّ، وهو الغَلِيظ الجافِي. وقرئ بكسر التاء وضمها.

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: إلى وسَطها ومُعْظمِهَا.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: "صُبُّوا فوقَ رَأسِه من الحميم" كقوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج ١٩/٢٢] لأنَّ الحميم هو المصْبُوبُ لا عَذابُه؟

قلتُ: إذا صُبَّ عليه الحميمُ فقد صُبَّ عليه عذابُه وشدَّتُه، إلَّا أَنَّ صَبَّ العذابِ طريقةُ الاستعارةِ؛ كقوله:

قوله: (بتَلبِيب الرجل) أي: جَيْبِه. لبَّبْتُ الرجل تَلبِيبًا؛ إذا جمعتَ ثيابَه عند صدره ونَحره في الخصومة، ثمّ جَرَرْتَه، مِن اللَّبَة؛ المَنْحَر، أو مِن اللَّبَبِ؛ وهو موضع[١] القِلادة مِن الصدر مِن كلّ شيء. واللَّبَبُ أيضًا: ما يُشدّ[٢] على صدر الدابّة أو الناقة تمنع الرَّحلَ[٣] مِن الاسْتِيخار.[٤]

قوله: (قُرئ بكسر التاء وضمِّها) كلاهما مِن السبعة.[٥]

---

١ ن: مضع.

٢ ف: يَسُدّ.

٣ ن: الرجل.

٤ وفي هامش ف: أي: التأخير. | **الصحاح** للجوهري، «لبب».

٥ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب بضمّ التاء، وقرأ باقي العشرة بالكسر. **النشر** لابن الجزري، ٣٧١/٢. | وفي هامش د ف: قوله: (طريقة الاستعارة) استعارة بالكناية؛ شبّه العذاب بما يُصَبُّ مِن جسمٍ سيّال، والجامع الكثرة واتّصال الوصول، وكذا الباقي.

صُبَّتْ عليه صـرُوفُ الـدَّهـر مِـن صَبَبِ

وكقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا﴾ [البقرة ٢/٢٥٠] فذُكِرَ العذابُ مُعَلَّقًا به الصَّبُّ مُستعارًا له ليكون أهْوَلَ وأهيَبَ.

يقال: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ على سبيل الهُزءِ والتَّهكُّم بمَن كانَ يَتَعزَّزُ ويتكرَّمُ على قوْمه.

ورُوي أنَّ أبا جَهْلٍ لعنه الله قال لرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: ما بَيْنَ جَبلَيهَا أعَزُّ ولا أكْرمُ مِنِّي، فَوالله ما تَسْتطيعُ أنتَ ولا ربُّك أن تَفعَلا بي شيئًا.

وقرئ: ﴿أنَّك﴾ بمَعنى: لِأنَّك، وعن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما أنَّه قرأ بهِ على المِنْبر.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ العذابَ، أو: إنَّ هذا الأمْرَ، هُو ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾؛ أي: تَشكُّونَ، أو تتمارَوْنَ وتَتلاجُونَ.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾﴾

قرئ: ﴿فِي مَقَامٍ﴾ بالفتح: وهو مَوضع القِيام والمرادُ المكانُ، وهو من الخاصِّ الَّذي وقَع مُستعملًا في مَعْنى العُموم، وبالضَّمِّ: وهو مَوضع الإقامة.

قوله: (مِن صَبَب) أي: مِن[1] فوقُ. والصَّبَبُ: ما انحدر مِن الأرض.[2]

قوله: (ما بين جَبَلَيها)[3] أي: جبلَي مكّة، و"ما" نافية.

قوله: (في معنى العموم) أي: في جميع الأمكنة، حتّى قيل لموضع القعود: مقام، وإن لم نَقُمْ[4] فيه أصلًا، يقال: كنّا في مقام فلان، أي: في مَجلسه.[5]

---

[1] ن – من.

[2] الصحاح للجوهري، «صبب».

[3] ن: جبلها.

[4] ف: يقُم.

[5] وفي هامش د ف: قوله: (فوُصِف به المكان استعارةً)... إلخ شبه المكان بالخائن في أنّه يلقى صاحبُه المكاره مع أنّ المتوقّع منه ضدّها، وشبّه بالأمين في أنّه يلقى صاحبُه منه الخيرات المتوقّعة.

و"الأمين" من قَولك: أَمُنَ الرَّجُلُ أمَانةً فهو أَمين، وهو ضدُّ الخائِن، فوُصِف به المكانُ استعارةً؛ لأنَّ المكانَ المُخِيفَ كأنَّما يَخُون صاحبَهُ بما يَلْقى فيه من المكارِه.

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣﴾

قيل: "السُّندسُ": ما رَقَّ من الدِّيباج، و"الإستَبرقُ": ما غَلُظ منه، وهو تَعْريبُ إستَبْر.

فإن قلتَ: كيف ساغ أن يَقع في القرآن العربيِّ المُبينِ لفظٌ أَعجميٌّ؟

قلتُ: إذا عُرِّب خرَج من أن يكون عجميًّا؛ لأن معنى التَّعْريبِ أن يُجْعَل عَربيًّا بالتَّصرُّف فيه وتَغييرِه عن مِنْهاجِهِ وإِجْرائه على أَوْجُهِ الإعراب.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكافُ مَرْفُوعةٌ على: الأَمْرُ كذلِك، أو منصُوبٌ على: مثلَ ذلك أَثبنَاهُم ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ وقرأ عِكرمةُ: "بحُورِ عينٍ" على الإضافة، والمعنى: بالحورِ من العِين؛ لأنَّ العِين إمَّا أن تكون حُورًا أو غيرَ حُورٍ، ....

قوله: **(والمعنى: بالحُور)**[١] الحَوَر: شِدّة[٢] بياض[٣] العين في سوادها، وامرأة حَوراء بيّنة الحَوَر، وقال أبو عمرو: «الحَوَر: تسوّد العين كلّها مثل عين الظباء والبقر، وليس في بني آدم حَوَر، وإنّما قيل للنساء: حُور العِين؛ لأنّهنّ شُبّهْنَ بالظِّباء[٤] والبقر».[٥]

قوله: **(لأنّ العِين)** إمّا أن تكون حُورًا أو غير حُور؛ لأنّ الحُورَ قد تكون[٦] مِن العِين، وغيرَ الحُور أيضًا قد تكون مِن العِين، فهؤلاء مِن حُور العِين، لا مِن غير حُور العِين.

---

١ ن: بالحوز.
٢ ن: سد.
٣ ن: مياض.
٤ ن: بالطيا.
٥ **الصحاح** للجوهري، «حور».
٦ ن: يكون.

فهؤلاء مِن حُورِ العِين لا من شُهْلِهِنَّ مَثلًا.

وفي قراءةِ عَبْدِ اللهِ: "بِعِيسٍ عَيْنٍ"، والعَيْسَاءُ: البيضَاءُ تَعلُوها حُمرةٌ.

وقرأ عُبيدُ بن عُمَيرٍ: "لا يُذَاقُون فيها الموتَ"، وقرأ عبدُ اللهِ: "لا يذوقون فيها طعمَ الموت".

فإن قلتَ: كيف اسْتُثْنِيَتْ المَوتةُ الأُولى المَذوقةُ قبل دخول الجنةِ من المَوت المَنفيِّ ذَوقُهُ فيها؟

قلتُ: أريد أن يُقالَ: لا يَذُوقون فيها المَوت البَتَّةَ، فوُضع قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ مَوضع ذلك لأن الموتة الماضِيةَ مُحالٌ ذَوقُها في المستقبَلِ، فهو من بابِ التَّعليقِ بالمحالِ، كأنَّه قيل: إن كانت المَوتَةُ الأُولى يَستقيمُ ذَوقُها في المستقبَلِ فإنَّهم يذُوقُونها.

وقرئَ: "ووقَّاهم" بالتشديد.

قوله: (**لا مِن شُهْلِنِ**)[١] الشُّهْلةُ في العين: أن تشوب سوادَها زُرْقةٌ، وعَينٌ[٢] شَهْلاءُ،[٣] ورجل أشهَلُ العَين،[٤] بيِّن الشَّهَلِ، وأنشد الفرّاء:

ولا عيبَ فيها غير شُهْلةِ عينِها كذاك عِتاق[٥] الطَّيرِ شُهْلٌ عيونُها[٦]

---

١ ن: سبهن. | في مطبوع **الكشّاف**: شُهْلِهِنّ. وهو الصواب.

٢ ن - الشُّهْلة في العَين: أن تشوبَ سوادَها زُرْقةٌ، وعَينٌ.

٣ ن: شهداء.

٤ ف: العيَن.

٥ ن - عتاق.

٦ الصحاح للجوهري، «شهل». | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ اشتهَوها ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِن نفادها ومَضرّتها، وقال قتادة: «آمنين مِن الموت والأوصاب والشيطان». معالم. | **معالم التنزيل للبغوي**، ٢٣٧/٧ (الدخان، ٥٥/٤٤). | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يحتمل أن تكون الاستعارة في ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ مِن قَبيل الاستعارة بالكناية، شبّه بشيء مَذوق مُرّ طعمه، والجامع التألّم، ويحتمل أن تكون استعارة تبعيّة، شُبّه إدراك الموت بإدراك شيء مُرّ طعمه، والجامع إدراك غير الملائم. | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ ﴿فَضْلًا﴾ مصدر، أي: تفضّلنا بذلك تفضّلًا. أبو البقاء. | **التبيان لأبي البقاء العكبري**، ١١٤٩/٢.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾: عطاءً من رَبِّك وثوَابًا، يَعْني: كُلَّ مَا أَعْطَى المُتَّقِينَ من نعيمِ الجَنَّة والنَّجاةِ من النَّار، وقرئ: "فَضْلٌ"؛ أي: ذلك فضلٌ.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ فَذْلكةٌ للسُّورةِ، ومعناهَا: ذكِّرهُم بالكتاب المُبين، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾؛ أي: سَهَّلنَاه حيثُ أنزلنَاه عَربيًّا ﴿بِلِسَانِكَ﴾: بلُغَتِك إرادةَ أن يَفْهمَه قومُك فَيتذَكَّرُوا.

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾: فانتَظِر ما يَحُلُّ بهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ ما يَحُلُّ بكَ، مُترَبِّصُونَ بك الدَّوائرَ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأَ "حمَ الدُّخان" في لَيْلةٍ أَصْبَح يَستغفر له سَبْعُون ألفَ مَلَكٍ».

وَعَنه عليه السَّلام: «مَن قرأَ حمَ التي يُذكرُ فيهَا الدُّخانُ في لَيْلةِ جُمْعَةٍ أَصْبحَ مَغْفورًا له».

---

[1] قوله: (فَذْلكة) الفَذْلكة في الحساب: إجمالُه بعد التفصيل، وذلك بأن يُذكر أوّلًا تفاصيله،[1] ثمّ تُجمَل تلك التفاصيل، ويُكتب[2] في آخر الحساب: فذلك كذا وكذا.[3]

تمّت السورة بحمد الله[4] ومنّه.[5]

---

[1] ن: تفاصلة.
[2] ن: وتكتب.
[3] ن: ولذا.
[4] ن + تعالى.
[5] ف - بحمد الله ومنّه؛ ن - ومنّه.

سورة الجاثية

مكيَّةٌ، وهيَ سَبْعٌ وثَلاثون آيةً، وقيل: سِتٌّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ٢﴾

﴿حمٓ﴾ إنْ جعَلْتَها اسمًا مبتدأً مخبَرًا عنه بـ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لـم يَكُن بدٌّ من حَذفِ مضافٍ تقديرُه: تَنزيلُ حم تنزيلُ الكتاب، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ صلةٌ للتَّنزيل.

وإنْ جعَلْتَها تعديدًا للحرُوفِ كان ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مُبتدأً، والظَّرفُ خبرًا.

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥﴾

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يجوز أن يكون على ظاهره، وأن يكون المعنى: إنَّ في خلْقِ السماوات؛ لِقوله: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾.

فإن قلتَ: علامَ عُطِف ﴿وَمَا يَبُثُّ﴾ أَعَلَى الخلقِ المضافِ أم على الضميرِ المضافِ إليه؟

/ سورة الجاثية [٣٥١ظ]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: (**إنْ جَعَلتَها[٢] اسمًا**) أي:[٣] اسمًا للسورة.[٤]

---

١ ف ن – وبه نستعين.

٢ ف ن: جعلها.

٣ ن: أو.

٤ ف + في.

قلتُ: بل على المضاف؛ لأن المضاف إليه ضميرٌ متَّصلٌ مجرورٌ يَقبُحُ العطفُ عليه، استَقبَحُوا أن يقال: "مرَرتُ بك وزيدٍ"، و: "هذا أبُوك وعمرٍو"، وكذلك إنْ أكَّدُوه كرِهُوا أن يقولوا: مَرَرتُ بك أنتَ وزيدٍ.

قرئ: ﴿آياتلقومٍيُوْقِنون﴾ بالنصب والرفع، على قولك: "إن زيدًا في الدَّارِ وعمرًا في السُّوقِ"، أو: "وعمرٌو في السُّوقِ".

وأمَّا قوله: ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوۡمٍ يُوقِنُونَ﴾ فمِن العطف على عامِلين سَواءٌ نصَبْتَ أو رَفَعتَ: فالعامِلانِ إذا نصَبتَ هُما: "إنَّ" و"في"، أُقيمت الواو مَقامَهما فعَمِلت الجرَّ في: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ والنَّصبَ في: ﴿آياتٍ﴾.

وإذا رَفعْتَ فالعاملانِ: الابتداءُ و"في"، عملَت الرَّفعَ في ﴿ءَايَٰتٌ﴾ والجَرَّ في ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ﴾.

قوله: **(استَقبَحوا أن يقال: مررَت بك وزيدٍ)**... إلخ أورد مثالين لبيان أنّ العطف على المضمَر[1] المجرور قَبيح، سواء كان مجرورًا بحرف الجرّ أو بالإضافة. وأشار إلى أنّه لا فرْقَ بين أن يؤكَّد أو لا، وذكر ابن الحاجب في **شرح المفصّل** في باب الوقف منه[2] أنّ بعض النحويّين يُجوّزون في المجرور بالإضافة دونَ المجرور بحرف الجرّ؛ لأنّ اتّصال[3] المجرور بالمضاف إليه ليس كاتّصاله[4] بالجارّ، لاستقلال كلّ[5] منهما بمعناه، فلم يشتدّ الاتّصال فيه اشتدادَه مع الحرف، ولذلك[6] زعَم بعض النحويّين أنّ العطف على المضمَر[7] المخفوض بالإضافة جائز مِن غير تكرير، وحمل عليه قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ [البقرة ٢/٢٠٠]، وقال: هو معطوف على الكاف والميم في قوله: ﴿كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾ [البقرة ٢/٢٠٠]، كأنّه قال: أو كذِكْر قوم أشدّ ذكرًا.

قوله: **(فعَملَت)** أي: الواو. وقوله: **(عَمِلَت الرفعَ)** أي: عَمِلَت الواو.

---

١ ن: الضمير.
٢ انظر: **شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٢/٣٢٠.
٣ ن: إيصال.
٤ ن: كالتصاله.
٥ ن + واحد.
٦ ن: وكذلك.
٧ ن: الضمير.

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "وفي اختلافِ الليلِ والنهار".

فإن قلتَ: العطفُ على عاملين على مذهب الأخفش سَديدٌ لا مَقال فيهِ، وقد أباه سيبَويه، فما وجهُ تخْريجِ الآية عنده؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهُما: أن يكون على إضمار "في"، والذي حَسَّنه تقدُّمُ ذِكرِه في الآيتيْنِ قبلهَا، ويَعضُدهُ قراءةُ ابن مسعودٍ رضي الله عنه.

والثاني: أن ينتَصِبَ ﴿آياتٍ﴾ على الاختصاص بعد انقضاءِ المجرُور معطوفًا على ما قبلهَا، أو على التَّكرِير، ورفعُها بإضمار "هي".

وقرئ: "واختلافُ الليل والنهار" بالرفع.

وقرئ: "آيةٌ" وكذلك: "ومَا يَبُثُّ من دابةٍ آيةٌ"، وقرئ: ﴿وتصريفِ الرِّيح﴾.

والمعنى: إن المُنصِفِين من العباد إذا نَظرُوا في السَّماواتِ والأرضِ النَّظَرَ الصَّحيحَ عَلِمُوا أنَّها مَصْنُوعةٌ، وأنَّه لا بُدَّ لها من صَانعٍ، فآمَنُوا باللهِ وأقرُّوا، فإذا نظَرُوا في خلقِ أنفُسِهم وتَنَقُّلِها من حالٍ إلى حالٍ وهَيئةٍ إلى هَيئةٍ،

قوله: **(على الاختصاص)** أي: يكون مِن النصب على المدح، أي: أَخُصُّ[1] آياتٍ.

قوله: **(أو على التكرير)** أي:[2] التأكيد اللفظي.

قوله: **(ورفعُها)** عطفٌ على[3] قوله: **(أن ينتصب)** مِن حيث المعنى، كأنّه قال: انتصابها على الاختصاص، ورفعُها بإضمار "هي".

قوله: **(والمعنى: إنّ المُنصِفين)**...[4] إلخ عُلم ممّا ذكر المصنّف رحمه الله[5] أنّ الله تعالى سمّاهم مؤمنين باعتبار[6] ما يئُول إليه حالهم؛ لأنّهم نظروا في السماوات والأرض فآمنوا بعد ذلك، وكذلك تسميتهم موقِنين وعاقلين.

---

[1] ن: أخنص.
[2] ن: يراي.
[3] ن: على عطف.
[4] ن: المتصفين.
[5] د - رحمه الله.
[6] ن: باعتبا.

وفي خَلقِ ما على ظَهْر الأرض من صُنوف الحيَوان، ازدادُوا إيمانًا وأيقنُوا وانتفى عنهم اللَّبْسُ، فإذا نظرُوا في سائرِ الحوادثِ التي تتجدَّدُ في كلِّ وقتٍ؛ كاختلافِ اللَّيلِ والنهارِ، ونزولِ الأمطارِ، وحيَاةِ الأَرضِ بها بعد مَوتها، وتصريفِ الرياحِ جَنُوبًا وشَمالًا وقَبولًا ودَبُورًا= عقَلُوا واسْتَحكَمَ عِلْمُهُم وخَلَص يَقِينُهُم.

وسُمِّي المَطرُ رزقًا لأنه سَببُ الرِّزق.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى الآيات المتقدِّمة؛ أي: تلك الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾، و﴿نَتْلُوهَا﴾ في محلِّ الحالِ؛ أي: مَتْلُوَّةً ﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ والعامِلُ ما دَلَّ عليه ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة، ونحوُه: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود ١١/٧٢].

وقرئَ: "يتلوها" بالياء.

﴿بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: بعد آيات الله؛ كقَوْلهم: "أعجَبني زيدٌ وكَرمُه"، يُريدُون: أعجَبني كرَمُ زَيدٍ، ويجوز أن يُراد: بعْدَ حديثِ الله، وهو كتابُه وقُرآنُه؛ كقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر ٣٩/٢٣].

وقرئ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بالتاء والياء.

قوله: **(وفي خَلْقِ ما على ظهر الأرض)** ذكر أوّلًا أنّ قوله: ﴿مَا يَبُثُّ﴾ عطفٌ على "الخَلق" المضاف، لا على الضمير المضاف إليه، ثمّ أشار هنا بقوله: "وفي خلق ما على ظَهْر الأرض" إلى أنّ تقدير ما يَبُثُّ في خلق[١] ما يَبُثُّ، فيكون عطفًا على المضاف إليه، فيوهم[٢] أنّ بين كلامَيه تنافيًا، لكنّا نقول: مراده أنّ العطف على ما مرّ، ومعنى "فيما يَبُثُّ[٣] في خلق ما يَبُثُّ" كما ذكر أنّ معنى ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: في خلق السماوات.

قوله: **(ونحوه: ﴿هَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود ١١/٧٢])** أي: أُشير إليه شَيْخًا.

---

١ ن - "ما على ظهر الأرض" إلى أنّ تقدير ما يَبُثُّ في خلق.

٢ ن: فيرهم.

٣ ن: يبت.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾

"الأفَّاكُ": الكذَّابُ، و"الأثيمُ": المُتبالِغُ في اقتِرافِ الآثامِ.

﴿يُصِرُّ﴾: يُقْبِلُ على كُفْره ويُقيمُ عليهِ، وأَصْلهُ من إضرار الحِمار على العَانة، وهو أن يُنحِيَ عليْهَا صارًّا أُذُنيْهِ.

﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمان بالآياتِ والإذعانِ لِمَا تَنطِقُ به من الحقِّ، مُزْدَرِيًا لهَا مُعْجَبًا بما عنده.

قيل: نزلت في النَّضْرِ بن الحَارثِ، وما كان يَشتري من أحادِيثِ الأعاجم، ويَشْغَلُ بها النَّاسَ عن استماع القُرآن، والآيَةُ عامَّةٌ في كلِّ مَن كان مُضَارًّا لِدِين الله.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾؟

قلتُ: كمعناه في قول القائلِ:

يَـرى غَـمـراتِ الـمـوْتِ ثُـمَّ يَـزورُهَـا

وذلك أنَّ غمرَاتِ الموت حقيقةٌ بأن يَنجُوَ رَائيهَا بنَفسهِ، ويطلبَ الفِرارَ عنْهَا،

قوله: (على العانة)[١] العانة: القَطيع مِن حُمُر الوَحش.[٢]

قوله: (صارًّا)[٣] أي: حادًّا.

قوله:

(يـرى غَـمَـراتِ الـموت ثـمّ يزورها)

أوّله:

لا يَكْشِــف الغَمّـــاء إلّا ابـــن حُـــرّةٍ[٤]

قوله: (حقيقة) أي: جديرة، أي: أنّ الزيارة لغَمَرات الموت بعد رؤيته إيّاها

---

١ ن: الغانة.

٢ الصحاح للجوهري، «عون». | وفي هامش د ف: قوله: (أن يُنْجِيَ عليها) الإنحاء: إقبال.

٣ ن: صار.

٤ لجعفر بن عُلْبة الحارثي. انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ١/٤٩، وسمط اللآلي للبكري، ١/٩٠٥.

وأمَّا زِيارَتُها والإقدامُ على مُزاوَلتها فَأمرٌ مُستبعَدٌ، فمَعنى ﴿ثُمَّ﴾: الإيذانُ بأنَّ فِعلَ المُقْدِم عليها بعدَما رآهَا وعَاينَها شَيءٌ يُستَبعد في العادات والطِّباع، وكذلك آياتُ الله الواضِحةُ النَّاطِقةُ بالحَقِّ؛ مَن تُلِيَتْ عليه وسَمِعَها كان مُستبعَدًا في العُقولِ إصرارُهُ على الضَّلالة عندها، واستكبارُه عن الإيمانِ بها.

﴿كَأَن﴾ مُخففَّةٌ، والأصل: كأنَّه لم يَسْمعهَا، والضميرُ ضميرُ الشَّأن كما في قوله:

كَأنْ ظَبْيَةٌ تَعطُو إلى ناضرِ السَّلَمْ

ومَحلُّ الجُملة النَّصبُ على الحالِ؛ أي: يُصِرُّ مثلَ غَيْرِ السَّامعِ.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩﴾

﴿وَإِذَا﴾ بلغَهُ شيءٌ من آياتنا وعَلِم أنَّه منها ﴿ٱتَّخَذَهَا﴾؛ أي: اتَّخذ الآياتِ ﴿هُزُوًا﴾ ولم يقل: "اتَّخذَه" للإشعارِ بأنَّه إذا أحَسَّ بشَيءٍ من الكلام أنَّه من جُملة الآيات

مستبعَدة مُستنكَرة في العقل والعادة، وهو مع ذلك يزورها بعد استيقانه إيّاها. بالغَ في مَدْحه بذلك حيث باشر مثل هذا المستَبعَد.

قوله:

(كأنْ ظَبْيةٌ تَعْطو إلى ناضَر[1] السَّلَمْ)

أوّله:

ويومًا تُوافينا بوجْهٍ[2] مقسَّمٍ[3]

تُوافينا،[4] أي: تأتينا،[5] والمقسَّم: المُحسَّن، وتَعطو، أي: تتناول.

---

١ ن: ناطر.

٢ ن: قوله.

٣ اختلف في قائله؛ فعند سيبويه هو لابن صريم اليَشكري، وكذا قال النحّاس والأعلم. وقال القالي في **أماليه**: هو لأرقم اليَشكري. وقال أبو عبيد البكري فيما كتبه على **أماليه**: هو لراشد بن شهاب اليَشكري. ويقال: لعلباء بن أرقم اليَشكري قاله في امرأته، وهو الصحيح. **شرح أبيات مغني اللبيب** للبغدادي، ١٦٠/١.

٤ ن: توافيا.

٥ د: تأتينا.

التي أنزَلَها اللهُ على مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم خَاضَ في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يَقتصِر على الاستهزاءِ بما بلَغَهُ.

ويَحتمِلُ: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ يُمكِنُ أن يَتشبَّثَ به المُعانِدُ ويَجِدَ له مَحْمَلًا يَتَسلَّقُ به على الطَّعنِ والغَمِيزة افْتَرصَهُ واتَّخذَ آياتِ الله هُزوًا، وذلك نحوُ اعتِراضِ ابن الزِّبَعْرَى قَولَه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٩٨/٢١] ومُغالَطتِه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقولِه: خَصَمْتُك.

ويجوز أن يرْجِع الضميرُ إلى "شيء"؛ لأنه في معنى الآيةِ كقول أبي العَتاهيَةِ:

نفسي بشَيءٍ من الدُّنيا مُعَلَّقةٌ   اللهُ والقائمُ المَهْدِيُّ يَكفِيها

حيثُ أَراد عُتْبَةَ.

وقرئ: "عُلِّم".

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى "كلِّ أفاكٍ أثيمٍ" لشمُولهِ الأفَّاكينَ.

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

و"الوراءُ": اسمٌ للجهةِ التي يُوارِيها الشَّخصُ ....

[٣٥٢و] قوله: (ويحتمل: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾) على الوجه[١] / الأوّل يكون ﴿عَلِمَ﴾ متعدّيًا إلى المفعولَين؛ الأوّل ﴿شَيْـًٔا﴾، والثاني ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾، و﴿مِنْ﴾ للتبعيض. وعلى الوجه الثاني يكون ﴿عَلِمَ﴾ بمعنى "عَرَف" متعدّيًا إلى واحد، و﴿مِنْ﴾ للابتداء.[٢]

قوله: (والغَمِيزةِ) أي: النَقيصة. وقوله: (افترَصَه) أي: اغتنَمَه،[٣] وهو جواب "إذا".

قوله: (أراد عُتْبة) عُتْبة:[٤] اسم جارية، وكان يهواها. وقوله: (القائم)[٥] القائم[٦] بأمر الله تعالى، والمَهْدِي: اسم خليفة مِن الخلفاء العبّاسيّة.

---

١ د + الوجه.
٢ ن: الابتداء.
٣ ن: اغتنمه.
٤ ف ن - عُتبة.
٥ ف ن + أي.
٦ ن: النائم.

من خلفٍ أو قدّامٍ، قال:

أَلَيْسَ ورائِي إن تراخَتْ مَنيَّتِي   أَدِبُّ مع الوِلدانِ أزحَفُ كالنَّسْرِ

ومنهُ قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿مِن وَرَآئِهِمْ﴾؛ أي: من قُدَّامِهِم.

﴿مَا كَسَبُوا۟﴾ من الأموالِ في رِحَلهم ومَتاجِرهم ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأَوْثانِ.

﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ١١﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى القرآنِ؛ يَدُلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ لأنَّ آياتِ ربِّهم هي القرآنُ؛ أي: هذا القرآنُ كاملٌ في الهِدايةِ؛ كما تقولُ: "زيدٌ رجلٌ" تريدُ: كامِلٌ في الرُّجوليَّةِ، وأَيُّما رجُلٍ.

و"الرِّجزُ": أشدُّ العذاب، وقرئ بجرِّ ﴿أليم﴾ ورَفْعِه.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالتِّجارة، أو بالغَوصِ على اللُّؤلؤِ والمرجان، واستخراجِ اللَّحم الطَّرِيِّ، وغيرِ ذلك من مَنافعِ البَحْر.

قوله: (مِن خَلْف) بيان الجهة.

قوله:

(أليسَ وَرائي إنْ تراخَتْ[١] مَنِيَّتي)...[٢] البيتَ[٣]

"تراخَتْ"، أي: تباعدَتْ. وقوله: "أَدِبُّ" أي: أمشي على هِينة وتؤدةٍ، ويقال: الصبيّ يزحف على الأرض قبل أن يمشيَ إذا حَبا على إسْتِه. وبرواية "أَرجَفُ" بالراء[٤] المهملة والجيم، أي: أرتَعد، مِن الرَّجَفان. والنَّسْر: كَوْكبٌ.

---

١ ن: تراخيت.

٢ ن - مَنِيَّتي.

٣ للَبيد بن ربيعة في ديوانه، ص ١٧٠.

٤ ن + ق.

فإن قلتَ: ما مَعنى ﴿مِنۡهُ﴾ في قولِهِ: ﴿جَمِيعٗا مِّنۡهُ﴾ وما مَوقعُها من الإعرابِ؟

قلتُ: هي وَاقعةٌ موقعَ الحالِ، والمَعنى: أنّه سخَّر هذه الأشيَاءَ كائنةً منه وحاصلةً من عنده، يَعني: أنّه مُكوِّنُها ومُوجِدُها بقُدرتِهِ وحكمتِهِ، ثمَّ مُسخِّرُها لخَلْقه.

ويجوز أن يكون خبَرَ مُبتدأ محذوفٍ تقديرُه: هي جميعًا مِنه، وأن يكونَ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾ تأكيدًا لقولِهِ تعالى: ﴿سَخَّرَ لَكُم﴾ ثم ابتُدِئَ قولُه: ﴿مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ﴾، وأن يكُونَ ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مُبتدأً و﴿مِنۡهُ﴾ خبَرَهُ.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: "مِنَّةً"، وقرأ سَلَمةُ بن مُحاربٍ: "مَنُّهُ" على أن يكونَ "مَنُّه" فاعلَ ﴿سَخَّرَ﴾ على الإسنادِ المجازيِّ، أو على أنّه خبرُ مُبتدأ محذوفٍ؛ أي: ذلكَ -أو: هو- مَنُّهُ.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١٥﴾

حُذِف المقُولُ لأنَّ الجوابَ دالٌّ عليهِ، والمَعنى: قُلْ لهُم اغفِرُوا يَغْفِرُوا.

وقولـه: "أدِبُ" اسم "ليس"؛ لأنّ تقديره:[١] أنْ أدِبَ، فحُذف[٢] منه "أنْ"، والأَولى أنْ يقال:[٣] المراد بـ"النَسْر" هنا الطيرُ المشهور.

قوله: (**يعني: أنّه مكوِّنُها**)[٤] فمعنى ﴿مِنۡهُ﴾ أنّه موجِدها، ومَوقعها النصب على الحال، أو رفع على الابتداء.

قوله: (**تأكيدًا**) كونه[٥] تأكيدًا مع الواو بينهما مُشكِل.

قوله: (**ثمّ ابتُدئ**)... إلخ وعلى هذا يكون ﴿مَا﴾ مبتدأ خبره ﴿مِنۡهُ﴾.

قوله: (**حُذف المَقول**) أي: حُذف مقول ﴿قُل﴾؛ لأنّ جواب ﴿قُل﴾ يدلّ على مَقوله.[٦]

---

١ ن: تقدير.

٢ ن: محدو.

٣ ن - أن يقال.

٤ ن: مكوتها.

٥ ن: لونه.

٦ وفي هامش د ف: قوله: (على الإسناد المجازي) مِن قَبيل الإسناد إلى السبب.

﴿لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: لا يتوقَّعون وقائعَ الله بأعدائه، من قولهم لوَقائعِ العَربِ: أيّامُ العرب.

وقيل: لا يأمُلون الأوقاتَ التي وقَّتها اللهُ لثوابِ المؤمنِينَ ووَعَدهُم الفوزَ فيها.

قيل: نزلَتْ قَبل آية القِتَال، ثمَّ نُسِخ حُكمُها.

وقيل: نزولُها في عمرَ رضي الله عنه وقد شَتَمهُ رجلٌ من غِفَارٍ فهمَّ أن يَبطِش به.

وعن سعيد بن المسيِّبِ: كُنَّا بين يدَيْ عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه فقَرأ قارئٌ هذه الآيةَ، فقال عمر: ليُجزَى عمرُ بما صَنَع.

﴿لِيَجۡزِيَ﴾ تَعليلٌ للأَمْر بالمَغفرة؛ أي: إنَّما أُمرُوا بأنْ يَغفرُوا لِمَا أرَاده الله من توفِيتِهم جزاءَ مَغفِرتهم يومَ القيامة.

فإن قلتَ: قولُه: ﴿قَوۡمَۢا﴾ ما وَجْهُ تنكيره، وإنما أرادَ الذين آمنوا وهُم مَعارفُ؟

قلتُ: هو مدحٌ لهُم وثناءٌ علَيهم، كأنَّه قيل: ليَجزي أيَّما قومٍ وقومًا مخصُوصين لصَبْرهم وإغضائهم على أذَى أعْدائهم من الكفَّارِ، وعلى ما كانوا يُجَرِّعُونَهم من الغُصَص ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ من الثَّوابِ العظيمِ بكَظْم الغيْظِ، واحتِمالِ المَكرُوه.

ومعنَى قولِ عُمر رضي الله عنه: "ليُجزَى عمرُ بما صَنَعَ": ليُجزَى بصَبْرِهِ واحتمالِهِ، وقولِهِ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم عند نزولِ الآية: "والذي بَعثكَ بالحقِّ لا تَرى الغضَبَ في وَجْهِي".

قوله: (**لا[1] يتوقَّعون وقائع الله**)... إلخ و"الرجاء" على الوجه **الأوَل** بمعنى الخَوف، وعلى **الثاني** بمعناه الحقيقي. قال في **الصحاح**: «الرجاء مِن الأمل ممدود، والرجاء[2] بمعنى الخوف، قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [نوح ١٣/٧١]، أي: لا تخافون عظمةَ الله».[3]

---

١ ن: ولا.
٢ ن: الرجاء.
٣ **الصحاح** للجوهري، «رجا».

وقرئ: ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًا﴾؛ أي: الله عزَّ وجلَّ، و: "ليُجزَى قومٌ"، و: ﴿ليُجزَى قومًا﴾ على معنى: وليُجزَى الجَزاءُ قومًا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: الحكمةَ والفقهَ، أو فصلَ الخُصُومات بين النَّاسِ؛ لأن المُلكَ كان فيهم والنُّبوَّة.

﴿مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: ممَّا أحلَّ اللهُ لهُم وأطاب من الأَرْزاقِ ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حيثُ لم نُؤتِ غيرَهم مثلَ ما آتيناهم.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: آياتٍ ومُعجزاتٍ ﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾: من أَمْرِ الدِّين، ....

قوله: (وقُرئ: ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًا﴾) القراءة[1] ﴿لِيَجْزِىَ﴾[2] معلومًا بالياء[3] والنون[4] ونصبِ ﴿قَوْمًا﴾ مِن السبعة، و﴿لِيُجْزَى﴾ بالياء مجهولًا ورفعِ "قومٌ" ونصبِه شاذٌ.[5]

قوله: (وليُجْزى الجزاء) أُقيم المصدر مُقام الفاعل ونُصب المفعول[6] به، وقد كتبْنا وجه ذلك في سورة الأنبياء.[7]

---

١ ن + د.

٢ د ف: "لِينَجْزِيَ" [أي: بالياء والنون].

٣ أي: ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًا﴾ بالياء مبنيًّا للمعلوم ونصبِ ﴿قَوْمًا﴾، قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وعاصم. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٧٢/٢.

٤ أي: ﴿لِنَجْزِىَ قَوْمًا﴾ بالنون مبنيًّا للمعلوم ونصبِ ﴿قَوْمًا﴾، قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٧٢/٢.

٥ القراءة: ﴿لِيُجْزَىٰ قَوْمًا﴾ بضمّ الياء وفتح الزاي على البناء للمجهول ونصبِ ﴿قَوْمًا﴾، قرأ بها أبو جعفر في العشرة. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٧٢/٢. أمّا "لِيُجْزَى قَوْمٌ" على البناء للمجهول ورفع "قَومٌ" فقراءة شاذّة، غير منسوبة. ذكرها كذلك البيضاوي في **أنوار التنزيل**، ١٠٧/٥ (الجاثية، ١٤/٤٥).

٦ ف: المعقول.

٧ في توجيه قراءة ابن عامر وشعبة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُجِّى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء ٨٨/٢١].

﴿فَمَا﴾ وقعَ بينهُم الخِلَافُ في الدِّين ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ﴾ ما هو مُوجِبٌ لِزوال الخلاف وهو العلمُ، وإنَّما اختلفُوا لبَغيٍ حدَث بينهم؛ أي: لعَدَاوةٍ وحَسدٍ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: على طريقةٍ ومنهاجٍ ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: من أَمْرِ الدِّين، فاتَّبِعْ شريعَتَك الثَّابتةَ بالدَّلائلِ والحُجَجِ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ ما لا حجَّةَ عليهِ من أهواء الجُهَّالِ ودِينِهم المَبنيّ على هوًى وبدعةٍ، وهم رؤساءُ قريشٍ حين قالوا: ارْجِعْ إلى دينِ آبائِكَ ولا تُوالِهم، إنَّما يُوالِي الظَّالمين مَن هو ظالمٌ مِثلُهم، وأما المُتَّقونَ فوَليُّهم اللهُ وهم موَالُوهُ، وما أبينَ الفَصْلَ بينَ الولايَتَينِ.

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ القرآنُ ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ جُعِل ما فيهِ من مَعالمِ الدِّين والشَّرائع بمنزلةِ البَصائر في القلوبِ كما جُعِل رُوحًا وحيَاةً، وهو هُدًى من الضَّلالةِ ورحمةٌ من العذابِ لمن آمَن وأيقَنَ.

وقرئ: "هذه بصَائرُ"؛ أي: هذه الآياتُ.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ، ومعنى الهمزةِ فيها إنكارُ الحسبَانِ.

و"الاجتِراحُ": الاكتسابُ، ومنه: الجوارحُ، وفُلانٌ جارِحَةُ أهلِهِ؛ أي: كاسبُهم.

﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾: أن نُصَيِّرَهُم، وهو مِن "جَعَل" المتعدِّي إلى مفعُولينِ، فأوَّلُهما الضمير والثاني الكافُ، والجُملةُ التي هي ﴿سواءٌ مَّحْياهُم ومَمَاتُهم﴾ بدلٌ من الكاف؛ لأن الجُملة تقعُ مفعُولًا ثانيًا، فكانَت في حكمِ المُفرد، ألا تراك لو قلتَ: "أن نجعَلَهم سَواءٌ مَحياهُم ومَماتُهم" كان سَديدًا، كما تقولُ: "ظنَنتُ زيدًا أبُوه منطلقٌ".

ومَن قَرأ ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب أَجْرَى ﴿سَوَآءً﴾ مجرَى: مُستويًا، وارتفَع ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ على الفاعليَّة، وكان مفردًا غيرَ جُملةٍ.

ومَن قرأ: "ومَماتَهم" بالنصب جعَل "مَحْياهُم ومَماتَهُم" ظَرفينِ كـ"مَقْدَمَ الحاجِّ" و"خُفُوقَ النَّجم"؛ أي: سَواءً في محيَاهُم وفي مماتِهم.

والمعنى: إنكارُ أن يَستوِيَ المُسيئُونَ والمُحْسِنُونَ محيًا وأنْ يَستوُوا مَماتًا؛ لافتِراقِ أحوالهم أحْياءً حيثُ عاشَ هؤلاء على القِيامِ بالطَّاعاتِ وأولئكَ على رُكُوب المعَاصي، ومَماتًا حَيْثُ ماتَ هؤلاء على البُشْرى بالرَّحمةِ والوُصولِ إلى ثوابِ الله ورِضوانِهِ وأولئكَ على اليَأسِ من رَحمةِ اللهِ والوُصولِ إلى هَوْلِ ما أُعِدَّ لهُم.

وقيل: معناه: إنكارُ أن يستَوُوا في المَمات كما استَوَوا في الحَياةِ؛ لأن المُسيئين والمُحْسنينَ مُستوٍ مَحْيَاهُم في الرِّزقِ والصِّحةِ، وإنَّما يَفْترِقُون في المَماتِ.

وقيل: ﴿سواءٌ محيَاهُم ومَماتُهم﴾ كلامٌ مُستَأنَفٌ على مَعنى: أنَّ محيَا المُسيئِين ومَماتَهُم سَواءٌ، وكذلك محيَا المُحسنينَ وممَاتُهم، كلٌّ يَمُوتُ على حَسَبِ ما عاش علَيهِ.

وعن تميمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه: أنه كان يُصَلِّي ذاتَ ليْلةٍ عند المَقامِ فبَلغ هذه الآيَةَ، فجَعلَ يَبْكِي ويُرَدِّد إلى الصَّباحِ: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

قوله: (وقيل: معناه إنكارُ)... إلخ كان الإنكار على المعنى الأوّل متوجّهًا إلى كلّ واحد مِن الاستواءَين،[1] أي: لا يَسْتوون أحياء ولا يستوون أمواتًا. وأمّا على المعنى الثاني فالإنكار متوجّه إلى مجموع الاستواءَين، لا إلى كلّ واحد منهما؛ لأنّ استواءهما في الحياة[2] متحقّق، والمُنتفى استواؤهما في الممات. وعلى الوجه الثالث -وهو الاستئناف- فالإنكار غير متعلّق بشيء مِن الاستواءَين أصلًا، إنّما هو متعلّق بجعل الله تعالى المسيئين[3] كالصالحين، ثم استؤنف وبيّن الاستواء

---

[1] ن: الاستواتين.
[2] ف: الحقيقة.
[3] ن: المسئين.

وعن الفُضَيل: أنَّه بلَغها فجَعلَ يُردِّدُها ويَبكي ويقولُ: يا فُضَيْلُ ليت شِعْري: من أيِّ الفريقين أنتَ؟!

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ معطوفٌ على ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ لأنَّ فيه معنَى التَّعليل، أو على مُعَلَّلٍ محذُوفٍ تقديُره: وخلقَ السماواتِ والأرضَ ليَدُلَّ بها على قُدْرتهِ ولتُجزَى كلُّ نفْسٍ.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

أي: هو مِطواعٌ لِهَوى النَّفسِ يَتَّبِعُ ما تدْعُوه إليهِ، فكأنَّه يَعبُده كما يعبُدُ الرَّجل إلهَهُ.

بين مَحْيَى المسيئين[1] ومَماتِهم، وبين مَحْيَى الصالحين ومَماتِهم. والحاصل: أنّه لمّا ذكر أنّ الله تعالى لم يجعل المسيئين[2] كالصالحين قال مشيرًا[3] إلى علّة[4] عدم الجَعْل: إنّ كلَّ صِنْف مِن المسيئين[5] والصالحين يكون حياتهم كمَوتهم،[6] فكما تَعيشون[7] تموتون.[8]

[٣٥٢ظ] / قوله: (بَلَغها) أي: بلغ فُضَيل هذه الآية في القراءة.[9]

قوله: (معطوف على ﴿بِٱلْحَقِّ﴾) ﴿بِٱلْحَقِّ﴾[10] أي: بالعدل، فلا يقتضي التساوي بين الفريقين.

---

١ ن: المسئين.
٢ ن: المسئين.
٣ ن: مشير.
٤ ن: علمه.
٥ ن: المسئين.
٦ ن: كمونهم.
٧ ن: يعيشون.
٨ ن: يموتون.

٩ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ فإن قيل: فهلّا قيل: مَن اتّخذَ هواه إلهه، كما هو مُقتضى الظاهر؟ قيل: لأنّ الغرَضَ الإنكار، وفي ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ الإنكار أبلغ؛ لأنّه يلزم تحقير شأن الإله، بخلاف "اتّخذ هواه إلهه"، فإنّه يلزم تعظيم هواه بحيث يجعله مَعبودًا مُتَّبعًا، وهذا أيضًا مُنكَر، لكنّ الإنكار في حَطّ مرتبة الإله أبلغ وأشدّ، تأمّل.
١٠ ن - ﴿بِٱلْحَقِّ﴾.

وقرئ: "آلهةً هَواهُ" لأنه كان يَستحسِنُ الحَجَر فيَعبُدُه، فإذا رأى ما هو أحسنُ رَفَضَهُ إليه، فكأنَّه اتَّخذ هوَاه آلهةً شتَّى يَعبُد كلَّ وقْتٍ واحدًا منها.

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: وتَركَه عن الهدايةِ واللُّطف وخَذلَه ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: عالمًا بأنَّ ذلك لا يُجدي عليه، وأنه ممَّن لا لطفَ له، أو: معَ عِلمهِ بوُجوهِ الهداية، وإحاطتِه بأنواعِ الألطافِ المحصِّلة والمقرِّبة.

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ﴾ إضلالِ ﴿ٱللَّهِ﴾.

وقرئ ﴿غشاوةً﴾ بالحركات الثَّلاثِ، و: ﴿غَـشْوةً﴾ بالفتح والكسر.

وقرئ: "تتذكَّرون".

﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: نمُوتُ نحنُ ويَحْيَا أَوْلادُنَا، أو: يَمُوت بَعضٌ ويَحيَا بعْضٌ، أو: نكونُ مَواتًا نُطفًا في الأصلابِ ونحيا بعد ذلك، أو: يُصيبُنا الأمرانِ: الموتُ والحياةُ، يُريدونَ: الحياةَ في الدُّنيا، والموتَ بعدَها وليس وراءَ ذلك حيَاةٌ.

وقرئ: "نُحيَا" بضم النون، وقرئ: "إلا دهرٌ يَمرُّ".

وما يقُولُونَ ذلك عن علمٍ، ولكنْ عن ظنٍّ وتخْمِينٍ، كانوا يَزعُمُون أنَّ مرورَ الأيَّامِ واللَّيالِي هو المُؤثِّر في هَلاكِ الأنفُسِ، ويُنكِرُون ملكَ المَوتِ وقَبضَه لِلأرْواحِ بأمرِ الله، وكانوا يُضِيفُونَ كلَّ حادثةٍ تَحدُث إلى الدَّهرِ والزَّمانِ، وتَرى أشعارَهم ناطقةً بشكْوَى الزَّمانِ، ومنه قولُه عليهِ السَّلام: «لا تسبُّوا الدَّهرَ، فإنَّ الله هو الدَّهرُ»؛ أي: فإنَّ الله هو الآتِي بالحوادثِ لا الدَّهرُ.

قوله: (يريدون الحياة)... إلخ والفَرق بين هذا الوجه وبين الوجوه المتقَدِّمة أنّه لم يُرِدْ في هذا الوجه تقدّم الموت على الحياة وإن ذُكر متقدّمًا.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قرئ ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ بالنصب والرفع على تقديمِ خَبَر ﴿كَانَ﴾ وتأخيرِه.

فإن قلتَ: لِمَ سُمِّي قولُهم حُجَّةً وليس بحجَّةٍ؟

قلتُ: لأنَّهم أدْلَوا به كما يُدْلي المُحتجُّ بحُجَّتِه، وسَاقُوه مَسَاقَها، فسُمِّيت حُجَّةً على سبيلِ التَّهكُّم، أو لأنَّه في حسبانِهم وتقديرهم حُجَّةٌ، أو لأنَّه في أسلُوبِ قَولهم:

تَحِيَّةُ بينِهِم ضَربٌ وَجِيعٌ

كأنَّه قيل: ما كان حُجَّتَهُم إلا ما ليس بحجَّةٍ، والمرادُ: نفيُ أن تكون لهم حجَّةٌ البتَّة.

فإن قلتَ: كيف وقعَ قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ جوابًا لقولهم: ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟

قلتُ: لمَّا أنكرُوا البعثَ وكذَّبُوا الرسُول وحسبُوا أن ما قالُوه قَولٌ مُبَكِّت، أُلزِمُوا ما هُم مُقِرُّونَ به: من أنَّ الله عزَّ وجلَّ هو الذي يُحْيِيهم ثم يُميتُهم،

قوله: **(مُبَكِّتٌ)** يقال: بَكَّته بالحجّة، أي: غلَبه.[1]

قوله: **(ومَن كان قادرًا)** عطفٌ على جملة قوله: **(لمّا أنكروا)**... إلخ. وحاصل الجواب: أنّ مقصودهم مِن هذا الكلام إنكار البعث وتكذيب الرسل في دعواهم قدرةَ الله تعالى على ذلك، فذكروا مع الكفّار ما هم مُعترفون به مِن أنّ[2] الله تعالى خَالِقهم ومُميتهم، وألزموا بذلك قدرة الله تعالى على البَعث، وهو المقصود الأصليّ في هذا الموضع، ولم يلتفت[3] إلى ما اقترحوه مِن الإتيان بآبائهم؛

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «بكت».
[2] ن - أنّ.
[3] ن: نتلفت.

وضُمَّ إلى إلزامِ ذلك إلزَامُ ما هُو واجبُ الإقرار به إن أنصَفُوا وأَصغَوا إلى داعِي الحقِّ، وهو جَمعُهم إلى يومِ القيامة، ومَن كان قادرًا على ذلك كان قادرًا على الإتيانِ بآبائهم، وكان أهَونَ شيء عليه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

عاملُ النَّصبِ في ﴿يومَ تقومُ﴾: ﴿يَخْسَرُ﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلٌ من ﴿يوم تقوم﴾.

﴿جَاثِيَةً﴾: باركةً مُستوفِزَةً على الرُّكبِ، وقرئ: "جاذِيَةً"، والجُذوُّ: أشَدُّ استِيفازًا من الجُثوِّ؛ لأن الجاذِيَ هو الذي يجلِسُ على أطرافِ أصابعهِ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿جَاثِيَةً﴾: مجتمعةً.

وعن قتادةَ: جماعاتٍ، من الجُثوَة وهي الجماعةُ، وجَمعُها: جُثًى، وفي الحديثِ: «مِن جُثَى جهنَّم».

وقرئ: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ على الابتداءِ، و: ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ على الإبدال من ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾.

﴿إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: إلى صَحائفِ أعمالِها، فاكتُفِي باسم الجِنس؛ كقَوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف ١٨/٤٩].

لأنّ القدرة على ذلك قد ظهرَت مِن قدرته على المذكورات، وما ذكروه لا مَدْخلَ له في دَفْع المقصود.

قوله: (على الابتداء) خبره ﴿تُدْعَىٰ﴾، واعلم أنّ الخلاف في "كلّ" الثاني، وأمّا الأوّل فمنصوب لا غير.

قوله: (على الإبدال) فعلى هذا ﴿تُدْعَىٰ﴾ يكون مفعولًا ثانيًا، ذكره في **الكواشي**،[1] ولي فيه نظر، وأظنّ أنّه يكون استئنافًا على هذا التقدير.

---

[1] **تفسير الكواشي**، ٤٩٤ظ.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ محمولٌ على القَولِ.

فإن قلتَ: كيف أُضِيف الكتابُ إليهم وإلى الله عزَّ وجلَّ؟

قلتُ: الإضافةُ تكون للمُلابَسة، وقَد لابَسَهُم ولابَسهُ، أمَّا مُلَابستُه إيَّاهُم فلأنَّ أعمَالَهم مُثبَتةٌ فيه، وأمَّا ملابستُهُ إيَّاهُ فلأنَّه مالكُهُ والآمِرُ مَلائِكتَه أن يكتبُوا فيه أعمالَ عبادِهِ.

﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾: يشهَد عليكم بما عَمِلتم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ المَلائكةَ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: نَستكتبُهُم أعمَالَكم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: في جَنَّتِهِ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

وجوابُ "أمَّا" محذوفٌ تقديرُه: وأمَّا الذين كفرُوا فيُقال لهُم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ والمَعنى: ألم يأتكم رُسُلي فلم تكُن آياتي تُتلَى عليكم، فحُذِف المَعطوفُ عَليهِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾

وقرئَ: ﴿والساعةَ﴾ بالنصب عطفًا على الوَعدِ، وبالرفع عطفًا على محلِّ ﴿إِنَّ﴾ واسْمِها.

﴿مَا ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ السَّاعةُ؟

فإن قلتَ: ما معنى ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾؟

قوله: **(على القول)** أي: التقدير: يقال لهم: اليومَ تُجْزَون.

قلتُ: أصله: نظُن ظنًّا، ومعناه: إثباتُ الظَّنِ فحسبُ، فأُدخِل حَرفا النَّفي والاستثناءِ ليُفادَ إثباتُ الظَّنِ مع نَفيِ ما سِواه، وزِيدَ نفيُ ما سوى الظَّنِ توكيدًا بقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾؛ أي: قبائحُ أعمَالهم، أو: عُقُوباتُ أعمالِهم السَّيئاتِ؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى ٤٢/٤٠].

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿نَنسَىٰكُمْ﴾: نَترُكُكم في العذابِ كما تَركتُم عُدَّةَ لقاءِ ﴿يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ وهي الطَّاعةُ.

قوله: (**ليُفاد[١] إثبات الظنِّ مع نفي ما سواه**) هذا المعنى الذي ذكره المصنّف إنّما يستقيم لو كان اللفظ هكذا مثلًا: إنْ حصل لنا إلّا الظنُّ، أو ما لنا إلّا الظنّ؛ ليُفيد نفيَ غير الظنِّ وإثباتَ[٢] الظنِّ، وأمّا إذا قيل: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ فالوجه أن يكون المعنى: ليس لنا شيء مِن الظنّ إلّا الظنُّ[٣] الضعيف، بناء على أنّه يُطلق الظنُّ على ما هو في مقابلة اليقين مِن الوَهْم والشكّ، ولذلك قيل بعده: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾، فنفى الاستيقان[٤] نَفْيًا مؤكّدًا بإتيان الجملة اسميّة ومع الباء، فكأنّه قيل: ليس لنا يقين البتّةَ بهذا الأمر، وأمّا الظنّ فإنْ حصل فإنّما هو ظنٌّ ضعيف يقال له: الشكّ أو الوَهم، فكأنّه قيل: إنْ نظنُّ ظنًّا ما إلّا ظنًّا ضعيفًا.

قوله: (﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ **نترُكُكم**)... إلخ فسّر **أوّلًا** النسيان بالترك، وذلك لأنّ النسيان مستلزِم للترك، فيكون مجازًا. وفسّره **ثانيًا** بأن جعلوه كالشيء الحقير[٥]

---

١ ن: وليفاد.
٢ ن: وإثبات.
٣ ن - إلّا الظنّ.
٤ ف: الاستيعان.
٥ ن: الحقيرا.

أو: نجعَلُكُم بمنزلة الشيء المَنسيّ غيرِ المُبالَى به كما لم تُبالُوا أنتُم بلقاء يَومكم ولم تُخطِروهُ ببَالٍ كالشَّيء الذي يُطْرحُ نَسْيًا مَنْسِيًّا.

فإن قلتَ: فما معنى إضافةِ اللِّقاء إلى اليَومِ.

قلتُ: كمعنى إضافةِ المَكر في قولِه: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ ٣٣/٣٤]؛ أي: نَسِيتُم لِقاءَ الله في يَومكم هذا ولِقاءَ جَزائه.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وقرئ: ﴿لا يَخرجون﴾ بفتح الياء.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: ولا يُطْلَبُ منهم أن يُعتِبُوا رَبَّهُم؛ أي: يُرضُوه.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾: فاحمدُوا اللهَ الذي هو رَبُّكم وربُّ كلِّ شيءٍ من السَّماواتِ والأرض والعَالَمِين، فإنَّ مثلَ هذه الرُّبوبيَّةِ العَامَّةِ تُوجِبُ الحمدَ والثَّناءَ على كلِّ مَرْبُوبٍ، وكَبِّروُه فقَد ظَهَرت آثارُ كبريائهِ وعظمتهِ في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وحَقُّ مثلهِ أن يُكبَّر ويُعظَّمُ.

عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ "حم الجَاثية" سَتر اللهُ عَوْرَته وسَكَّنَ رَوْعَته يومَ الحسَابِ».

الذي مِن شأنه أن يُنسى، فإنّ كَون الشيء حقيرًا[١] سببٌ لنسيانه ومستلزمٌ له، فيكون كناية. والنِّسْي:[٢] ما مِن شأنه أن يُنسى. أو نقول: شُبّه الاستحقار وعدمُ المبالاة وعدمُ الإخطار بالنسيان، ثمّ ذُكر النسيان وأُريد ذلك، فيكون استعارة تبعيّة، كما شبّه في الوجه الأوّل تركُ الشيء بالنسيان، فذُكِر النسيان وأُريد التَّرك.

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنِّهِ.[٣]

---

١ ن – الذي مِن شأنه أن يُنسى، فإنّ كَون الشيء حقيرًا.
٢ ن: والسي.
٣ ف – السورة بحمد الله تعالى ومنّه؛ ن – ومنّه.

سورة الأحقاف

مكيّةٌ، وهي أربعٌ وثلاثون آيةً، وقيل: خمسٌ وثلاثون.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلا خلقًا مُلتبِسًا بالحِكمةِ والغَرضِ الصَّحيحِ، ﴿و﴾بتقديرِ ﴿أجل مُسَمًّى﴾ تَنْتَهِي إليه وهو يَومُ القيامةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ من هَوْلِ ذلِك اليَومِ الذي لا بُدَّ لكلِّ خَلقٍ من انتهائهِ إليه ﴿مُعْرِضُونَ﴾: لا يُؤمِنُونَ به ولا يَهتَمُّونَ بالاستعداد له.

ويجوز أن تكُون "ما" مصْدريَّةً؛ أي: عن إنذارهم ذلك اليوم.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾

/ سورة الأحقاف [٣٥٣و]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: **(ينتهي إليه)** أي: ينتهي[٢] خلْقُ السماواتِ والأرض إليه.

قوله: **(ويجوز أن يكون "ما" مصدريّة)** يعني: كان "ما" على الوجه الأوّل موصولًا، والعائدُ محذوف، ولذلك قال: **(عمّا[٣] أُنذِروه)**.[٤]

---

١ ف ن – وبه نستعين.

٢ ن: ينهي.

٣ ن: ممّا.

٤ في مطبوع الكشّاف: "عمّا أنذروا"، كلفظ القرآن.

﴿بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ﴾؛ أي: من قبلِ هذا الكِتاب وهو القرآن، يعني: إنَّ هذا الكتابَ ناطقٌ بالتَّوحِيدِ وإبطالِ الشِّرك، وما من كتابٍ أُنزِل من قبله من كتُبِ الله إلَّا وهو ناطِقٌ بمثلِ ذلك، فأْتوا بكتابٍ واحدٍ مُنزَّلٍ من قَبْلهِ شاهِدٍ بصحَّةِ ما أنتُم عليهِ من عبادةِ غيرِ الله ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾: أو بقيَّةٍ من علمٍ بقيَت عليكُم من علُوم الأوَّلِيْن، من قولهم: سَمِنَت النَّاقةُ على أثارةٍ من شحْمٍ؛ أي: على بقيَّةِ شَحْمٍ كانَت بها مِن شَحْمٍ ذاهبٍ.

وقرِئ: "أَثَرةٍ"؛ أي: من شيءٍ أُوثِرْتُم بهِ وخُصِصْتُم من علمٍ لا إحَاطةَ به لغَيركُم.

وقرِئ: "أَثْرةٍ" بالحركاتِ الثَّلاث في الهَمزة مع سُكونِ الثَّاء، فـ"الإِثْرةُ" بالكسْرِ بمَعنى: الأَثَرة، وأمَّا "الأَثْرَة" فالمرَّة من مَصْدر "أَثَرَ الحديثَ": إذا رَواهُ، وأمَّا "الأُثْرةُ" بالضم فاسمُ ما يُؤثَرُ؛ كالخُطبَة: اسمُ ما يُخطَب بهِ.

قوله: (وقُرئ[1] على: "أَثَرةٍ")...[2] إلخ الأَثَرَة[3] -بفتح الهمزة والثاء- اسمٌ مِن الاسْتيثار،[4] يقال: استأثر بالشيء، أي: استبَدّ به.[5] ومنه قوله صلّى الله عليه وسلّم:[6] «ستَرَونَ بعدي أَثَرةً».[7] وقوله: "وقُرئَ على: 'أَثَرةٍ'" -أي: مِن شيء أُوثِرْتم به- محلُّ نظر وتأمّل؛ إذ لا يلائِم[8] القراءة بزيادة "على" لهذا[9] الموضع، وأيضًا فتفسيره لا يلائم لفظ المنقول،[10] وأظنُّ أنّ ما ذُكر في الكواشي أولى قراءةً وتفسيرًا، فإنّ[11] الشيخ قال فيه: «وقُرئَ: 'أَثَرةٍ' بفتح الهمزة والثاء،[12] أي: بشيء أُوثِرتم وخُصِّصتم[13] به مِن العلم».[14] والظاهر أنّ لفظة "على" سَهوٌ مِن المصنّف أو الناسخ.

---

[1] ن: وقوى.

[2] في مطبوع الكشّاف: وقُرئ: "أَثَرةٍ". | وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة وعمرو بن ميمون والحسن. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٥.

[3] ن: الأثر.

[4] ن: الاتيثار.

[5] الصحاح للجوهري، «أثر».

[6] د: عليه السلام.

[7] صحيح البخاري، ١١٤/٣ (٢٣٧٦)؛ صحيح مسلم، ٧٣٨/٢ (١٠٦١).

[8] ن: يلام.

[9] ن: بهذا.

[10] ن: المفعول.

[11] ن: بأن.

[12] ن: والتاء.

[13] ن: وخصصهم.

[14] تفسير الكواشي، ٤٩٥و.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ معنى الاستفهامِ فيه إنكارُ أن يكُون في الضُّلَّال كلِّهم أبلَغُ ضَلَالًا من عبَدةِ الأصْنام حَيْثُ يتركون دُعاءَ السَّميع المُجيب القادِرِ على تحصيلِ كُلِّ بُغيةٍ ومَرامٍ، ويَدْعُون مِن دُونه جَمادًا لا يستجيبُ لهم ولا قُدرةَ به على استجابةِ أحدٍ مِنْهم ما دَامَت الدُّنيا، وإلى أن تقُوم القيامة.

﴿وَإِذَا﴾ قامَت القِيامةُ و﴿حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ وكانوا علَيْهم ضِدًّا، فلَيْسُوا في الدَّارَيْن إلَّا على نَكَدٍ ومَضرَّةٍ، لا تتوَلَّاهُم في الدُّنيا بالاستجابَةِ، وفي الآخرة تُعادِيهْم وتجحَدُ عبادَتهم.

وإنَّما قيل: ﴿مَن﴾ ﴿وَهُمْ﴾ لأنه أُسنِد إليهم ما يُسنَدُ إلى أُولي العِلمِ من الاستجابةِ والغَفلةِ، ولأنَّهم كانوا يصِفُونَهُم بالتَّمييزِ جَهْلًا وغَباوةً.

ويجوز أن يُريد كُلَّ معبُودٍ من دون الله من الجنِّ والإِنْس والأَوثَانِ، فغُلِّبَ غيرُ الأَوْثانِ عليها.

وقرئ: "ما لا يستجيبُ" وقرئ: "يَدعُو غيرَ الله مَن لا يستجيبُ".

ووَصْفُهُم بترك الاستِجابة والغَفلةِ طريقةُ طريقُ التهكُّم بها وبعبَدتِها، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر ٣٥/١٤].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: جمعُ بيِّنةٍ، وهي الحجَّةُ والشاهِدُ، أو: واضِحاتٍ مُبيِّنَاتٍ.

قوله: (فلَيسوا) أي: عَبَدةُ الأصنام.

قوله: (ولأنَّهم كانوا) أي: لأنَّ المشركين.

واللام في ﴿لِلْحَقِّ﴾ مثلُها في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ [الأحقاف ١١/٤٦]؛ أي: لأجْلِ الحقِّ، ولأجْلِ الذين آمَنوا، والمرادُ بالحقِّ: الآياتُ وبـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ المَتْلُوُّ عَلَيْهم، فوُضِع الظاهِرَانِ مَوضعَ الضميرين للتَّسْجيلِ عَلَيْهم بالكُفْر، وللمَتلوِّ بالحقِّ.

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾؛ أي: بادَهُوه بالجُحودِ ساعةَ أتَاهُم وأوَّلَ ما سمِعُوه، من غيرِ إجَالةِ فكرٍ ولا إعادةِ نَظرٍ، ومِن عِنادِهم وظُلمِهم: أنَّهم سَمَّوهُ سِحرًا مُبينًا ظاهرًا أمرُه في البُطلانِ لا شُبْهةَ فيه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ إضرابٌ عن ذكر تَسْمِيَتِهم الآياتِ سحرًا إلى ذِكر قَولهم: إنَّ مُحمَّدًا افتراهُ، ومعنَى الهَمزة في ﴿أَمْ﴾ الإنكارُ والتَّعجيبُ؛ كأنَّهُ قيل: دعْ هذا واسمَعْ قولَهُم المُستَنكَرَ ....

قوله: (في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأحقاف ١١/٤٦]) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف ١١/٤٦].

قوله: (أي: لأجل الحقّ)... إلخ فيه لفّ ونشر.

قوله: (للتسجيل) يقال: سجَّل عليه وله، أي: سجّل على ذلك بالباطل، ولهذا بالحقيقيّة.[١]

قوله: (ومِن[٢] عِنادهم) جملة معطوفة على قوله: (بادَهُوه)،[٣] يعني: فيه إشارة إلى أنّهم بادَهُوه، وإلى أنّهم سمَّوه سِحْرًا مبينًا. فقوله: (أنّهم) مبتدأ خبرُه "مِن عِنادهم".

---

١ ف ن: بالحقيّة.

٢ ن: من.

٣ في بعض مطبوعات الكشّاف: "بادوه". | بَدَهَهُ بالأمر يَبْدَهُهُ بَدْهًا، وبادَهَهُ مُبادَهةً وبِداهًا؛ فاجَأه، وتقول: بادَهَني مُبادَهةً، أي: باغَتَني مُباغَتة. لسان العرب لابن منظور، «بده».

المَقضيَّ منه العجبُ، وذلك أنَّ محمَّدًا كان لا يقدِر عليه حتى يَقولَهُ ويَفْتَرِيَهُ على الله، ولو قدرَ عليه دون أُمَّةِ العربِ لكانَتْ قدْرَتُه عليه مُعجزةً لخَرْقِهَا العادةَ، وإذا كانت مُعجزةً كانت تصديقًا من الله له، والحكِيمُ لا يُصدِّقُ الكاذبَ فلا يكونُ مفترِيًا.

والضَّميرُ للحقِّ، والمرادُ به الآياتُ.

﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ﴾ -على سبيلِ الفَرْضِ- عَاجَلَنِي اللهُ لا محالةَ بعقُوبةِ الافتراءِ عليه فلا تَقدِرُون على كفِّه عن مُعَاجَلتي، ولا تُطِيقُون دفعَ شيء من عقابه عنِّي، فكيف أفتريه وأتَعرَّضُ لعقابه؟ يقال: "فلانٌ لا يُملَك إذا غضِبَ، ولا يُملَكُ عِنانُه إذا صَمَّم"، ....

قوله: (المَقْضِيَّ منه العجَب) يقال: يُقضى منه العجَبُ، أي: يُنهى، بمعنى: يُبلغ[١] النهاية، مِن "قضَى حاجتَه"، أو يُفعل، مِن "قضيتُ" إذا فعلتَه، أو يُحكَم منه بالعجَب، مِن "قضيتُ كذا"، أي: حكمتُ به، والعجَب يكون للتعجّب، ولِما يكون منه التعجّب.

قوله: (وذلك أنّ محمّدًا) "ذلك" إشارة إلى أنّ هذا قول مُستنكَر مقضيٌّ منه العجَبُ.

قوله: (والحكيمُ لا يُصدِّق الكاذبَ، فلا يكون مفتريًا) هذا الكلام إشارة إلى أنّ الافتراءَ -أي: افتراءَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٢] ذلك- أمرٌ باطل؛ لأنّه لو فرضْنا الافتراء[٣] لزِم منه عدم الافتراء؛ لأنّه لو كان افتراءً منه لكان قادرًا عليه، وإذا كان قادرًا عليه دون غيره كان ذلك معجزةً، وإذا ظهرت المعجزة على يده كان نبيًّا، فلا يكون مفتريًا، فظهَر أنّه لو كان افتراء لَما كان افتراء، وكلّ[٤] شيء يلزم مِن وجوده عدمُه كان باطلًا، فيكون كونه افتراءً أمرًا[٥] باطلًا، فيكون حقًّا.

قوله: (إذا صمّمَ) التصميم في الأمر: المضيُّ فيه.

---

١ ن: تبليغ.
٢ د: عليه السلام.
٣ ن: للافتراء.
٤ ن: كلّ.
٥ ن: أمر.

ومِثلُه: ﴿فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة ١٧/٥] ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ [المائدة ٤١/٥] ومِنه قولُه عَلَيْهِ السَّلام: «لا أَملِكُ لكم مِن اللهِ شيئًا».

ثُمَّ قال: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾؛ أي: تندفِعُون فيهِ من القَدْح في وحي اللهِ، والطَّعنِ في آياته، وتسمِيتِهِ سحرًا تَارةً وفِريةً أُخرى.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ يشهَدُ لي بالصِّدقِ والبَلاغ، ويشهَدُ عليكم بالكذِب والجُحود، ومَعنى ذكرِ العِلم والشهَادَةِ: وعيدٌ بجزاءِ إفاضَتِهم.

﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ مَوْعِدةٌ بالغفران والرَّحمة إن رجعُوا عن الكُفر وتَابُوا وآمَنُوا، أو إِشعارٌ بحِلم الله عنهُم مع عِظَم ما ارتكبُوا.

فإن قلتَ: فما مَعنى إسنادِ الفعلِ إليهم في قولِهِ: ﴿فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي﴾؟

قلتُ: كان فيما أتاهُم به: النَّصيحةُ لهُم، والإشفاقُ عَليْهم من سُوءِ العَاقبة، وإرَادَةُ الخَيْر بِهم؛ فكأنه قال لهُم: إن افتَريتُه وأنا أُريدُ بذلك التَّنصُّحَ لكُم وصدَّكُم عن عبادةِ الآلهة إلى عبادةِ الله فما تُغنُونَ عَنِّي أيُّها المَنصُوحُونَ إن أخَذنِي اللهُ بعقُوبةِ الافتراءِ عليه.

﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٩﴾

"البِدْعُ" بمَعنى: البَديعِ، كالخِفِّ بمعنَى: الخفِيف، وقرئَ: "بِدَعًا" بفتح الدَّالِ؛ أي: ذا بِدَعٍ، ويجوز أن يكون صِفةً على فِعَلٍ كقولهم: دينٌ قِيَمٌ ولَحْمٌ زِيَمٌ.

كانُوا يَقترِحُون عليه الآياتِ ويسأَلُونه عمَّا لم يُوحَ بهِ إليه من الغُيوب، فقيل له: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فآتِيَكُم بكُلِّ ما تَقْترحُونَهُ وأُخبرَكُم بكلِّ ما تَسألُونَ عنهُ من المُغيَّباتِ، فإنَّ الرُّسل لم يكُونُوا يأتُون إلَّا بما آتاهُم اللهُ من آياتِهِ

قوله: (ولَحْمٌ زِيَمٌ) اللحم الزِّيَم: المتفرّق ليس بمجتمِع.[١]

---

١ ن: يجتمع.

ولا يُخبِرُون إلَّا بما أُوحِيَ إليهم، ولقَد أجاب مُوسَى صلوات الله عليه عن قولِ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه ٥١/٢٠] بقوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعراف ١٨٧/٧].

﴿وَمَآ أَدْرِى﴾ لأنه لا عِلمَ لي بالغَيْب ﴿ما﴾ يَفعَلُ الله بِي وبكُم فيما يُستقبَلُ من الزَّمانِ من أَفْعَالِهِ، ويُقَدِّرُ لِي ولكُم من قضَاياه ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾.

وعن الحسن: وما أَدْرِي ما يَصِيرُ إلَيْه أَمْرِي وأَمرُكم في الدُّنيا ومَن الغالبُ مِنَّا والمَغلوبُ.

وعن الكلبي: قال له أصحَابهُ وقَد ضَجِرُوا من أذى المُشرِكِينَ: حتَّى مَتى نكونُ على هذا؟ فقال: ما أَدْرِي ما يُفعَلُ بِي ولا بكُم، أَأُترَكُ بمكَّةَ أم أُومَرُ بالخُروجِ إلى أَرضٍ قد رُفِعَتْ لي ورَأيتُها -يَعْني: في مَنامهِ- ذاتِ نَخيلٍ وشجَرٍ؟

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ في الآخرة، وقال: هي مَنسوخةٌ بقَولِهِ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح ٢/٤٨].

ويجوز أن يكون نفيًا للدِّرَاية المُفصَّلةِ.

وقرئ: "ما يَفْعَلُ" بفتح الياء؛ أي: يفعَلُ اللهُ عزَّ وجلَّ.

قوله: (قد رُفعَتْ) يقال: رُفِعَ لي شخصٌ أو نار، أي: لاحَ لي ورأيتُه.

قوله: (ذاتِ نخيل) صفة (أرض). تخلَّل قول المصنِّف: (يعني: في منامها)[١] لتفسير الرفع والرؤية بين الصفتَين، فإنَّ قوله: (قد) إلى (رأيتُها) صفةُ "أرض".

قوله: (ويجوز أن يكون نَفْيًا) هذا ينصرف إلى تفسير / ابن عبَّاس رضي الله عنهما،[٢] وعلى هذا لا يكون الآية منسوخة.[٣] ومثله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ [السجدة ١٧/٣٢]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار ١٧/٨٢-١٨]، فإنَّ جميع ذلك إشارة إلى أنَّ العلم التفصيلي[٤] مُنتفٍ[٥] عنه. [٣٥٣ظ]

---

١ في مطبوع الكشّاف: منامه.
٢ د - رضي الله عنهما.
٣ ن: منسوبة.
٤ ف: التفضيلي؛ ن: المنفصلي.
٥ ن: منيف.

فإن قلتَ: إنَّ ﴿يُفْعَلُ﴾ مُثبَتٌ غيرُ منفيّ، فكان وجهُ الكلامِ: ما يُفعَلُ بي وبِكُم؟

قلتُ: أَجَلْ، ولكنَّ النَّفي في ﴿ماأدرى﴾ لمَّا كان مُشتَمِلًا عليه لتَناوُلِهِ ﴿مَا﴾ ومَا في حيّزِه صحَّ ذلك وحسُنَ، ألا ترى إلى قَولِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ﴾ [الأحقاف ٣٣/٤٦] كيفَ دخلت الباء في حيّز ﴿أَنَّ﴾، وذلك لتَناوُل النَّفي إيَّاهَا مع ما في حَيّزها.

و﴿مَا﴾ في ﴿مَايُفْعَلُ﴾ يجوز أن تكون موصولةً مَنصُوبةً، وأن تكون استفهاميَّة مَرفُوعةً.

وقرئ: "يُوحي"؛ أي: الله عزَّ وجل.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

جوابُ الشَّرطِ محذوفٌ تَقديرُهُ: ﴿إِن كَانَ﴾ القرآنُ ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ أَلسْتُم ظالمين؟ ويَدلُّ على هذا المحْذوفِ قولهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

والشَّاهدُ من بني إسرائيل: عبدُ الله بن سلام رضي الله عنه، لمَّا قَدِم رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ نظَر إلى وَجْهِهِ فعَلم أنه لَيْس بوجْهِ كَذَّابٍ، وتَأمَّلهُ فتَحَقَّقَ أنَّه هو النبيُّ المُنتظَرُ، وقال له: إنّي سَائلُكَ عن ثلاثٍ لا يعلَمُهنَّ إلَّا نبيٌّ:

قوله: (**يجوز[١] أن يكون موصولة**)... إلخ إنْ كانت موصولةً فتقديره: الذي يُفعل. وإن كانت استفهاميّة فتقديره: أيُّ شيء يُفعل؟

قوله: (**أَلسْتُم ظالمين؟**) واعلم أنّ حقّ قوله: "أَلَسْتم؟": أفلَسْتم؛ ليكون الجزاء بالفاء لوجهين: **الأوّل**: الاستفهام، **والثاني**: أنّ "ليس" إذا كان جزاء للشرط لا يكون فيه[٢] بُدٌّ مِن الفاء.[٣]

---

[١] ن: ويجوز.

[٢] ن: فبه.

[٣] وفي هامش د ف: قوله: (وما بال الولد يَنزع إلى أبيه) نزَع إلى أبيه في الشَّبه، أي: ذهَبَ. **صحاح**. | **الصحاح** للجوهري، «نزع».

ما أوَّلُ أَشْراطِ السَّاعة؟ وما أوَّلُ طعَامٍ يأكلُه أهلُ الجنَّةِ؟ وما بالُ الوَلدِ يَنْزِعُ إلى أبيهِ أو إلى أُمِّه؟ فقال عليه السلام: «أمَّا أوَّلُ أشراطِ الساعةِ فنَارٌ تحشُرهُم من المَشرق إلى المَغرب، وأما أوَّلُ طعامٍ يأكُله أهلُ الجنَّة فزيادةُ كَبِد حُوتٍ، وأما الوَلَدُ فإذا سَبقَ ماءُ الرَّجُلِ نزعَهُ وإن سبَق ماءُ المَرأةِ نَزعَتْهُ».

فقال: أشهَد أنَّك رسُولُ الله حَقًّا، ثمَّ قال: يا رسُولَ الله، إنَّ اليَهود قومٌ بُهْتٌ، وإن عَلمُوا بإسلامي قبلَ أن تَسألَهم عَنِّي بهَتُونِي عندك، فجاءت اليهُود فقال لهُم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّ رجُلٍ عَبْدُ الله فيكُم؟» قالُوا: خَيرُنا وابنُ خيرِنا، وسَيِّدُنا وابنُ سَيِّدنا، وأعلمُنا وابنُ أعْلَمِنَا، قال: «أرأيتُم إن أسْلَم عَبْدُ الله» قالوا: أعَاذهُ الله من ذلك، فخرجَ إليهم عَبدُ الله فقال: أَشْهَد أَنْ لَا إله إلَّا اللهُ، وأشْهَدُ أنَّ محمَّدًا رَسُولُ الله، فقالُوا: شَرُّنا وابنُ شرِّنا، وانتقصُوه، قال: هذا ما كنتُ أخاف يا رسُول الله وأَحْذرُ.

قال سعدُ بن أبي وقَّاصٍ: ما سمِعتُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم يقُول لأحدٍ يَمْشِي على الأرض: «إنَّه من أَهْل الجنَّة» إلَّا لعبد الله بن سَلَامٍ، وفيه نَزلَ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾.

الضَّميرُ للقرآن؛ أي: على مِثله في المَعنى، ....

قوله: (فزيادة كَبِدٍ)[1] هو شيء ناتٍ على جانب الكَبد، وهو أَلذُّ مِن الكَبد.[2]

قوله: (بُهتٌ)[3] جمع بَهوت؛[4] وهو كثير البهتان.[5]

قوله: (أي: على مِثله في المعنى) أي: شهد على نزول مِثله، أي: على أنَّ[6] مِثلَه قد نزل، فلا تُنكروا[7] نزول هذا ولا تستَبعدوه،[8] فإنّه يُماثله[9] في كونه مِن جِنس الوَحي.

---

١ ن: لبد.

٢ وفي هامش د ف: وقوله: (نزعَهُ) أي: إلى جانبه ونفسه في الشَّبَه.

٣ ن: بهب.

٤ ن: بهون.

٥ انظر: المُغرب للمطرّزي، «بهت».

٦ ن - أنّ.

٧ ن: ينكروا.

٨ ن: تستعبدوه.

٩ ن: يمايله.

وهو ما في التَّوراة من المعَانِي المُطابِقةِ لمعَاني القرآن من التَّوحيد والوعد والوعيد وغيرِ ذلك، ويَدُلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء ١٩٦/٢٦] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى ١٨/٨٧] ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الشورى ٣/٤٢].

ويجوز أن يكون المَعنى: ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ على نحوِ ذلك، يَعني: كونَه من عند الله.

فإن قلتَ: أخْبِرني عن نَظْمِ هذا الكلامِ لأقِفَ على مَعناه من جهَة النَّظم؟

قلتُ: الواو الأولى عَاطِفةٌ لـ"كَفرتُم" على فِعل الشَّرط كما عَطفَتْه ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [فصلت ٥٢/٤١]، وكذلك الواوُ الآخرة عاطفةٌ لـ"استكبَرتُم" على "شَهِد شاهِدٌ"، وأما الواوُ في ﴿وَشَهِدَ﴾ فقدَ عَطَفتْ جُملَة قَولِهِ: ﴿شَهِدَ شاهِدٌ من بنى إسرائيلَ على مِثْلِه فآمَنَ واستَكْبَرْتُم﴾ على جُملةِ قَولِهِ: ﴿كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ ونظيرُه قولُكَ: "إنْ أحسَنْتُ إليْكَ وأسأتَ وأقبَلْتُ عليك وأعرَضْتَ لم نتَّفِق" في أنَّك أخذتَ ضَميمَينِ فعَطَفْتَهما على مِثلَيْهِما، والمَعنى: قل أَخبِرُوني إن اجْتمعَ كونُ القرآن من عِندِ اللهِ مع كُفركُم بهِ، واجتمعَ شهَادةُ أعْلَمِ بني إسرائيل على نزُول مثلهِ فإيمانُه بهِ مع استكبارِكُم عنه وعن الإيمانِ به، أَلسْتُم أضَلَّ النَّاسِ وأَظلمَهُم؟

قوله: (**لأقِفَ**) مِن الوقوف بمعنى الاطّلاع.

قوله: (ضَميمَين)[١] أي: أقبلتُ وأعرضتَ. وقوله: (**مِثلَيْهما**) أي: أحسنتُ وأسأتَ.

قوله: (**ألسْتُم أضلَّ الناسِ؟**) كان الحقّ دخول الفاء في "ألسْتُم"، لِما مرّ، ويُمكن أن يقال: إنّه في محلّ المفعول الثاني والثالث لـ(**أخْبِروني**)، فكأنّه[٢] قيل: أخبِروني أأَنتم[٣] أضلّ الناسِ وأظلمهم أم لا؟ على هذا التقدير.

---

[١] في بعض مطبوعات **الكشّاف**: ضَميمتين.
[٢] ن: مكانه.
[٣] ن: أنتم.

وقد جُعِل الإيمانُ في قولِهِ: ﴿فَـَٔامَنَ﴾ مُسبَّبًا عن الشَّهادة على مِثله؛ لأنّه لمَّا عَلِمَ أنَّ مِثله أُنزِل على مُوسى صلواتُ الله عليه، وأنّه من جِنس الوَحي وليس من كلام البَشرِ، وأنصَف مِن نَفْسِه فشَهِد عليه واعترف، كان الإيمانُ نتيجةَ ذلك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١﴾

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: لأَجْلِهم، وهو كلامُ كُفَّار مكَّة قالوا: عَامَّةُ مَن يتَّبع محمدًا السُّقَّاطُ -يعنُون: الفُقراءَ مِثلَ عمارٍ وصُهَيْبٍ وابنِ مسْعُود- فلو كان ما جاءَ به خيرًا ما سَبقَنَا إليه هَؤلاءِ.

وقيل: لمَّا أَسْلَمتْ جُهَينةُ ومُزَينةُ وأَسلَمُ وغِفَارٌ قالَت بنوُ عامرٍ وغَطَفَانُ وأَسَدٌ وأشجَعُ: لو كانَ خيرًا ما سَبقنَا إليه رِعاءُ البَهْم.

وقيل: إنَّ أمَةً لعُمر أسلمَت، فكان عُمر يَضرِبها حتَّى يَفْتُرَ، ثمَّ يقُولُ: لولا أنِّي فتَرتُ لَزِدْتُكِ ضَرْبًا، وكان كُفَّار قريشٍ يقُولُون: لو كان ما يدعُو إليه محمَّدٌ حقًّا ما سبقَتْنَا إليه فُلانةُ.

وقيل: كان اليهودُ يقولُونه عند إسلامِ عبدِ الله بن سَلَام وأصحابِهِ.

فإن قلتَ: لا بُدَّ من عاملٍ في الظَّرف في قوله: ﴿إِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ ....

قوله: (**رِعاءُ البَهْمِ**) "البَهْم":[1] صِغارُ الغَنَم، وهو -بفتح الباء- جمع بَهْمة بالفتح أيضًا، وأمّا البُهْمة -بضمّ الباء- فهو الفارس الذي لا[2] يُدرَى مِن أين يُؤتَى مِن شِدَّة بأسه.[3]

قوله: (**فإن قلتَ: لا بدّ مِن عامل في الظرف في قوله**)[4] "في قوله" بدل مِن قوله: "في[5] الظرف"، أو هو حال مِن قوله: "الظرف"،[6] أي: واقعًا في قوله:

[1] ن - البَهْم.
[2] ن - لا.
[3] انظر: **الصحاح** للجوهري، «بهم».
[4] ن - في الظرف في قوله.
[5] ن: من.
[6] ف: الطرف.

ومِن متعلَّقٍ لقَوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾، وغيرُ مستقيم أن يكونَ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو العامِلَ في الظَّرف؛ لتَدافُع دلالتي المُضيّ والاستقبال، فما وَجهُ هذا الكلام؟

قلتُ: العاملُ في "إذ" محذوفٌ لدَلالة الكلام عليه؛ كما حُذف من قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف ١٢/١٥] وقولِهم: "حينئذٍ الآنَ"، وتقديرُه: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ﴾ ظهَر عِنادهُم ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾، فهذا المُضمَرُ صحَّ بهِ الكلامُ حيثُ انتصَب به الظَّرفُ، وكان قولُه: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ مُسبَّبًا عنه كما صحَّ بإضمارِ "أنْ" قولُه: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة ٢/٢١٤] لمُصادفةِ ﴿حَتَّىٰ﴾ مجرورَها والمُضارعِ ناصِبَه.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ﴾. وقوله: (و"مِن" متعلَّق) يريد: ما يكون ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ مُرَتَّبًا[١] عليه ومُسبَّبًا[٢] عنه. وقوله:[٣] (وغيرُ مستقيم)... إلخ جملة مركّبة مِن مبتدأ وخبر، معطوفة على قوله: "لا بدّ"... إلخ، فذكَر سؤالين، وقرَّرهما -أي: السؤالين- بقوله: "وغير"... إلخ. أمّا تقرير السؤال **الأوّل** به فظاهر، وأمّا تقرير السؤال **الثاني** به فأن نقول: ﴿وَإِذْ﴾ للماضي، فلا يجوز أن يكون ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ جوابًا له مرتَّبًا عليه؛ إذ الفعل المستقبل لا يكون ظرفه الزمان الماضي، بخلاف ما لو كان بدل[٤] "إذْ" "إذا"، فإنّه يكون الفعل المستقبَل عاملًا فيه مِن غير[٥] إشكالٍ ولا وُرودِ شُبهة. ثمّ قال: (فما وجه؟)، وهو جواب شرط محذوف، أي: إذا لم يكن بُدٌّ مِن العامل والمتعلَّق وهذا المذكور لا يصلُح لشيء منهما فما وجه هذا الكلام؟[٦]

قوله: (حينئذٍ الآنَ) أي: كان ذلك[٧] حينئذٍ، وأسمَعُ الآن.

قوله: (حتّى[٨] يقولَ الرسول) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة:

---

١ ن: مِن تبا.
٢ ن: مسببًا.
٣ ن: قوله.
٤ ن: بذل.
٥ ن – مِن غير.
٦ وفي هامش د ف: قوله: (مِن قوله فلمّا ذهبوا به) جوابُه محذوف، أي: فَعلوا به ما فعلوا.
٧ ن – ذلك.
٨ ن + يكون.

وقَولُهم: ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ كقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام ٢٥/٦].

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ⑫﴾

﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ مبتدأٌ، و﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ ظرفٌ واقعٌ خبرًا مُقدَّمًا عليه، وهو ناصبُ ﴿إِمَامًا﴾ على الحالِ؛ كقولك: في الدار زيدٌ قائمًا.

وقرئ: "ومَن قَبْلَه كتابَ موسى" على: وآتينا الذي قَبْلَه التوراةَ.

ومَعنى ﴿إِمَامًا﴾: قدوةً يُؤتَمُّ به في دِين الله وشرائعِهِ كما يؤتَمُّ بالإمامِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمَن آمن به وعمِل بما فيهِ ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لكتاب موسى، أو لِمَا بين يدَيْه وتَقدَّمه من جميع الكُتب.

وقرئ: "مصدِّقٌ لِمَا بين يديه".

و﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حالٌ من ضمير الكتاب في ﴿مُّصَدِّقٌ﴾، والعاملُ فيه ﴿مُّصَدِّقٌ﴾، ويجوز أن يَنتَصِبَ عن ﴿كِتَٰبٌ﴾ -لتخصُّصهِ بالصِّفة- ويَعملَ فيه معنى الإشارة، وجُوِّزَ أن يكون مفعولًا لـ﴿مُّصَدِّقٌ﴾؛ أي: يُصَدِّقُ ذا لسانٍ عَربيّ وهو الرسول.

وقرئ: ﴿لِّتُنذِرَ﴾ بالتاء والياء، و: "لِيَنْذَرَ" من نَذِرَ ينذَرُ: إذا حَذِرَ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ / ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ [٣٥٤و]
وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة ٢١٤/٢].

قوله: (**ويجوز أن ينتصب عن[1] كتاب**) أي: حالًا عن كتاب.

قوله: (**و"لِيَنْذَرَ"[2] مِن "نَذِرَ"**) إذا قُرئ بفتح الياء مِن "لِيَنْذَرَ" كان ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فاعلَه.

---

١ ن: من.

٢ ن: ولتنذر. | بفتح الياء والذال قراءة شاذّة، مرويّة عن خالد بن يزيد العبدي. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٣٥.

﴿وَبُشْرَىٰ﴾ في محلِّ النَّصب معطوفٌ على محلِّ ﴿لِيُنذِرَ﴾ لأنه مفعُولٌ له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٤ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا
حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ
وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ
أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾

قرئ: ﴿حُسْنًا﴾ بضم الحاء وسكونِ السِّين، وبضمِّهما، وبفتحهمَا، و: ﴿إِحْسَٰنًا﴾.

و﴿كُرْهًا﴾ بالفتح والضم، وهما لُغتانِ في مَعنى المشقَّة كالفَقْرِ والفُقْر، وانتصابُه على الحال؛ أي: ذاتَ كُرْهٍ، أو على أنَّه صفةٌ للمصْدر؛ أي: حمْلًا ذا كُرْهٍ.

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾: ومدَّةُ حَملهِ وفصَالهِ ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ وهذا دليلٌ على أنَّ أقَلَّ مُدَّة الحَمل ستَّةُ أَشْهُرٍ؛ لأنَّ مدة الرَّضاع إذا كانت حَولَين لقَوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة ٢/٢٣٣] بَقيت للحمل ستَّة أَشْهُر.

وقرئ: ﴿وفصْلُه﴾ والفصلُ والفِصال: كالفَطْم والفِطام، بِناءً ومعنًى.

فإن قلتَ: المراد بيانُ مدَّة الرَّضاع لا الفِطامِ، فكيف عُبِّر عنه بالفصال؟

قلتُ: لمَّا كان الرَّضاعُ يليهِ الفصالُ ويُلابِسُه -لأنه يَنْتهِي به ويَتمُّ- سُمِّي فِصالًا كما سَمَّى المدَّةَ بالأَمدِ مَن قال:

كـلُّ حـيٍّ مستكمِلٌ مـدَّةَ العُمْـ ... ـرِ ومُـودٍ إذا انتهـى أمـدُهْ

وفيه فائِدَةٌ: وهي الدلالةُ على الرَّضاع التَّامِّ المُنتهِي بالفِصَالِ ووقتهِ.

وقرئ: "حَتَّى إذا استَوى وبَلَغَ أَشُدَّهُ".

قوله: (ومُودٍ) أي: هالك.[1]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: لمّا كان الرَّضاع)... إلخ الحاصل أنّ ذكر الفِصال وإرادة الرَّضاع مِن قَبيل المَجاز المرسَل، والعلاقة أنّ أحدهما غاية للآخر.

و"بلوغُ الأَشُدِّ": أن يَكْتهِل ويَستوفيَ السِّنَّ التي تَستحكِمُ فيها قوّتُه وعَقْلُه وتمييزُه، وذلك إذا أنَافَ على الثّلاثين وناطَحَ الأربعينَ.

وعن قتادة: ثلاثٌ وثلاثون سنَةً، ووَجْهُه: أن يكون ذلك أوّلَ الأشُدِّ وغَايتُه الأربَعْينَ.

وقيل: لم يُبْعَثْ نَبيٌّ قطُّ إلّا بعْدَ أَرْبَعين سَنةً.

والمرادُ بالنِّعمة التي استَوزَع الشُّكرَ عليها: نِعمةُ التَّوحيد والإسْلام، وجَمعَ بين شكرَي النِّعمة عَليهِ وعلى وَالِدَيْهِ؛ لأن النِّعمة علَيهما نِعمةٌ عليه.

وقيل في العَمل المَرْضيّ: هو الصَّلوات الخمسُ.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿فِي﴾ في قوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾؟

قلتُ: معناه: أن يجعَلَ ذريّتَه مَوْقعًا للصَّلاح ومَظِنَّةً له؛ كأنه قال: هَبْ لي الصَّلاحَ في ذُرِّيّتِي وأَوقِعْه فيهم، ونحوُه:

يَجْرحْ في عَراقيبِها نَصْلِي

﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: من المخلِصين.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ "الأشُدُّ": لفظ جمع في معنى المفرد؛ لأنّ "أفعلَ" ليس إلّا زِنةُ[1] الجمع. وقوله:[2] (أناف)[3] أي: زاد.[4]

قوله تعالى: ﴿أَوْزِعْنِي﴾ أي: ألْهِمْني، واستوزَعْتُ الله شُكْرَه فأوزَعني، أي: استلهمتُه فألْهَمَني.[5]

قوله:

(يجرَحْ[6] في عَراقيبِها نَصْلي)[7]

---

[1] ن: رته.

[2] ف: وقو.

[3] ف: أثاف.

[4] وفي هامش د ف: قوله: (وناطَح الأربعين) المناطَحة: عبارة عن القرب، أي: قارب الأربعين.

[5] الصحاح للجوهري، «وزع».

[6] ن: يحرج.

[7] ن: فصلى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾

وقرئ: "يَتقبَّل" و"يَتجاوَزُ" بفتح الياء والضميرُ فيهما لله عزَّ وجلَّ، وقُرئَا بالنون.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾؟

قلتُ: هُو نحوُ قولك: "أكرَمنِي الأميرُ في ناسٍ من أَصْحابه"، تُريد: أكرَمني في جُملَةِ مَن أكرَم مِنهم ونَظَمني في عِدادِهم، ومحلُّه النَّصبُ على الحال على معنى: كائنين في أَصْحاب الجنَّة ومَعدُودين فيهم.

﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ مَصدَرٌ مُؤكِّدٌ؛ لأن قوله: ﴿يُتقَبلُ... ويُتَجاوَزُ﴾: وعْدٌ من الله لَهُم بالتَّقبلِ والتَّجاوزِ.

وقيل: نزلَتْ في أبي بكرٍ رضي الله عنه وفي أبيه أبي قُحَافةَ وأُمِّه أُمِّ الخَيْر وفي أولادِه واستجابةِ دعائهِ فيهم، وقيل: لم يكن أحدٌ من الصَّحابة من المهاجرين مِنهم والأنصار أَسلمَ هو ووالِداهُ وبَنُوه وبَناتُه غيرَ أبي بكرٍ رضي الله عنه.

أوّله:

وإنْ تَعتـذِرْ بالمَحْلِ مِـن ذي ضُروعها إلـى الضَّيـف...[١]

أي:[٢] يَجرحْ[٣] عراقيبَها، ومعناه: يُحدث الجَرح في عَراقيبها، والعَراقيب جمع العُرقوب؛ وهو العصَب الغليظ الموَتَّر فوق عَقِب الإنسان.[٤] والضمير مِن "تَعتذِر"[٥] للناقة. والمراد بـ"ذي ضُروعها": اللبَن. يعني: إن لم يكن لها لبنٌ أحلبُه للضيف أنحرْها[٦] وأُطعِمْها الضيفان.

قوله: (مِن المهاجرين) بدل مِن (الصحابة). وقوله: (أسلمَ) أي: في زمان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٧] حتّى يكون الجميع صحابيًّا.

---

١ لذي الرمّة في ديوانه، ١٥٦/١.
٢ ن: أن.
٣ ن: يحرج.
٤ **الصحاح** للجوهري، «عرقب».
٥ ف: تعتدر؛ ن: تعذر.
٦ ن: نحرها.
٧ د: عليه السلام.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى قَالَ﴾ مبتدأٌ خبَرُهُ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾، والمرادُ بـ"الذي قال" الجنسُ القائلُ ذلك القولَ ولذلك وقع الخَبرُ مجمُوعًا.

وعن الحسن: هو في الكافِرِ العَاقِّ لوالدَيْه المكذِّبِ بالبَعْثِ.

وعن قتادة: هو نَعتُ عبْدٍ سَوْءٍ عاقٍّ لوالدَيْه فاجِرٍ لربِّه.

وقيل: نزلَتْ في عبد الرَّحمن بن أبي بكرٍ قبلَ إسلامه، وقد دعَاه أبُوه أبُو بكرٍ وأمُّه أمُّ رُومَانَ إلى الإسلام فَأَفَّفَ بهما وقال: ابعثُوا لي جُدْعانَ بن عمرو وعُثمانَ بن عَمرٍو -وهُما من أجدَادِه- حتَّى أَسْأَلَهما عمَّا يقول محمَّدٌ.

ويَشْهَدُ لبُطلانهِ أن المرادَ بـ"الذي قال" جِنسُ القائِلين ذلك، وأن قولَه: ﴿ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ هُم أصحَابُ النار وعبْدُ الرَّحمن كان من أفاضِل المُسلمين وسَرَواتِهم.

وعن عائشة رضي الله عنها: إنكارُ نُزولِها فيه، وحينَ كتَب مُعَاوية إلى مَروان بأن يُبايع النَّاسَ ليَزيدَ قال عَبْد الرحمن: لقد جئتُم بها هِرَقْلِيَّةً أتُبايعُون لأبنَائكم؟ فقالَ مروانُ: يا أيُّها النَّاسُ، هو الذي قال اللهُ فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ فسَمِعت عائشةُ رضي الله عنها فغضبَت وقالت: واللهِ ما هُو به،

قوله: (لقد جئتم بها هِرَقْلِيَّةً)[١] أي: جئتم بالبيعة، وهي عادة ملوك الروم، وهم هَرَاقِلة.

قوله: (هو الذي) يعني: عبد[٢] الرحمن.

قوله: (ما هو به) أي: ليست الآية منزَّلة في عبد الرحمن بن[٣] أبي بكر، فعلى هذا يكون "هو" عائدًا[٤] إلى القول، و"الباء" بمعنى "في"، ويجوز أن يكون

---

١ ف: هِرَقْلِيَّةً.
٢ ن – عبد.
٣ ن: ابن.
٤ ن: عائد.

ولو شئتُ أن أُسَمِّيه لسَمَّيتُه، ولكنَّ الله لعَن أباكَ وأنت في صُلبه فأنت فَضَضٌ من لَعنةِ اللهِ.

وقرئ: ﴿أُفِّ﴾ بالكسر والفتح بغيرِ تنوينٍ، وبالحَركاتِ الثلاثِ مع التنوين، وهُو صَوتٌ إذا صَوَّت به الإنسانُ عُلم أنَّه مُتَضجِّرٌ كما إذا قال: "حَسِّ" عُلم أنه مُتوجِّعٌ.

واللام في ﴿لَّكُمَآ﴾ للبَيان، معناه: هذا التأفيفُ لكما خاصَّةً ولأجْلكُما دُون غيْرِكما.

وقرئ: ﴿أَتَعِدَانِنِي﴾ بنُونَين، و: "أتَعِداني" بإحداهما، و: ﴿أَتَعِدانِّي﴾ بالإدغام.

وقد قرأ بعضُهُم: "أتَعِدانَنِي" بفتح النون، كأنه استَثقَلَ اجتماعَ النُّونينِ والكَسْرتين والياءِ ففتَح الأولى تَحرِّيًا للتخفيف كما تَحرَّاهُ مَن أدغَم ومَن طرَح أحدَهما.

﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾: أن أُبعَثَ وأُخْرَجَ من الأرض، وقرئ: "أَخرُج".

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ يَعني: ولم يُبعَثْ منهم أحَدٌ.

﴿يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يقُولان: الغياثُ بالله مِنك ومِن قولك، وهو استِعظَامٌ لقَوله.

﴿وَيْلَكَ﴾ دُعاءٌ عليه بالثُّبورِ، والمراد به: الحثُّ والتَّحْريضُ على الإيمان لا حقيقةُ الهَلاكِ.

﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ نحوَ قَولهِ: ﴿فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف ٤٦/١٦].

وقرئ: "أنَّ" بالفتح على معنى: آمِنْ بأنَّ وعد الله حَقٌّ.

"هو" عائدًا[١] إلى "الذي"، و"الباء" زائدة في خبر "ما"، كأنّه قيل: ليس هو إيّاه، يعني: ليس المراد بـ"الذي" عبدَ الرحمن.

قوله: **(لعن أباك)** أبوه هو الحَكَم بن[٢] أبي العاص. وقوله: **(فَضَضٌ)** الفَضَضُ: ما انفضَّ مِن نطفة الرجل، وتردّد في صُلبه.[٣]

قوله: **(تَحرّيًا)**[٤] أي: طلَبًا.

---

١ ن: عائد.

٢ ن: ابن.

٣ الصحاح للجوهري، «فضض».

٤ ف: تجرّيًا.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الجنسَين المذكورَينِ ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾؛ أي: منازِلُ ومَراتِبُ من جزاءِ ما عمِلوا من الخَيرِ والشَّرِّ، أو من أَجْلِ ما عمِلُوا منهما.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ وقد جاء: الجنَّةُ درجاتٌ والنَّار درَكاتٌ؟

قلتُ: يجوز أن يُقال ذلك على وجه التَّغليبِ لاشتمال كلٍّ على الفريقين.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ﴾ -وقرئ بالنون- تعليلٌ مُعلَّله محذوفٌ لدلالة الكلام عليه؛ كأنه قيل: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ﴾ أعمالَهم ولا يَظلِمَهم حُقوقَهم قَدَّرَ جَزاءَهم على مقادير أعمالهم، فجَعَل الثوابَ درَجاتٍ والعقابَ دركَاتٍ.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾

ناصِبُ الظَّرْف هو القَوْلُ المضمَرُ قَبلَ ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾.

وعَرْضُهم على النَّارِ: تعذيبُهم بها، من قولهم: عُرِضَ بنو فلان على السَّيف: إذا قُتِلُوا به، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ [غافر ٤٠/٤٦].

ويجوز أن يُرادَ: عَرْضُ النَّار عليهم، من قولهم: عرضْتُ النَّاقة على الحَوْضِ، يُريدُون: عرْضَ الحَوْضِ عليْهَا، فقَلَبُوا، ويدلُّ عليه تفسيرُ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: يُجاءُ بهِم إِلَيها فيُكشَفُ لهُم عَنْها.

قوله تعالى: ﴿وَيۡلَكَ﴾ موضوعٌ موضع "أهلكك"، والوَيل: الهلاك.

قوله: (مِن جزاء) يريد أنّه يجوز أن يكون "مِن" للتبعيض؛ إذ جزاء أعمالهم أمور كثيرة، بعضُها تلك الدرجاتُ، وبعضها النعيم واللذّات مِن المَلْبَس[1] والمَنْكَح وغيرِ ذلك. ويجوز أن تكون "مِن" ابتدائيّة، وفيها معنى التعليل.

---

[1] ن: اللبس.

﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾؛ أي: ما كُتِب لكم حَظٌّ من الطَّيِّبات إلّا ما قَدْ أَصَبْتُمُوه في دُنياكم، وقد ذهَبْتُم بهِ وأخَذتمُوه فلم يَبق لكُم بَعد استيفاءِ حظِّكُم شيءٌ منها.

وعن عُمر رضي الله عنه: لو شئتُ لدَعَوْتُ بصَلائقَ وصِنابٍ وكَراكرَ وأَسنِمَةٍ، ولكنِّي رأيتُ الله تَعالى نعَى على قوْمٍ طَيِّباتِهم فقالَ: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾.

وعنه: لو شئتُ لكنتُ أطيبَكُم طعَامًا وأحسنَكُم لبَاسًا، ولكنِّي أَستَبقي طَيِّباتِي.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنَّه دخل على أَهْل الصُّفَّة وهُم يُرَقِّعُون ثيابَهم بالأَدَم ما يَجدُون لها رِقاعًا، فقال: «أَأَنتُم اليَوم خَيرٌ أم يومَ يَغْدُو أحدُكم في حُلَّةٍ ويَرُوحُ في أُخرَى، ويُغدَى عليه بجَفْنةٍ ويُراحُ عليه بأُخرى، ويُستَرُ بَيْتُه كما تُستَر الكعْبةُ» قالوا: نحنُ يَومئذٍ خَيْرٌ، قالَ: «بل أنتم اليوم خيرٌ».

قوله: (**بَصَلائق**)... إلخ الصلائق: الخُبزُ الرِّقاق.[١] والصِّناب:[٢] الصِّباغ يُتّخذ مِن الخَردل والزَّبيب. قال جرير:

تُكلِّفني معيشةَ آلِ[٣] زَيدٍ ومَن لي بالصَّلائقِ والصِّنابِ[٤]

و"الكِرْكِرةُ": رَحَى[٥] زَورِ البعير، وهي إحدى الثَّفِناتِ الخَمس.[٦] و"الثَّفِناتُ": جمع ثَفِنة البعير؛ وهو ما يقع على الأرض مِن أعضائه إذا استناخ وغَلُظَ كالركبتين وغيرهما.[٧] ويريد بـ"الكَراكِر" ذواتِ الكَراكِر. يعني: لو شئتُ لدعوتُ ليؤتى بالأطعمة الشهيّة والمراكب[٨] البهيّة ولكنّي...

[٣٥٤ظ] قوله: (**فقال: «أنتم اليوم خير»**)[٩] وفي الحديث / حذف، تقديره: أنتم اليوم

---

[١] ن + قوله. | **الصحاح** للجوهري، «صلق».

[٢] ف: والضِباب. | وفي هامش د: أي: إدام.

[٣] ن: إلى.

[٤] **الصحاح** للجوهري، «صنب». والبيت في **ديوان جرير**، ٨١٢/٢.

[٥] وفي هامش د: والرَّحَى: كِرْكِرةُ البعير. صحاح. | **الصحاح** للجوهريِ، «رحى».

[٦] **الصحاح** للجوهري، «كركر».

[٧] **الصحاح** للجوهري، «ثفن».

[٨] ف: والموالب؛ ن: والمواكب.

[٩] **جامع البيان** للطبري، ١٤٨/٢١ (الأحقاف، ٢٠/٤٦)؛ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٩٧/٢٤ (الأحقاف، ٢٠/٤٦). وفي **سنن الترمذي**، ٢٢٨/٤ (٢٤٧٦)، عن عليّ بن أبي طالب، ﵁

وقرئ: ﴿أأذهبتم﴾ بهَمزة الاستفهام، و﴿آأذهبتم﴾ بألِف بينَ همزَتين.

"الهُونُ": الهَوانُ، وقرئ: "عذابَ الهَوان".

وقرئ ﴿تَفسُقُونَ﴾ بضمِّ السين وكسرِها.

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

"الأَحْقافُ": جَمعُ حِقْفٍ، وهو رَمْلٌ مُستَطيلٌ مُرتفعٌ فيه انحِناءٌ، مِن احقَوْقَف الشَّيءُ: إذا اعوَجَّ، وكانت عادٌ أصحابَ عَمَدٍ يَسكنُونَ بينَ رِمالٍ مُشْرِفينَ على البَحر بأرْضٍ يُقال لهَا: الشِّحْرُ، من بلاد اليَمن، وقيل: بيْنَ عُمَانَ ومَهَرَةَ.

و﴿ٱلنُّذُرُ﴾: جمعُ نَذير بمَعْنَى المُنْذِر أو الإنذار.

﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: مِن قبلِهِ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾: ومن بَعدِه، وقرئ: "مِن بينِ يديهِ ومِن بعدِه".

خير منكم يومَ يغدو...[1] إلخ، أم أنتم يوم يَغدو خير منكم اليومَ، حُذف مِن[2] الأوّل لدلالة الآخِر عليه، ومِن الآخِرِ لدلالة الأوّل عليه. وكذا تقدير جوابهم، أي: نحن يومئذ خير منّا اليوم. وكذا تقدير جوابه عليه السلام: «أنتم اليوم خير[3] منكم يومئذ»، وحذف همزة الاستفهام مِن "أنتم"، أي: أأنتم[4] اليوم خير أم يوم يغدو؟

قوله: (عُمَان ومَهَرَة) بَلَدان بالشام.

= يقول: إنّا لَجلوس مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المسجد إذ طلع مصعب بن عُمير ما عليه إلّا بُردة له مَرقوعة بفَرْوٍ، فلمّا رآه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بكى للذي كان فيه مِن النعمة والذي هو اليوم فيه، ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «كيف بكم إذا غدا أحدكم في حُلّة، وراح في حُلّة، ووُضعت بين يديه صحفة، ورُفعت أخرى، وسَترتم بيوتكم كما تستر الكعبة؟»، قالوا: «يا رسول الله، نحن يومئذ خير منّا اليوم؛ نتفرّغ للعبادة ونكفى المؤنة»، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لأنتم اليوم خير منكم يومئذ».

[1] ن: بعدو.

[2] ن: حدوف.

[3] ن: حبر.

[4] ن: أنتم.

والمَعنى: أنَّ هُودًا عليه السلام قد أنذرَهُم وقال لهُم: لا تعبُدُوا إلا الله إني أَخافُ عليكمُ العذابَ، وأَعْلَمَهُم أنَّ الرُّسُلَ الذين بُعِثُوا قَبْلَه والذين سَيُبْعثُونَ بَعده كلُّهم مُنذِرونَ نحوَ إنذارِه.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: يَعني: الرُّسل الذين بُعِثُوا قَبلَه والَّذين بُعثوا في زَمانِه.

ومَعنى ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ على هذا التَّفسير: ومن بعد إنذارِه، هذا إذا عَلَّقْتَ ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ بقوله: ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُۥ﴾.

قوله: (والمعنى)... إلخ حاصل المعنى: أنّه أنذرهم فقال: لا تعبُدوا إلّا الله، إنّي أخاف عليكم العذاب، وإنّ الرسل الذين[1] تَقدَّموني وتأخّروا عنّي مُنذرون نحوَ إنذاري. ثمّ حُكي في القرآن معنى قوله، فلذلك ذُكر بلفظ الغَيبة في قوله: "مِن خلفه ومِن بعده"، ولم يقل: مِن خلفي ومِن بعدي، والتقدير: أنذرَ قومَه قائلًا: قد خلت النُّذُر مِن بين يَدَيّ، وسيُبعَثون[2] خَلفي منذرين[3] مثلَ إنذاري، وإنّما قدّم في القرآن قوله: "قائلًا"... إلخ -مع أنّ حقّه التأخير- لأنّه حالٌ إشارةً -والله أعلم- إلى أنّ هودًا عليه السلام إذا أراد الإنذار قدَّم على[4] إنذاره قوله: إنّ[5] الأنبياء قبلي وبعدي يُنذِرون قومَهم بما أُنذركم ويقولون مثلَ قولي، وإنّما فعَل كذلك[6] ليؤثّر قوله فيهم، ويكونوا إلى قبوله أقرب.

قوله: (على هذا التفسير: ومِن بعد إنذاره) لأنّه فسّر قوله: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ بقوله: «الذين بُعثوا في زمانه».

قوله: (هذا إذا عَلَّقْتَ)... إلخ وجه تعليقه بـ﴿أَنذَرَ﴾[7] أن يجعل حالًا على معنى: أنذَرَهم وهم عالِمون[8] بإنذار سائر الرسل بنحو ذلك؛ لأنّ هودًا[9] عليه السلام أعلمَهم به،

---

[1] ن: الذي.
[2] ن: وسيبعتون.
[3] ف: مندزين.
[4] ن + إن.
[5] ن - إنّ.
[6] ن: لذلك.
[7] ن: فأند.
[8] ن: عاملون.
[9] ن: هود.

ولك أن تجعَل قولَه: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ اعتراضًا بين ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُۥ﴾ وبين ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ ويكونُ المَعنى: واذكُر إنذارَ هُودٍ قومَه عاقِبَةَ الشركِ والعذابَ العَظيمَ، وقد أنذَرَ مَن تَقدَّمه مِن الرُّسل ومَن تأخَّرَ عنه مثلَ ذلك فاذْكُرهُم.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

"الأفكُ": الصَّرفُ، يُقال: أَفَكَه عن رَأيه.

﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: عن عبادَتِها "ما تعدنا" من مُعَاجَلة العذابِ على الشِّرك ﴿إِن كُنتَ﴾ صادقًا في وَعْدِكَ.

فإن قلتَ: مِن أين طابَقَ قولُه: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ جوابًا لقَولهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾؟

قلتُ: من حيث إنَّ قولَهم هذا استعجالٌ مِنهُم بالعَذابِ، ألا ترى إلى قَوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ [الأحقاف ٢٤/٤٦] فقال لهم: لا عِلم عِندي بالوقت

وقد مرّت هذه الآية مستوفاةً في تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ [البقرة ٢٨/٢]. في هذا البيان نظرٌ.

قوله: **(ويكون المعنى: واذكر)**... إلخ أي: واذكرْ يا محمّد هودًا وإنذارَه قومَه، واذكر أيضًا الأنبياءَ[١] الذين تقدَّموا هودًا وتأخّروا عنه. وقولُه: **(فاذكرهم)** أي: فاذكر[٢] الرسل المتقدّمين والمتأخّرين عنه.[٣]

قوله: **(قلت: مِن حيث)**... إلخ فكأنّهم قالوا بطريق[٤] الاستعجال:[٥] متى يكون هذا العذاب الذي تذكره؟

---

١ ن: للأنبياء.
٢ ن: فاذكروا.
٣ وفي هامش د: هود.
٤ ن – عنه. قوله: (قلتُ: مِن حيث)... إلخ، فكأنّهم قالوا: بطريق.
٥ ن: والاستعجال.

الذي يكُون فيه تَعذِيبكُم حكمةً وصَوابًا، إنَّما عِلْمُ ذلك عندَ الله فكيف أَدْعُوه بأنْ يأتِيَكُم بعذَابه في وقْتٍ عاجلٍ تَقترِحُونَه أنتُم، ومَعنى: ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ -وقرئ بالتخفيف-: أن الذي هو شأنِي وشرطِي أن أُبلِّغَكُم ما أُرسِلتُ به من الإنذارِ والتَّخويف والصَّرفِ عمَّا يُعرِّضكُم لسَخَط الله بِجُهدي، ولكنكم جاهِلون لا تعلَمُون أنَّ الرُّسلَ لم يُبعَثُوا إلَّا مُنْذِرِين، لا مُقترِحِين ولا سَائِلينَ غيرَ ما أُذِنَ لهُم فيهِ.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾ في الضمير وجهان: أن يرجع إلى "ما تَعِدُنا"، وأن يكون مُبْهَمًا قد وَضَحَ أمْرُه بقَولهِ: ﴿عَارِضٗا﴾ إمَّا تمييزًا وإمَّا حالًا، وهذا الوَجْهُ أعرَبُ وَأفصَح.

و"العَارضُ": السَّحابُ الذي يَعْرِضُ في أفقٍ من السماء، ومِثلُه: "الحَبِيُّ" و"العَنان" من "حَبَا وعَنَّ": إذا عَرَض، ....

قوله: (عمّا يُعرِّضكم) أي: يجعلكم مُعرَّضًا. مِن التعريض للشيء؛ وهو النَّصب له.

قوله: (بجَهْدي) يجوز[1] أن يتعلّق[2] بقوله: (أُبلِّغكم)، أو بقوله:[3] (الإنذار)... إلخ.

قوله: (لا مُقترِحِين)[4] مثل قولك: ما زيد إلّا قائم لا قاعد. وقد ذكرنا فيما[5] مرّ مِن الحواشي أنّ هذا[6] التركيب ممّا ذكر العلماء أنّه غير سائغ؛ إذ[7] شرط المعطوف بـ"لا" أن لا يكون منفيًّا قبلها بشيء آخر.

قوله: (إمّا تمييزًا وإمّا حالًا) "تمييزًا" و"حالًا" حالان مِن قوله: (عارِضًا).

قوله: (مِن حَبَا) الحَبْوُ: الزَّحْفُ، يقال: حَبَى[8] الصبيُّ على إسْتِه، أي: زحَفَ.[9]

---

[1] ن: نحو.
[2] ن: تعلّق.
[3] ن: وبقوله.
[4] ن: مفترحين.
[5] ن: فيهما.
[6] ف: هنا.
[7] ن: إذا.
[8] ن: حبا.
[9] الصحاح للجوهري، «حبا».

وإضافةُ "مُسْتَقبِل" و"مُمْطِر" مجازيَّةٌ غيرُ مُعرِّفةٍ، بدليل وقُوعِهما -وهما مضافان إلى مَعْرِفتين- وصفًا للنَّكرة.

﴿بَلْ هُوَ﴾ القولُ قبلَه مُضمرٌ، والقائلُ هُودٌ عليه السلام، والدَّليلُ عليه قراءةُ مَن قرأَ: "قال هودٌ بَل هُو"، وقُرئَ: "قُل بَل ما استَعْجلتُم به هيَ ريحٌ"؛ أي: قال اللهُ: قُل.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾: تُهلِكُ مِن نفوسِ عادٍ وأموالِهم الجَمَّ الكثيرَ، فعُبِّر عن الكثرة بالكليَّة.

وقرئَ: "يَدْمُرُ كلُّ شيء" من دَمَرَ دمارًا: إذا هَلك.

﴿لا تَرَى﴾ الخطابُ للرَّائي مَن كان.

وقرئ: ﴿لَا يُرَىٰ﴾ على البناء للمفعول بالياء والتاء، وتأويلُ القراءة بالتاء -وهي عن الحسن رضي الله عنه-: لا تُرى بقَايا ولا أشيَاءُ إلَّا مسَاكنُهم، ومنه بيتُ ذي الرُّمَّةِ:

وما بقيَتْ إلَّا الضُّلوعُ الجَراشِعُ

قوله: (مجازيّة) أي: لفظيّة، لا معنويّة.

قوله: (للرائي) أي: لكلِّ مَن يَصلح أن يكون مُخاطَبًا. وقوله: (مَن كان) بدلٌ مِن "الرائي".

قوله:

(وما بقيَتْ إلّا الضلوع الجَراشِعُ)[1]

أوّله:

[1] وفي هامش د ف: أي: غِلاظ.

ولَيسَتْ بالقويّة.

وقرئ: "لا تَرَى إلا مَسْكنَهم" و: "لا يُرى إلا مَسْكنُهم".

ورُوي: أن الريحَ كانَتْ تحمِلُ الفُسطَاطَ والظَّعينة فتَرفَعُهُما في الجَوِّ حتَّى تُرى كأنَّها جَرادةٌ.

وقيل: أوَّلُ مَن أبصَر العذابَ امرأةٌ مِنهم قالت: رَأيتُ ريحًا فيها كشُهُبِ النَّار.

بَرى النَحْزُ[١] والأجْرال[٢] ما في غُروضِها[٣] وما بقيت...[٤]

يقال: الراكبُ ينْحَزُ بصَدره[٥] واسطةَ الرَّحْل،[٦] أي: يَدُقُّ. والناحِزُ[٧] أيضًا: أن يصيب مَرفِقُ البعير كِركِرتَه، فيقال: به ناحِزٌ. / أبو زيد: «نَحَزَه في صدره مِثل: [٣٥٥١و] نَهَزَه؛ إذا ضربه».[٨] والجَرَل[٩] -بالتحريك-: الحجارة، وكذلك الجَرْوَل، و"الواو" للإلحاق[١٠] بـ"جعفر"، وأرض جَرِلة: ذات جَراول، والجمع: أجْرال.[١١] والغَرْضُ:[١٢] غَرْضُ الدابّة، يقال: غَرَّضْتُ البعيرَ؛ شَدَدْتُ عليه الغَرَضَ.[١٣] والجُرْشَع: الإبل العظيم الصدر المنتَفِخ الجنبين.[١٤]

قوله: (وليست بالقويّة) أي: القراءة بالتاء ليست قويّة؛[١٥] بل القراءة[١٦] بالياء أقوى، لأنّه لا يقال: ما جاءتني إلّا امرأة، لكن يقال: ما جاءني إلّا امرأةٌ، أي: أحدٌ أو شيءٌ إلّا امرأةٌ.[١٧]

---

١ ف: النَّحر؛ ن: البحر.

٢ ن: والأحراك.

٣ ف: غروضا.

٤ لذي الرمّة في ديوانه، ١٢٩٦/٢، بلفظ:
طَوى النَّحزُ والأجرازُ...

٥ ف: بصدوره.

٦ ن: الرجل.

٧ ن: والتاحر.

٨ **الصحاح** للجوهري، «نحز».

٩ ن: والجرك.

١٠ ن: للإحاق.

١١ ن: أجراك. | **الصحاح** للجوهري، «جرل».

١٢ وفي هامش د ف: الغَرْضُ: الحِزَامُ التي يُشَدّ على بطنِ الناقة، ويقال له: الغُرْضة أيضًا. **نهاية**. | **النهاية** لابن الأثير، «غرض».

١٣ **الصحاح** للجوهري، «غرض».

١٤ **الصحاح** للجوهري، «جرشع».

١٥ القراءة بالتاء قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش والحسَن والجحدري. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٣٦.

١٦ ن - بالتاء ليست قويّة؛ بل القراءة.

١٧ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ﴾ صفة لـ﴿رِيحٌ﴾ بعد صفة.

ورُوي: أوَّلُ ما عرَفُوا به أنّه عذابٌ: أنَّهُم رَأوا ما كان في الصَّحراء من رحالِهم ومَواشيهم تَطِيرُ بهِم الرِّيحُ بين السماء والأرض، فدخَلوا بيُوتهم وغلَّقُوا أبوابَهُم، فقلَعت الرِّيحُ الأبوابَ وصرَعتْهُم، وأمال اللهُ عليهم الأَحْقافَ فكانوا تحتَها سبعَ ليالٍ وثمانية أيّامٍ لهُم أنينٌ، ثمَّ كَشَفَت الريحُ عنهم فاحتَملَتْهُم فطَرحتهم في البَحْر.

ورُوي: أن هُودًا لمَّا أحسَّ بالريح خطَّ على نفسِهِ وعلى المؤمنين خطًّا إلى جَنْب عَيْنٍ تنبعُ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: اعتَزلَ هودٌ ومَن مَعه في حظيرةٍ ما يُصيبُهم من الريح إلَّا ما تَلينُ على الجُلُود وتَلَذُّهُ الأنفُس، وإنها لتَمرُّ من عادٍ بالظُّعن بين السماء والأرض وتدمَغُهُم بالحجارةِ.

وعَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه كان إذا رأى الرِّيح فزِعَ وقال: «اللَّهمَّ إني أسألُكَ خيْرَها وخيْرَ ما أُرسِلَتْ به، وأعوذُ بك من شرِّها وشرِّ ما أُرْسِلَتْ به، وإذا رأى مَخِيلةً قامَ وقعدَ وجاء وذهبَ وتغيَّر لونُه، فنقُول له:

قوله: (**ورُوي أنّه أوَّلُ**)... إلخ الضمير في "أنّه" للشأن، وهو اسم "أنّ". و"أوّل" مبتدأ مضاف إلى الموصول، و(**عَرفوا**) صلتُه، و(**أنّه عذاب**) مفعول "عرفوا"، و(**أنّهم**)... إلخ خبر أوّل، والجملة خبر "أنّه".

قوله: (**ثمّ كشفَت[1] الريح**) أي: كشفَت[2] الريح عنهم الأحقافَ.[3]

قوله: (**بالظُّعُن**) الظَّعينة: الهَودج فيها امرأة.[4]

قوله: (**مَخِيلةً**)[5] المَخِيلة: الغيم الذي يكون مُخْلِفةً[6] للمَطر، والخالُ: الغَيم، وقد أخالَت السحابُ، وأخيَلَتْ وخايَلَتْ؛ إذا[7] كانت تُرجّي المطر،

---

[1] ف: كشف؛ ن: لسفت.

[2] ن: لشفت.

[3] ن: الأحفاف.

[4] وفي الصحاح للجوهري، «ظعن»: «الظَّعينةُ: الهودج كانت فيه امرأةٌ أو لم تكن، والجمع ظُعْنٌ وظُعُن، وظَعائن وأظعان. والظَّعينةُ: المرأة مادامت في الهَودج، فإذا لم تكن فيه فليست بظَعينة».

[5] ن: مخيّلة.

[6] ن: مختلفة.

[7] ن: وإذا.

يـا رسُـول الله! مـا تخـاف؟ فيقـول: إنِّـي أخـاف أن نكـونَ مثـلَ قـومٍ عـادٍ حيـثُ قالـوا: هـذا عـارِضٌ مُمطِرُنـا».

فإن قلتَ: ما فائدةُ إضافة الرَّبِّ إلى الرِّيح؟

قلتُ: الدَّلالةُ على أنَّ الرِّيحَ وتصْريفَ أعِنَّتِهَا ممَّا يَشْهَد لِعِظَم قُدْرته؛ لأنَّها من أعَاجِيبِ خلْقِه وأكابِر جُنُودِه، وذِكْرُ الأمْرِ وكَونُها مأمورَةً من جهَتِهِ عزَّ وعلا يَعضُد ذلك ويُقوِّيه.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إن﴾ نافيةٌ؛ أي: فيمَا ما مكنَّاكُم فيه، إلَّا أنَّ ﴿إن﴾ أحسَنُ في اللَّفظ لِمَا في مُجامَعةِ "ما" مِثلَها من التَّكرير المُسْتبشَعِ، ومثلُه مُتجَنَّبٌ، ألا تَرى أن الأصلَ في "مَهْما": "مَا مَا" فلِبشاعةِ التكرير قلبُوا الألفَ هاءً، ولقد أَغَثَّ أبُو الطَّيِّب في قَوله:

وقد أخَلْتُ السحابة وأخيَلْتُها؛[1] إذا رأيتَها مَخِيلةً للمطر. يقال: ما أحسنَ مَخِيلَتَها[2] وخالَها، أي: خَلاقَتَها للمطر.[3]

قوله: (**فيقول: إنّي أخاف**) أي: أخاف[4] أن يكون هذا العارض مثلَ عارضِ قوم عاد.

قوله: (**فإن قلتَ: ما فائدة إضافة "الربّ" إلى "الريح"؟**) أي: في قوله: ﴿رَبِّهَا﴾.

قوله: (**قلتُ: الدلالة**) أي: فائدتها الدلالة.

قوله: (**مِن التكرير**)[5] بيان "ما".

قوله: (**ولقد أغثّ**) أي: جاء بالكلام الغَثّ. يقال: غثّ حديثُ القوم، أي: رَدُءَ[6] وفَسَد، ويقال: أغثّ الرجل في منطِقِه.[7]

---

١ ن: واحتلَها.

٢ ن: مخيلها.

٣ **الصحاح** للجوهري، «خيل».

٤ ن – أخاف.

٥ ن: التكوير.

٦ ن: رد.

٧ **الصحاح** للجوهري، «غثث».

لَعَمرُكَ مَا مَا بانَ مِنكَ لِضارِبٍ

وما ضَرَّهُ لَو اقتدَى بِعَذُوبةِ لَفظ التَّنزيل، فقال:

لَعَمرُكَ إنْ ما بَانَ مِنك لِضارِبٍ

وقَد جُعِلت ﴿إن﴾ صلةً مِثلَها فيما أَنشده الأخفشُ:

يُرجِّي المَرءُ ما إنْ لا يَراه وتَعرِضُ دُونَ أَدْناه الخُطوبُ

قوله:

(لَعَمرُك ما ما بانَ منك لِضاربٍ)[١]

تمامه:[٢]

بأَقْتَلَ[٣] مِمّا بانَ منك لِعائبٍ[٤]

يُروى هذا البيت في ديوان أبي الطيّب، هكذا:

ترى أنّ ما ما[٥] بان منكَ لِضاربٍ بأَقْتَلَ مِمّا بانَ منك لِعائبِ[٦]

فـ"ما" الأولى نفي، والثانية[٧] موصولة. واسم "أنّ" محذوف. والتقدير: ترى أنّه[٨] ما الذي ظهر منك لِضاربٍ[٩] بأَقْتَلَ مِن الذي بان منك لِعائب،[١٠] أي: لا يرى القتل أشدَّ مِن العيب؛ بل العيب عنده أشدّ مِن القتل.

قوله:[١١] **(صلةٌ)** أي: في الآية.

قوله:

(يُرَجِّي المَرءُ ما إنْ[١٢] لا يراه)... البيتَ[١٣]

---

١ ن: كضارب.

٢ ن: ثمامه.

٣ ن: بأقتك.

٤ ف: لغائب؛ ن: للغائب.

٥ ن – ما.

٦ ف: لغائب. | **ديوان المتنبّي**، ص ٢١٢.

٧ ن: والثالية.

٨ ن – أنّه.

٩ ن – منك لِضاربٍ.

١٠ ف ن: لغائبٍ.

١١ ف ن + قوله.

١٢ ف: أن. | وفي هامش د ف: إنْ ما أصحّ...

١٣ لجابر بن دالان الطائي. ويقال: لإياس بن الأرتّ. انظر: **شرح شواهد المغني** للسيوطي، ١/٨٥.

وتُؤوِّلَ بـ"إنَّا مكنَّاهُم في مثلِ ما مكَّنَّاكُم فيه"، والوجهُ هو الأوَّلُ، ولقَد جاء عليه غَيْرُ آيةٍ في القرآن: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم ١٩/٧٤] ﴿كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا﴾ [غافر ٤٠/٨٢] وهُو أبْلَغُ في التَّوبيخ وأَدْخَلُ في الحَثِّ على الاعتِبار.

﴿مِن شَيْءٍ﴾؛ أي: من شيءٍ من الإغناء وهو القليلُ منه.

فإن قلتَ: بمَ انتصَب ﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ﴾؟

قلتُ: بقوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾.

فإن قلتَ: لمَ جَرى مَجرى التَّعليل؟

قلتُ: لاستواءِ مُؤدَّى التَّعليل والظَّرفِ في قولك: «ضرَبتُه لإساءتِه» و: «ضرَبتُه إذ أَساءَ»؛ لأنَّك إذا ضَربْتَه في وقتِ إساءتِه فإنَّما ضرَبْتَه فيه لوُجُود إسَاءتِه فيه، إلَّا أنَّ "إذْ" و"حَيْثُ" غَلَبَتا دون سائر الظُّرُوفِ في ذلك.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٧﴾

﴿مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهْلَ مكَّة ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ من نحوِ حجَر ثمودَ وقَريةِ سَدُومَ وغيرهما، والمراد: أهلُ القرَى، ولذلك قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

أي: يُرَجِّي المرء ما لا يراه، ويَعرِض[١] الخطوبُ دون أدنى شيء ممّا يَأْمُلُه. والمعنى: مأخوذ مِن قوله صلّى الله عليه وسلّم:[٢] «تأمُلون ما لا تُدْرِكون».[٣]

قوله: (**وهو أبلغ**) عطفٌ على قوله: (**ولقد جاء**)، يريد تقوية الأوّل مِن جهة الآيات الموافقة له، ومِن حيث المعنى.

قوله: (**في ذلك**) أي: في جَرْيه مَجرى التعليل.

قوله: (**والمراد: أهلُ القُرى**) أي: المراد بـ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾.

---

١ ن: ويعوض.

٢ د: عليه السلام.

٣ المعجم الكبير للطبراني، ٢٥/١٧٢ (٤٢١)؛ الزهد لأبي داود، ص ٢١٩ (٢٤٧).

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٢٨﴾

"القُربان": ما تُقُرِّبَ به إلى الله تعالى؛ أي: اتَّخذوهُم شُفعاءَ مُتقرَّبًا بهم إلى الله حيث قالُوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس ١٠/١٨]، وأحَدُ مَفعولَي "اتَّخذ": الراجِعُ إلى ﴿ٱلَّذِينَ﴾ المحذُوف، والثاني: ﴿ءَالِهَةً﴾، و﴿قُرْبَانًا﴾ حالٌ.

ولا يصحُّ أن يكونَ ﴿قُرْبَانًا﴾ مفعُولًا ثانيًا، و﴿ءَالِهَةً﴾ بدلًا منه؛ لِفساد المعنى.

وقرئ: "قُرُبانًا" بضم الراء.

والمعنى: فهلا منعَهُم من الهَلاك آلهتُهم ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: غابُوا عن نُصْرَتِهم ﴿وَذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى امتنَاع نصرة آلهتِهم لَهُم وضلَالهم عنهم؛ ....

قوله: (متقرَّبًا بهم)[١] ليس في "مُتقرَّبًا" ضمير؛ بل هو مستنِد إلى "بهم".

قوله: (وأحد مفعولَي) "أحد" مبتدأ، خبره (الراجع)، واللام فيه للعهد، أي: أحد المفعولين هو الراجع المعهود إلى الموصول، وإنّما جعله مَعهودًا لأنّه لا بدَّ منه.

قوله: (المحذوف) أي: اتّخذوهم.

قوله: (لفساد المعنى) وذلك لأنّ[٢] الغرَض[٣] / مِن[٤] هذا الكلام إنكار الاتّخاذ، [٣٥٥ظ] بمعنى: أنّه أنكر عليهم أنّهم تركوا اتّخاذ[٥] الله[٦] إلهًا، واتّخذوا[٧] مِن دونه آلهة، ولا[٨] يستقيم أن يقال: أنكر عليهم أنّهم تركوا اتّخاذ[٩] الله قربانًا، واتّخذوا[١٠] مِن دون الله قربانًا، أي: مُتقرَّبًا به؛ لأنّه يُتقرَّبُ إليه تعالى، لا به[١١] تعالى، فتدبَّر.

---

١ ن: متقربانهم.
٢ ن: لا.
٣ ن: عرص.
٤ ن - من.
٥ ف: اتّحاذ.
٦ ن + تعالى.
٧ ف: واتّحذوا.
٨ ن: لا.
٩ ف: اتّحاذ.
١٠ ف: واتّحذوا.
١١ ن: لأنّه.

أي: وذلك أثَرُ إفكهم الذي هو اتّخاذُهم إيَّاها آلهةً، وثمرةُ شِركِهْم وافتِرائِهم على الله الكذِبَ من كونه ذا شركاءَ.

وقرئ: "أَفَكُهُمْ" والإِفْكُ والأَفَكُ: كالحِذْر والحَذَر.

وقرئ: "وذلك أَفَكَهم"؛ أي: وذلك الاتّخاذُ الذي هذا أَثَرُهُ وثَمَرتُه صَرَفَهُم عن الحقِّ.

وقرئ: "أَفَّكَهُمْ" على التشديد للمُبالغة، و: "آفَكَهُم"؛ أي: جعَلهم آفِكين، و: "آفِكُهُم"؛ أي: قَولُهم الآفِكُ ذُو الإفكِ، كما تَقُول: قَولٌ كاذِبٌ.

و: "وذلك إِفْكٌ ممَّا كانوا يَفتَرُون"؛ أي: بعضُ ما كانُوا يَفتَرُون من الإفك.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا﴾: أملْنَاهُم إليك وأقْبلنَا بهم نحوكَ، وقرئ: "صرَّفنا" بالتشديد لأنهم جماعةٌ.

و"النَّفَرُ": دُون العشَرة، ويُجمع: أنفارًا، وفي حديثِ أبي ذرٍّ رضي الله عنه: «لو كان هاهُنا أحَدٌ من أنفارِنا».

قوله: (أي: وذلك أثَرُ إفكِهم)... إلخ وهو في المعنى مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ٦/٢٣].

قوله: (وقُرئ: "وَذَلَكَ أَفَكَهُمْ") فعلٌ ماضٍ.[١]

قوله: ("وَذَلِكَ إِفْكٌ")[٢] أي: قُرئ: "ذَلِكَ إِفْكٌ"...[٣] إلخ إلى هنا مِن القراءة الشاذّة.[٤]

قوله: (وأقبَلْنا بهم) "الباء" في "بهم" للتعدية.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما وعِكرمة. ويُروى عن عبد الله بن الزبير: "آفَكَهم" بالمدّ وثلاث فتحات. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٣٧.

٢ ن: إفل.

٣ ن: إفل.

٤ لم أجد مَن ذَكرها غيره.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ الضميرُ للقرآن؛ أي: فلمّا كان بمَسْمعٍ منهم، أو لرسُول الله، ويَعضُدُه قراءةُ مَن قرأ: "فلما قَضى"؛ أي: أتمَّ قراءته وفرَغ منها.

﴿قَالُواْ﴾ قال بعضُهم لبَعضٍ: ﴿أَنصِتُواْ﴾: اُسْكتُوا مُسْتَمِعينَ، يقال: أنصَتَ لكذا واستَنْصَتَ له.

رُوي: أنَّ الجنَّ كانت تَسْتَرِقُ السَّمعَ، فلمّا حُرِسَتِ السماءُ ورُجِمُوا بالشُّهب قالوا: ما هذا إلا لِنَبأٍ حدَثَ، فنهضَ سبْعةُ نفرٍ أو تِسْعةٌ من أَشْرافِ جِنِّ نَصِيبينَ أَو نِينوَى منهم زَوْبَعةُ، فضَربُوا حتَّى بلغُوا تِهامَة، ثم اندَفعُوا إلى وَادي نخلةَ فوافقُوا رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو قائمٌ في جَوف اللَّيل يُصَلِّي، أو في صلاةِ الفجر، فاستمعوا لقراءتهِ، وذلك عِنْد مُنصَرَفِه من الطَّائفِ حين خَرجَ إلَيْهم يَستنصِرُهم فلم يُجيبُوه إلى طَلِبتِه وأَغرَوْا به سُفهَاءَ ثَقِيف.

وعن سعيدِ بن جبير رحمه الله: ما قرأَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم على الجِنِّ ولا رَآهم، وإنما كان يَتْلوُ في صَلاتِه فمرُّوا به فوَقفُوا مُسْتمِعين وهُو لا يَشْعرُ، فأنبأَهُ اللهُ باستِماعِهم.

وقيل: بل أمَر اللهُ رسُولَه أن يُنذرَ الجنَّ ويَقرأ عليهم، فصرَفَ إليه نفرًا مِنْهم جمَعَهُم له، فقال: «إنِّي أُمِرْتُ أن أقرأ على الجِنِّ اللَّيلةَ فمَن يَتَبَعُنِي؟» قالها ثلاثًا،

قوله: (أي: أتمَّ) أي: الرسول.

قوله: (﴿قَالُواْ﴾ قال بعضهم) ليس هذا جوابَ قوله في الكتابِ: ("فَلَمَّا قَضَى")؛[1] بل ابتداء كلام تفسير لقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾، لكن يَحْسُن أن يقال: هو جواب لقوله: (﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾)، كما هو في القرآن كذلك.

قوله: (فضَربوا) أي: ضربوا في الأرض بمعنى: ذهبوا ومَشَوا.

قوله: (فمَن يتّبعني)[2] "مَن" للاستفهام.[3]

---

[1] "فلَمّا قَضَى" بفتحتَين، قراءة شاذّة، مرويّة عن حبيب بن عبد الله بن الزبير. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٧.

[2] ن: يتبعي.

[3] ن: الاستفهام.

فأطرَقُوا إلّا عبْدَ الله بنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: لم يحضُرْهُ ليلة الجنّ أحدٌ غيْرِي، فانْطَلَقْنا حتّى إذا كُنّا بأَعْلى مكّةَ في شِعْبِ الحَجُونِ فخَطّ لي خَطًّا وقال: «لا تخرُجْ منه حتى أعُودَ إليك» ثم افتتحَ القرآن وسَمِعْتُ لَغَطًا شديدًا حتّى خِفْتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وغَشِيَتْه أَسْوِدةٌ كثيرةٌ حالَتْ بَيْني وبَينه حَتّى ما أسمَعُ صوتَه، ثمَّ انقطَعُوا كقِطَعِ السَّحابِ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل رأيتَ شيئًا» قلتُ: نعم رجالًا سُودًا مُستثفِري ثيابٍ بيضٍ فقال: «أولئك جِنُّ نَصيبينَ وكانوا اثْنَي عشر ألْفًا» والسُورةُ التي قرأها عليهم ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠﴾

فإن قلتَ: كيف قالوا: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾؟

قوله: (**إلّا عبدَ الله بن مسعود**) في هذا كلام؛[1] لأنّه[2] ثبتَ أنّ ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لم[3] أكن مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[4] ليلةَ الجِنّ».[5]

قوله: (**الحَجُون**)[6] جبل بمكّة، وهو مَقبرة.[7]

قوله: (**لَغطًا**) أي: صوتًا.

قوله: (**ما أسمع**) نفي.

قوله: (**مُسْتَثْفِرِي ثيابٍ**) استَثْفَر الرجل بثوبه، إذا ردَّ[8] طَرَفَه بين رِجليه،[9] واستَثْفَرَ الكلبُ بذَنَبه، أي: جعله بين فَخِذَيه.[10]

---

[1] ف ن: الكلام.

[2] ن: لا.

[3] ن - لم.

[4] د: عليه السلام.

[5] صحيح مسلم، ٣٣٢/١ (٤٥٠)؛ سنن أبي داود، ٦٣/١ (٨٥).

[6] ف: والحَجُون.

[7] ن: مغيرة.

[8] ن: زد.

[9] وفي هامش د: تهذيب: «لَواه على وَركَيه». تمّ. | انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «ثفر».

[10] **الصحاح** للجوهري، «ثفر».

قلتُ: عن عطاءٍ: أنَّهم كانوا على اليَهُوديَّة، وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أن الجنَّ لم تكُن سَمِعتْ بأمْرِ عيسَى، فلذلك قالت: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾؟

﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٣١﴾

فإن قلتَ: لِمَ بَعَّضَ في قوله: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾؟

قلتُ: لأن من الذُّنوب ما لا يُغفر بالإيمان كذنُوب المَظالم ونحوِها، ونَحوُه قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [نوح ٧١/٣-٤].

فإن قلتَ: هل للجنِّ ثوابٌ كما لِلإنْسِ؟

قلتُ: اختُلِف فيه؛ فقيل: لا ثوابَ لهم إلَّا النَّجاةُ من النَّارِ، لِقَولِه: ﴿وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وإليه كانَ يَذْهبُ أبُو حنيفة، والصَّحيحُ أنَّهم في حُكم بني آدم، لأنَّهم مُكلَّفُونَ مِثلَهم.

﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٣٢﴾

﴿فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: **لا يُنْجِي منه** مَهرَبٌ، ولا يَسْبِقُ قضاءَهُ سابقٌ، ونحوُه قولُه: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا﴾ [الجن ٧٢/١٢].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٣٣﴾

﴿بِقَٰدِرٍ﴾ محلُّه الرَّفعُ، لأنه خبرُ ﴿أَنَّ﴾، يدُلُّ عليه قراءةُ عبد الله: "قادِرٌ"، وإنَّما دخلَتْ الباءُ لاشتِمال النفي في أوَّلِ الآية على ﴿أَنَّ﴾ وما في حَيِّزِهَا.

قوله: (ونحوها) وهو القتل.

قوله: (أي: لا يُنْجِي منه) أي: مِن الله تعالى.

وقال الزَّجَّاجُ: لو قلتَ: "ما ظنَنتُ أنَّ زيدًا بقائمٍ": جاز، كأنَّه قيل: أليْس الله بقادر، ألا ترى إلى وقُوعِ ﴿بَلَىٰٓ﴾ مُقرِّرةً للقُدْرة على كلِّ شيءٍ من البَعث وغيْرِه، لا لِرُؤيتهم.

وقرئ: ﴿يَقْدِرُ﴾.

ويقال: "عَيِيتُ بالأَمْرِ": إذَا لم تَعرِفْ وجْهَه، ومنه: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [ق ١٥/٥٠].

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ مَحكيٌّ بعْدَ قَولِ مُضمرٍ، وهذا المُضمَرُ هو ناصِبُ الظَّرفِ، و﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى العذاب، بدليلِ قَوْلِهِ: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ والمعنى: التَّهكُّم بهم، والتوبيخُ لَهُم على استهزائهم بوَعْد الله ووَعيده، وقولِهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء ١٣٨/٢٦].

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾: أوُلُوا الجِدّ والثَّباتِ والصَّبْرِ، و﴿مِنَ﴾ يَجُوز أن تكون للتَّبعيضِ، ويرادَ بـ"أُولي العَزْم" بعضُ الأنبياء، قيل: هم نوحٌ، صبَر على أذَى قومِهِ، كانوا يَضرِبُونَه حَتَّى يُغشَى عليه، وإبْراهيمُ على النَّارِ وذَبْحِ ولَدِه، وإسحاقُ على الذَّبْح،

قوله: (مقرِّرةً للقدرة) فهذا دلّ على أنّ[١] المعنى: أليس الله بقادرٍ، وأنَّ الاستفهام الإنكاريَّ متَوجِّهٌ إلى نفي القدرة، لا إلى نفي الرؤية.

قوله: (وقُرئ: "يَقْدِرُ") وهذه[٢] القراءة بالفعل المضارع مِن "قَدَرَ يَقدِرُ" شاذّة،[٣]

١ ن - أنّ.

٢ ن: هذه.

٣ هذا على طريقته في اعتبار القراءاتِ الثلاثِ الزائدةِ على السبع مِن الشّاذ. وهي عند المحقّقين مِن القرّاء مِن الصحيح المتواتر. وسيأتي في كلامه أنّها قراءة يعقوب الحضرمي.

ويعقوبُ على فَقْدِ ولدِهِ وذهابِ بصَرِه، ويُوسُف على الجُبِّ والسِّجن، وأيُّوبُ على الضُّرِّ، وموسى قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشعراء ٦١/٢٦]، قال: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء ٦٢/٢٦]، وداودُ بكَى على خطيئتِهِ أربعينَ سنةً، وعيسَى لم يَضَعْ لَبِنةً على لَبِنةٍ قال: إنَّها مَعْبرٌ فاعبُرُوها ولا تعمرُوها، وقال الله في آدم: ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه ١١٥/٢٠] وفي يونس: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ [القلم ٤٨/٦٨].

ويجوز أن تكون للبَيانِ، فيكونَ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ﴾ صفةَ الرُّسل كُلِّهم.

﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾: لكفَّارِ قُريشٍ بالعذاب؛ أي: لا تَدْعُ لَهُم بتعْجيلِه، فإنَّه نازِلٌ بهم لا محالةَ وإن تأخَّرَ، وإنَّهم مُستَقصِرُونَ حينئذٍ مُدَّةَ لَبْثِهم في الدُّنيا حتى يَحْسبُوها ﴿سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ﴾.

﴿بَلَٰغٞۚ﴾؛ أي: هذا الذي وُعِظْتُم به كِفايةٌ في المَوْعظةِ، أو: هذا تَبليغٌ من الرَّسول ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا﴾ الخارجُونَ عن الاتِّعاظِ به والعملِ بموَاجبِهِ، وتَدُلُّ على معنى التَّبليغِ قراءةُ مَن قرأ: "بَلِّغْ فهل يُهلَكُ".

مثلها في آخر يس في قوله تعالى: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ﴾ [يس ٨١/٣٦]، فإنّه قُرئ[1] هناك أيضًا: "يَقدِرُ" بالفعل المضارع.[2] والقراءتان[3] -أي: التي في هذه السورة[4] والتي[5] في آخر يس- منقولتان عن يعقوب الحضرمي، أمّا ههنا فبِلا خِلاف عنه، وأمّا في آخر يس فبرواية نُوَيس[6] عنه.[7]

قوله: (**بمَواجبه**) المَواجِب جمع المُوجَب بضمّ الميم وفتح الجيم.

قوله: (**وتدُلّ[8] على معنى التبليغ**) أي: تدلّ[9] على أنّ المراد بـ"البلاغ" التبليغ هذه القراءةُ.[10]

---

١ ن - قُرئ.

٢ انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٥٥/٢.

٣ ف: والقراءتات؛ ن: والقراءات.

٤ ن: الصورة.

٥ ن: أي.

٦ ن: يونس. | كذا وقع في النسخ الخطيّة، والصواب: رُوَيس، وهو رُوَيس محمّد بن المتوكّل أحد الرواةِ عن يعقوب.

٧ ن - عنه.

٨ ن: تدلّ.

٩ ف: يدلّ.

١٠ ن: القراءات. | القراءة "بَلِّغْ" على الأمر من "التبليغ" قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي مجلز وأبي سراج المدني. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٣٨.

وقرئ: "بلاغًا"؛ أي: بُلّغُوا بلاغًا.

وقرئ "يَهلِك" بفتح الياء وكسر اللام وفتحها، من هَلَك وهلِكَ.

و: "نُهلِك" بالنون "إلا القومَ الفاسقين".

عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورةَ الأَحقافِ كُتِب لَهُ عَشْرُ حَسناتٍ بعدَدِ كلِّ رَمْلَةٍ في الدنيا».

تمّت السورة بحمد الله تعالى[١] ومَنّه.[٢]

---

١ د - تعالى.

٢ ف ن - ومنّه.

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

مدنيةٌ عند مجاهد، وقال الضحاك وسعيد بن جبير: مكية،
وهي سورةُ القتال، وهي تسعٌ وثلاثون آية، وقيل: ثمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١﴾

﴿وَصَدُّواْ﴾: وأعرَضوا وامتنعُوا عن الدخُولِ في الإسْلام، أَو: صَدُّوا غيرَهُم عنه.
قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنه: هُم المُطعِمون يومَ بدر.
وعن مُقاتِل: كانوا اثنَي عشرَ رجُلًا من أهل الشِّرك يصُدُّون النَّاس عن الإسلام

سورة محمّد عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (﴿وَصَدُّواْ﴾ وأعرضوا) يعني: "صدَّ" إمّا لازم مِن "صَدَّ صُدودًا"، أو متعدٍّ مِن "صَدَّ صَدًّا"، فإنْ كان متعدّيًا فعطفُ قوله تعالى: ﴿صَدُّواْ﴾ على ﴿كَفَرُواْ﴾ ظاهر، وإنْ كان لازمًا فالعطف فيه يكون للبيان والتقرير؛[2] لأنَّ إعراضهم وامتناعهم هو الكفر لا غيرُ.

قوله: (قال ابن عبّاس رضي الله عنهما:[3] «هم المُطعِمون»)[4] هذا يؤيّد الوجه الثاني؛ وهو أنّه / متعدٍّ، وكذا الوجهان بعده. وأمّا الأخير[5] فيحتمل الوجهين. [٣٥٦و]

---

١ ف ن – وبه نستعين.

٢ ن: والتقدير.

٣ د – رضي الله عنهما.

٤ انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٢٠٩/٢٤ (محمد، ٣٢/٤٧)؛ **وتنوير المقباس** للفيروزآبادي، ص ٤٢٧ (محمد، ١/٤٧).

٥ ف: الآخر.

ويأمرونهم بالكُفر.

وقيل: هم أهْلُ الكتاب الَّذين كفرُوا وصَدُّوا مَن أراد منهم ومِن غيرِهم أن يدخُل في الإسلام.

وقيل: هُو عامٌّ في كلِّ مَن كفرَ وصَدَّ.

﴿أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: أبطَلها وأحبَطَها، وحقيقتُه جعَلها ضالَّةً ضَائعةً، ليس لها مَن يتقَبَّلها ويُثِيبُ عليها؛ كالضَّالَّة من الإبِل الَّتي هي بمَضيَعَةٍ لا رَبَّ لهَا يحفَظُها ويَعْتَنِي بأمْرهَا، أو جعَلها ضالَّةً في كُفرهم ومعاصيهم مَغلوبةً بها كما يَضِلُّ الماء في اللَّبَن.

و"أعمالُهم": ما عَملُوه في كُفرهم ممَّا كانوا يُسمُّونه مكارِمَ: مِن صِلةِ الأرحام، وفكِّ الأُسارَى، وقِرَى الأضيَافِ، وحِفْظِ الجِوار.

وقيل: أبطَل ما عملُوه ....

قوله: (أن يَدخلَ) مفعول (أراد).[١]

قوله: (وأحبَطَها) عطف على قوله: (أبطلَها). وقوله: (جعلَها ضالَّةً ضائعةً) يعني: يكون مأخوذًا مِن قولهم: ضلَّ البعير والفرس والشاة؛ إذا وقعت في مَضْيَعة[٢] لا يهتدي إليها صاحبها. وقوله: (ضالّةً في كفرهم) يعني: يكون مأخوذة مِن قولهم: ضلَّ الماء في اللبَن، كقوله[٣] تعالى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة ٣٢/١٠]، يعنون: إذا صِرنا ترابًا وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا يتميّز منه كما يَضِلّ الماء في اللبَن.

وقوله: (وأعمالُهم) إلى قوله: (الجِوارِ)[٤] جملة معطوفة على جملة قوله: (وحقيقته) إلى (في اللبَن). ثمّ إنّ قوله: (وقيل: أبطل) عطفٌ على قوله: "أبطَلَها وأحبَطَها". والحاصل: أنّ المراد بقوله: "أعمالُهم" إن كان ما يُسمُّونَه مكارم فالمراد بالإضلال: الإحباطُ على الوجهين اللذَين ذكرهما، وإن كان المراد كَيْدَهم ومنْعَهم

---

[١] وفي هامش د ف: قوله: (﴿أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أحبطَها) شبّه الإحباط بالإضلال، والجامع عدم الانتفاع.

[٢] ن: مضيقة.

[٣] ف: لقوله.

[٤] ن: الجواز.

مِن الكَيْدِ لرسُول الله والصَّدِّ عن سبيل الله بأَنْ نَصرهُ علَيهم وأظهَرَ دينه على الدِّين كلِّه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال مقاتِلٌ: هُم ناسٌ من قُريش، وقيل: من الأَنصار، وقيل: هُم مُؤمنُو أَهل الكتاب، وقيل: هُو عامٌّ، وقوله: ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ اختصاصٌ للإيمان بالمُنزَل على رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِن بيْنِ ما يجبُ الإيمَانُ به؛ تعظيمًا لِشأنه وتعليمًا؛ لأنَّه لا يَصِحُّ الإيمانُ ولا يتمُّ إلَّا بهِ، وأكَّدَ ذلك بالجُملة الاعتِراضيَّةِ الَّتي هيَ قَولُه: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾.

وقيل: معناهَا: ....

فالمراد بالإضلال: أن جعلَها بحيث لا يترتَّب عليها مقصودهم؛ بل خابَ سَعْيُهم وبطل كيدُهم، وكان[1] ما أراد مِن نصرته عليه السلام عليهم، وإن بالغوا في الكَيد به[2] ومِن ظهور دينه على جميع الأديان، وإن كانوا يمنعون الناس مِن الدخول فيه. وقوله: (**بأن نصَرَهم**)...[3] إلخ فيه لفٌّ ونشر.

قوله: (**اختصاص للإيمان**)[4] هذا عامّ في جميع الوجوه المذكورة.

قوله: (**وأكّد ذلك**) أي: الاختصاصَ لتعظيم الشأن.

قوله: (**﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾**) أي: ضِدّ الباطل.

قوله: (**وقيل: معناها**) أي: معنى الجملة الاعتراضيّة. فالحاصل: أنّ معنى الجملة الاعتراضيّة على **الأوّل** تأكيد معنى الاختصاص للتعظيم، وعلى **الثاني** بيان أنّه لا يَرد عليه النسخ. فالمصنّف ذكر لمعنى التأكيد وجهين، وعلى هذا قوله: "وقيل"... إلخ عطفٌ على محذوف بعد قوله: (**﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾**)، أي:

---

[1] وفي هامش د: وُجِدَ.
[2] ن + جد.
[3] في مطبوع **الكشّاف**: بأن نصره.
[4] ن: الإيمان.

أَنَّ دينَ محمدٍ هو الحَق؛ إذ لا يَرِدُ عليهِ النَّسْخُ وهو ناسخٌ لغَيره.

وقرئ: ﴿نُزِّلَ﴾ و: "أُنْزِلَ" على البناء لِلمفعُول، و: "نَزَّلَ" على البناء للفاعِل، و: "نَزَل" بالتَّخفِيف.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: سترَ بإيمانهِم وعَملِهم الصَّالحِ ما كان منهُم من الكُفر والمَعاصِي؛ لرُجُوعِهم عنها وتَوبتِهم.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾؛ أي: حالَهم وشأنَهم بالتَّوفيق في أمُور الدِّين، وبالتَّسليط على الدُّنيا بما أعطَاهم من النُّصرة والتَّأييد.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مُبتدأٌ وما بَعده خبرُه؛ أي: ذلك الأَمْرُ -وهو إضلالُ أَعمال أحَدِ الفَريقيْن وتكفيرُ سَيئات الثَّاني- كائنٌ بسَبب اتّباع هَؤلاء الباطلَ وهؤلاء الحقَّ.

معناها أنّه الحقّ ضِدّ الباطل، أي: البالغ في كونه حقًّا، فكأنّه هو الحقّ لا غيره، كما مرّ في ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة ٢/٢]، ثمّ عطف على هذا المعطوف قوله: "وقيل: مَعناها"... إلخ. والأحسَن أن يقال: هو عطفٌ[١] على قوله: "**وأكّد ذلك**"، فعلى هذا يكون جملة استطراديّة، فإنّه لمّا ذكر ما نُزِّل على محمّد صلّى الله عليه وسلّم ذكر[٢] بطريق الاستطراد حُكمًا مِن أحكامه؛ وهو أنّه لا يَرِدُ النسخ عليه. فعلى هذا نقول: الضمير مِن قوله: "معناها" عائد إلى الجملة لا إلى الجملة الاعتراضيّة، فتأمّل.

وقوله:[٣] **(هو الحقّ)**[٤] على الوجه **الأوّل** مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة ٢/٢]، وقولِك: حاتِم الجواد، فكأنّ غيره بالنظر إليه وإلى اشتماله[٥]

---

١ ن: العطف.
٢ ن – ذكر.
٣ ف: قوله.
٤ وفي هامش د ف: أي: الثابت.
٥ ف: اشماله.

ويجوز أَن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبرَ مُبتدأ محذوف؛ أي: الأمرُ كما ذُكِر بهذا السَّبب، فيكون محلُّ الجارِّ والمجرُور مَنصُوبًا على هذا، ومَرْفوعًا على الأوَّل.

و"الباطل": ما لا يُنتفَعُ به، وعن مجاهدٍ: الباطلُ: الشَّيطانُ، وهذا الكلامُ يُسمِّيه علماء البيان: التفسيرَ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مِثْلَ ذلك الضَّربِ ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ والضَّميرُ راجعٌ إلى "النَّاس" أو إلى المذكُورِين من الفَريقَين على معنًى: أنَّه يَضربُ أمثالَهم لأجْلِ الناسِ ليَعتبِرُوا بهم.

فإن قلتَ: أين ضرْبُ الأَمثالِ؟

قلتُ: في أَنْ جُعِل اتِّباعُ الباطل مثَلًا لعَمل الكفَّار، ....

على الأمور الحقّة[1] الجليلة والفوائدِ الكثيرة ليس بحقّ كما يقول، كأنّ غير ذلك ليس بكتاب، وغير الحاتم ليس بجَواد. وأمّا على الوجه **الثاني** فظاهر مِن غير حاجة إلى هذا التكلّف، فإنّ غيره ليس بثابت لورود النسخ عليه، وهو الثابت الذي لا يَرِد عليه النسخ، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت ٤١/٤٢].

قوله: / **(بهذا[2] السبب)** أي: بسبب اتّباع. [٣٥٦ظ]

قوله: **(منصوبًا)** أي: ملتبِسًا، والصواب: أن نقول: هو منصوب لأنّه مفعول له.

قوله: **(وهذا الكلام)**[3] يعني: قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ﴾... إلخ، وإنّما سَمَّوه تفسيرًا؛ لأنّه ذكر حكم الفريقين أوّلًا، ثمّ بيّن بهذا الكلام سببَه وعِلّته.

قوله: **(قلتُ: في أن جُعِل)** فعلى هذا يكون قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾[4] إشارة إلى قوله: ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾... إلخ.

---

[1] ن: الحقية.

[2] ن: هذا.

[3] وفي هامش د ف: في مضمون الجملة السابقة -وهو الإضلال والتكفير- إبهام، فإنّه لأيّ شيء؟ فبيّن بهذه الجملة أيّ ذلك الإضلال والتكفير بسبب اتّباع الحقّ والباطل.

[4] ف: لذلك.

واتباعُ الحقِّ مثلًا لعَمل المؤمنين، أو في أَنْ جُعل الإِضلالُ مثلًا لخَيبةِ الكفّار، وَتكفيرُ السَّيئاتِ مثلًا لِفوز المؤمِنين.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾

﴿لَقِيتُمُ﴾ من اللِّقاء وهو الحَرْبُ.

﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أَصْلُه: فاضرِبُوا الرِّقابَ ضَربًا، فحذف الفعلَ وقدِّم المصدَرُ، فأُنيبَ منابَهُ مُضافًا إلى المفعول، وفيه اختصَارٌ مَع إعطاء مَعنى التوكيد؛ لأَنَّكَ تَذكُر المصْدرَ وتَدُلُّ على الفِعل بالنَّصبَةِ الَّتي فيه.

وضَرْبُ الرِّقاب عبارةٌ عن القَتِل؛ لأن الواجب أن تُضرَبَ الرِّقابُ خاصَّةً دون غيرها من الأَعْضاءِ، وذلك أَنَّهم يقولُون: "ضَربَ الأميرُ رقبةَ فلانٍ"، و"ضرَبَ عُنقَه وعِلاوَته"، و"ضربَ ما فيه عيْناه"، ....

قوله: **(أو في أنْ جُعِل الإضلال)** وعلى هذا يكون ﴿كَذَٰلِكَ﴾[1] إشارة إلى قوله:[2] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟﴾ إلى قوله: ﴿بَالَهُمْ﴾.

قوله: **(لأنّ الواجب)**... إلخ أي: إنّما عُبّر عن القتل وأُمِر به وأُشير إليه[3] لأنّ الواجب هو القتل، لا الاكتفاء[4] بقَطْع العُضْو أو الجَرْح[5] مثلًا. وقوله: **(وذلك أنّهم كانوا يقولون)** إشارة إلى صحّة التعبير عن[6] القتل بـ"ضَرْب الرقاب"،[7] أي: إنّما صحّ هذا التعبير لأنّ استعمالهم وارد على هذه الطريقة كثيرًا. ثمّ أشار

---

[1] ن: لذلك.

[2] ف + ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾... إلخ. قوله: (أو في أنْ جُعِل الإضلال) وعلى هذا يكون ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قوله.

[3] ن - (لأنّ الواجب)... إلخ أي: إنّما عُبّر عن القتل وأُمِر به وأُشير إليه.

[4] ن: الالتفاء.

[5] ن: والجرح.

[6] ن: على.

[7] وفي هامش د ف: مجاز مرسل مِن قَبيل ذكر السبب وإرادة المسبَّب.

إذا قَتله، وذلك أنَّ قتل الإنسان أكثرُ ما يكون بضرْبِ رقبتِه، فوقَع عبارةً عن القَتل وإن ضُرب غيرُ رقَبتِه من المقَاتِل كما ذكرنا في قَوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى ٣٠/٤٢]، على أنَّ في هذه العبارة من الغِلْظةِ والشِّدَّة ما ليْس في لَفْظِ القتْل؛ لِمَا فيه من تَصْوير القَتل بأشنَع صُورة، وهو حَزُّ العُنق وإطَارةُ العُضو الَّذي هو رأسُ البدَنِ وعِلْوُه وأَوْجَهُ أعضَائه، ولقد زاد في هذه الغِلظة في قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال ١٢/٨].

﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: أكثَرتُم قَتْلَهُم وأَغلَظْتُمُوه، من الشيءِ الثَّخينِ وهو الغليظُ، أو: أَثقلتُموهُم بالقتلِ والجِراح حَتَّى أذهبتُم عَنهم النُّهُوضَ ﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾: فأْسِرُوهُم. و"الوثاق" بالفتح والكسر: اسمُ ما يُوثَقُ به.

إلى سبب هذا[1] الاستعمال وصِحّته بقوله: **(وذلك أنّ قتل الإنسان)**... إلخ.

وقوله: **(أكثر ما يكون)**... إلخ أي: أكثر أوقات وجودِه حاصل إذا كان بضَرْب، فهو مثل قولك: أخطَبُ ما يكون الأمير قائمًا، سواء رفعتَ "أكثر" لتكون[2] الجملة -أعني: "أكثرُ" مع خبرها المحذوف- خبر "أنّ"، أو نصبت ليكون بدلًا مِن اسم "أنّ". وقوله: **(بضرب)** حال دائمًا. وقوله: **(إذا قتله)** أي: وإن كان قتله لا بضرب العُنق؛ بل[3] بوجهٍ آخر.

وقوله: **(على أنّ)** متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: **(وذلك)**... إلخ، فكأنّه قال: إنّما قال: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ لأنّ أكثر القتل يكون بضَرْب الرَّقبة، ولأنّ في هذه العبارة...

قوله: **(﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾[4] أكثرتم قَتْلَهم)**... إلخ فعلى هذا يكون المضاف محذوفًا، وعلى الوجه الثاني يكون مفعوله المتعدِّي إليه[5] بحرف الجرّ محذوفًا.[6]

---

[1] ن: هذه.
[2] د: ليكون؛ ن: ليكون.
[3] ن - بل.
[4] ن: أثخنتموهم.
[5] ن - إليه.
[6] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ يقال: فَداه وفاداه؛ إذا أعطى فداءَه فأنقذه وفداه بنفسه، وفدّاه تَفديةً إذا قال له: جُعلتُ فداءَك. صحاح. | الصحاح للجوهري، «فدى».

﴿مَنًّا﴾ و﴿فِدَآءً﴾ مَنصُوبان بفعْلَيْهما مُضمَرَيْن؛ أي: فإمَّا تَمنُّونَ منًّا وإمَّا تَفدُونَ فِداءً، والمعنَى: التَّخييرُ بَعد الأَسْرِ بَيْنَ أن تَمُنُّوا علَيهم فتُطْلِقُوهُم وبَين أن تُفادُوهم.

فإن قلتَ: كيف حُكمُ أُسارَى المشركينَ؟

قلتُ: أمَّا عند أبي حنيفة رحمه الله وأصحابِهِ فأحَدُ أمْرين: إمَّا قتْلُهم وإمَّا استرقاقُهم أيُّهما رَأى الإمام، ويقولُون في المنِّ والفِداء المذكورَيْن في الآية: نزَل ذلك في يومِ بدْرٍ ثمَّ نُسِخَ، وعن مجاهِد: ليس اليومَ مَنٌّ ولا فِداء، إنَّما هو الإسْلامُ أو ضرْبُ العُنق.

ويجوز أن يُراد بالمنِّ: أنْ يُمَنَّ عليْهم بتركِ القَتل ويُستَرقُّوا، أو يُمنَّ علَيهم فيُخلَّوا لِقَبُولهم الجِزيَة وكونهم من أهْلِ الذِّمَّة، وبالفداء أن يُفادَى بأُسارَاهُم أُسارى المُشركين، فقد رَواه الطَّحاويُّ مذْهبًا عن أبي حنيفةَ رحمه الله، والمَشهورُ أنَّه لا يَرى فدَاءَهُم لا بمالٍ ولا بغَيْره خِيفةَ أن يعُودُوا حربًا للمُسلمين.

قوله: **(في يوم بدر)** هذا مشكِل؛ لأنّ المَنَّ والفِداء لم يكن جائزًا يومَ بدر،[1] وإنّما وقع الفِداء يومَ بدر بالاجتهاد، وقد عاتب الله تعالى في ذلك فقال:[2] ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال ٦٧/٨] إلى قوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال ٦٨/٨]، حتّى[3] قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:[4] «لو نزَل مِن السماء عذابٌ ما نجا غير عمر»؛[5] لأنّه أشار بالقتل. وإذا ثبَت أنّه لم يكن يومَ بدر المَنّ والفِداء مشروعًا فكيف جازَ أن يقال: "نَزَلَ ذلك يوم بدر ثمّ نُسِخ"؟

قوله: **(خِيفةَ[6] أن لا يعودوا)** في بعض النسخ: "أن يعودوا" بغير "لا"، وهو[7] ظاهر معنًى. وفي بعض النسخ: "أن لا يعودوا"، فتكون "لا" زائدة.

---

[1] ن – هذا مشكِل؛ لأنّ المَنّ والفِداء لم يكن جائزًا يوم بدر.
[2] ن – فقال.
[3] ن: حين.
[4] د: عليه السلام.
[5] انظر: **جامع البيان** للطبري، ٢٨٣/١١ (الأنفال، ٦٨/٨)؛ **والكشف والبيان** للثعلبي، ١٤٤/١٣ (الأنفال، ٦٨/٨).
[6] ن – أن يقال: نزل ذلك يوم بدر ثمّ نُسِخ. قوله: (خيفةَ).
[7] ن – لا، وهو.

وأمَّا الشافعي رحمه الله فيقولُ: للإمامِ أن يختَار أحَد أَربَعةٍ على حَسَب ما اقتضَاه نَظرُهُ للمُسلمين، وهي: القَتلُ، والاستِرقاقُ، والفداءُ بأُسارَى المُسلمين، والمَنُّ، ويَحتجُّ بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنَّ على أَبي عُروَةَ الحَجَبيّ وعلى أُثالِ الحَنفيّ، وفَادَى رَجُلًا برَجُلَيْن من المُشركين، وهذا كلُّه مَنسوخٌ عند أصحاب الرأيِ.

وقرئ: "فَدًى" بالقَصْر مَع فَتح الفاء.

"أوزارُ الحرب": آلاتُها وأثقالُها الَّتي لا تقومُ إلَّا بها كالسِّلاح والكُراعِ، قال الأعشى:

وأَعــــدَدْتَ لـلـحـرب أَوزَارَهَــــا رِمَـاحًـا طِـوالًا وخَـيْـلًا ذكُـورَا

وسُمِّيت ﴿أَوْزَارَهَا﴾؛ لأنَّه لمَّا لم يكُن لها بُدٌّ من جرِّها، فكأنَّها تحملُهَا وتستَقِلُّ بها، فإذا انقضَتْ فكَأنَّها وضعتها.

وقيل: أَوزارُها: آثامُها؛ يَعْنِي: حتى يَتْرُك أَهلُ الحرْبِ -وَهُم المُشركون- شِركَهم ومعَاصِيَهم بأنْ يُسلِموا.

فإن قلتَ: ﴿حَتَّىٰ﴾ بمَ تَعلَّقَتْ؟

قلتُ: لا تخلُو من أَن تتعلَّق بالضرَّب والشَّدِّ، أَو بالمنِّ والفِداء، فالمَعنى على كلَا المتعَلِّقَين عند الشافعي رحمه الله: أنهم لا يزَالُون على ذلك أبدًا

قوله: (**أصحاب الرأي**) المراد بـ"أصحاب الرأي" أصحاب أبي حنيفة رحمه الله.[1]

قوله: (**لا تقوم**) أي[2] الحرب.

قوله: (**والكُراعِ**) أي: الخَيل.[3]

---

١ د - رحمه الله.

٢ ن: إلى.

٣ وفي هامش د ف: قوله: (فكأنّها تحملها)... إلخ المجاز في الإسناد من قَبيل الإسناد إلى السبب، فإنّ الحرب سبب لِحَمْل الأوزار ووضعها، ويحتمل أن يكون من قَبيل حذف المضاف، أي: حتّى يضع أهل الحرب أوزارها، لكن لفظ **الكشّاف** موافق للأوّل.

إلى أن لا تكون حَرْبٌ مع المشركين، وذلك إذا لم تَبقَ لهُم شَوكةٌ، وقيل: إذا نزَل عيسَى عليه السلام.

وعند أبي حنيفة رحمه الله: إذا عُلِّق بالضَّرب والشَّدِّ فالمعنى: أنَّهم يُقتَلُون ويُؤسَرُون حتى يضعَ جِنسُ الحَربِ الأوزارَ، وذلك حينَ لا تبقى شوكةٌ لِلمشركين، وإذا عُلِّق بالمنِّ والفِداء فالمَعنى: أنَّه يُمنُّ علَيهم ويُفَادَونَ حتى تضعَ حَرْبُ بدرٍ أَوزارَها، إلَّا أن يُتَأوَّل المَن والفداء بما ذكرنَا من التأويل.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمرُ ذلك، أَو: افعَلوا ذلك.

﴿لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾: لانْتَقَمَ مِنهم ببعضِ أسبابِ الهَلَكة من خسْفٍ أو رَجْفةٍ أو حَاصِبٍ أو غَرقٍ أو مَوتٍ جارِفٍ.

﴿وَلَٰكِن﴾ أمرَكم بالقِتال ﴿لِيَبْلُوَا۟﴾ المؤمِنين بالكافرين بأن يُجاهِدُوا ويَصْبروا حتى يستَوجِبوا الثواب العظيم، والكافرين بالمؤمنينَ بأَن يُعاجِلَهم على أيديهم ببعضِ ما وجَب لهم من العذاب.

وقرئ ﴿قُتلوا﴾ بالتخفيف والتشديد، و: "قَتَلوا" و: ﴿قُتِلُوا۟﴾.

وقرئ: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ و: "يُضَلَّ أعمالُهم" على البناء للمفعول، و: "يَضِلَّ أعمالُهم" مِن ضَلَّ.

قوله: (**حتّى يضع**[١] **جنسُ الحرب**) موافق لمذهب الشافعي رضي الله عنه.[٢]

قوله: (**بما ذكرنا مِن التأويل**) وهو أنْ يُمَنّ عليهم بترك القتل، فحينئذٍ يجوز أن يكون المعنى: حتّى يضع جنسُ الحرب الأوزارَ.[٣]

[٣٥٧و] قوله: (**أو حاصبٍ**) الحاصب:[٤] الريح الشديدة / التي[٥] تثير[٦] الحَصباء، وهي الحصا، يقال: حصَبْتُ الرجل أحصِبُه،[٧] أي: رمَيْتُه بالحَصباء. وقوله: (**جارِفٍ**) أي: مستَأصِلٍ.

---

١ ن: يضيع.

٢ د - رضي الله عنه. | انظر: **الحاوي الكبير** للماوردي، ٨/٤١٠.

٣ ن: للأوزار.

٤ ن: (أو حاحب) الحاحب.

٥ ن: الذي.

٦ ن: سير.

٧ ن: أحصبته.

وعن قتادةَ: أنَّها نزَلت في يوم أُحدٍ.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾

﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: أَعلَمَها لهُم وبيَّنَها بما يَعلَمُ به كلُّ أحَدٍ منزلَهُ ودرَجتَه منَ الجنَّة، قال مجاهِد: يهْتدِي أهْلُ الجنَّة إلى مَساكِنهم منها لا يُخطِئون، كأنَّهم كانُوا سُكَّانَها مُنذ خُلِقُوا لا يَستَدِلُّون علَيها [أحدًا].

وعن مقاتِلٍ: أنَّ الملَك الَّذي وُكِّل بحِفْظ عملهِ في الدُّنيا يَمْشِي بيْنَ يدَيْه فيُعرِّفُه كلَّ شيءٍ أعطاه اللهُ.

أو: طيَّبها لهُم، من العَرْفِ وهو طيبُ الرَّائحةِ، وفي كلام بعْضِهم: عَزْفٌ كنَوح القَماري، وعَزْفٌ كفَوْح القَمارِي.

أَو: حَدَّدهَا لهُم، فجَنَّةُ كُلِّ أحَدٍ مَحدُودةٌ مُفرَزةٌ عن غيرها، مِن عَرَّف الدارَ وَأرَّفَها، والعُرَفُ والأُرَفُ: الحُدود.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾

﴿إِن تَنصُرُواْ﴾ دينَ الله ورسُولَه ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عَدُوِّكم ويَفتَحْ لكُم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ في مَواطِن الحرْبِ، أو على محجَّةِ الإسْلام.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨﴾

قوله: (وعن قَتادة أنَّها نزَلَت) يعني: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾.

قوله: (وفي كلامٍ[1] بعضِهم: عَزْفٌ)... إلخ العَزْفُ: الصوت، والقَماريّ جمع القُمْريّ[2] في اسم طير غير[3] منصرف، وعودٌ قَمارِيّ منسوب إلى موضع ببلاد الهند.[4]

قوله: (والعُرَفُ والأُرَفُ: الحدود) العُرْفة والأُرْفة: الحدّ.

---

[1] ن: كلامهم.
[2] وفي هامش د ف: فإنّه مثل مصابيح.
[3] ن - غير.
[4] الصحاح للجوهري، «قمر».

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يَحتمل الرَّفع على الابتِداء، والنَّصبَ بما يُفسِّره: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ كأنَّه قال: أَتْعَسَ الَّذين كفروا.

فإن قلتَ: عَلامَ عُطِف قولُه: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؟

قلتُ: على الفعل الَّذي نصَب ﴿تعسًا﴾؛ لأنَّ المعنَى: فقَال: تعسًا لهم، أو: فَقَضَى تعسًا لهم.

و"تعسًا له" نقِيض: لَعًا له، قال الأعشَى:

فالتَّعْسُ أولَى لها مِن أن أقولَ لَعا

يُريد: فالعُثُور والانحِطاطُ أَقربُ لهَا مِن الانتِعاشِ والثبُوتِ.

وعن ابن عَباس رضي الله عنهما: يُريد: في الدُّنيا القَتلَ، وفي الآخِرَةِ التَّردِّيَ في النَّار.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾

﴿كَرِهُواْ﴾ القرآنَ و﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فيه من التَّكاليف والأحكام؛ لأنَّهم قد أَلِفُوا الإهمالَ وإطْلاقَ العنانِ في المَلاذِّ والشهَواتِ، فشَقَّ عليْهم ذلك وتَعاظَمهُم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۝١٠﴾

"دمَّره": أَهْلَكهُ، و"دَمَّر عليه": أهلكَ عليه مَا يختَصُّ بهِ، والمعنى: دمَّر الله عليْهم ما اختَصَّ بهم مِن أنفُسِهم وأولادهم وأموَالِهم وكلِّ ما كان لهُم.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ الضميرُ للعَاقبة المذكُورةِ، أو للهَلَكة لأنَّ التَّدْمِيرَ يدلُّ علَيها،

قوله: **(لَعًا)** أي: ثباتًا لها، أي: للناقة.

قوله: **(والمعنى: دمَّر[1] الله[2] عليهم ما اختصّ بهم)** يعني: مفعول ﴿دَمَّرَ﴾ محذوف للدلالة على العموم.

---

[1] ن: دمز.

[2] ن – الله.

أَو لِلسُّنَّة لقوله عَزَّ وجلَّ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ﴾ [الأحزاب ٦٢/٣٣].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾

﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: وَلِيُّهم وناصرُهم، وفي قراءةِ ابن مسْعُودٍ رضي الله عنه: "وَلِيُّ الَّذين آمنُوا".

ويُروى: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان في الشِّعب يومَ أُحُدٍ وَقد فشَتْ فيهم الجِراحاتُ، وفيه نزلَتْ، فنادَى المشركون: اُعْلُ هُبَل، فَنادَى المسلمون: اللهُ أعلَى وأجَلُّ، فنادَى المشركون: يومٌ بيَومٍ، والحَربُ سجالٌ،

قوله: (لقوله عزّ وعلا:[1] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب ٦٢/٣٣]) استدلّ بقوله عزّ وعلا على أنّ التدمير والإهلاك يسمّى سُنّة، فيجوز أن يعود الضمير مِن قوله: ﴿أَمْثَٰلُهَا﴾ إلى "السُّنّة"، فإنّ ذلك[2] سنّة مِن سنّة الله.

قوله: (وفيه نزلتْ) أي: في يوم أحُد نزلت هذه الآية، يعني: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... إلخ.

قوله: (اُعْلُ[3] هُبَل) "اُعْلُ"[4] أمرٌ مِن "علا يعلو"،[5] أي: ارتفع وصار عاليًا. و"هُبَلْ"[6] اسم صنم كان في الكعبة. وهو منادًى حُذف حرف[7] النداء منه.

قوله: (يومٌ بيوم) إنّما قال الكفّار ذلك لأنّ المسلمين غَلَبوا على الكفّار يومَ بدر، والكفّار غَلَبوا يومَ أُحُد.

قوله: (سِجال) السَّجْل: الدَّلْوُ إذا كان فيه ماء قَلّ أو كَثُر، والجمع سِجَال، ومنه قولهم: "الحرب سِجال"، يعني: يكون مرّة لهذا ومرّة لذاك، كالسَّجْل الذي يُقْسَم به الماء.[8]

١ ن: عزّ وجلّ.
٢ ن - سنّة، فيجوز أن يعود الضمير مِن قوله: ﴿أَمْثَٰلُهَا﴾ إلى "السنّة"، فإنّ ذلك.
٣ ن: على.
٤ ن: أعلى.
٥ ن: يعلوا.
٦ ن: وهيل.
٧ ن: رحف.
٨ انظر: **الصحاح** للجوهري، «سجل».

إنَّ لنَا عُزَّى ولا عُزَّى لكُم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قُولُوا: اللهُ مولانا ولا مَولى لكم، إنَّ القَتلى مختلِفةٌ، أمَّا قَتلانا فأَحيَاءٌ يُرزَقُون، وأَّما قَتلاكم ففي النَّار يُعذَّبُون».

فإن قلتَ: قولُه تعالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ مناقِضٌ لهذه الآيَة؟

قلتُ: لا تَناقُضَ بينهما؛ لأن الله مَولى عبادِهِ جميعًا، على مَعنى: أنَّه رَبُّهُم ومالكُ أَمْرِهم، وأما على مَعنى النَّاصر؛ فهُو مولى المؤمنين خاصةً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾

﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾: ينتَفِعُون بمَتاع الحيَاة الدُّنيا أيَّامًا قلائلَ ﴿وَيَأۡكُلُونَ﴾ غافِلين غيرَ مُفكِّرين في العاقِبة ﴿كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ في مَسارِحها ومعَالِفها غافِلةً عمَّا هي بصَددِه من النحر والذَّبحِ.

﴿مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾: مَنزلٌ ومقَامٌ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣﴾

وقرئ: ﴿وكائن﴾ بوَزنِ كاعِنْ.

وأَراد بالقرية: أَهْلَها، ولذلِك قال: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ كأنَّه قال: وكمْ من قومٍ هُم أشدُّ قوَّةً مِن قومك الَّذين أخرَجُوك أَهلكْنَاهُم، ومعنى أَخرجوك: كانوا سبَبَ خرُوجك.

قولـه: **(إنّ لنا عُزَّى)** "عُزَّى": اسم صنم، وهي في الأصل تأنيث الأعزِّ، سَمَّوا الصنم لاعتقادهم أنّ الأصنام على صور الملائكة، وهي إناثٌ باعتقادهم.

قوله: **(ومُقام)** المُقام: موضع الإقامة، وبالفتح: مَوضع القيام.

قوله: **(ومعنى[١] أخرجوك)** وإنّما قال معناه هذا لأنّه ما أخرجوه صلّى الله عليه وسلّم؛ بل خرج هو عليه السلام بعد ما مَكرَ به الذين كفروا ليُثْبِتوه

---

[١] ن: ومعتى.

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ وإنَّما هو أمْرٌ قد مَضى؟

قلتُ: مَجراه مَجْرَى الحال المحكِيَّة؛ كقَولك: أَهلكنَاهُم فهُم لا يُنصَرُون.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ⑭﴾

"مَن زُيِّن له": هُم أَهل مكَّة الَّذين زَيَّن لَهم الشيطانُ شِركَهم وعداوَتَهم لله ورسُولِه، و"مَن كان على بيّنةٍ من ربّه" -أي: على حُجَّةٍ من عنده وبُرهانٍ، وهُو القرآن المُعجزُ وسَائرُ المُعجزات- هُو رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم.

أو يَقْتُلوه أو يُخْرِجوه، فخرَج صلّى الله عليه وسلّم[1] لِمَكرهم هذا، فلهذا أُسنِد إليهم الإخراج.

قوله: **(فإن قلتَ: كيف قال؟)** اعْلَم أنّ هذا[2] السؤال مبنيّ على مسألة مذكورة في أصول الفقه؛ وهي أنّ بقاء وجه[3] الاشتقاق -أي: المعنى المشترك بين المُشتقّ والمشتقّ منه- شرط في إطلاق اسم المُشتقّ حقيقة، فلا يجوز أنْ يقال: "زيد ضارب" إلّا بمعنى أنّه مُشتغِلٌ بالضرب في الحال، ولا أن يقال: "زيد ليس بضارب" إلّا بمعنى أنّه ليس بمشتَغِل بالضرب في الحال، وكذا لا يقال: "لا ضاربَ لزيد" إلّا بمعنى لا أحدَ مشْتغِل بضربه[4] في الحال. واستدلُّوا عليه بأنّه يصحّ أن يقال لنَقضِ قول مَن قال: "هو ضارب": "هو ليس بضارب"، فلو لم يكن / المفهوم منهما الزمان الحال لم يصحّ نَقْض قول القائل: "هو ضارب" بقول الآخر: "هو ليس بضارب"؛ إذ لا نِزاعَ في أنّه ليس المراد منهما الماضي ولا المستقبل. [٣٥٧ظ]

هكذا ذكره الإمام فخر الدين الرازي في **المَحصول**،[5] وغيرُه في غيرِه. فلنَكتفِ بهذا القدر وإن كان عليه كلام كثير مذكور في موضعه سؤالًا وجوابًا، فإنّ الحاشية لا تحتمل أكثر[6] مِن ذلك.

---

[1] د: عليه السلام.

[2] ن - هذا.

[3] ن - وجه.

[4] ف: يضربه.

[5] انظر: **المحصول** للرازي، ١/٢٣٩.

[6] ن: أكثر.

وقرئ: "أَمَنْ كان على بَيّنةٍ".

وقال: ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ للحَمل على لَفظِ "مَن" ومَعناه.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

فإن قلتَ: ما مَعْنى قَوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾؟

قلتُ: هُو كلامٌ في صُورة الإثباتِ ومَعْنى النفيِ والإنكار؛ لانطِوائه تَحْت حكم كلامٍ مُصَدَّرٍ بحرفِ الإنكار، ودُخولِه في حيّزه وانخِراطِه في سلكِه،

إذا عرفتَ ذلك فنقول: وجه السؤال أن يقال: إنّ قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ إخبار عن أمرٍ قد مضى وانقضى، وقد عرفت أنّ معنى ﴿لَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾[١] الحال، فكيف وجه صحّة[٢] هذا القول؟ وجوابه ما ذكره المصنّف؛ وهو أنّ المراد به حكاية الحال الماضية، كما لو قلتَ: أهلكناهم فهمْ لا يُنصرون، فكما أنّ المراد بـ"لا يُنْصَرون" حكاية الحال الماضية، فكذا بقوله تعالى: ﴿لَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ أُريد حكاية الحال الماضية.

قوله: (**وقال: ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾**)... إلخ فيه لفّ ونشر.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ العائد محذوف، أي: وُعِدها المتّقون.[٣]

قوله: (**لانطوائه تحت حُكم كلامٍ**) لأنّ الكلام الثاني مَسُوق لبيان جزاء المذكورين في الكلام الأوّل، فالجنّة الموصوفة جزاء مَن كان على بيّنة، والنار[٤] المذكورة عقاب مَن زُيّن له سوء عمله. وأيضًا فالمتّقون مَن كان على[٥] بيّنةٍ،

---

١ ن - إخبار عن أمرٍ قد مضى وانقضى، وقد عرفت أنّ معنى ﴿لَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

٢ ن - صحّة.

٣ ن - العائد محذوف، أي وُعِدها المتّقون.

٤ ن: النار.

٥ ن: عليه.

وهو قولُه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فكأنه قيل: أمَثَلُ الجنَّة كمَن هو خالِدٌ في النَّارِ؟ أي: كمَثَلِ جَزاءِ مَن هُو خالِدٌ في النار.

فإن قلتَ: فلِمَ عُرِّيَ من حَرْف الإنكار؟ وما فَائدةُ التَّعْرِيةِ؟

قلتُ: تَعريتُه من حَرْفِ الإنكار فيها زيادةُ تصويرٍ لمكابَرةِ مَن يُسوِّي بين المُتمسِّك بالبيِّنةِ والتَّابعِ لهواه، وأنَّه بمَنزلةِ مَن يُثبِتُ التَّسويةَ بين الجنة التي تجري فيهَا تلك الأنهارُ وبين النار التي يُسقى أهلُها الحميمَ، ونظيرُه قولُ القائل:

أَفــــرَحُ أنْ أرْزأَ الكِــــرامَ وأن أُورَثَ ذَودًا شــــصَائصًا نَبــــلَا

ومَن[1] هو خالد في النار مَن زُيّن له سوء عمله، وإذا كان منطويًا تحته فالحرف الداخل على ذلك كأنّه داخل على هذا، فكأنّه قيل: أمَثَل؟ وقوله:[2] **(فكأنّه قيل)** الضمير ضمير الشأن، أي: فكأنّ الشأن. وقوله: **(أي: كمِثل جزاء مَن هو)** فحُذف[3] المضافُ والمضافُ إليه.

قوله: **(وأنّه بمنزلة)** عطفٌ على قوله: **(مُكابَرةِ)** مِن حيث المعنى، أي: ولِبيان أنّه، فهو مثل قول القائل:[4] "عَلَفْتُه تِبْنًا وماءً باردًا".

قوله: **(ونظيره قول القائل:**[5]

أفْــرحُ[6] أن أُرْزَأَ[7] الكــرامَ)... البيــتَ[8]

الرَّزيّة: المصيبة، والجمع الرَّزايا، وكذا الرُّزْءُ، والجمع: الأَرْزاء، ويقال: رَزَأْتُهُ[9] مالَه، أي: نقَصْتُه مالَه.[10] فقوله: "أُرْزَأ" فعل مضارع مبنيّ[11] للمفعول للمتكلّم مِن "رَزأْتُ". والذَّوْدُ[12] مِن الإبل: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وهي مؤنّثة،

---

١ ن: من.
٢ ن: قوله.
٣ ن: محذوف.
٤ ف: العائل.
٥ ف: العائل.
٦ ن: أوفرح.
٧ ن: أرارزأ.
٨ لحضرميّ بن عامر، كان له تسعة إخوة فهلَكُوا، فزعَم ابن عمّه أنّ حضرميًّا سُرّ بموت إخوته لأنّه ورِثهم، فقاله. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «جزأ».
٩ ن: رزاية.
١٠ انظر: **الصحاح** للجوهري، «رزأ».
١١ ن: معنى.
١٢ ن: والزود.

هُو كلامُ مُنكِرٍ لِلفرَح برَزيَّة الكِرام ووِرَاثَةِ الذَّود مع تَعَرِّيه من حَرف الإنكار؛ لانطِوائه تحت حُكمِ قَولِ مَن قال له: أتفرَحُ بمَوت أَخِيك وبوراثةِ إبلِه؟ والَّذي طُرِح لأجلِه حرف الإنكار إرادةُ أن يُصَوِّرَ قبحَ ما أُزِنَّ بهِ، فكأنَّه قال: نَعم مِثلِي يفرَحُ ....

لا واحد لها مِن لفظها، والكثير:[١] أَذْواد، وفي[٢] المَثَل:[٣] «الذَّودُ إلى الذَّود إبلٌ»، وقوله: "إلى" بمعنى "مع"، أي: إذا جمعتَ القليل إلى الكثير[٤] صار كثيرًا.[٥] والغَرَض مِن هذا المَثَل: أن لا يُحَقَّر شيء وإن كان قليلًا. والشَّصوصُ: الناقة القليلة[٦] اللبَن، وجمعه: شَصَائِص.[٧] والنُّبلة: العَطِيّة، وقد نَبُلَ -بالضمّ- فهو نبيلٌ، والجمع: نَبَلٌ بالتحريك، مثل: كَريم وكَرَم، والنَّبَلُ: الصِّغار أيضًا، وهو مِن الأضداد. يقول: أأفرح بصِغار الإبل وقد رُزِئتُ[٨] بكِبار الكِرام. / يعني: لا أفرح. وبعضُهم يرويه: "شَصائصًا نُبَلًا"، جمع نُبلَةٍ، وهي العظيمة، والنُّبَلُ أيضًا: حجارة الاستنجاء.[٩] [٣٥٨و]

قوله: (ما أُزِنَّ به) أي: أُتَهم. يقال: أزْنَنْتُه[١٠] بشيء، أي: اتّهَمتُه به، وهو يُزَنُّ بكذا.[١١] وكأنّ المصنّف أورد هذا اللفظ -أعني قوله:[١٢] "أُزِنَّ"- إشارةً إلى البيت المتقدِّم على ما أورده المصنّف ههنا، وهو قوله:

إن كنتَ أزْنَنْتَني بها كَذِبًا   جَزْءُ[١٣] فلاقيتَ مِثلها عَجِلَا[١٤]

قوله: "جَزْءُ"، أي: يا جَزْءُ،[١٥] وهو اسم مَن اتّهم الشاعر.

---

١ ن: ولكثير.
٢ ن: في.
٣ ن: مثل.
٤ عبارة **الصحاح**: "القليل مع القليل".
٥ **الصحاح** للجوهري، «ذود».
٦ ف: العليلة.
٧ ن: شصاص.
٨ ن: رزت.
٩ **الصحاح** للجوهري، «نبل».
١٠ ن: أزرتيه.
١١ **الصحاح** للجوهري، «زنن».
١٢ ن - قوله.
١٣ ن: حر.
١٤ لحضرمي بن عامر، مِن بيتين قالهما في ابن عمّه جَزْء بن سِنان حين اتَّهمه بفرحه بموت إخوته. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «جزأ».
١٥ ن: حر.

بمَرْزِئةِ الكِرَام وبَأن يَستبدِلَ مِنهم ذَودًا يقِلُّ طائله، وهو من التسليم الَّذي تحتَه كلُّ إنكار.

و﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾: صِفةُ الجنَّة العجيبَةُ الشَّأنِ، وهُو مُبتدأٌ وخبرُه: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾، وقولُه: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ داخِلٌ في حُكم الصِّلة كالتكريرِ لها، ألا ترى إلى صِحَّة قولِك: "الَّتي فيها أَنهارٌ".

ويجوزُ أن تكون خبرَ مُبتدأ محذوفٍ: هيَ فيها أَنهارٌ، وكأَنَّ قائلًا قال: ومَا مَثَلُها؟ فقيل: فيها أنهَارٌ، وأَن تكُون في مَوضع الحال؛ أي: مُستَقِرَّةً فيها أَنْهارٌ.

وفي قراءة عليّ رضي الله عنه: "أمثالُ الجنة"؛ أي: ما صِفاتُها كصفات النَّار.

وقرئ ﴿أَسِنٍ﴾، يُقال: أَسِنَ الماء وأَجِن: إذا تَغيَّر طَعمُهُ وريحُه، وأُنشِد ليَزيدَ بن مُعاوية:

قوله: (بمَرْزِئة)[١] المَرْزِئة: المصيبة، وكذلك[٢] الرزيّة والرُّزْء.[٣]

قوله:[٤] (كالتكرير[٥] لها) يريد: أنّها صِلة بعد صِلة كما يجيء الخبر بعد الخبر.

قوله: (هي) أي: صفة الجنّة. لمّا ذكر أنّه خبر مبتدأ محذوف، أشار إلى ذلك المبتدأ المحذوف بقوله: "هي". وفي كلام المصنّف أيضًا حذف، أي: تقدير الكلام: هي فيها أنهار، أي: صفة الجنّة هذا الكلام، وهو قولك: "فيها أنهار".

قوله: (ما صفاتها) يريد: أنّ معنى النفي والإنكار كما كان مرادًا في القراءة المشهورة فهو أيضًا مراد في هذه القراءة،[٦] فكما أنّ حاصل المعنى في القراءة المشهورة: ما[٧] صفة الجنّة كصفة النار، فكذا حاصل المعنى في هذه القراءة: "ما[٨] صفاتها[٩] كصفات النار".

---

١ ن: بمرزية.

٢ ن: ولذلك.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «رزأ».

٤ ن: وقوله.

٥ ن: والتكرير.

٦ يعني قراءة: "أَمْثالُ الجَنّة"، وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ وابن عبّاس رضي الله عنهم. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٣٩.

٧ وفي حاشية د ف: نفي.

٨ وفي حاشية د ف: نفي.

٩ ن: صفتها.

لَقَد سقَتْني رُضابًا غيرَ ذي أَسَنٍ كالمسكِ فُتَّ على ماءِ العَناقِيدِ

﴿مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ كما يتغيَّر أَلبَانُ الدُّنيا، فلا يعُود قَارصًا، ولا حازِرًا، ولا ما يُكرهُ من الطُّعوم.

﴿لَّذَّةٍ﴾: تأنيثُ لَذٍّ وهو اللَّذيذُ، أَوْ وَصْفٌ بمصْدرٍ، وقرئ بالحركاتِ الثلاثِ، فالجرُّ على صِفة الخمر، والرَّفعُ على صِفة الأنهارِ، والنَّصبُ على العلَّة؛ أي: لأجل لَذةِ الشَّاربين، والمعنى: ما هُو إلَّا التلذُّذُ الخالصُ ليسَ مَعه ذَهابُ عقلٍ ولا خُمارٌ ولا صُداعٌ ولا آفَةٌ من آفاتِ الخمر.

﴿مُّصَفًّى﴾: لم يَخرُج من بُطون النحل فيُخالطَه الشَّمعُ وغيرُه.

﴿مَآءً حَمِيمًا﴾ قيل: إذا دَنا مِنهم شوَى وُجُوهَهم ....

قوله: (رُضابًا)[١] الرُّضاب:[٢] الرِّيق.[٣]

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ الآسِن مِن الماء كالآجِنِ، وقد أَسَنَ الماء[٤] يَأْسَنُ ويأسُنُ[٥] أُسُونًا، ويقال أيضًا: أَسِنَ الماء -بالكسر- يأسَن أسَنًا، فهو أسِنٌ.[٦]

قوله: (قارِصًا)[٧]... إلخ القارِص:[٨] ما يَحْذي[٩] اللسان، أي: يَقْرُصه.[١٠] وقوله: (حازِرًا)[١١] أي: حامِضًا. وقوله: (ولا ما يُكْرَه) عطفٌ على قوله: "قارِصًا"،[١٢] و"ما" نكرة موصوفة بقوله: "يُكْرَه". و(مِن الطعوم) بيان "ما"، فكأنَّه قال: ولا يعود طعمًا يُكرَه.

قوله: (ولا خُمارٌ) الخُمار: بقيَّة السُّكْر.[١٣]

---

١ د ن: رُضاضًا.

٢ د ن: الرُّضاضُ.

٣ **الصحاح** للجوهري، «رضب».

٤ ن - كالأجِنِ، وقد أَسَنَ الماء.

٥ ن - ويأسُن.

٦ **الصحاح** للجوهري، «أسن».

٧ ن: قاصرًا.

٨ ن: القارض.

٩ ن: يحزي.

١٠ ن: يقرضه. | **الصحاح** للجوهري، «قرص». وعبارته: «القارِصُ: اللبَن الذي يَحذي اللسان».

١١ كذا في الأصول الخطِّيَّة، والصواب: "حازِرًا". الحازِرُ: اللبن الحامِض. وقد حَزَرَ اللبَنُ والنبيذ، أي: حَمُضَ. **الصحاح** للجوهري، «حزر».

١٢ ن: قارضًا.

١٣ **الصحاح** للجوهري، «خمر».

وانْمَازَتْ فَرْوَةُ رُؤُوسِهم، فإذا شَرِبُوه قَطَّعَ أمعاءهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾

هُم المنافقُون كانوا يحضُرون مجلسَ رسُول الله فيَسمعون كلامه ولا يَعُونه، ولا يُلقُون له بَالًا تَهَاوُنًا منهم، فإذا خَرجُوا قالُوا لِأُولي العِلم من الصَّحابة: ماذا قال الساعةَ؟ على جِهةِ الاستِهزاء.

وقيل: كان يخطُب، فإذا عَابَ المُنافِقِين خرَجُوا فقالُوا ذلك للعُلماء.

وقيل: قالوه لعَبد اللهِ بن مسعُود رضي الله عنه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنا مِنْهُم، وقد سُمِّيتُ فيمَن سُئِلَ.

﴿ءَانِفًا﴾ -وقرئ: ﴿أَنِفًا﴾ على فَعِلٍ- نصْبٌ على الظَّرف، قال الزجَّاجُ: هو من استأنفتُ الشيءَ: إذا ابتَدأتَه، والمَعنى: ماذا قال في أوَّل وَقتٍ يَقرُب منَّا؟

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى﴾ بالتَّوفِيق ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾: أعَانهم عليهَا، أو: آتاهُم جزاء تقوَاهم، وعن السُّدِّي: بَيَّنَ لهم ما يَتَّقُونَ.

وقرئ: "وأعطاهم".

وقيل: الضَّميرُ في ﴿زَادَهُمْ﴾ لقَول الرَّسُول، أو لاستِهزاء المُنافقِين.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾

قوله: (وانْمازَتْ) مِزتُ الشيء أميزُه مَيْزًا؛ عَزَلْتُه، فانماز وامتاز.[1]

قوله: (بالًا) البال: القلب، يقال: ما خطر فلان ببالي.

قوله: (ماذا قال الساعةَ؟) أي: ماذا قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم؟[2]

---

[1] الصحاح للجوهري، «ميز».

[2] د: عليه السلام.

﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدَلُ اشتمالٍ من ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾، نحو ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ [الفتح ٢٥/٤٨] مِن قوله: ﴿رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ [الفتح ٢٥/٤٨].

وقرئ: "إنْ تَأْتِهم" بالوقْف على ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ واستئنافِ الشرط، وهي في مَصاحِف أهْلِ مكّةَ كذلك.

فإن قلتَ: فمَا جزاءُ الشَّرط؟

قلتُ: قوله: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾، ومَعناه: إنْ تأتِهم الساعةُ فكيفَ لهُم ذِكْرَاهُم؛ أي: تذَكُّرهم واتِّعاظُهُم إذا جاءتهُم السَّاعةُ؛ يعني: لا تَنفعُهم الذِّكْرَى حينئذٍ، كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر ٢٣/٨٩].

فإن قلتَ: بِمَ يتَّصِل قولُه: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ على القِراءتَينِ؟

قلتُ: بإتيان الساعةِ، اتِّصالَ العِلَّة بالمَعلُولِ؛ كقَولك: "إن أكرَمنِي زيدٌ فأَنا حقِيقٌ بالإكرام أُكرِمْهُ".

و"الأَشراطُ": العَلاماتُ، قال أبُو الأَسْوَدِ:

فإنْ كُنتَ قد أَزمَعْتَ بالصُّرم بيْننَا فقَدْ جَعلَتْ أشــرَاطُ أَوَّلِــه تَبدُو

وقيل: مَبعَثُ مُحمَّدٍ خَاتَمِ الأنبياءِ -صلى الله عليه وعليهم- منهَا، وانشِقاقُ القَمر، والدُّخانُ.

قوله: ("إِنْ تَأْتِهِمْ") هي قراءة شاذّة.[1]

قوله: (اتّصالَ العِلّة بالمَعلول) مَجيء أشراط الساعة علّة لإتيان الساعة، كما أنّ كونك حقيقًا بأن يُكرِمَك الناس علّة لأنْ يُكْرِمَك زيدٌ، فظهر اقتران العلّة بالمعلول في[2] الصورتين.

قوله: (والأشراط: العلامات) جمع شَرَط بفتحتين.

قوله: (فقد جَعلَتْ) أي: طَفِقَتْ.

قوله: (منها) أي: مِن الأشراط.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي جعفر الرؤاسي عن أهل مكّة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٩؛ والبحر المحيط لأبي حيّان، ٩/٤٦٨ (محمد، ٤٧/١٨).

٢ ن: و.

وعن الكلبي: كَثْرةُ المالِ والتِّجارة، وشَهادةُ الزُّور، وقطعُ الأرحام، وقلَّةُ الكِرام وكثرَةُ اللِّئام.

وقرئ: "بَغَتَّةً" بوزن جَرَبَّةٍ، وهي غَرِيبةٌ لم تَرِد في المصَادر أُختُها، وهي مَرْويَّة عن أبي عَمرٍو، وما أَخْوَفَني أن تكُونَ غَلْطةً من الرَّاوي على أبي عمْرو، وأن يكُون الصوابُ: "بَغَتَةً" بفتح الغَيْن من غَيْر تَشديد؛ كقرَاءةِ الحَسن فيما تقدَّم.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

لمَّا ذكرَ حالَ المؤمنين وحالَ الكافرين قال: إذا عَلِمتَ أنَّ الأمرَ كما ذُكِر من سَعادة هؤلاء وشقاوةِ هؤلاء فَاثبُتْ على ما أَنتَ عليه مِن العِلم بوحدَانيَّة الله تعالى، وعلى التَّواضُعِ وهَضْمِ النفس باستغفارِ ذنبك وذنُوبِ مَن على دِينكَ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أَحوالكُم ومُتَصرَّفاتِكم، و﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في مَعايِشِكم ومَتاجِركُم، ويَعلمُ حيث تستقرُّونَ من مَنازِلكُم، أو: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في حيَاتكم ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ في القُبور.

أو: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في أَعمالِكم ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ من الجنَّة والنَّار، ومِثله حقِيقٌ بأن يُتَّقَى ويُخْشَى، وأَن يُستغفَر ويُستَرحَم.

قوله: **(بوزْن جَرَبّة) الجَرَبّة**: العانة مِن الحِمار، وربّما سُمّيَ الأقوياء مِن الناس إذا كانوا متساوين جَرَبّةً.[1] وبوزنها شَرَبّةٌ؛ وهو جانب الوادي.

قوله: **(لم تَرِدْ[2] في المصادر)** ولا في الصفات مثلها.

قوله: **(مرويّة عن أبي عمرو)** أي: شاذًّا.[3] وقوله: **(وما أَخْوَفني)** تعجّب. وقوله: **(أنْ / يكون)** أي: مِن أن يكون. [٣٥٨ظ]

---

[1] الصحاح للجوهري، «جرب».

[2] ن: يرد.

[3] قراءة شاذّة، مِن رواية الجُعفي عن أبي عمرو. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٩.

وعن سُفيان بن عُيَيْنَة: أنّه سُئل عن فضلِ العِلم، فقال: أَلَم تسمَع قولَه حينَ بدَأ به فقال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ فأمَر بالعَمل بَعْدَ العِلم، وقال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ [الحديد ٢٠/٥٧] إلى قوله: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾ [الحديد ٢١/٥٧]، وقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [الأنفال ٢٨/٨] ثم قال بَعدُ: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ [التغابن ١٤/٦٤]، وقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال ٤١/٨] ثُمّ أَمَر بالعَمل بَعْدُ.

قوله: (**حين بدأ به**) أي: بدأ بالعِلم، والبداية به دليل فضله.

قوله: (**ثمّ قال بعدُ: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ [التغابن ١٤/٦٤]**) واعلم أنّه قد وقع خَبْطٌ في هذا الموضع، إمّا مِن المصنّف أو مِن الناسخ، فإنّه ليس قوله تعالى: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ [التغابن ١٤/٦٤] بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾ [التغابن ١٥/٦٤]؛ بل القرآن هكذا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۞ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۞ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن ١٤/٦٤-١٦] هكذا[١] في آخر سورة التغابن، وليس فيها: "واعلموا" أصلًا. وكلامُه هنا في ذكر العِلم قبل العمل، لكن يمكن أن يكون إشارة إلى ما في سورة الأنفال، وهو قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [الأنفال ٢٨/٨]، ثمّ أشار إلى قوله تعالى: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ [التغابن ١٤/٦٤] في سورة التغابن بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾ [التغابن ١٤/٦٤]، فإنّ الآيتين متقاربتان معنًى، فإنّ كونهم فتنةً وكونَ بعضهم عدوًّا ممّا يَتناسبان معنًى. والله[٢] تعالى أعلم بالحقيقة، نسأل العفوَ عن الخطأ، والثوابَ على الصواب، قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال ٢٨/٨-٢٩].

قوله: (**ثمّ أمَر بالعمل بعدُ**) أي: بعدَ ذكر العِلم في هذه الآية. وإنّما قال المصنّف

---

[١] ن: هذا.

[٢] ن: الله.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٠﴾

كانوا يَدَّعُون الحِرصَ على الجهاد ويتَمنَّونَه بألسنتِهم، ويقُولُون: لولا أُنزلت سورةٌ في معنى الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ﴾ وأُمِرُوا فيها بمَا تَمنَّوا وحَرَصُوا عليه كاعُوا وشَقَّ علَيْهم، وسُقِطوا في أَيديهم؛ كقوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء ٤/٧٧].

﴿مُّحْكَمَةٌ﴾: مُبيّنةٌ غَيرُ مُتشَابهةٍ، لا تَحتمِلُ وَجْهًا إلّا وجُوبَ القِتال، وعن قتادة: كُلُّ سوُرة فيها ذِكْرُ القِتال فَهي مُحكَمةٌ، وهي أَشَدُّ القُرآن على المُنافِقين.

هكذا غيرَ مَبيّنٍ للعمل لأنّ الله تعالى لم يَذكر العمل بعد العِلم في هذه الآية كما في سائر الآيات التي استَشهد بها المصنّف، فكأنّه قال: ذكر الله تعالى العِلم في هذه الآية، وبيّن العمل في مواضِع أُخر بعدها، وهذا يدلّ على زيادة الاعتناء بشأن[١] العلم، وعلى تقدُّمه على العمل. والأولى[٢] مِن ذلك أن نقول: المراد بالأمر بالفعل هو قوله تعالى بعد ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾... [الأنفال ٨/٤٥] إلى آخر ما ذُكِر ههنا، لكن لمّا وقع بين الأمر بالعلم والأمر بالعمل في هذا الموضع فواصل كثيرةٌ قال المصنّف: "ثمّ أمَر بالعمل بَعدُ".

قوله: (كاعوا) كِعْتُ[٣] عن الشيء أكيع[٤] وأكاع لغة في كَعَعْتُ عن الأمر؛ إذا[٥] هِبْتَه وخِفْتَه.[٦]

قوله: (وسقطوا في أيديهم) أي: ندِموا، وذلك لأنّ النادم يَسقُط على يده فيَعَضُّها.

---

١ ن: لشأن.
٢ ن + بذلك.
٣ ن: لعب.
٤ ن: أليع.
٥ ن: إذ.
٦ ن: ورجعته. | **الصحاح** للجوهري، «كيع».

وقيل لها: مُحكَمةٌ؛ لأنَّ النَّسخ لا يَرِدُ عليهَا من قِبَلِ أن القتالَ قد نسَخَ ما كان من الصَّفح والمُهَادَنة، وهو غيرُ مَنسُوخٍ إلى يَومِ القِيامةِ.

وقيل: هي المحدَثةُ؛ لأنَّها حِين يَحْدُثُ نُزولُها لا يَتَناوَلُها النَّسخُ، ثمَّ تُنسَخُ بَعدَ ذلك أو تَبقَى غيْرَ مَنسُوخةٍ.

وفي قراءة عبدِ الله: "سورةٌ مُحْدَثةٌ".

وَقُرِئ: "فإذا نَزَلتْ سورةٌ... وذَكَر فيها القتالَ" على البِناء للفاعِلِ ونَصبِ "القتالَ".

قوله: (**وقيل لها: مُحكمةٌ**) أي: قيل للآية التي فيها القتال: مُحكمةٌ. ويمكن أن يكون معنى قول قتادة: أنّها لا يَرِدُ عليه النسخ.

قوله: (**مِن الصفْح**) أي: العَفْو. وقوله: (**والمُهادَنة**) أي: الصُّلح.

قوله: (**وقيل: هي المُحْدَثة**) أي: المُحكَمة هي المُحْدَثة النزول.

قوله: (**وفي قراءة عبد الله**) قراءة[١] ابن مسعود رضي الله عنه[٢] يؤيّد أنّ المراد بالمُحكَمة المُحْدَثة.

[٣٥٩و] / قوله تعالى:[٣] ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ وعيد. قال في **مجمل اللغة**: «﴿فَأَوْلَىٰ﴾ تهدّد ووعيد»، ثمّ قال: «أنشد[٤] ثعلبٌ:

فأَولى ثمّ أَولى ثمّ أَولى ... وهل للدَّرِّ يُحْلَبُ[٥] مِن مَرَدِّ

قال الأصمعي: 'قاربه ما يُهلكه'، أي: نزل به، وأنشد:

وأولى أن يَزيد على الثلاث[٦]

أي: قارب أن يزيد».[٧]

---

١ ن: وقراءة.

٢ د - رضي الله عنه؛ ن: عنهما.

٣ ف - تعالى.

٤ ن: أنشا.

٥ ف: يُجلَبُ.

٦ صدره في **مجمل اللغة**:
فعادَى بينَ هاديتَين منها

٧ **مجمل اللغة** لابن فارس، «ولي». | وفي هامش د ف: قوله: (إسنادًا مجازيًّا) في ﴿عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ مِن قَبيل الإسناد إلى المفعول به، وفي "جَدّ الأمرُ" مِن قَبيل الإسناد إلى الظرف.

﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هُم الَّذين كانُوا على حَرفٍ غَير ثابتِي الأَقدَام ﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: تشخَصُ أبصارُهم جُبنًا وهَلعًا؛ كما ينظرُ مَن أصَابتْهُ الغَشْيَة عِند الموت.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ وَعِيدٌ بمَعنى: فَوَيْلٌ لَهُمْ، وهُو أَفعلُ من الوَلي وهو القُرْبُ، ومَعناه: الدُّعاء عليْهم بأَنْ يَلِيَهُم المَكرُوه.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلامٌ مُستَأنفٌ؛ أي: طاعةٌ وقَولٌ معرُوفٌ خَيْرٌ لَهُم.

وقيلَ: هي حِكايةُ قولهم؛ أي: قالُوا: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾؛ بمعنى: أَمرُنا طاعَةٌ وقَولٌ مَعْروفٌ، ويَشهَدُ له قِراءةُ أُبيّ: "يقولون طاعةٌ وقولٌ معروفٌ".

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: جَدَّ، والعَزمُ والجِدُّ لأصحابِ الأمر، وإنَّما يُسنَدانِ إلى الأَمْر إسنادًا مجازيًّا، ومنه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان ٣١/١٧].

﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما زَعمُوا من الحِرْصِ على الجهادِ، أَو: فلَو صَدَقُوا في إِيمانِهم ووَاطأَت قلوبُهم فيه ألسِنتَهم.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾

"عَسَيتَ" و﴿عَسَيْتُمْ﴾ لغةُ أَهلِ الحجاز، وأمَّا بنُو تَمِيمٍ فيقُولُون: "عسَى أن تفعَل" و"عسَى أن تفعَلُوا"، ولا يُلْحقُون الضمائر. وقرأَ نافعٌ بكسرِ السين وهو غريبٌ.

وقد نُقِل الكلامُ من الغَيْبة إلى الخِطاب على طريقة الالتفاتِ ليكُونَ أَبلغ في التَّوبيخ.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ... أَن تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؟

قوله: (عَسَيتَ وعَسَيْتُم) يعني: عَسَيْتَ أن تفعل كذا، وعَسيتم أن تفعلوا، فحذف المصنّف ذلك لظهوره.

قلتُ: مَعناه: هل يُتوقَّعُ مِنكم الإفسادُ؟

فإن قلتَ: فكيف يَصِحُّ هذا في كلام الله عزَّ وعَلا وهُو عالِمٌ بما كان وما يكون؟

قلتُ: معناهُ: أنّكم لِمَا عُهِد مِنكُم أحقَّاءُ بأنْ يقُول لكم كُلُّ مَن ذاقَكُم وعَرفَ تَمرِيضَكُم ورَخاوةَ عقدِكم في الإيمان: يا هؤلاءِ! ما ترَون، هل يُتوقَّعُ مِنكم إن تَولَّيتُم أُمورَ الناس وتَأمَّرتم علَيْهم لِمَا تَبيَّن منكُم من الشواهِد ولاحَ مِنَ المخَائلِ ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ تناحُرًا على المُلك وتهالُكًا على الدُّنيا.

وقيل: إن أَعرَضتُم وتَولَّيتُم عن دين رسُول الله وَسُنَّتِه أن ترجِعُوا إلى ما كنتُم عَليه في الجاهليَّة من الإفسادِ في الأرض بالتَّغاوُر والتَّناهُبِ، وقطعِ الأَرْحامِ بمُقاتلةِ بعضِ الأَقارب بعضًا وَوأدِ البناتِ.

وقرئ: "وُلِّيتُم"، وفي قراءةِ عليّ رضي الله عنه: ﴿تُوُلِّيْتُم﴾؛ أي: إنْ تَولَّاكُم وُلَاةٌ غَشَمةٌ خَرَجْتُم معَهم ومَشَيتُم تحتَ لوائِهم وأَفْسدتُم بإفسادِهم.

وقرئ: ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ﴾ "وتَقَطَّعُوا"، مِن التقطيع والتقطُّع.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ۝٢٣﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى المذكُورين ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لإفسادهم وقَطعِهم الأَرحامَ، فمنعَهم ألطَافه وخذَلَهم حَتَّى صَمُّوا عن استماع المَوعظة، وعَمُوا عن إبْصارِ طريق الهُدى.

ويجوز أن يُريد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: المؤمنين الخُلَّصَ الثَّابِتينَ، ....

قوله: (تَمريضَكم) أي: تقصيرَكم.

قوله: (تناحُرًا)[١] أي: تَحارُضًا.[٢]

قوله: (مِن الإفساد) بيان "ما".

---

[١] ن: تناحر.

[٢] ن: تحارضًا.

وأنَّهم يَتَشوَّفونَ إلى الوَحْيِ إذا أَبطأَ عليهم، فإذا أُنزِلَت سُورةٌ في مَعْنى الجهاد رأيتَ المنافِقينَ فيما بينهم يَضجَرونَ مِنها.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وَيتَصَفَّحُونه وما فيه من المَواعظِ وَالزَّواجر ووعيدِ العُصاة حَتَّى لا يَجْسرُوا على المعاصي، ثمَّ قال: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ و﴿أَمْ﴾ بمَعنى: "بل" وهَمزةِ التَّقرير للتَّسجيل عَليهم بأنَّ قلوبَهم مُقفَلةٌ لا يَتوصَّل إليها ذِكرٌ.

وعن قتادة: إِذَن والله يَجِدُوا في القرآن زَاجِرًا عن مَعصيَةِ الله لو تدَبَّرُوه، ولكنَّهم أخذُوا بالمُتَشابه فهَلكُوا.

فإن قلتَ: لِمَ نُكِّرَتِ القُلوبُ وأُضِيفت الأَقفالُ إليها؟

قوله: **(يتشوَّفون)** يقال: تشَوَّفْتُ، أي: تَطلَّعتُ، والنساء يتَشَوَّفْنَ مِن السطوح، أي: يَنظُرْنَ ويَتطاوَلْن.[١]

قوله: **(إذن)** أي: إنْ[٢] تدبَّروا.

قوله: (**«يجدوا»**) نصب بـ"إذن".[٣] وقوله:[٤] (**«ولكنّهم أخذوا»**) قول قتادة رضي الله عنه:[٥] «ولكنّهم» إشارة إلى أنّ مِن جملة التدبّر أنْ لا يؤخذ بظاهر الآيات المتشابهة؛ بل تُرَدُّ إلى الآيات المحكمة، ويتحقّق معاني الآيات المتشابهة مِن الآيات المحكمة، كما أشار تعالى إلى هذا المعنى بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران ٣/٧].[٦]

١ **الصحاح** للجوهري، «شوف».

٢ ن - إن.

٣ ن: بإن.

٤ ن: قوله.

٥ د - رضي الله عنه.

٦ وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: أمّا التنكير)... إلخ على **الأوّل** التنكير للتعظيم، أي: قلوبٍ عظيمة في القسوة. وأمّا على **الثاني** فللإفراد والتبعيض مِن لوازمه، أي: فَرْدٍ مِن أفراد الجموع، فإنّ الأفراد قد تكون في المفرد، وقد تكون في الجمع.

قلتُ: أمَّا التنكيرُ ففيه وَجهانِ:

أن يُرادَ: على قلوبٍ قاسيَةٍ مُبْهَمٍ أمرُها في ذلك.

أَو يُراد: على بَعض القُلوبِ، وهي قلُوبُ المنافِقين.

وأمَّا إضَافة الأقفَال فلِأنَّه يُريدُ: الأَقفالَ المُختصَّةَ بهَا، وهي أقفَالُ الكفر التي استَغلقَت فلا تَنفَتِحُ.

وقرئ: "إقفالُها" على المصْدر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦﴾

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ جُملةٌ من مُبتدأ وخبَرٍ وقعَت خَبَرًا لـ﴿إِنَّ﴾ كقولك: إنَّ زيدًا عَمرٌو مَرَّ به.

﴿سَوَّلَ﴾: سهَّلَ لهُم رُكوبَ العَظائم، من السَّوَلِ، وهو الاستِرخاء، وقد اشتقَّه من السُّؤل مَن لا علْمَ له بالتَّصريف والاشتِقاق جميعًا.

﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾: وَمدَّ لهُم في الآمالِ والأَمانِي، ....

قوله: **(وقد اشتَقَّه مِن السُّول)** أي: المراد السُّول: ما يسأله الإنسان، وقُرئ قوله تعالى: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه ٢٠/٣٦] بالهمز[١] وبغير الهمز.[٢] وقوله: **(مَن لا علمَ له بالتصريف)** قال: أمّا جهله بالتصريف[٣] فلاختلاف[٤] التركيبَين؛[٥] لأنّ أحدهما مهموز، والثاني غير مهموز. وأمّا الاشتقاق فلأنّ حقيقته[٦] التقاء الصيغتَين في معنًى واحد، ولم يلتقيا.

---

١ ن: بالهمزة.

٢ ن - وبغير الهمز. | **الصحاح** للجوهري، «سول». وقرأ بغير الهمز أبو جعفر وأبو عمرو بخلف عنه وورش مِن طريق الأصبهاني. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٩٠/١.

٣ ن - (قال) أمّا جهله بالتصريف.

٤ ن: فاختلاف.

٥ ن: التركيبتن.

٦ ن: حقيقه.

وقرئ: ﴿وأُمْلِي لهم﴾ يَعني: أنَّ الشيطان يُغوِيهم، وأنا أُنظِرُهم؛ كقَوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ [آل عمران ١٧٨/٣]، وقرئ: ﴿وأُمْلِيَ لهم﴾ على البناء للمفعُول؛ أي: أُمهِلُوا ومُدَّ في عُمرهم.

وقُرئ: "سُوِّل لهم"، ومَعناهُ: كيدُ الشيطان زُيِّنَ لهُم، على تقديرِ حذفِ المضاف.

فإن قلتَ: مَن هؤلاء؟

قلتُ: اليهُودُ، كفَرُوا بمحمَّد صلى الله عليه وسلم مِن بَعْد ما تَبيَّن لهُم الهُدَى، وهُو نَعتُه في التوراة، وقيل: هم المنافِقون.

"الذين قالُوا" القَائلُون هم اليهُود، و"الَّذين كَرهُوا ما أَنزل الله": المنافقُون.

وقيل عكسُه، وأنَّه قولُ المنافِقين لقُرَيظةَ والنَّضِير: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ [الحشر ١١/٥٩].

وقيل: "بعضُ الأمر" التَّكذيبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بـ"لَا إلهَ إلَّا الله"، أو تركُ القِتال معه.

قوله: (**وقُرئ: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾**) أي: بإسكان الياء، وهو مِن الشواذّ،[١] وأمّا القراءتان المذكورتان أوّلًا وآخِرًا فمِن السبعة.[٢]

قوله: (**ومعناه: كيد**) يعني: "سُوِّل" في هذه القراءة[٣] مستنِد إلى الشيطان، لكنّ المضاف محذوف، والمعنى: سُوِّل لهم كيدُ الشيطان.[٤]

قوله: (**القائلون اليهود**) هذا إذا قلنا: هؤلاء هم اليهود.

قوله: (**وقيل: عكسه**) وهذا إذا قلنا: هؤلاء هم المنافقون. وقوله: (**وأنّه قول المنافقين**) مِن تتمّة قوله: (**عكسُه**).

---

١ بضمّ الهمزة وكسر اللام وإسكان الياء قراءة يعقوب الحضرمي مِن العشرة. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٧٤/٢.

٢ قرأ أبو عمرو البصري بضمّ الهمزة وكسر اللام وبياء مفتوحة، وقرأ باقي العشرة بفتح الهمزة واللام وقلب الياء ألفًا. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٧٤/٢.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ. **شواذّ القراءات للكرماني**، ص ٤٤٠.

٤ ن - لكنّ المضاف محذوف، والمعنى: سُوِّل لهم كيدُ الشيطان.

وقيل: هو قولُ أحَد الفريقَينِ لِلمشركين: سَنُطِيعُكم في التَّضَافُرِ على عَداوة رسُول الله والقعُودِ عن الجهاد معَه، ومَعنى ﴿فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾: في بعضِ ما تأمرُونَ به، أو في بَعض الأَمْر الَّذي يُهِمُّكُم.

﴿واللهُ يَعْلَمُ أسرارَهُم﴾ وقرئ: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ على المصدَر، قالُوا ذلك سرًّا فيما بينَهم فأفشاه الله عليهم.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾

أي: فكيفَ يَعملون، وما حِيلتُهم حينئذٍ؟

وقرئ: "تَوَفَّاهم"، ويحتملُ أن يكون ماضيًا، ومضارعًا قد حُذِفت إحدى تاءيهِ؛ كقَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النساء ٩٧/٤].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: لا يُتوفَّى أحَد على معصيةٍ إلَّا بضربٍ من الملَائكة في وَجهِه ودُبُره.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى التَّوفِّي المَوصُوفِ.

﴿مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ مِن كِتمانِ نعتِ رسُول الله.

و﴿رِضْوَٰنَهُۥ﴾: الإيمان برسُول اللهِ.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾

قوله: **(قول أحد الفريقين)** أي: اليهود أو المنافقون.

قوله: **(في التضافر)**[١] التضافر -بالضاد المعجمة-: التعاون.

قوله: **(أو في بعض الأمر الذي)** يعني: يجوز أن يكون "الأمر"[٢] واحد الأوامر، ويكون المراد به المأمور به، ويجوز أن يكون "الأمر" واحد الأمور.

---

[١] في بعض مطبوعات **الكشّاف**: التظافر.
[٢] ن: للأمر.

﴿أَضْغَٰنَهُمْ﴾: أحْقَادَهُم، وإخراجُها: إبرازُها لرسُولِ الله وللمؤمنين، وإظهارُهم على نِفاقِهم وعَداوتِهم لهُم، وكانت صُدورُهم تَغلِي حَنَقًا عليهم.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾

﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾: لعرَّفناكَهم ودَلَلْنَاك عليهم حتَّى تَعرفَهُم بأعيانِهم لا يَخْفَوْنَ عليك.

﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾: بعَلامَتِهم، وهُو أن يَسِمَهُم اللهُ بعَلامةٍ يُعْلَمُونَ بها.

وعن أنسٍ رضي الله عنه: ما خَفِي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعد هذه الآيةِ شيءٌ مِن المُنافِقين، كان يَعْرِفُهم بسيماهُم، ولقد كُنَّا في بعضِ الغزَواتِ وفيها تسعَةٌ من المُنافِقين يَشكُوهم الناسُ، فنَامُوا ذاتَ ليلةٍ وأصْبحُوا وعَلى جَبْهةِ كُلِّ واحِدٍ منهُم مَكتوبٌ: هذا منافِقٌ.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين اللَّامَينِ في ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾ ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾؟

قلتُ: الأُولى هي الدَّاخِلةُ في جواب ﴿لو﴾ كالَّتي في ﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ كُرِّرت في المَعطوف، وأمَّا اللَّام في ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ فواقِعةٌ مع النونِ في جوابِ قسَمٍ محذُوفٍ.

﴿فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾: في نحوِه وأُسلُوبه.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: هو قولُهم: ما لَنا إن أَطَعنا مِن الثوابِ، ولا يَقولُون: ما عَلينا إن عصَيْنا من العِقاب.

وقيل: اللَّحنُ: أن تلحَنَ بكلَامِك؛ ....

قوله: (وإظهارُهم) أي: إظهار المؤمنين والرسول، والإظهار: الإطْلاع.

قوله: (ما لنا إنْ أطَعْنا؟) أي: أيُّ شيء[1] لنا مِن الثواب إنْ أطَعْنا؟

[1] ن - شيء.

أي: تُميلَه إلى نَحْوٍ من الأنحاء لِيَفْطَنَ له صاحبُك كالتَّعريض والتَّوريةِ، قال:

وَلَقَد لحَنتُ لكُم لِكَيْما تَفقهُوا والـلَّـحنُ يَـعْـرفُـه ذوُو الألْـبـابِ

وقيل للمُخطِئِ: لاحِنٌ؛ لأنَّه يَعْدِلُ بالكلام عن الصَّوابِ.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾

﴿أَخْبَارَكُمْ﴾: ما يُحكَى عنكُم، وما يُخبَرُ به عن أعمالكم؛ ....

قوله: **(كالتعريض والتورية)** التعريضُ: أن يُضمَّن الكلام دلالة على ما ليس مذكورًا فيه، كما تقول في مَحْضر زيد: إنّ البخل قبيح، تريد:[١] أنّ زيدًا بخيلٌ، وكما تقول: إنّ عَمْرًا عالِمٌ، وتريد: أنّ زيدًا جاهل. ويقال: ورَّيتُ الخبَر توريةً؛ إذا سترتَه[٢] وأظهرتَ غيره، وكأنّه مأخوذ مِن وراء الإنسان، / فكأنّه تجعله [٣٥٩ظ] وراءه حيث لا يظهر.[٣] كقول أبي بكر رضي الله عنه حين كان يُهاجر مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[٤] وسأله شخصٌ فقال: «مَن هذا؟» -يريد النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم-[٥] فقال رضي الله عنه: «رجل يَهديني الطريق».[٦]

قوله: **(﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ ما يُحكى عنكم)** يريد: أنّ الخبر بمعنى المُخبَر عنه والمَحكِيّ. في هذه الحاشية نظرٌ، والصواب أن نقول: مراد المصنّف بقوله: **(ما يُخبر به)** هو الكلام الذي يُخبِر به[٧] الناس عن المنافقين، ولفظه يدلّ على هذا دلالةً ظاهرةً. وكذا المراد بما يُحكى عنهم: ما يَحكي الناس عن هؤلاء.

ثمّ اعلم أنّ معنى قوله: ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾ أي: ونعلمَ،[٨] واللهُ[٩] أعلم، فإنّ البلوى -أي: الاختبارَ والامتحان-[١٠] سببُ العلم، فأُريدَ به العلم، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾، فإنّ المراد به الامتحان والاختبار.

---

١ ف: يريد.

٢ ن: أسترته.

٣ **الصحاح** للجوهري، «ورى».

٤ د: عليه السلام.

٥ د: عليه السلام.

٦ انظر: **مسند أحمد**، ٤٢٦/٢٠ (١٣٢٠٥)؛ و**صحيح البخاري**، ٦٢/٥ (٣٩١١).

٧ ن - هو الكلام الذي يُخبر به.

٨ ن ويعلم.

٩ ن: الله.

١٠ د: ولامتحان.

لِنَعْلم حَسَنهَا مِن قَبيحِها؛ لأنَّ الخبَر على حسَب المُخبَرِ عنه، إنْ حَسَنًا فحَسَنٌ، وإنْ قبيحًا فقبيحٌ.

وتحرير معنى الآية: ولَنعاملَنّكم[١] معاملةَ المختبَر بأنْ نأمُرَكم بالقتال والجهاد حتّى يتبيَّن المجاهد والصابر على دينه مِن غيره، وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: العلم الذي هو علمُ وجود، وهو الذي يقع به الجزاء، وحتّى نعلمَ الأخبار التي يُخبَر بها عنكم أهي حسنة أم قبيحة؟ فإن تجاهدوا وتصبروا يُخْبِر الناسُ[٢] عنكم بأخبارٍ حَسَنةٍ، وهو أنّكم مجاهدون صابرون مؤمنون مطيعون، وإنْ لم تجاهدوا ولم تصبروا يُخبر الناسُ عنكم بأخبارٍ قبيحةٍ مثل أفعالكم القبيحة، فيقولون: ما جاهدوا ولا صبروا، وليسوا مؤمنين مطيعين مخلصين؛ بل هم كافرون منافقون، والله أعلم.

وكأنّ المصنّف رحمه الله[٣] فسَّر قوله تعالى: ﴿وَنَبۡلُوَاْ﴾ بـ"نُظهِرَ ونكشِفَ"، ولذا قال بعده: (**لنعلمَ حسَنها مِن قبيحها**)، كما فسَّره الواحدي حيث قال: «﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ أي: نُظهرَها ونكشفَها بإباء مَن يأبى القتال، ولا يصبر على الجهاد».[٤]

هذا لفظه، ونحن كتبنا في حاشية هذا الموضع مِن **الوسيط** هكذا: «**قوله**: 'أي: نُظهِرها'، فإنّ الله تعالى لمّا بلاهم بالأمر بالقتال وأبَوا[٥] القتال[٦] ظهرَ وانكشفَ كذبُ أخبارهم وأقوالهم في شأن أنّهم مؤمنون ممتثِلون، فكأنّ الله تعالى كشف أخبارهم بامتحانه إيّاهم بالتكليفات وبتركهم الامتثال».

وبعد أنْ ذكرنا لفظ **الوسيط** وحاشيتَنا هناك نقول: معنى كلام المصنّف جارِ الله العلّامة هو ما ذكرناه أوّلًا مع ما قلنا: إنّه يُفسِّر ﴿نَبۡلُوَاْ﴾ بـ"نُظهِرَ ونكشِفَ" كالواحدي، وإن كان بين تفسيرَيهما[٧] الآيةَ نوعُ[٨] مغايَرة، فإنّ المراد بـ﴿أَخۡبَارَكُمۡ﴾ على قول المصنّف:[٩] الأخبار[١٠] التي يُخبِر بها الناس عنهم. وعلى قول الواحدي:

---

١ ن: ولنعاملكنم.
٢ ف: الناسَ.
٣ د – رحمه الله.
٤ **التفسير الوسيط** للواحدي، ١٢٩/٤ (محمد، ٣١/٤٧).
٥ ف ن: وأبو.
٦ ن + وأبو الصبر.
٧ ف: تفسريهما؛ ن: تفسيرهما.
٨ ن: نحو.
٩ ن + للأخبار على قول المصنّف.
١٠ ن: للأخبار.

وقرأ يَعقوبُ: ﴿ونبلوْ﴾ بسُكون الواو، على معنى: ونحنُ نَبلُو أخبارَكم.

وقرئ: ﴿ولَيَبْلُوَنَّكم﴾ و﴿يَعْلَمَ﴾ ﴿ويَبْلُوَ﴾ بالياء.

وعن الفُضَيل: أنّه كان إذا قَرأها بكَى وقال: اللّٰهُم لا تَبلُنَا، فإنَّك إن بَلَوتَنا فَضحْتَنا وهَتكْتَ أستَارنا وعَذَّبْتَنَا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ الَّتي عَمِلُوها في دِينهم يَرجُون بها الثَّوابَ؛ لأنَّها مع كُفرِهم برسُول الله باطلةٌ، وهُم قُريظَةُ والنَّضيرُ، أو: سَيُحبِط أعمالَهُم الَّتي عَمِلُوها والمكائدَ الَّتي نصَبُوهَا في مُشاقَّة الرَّسول؛ أي: سيُبطِلُها فلا يَصِلُون منها إلى أَغراضِهم، بَل يَستضِرُّونَ بها ولا تُثمِرُ لَهُم إلَّا القَتلَ والجَلاء عَن أَوْطانِهم.

وقيل: هُم رُؤساء قُريش والمُطعِمُون يومَ بَدْرٍ.

هو أخبار هؤلاء عن أنفسهم. وليُعْتَمد على هذه الحاشية في حلّ هذا الموضع مِن الكشّاف، دون المكتوب على الصفحة الثانية.

قوله: (لِنعلم حسَنَها) أي: لِنعلم حَسَنَ الأخبارِ مِن قبيح الأخبار، فإنّ المُخْبَرَ عنه إذا كان حَسَنًا كان الخبر / كذلك، وإن كان قبيحًا فكذا. و"اللام" [٣٦٠و] في قوله: "لِنَعلم" متعلّق بقوله تعالى: ﴿نَبْلُوَاْ﴾، فإنّه وإنْ كان محذوفًا مِن لفظ الكشّاف لكنّه مُقدّر مراد. و"اللام" في قوله: (لأنّ) متعلّق بقوله: "لنعلم". ولو تأمّلتَ في لفظ القرآن المجيد ههنا تبيّن لك أنّ المعنى: لَنبلونّكم ولَنَمْتَحِن أفعالكم حتّى نَبلُوَ أخباركم، لِنَعلم أنّها حسَنة أو[١] قبيحة، فإنّه إنْ كان أفعالكم حَسَنةً كان إخباركم عن أنفسكم[٢] بالإيمان صادقًا، وإن كان أفعالكم قبيحةً كان إخباركم كَذِبًا غيرَ مطابق لأقوالكم، فيكون[٣] أخباركم وأقوالكم قبيحةً.

---

١ ف: أم.

٢ ف ن: نفسكم.

٣ ف: فتكون.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ أي: لا تُحبِطُوا الطَّاعاتِ بالكبَائر؛ كقَوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إلى أن قال: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ [الحجرات ٤٩/٢].

وعنْ أبي العاليةِ: كان أَصْحابُ رَسُول صلى الله عليه وسلم يَرَون أنَّه لا يَضرُّ مَعَ الإيمان ذَنْبٌ كما لا يَنفعُ مع الشِّرك عَملٌ، حتَّى نزلَتْ: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ فكانُوا يَخافُون الكبائرَ على أعمالهم.

وعن حُذيفَة: فخافُوا أن تُحبِط الكبائرُ أعمالَهم.

وعن ابن عُمر رضي الله عنهما: ....

قوله: (يُرَوْنَ) أي: يظنُّون.

قوله: (**يخافون الكبائر على أعمالهم**) واعلم أنّ خوف الكبائر على العمل لا يدلّ على ما هو مذهب المعتزلة مِن أنّ الكبائر تُحبِطُ العمل؛ لأنّها لو كانت مُحبِطةً له مُبْطِلة إيّاه لم يَحْسُن أن يُقال: خاف عليه؛ لأنّ ذلك حينئذٍ كان مُحقَّقًا مَعلومًا، لا[1] مَخوفًا؛ بل الخوف إنّما يكون حيث لم يتحقّق ذلك؛ بل يكون مُتوقَّعًا، وذلك[2] بأنّ المعصية تجُرُّ إلى المعصية،[3] وتكون سببًا لِرَيْنِ القلب، فربّما يؤدّي في العاقبة إلى الكفر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم ٣٠/١٠]، عَصَمَنا الله تعالى مِن ذلك بلطْفِه وكرمه، فهو المراد مِن الخوف، لا أنّ[4] الكبائر تُحْبِطُ.

قوله: (**وعن ابن[5] عمر رضي الله عنه**)...[6] إلخ[7] هذا الذي نقله عن ابن عمر رضي الله عنهما[8] موافق لمذهب أهل السنّة والجماعة، فإنّك إذا تأمّلتَ جميعَه علمتَ أنّه يدلّ على أنّ غير الشِّرك لا يُبطل الأعمال.

---

١ ف – لا.

٢ ن: ذلك.

٣ ن: المعصيّة.

٤ ن: لأنّ.

٥ ن: أبي.

٦ د – رضي الله عنه.

٧ ن + هذا الذي نقله عن أبي عمر رضي الله عنه... إلخ.

٨ د – رضي الله عنهما.

كُنَّا نُرَى أنّه ليْسَ شيءٌ من حَسَناتِنَا إلَّا مقبُولًا حتَّى نزَل: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾، فقلنا: ما هذَا الَّذي يُبْطِل أَعْمالَنا؟ فقُلنَا: الكبَائرُ المُوجِباتُ والفَواحِش، حتَّى نـزَل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء ٤/٤٨]، فكفَفنَا عن القَول في ذلك، فكُنَّا نخافُ على مَن أصابَ الكبائر، ونَرجُو لمن لم يُصبها.

وعن قتادةَ رحمه اللهُ: رَحِم اللهُ عَبْدًا لم يُحبِط عمَلَهُ الصَّالحَ بعَمله السَّيِّئ.

وقيل: لا تُبطِلُوها بمَعصِيتِهما.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لا تُبطِلُوها بالرِّياء والسُّمعة، وعنه: بالشك والنِّفاق.

وقيل: بالعُجب، فإنَّ العُجْبَ يأكلُ الحسَناتِ كما تأكلُ النَّارُ الحطبَ.

وقيل: لا تُبطلُوا صَدَقاتِكُم بالمنّ والأَذَى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾

﴿ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ قيل: هُم أصحَابُ القَليب، والظاهرُ العُموم.

﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾: فَلا تضعُفُوا، ولا تَذِلُّوا للعَدُو ﴿و﴾ لا ﴿تَدْعوا إلى السَّلم﴾ وقرئ: ﴿السِّلْم﴾ وهُما المُسالمةُ.

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾؛ أي: الأَغلبُون الأقهرُون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾؛ أَي: ناصِرُكُم، وعن قتادة: لا تكونُوا أوَّل الطَّائفتين ....

قوله: **(بمعصيتهما)** أي: بمعصية الله ورسوله. فقوله: **(وقيل)** عطفٌ على قوله: **(أي: لا تُحْبِطوا[١] الطاعات بالكبائر)**.[٢]

قوله: **(أصحاب القَليب)** أي: قَليب بَدرٍ مِن الكفّار الذين رماهم فيها المسلمون.

---

[١] ن: تحيطوا.

[٢] ن: الكبائر.

ضرِعَت إلى صَاحبَتِها بالمُوادَعةِ.

وقرئ: "ولا تدَّعوا" مِن ادَّعَى القومُ وتدَاعَوا: إذا دَعَوا، نحوَ قولك: ارْتَمَوا الصَّيدَ وتَرامَوه.

و﴿تَدعُوا﴾ مجزومٌ لدُخوله في حُكم النَّهي، أَو منصُوبٌ لإضمار "أن".

ونحوُ قولِه: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ قولُه: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه ٢٠/٦٨].

﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ من وتَرتُ الرَّجُلَ: إذا قتلتَ له قتيلًا من وَلدٍ أو أخٍ أو حَميمٍ، أو حَرَبْتَهُ، وحَقِيقَتُه: أفردْتَه مِن قريبِه أو مالِه، من الوِتْرِ، وهو الفردُ، فَشَبَّه إضاعَةَ عمَلِ العامِلِ وتعطيلَ ثوَابِه بوَتْرِ الوَاترِ، وهو من فصيح الكلام، ومنه قَوله عليه السلام: «مَن فاتَتهُ صَلاةُ العَصْر فكأنَّما وُتِرَ أَهْلَه ومالَه»؛ أي: أُفرِد عَنهما قَتْلًا ونهْبًا.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾

﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾: ثوابَ إيمانكِم وتَقْواكُم.

﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾؛ أي: ولا يَسألْكم جَميعَها، إنَّما يقتَصرُ مِنكم على رُبْع العُشرِ.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾

قوله: (ضَرِعَتْ) أي: مالَتْ على سبيل الخضوع.

قوله: (بالموادَعة)[1] الموادَعة: الصلح، وهو أنْ تَدْعَه[2] ويَدَعَكَ.

قوله: (قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه ٢٠/٦٨]) ﴿فَأَوْجَسَ[3] فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۞ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه ٢٠/٦٧-٦٨].

قوله: (أو حرَبْتَه) أي: أخذْتُ مالَه.

---

[1] ن: والموادعة.

[2] ف ن: تدَعَه.

[3] وفي هامش د ف: أي: أضمر.

ثمَّ قال: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾؛ أي: يَجْهَدْكُم ويُطلُبه كُلَّه، والإحفاءُ: المُبالغةُ وبُلوغُ الغايَة في كلِّ شيءٍ، يقال: أَحفاه في المَسألةِ: إذا لم يَترُكْ شيئًا مِن الإلحاحِ، وأَحفى شارِبَه: استأصَله.

﴿تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾ أي: تَضْطغِنونَ على رسُول الله وتَضِيقُ صُدوركُم لِذلك، وأَظهرْتُم كَراهَتكُم ومَقْتَكُم لِدينٍ يَذْهَبُ بأمْوالِكُم، والضَّميرُ في ﴿يُخرِجْ﴾ للهِ تعالى؛ أي: يُضغِنْكُم بطَلَب أَموالكم، أَو للبُخلِ؛ لأنَّه سَبب الاضطِغان.

وقرئ: "نُخْرِجْ" بالنون، و: "تَخرُجْ" بالياء والتاء مَع فَتْحِهما ورَفْعِ "أضغانُكم".

﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ مَوصُولٌ بمعنَى الَّذِين، صِلتُه: ﴿تُدْعَوْنَ﴾؛ أي: أنتُم الَّذين تُدْعَون، أَو: أَنتُم يا مُخاطَبُون هَؤلاء الموصُوفُونَ، ثُمَّ استأنَفَ وَصْفَهم كأنَّهم قالُوا: وما وَصْفُنَا؟ فقيل: ﴿تُدْعَوْنَ﴾.

﴿لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: هي النَّفقةُ في الغَزوِ، وقيل: الزكاةُ، كأنَّه قيل: الدَّليلُ على أنَّه لو أَحْفاكُم لبَخِلْتُم وكَرِهْتُم العطاءَ واضْطَغَنْتُم: أنَّكم تُدْعَون إلى أداء رُبْع العُشر ﴿فَمِنكُم﴾ ناسٌ يَبخلُونَ بهِ، ثمَّ قال: ﴿وَمَن يَبْخَلْ﴾ بالصَّدقة وأداء الفَريضةِ فلا يتعَدَّاهُ ضَرَرُ بُخلِه، وإنَّما يَبخلُ عَلى ﴿نَفْسِهِۦ﴾، يُقالُ: بَخِلتُ عليْه وعَنه، وكذلك: ضَنِنْتُ عَليه وعَنه.

ثم أخبَرَ أنه لا يَأمر بذلِك ولَا يَدعُو إليه لِحاجتِه إليه، فهو الغنيُّ الَّذِي يَستحِيلُ عَليه الحاجاتُ، ولكن لحاجَتِكُم وفَقْرِكُمْ إلى الثواب.

قوله: (**أو أنتم يا مخاطبون**) فعلى هذا الوجه يكون ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ اسم إشارة، لا موصولًا.

قوله: (**كأنّه قيل: الدليل**)... إلخ "الدليل" مبتدأ خبره (**أنكم**).

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ معطوف على: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾.

﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: يَخلُقْ قومًا سِواكُم على خِلاف صِفتكم راغِبْين في الإيمان والتَّقوى غيرَ متوَلِّين عَنهما، كقوله: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم ١٤/١٩].

وقيل: هم المَلائكة، وقيل: الأنصارُ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كِنْدَةُ والنَّخعُ، وعن الحسن: العَجمُ، وعن عِكرمَة: فارسُ والرُّومُ.

وسُئِلَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سَلْمَانُ رضي الله عنه إلى جَنْبِهِ، فضرَبَ على فخذِه وقال: «هذا وقومُه، والَّذي نفْسي بيده لو كان الإيمانُ مَنوطًا بالثُّريا لَتناوَله رجَالٌ مِن فارسَ».

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة محمَّدٍ كان حَقًّا على الله أَن يَسْقِيَه من أَنهار الجنَّة».

قوله: (**كقوله: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر ٣٥/١٦]**) قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر ٣٥/١٦-١٧].

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنّه وكَرمه.[1]

---

١ ف ن – ومَنّه وكرمه.

سورة الفتح

مَدنيَّةٌ، وهيَ تِسْعٌ وعِشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾

هو فتحُ مكَّة، وقَد نزلت مرجعَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم عن مكةَ عامَ الحُدَيبية عِدَةً له بالفتح، ....

سورة الفَتح

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (هو فتح مكّة) "هو" عائد إلى الفَتح الذي يَدُلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾؛ / لأنّ لفظ القرآن في مواضعِ تفسيره يكون كالمذكور، فهو مثل قوله تعالى: ﴿اَعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة ٥/٨].[2] وقوله: (وقد نزلتْ مَرجِعَ) حال مِن قوله: "فتحُ مكّة"؛ لأنّه في معنى المفعول، فكأنّه قيل: أراد الله تعالى بقوله: ﴿فَتَحْنَا﴾ فتحَ مكّة، أي: وقد نزلت الآية وقتَ رجوعه. [٣٦٠ظ]

وقوله: (عِدَةً له) مفعول له مِن "نزلَت"؛ إمّا لأنّ نزلَت[3] في معنى أنزلها الله تعالى، والعِدَة أيضًا فِعلُه تعالى، فيكون فِعلًا لفاعل الفِعل المعلّل، وإمّا على جعل الآية النازلة واعِدة على طريقة المَجاز، فيكون أيضًا فِعلًا لفاعل[4] الفعل[5] المعلّل.

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ف: إلى التقوى

[3] ن – وقتَ رجوعه. وقوله: (عِدَةً له) مفعول له مِن "نزلتْ"؛ إمّا لأنّ نزلتْ.

[4] ن: الفاعل.

[5] ف ن – الفعل.

وجيء به على لفظ الماضي على عادة ربّ العِزَّةِ سبحانهُ في أخبارِه؛ لأنّها في تحَقُّقها وتيَقُّنها بمنزلةِ الكائنَةِ الموجُودة، وفي ذلك من الفخَامةِ والدلالة على عُلوّ شأنِ المخْبِرِ ما لا يخفَى.

فإن قلتَ: كيف جُعلَ فتحُ مكّةَ علّةً للمغفرةِ؟

قلتُ: لـم يُجعل علةً للمغفرة، ولكنْ لِاجتماعِ ما عُدِّد من الأمُور الأربعة، وهي: المغفرةُ، وإتمامُ النِّعمةِ، وهدايةُ الصِّراط المستقيمِ، والنَّصْرُ العزيزُ، كأنّه قيل: يَسَّرنَا لك فتحَ مكّة ونَصرناك على عَدوِّك لنَجْمع لك بين عِزِّ الدَّارَين وأغراضِ العاجلِ والآجِلِ.

وقوله:[١] **(وقد جيء[٢] به)** عطفٌ على قوله: "نزلَت"، وبه عائد إلى الفتح. وقوله: **(على عادة)** في مقام المصدر لـ"جيء"، أي: مَجيئًا[٣] مُستقِرًّا على عادة الله تعالى.

وحاصل المعنى: أنّه تعالى أراد بالفتح فتحَ مكّة، وجاء بـ﴿فَتَحْنَا﴾ بلفظ الماضي مع نزوله قبل فتح مكّة، وهو وقت رجوعه عن الحديبية. وإنّما فعل تعالى كذلك إجراء[٤] لكلامه على عادته تعالى، وهو الإخبار عن الأمور المترقَّبة بالألفاظ الماضية؛ لأنّ أخبارها وإن كانت عن الأمور المترقَّبة، فهي[٥] كالواقعة الموجودة.

ثمّ أشار المصنّف إلى فائدة إيراد هذا النوع -وهو جَعل غيرِ الواقع كالواقع لأجل تحقّقها وتيقُّنِها- بقوله: **(وفي ذلك)**... إلخ، فكأنّه قيل: ما أردناه لا بدّ أنْ يكون، فكأنّه قد كان؛ إذ لا رادَّ لقضائنا، ولا مانعَ لحُكمنا، يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد.

قوله: **(قلتُ: لم يُجعل عِلّةً للمغفرة)** أي: وحدَها. واعلم أنّ تقدير "وحدَها" ههنا غير صحيح؛ بل الوجه أن نقول: المعنى أنّه ليس علّة للفتح؛[٦] بل هو علّة لاجتماع هذه الأمور.

---

١ ف: قوله.
٢ ن: حكى.
٣ ن + أي.
٤ ن: إجزاء.
٥ ن: فهو.
٦ وفي هامش د ف: للمغفرة.

ويجوز أن يكون فتحُ مكّةَ من حيث إنّه جِهادٌ للعدُوِّ سببًا للغُفران والثواب.

و"الفتح": الظَّفَرُ بالبَلدِ عَنوةً أو صلحًا بحزبٍ أو بغيرِ حربٍ؛ لأنّهُ مُنْغَلِقٌ ما لـم يُظْفَرْ به، فإذا ظُفِر به وحصل في اليدِ فقد فُتِح.

وقيل: هو فتح الحُدَيبية، ولم يكُن فيه قِتالٌ شديدٌ، ولكن ترَامٍ بين القوم بسهَامٍ وحجارَةٍ، وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: رمَوا المشركينَ حَتَّى أَدخلُوهم ديارَهم، وعن الكلبيّ: ظهرُوا عليهم حتى سألوا الصُّلح.

فإن قلتَ: كيف يكون فَتْحًا وقد أُحصِروا فنحَرُوا وحَلقُوا بالحُديبيَة؟

قوله: **(والفتح: الظَّفَر)** يعني: فتح البلد هو الظَّفَر بالبلد؛ لأنّ الفتح مطلقًا هو الظَّفَر بالبلد، وهذا ظاهر.

قوله:[1] **(بحربٍ أو بغير حرب)** كالبيان بطريق البدل لقوله: **(عَنْوةً أو صُلحًا)**، ففيه لفّ ونشر. وإنّما أتى بـ"الباء" فيهما لأنّ تقدير "عَنْوةً أو صُلحًا": بعَنْوة أو صُلح، فحُذف الجارّ ونُصِبا،[2] فهما مثل: ضربتُه سَوطًا. وقوله: **(لأنّه مُنْغَلِق)**[3] متعلّق بمعنى قوله: "الفتح: الظفر"، فكأنّه قيل: سُمّي الظَّفَر فَتحًا لأنّه...، أو أريدَ بالفتح الظَّفَر لأنّه...

قوله: **(ولم يكن فيه قتال)** إلى قوله: **(سألوا الصُّلح)** بيان أنّ صُلح الحديبية[4] يجوز أنْ يسمّى فتحًا. والأَولى أن نقول: هذا الكلام فائدة ذكرها، لا أن يقال:[5] هو بيان جواز تَسْميته فتحًا، لِما ذكر أنّ الفتح هو الظَّفَر، سواء كان هناك حرب أو لم يكن، ولم يكن هناك ظَفَر بالبلد، لكن شُبّه به كما ذكر في جواب السؤال.

قوله: **(ظهروا عليهم)** أي: غَلَبوا.

---

[1] ن - المعنى أنّه ليس علّة للفتح؛ بل هو علّة لاجتماع هذه الأمور. قوله: (والفتح الظَّفَر) يعني: فتح البلد هو الظَّفَر بالبلد؛ لأنّ الفتح مطلقًا هو الظفر بالبلد، وهذا ظاهر. قوله.

[2] ن: وصبا.

[3] ن - منغلق.

[4] ف: الحديبيّة.

[5] ف + بيان.

قلتُ: كان ذلك قبل الهُدنَة، فلمَّا طلبُوها وتمَّت كان فتحًا مُبِينًا.

وعن مُوسَى بن عُقْبَةَ: أَقبلَ رسُولُ الله مِن الحُديبيَة راجعًا، فقالَ رجُلٌ من أصحابِهِ: ما هذا بفتحٍ، لقَدْ صَدُّونا عن البَيْت وصُدَّ هَدْيُنَا، فبلَغ النَّبيَّ عَليْه السَّلام فقال: «بئسَ الكلامُ هذا، بل هو أَعظَمُ الفُتوح، قد رضيَ المشركُون أَن يدفَعوكم عن بِلادهِم بالرَّاحِ، ويَسْأَلوكم القَضيَّةَ ويَرغبُوا إليكم في الأمَان، وقد رَأوا منكم ما كرِهُوا».

وعن الشَّعْبي: نزَلتْ بالحُديبيَة، وأصَاب رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم في تِلك الغَزوةِ ما لم يُصِبْ في غَزوةٍ، أصَابَ أنْ بُويِعَ بَيْعةَ الرِّضوان، وغُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِهِ وما تأخَّر، وظَهرت الرُّومُ على فَارس، وبَلَغَ الهَدْيُ مَحِلَّه، وأُطعِمُوا نَخلَ خَيبَر.

قوله: (**قلتُ: كان ذلك**) أي: الإحصار والنَّحْر والحَلْق. وقوله: (**الهُدْنة**) هادَنَه: صالَحَه، والاسم الهُدْنة.[1] وقوله: (**فلمّا طلبوها**) أي: طلب[2] أهل مكّة الهُدنة.

[٣٦١و] قوله: (**بالراحِ**)... إلخ الراح: جمع راحة، أي: بأكُفِّهم[3] / تَقيّة منكم، و"القضيّة": الصُّلْح، قيل:[4] «هذا ما قاضى[5] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم».[6]

قوله: (**وعن الشعبي: نزلَت**) أي: نزلَت هذه الآية أو السورة.

قوله: (**وظهرَت الروم على فارس**) أي: غلَبت أهل الروم على أهل فارس، وبه تبيّن صدق ما أخبر الله تعالى في قوله: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم ٣٠/١-٢]، على ما مرّ قصّتُه، ففيه ظهور معجزة الرسول صلّى الله عليه وسلّم.[7]

قوله: (**وأُطعِموا**) أي: جُعِلَ نَخْل خيبر طُعْمةً لهم.

---

[1] ن: والهدنة.

[2] ف: طلبوا.

[3] ن: بألعهم.

[4] أي: في صلح الحديبية. انظر: **صحيح البخاري**، ١٨٤/٣ (٢٦٩٩)؛ و**صحيح مسلم**، ١٤١٠/٣ (١٧٨٣).

[5] وفي هامش د ف: أي: صالَحَ.

[6] د: عليه السلام.

[7] د: عليه السلام.

وكان في فتح الحُديبيةِ آيةٌ عظيمةٌ، وذلك أنه نُزِحَ ماؤُهَا حتَّى لم تبقَ فيها قَطرةٌ، فتمضمَضَ رسُول الله ثم مَجَّه فيها، فدَرَّتْ بالماءِ حتى شرِبَ جميعُ مَن كان معه.

وقيل: فجاشَ الماءُ حتَّى امتلأت ولم يَنفَدْ ماؤها بَعْدُ.

وقيل: هو فتحُ خَيبر، وقيل: فتحُ الرُّوم.

وقيل: فتحُ اللهِ له بالإسلامِ والنُّبوَّة والدَّعوةِ بالحجَّة والسَّيفِ، ولا فتْحَ أَبينُ منْهُ وأَعظَمُ، وهو رَأس الفتُوح كلِّها؛ إذ لا فتحَ من فُتُوح الإسلام إلَّا وهو تحْتَه ومُتَشعِّبٌ منه.

وقيل: معناهُ: قضَيْنا لك قضَاءً بيِّنًا على أهلِ مكَّةَ أن تَدخلَها أنت وأصحابُكَ مِن قابِلٍ لِتَطُوفُوا بالبَيْت، من الفُتاحة وهي الحكُومة، وكذا عن قتادَةَ.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾

﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يُريد: جميعَ ما فَرَطَ مِنك، ....

قوله: (**نُزِح ماؤها**)[١] يقال: نزحتُ البئرَ نَزْحًا؛ استقيتُ ماءَها[٢] كلَّه.[٣]

قوله: (**الحديبية**)[٤] اسم بئر.

قوله: (**وقيل: فتح الروم**)[٥] فعلى هذا أخبر تعالى عنه قبل[٦] وقوعه كما قلنا في فتح مكّة.

قوله: (**إلّا وهو تحته**) أي: تحت فتح الإسلام، ومُنشَعِب مِن فتح الإسلام.

قوله: (**وقيل: معناه**) عطفٌ على قوله في أوّل السورة: "وهو[٧] فتح مكّة".

قوله: (**مِن قابِلٍ**) أي: مِن عامٍ قابلٍ.

---

١ ن: ماها.
٢ ف: ماؤها.
٣ **الصحاح** للجوهري، «نزح».
٤ ف: الحديبيّة.
٥ ف + إلى آخره.
٦ ن: قيل.
٧ ف ن: هو.

وعن مقاتل: ﴿مَاتَقَدَّمَ﴾ في الجاهليَّةِ وما بعدَها.

وقيل: ﴿مَاتَقَدَّمَ﴾ من حديث ماريةَ ﴿وَمَاتَأَخَّرَ﴾ من امرَأة زَيْدٍ.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ③﴾

قوله: **(في الجاهليّة)** أي: في زمِن الجاهليّة.

قوله: **(مِن حديث ماريةَ)** ماريةَ القبطيّة جارية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[١] أصابها في بيت حَفْصة، وكانت غائبة، فلمّا جاءت شَقّ ذلك عليها وبكَت، فقال عليه السلام: «هي جاريتي، أحلّها الله لي، اسكتي فهي حرام عليّ، أبتغي بذلك رضاكِ، ولا تُخبري أحدًا»، فأخبرت عائشةَ بذلك، فنزل:[٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم ١/٦٦].[٣] فالمراد مِن غُفران ذلك غُفران تحريم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٤] ماريةَ على نفسه، فإنّه عُوتب على ذلك بقوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم ١/٦٦].

وقوله: **(مِن امرأة زيد)** فالمراد مِن حديث زيدٍ قوله صلّى الله عليه وسلّم[٥] لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب ٣٧/٣٣]، مع أنّه كان في نفس النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٦] أنْ يُطلّقها زيد[٧] ليتزوّجها، فعاتبه الله تعالى على ذلك وقال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب ٣٧/٣٣]، وإنّما عاتب الله تعالى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٨] لأنّه لم يَلِقْ لمرتبته[٩] مخالِفةُ الظاهر الباطنَ،[١٠] وإنْ كان الذي فعله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[١١] مستحسَنًا بحسب العادات ورعاية المروّة كما مرّ في سورة الأحزاب.

---

١ د: عليه السلام.

٢ ن: فنزلت.

٣ جامع البيان للطبري، ٨٨/٢٣ (التحريم، ١/٦٦)؛ سنن الدارقطني، ٧٥/٥ (٤٠١٣).

٤ د: عليه السلام.

٥ د: عليه السلام.

٦ د: عليه السلام.

٧ ن: لزيد.

٨ د: عليه السلام.

٩ ن: لمرتبه.

١٠ ف ن: والباطن.

١١ د: عليه السلام.

﴿نَصۡرًا عَزِيزًا﴾: فيه عِزٌّ ومَنَعَةٌ، أو وُصِفَ بصِفة المَنصُور إسنَادًا مجازيًا، أو: عزيزًا صَاحبُه.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤﴾

﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾: للسُّكون كالبَهيتة للبُهتانِ؛ أي: أنزلَ اللهُ في قلوبهم السُّكونَ والطمأنِينةَ بسَببِ الصُّلح والأمن؛ ليَعْرفوا فَضلَ الله عليهم بتَيسيرِ الأَمْنِ بعد الخوفِ والهُدْنةِ غِبَّ القِتال فيزدادُوا يَقينًا إلى يَقِينهم.

أو أنزَل فيها السُّكونَ إلى ما جاء بِهِ محمَّدٌ عليه السلام من الشَّرائعِ ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ بالشَّرائعِ مَقْرُونًا إلى إيمانهم وهو التَّوحيدُ، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما:

قوله: (﴿نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ فيه عِزّ) بمعنى: ذي كذا.

قوله: (أو عزيزًا صاحبُه) حُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه، فصار "عزيزًا[1] هو"، فاستُتر الضمير مرفوعًا بعد أن كان بارزًا مجرورًا، وعلى هذا لا يكون فيه إسناد مجازي.[2]

قوله: (﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ للسُّكون)...[3] إلخ أي:[4] مصدر بمعناه.[5] وقوله: (أي: أنزل الله)... إلخ هذا على أنّ المراد فتح الحديبية.

قوله: (أو أنزل فيها السُّكون) أي: أنزلَ في القلوب. هذا على تقدير أنْ يُراد بالفتح فتحُ الله تعالى[6] بالإسلام والنبوّة.

قوله: (عن ابن عبّاس رضي الله عنهما)[7] قول ابن عبّاس يؤيّد هذا الوجه.

---

[1] ن - (صاحبه) حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فصار "عزيزًا".

[2] وفي هامش د ف: وعلى الوجه الثاني مجازي؛ مِن قَبيل الإسناد إلى السبب؛ لأنّ النصرَ مِن الله سببٌ لِعزّة المنصور.

[3] ن - للسكون.

[4] ف - أي.

[5] ن + وقوله: (أي: أنزل الله السكينة للسكون)... إلخ، أي: مصدر بمعناه.

[6] ف ن - تعالى.

[7] د - رضي الله عنهما.

أَنَّ أوَّل ما أتاهُم به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم التَّوحيدُ، فلما آمَنوا بالله وحده أَنزل الصَّلاةَ والزكاةَ ثم الحجَّ ثم الجهادَ، فازْدادُوا إيمانًا إلى إيمانهم.

أو أنزَل فيها الوَقارَ والعظمةَ لله ولرسُوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيمانًا إلى إيمانِهم.

وقيل: أنزلَ فيها الرحمةَ ليَتَراحمُوا فيزْدادَ إيمانُهم.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: له الجنودُ كلُّها يُسلِّط بَعْضَها على بعضٍ كما يَقتضِيه علمُه وحكمتُهُ، ومن قضِيَّتِهِ أَن سَكَّنَ قلوبَ المؤمِنين بصُلْحِ الحُدَيْبيةِ ووَعدهم أَنْ يَفتح لهُم، وإنَّما قضى ذلك ليَعرِف المؤمِنون نِعمةَ الله فيه وَيشكرُوها فيَستحِقُّوا الثوابَ فيُثيبَهُم ويُعذِّبَ الكافرينَ والمنافقينَ لِمَا غاظَهُم من ذلك وكرهُوه.

قوله: **(بالله وحده)** أي: بالله منفردًا دون غيره، بخلاف المشركين، فإنّهم بالله وبآلهتهم، فلا يُعتبر إيمانهم.

[٣٦١ظ] قوله: **(كما يقتضيه عِلمُه)** / إشارة إلى[١] رَبط قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ثمّ أشار إلى أنّ "اللام" في ﴿لِيُدْخِلَ﴾ متعلّق[٢] بمحذوف، أي: إنّما قضى ذلك الإنزال للسكينة الموجِب لازدياد الإيمان لإثابة[٣] المؤمنين وعقابِ الكافرين. وهذه الحاشية هي البيان الكاشف لقول المصنّف كما يقتضيه إلى قوله: **(كَرِهوه)** دون ما عداه ممّا[٤] كتبنا، فتأمّل.

قوله: **(ومِن قضيّته)**... إلخ أشار[٥] بقوله: "ومِن قضيّته" وبقوله: **(وإنّما قضى)**... إلخ إلى أنّ إنزال السكينة سبب لازدياد الإيمان، وذلك سبب[٦] لثواب المؤمنين وعقاب الكافرين.

---

١ ن – إلى.

٢ ن: متعلّقة.

٣ ن: لإتابة.

٤ ن: فما.

٥ ف: إشارة.

٦ ن – سبب.

﴿لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾

وَقع "السَّوء": عِبارةٌ عن رَداءةِ الشيء وفَساده، والصِّدقُ عن جَوْدَتِهِ وصَلاحِه، فقيلَ في المَرضيِّ الصَّالح من الأفعال: فِعلُ صدقٍ، وفي المَسخُوطِ الفَاسدِ منها: فعلُ سَوءٍ.

ومَعنَى ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: ظَنُّهم أن الله تعالى لا يَنصُر الرَّسولَ والمؤمنينَ، ولا يُرْجِعُهم إلى مَكَّة ظافِرين فَاتِحيهَا عَنوَةً وقَهْرًا.

﴿عليهم دائرةُ السُّوء﴾؛ أي: ما يَظُنُّونه ويَتربَّصُونَه بالمؤمنينَ فهو حائقٌ بهم ودائرٌ عليهم، و"السُّوء": الهَلَاكُ والدَّمارُ، وقرئ: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتح؛ أي: الدَّائرةُ الَّتي يَذمُّونها ويَسخَطونها فهي عِندهم دائرةُ سَوءٍ، وعِند المؤمنين دائرةُ صدْقٍ.

قوله: (وقع السَّوءُ عبارةٌ) فإذا قلتَ: رجلُ صِدقٍ؛ كان[1] المعنى: أنّه مختصّ بالصلاح والجَودة، ولا يَجيء منه فساد ورَداءة،[2] وإذا قلتَ: رجل سَوْء؛ فالمعنى: أنّه مختصّ بالرداءة والفساد لا يَجيء منه صلاح.

قوله: (فهو[3] حائق بهم) يقال: حاقَ الشيءُ يَحيق، أي:[4] أحاط.[5]

قوله: (أي: الدائرة التي) وهي هلاك الكفّار.

قوله: (فهي عندهم دائرة سَوء) لأنّ تلك[6] الدائرة مذمومة عندهم، لا عند المؤمنين. وهذا موضع دقيق لطيف، فليتأمّل[7] فيه مَن يَمُرُّ عليه.

---

١ ن: لكان.
٢ ن: ورداة.
٣ ن: وهو.
٤ ن: إذا.
٥ الصحاح للجوهري، «حيق».
٦ ن: نلك.
٧ ن: فيتأمل.

فإن قلتَ: هل من فَرْقٍ بَيْن "السَّوء" و"السُّوء"؟

قلتُ: هما كالكَره والكُره، والضَّعفِ والضُّعف، مِن "سَاء"، إلّا أنَّ المفتوحَ غَلبَ في أن يُضاف إليه ما يُراد ذَمُّه من كلِّ شيءٍ، وأمّا "السُّوء" فجارٍ مجرى الشرِّ الّذي هو نقِيضُ الخيرِ، يقالُ: أرادَ بهِ السُّوءَ وأرادَ به الخيرَ، ولذلك أُضيف الظَّنُّ إلى المفتوح لكونه مَذمومًا، وكانت الدَّائرة محمُودةً فكان حقَّها ألّا تضافَ إليه إلّا على التَّأويلِ الذي ذكَرنَا، وأما ﴿دائرةُالسُّوء﴾ بالضمِّ؛ ....

قوله تعالى: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ قال أبو عليّ في **الحُجّة**:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسُّوءِ﴾ بضمّ السين، والباقون: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ بالفتح. مَن قال: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ ففتح[١] فالمعنى: عليهم دائرةُ السَّوْء كما ظنُّوا ظَنَّ السَّوْء، وفي أُخرى: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح ١٢/٤٨]، وظنُّهم[٢] ظنَّ السَّوْء هو ظنُّهم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا، فالتقدير: عليهم دائرة السَّوْء كما ظنُّوا ظنَّ السَّوْء. ومَن قال: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسُّوءِ﴾، فلأنّهم ظنّوا ظنَّ السُّوء بالمسلمين، وأرادوه بهم، فقيل: عليهم دائرةُ السُّوء الذي أرادوه بالمسلمين وتمَنُّوه لهم، وكان الفتح أشدَّ مطابقةً في اللفظين، وإن كان المعنَيان متقاربَين.[٣]

قوله: **(مِن ساءَ)** ساءَه يَسوءُه سَوْءًا -بالفتح- نقيض سرّه.[٤]

قوله: **(وأمّا "السُّوء" فجارٍ)** قال في **الصحاح**:[٥] «لا يقول أحد:[٦] هذا رجلُ السُّوء، بالضمّ».[٧]

قوله: **(مَحْمودةً)** لأنّ هلاك الكفّار محمود. وقوله: **(أن لا تُضاف[٨] إليه)** أي: إلى المفتوح.

قوله: **(على التأويل الذي ذكرنا)** أي: الدائرة التي يَذُمُّونها فهي دائرة السَّوء عندهم.

---

١ ن: فصتح.

٢ ن: هو ظنّهم.

٣ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٢٠١/٦.

٤ **الصحاح** للجوهري، «سوأ».

٥ ن: الصجاح.

٦ ن: أخد.

٧ **الصحاح** للجوهري، «سوأ».

٨ ن: يضاف.

فلأَن الَّذي أَصَابهم مكروهٌ وشِدة، فصحَّ أن يقع عليه اسم السُّوء، كقوله عز وجل: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب ١٧/٣٣].

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾

﴿شَٰهِدًا﴾ تشهدُ علىٰ أُمَّتِكَ، كقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة ١٤٣/٢].

﴿لِيُؤْمِنوا﴾ الضميرُ للنَّاس ﴿ويُعَزِّرُوه﴾: وَيُقَوُّوهُ بالنُّصرَةِ، ﴿ويُوَقِّرُوه﴾: ويُعظِّموهُ ﴿ويُسَبِّحُوه﴾ من التَّسبيحِ، أو مِن السُّبحةِ، والضَّمائرُ لله عزَّ وجلَّ، والمراد بتَعزير الله: تعْزيرُ دِينِه ورسُولِهِ، ومَن فَرَّق الضمائر فقد أبعَد.

وقرئ: ﴿لِتُؤْمِنُوا۟﴾ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ بالتَّاء، والخطابُ لرسُول الله ولأمته.

قوله تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ﴾ أي: انتقم، ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ أبعدهم مِن رحمته.

قوله: (مِن التسبيح،[١] أو مِن السُّبْحة) والتسبيح: التنزيه، والسُّبْحة: التطوُّع مِن الذكر والصلاة. تقول: قضيتُ سُبْحتي، وروي أنّ عمر رضي الله عنه جلَدَ رجلين سَبَّحا بعد العصر، أي: صَلَّيا.[٢] والمراد بـ"السُّبْحة" في قول المصنِّف: الصلاة والذكر. والسُّبْحة[٣] أيضًا: خَرَزات / يُسبَّح بها.[٤] وهذا ليس بمراد ههنا. [٣٦٢و]

قوله: (ومَن فرَّق الضمائر) أي: مَن جعل الضميرين الأوّلين للرسول، والأخيرَ لله تعالى، ووقف[٥] على ﴿وَيُوَقِّرُوهُ﴾[٦] لاختلاف الضمائر؛ فقد أبعَد.[٧]

قوله: (وقُرئ: ﴿لِتُؤْمِنُوا۟﴾)... إلخ قال أبو[٨] عليّ:[٩] «قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أربعهنّ بالياء، والباقون بالتاء.

---

١ ن: السبيح.

٢ الصحاح للجوهري، «سبح». والحديث كذلك في الفائق للزمخشري، ١٤٩/٢؛ وغريب الحديث لابن الجوزي، ٤٥٣/١. وفي مصنف عبد الرزّاق، ٤٢٩/٢ (٣٩٦٤)، عن السائب بن يزيد قال: «ضرَبَ عمرُ رضي الله عنه المُنكدرَ إذ رآه سبَّحَ بعدَ العصر».

٣ ن - في قول المصنِّف: الصلاة والذكر. والسُّبْحة.

٤ الصحاح للجوهري، «سبح».

٥ ن: ووقفت.

٦ كذا في الأصول الخطّيّة بالياء على قراءة ابن كثير وأبي عمرو كما سيأتي.

٧ انظر: منار الهدى للأشموني، ص ٧٢٦.

٨ ن: أبوا.

٩ ن + قرأ أبو عليّ.

وقرئ: "وتَعْزروه" بضمّ الزاء وكسْرِها، "وتُعْزِروه" بضم التّاء والتّخفيف، "وتُعَزّزوه" بالزّايَيْن.

"وتُوقِرُوه" من أَوْقَرَهُ، بمَعنى: وَقَرَهُ. "وتُسبّحُوا اللهَ".

﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: صلاةَ الفجرِ وصلاةَ الظهرِ والعصر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝١٠﴾

لمّا قال: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أكّدهُ تأكيدًا على طَريقةِ التّخييل فقال: ....

حجّة الياء أنّه لا يقال: لتؤمنوا بالله ورسوله، وهو الرسول، فإذا لم يَسْهُل ذلك كانت القراءة بالياء، ومَن قرأ بالتاء فعلى قوله: قلْ لهم: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ لِّتُؤۡمِنُواْ﴾».[1]

قوله: (و"تُسَبّحُوا اللهَ") أي: وقُرئ: "تُسَبّحُوا اللهَ".[2] وهذه القراءة تدلُّ على أنّ الضميرين الأوّلَين للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[3] والأخيرَ لله تعالى، وهو التفريق الذي منَع منه المصنّف.

قوله: (على طريقة التخييل) الاستعارة التخييليّة:[4] هي أن تسمّي باسم صورة متحقِّقةٍ صورةً عندك وهميّةً مَحْضةً في ضِمْن قرينة -هي المنيّة-[5]

---

١ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٢٠٠/٦. وانظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٨٥/٢.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ وابن مسعود وابن عبّاس رضي الله عنه وسعيد بن جبير والأعمش وطلحة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٤١.

٣ د: عليه السلام؛ ف - صلّى الله عليه وسلّم.

٤ ف ن: التخيليّة.

٥ ف ن - هي المَنيّة [وهي في هامش ف]. | هذه العبارة متعلّقة بمثال أورده السكّاكي، وهو قوله: «وذلك مثلُ أن تُشبّه المنيّة بالسبُع في اغتيالِ النفوس وانتزاعِ أرواحها بالقهر والغلبة، مِن غير تفرقة بين نفّاع وضرّار، ولا رِقّة لمرحوم ومساس بُقيا على ذي فضيلة تشبيهًا بليغًا، حتّى كأنّها سبُع مِن السّباع، فيأخذ الوهم في تصويرها وفي صورة السبُع»... إلى آخر كلامه، وفيه إشارة إلى قول أبي ذُؤيب الهذلي:

وإذا المَنيّة أنشبَت أظفارَها … ألفيتَ كلَّ تَميمةٍ لا تنفعُ

انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ٣٧٦/١؛ **عروس الأفراح** للسبكي، ١٨٧/٢.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يُريد: أن يدَ رسول الله التي تَعلو أَيديَ المُبايعينَ هي يدُ اللهِ، واللهُ تعالى مُنزَّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام، وإنما المَعنى تَقْرِيرُ أنَّ عَقْدَ المِيثاقِ مع الرَّسول كعَقدِه مع الله من غيْرِ تفاوُتٍ بَينهما، كقَوله: ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء ٨٠/٤]، والمراد بَيْعةُ الرِّضوان.

﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: فلا يعُود ضرَرُ نكثِهِ إلّا عليه، قال جابرُ بنُ عبد الله رضي الله عنهما: بايعنَا رسولَ الله تحت الشَّجرة على المَوت وعلى أَنْ لا نَفِرَّ، فما نكثَ أحَدٌ منَّا البَيعَة إلّا جَدُّ بنُ قَيْسٍ، وكانَ منافقًا اختَبأَ تحْتَ إبْطِ بعيرِهِ ولم يَسِرْ مَع القوم.

مانعةٍ عن حمل الاسم على ما يسبق منه[١] إلى الفهم، مِن كون مسمّاه ذلك الاسم[٢] شيئًا[٣] متحقِّقًا، مثل أن تُشبِه الحالَ إذا وجدتَها دالّة على أمر مِن الأمور بالإنسان الذي يتكلّم، فيعمل الوهم في الاختراع للحال ما قِوام كلام المتكلّم به، وهو تصوير صورة اللسان، ثمّ تُطلقَ عليه اسم اللسان المتحقِّق، وتضيفَه إلى الحال قائلًا: لسانُ الحال الشبيهُ بالمتكلِّم[٤] ناطق بكذا.[٥]

ومِثل أنْ تُشبِّه -فيما[٦] نحن فيه- اللهَ تعالى بالمُبايع، فيعمل الوهم في الاختراع له تعالى ما قِوام مبايعة المُبايِع به، وهو تصوير صورة اليد، ثمّ تُطلِق عليه اسمَ اليد المتحقِّق، وتضيفُه[٧] إليه تعالى قرينةً مانعةً عن إطلاق اسم اليد على ما يسبقُ[٨] إلى الفهم، وهو العضو المخصوص؛ لكونه تعالى منزَّهًا عن الجوارح وعن صفات الأجسام.

والاستعارة التخييليّة ههنا وقعت تابعة للاستعارة[٩] بالكناية؛ لأنّ الله تعالى شُبّه بالمُبايع، ثمّ ذُكِرَ لفظُ الله وأُريدَ المبايع. والقرينة قوله: ﴿يُبَايِعُونَ﴾.

---

١ وفي هامش د ف: أي: مِن الاسم، وهو "المِخلَب"، و"مِن" بيان "ما يسبق"، وهو مِخلَب السَّبُع. | انظر عبارة السكّاكي في التعليق السابق.
٢ ن - ذلك الاسم.
٣ ن: سببًا.
٤ ن: بالتكلّم.
٥ مفتاح العلوم للسكّاكي، ٣٧٦/١.
٦ ف: ما.
٧ ن: وتصفه.
٨ ن: سبق.
٩ ن - التخييليّة ههنا وقعت تابعة للاستعارة.

وقرئ: "إنما يبايعون لله"؛ أي: لِأجلِ الله وَلوجههِ.

وقرئ ﴿يَنكُثُ﴾ بضمِّ الكاف وكسْرِها.

و: ﴿بِمَا عَٰهَدَ﴾ و: "عَهِد"، و﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالنُّون والياء.

يُقال: وفَيْتُ بالعهْد وأوفيتُ به، وهي لُغَةُ تِهَامَةَ، ومنها قولُه: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة ١/٥] ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ [البقرة ١٧٧/٢].

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾

"المخلَّفون": هُم الَّذين خُلِّفوا عن الحُديْبيةِ، وهم أَعْرابُ غِفارٍ ومُزَينةَ وجُهيْنةَ وأَشْجَعَ وأَسْلَمَ والدِّيلِ، وذلك أنَّه عليه السَّلام حين أرَادَ المسيرَ إلى مكَّة عام الحُدَيبية مُعتمِرًا استنفرَ مَن حَول المدينة من الأعْراب وأَهلِ البَوادي ليَخرجُوا معَه حَذرًا من قريش أن يَعْرِضُوا له بحرْبٍ أو يَصُدُّوهُ عن البَيْت، وأحْرَمَ هُو عليه السَّلام وسَاقَ مَعه الهَدْيَ لِيُعْلَم أنَّه لا يُريد حربًا، فتثَاقَل كثيرٌ من الأَعْراب وقالوا: يَذهَبُ إلى قومٍ قد غَزوْه في عُقْر دارِهِ بالمدينةِ وقتَلُوا أصحابَه فيُقاتِلُهم؟! وظَنُّوا أَنه يَهلِك فلا يَنقلِبُ إلى المدينة، واعتَلُّوا بالشُّغل بأَهَاليهم وأَموالهم، وأَنَّه ليسَ لهُم مَن يقومُ بأشغَالهم.

قوله: (**وقُرِئ: "إِنَّمَا يُبَايِعُونَ للهِ"**)[١] يعني: يكون المفعول محذوفًا، أي: إنّما يبايعونك لله.

قوله: (**والدِّيل**)[٢] الدِّيل: قبيلة، والنسبةُ[٣] إليها دِيلي.[٤]

قوله: (**في عُقْر داره**) عُقر الدار: مَحِلّة القوم. والمراد بقولهم: "عُقْر داره" أُحُد.

قوله: (**بالشَّغْل**) فيه أربع لغات: شُغْل، وشُغُل، وشَغْل، وشَغَل.[٥]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن تمّام بن عبّاس بن عبد المطّلب. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٤١.

٢ ن: والدليل.

٣ ن – والنسبة.

٤ مجمل اللغة لابن فارس، «ديل».

٥ ن – وشَغَل. | الصحاح للجوهري، «شغل».

وقرئ: "شَغَّلَتْنا" بالتَّشديد.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ تكذيبٌ لهُم في اعتِذارِهم، وأنَّ الذين خلَّفَهم ليْس بما يقُولون، وإنَّما هو الشكُّ في الله والنِّفاقُ، وطلبُهم الاستغفارَ أيضًا ليس بصَادرٍ عن حقيقةٍ.

﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم﴾: فمَن يمنَعُكم من مشيئة الله وقضائه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ﴾ ما يَضرُّكُم من قتلٍ أو هَزيمةٍ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ مِن ظفَرٍ وغنيمةٍ.

وقرئ ﴿ضَرًّا﴾ بالفَتْح والضَّمِّ.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾

"الأهْلونُ": جمعُ أهلٍ، ويُقال: "أَهلاتٌ" على تقدير تاء التَّأنيث، كأَرْضٍ وأَرْضاتٍ، وقد جاء: "أَهْلَةٌ"، وأمَّا "أَهَالٍ" فاسْمُ جمعٍ كَلَيالٍ، وقرئ: "إلى أهلِهم".

"وزَيَّنَ" على البناء للفاعلِ، وهو الشيطانُ أو اللهُ عزَّ وجلَّ، وكلاهما جاء في القرآن: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل ٢٧/٢٤] ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل ٢٧/٤].

و"البُورُ" مِن بَارَ كالهُلْكِ مِن هَلَكَ بناءً ومَعنًى، ولذلك وُصفَ بهِ الواحِدُ والجمعُ والمذكَّر والمؤنَّث، ويجوز أن يكون جمعَ بائرٍ كعَائذٍ وعُوذٍ، والمَعنى:

قوله: (ليس[1] بما يقولون) أي: ليس بالذي يقولون.

قوله: (على تقدير تاء التأنيث) يعني: حرَّكوا عينها لأنَّ التاء فيها مقدَّرة، كما في "أرض"، فحُكمه[2] حُكم "تَمْرة"، فكما يقولون: "تَمَرات" بفتح العين، فكذلك يقولون: "أَهَلَات".

قوله: (ولذلك وُصف) يعني: أنَّ "البُور" في الأصل مصدر، فلذلك وُصف به الواحد والجمع.

---

[1] ن - ليس.

[2] ن: محكمة.

وكُنتم قومًا فاسِدين في أنفُسِكم وقلُوبكم وَنِيَّاتكم لا خيْرَ فيكم، أو: هَالِكين عند الله مُستوجِبين لسخطهِ وعِقابه.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾

﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ مُقامٌ مُقامَ "لهم" للإيذانِ بأنَّ مَن لم يَجْمع بين الإيمانين -الإيمانِ بالله وبرسُوله- فَهُو كافر، ونكَّرَ ﴿سَعِيرًا﴾ لأنها نارٌ مخصُوصة كما نكَّر ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل ٩٢/١٤].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يُدَبِّرُهُ تدبيرَ قادرٍ حَكيمٍ، فيَغفِر ويُعذِّب بمشيئته، ومشيئَتُه تابِعةٌ لحكمته، وحِكمتُه المغفرةُ للتَّائب وتعذيبُ المُصرِّ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ رحمتهُ سابقةٌ لغضَبهِ حيث يكفِّرُ السَّيئاتِ باجتنابِ الكبائرِ، ويَغْفرُ الكبائرَ بالتَّوبَةِ.

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تَخلَّفُوا عن الحُديبية ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾: إلى غَنائمِ خيبَر.

﴿أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ -وقرئ: ﴿كَلِمَ ٱللَّهِ﴾-: أن يغيِّرُوا مَوعدَ الله لأهْلِ الحُديبيَة،

قوله: (مُقامٌ مُقامَ[١] "لهم") "مُقامٌ" اسم[٢] مفعولٍ مِن الإقامة، وقوله: "مُقامَ" / اسم مكان منه، أي: أُقيم الظاهر -وهو ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾- مُقام المضمَر؛ وهو "لَهم".[٣] [٣٦٢ظ]

---

١ ن - مقامَ.
٢ ن: أنتم.
٣ وفي هامش د ف: قوله: (لأنّها نار مخصوصة) فيكون التنكير للتنويع.

وذلك أنه وعدَهُم أن يُعوِّضَهم من مغَانِمِ مكَّةَ مغانمَ خيبَرَ إذا قفَلُوا مُوَادِعينَ لا يُصيبُون منهم شيئًا.

وقيلَ: هو قولُه تعالى: ﴿لَن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا﴾ [التوبة ٨٣/٩].

﴿تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نُصِيبَ معكم من الغنائم، قرئ بضم السين وكسرها.

﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا يفهَمُون ﴿إِلَّا﴾ فهمًا ﴿قَلِيلًا﴾ وهو فِطْنَتُهم لأمُورِ الدُّنيا دُون أمُورِ الدِّين؛ كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم ٧/٣٠].

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين حرفي الإضراب؟

قلتُ: الأوَّلُ إضرابٌ مَعْناه رَدُّ أن يكون حكمُ الله أنْ لا يتَّبعُوهم وإثباتُ الحسَد، والثاني إضرابٌ عن وَصْفهم بإضافةِ الحسَدِ إلى المؤمنين إلى وَصْفِهم بما هو أطمُّ منه وهو الجَهلُ وقلةُ الفِقْه.

قوله: (**إذا قَفَلوا**) أي: رَجعوا مِن مكّة. وقوله: (**لا يصيبون منهم**) أي: مِن أهل مكّة، فخصَّهم بها لا يُشرِكهم فيها أحَد.

قوله: (**أن نُصيبَ**) أي: على أنْ نُصيبَ معكم.

قوله: (**قلتُ: الأوّل إضراب**)... إلخ معنى **الإضراب الأوّل**: هو أنّ الكافرين رَدُّوا قولَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:[1] "إنّ الله تعالى حَكَمَ بأنكم لَن تَتّبعونا"، كأنّهم قالوا: ما[2] حكم الله تعالى بأنَا[3] لَن نَتّبِعَكم؛ بل أنتم تَحسدوننا على أن نشارككم في مغانم خَيبر. ومعنى **الإضراب الثاني**: أنّ الله تعالى لمّا حكى عنهم قولَهم للمؤمنين وللنبيّ صلّى الله عليه وسلّم:[4] ﴿تَحْسُدُونَنَا﴾ كان في ضِمن ذلك مَذَمّةٌ للكافرين بأنّهم يصفون النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[5] والمؤمنين[6] بالحَسَد، فأضْربَ عن وصف الكافرين بهذا الوصف القبيح بأن وصفَهم بما هو أقبح منه؛ وهو الجَهل المُفرِط.

---

١ د: عليه السلام.
٢ وفي هامش د ف: نفي.
٣ ن: ابأنَا.
٤ د: عليه السلام.
٥ د: عليه السلام.
٦ ن: والمؤمنون.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾: هُم الَّذين تخلَّفُوا عن الحُديبيَة.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يَعني: بني حَنيفةَ قومَ مُسَيْلمةَ وأهلَ الرِّدةِ الذين حَارَبهُم أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه؛ لأن مشركي العربِ والمُرتدِّينَ ....

قوله: (مُسَيلِمة) أي: مُسَيلِمة الكذّاب.

قوله: (لأنّ مشركي العرب)... إلخ لمّا ذَكر أنّ المراد بـ﴿قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ﴾ هنا[١] بنو[٢] حنيفة وأهل الردّة، استدلّ على ذلك بأنّه قال تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، والذي يجب مقاتلتهم إلى أن يسلموا هم مشركو العرب، نحو: قوم مُسيلِمة[٣] وأهل الردّة، فإنّ غيرهم يجوز أن يُقرَّروا بالجِزية، وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله.[٤] وأمّا عند الشافعي رضي الله عنه[٥] وإن كان لا يُقبل مِن غير هؤلاء الجزية كمشركي العجم، لكن عُلِم أنّ المراد بـ﴿قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ﴾ هؤلاء[٦] بدلائل أُخَر.

والحاصل: أنّه اتّفق الإمامان على أنّ المراد بـ"القوم أُولي البأس" بنو حنيفةَ قومُ[٧] مسيلِمة وأهل[٨] الردّة، لكنّ أبا حنيفة رحمه الله أثبت ذلك بقوله تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، فإنّ الذين يُقاتَلون[٩] إلى أن يُسلموا هؤلاء لا غير؛ لأنّ الجزية تُقبل مِن غيرهم. والشافعي رحمه الله[١٠] لمّا ذهب إلى أنّ غير هؤلاء أيضًا يُقاتَلون إلى أن يُسلموا كمشركي[١١] العجم أثبتَ أنّ المراد هؤلاء بدليل آخَر.

---

١ ف ن: هما.
٢ ن: بنوا.
٣ ن: مسلمة.
٤ د - رحمه الله. | انظر: **المبسوط** للسرخسي، ١٠/٧؛ و**بدائع الصنائع** للكاساني، ١١١/٧؛ و**الهداية** للمرغيناني، ٣٧٩/٢.
٥ د - رضي الله عنه.
٦ ن + بدليل.
٧ ن: قو.
٨ ن: وهل.
٩ ن: يفاتلون.
١٠ د - رحمه الله.
١١ ن: لمشركي.

هم الذين لا يُقبلُ منهم إلا الإِسلام أو السَّيفُ عند أبي حنيفة رحمه الله، ومَن عدَاهُم من مُشركي العَجم وأَهْلِ الكِتابِ والمجوسِ تُقبَلُ منهم الجزيةُ، وعند الشافعي رحمه الله: لا تُقبَلُ الجزيةُ إلَّا من أهل الكتابِ والمجوسِ دون مشركي العجم والعَرب.

وهذا دَليلٌ على إمامةِ أبي بكر رضي الله عنه، فإنَّهم لم يُدْعَوْا إلى حَرْبٍ في أيَّام رسُول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعدَ وفاتهِ، وكيف يَدْعُوهُم رسُولُ الله معَ قَوله تعَالى: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة ٩/٨٣].

وقيل: هم فارسُ والرُّومُ، ومَعنى ﴿يُسْلِمُونَ﴾: يَنقادُون؛ لأن الرُّوم نَصارَى، وفارسَ مجوسٌ يُقبَلُ منهُم إعطاءُ الجِزيةِ.

فإن قلتَ: عن قتادة: أنَّهم ثقيفٌ وهَوازنُ، وكان ذلك في أيَّام رسول الله عليه السَّلام!

قلتُ: إن صحَّ ذلك فالمَعْنَى: لَن تَخرجُوا مَعي أبدًا ما دُمتم على ما أنتم عليه من مَرض القلُوبِ والاضْطِراب في الدِّين، ....

والشافعي رضي الله عنه[١] لا يخالفه في المراد مِن الآية، لكن استدلّ[٢] بدليل آخر.

قوله: **(أو السيف)** عطفٌ على قوله: **(إلّا الإسلام)**، ولمّا وجب أنْ يُقاتَلوا بالسيف إن لم يُسلِموا فكأنّه يُقبَل منهم أحد الأمرين.

قوله: **(ومعنى ﴿يُسْلِمُونَ﴾)** أي: ﴿يُسْلِمُونَ﴾ على هذا التفسير بمعنى: "يَنقادون"، لا بمعنى الإسلام الذي هو ضدُّ الكفر؛ لأنّ النصارى والمجوس لا يجب مقاتَلتهم إلى أن يدخلوا في الإيمان والإسلام؛ بل إلى أنْ ينقادوا ولو بإعطاء الجِزية.

قوله: **(ما دُمتم)** يريد: أنّ المراد بأبَدِهم ما[٣] داموا مستقرّين على مرض القلوب، لا ما داموا أحياء.

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ ف: استدرك.

٣ ن: ماء.

أو على قول مجاهد: كَانَ المَوعِدُ أنّهم لا يَتّبِعونَ رسُول الله إلّا مُتطوّعينَ لا نَصيبَ لهم في المَغنم.

﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يُريد في غَزوة الحُديبية.

﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ مَعْطوف على ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾؛ أي: يكون أحَدُ الأمرين: إما المُقاتَلةُ أو الإسْلامُ لا ثالثَ لهُما، وفي قراءة أُبيّ: "أو يُسْلِمُوا" بمَعنى: إلى أنْ يُسْلِمُوا.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

نفَى الحَرجَ عن هؤلاء من ذَوي العَاهاتِ في التَّخلُّف عن الغزو.

وقُرئ: ﴿نُدْخِلْه﴾ و﴿نُعذِّبْه﴾ بالنون.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾

هذه البيعة هي بَيعةُ الرضوانِ سمِّيتْ بهذه الآيةِ، وقصتُها: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم حين نزلَ بالحُدَيْبيةِ بَعثَ جَوَّاسَ بنَ أُميَّةَ الخُزاعيَّ رَسُولًا

قوله: **(أو على قول مجاهد)** عطفٌ على قوله: **(لن تَخرجوا)**، أي: فالمعنى على الوجه الذي ذكره مجاهد. ثمّ بيَّن ما / ذكره مجاهد بقوله: **(كان المَوعِد)**... إلخ. [٣٦٣و]

قوله: **(مِن ذوي العاهات)** بيان **(هؤلاء)**.[1]

قوله: **(سُمِّيت)** أي: سُمِّيت هذه البيعة بيعة الرضوان بسبب هذه الآية، يعني: بسبب أنْ ذكر في هذه الآية: "رضي الله تعالى عنهم".[2]

---

[1] ن + قوله: (أو على قول مجاهد) عطفٌ على قوله: (لن تخرجوا)، أي: فالمعنى على الوجه الذي ذكره مجاهد. ثمّ بيّن ما ذكره مجاهد بقوله: (كان المَوعِد)... إلخ.

[2] يعني قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح ١٨/٤٨].

إلى أهل مكَّة، فهمُّوا به فمنَعه الأحَابيشُ، فلمَّا رجَع دعَا بعُمر رضي الله عنه ليَبْعثه فقال: إنِّي أخَافُهم على نَفْسي لِمَا عُرِف من عَداوَتِي إيَّاهُم، وما بمكَّةَ عَدَوِيٌّ يمنعُني، ولكنِّي أَدُلُّك على رجلٍ هو أَعزُّ بهَا مني وأحبُّ اليهم: عثمانُ بن عَفَّان -رضي الله عنه-، فبَعثه فخَبَّرهُم أنه لم يأتِ لحَرْبٍ، وإنَّما جاء زائرًا لِهذا البَيت مُعظِّمًا لحُرمتهِ، فوَقَّرُوه وقالوا: إن شئتَ أن تطُوفَ بالبيت فافعَلْ، فقال: ما كنتُ لِأطُوفَ قبل أن يطوفَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، واحتبَس عندهم فأُرْجِف بأنهم قتلوهُ، فقال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «لا نَبرَحُ حتَّى نُناجزَ القومَ»، ودعَا الناسَ إلى البَيعَة، فبَايَعُوهُ تحت الشَّجرة وكانت سَمُرةً،

قوله: (الأحابيش) الأُحْبوش والأحباش: جماعة ليسوا مِن قبيلة واحدة.[١]

قوله: (دعا) أي: النبيّ عليه السلام.

قوله: (يمنَعُني) أي: يحفظُني وينصُرني.

قوله: (عثمان بن[٢] عفّان) إن رُفع "عثمان" يكون خبرَ مبتدأ محذوف، وإن فُتح يكون بدلًا مِن "رجل"، أو عطفَ بيان.

قوله: (فخبَّرهم أنّه) أي: النبيّ[٣] عليه السلام.

قوله:[٤] (فأُرجِفَ) الإرجاف: واحد الأراجيف، وهو مِن[٥] الرَّجْف؛ الاضطراب، يقال: رَجَفتِ الأرض، والبحرُ رجَّاف؛ لاضطرابه، ورجَفَ[٦] الناس في الشيء؛ إذا خاضوا فيه فاضطربوا، والأراجيف مِن ذا.[٧] فقوله: "فأُرجِفَ بأنّهم" أي: وقع الخَوض والشروع في هذا الكلام، وهو أنّهم قتلوا عثمان.[٨]

قوله: (حتّى نناجِزَ) أي: نُحارب. والمناجَزة في الحرب: المبارَزة والمقاتَلة.[٩]

---

١ الصحاح للجوهري، «حبش».

٢ ن: ابن.

٣ ن: للنبيّ.

٤ ن - قوله.

٥ ن: أن.

٦ في مطبوع مجمل اللغة: "وأرجَفَ".

٧ مُجمل اللغة لابن فارس، «رجف».

٨ ف: عثمن. | انظر: مسند أحمد، ٢١٦/٣١ (١٨٩١٠).

٩ ن: والمقابلة. | الصحاح للجوهري، «نجز».

قال جابر بنُ عبدِ الله: لو كنتُ أبصِرُ لأريتُكم مكانَها.

وقيل: كان رسول الله جالسًا في أصْلِ الشجرة وعلى ظهره غُصْنٌ من أغصانِها، قال عبدُ الله بن المُغفَّلِ: وكنتُ قائمًا على رَأسِه وبيدي غُصنٌ من الشَّجرة أذبُّ عنه، فرَفعتُ الغصنَ عن ظهرِه.

بايَعوهُ على المَوتِ دونه وعلى أن لا يَفِرُّوا، فقال لهم رسول الله: «أنتم اليومَ خيرُ أهلِ الأرض».

وكان عددُ المُبايعين ألفًا وخمسَ مئة وخمسةً وعشرين، وقيل: ألفًا وأربع مئة، وقيل: ألفًا وثلاثَ مئة.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الإخلاص وصدقِ الضَّمائر فيما بَايعُوا عليه.

﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾؛ أي: الطُّمأنينةَ والأَمْنَ بسَبب الصُّلح على قلُوبهم.

﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وقرئ: "وآتاهُم". وهو فتحُ خيْبَر غِبَّ انصرافِهم من مكَّة.

وعن الحسن: فتحَ هَجَرَ، وهو أجَلُّ فتحٍ اتَّسعوا بثَمَرها زَمانًا.

قوله: (جابر)... إلخ[1] يدلّ على أنّه كان حينئذٍ مَكفوفًا.

قوله: (فتحُ هَجَرَ) الهَجَر: بلد مِن بلاد عبد[2] القيس قريب مِن بلاد عُمان.

قوله تعالى:[3] ﴿وَمَغَانِمَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿فَتْحًا﴾، وهو داخل في الكلام الذي مع المبايِعين.[4] والمَغنَم: ما يُغنَم به، كالغنيمة، وهو ما يوجد[5] ويُظفَر به ممّا لا يُتملَّك قبله، ثمّ غَلَبَ فيما يؤخذ مِن اللقاء[6] بالحرب. وأمّا قوله: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ﴾ فاستئناف جملة، وهذا خطاب مع جميع المؤمنين إلى يوم القيامة.

---

[1] صحيح البخاري، ١٢٣/٥ (٤١٥٤)؛ صحيح مسلم، ١٤٧٤/٣ (١٨٥٦).

[2] ن: عند.

[3] ن: تعلى.

[4] ن - ﴿وَمَغَانِمَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿فَتْحًا﴾، وهو داخل في الكلام الذي مع المبايِعين.

[5] ن: يوخد.

[6] ن: اللفاء.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٩﴾

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ هي مَغانمُ خيبَرَ، وكانت أرضًا ذات عَقارٍ وأموال فقسَمَها عليهم، ثم أتاه عُثمانُ رضي الله عنه بالصُّلح فصَالحَهم وانصَرف بعدَ أن نَحرَ بالحُديبيَةِ وحَلَق.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ٢٠﴾

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ وهي ما يُفيءُ على المؤمنين إلى يومِ القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ المغانمَ، يَعني: مَغانمَ خيبَر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يَعني: أَيْديَ أهلِ خيبَر وحُلَفائهم من أَسَدٍ وغطفانَ حين جَاءوا لِنُصرتهم، فقَذف الله في قلُوبهم الرُّعْبَ فنكصُوا.

وقيل: أيدي أهلِ مكة بالصُّلحِ.

﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكَفَّةُ ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وعِبرةً يعرفُونَ بهَا أنَّهم من الله بمكانٍ، وأنه ضامنٌ نَصرَهُم والفتحَ عليهم.

وقيل: رَأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فَتحَ مكةَ في منَامهِ، ورُؤيَا الأنبياءِ وَحيٌ، فتأخَّرَ ذلك إلى السَّنة القابلة، فجَعَل فتحَ خيبَر علامةً وعُنوَانًا لفتح مكَّة.

قوله: (فنكصوا) أي: رَجعُوا.

قوله: (بالصلح) أي: يوم الحديبية.[1]

قوله: (وعِبْرةً) أي: وعِبْرةً لهم. وهو مِن العطف الذي للبيان، وقد مرّ.

قوله: (وقيل: رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)[2] هذا عطفٌ على قوله: (ولتكون هذه الكَفّة).

---

[1] ن - قوله: (فنَكَصوا) أي: رجعوا. قوله: (بالصُّلح) أي: يوم الحديبية.

[2] د: عليه السلام.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: ويزيدَكم بَصيرةً ويَقِينًا وثِقةً بفضْلِ الله.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَأُخْرَىٰ﴾ مَعطوفةٌ على ﴿هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: فَعجَّلَ لكم هذه المَغانِمَ ومغانمَ أُخرى ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ وهي مَغانمُ هَوازنَ في غَزوة حُنَيْنٍ، وقال: ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ لِمَا كان فيها من الجَوْلَةِ.

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: قدرَ عليها واستَولى وأَظْهَركم عليهَا وغنَّمَكُمُوها.

ويجوز في "أُخرَى" النصبُ بفعلٍ مضمرٍ يُفسِّرُه ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ تَقديرُه: وقضَى اللهُ أُخرَى قد أحَاط بها، وأمَّا ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ فصِفةٌ لـ"أُخْرَى"، والرَّفعُ على الابتداء لكونها موصوفةً بـ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟﴾ و﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ خبَرُ المُبتَدأ، والجَرُّ بإضمارِ "رُبَّ".

فإن قلتَ: قوله: ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ كيفَ مَوقعُه؟

قلتُ: هو كلامٌ مُعترِضٌ، ومَعناه: ولتكون الكَفَّةُ آيةً للمؤمنين فعَلَ ذلك، ويجوز أن يكون المَعنى: وَعدكُم المغانِمَ فعجَّل هذه الغَنيمةَ وكفَّ الأعداءِ لينفعَكم بها ولتَكون آيةً للمؤمنين إذا وجَدُوا وعْدَ الله بها صَادقًا؛ لأنَّ صِدقَ الإخبار عن الغيُوبِ مُعجزةٌ وآيةٌ ويَزيدكُم بذلك هدايةً وإيقانًا.

قوله: (**مِن الجَولة**) هي مِثل الهزيمة مِن أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[١] في الأوّل، ثمّ نصرَهم الله تعالى.

قوله: (**والجرّ بإضمار "رُبَّ"**) وعلى هذا الوجه ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ صفة، وقوله: ﴿قَدْ أَحَاطَ﴾ إمّا صفة أُخرى، أو متعلّق "رُبّ"، أي: جوابه.

قوله: (**فعَلَ ذلك**) فيكون متعلّق اللام محذوفًا. و"ذلك"، أي: الكفّ والتعجيل.

قوله: (**ويجوز أن يكون المعنى**)... إلخ وعلى هذا الوجه يكون ﴿وَلِتَكُونَ﴾ عطفًا على علّة محذوفة، وقوله: ﴿فَعَجَّلَ﴾ ﴿وَكَفَّ﴾ متنازع في الجارّ.

---

١ د: عليه السلام.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهلِ مكّةَ ولم يُصالحُوا، وقيل: من حُلفاء أهلِ خيبَرَ، لغُلِبُوا وانهزمُوا.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ في مَوضعِ المَصْدر المؤكِّدِ؛ أي: سَنَّ الله غلبةَ أنبيائهِ سنَّةً، وهو قوله: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة ٥٨/٢١].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَيْدِيَهُمْ﴾: أيديَ أهل مكّة؛ أي: قضى بينهمُ وبينكُم المكافَّة والمحاجَزةَ بعَد ما خَوَّلكُم الظَّفر عَليْهم والغَلبةَ وذلك يَومَ الفتح، وبه استَشْهَدَ أبو حنيفة رحمه الله على أن مكّة فُتِحت عَنوةً لا صُلحًا، وقيل: كان ذلك في غزوَةِ الحُدَيْبِيةِ، لِمَا رُوي أن عكرمةَ بنَ أبي جهْلٍ خرجَ في خمس مئة، فبَعث رسُولُ الله من هَزَمَه وأدْخَله حيطانَ مكّة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: يومَ الحديبية.

قوله: (وقيل: مِن حُلفاء) هذان التفسيران[1] لقوله: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ﴾... إلخ مبنيّان على الوجهين المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾.

قوله: (أي: قضى بينهم وبينكم) أي: قدَّر الممانعة / بينكم بعد ما أعطاكم الظَّفَر. ويشير بقوله: (بعد ما خوَّلكم)... إلخ إلى أن كان قبل ذلك بينهم مقاتَلة؛ ليكون فتح مكّة عَنْوة لا صُلحًا كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله.[2] وقول المصنّف: "بعد ما خوّلكم"... إلخ تفسير لقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾. [٣٦٣ظ]
وأمّا الشافعي رضي الله عنه[3] فيحمله على غير هذا المعنى، وهو في عام الحديبية،

---

١ ن: التفسيرين.
٢ د - رحمه الله.
٣ د - رضي الله عنه.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أظهَر اللهُ المُسلمين عليهم بالحجارة حتّى أدخلُوهم البيوت.

وقرئ ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

قرئ ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ "والهَدِيَّ" بتخفيف الياء وتشديدها -وهو ما يُهْدَى إلى الكعبةِ- بالنصب عطفًا على الضَّمير المنصُوب في ﴿صَدُّوكُم﴾؛ أي: صَدُّوكم وصَدُّوا الهَدْيَ، وبالجرِّ مَعْطُوفًا على ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بمعنى: وصَدُّوكم عن نَحْرِ الهَدْي ﴿مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾: ....

وقد هبَط عليه صلّى الله عليه وسلّم ثمانون رجلًا متسلِّحون يريدون غِرّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[١] فدعا النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[٢] فأُخِذت أبصارهم فأُخِذوا سِلْمًا.[٣]

قال الإمام الرافعي في الشرح الكبير:

مكّة فُتحتْ صُلحًا، وقال أبو حنيفة ومالك: عَنْوةً. واحتجّ الأصحاب[٤] بقوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾، فالتي عجَّل لهم: غنائمُ خيبر، والتي لم يَقدروا عليها: غنائمُ مكّة. والمعنى: لم يقدِروا عليها بالقهر. وفي قصّة فتح[٥] مكّة أنّ أبا سفيان طلب الأمان لأهل مكّة، فعقَدَ النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[٦] لهم الأمان، واستثنى رجالًا مخصوصين أمرَ بقتلهم. وأيضًا فإنّه صلّى الله عليه وسلّم[٧] لم يَقتل ولم يَسْبِ، ولا قسَمَ عَقارًا ولا منقولًا، ولو فُتحت عَنوة لكان الأمر بخلافه.

---

١ د: عليه السلام.

٢ د: عليه السلام.

٣ صحيح مسلم، ١٤٤٢/٣ (١٨٠٨)؛ سنن أبي داود، ٣٢٥/٤ (٢٦٨٨).

٤ ن: للأصحاب.

٥ ن – فتح.

٦ د: عليه السلام.

٧ د: عليه السلام.

وقال صاحب **الحاوي**:[١] «عندي أنّ أسفل مكّة دخلها خالد بن الوليد عَنوة، وأعلاها دخلها الزبير[٢] بن العوّام، ودخل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٣] مِن جهة الزبير، فصار الحكم حكمَ جهة الأغلب، ولم يُعتبر أسفل مكّة؛ لأنّ القتال كان على جبالها، ولم يكن فيها».

وقد تعلّل أبو حنيفة رحمه الله[٤] امتناع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٥] عن قِسمة العقارات بأنّها خُلقتْ حُرّةً، ويقول: لا يجوز بيع دُورِ مكّة. وعندنا دُورُها وعِراضُها[٦] المُحْياة مملوكة كما في سائر البلاد ويصحّ بيعها، ولم يزل كان الناس يتبايعونها.

ثمّ قال الإمام الرافعي:

وقولُه في الكتاب -يعني: **الوجيز**-: «وقد فُتحت عَنوةً» ظاهرُه يُخالف المذهب، فإنّ الفتح عَنوة قولُ أبي حنيفة ومالك على ما بيّنّاه، وإذ أَجْراه[٧] فهو محمول على ما قال الإمام[٨] أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٩] دخل مكّة مستعِدًّا[١٠] للقتال لو قُوتل، إلّا أنّه لم يُقاتَل واستؤمِن. وأمّا الفتح عَنوةً على معنى أنّه مُنع فقاتَل فهذا لم يتحقّق. وقد فسّر العَنْوة في **الوسيط** بذلك. وكان في غُنْيةٍ مِن استعمال لفظ العَنوة وتفسيره.[١١]

هذا كلام الإمام الرافعي في هذا المقام.[١٢]

وقال حجّة الإسلام الغزالي في الوسيط: «وأمّا دُورُ مكّةَ وأراضيها فمملوكة[١٣] **عند الشافعي رضي الله عنه،**[١٤] **ويجوز بيعها لأصحابها. وصحّ عنده أنّ مكّة**

---

١ الماوردي في **الحاوي الكبير**، ١٤/٢٣٥.
٢ د: زبير.
٣ د: عليه السلام.
٤ د - رحمه الله.
٥ د: عليه السلام.
٦ ن: وعراضها.
٧ في مطبوع **الشرح الكبير**: "آخره".
٨ أبو المعالي الجويني في **نهاية المطلب**، ١٧/٥٠٥.
٩ د: عليه السلام.
١٠ ن: مستعدً.
١١ **الشرح الكبير** للرافعي، ١١/٤٥٥-٤٥٦.
١٢ ف: المعام.
١٣ ن: مملوكة.
١٤ د - رضي الله عنه.

محبُوسًا عن أن يبلغ، وبالرفع على: وصُدَّ الهَدْيُ.

و﴿مَحِلَّهُۥ﴾: مكانَه الذي يَحِلُّ فيه نحرهُ؛ أي: يجِبُ، وهذا دليلٌ لأبي حنيفة رحمه الله على أن المُحصَرَ مَحِلُّ هَدْيِهِ الحَرَمُ.

فإن قلتَ: فكيف حَلَّ رسولُ الله ومَن مَعه، وإنما نُحِرَ هَديُهم بالحُديبية؟

قلتُ: بعضُ الحُديبيَةِ من الحَرمِ، ورُوي أن مَضارِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحِلِّ ومُصلَّاه في الحَرم.

فإن قلتَ: فإذًا قد نحرَ في الحَرم فلِمَ قيل: ﴿مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾؟

قلتُ: المراد: المَحِلُّ المعهود وهو منًى.

﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ صِفةٌ للرِّجال والنساء جميعًا، ....

فُتحتْ عَنوةً على معنى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[1] دخلها مستعِدًّا للقتال لو قُوتل، وقال أبو حنيفة رحمه الله:[2] لا يصحّ بيع دُورِ مكّة».[3]

[٣٦٤و] قوله: ﴿مَحِلَّهُۥ﴾ أي: مكان حُلوله، أي: وُجوبه ووُقوعِه. ومَحِلُّ / الدَّين وقت حُلوله، أي: وُجوبه ووقوعه. وقوله: (**مَحبوسًا**) أي: ممنوعًا مِن بلوغ المَحِلّ.

قوله: (**وهذا دليل لأبي حنيفة رحمه الله**)...[4] إلخ وعند الشافعي مَحِلّ هَدْيِ المُحصَر[5] حيث أُحْصِر.[6]

قوله: (**فإن قلتَ: فكيف حلّ؟**) هذا السؤال بناء على مذهب أبي حنيفة رحمه الله.[7]

قوله: (**مَضارِبَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم**)[8] أي: مُعسكرَه ومَوضِع ضَرب خِيامه.

---

١ د: عليه السلام.
٢ د – رحمه الله.
٣ **الوسيط** للغزالي، ٤٢/٧.
٤ د – رحمه الله.
٥ ن: المحضر
٦ ن: أحضر. | انظر: **المجموع** للنووي، ٣٠٣/٨.
٧ د – رحمه الله.
٨ د: عليه السلام.

و﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بدَلُ اشتمالٍ منهم، أو من الضَّمير المنصُوب في ﴿تَعْلَمُوهُمْ﴾.

و"المَعَرَّة": مَفْعَلةٌ، مِن عرَّهُ بمَعنى عرَاهُ: إذا دَهَاهُ ما يَكرَهُه ويَشُقُّ علَيه.

و﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلِّق بـ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ يَعني: أن تَطؤوهُم غيرَ عالمين بهم، والوَطءُ والدَّوسُ عبَارةٌ عن الإيقاع والإبادة، قال:

وَوَطِـئْـتَـنـا وَطـأً عـلـى حَـنَـقٍ   وَطءَ المُقيَّـدِ نَابِـتَ الهَـرْمِ

وقال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «وإنَّ آخِرَ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا اللهُ بوَجّ».

والمَعنى: أنَّه كان بمكةَ قومٌ من المسلمين مختلِطُون بالمشركين غيرُ مُتميِّزين منهم ولا مَعروُفِي الأمَاكِن، فقيل: ولولا كراهةُ أن تُهلِكوا ناسًا مُؤمنين بَين ظَهرَانَي المُشركين وأنتُم غيرُ عارِفين بهم فيُصيبَكم بإهلاكهم مكروهٌ ومَشقَّةٌ لمَا كفَّ أيديكم عنهم.

قوله: (بدل اشتمالٍ منهم) أي: مِن[1] الرجال والنساء.[2]

قوله:

(وَطْـأَ الـمُـقَـيَّـد نـابـتَ[3] الـهَـرْمِ)[4]

"المقيَّد"، أي: البعير المقيَّد. و"الهَرْم" -بالتسكين-: نَبْتٌ، وهو ضَرب مِن الحَمض،[5] الواحدة: هَرْمة. وخُصَّ المقيَّد لأنَّ وطأته أثقل، كما خُصَّ الحَنِق لأنَّ إيقاعَه أقلّ، والمعنى: أثَّرتَ فينا تأثير الحَنِق الغضبان كما يؤثِّر البعير[6] المقيَّد[7] إذا وطئ هذا النَّبتَ.[8]

قوله: (بِوَجّ) الوَجُّ: وادٍ بالطائف.[9]

قوله: (مكروه ومشقَّة) "مكروه"، أي: ذنب، و"مشقَّة"، أي: إثم.

---

١ ن - من.

٢ وفي هامش د ف: قوله: (الوَطْء والدَّوس)... إلخ فيكون مِن قَبيل ذكر المَلزوم وإرادة اللازم، فإنّ الوطء مستلزم للإهلاك.

٣ ن: نايب.

٤ للحارث بن وَعلة. انظر: سمط اللآلي للبكري، ١/٥٨٥.

٥ ن: المحض.

٦ وفي هامش د ف: المعَرَّة: المشقَّة. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٧/٣٢٠ (الفتح، ٢٥/٤٨).

٧ ن: المقير.

٨ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ لو تميَّزوا، يعني: المؤمنين مِن الكفَّار. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٧/٣٢٠ (الفتح، ٢٥/٤٨).

٩ انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، «وجج».

وحُذِف جوابُ "لولا" لِدَلالةِ الكلامِ عَليه، ويجوز أن يكون ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ كالتكرير لِـ"لولا رِجالٌ مؤمنون" لمَرجعِهمَا إلى معنًى واحد، ويكونَ ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ هو الجوابَ.

فإن قلتَ: أيُّ معرَّةٍ تصيبهُم إذا قتلُوهُمْ وهم لا يَعلمونَ؟

قلتُ: يُصيبُهم وجوبُ الدِّيةِ والكفَّارةِ، وسُوءُ قالةِ المشركين: **أنَّهم فعَلُوا** بأهْلِ دينهم مثلَ ما فعَلوا بنَا من غير تمييزٍ، والمَأثَمُ إذا جَرَى منهم بعضُ **التَّقصير**.

فإن قلتَ: قولُه تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ تعليلٌ لماذَا؟

قلتُ: لِمَا دلَّت عليه الآيةُ وسيقَتْ لهُ من كَفِّ الأيدي عن أهْل مكة والمنعِ من قتلهم صَوْنًا لِمَن بين أَظهُرهم من المؤمنين؛ كأنَّه قال: كانَ الكَفُّ ومَنعُ التعذيب ليُدخِلَ اللهُ في رَحْمتهِ -أي: في تَوفيقِه لِزيادة الخير والطَّاعةِ- مُؤمنيهم، أو ليُدْخِل في الإسلامِ مَن رَغِب فيه من مُشركيهم.

﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾: لو تفرَّقُوا وتميَّز بَعضُهم من بعض، من زالَهُ يَزِيله، وقرئ: "لو تَزايَلوُا".

قوله: **(كالتكرير)**[1] أي: بدلًا منه. وقوله: **(لِمَرجعهما)** أي: لرجوعهما.

قوله: **(مؤمنيهم)**[2] أي: المؤمنين الذين كانوا بمكّة، فإنّه إذا حَفِظهم مِن وَطء المؤمنين بَقُوا سالمين، ووفّقهم[3] الله تعالى لزيادة[4] الخير والطاعة. وقوله: **(أو ليُدخل في الإسلام)** حاصل الوجهين: أنّه يجوز أن يكون المراد بـ﴿مَن يَشَآءُ﴾ الذين كانوا مؤمنين بين[5] ظَهْرانَي المشركين بمكّة، وأن يكون المراد المشركين[6] الذين آمنوا بعد ذلك.

قوله: **(مِن زالَه)**[7] أي: فرّقه.

---

١ ن: كالتلرير.
٢ ن: مؤمنهم.
٣ ن: ووقّفهم.
٤ ن: للزيادة.
٥ ن – بين.
٦ ن: للمشركين.
٧ ن: زالة.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِذْ﴾ يجوز أن يَعْمَلَ فيه ما قبلَهُ؛ أي: لعَذَّبناهم -أو: صَدُّوهم عن المسجد الحَرام- في ذلك الوقت، وأن يَنتصبَ بإضمار "اذكُر".

والمراد بحميَّة الذين كفروا وسكينَةِ المُؤمنين -والحميَّةُ: الأنفَةُ، والسَّكينةُ: الوَقارُ- ما يُروَى: أنَّ رسُول الله لمَّا نَزلَ بالحُدَيبيةِ بَعَثت قُرَيشٌ سُهَيلَ بن عمْرٍو القُرشيَّ وحُويطِبَ بن عَبدِ العُزَّى ومِكْرَزَ بنَ حَفصِ بنِ الأَخيَف على أن يَعرِضُوا على النَّبي صلى الله عليه وسلم أن يَرْجِعَ من عامهِ ذلك على أن تُخْلِيَ له قُريشٌ مَكَّةَ من العام القابل ثلاثَة أيَّام، ففعَل ذلك وكتَبُوا بينَهم كتابًا، فقال عليه السلام لِعَليٍّ: «اكْتُب: بسْمِ الله الرَّحمن الرَّحيم»، فقال سُهَيلٌ وأصحابهُ: ما نعرِفُ هذا، ولكن اكتُبْ: باسمكَ اللَّهم، ثم قال: «اكتُب هذا ما صَالح عليه رسولُ الله أهلَ مكة»، فقالوا: لو كنَّا نعلم أنك رسول الله ما صَدَدْناكَ عن البَيْت ولا قاتَلْنَاك، ولكن اكتُبْ: هذا ما صَالحَ عليه محمَّدُ بن عبْدِ الله أهلَ مكَّة، فقال عليه السلام: «اكتُبْ ما يُريدُون، فأنا أشهد أنِّي رسُولُ الله وأنا محمَّد بن عبد الله»، فَهمَّ المُسلمون أن يأبَوا ذلك ويَشْمئِزُّوا منه، فأنزَل الله على رسُولهِ السَّكينة وعلى المؤمنين فتَوقَّرُوا وحَلُمُوا.

قوله: (**أو صدُّوهم**) وإنَّما[1] قال: "صدّوهم"، ولم يقل: صدّوكم؛ لأنّه يريد الإشارة إلى المعنى، ولم يصرّح بذكر لفظ **القرآن**، ولهذا قال: (**لَعذّبْناهم**) وإن كان لفظ **القرآن**: ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

قوله: (**والحَميّة: الأنَفة**) جملة معترِضة.

قوله: (**فأنا أشهد أنّي رسول الله**) أي: أظهرتُ المعجزة على يدَيّ بعد دعواي النبوّة، وبذلك ثبتَتْ نبوَّتي. وهذا هو المراد بشهادته صلّى الله عليه وسلّم.[2]

---

[1] ن: إنّما.

[2] د: عليه السلام.

و"كلمةُ التقوى": «بسم الله الرحمن الرحيم» و«محمَّدٌ رسُول الله» قد اختارهَا الله لنبيّه والذين معَه أهلِ الخير ومُستحقِّيه ومَن هُم أولى بالهدَايةِ من غيرهم.

وقيل: هي كلمةُ الشَّهادة.

وعن الحَسن: "كلمةُ التَّقوى": هي الوفاءُ بالعَهْد، ومَعْنى إضافتِها إلى التقوى أنَّها سبَبُ التَّقوى وأسَاسُها.

وقيل: كلمةَ أهل التَّقوى.

وفي مُصحف الحَارث بن سُويْدٍ صاحِب عبد الله: "وكانوا أهلَها وأحقَّ بها"، وهو الذي دُفِنَ مُصحفُه أيَّامَ الحجَّاج.

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

كما أنّ المراد بشهادة الله على النبوّة هو إظهار المعجزة على يد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[١] أو نقول: لمّا ثبَت نبوّته بالمعجزة فإذا قال: "أنا نبيّ" كفى ذلك، ولا يحتاج إلى شيء آخر، فلذا قال: أنا أشهد.

قوله: **(قد اختارها)** أي: الكلمة. يعني: لمّا لم يرضَ المشركون[٢] بأن يَكتُب في كتاب العهد: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ولا بأن يَكتُب فيه: «محمّد رسول الله»، فقد صاروا مَحرومين مِن هذه الكلمات، وصارت مختصّة بالمؤمنين، فلذلك قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

قوله: **(دُفِن مُصحفُه)** دفنه الحَجّاج لأنّه كان مخالفًا للمصحف الإمام في مواضع.

---

١ د: عليه السلام.

٢ ن: المشركين.

رأى رَسُولُ الله عليه السلام قبل خُروجه إلى الحُديبية كأنّه وأصحابَه قد دخلُوا مكّةَ آمنِين وقد حَلَّقوا وقَصَّروا، فقصَّ الرُؤيَا على أصحابِهِ ففرحُوا واستَبشَرُوا وحَسِبُوا أنّهم داخلوهُا في عامِهِم، وقالوا: إنَّ رُؤيا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حقٌّ، فلمَّا تأخَّر ذلك قالَ عبدُ الله بنُ أُبيٍّ وعبدُ الله بن نُفَيلٍ ورفاعةُ بنُ الحارث: والله ما حَلَّقنا ولا قصَّرنا ولا رأَينا المسجدَ الحَرام، فنزلَتْ.

ومعنى: ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾: صَدَقه في رُؤيَاه ولَم يَكْذِبْه -تعالى الله عن الكذِب وعن كلِّ قبيح عُلوًّا كبيرًا- فحُذف الجارُّ وأُوصِل الفعلُ كقوله: ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب ٣٣/٢٣].

فإن قلتَ: بمَ تعَلَّق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؟

قلتُ: إمَّا بـ﴿صَدَقَ﴾؛ أي: صَدَقَهُ فيما رَأى وفي كونِهِ وحصُوله صدقًا مُلْتبِسًا بالحقّ؛ أي: بالغرضِ الصَّحيحِ والحكمةِ البَالغةِ، وذلك ما فيه من الابتلاء والتَّمييزِ بينَ المؤمن المُخلِص وبينَ مَن في قلبه مرَضٌ، ويجوز أن يتعَلَّق بـ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ حَالًا منها؛ أي: صَدَقه الرؤيا مُلتبِسةً بالحقِّ، على مَعنى أنّها لم تكُن من أضغاثِ الأحلامِ، ويجوز أن يكون ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قسَمًا: إمَّا بالحقِّ الذي

قوله: **(رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)**[١] مِن الرؤيا.

قوله: **(أي:[٢] بـ﴿صَدَقَ﴾)**...[٣] إلخ فيكون صفة مصدرِه[٤] المحذوف. وقوله: **(وفي كونه)** أي: في تحقّقه وثبوته. فـ"كان"[٥] تامّة، وهو كالبيان لقوله: **(فيما رأى)**.

قوله: / **(ويجوز أن يتعلّق بـ﴿ٱلرُّءْيَا﴾)**... إلخ واعلم أنّه إذا جُعل ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلّقًا بـ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ حالًا منها كان المذكور فيما مرّ مناسبًا ههنا جدًّا، أي: الرؤيا ملتبِسة بالغرَض الصحيح والحكمةِ[٦] البالغة، وهو الابتلاء والتميز، فإنّهما نشآ مِن الرؤيا.[٧] [٣٦٤ظ]

---

١ د: عليه السلام.

٢ في مطبوع **الكشّاف**: إمّا.

٣ ن: يصدق.

٤ ف + حذف. | وفي هامش د: صدق.

٥ ف: وكان.

٦ ن: والحلمة.

٧ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: مِن قِبَل فتح مكّة.

هو نقيضُ الباطلِ، أو بالحق الذي هو من أسمائهِ، و﴿لَتَدۡخُلُنَّ﴾ جَوابُه، وعلى الأوَّل هو جوابُ قسمٍ محذُوفٍ.

فإن قلتَ: ما وجهُ دخول ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في إخبارِ الله عزَّ وجَلَّ؟

قلتُ: فيه وجوهٌ:

أن يُعلِّق عِدَتَه بالمشيئةِ تعليمًا لِعبادهِ أن يقُولوا في عِدَاتِهم مثلَ ذلك مُتأدِّبينَ بأدَبِ الله ومُقتدِين بسُنَّتِه.

وأن يُريد: لَتدخُلُنَّ جميعًا إن شاء الله ولم يُمِتْ مِنكم أحدًا.

أو كان ذلك على لسانِ مَلَكٍ فأَدخَل المَلَكُ ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

أو هي حكايةُ ما قال رسولُ الله لأصحابهِ وقصَّ عليهم.

وقيل: هو متعلِّق بـ﴿ءَامِنِينَ﴾.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ﴾ من الحِكمة والصَّواب في تأخير فتح مكَّة إلى العامِ القابلِ ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من دون فتح مكة ﴿فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾ وهو فتحُ خيبَر؛ لتَستَرْوِحَ إليه قلوبُ المؤمِنين إلى أن يتيسَّر الفتحُ المُوعود.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾

﴿بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾: بدينِ الإسلام ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ﴾: ليُعليَه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: على جنسِ الدِّين كلِّه، يُريد الأديانَ المُختَلفةَ من أديان المشركين والجاحدِين وأهل الكتاب، ولقد حقَّق ذلك سُبحانه فإنَّك لا تَرى دِينًا قطُّ إلَّا وللإسلامِ دُونه العِزُّ والغَلَبةُ.

وقيل: هو عند نُزول عيسَى صلواتُ الله عليه حين لا يَبْقَى على وجهِ الأرض كافِرٌ.

قوله: (ليَسْتروح) اسْتروَح[1] إليه: استَنام.[2]

---

[1] ن: ستروح.

[2] الصحاح للجوهري، «روح».

وقيل: هو إظهارُه بالحُجَجِ والآياتِ.

وفي هذه الآية تأكيدٌ لِمَا وَعَد من الفتح، وتَوطِينٌ لنفُوس المؤمنين على أن الله سيَفتحُ لهم من البلادِ ويُقيِّضُ لهم من الغَلَبة على الأقاليم ما يَستقِلُّونَ إليه فتحَ مكّةَ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أنَّ ما وعَده كائنٌ.

عن الحسن: شهِد على نفسهِ أنه سَيُظهِر دِينك.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾

﴿مُّحَمَّدٌ﴾ إمَّا خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: هو محمَّدٌ؛ لتقدُّم قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ وإمَّا مُبتدأٌ وخبرُه ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾.

و﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ عطفُ بَيانٍ، وعن ابن عامرٍ: أنَّه قرأ: "رسُولَ الله" بالنصب على المَدح.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: أصحَابُه ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾: جمعُ شديدٍ ورَحيم، ونحوه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة ٥/٥٤] ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة ٩/٧٣] ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة ٩/١٢٨].

وعن الحَسن: بلَغ من تشَدُّدِهم على الكفَّار أنهم كانوا يتحرَّزونَ من ثِيابهم أن تَلزَقَ بثيَابهم، ومن أبدانِهم أن تمَسَّ أبدانَهُم، وبلغ من تَرحُّمهم فيما بَينهم أنه كان لا يَرى مؤمنٌ مُؤمنًا إلَّا صافَحه وعَانقَه.

قوله: (ويُقيِّضُ) قيَّض الله فلانًا[1] لفلانٍ، أي: جاءه[2] به وأتاحه له.[3]

---

١ ن: فيلا.

٢ ن: حا.

٣ الصحاح للجوهري، «قيض».

والمصَافحةُ لـم يَختلف فيها الفُقهاء، وأمَّا المُعانقَةُ فقد كرهَهَا أبو حنيفة رحمه الله، وكذلك التقبيلُ قال: لا أحبُّ أن يُقبِّل الرجلُ من الرَّجلِ وجهَه ولا يَدهُ ولا شيئًا من جَسده، وقد رَخَّص أبو يوسف في المُعانقة.

ومن حقِّ المُسلمين في كلِّ زمانٍ أن يُراعُوا هذا التَّشدُّدَ وهذا التَّعطُّفَ، فيتشَدَّدُوا على مَن ليس على مِلَّتهم ودِينِهم ويَتحامَوهُ، ويُعاشِرُوا إخوَتَهم في الإسلام مُتعطِّفينَ بالبرِّ والصِّلةِ وكَفِّ الأَذَى والمعُونة والاحتمالِ والأخلاقِ السجيحَة.

ووَجهُ مَن قَرأ "أشِدَّاءَ" و"رُحماءَ" بالنصب أن ينصبَهما على المَدح، أو على الحال بالمُقدَّرِ في ﴿مَعَهُۥ﴾ ويَجعلَ ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ الخبَرَ.

﴿سِيمَاهُمْ﴾: عَلامتُهم، وقرئ: "سِيميَاؤُهم" وفيها ثلاثُ لُغاتٍ: هاتان والسِّيماءُ.

والمراد بها: السِّمَةُ التي تَحدثُ في جبهَةِ السُّجَّاد من كثرةِ السُّجُودِ، وقَولُه: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ يُفسِّرها؛ أي: من التأثِير الذي يُؤثِّرُه السُّجودُ، وكان كلٌّ من العَلِيَّيـن: عليّ بنِ الحُسين زينِ العابدين، وعليّ بن عبد الله بن عبَّاس أبي الأَمْلاكِ رضي الله عنهما يُقال له: ذُو الثَّفِناتِ؛ لأن كثرة سجُودِهما أَحْدثت في مَواقعه منهما أشبَاهَ ثِفنَاتِ البَعير.

وقرئ: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ و: "من آثار السجود".

وكذا عن سعيد بن جُبيْر: هي السِّمَةُ في الوَجه.

فإن قلتَ: فقد جاء عن النَّبي صلى الله عليه وسلم: «لا تَعْلُبوا صُوَرَكم»،

قوله: **(السجيحة)** أي: الليّنة.

قوله: **(ذو الثَّفِنات)** جمع ثَفِنة[1] البعير، وهي ما يقع على الأرض مِن أعضائه إذا غلُظ مِن استناختِه.[2]

قوله: **(لا تَعْلبُوا)** العَلْب:[3] واحد العُلوب؛[4] وهي الآثار، تقول منه: عَلَبْتُه

١ ن: نقية.
٢ **الصحاح** للجوهري، «غلظ».
٣ ن: الغلب.
٤ ن: الغلوب.

وعن ابن عُمر رضي الله عنهما: أنه رأى رجُلًا قد أثَّر في وَجْههِ السُّجُودُ فقال: إنَّ صُورةَ وجهِكَ أنفُكَ فلا تَغْلُبْ وجهَكَ ولا تَشِنْ صُورَتكَ؟

قلتُ: ذلك إذا اعتَمَد بجَبهته على الأرضِ لتَحدُثَ فيه تلك السِّمةُ، وذلك رِيَاءٌ ونِفاقٌ يُستَعاذُ بالله منه، ونحن فيما حَدث في جبهةِ السَّجَّاد الذي لا يَسجُد إلَّا خالصًا لوجهِ اللهِ.

وعن بعض المتقدِّمينَ: كنَّا نُصلي فلا يُرَى بين أعْيُنِنا شيء، ونَرى أحَدَنا الآن يُصلِّي فتُرَى بين عينَيهِ رُكبَةُ العِير، فما نَدري أثَقُلتِ الأرْؤُسُ أم خَشُنتِ الأرضُ؟

وإنما أرادَ بذلك مَن تعمَّد ذلك للنِّفاق.

وقيل: هو صُفرةُ الوجهِ من خَشيةِ الله، وعن الضَّحَّاك: ليس بالنَّدَبِ في الوجُوه، ولكنَّه صُفْرةٌ.

وعن سعيد بن المسيِّبِ: نَدى الطَّهُور وتُرابُ الأرضِ.

وعن عطاء: استنارَتْ وجوهُهم من طُول ما صَلَّوا باللَّيل؛ كقَوله: «مَن كَثُر صَلاتُه باللَّيلِ حَسُن وَجْهُه بالنَّهار».

أعلُبُه[١] -بالضمّ- إذا وسَمْتَه أو خدشتَه وأثَّرتَ فيه.[٢]

قوله: **(ونحن فيما حدث)** أي: نحن[٣] نقول فيما حدث، أو نحن نتكلَّم أو نبحث.

قوله: **(ليس بالنَّدْب)** النَّدْب جمع نَدْبة؛ وهي العلامة.

قوله: **(وتراب الأرض)** قال الواحدي في **الوسيط**: «**قال عِكرمة**: 'هو التراب على الجِباه'. وقال[٤] أبو العالية: '**لأنهم يسجدون على التراب، لا على الأثواب**'».[٥]

قوله: (**«مَن كثُرَ[٦] صلاتُه»**) **إلى قوله**: (**«بالنهار»**)[٧] **قيل: هو مِن الأحاديث الموضوعة.**[٨]

---

١ ن: أعلبته.

٢ **الصحاح** للجوهري، «علب».

٣ ن - نحن.

٤ ن: قال.

٥ **التفسير الوسيط** للواحدي، ١٤٦/٤ (الفتح، ٢٩/٤٨).

٦ ن: كثرة.

٧ **سنن ابن ماجه**، ٣٥٨/٢ (١٣٣٣)؛ **مسند الشهاب** للقضاعي، ٢٥٤/١ (٤١٢).

٨ ردّه القضاعي في **مسند الشهاب**، ٢٥٤/١ (٤١٢).

﴿ذَٰلِكَ﴾ الوَصفُ ﴿مَثَلُهُمْ﴾؛ أي: وَصْفُهم العجيبُ الشَّأنِ في الكِتابَين جميعًا، ثمَّ ابتدأ فقال ﴿كَزَرْعٍ﴾ يُريد: هُم كزَرْع.

وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ ثمَّ ابتدأ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾.

ويجوز أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةً مُبْهَمةً أُوضِحَت بقوله: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر ١٥/٦٦].

وقرئ: "الأنجيل" بفتح الهمزة.

﴿شَطْـَٔهُۥ﴾: فِراخَهُ، يقال: أشطأ الزَّرعُ: إذا فَرَّخَ، وقرئ: ﴿شَطَأَهُ﴾ بفتح الطاء، و: "شَطَاهُ" بتخفيف الهمزة، و: "شطَاءَهُ" بالمد، و: "شَطَهُ" بحذف الهمزة ونقلِ حرَكتِها إلى ما قبلَها، و: "شَطْوَهُ" بقَلبِها وَاوًا.

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ من المُؤازرةِ وهي المُعاوَنةُ، وعن الأخفش أنه أفعَلَ، وقرئ: ﴿فأَزَرَهُ﴾ بالتخفيف والتشديد؛ ....

قوله: **(ذلك الوصف)** يعني: ذلك الوصف -وهو أنّهم أشدّاء على الكفّار- مَثَلُهم، أي: وصفُهم العجيب الشأن.

قوله: **(ثمّ ابتُدئ)** وهذا الوجه مناسب؛ لأنّه كثُر في **الإنجيل** الأمثال.

قوله: **(ويجوز أن يكون)** هذا عطف على قوله: "ذلك الوصف".

قوله: **(بتخفيف الهمزة)** أي: قلبها[١] ألفًا.[٢]

قوله: **(﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ مِن المؤازرة)** سبعة، فيكون على فاعل. وقوله: **(بالتخفيف)** سبعة.[٣] وقوله: **(والتشديد)**[٤] شاذّ.[٥] قال أبو عليّ في **الحجّة**:

---

١ ن: قبلها.

٢ أي: "شَطَاهُ". قراءة شاذّة، مرويّة عن أنس بن مالك رضي الله عنه. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٤٣.

٣ أي: ﴿فَأَزَرَهُۥ﴾ بقصر الهمزة، وبها قرأ ابن عامر بخلف عن هشام، وقرأ باقي العشرة: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بالمدّ، وهو الوجه الثاني لهشام. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٧٥.

٤ ف: التشديد؛ ن: بالتشديد.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن البصري. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٤٣.

أي: فَشَدَّ أَزْرَه وقَوَّاهُ، ومَن جَعل "آزَرَ" أفعَلَ فهو في مَعنى القراءتين.

قرأ ابن عامر وحدَه: ﴿فَأَزَرَهُۥ﴾ على "فَعَلَه" مقصورةَ الهمزة، والباقون ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ على "فاعَلَه".[١] أبو عبيدة: «﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: ساواه، صار مثل الأُمِّ».[٢] قال أبو علي: وفاعل "آزَرَهُ": الشَّطْؤُ،[٣] أي: آزَرَ الشَّطْؤُ[٤] الزَّرْع، فصار في طوله، قال:

بمَحْنِيــــةٍ قــــد آزَرَ الضــــالَ نَبْتُهــــا[٥]

أي: ساوى نبتُه[٦] الضالَ فصار في قامته؛ لأنّه لا يُرعى.[٧] والمَحاني:[٨] مَعاطِف الأودية، الواحد:[٩] مَحْنِية بالتخفيف، مِن انحنى،[١٠] أي: انعطَفَ.[١١] و"الضالُ":[١٢] السِّدْرُ[١٣] البرّيّ،[١٤] وهو مُعتلّ العين، لا مهموز العين.[١٥]

ويجوز أن يكون فاعل "آزَرَ" الزَّرْعُ، أي: آزَرَ الزرعُ شطأه.

ومِن الناس مَن يفسّر "آزَرَه": أعانه وقوّاه، فعلى هذا يكون "آزَرَ الزَّرْعُ الشَّطْؤَ. وقال[١٦] أبو الحسين: «"آزَرَه" أفعَلَه»، وهو الأشبَه؛ ليكون قولُ ابن[١٧] عامر: "أَزَرَهُ" فَعَلَه، فيكون فيه لغتان: فَعَلَ، وأَفْعَلَ؛ لأنّهما كثيرًا يتعاقبان.[١٨]

هذا كلام أبي عليّ في **الحجّة**، وكلام المصنّف يدلّ على أنّ الأَولى أن يقال: فاعل "آزَرَ": الشَّطْؤُ، وأنّ معنى "آزَرَ": قَوَّى.[١٩]

قولـه: **(فشـدَّ أَزْرَه)** الأَزْرُ:[٢٠] / القـوّة، وآزَرْتُ فلانًـا، أي: عاونتُـه، والعامّـة تقـول: وازَرْتُـه.[٢١] [٣٦٥و]

---

١ ن + قال. | **الصحاح** للجوهري، «حنا».

٢ **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ٢/٢١٨.

٣ كذا في الأصول الخطّيّة؛ رسمت الهمزة على واو.

٤ ن: للسطو.

٥ ن: بينها. | تمام البيت:

مَـجَـرُ جُـيـوشٍ غـانِـمـين وخُـيَّـبِ

وهو لامرئ القيس في ديوانه، ص ٤٥.

٦ ن: بيته.

٧ ن: يدعى.

٨ ن: المحاني.

٩ ف: الواحدة.

١٠ ن: الحنى.

١١ ن: العطف.

١٢ ن: الصال.

١٣ ن: والسدر.

١٤ **الصحاح** للجوهري، «ضيل».

١٥ مِن قوله: "والمَحاني" إلى هنا ليس في **الحجّة**.

١٦ ف: قال.

١٧ ن: أبا.

١٨ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٦/٢٠٥.

١٩ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ حال.

٢٠ ف: الأزو.

٢١ **الصحاح** للجوهري، «أزر».

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: فصار من الدِّقَّة إلى الغِلَظ.

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: فاستقام على قصَبِه، جمعُ ساقٍ، وقيل: مكتُوبٌ في الإنجيلِ: سَيخْرُج قومٌ يَنبتُونَ نباتَ الزَّرعِ يأمُرون بالمعرُوفِ ويَنهَون عن المُنكر.

وعن عكرمةَ: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ بأبِي بَكرٍ رضي الله عنه، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بعُمر رضي الله عنه، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ بعُثمان رضي الله عنه، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بعَليّ رضي الله عنه.

وهذا مَثَلٌ ضَربَه الله لبَدْء أمْرِ الإسْلام وتَرقِّيه في الزِّيادة إلى أن قَوِيَ واستحكَم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قامَ وحدَه ثمَّ قوَّاهُ الله بمَن آمنَ مَعَه كما يُقوِّي الطاقَةَ الأُولى من الزَّرْع ما يَحتَفُّ بها مما يتولَّدُ منها حتَّى يُعجِبَ الزُّرَّاعَ.

فإن قلتَ: قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ تعليلٌ لماذا؟

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي: الزَّرْعُ. وقوله: **(فصار مِن الدِّقَّة)** أي: يكون للتحوُّل، نحو: استحْجر الطين.

قوله: **(على قصَبه)** إشارة إلى أنّ "السُّوق" هنا مجاز؛ إذ لا يكون للزرع ساق؛ بل قصبٌ، قال أبو عليّ: «الساق: حامل الشجرة، فاستعماله في الزَّرع اتّساع واستعارة».[1]

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ﴾... إلخ في بعض التفاسير:[2] ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبو بكر، ﴿أَشِدَّآءُ﴾ عمر، ﴿رُحَمَآءُ﴾ عثمان،[3] ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ عليّ، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ طلحة والزبير، ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾ سَعْد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عُبيدة بن[4] الجرَّاح، فهؤلاء العشرة مَثَلهم في **التوراة والإنجيل**.

---

[1] **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٢٠٥/٦.

[2] عن الحسن في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣٢٢/٢٤ (الفتح، ٢٩/٤٨)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ٣٢٥/٧ (الفتح، ٢٩/٤٨).

[3] ف: عثمن.

[4] د ف - بن.

قلتُ: لِمَا دلَّ عليه تَشبيهُهم بالزَّرعِ من نمائهم وتَرقِّيهم في الزِّيادة والقُوة، ويجوز أن يُعلَّل به ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لأنَّ الكفَّار إذا سَمِعُوا بمَا أُعدَّ لهُم في الآخرة مع ما يُعزُّهُم به في الدُّنيا غاظَهُم ذلك، ومَعْنى ﴿مِنْهُم﴾ البيَانُ كقوله تعَالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج ٣٠/٢٢].

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأَ سُورة الفتح فكأنَّما كان ممَّن شَهِد معَ محمَّدٍ فتحَ مكَّةَ».

قوله: (**قلتُ: لِما دلّ**) أي: كثَّرهم[١] بعد القِلّة، وقوَّاهم بعد الضَّعفِ؛ لِيَغيظ بهم الكفّار.

قوله: (**ويجوز أن يُعلَّلَ به**) أي: يجوز أن يُعلّل بقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ﴾ قولُه تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾. والله أعلم.[٢]

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنّه وكرَمه.[٣]

---

١ ن: لثرهم.

٢ ف ن - والله أعلم.

٣ ف - السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه؛ ن - ومنّه وكرمه.

سورة الحجرات

مدنيةٌ، وهي ثماني عشرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ قدَّمهُ وأقدَمهُ مَنقولانِ بتثقيلِ الحشو والهمزةِ من قَدَمَهُ: إذا تَقدَّمَهُ، في قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ﴾ [هود ١١/٩٨] ونظيرُهما مَعنًى ونقلًا: سَلَّفَه وأَسْلَفه.

سورة الحجُرات

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (**منقولان**)... إلخ أي: نقلًا مِن الثلاثيّ[2] إلى التفعيل والإفعال، وفيه لفّ ونشر.

قوله: (**مِن قَدَمَه**) يعني: مِن[3] قَدَمَ[4] -بفتح الدال- يَقدُم -بضمّه- قُدْمًا، أي: تقدَّم، قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود ١١/٩٨]. واحترز المصنّف بالبيان الذي أفاده مِن قولهم: قَدِمَ مِن سفره قُدومًا ومَقْدَمًا؛ بالفتح، يقال: وَردتُ مَقدَمَ الحاجّ، فإنّه بكسر العين في الماضي، والفتحِ في المضارع. ومِن قولهم: قَدُم الشيء يَقدُم -بالضمّ فيهما- قِدَمًا، فهو قديم.

قوله: (**سَلَفَه وأسلَفَه**) سَلَفَ يَسْلُفُ مثل: طَلَبَ يَطلُبُ طلَبًا، أي: مَضى،

---

[1] ف ن - وبه نستعين.
[2] ن: الثلاثي.
[3] ن - من.
[4] ن: يقدم.

وفي قولهِ تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ من غيرِ ذكرِ مفعولٍ وجهان:
أحدهما: أن يُحذَفَ لِيتَناولَ كلَّ ما يقعُ في النفس ممَّا يُقدَّم.
والثاني: أن لا يُقصَدَ قَصْدُ مَفعولٍ ولا حَذفُه، ويُتوجَّهَ بالنَّهي إلى نفس التَّقدِمةِ؛ كأنَّه قيل: لا تُقْدِمُوا على التلبُّس بهذا الفعل ....

والقوم السُّلّاف: المتقدِّمون، وسَلَفُ الرجلِ: آباؤه المتقدِّمون، والجمع:[1] أسْلاف وسُلّاف.[2]

قوله: **(ليتناول)**... إلخ أي: لا تقولوا[3] شيئًا ولا تفعلوا[4] فِعلًا[5] قبل أمرِهما ونَهْيهما؛ لأنّ ظاهر المعنى: لا تُقدِّموا قولَكم ولا فِعلَكم مِن الأمر والنهي والضرب والقتل[6] زمانَ قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،[7] وذلك لأنّ المراد بقوله: ﴿بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: الزمان المتقدّم على أمرهما ونَهيهما كما سيتحقّق عن قريب إن شاء الله تعالى. وينبغي أن تعلم أنّ المراد بالمفعول المحذوف هو الذي زاد بسبب النقل[8] إلى باب التفعيل، وأمّا المفعول[9] الذي يقتضيه أصل الفعل فهو قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

قوله: **(أن لا يُقصد قصدُ مفعول)** أصل هذا التركيب:[10] أن لا يُقصد مفعولٌ قَصدًا، ثمّ قُدّم المصدر وأُضيف إلى المفعول، وأقيم مُقام الفاعل، فهو قريب مِن قوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد ٤٧/٤]، أي: فاضرِبوا الرقابَ ضَرْبًا.
[٣٦٥ظ] وقوله:[11] **(ولا حذفُه)** "لا" زائدة لتأكيد النفي، كأنّه أن لا يُقصد مفعولٌ / ولا حذفه. وقوله: **(ويُتوجَّه)** عطف على قوله: "يُقصد".[12]

قوله: **(كأنّه قيل: لا[13] تُقْدِموا)** هو مِن قولهم: أقدَمَ على الأمر إقدامًا،

---

١ ن - والقوم السُّلّاف: المتقدّمون، وسَلَف الرجلِ: آباؤه المتقدِّمون، والجمع.
٢ **الصحاح** للجوهري، «سلف».
٣ رسم بالتاء والياء في د.
٤ رسم بالتاء والياء في ف.
٥ ن + أفعلًا.
٦ ن: والقيل.
٧ د: عليه السلام.
٨ ف: الفعل.
٩ ن: المنقول.
١٠ د: الترتيب.
١١ ف: قوله.
١٢ ن - وقوله: (ويُتوجَّه) عطفٌ على قوله: "يُقصَد".
١٣ ن: ولا.

ولا تجعَلُوه منكم بسبيلٍ؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [غافر ٦٨/٤٠].

ويجوز أن يكونَ مِن "قَدَّم" بمعنى: تَقدَّم؛ كوَجَّه وبيَّن، ومنه: مقدِّمةُ الجيش، خلافُ سَاقتِهِ، وهي الجماعةُ المتقدِّمَةُ منه، وتعضُدهُ قراءةُ مَن قرأ: ﴿لا تَقَدَّمُوا﴾ بحذف إحدى تاءَيْ "تتَقدَّموا"، إلَّا أن الأوَّلَ أملأُ بالحُسْنِ وأوجهُ، وأَشَدُّ مُلاءمةً لِبَلاغةِ القرآن، والعُلماءُ له أقْبلُ.

أي: أتى بذلك الفعل واشتغل به، فكأنّه قيل: لا تشتغِلوا بالتقديم بين يَدَي الله ورسوله، ولا تجعلوا التقديم واقعًا في طريقكم، فـ"مِن" في قوله: (مِنكم) للاتصال، أي: لا[1] تجعلوا التقديم بين يَدَي الله ملابسًا لكم، متّصلًا بكم، واقعًا في سبيلكم.

قوله: (كقوله: ﴿هُوَ[2] ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [غافر ٦٨/٤٠]) فهذه الآية يجوز أن يُستشهد بها للوجهين،[3] فيقال: حذف[4] المفعول[5] للدلالة على التعميم،[6] أو أُجري ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [غافر ٦٨/٤٠] مُجرى الفعل اللازم، أي: يوجِد الأحياءَ والإماتةَ، ويُقدِم عليهما.

قوله: (ويجوز أن يكون) هذا عطفٌ على قوله: (وفي قوله: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾)... إلخ، فإنّ ذلك إشارة إلى أنّ قوله: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ متعدٍّ، وهذا إشارة إلى أنّه لازم.

قوله: (إلّا أنّ الأوّل) "إلّا" بمعنى "لكن"، وهو متعلّق بقوله: "يجوز"،[7] وإنّما كان الأوّل أولى لاشتماله على أحد المعنَيَين[8] المذكورَين.

قوله: (أملأ) المَليء: الغنيّ المقتَدِر،[9] وقد مَلُؤَ مَلاءةً، وهو أملأ منه، على أفعَل التفضيل، وهو قول شُرَيح: «اختر أملأهم»،[10] أي: أغوَنَهم.[11]

---

[1] ن - ولا تجعلوا التقديم واقعًا في طريقكم، فـ"مِن" في قوله: (منكم) للاتّصال، أي: لا.

[2] ف - هو.

[3] ن: للرحمن.

[4] ن - حذف.

[5] ن: والمفعول.

[6] ف: للتعميم.

[7] ن - (الأوّل) "إلّا" بمعنى "لكن"، وهو متعلّق بقوله: "يجوز".

[8] ف: المعنين.

[9] ن: المعنى المتقدّم.

[10] انظر: **الأصل** للشيباني، ٤٣٠/١٠.

[11] **المُغرب** للمطرّزي، «ملأ».

وقرئ: "لا تَقْدَمُوا" من القُدُوم؛ أي: لا تقدَمُوا إلى أَمْرٍ من أمُورِ الدِّين قبلَ قُدُومهما ولا تعجلُوا عَليهما.

وحقيقةُ قَولِهم: "جَلستُ بين يَدَيْ فُلانٍ": أن تجلِسَ بين الجِهتَيْنِ المُسَامِتَتَين ليَمينهِ وشِمالهِ قريبًا منه، فسُمِّيت الجِهتان يَدَيْنِ لكونهما على سَمْتِ اليَدَيْنِ مع القُرب منهما توَسُّعًا كما يُسمَّى الشَّيء باسم غيره إذا جاوَرَهُ ودانَاهُ في غيرِ مَوضعٍ.

وقد جَرتْ هذه العبارةُ هاهنا على سَنَنِ ضرْبٍ من المجاز، ....

قوله: (وحقيقة قولهم)... إلخ الحقيقة: الكلمة المستعمَلة[١] في معناها الأصليّ كما عُلِم، فكأنّه قال: الكلمة التي ينبغي أن تُستعمل في المعنى المراد هنا هو[٢] قولهم: جلسَ بينَ الجهتين المُسامِتَيَن[٣] لليدين[٤] قريبًا منه. ولا يجوز أن يقال: المراد بالحقيقة هنا: المعنى الحقيقيّ ذات الحقيقة؛ إذ ليس المعنى الحقيقيّ لقولهم: "جلست بينَ يديه": الجلوس بين الجهتين المُسامتَين[٥] لليدين، وهو ظاهر. ويجوز أن يُراد بالحقيقة هنا: المعنى المراد الثابت إرادته[٦] بهذه الكلمة، فتأمّل.

قوله: (إذا جاوَرَه) مثل: جرى الميزاب، وجرى النهر.

قوله: (وقد جرَتْ) يشير إلى أنّه لمّا عرفتَ أنّ المراد بقولهم: "بين اليدين": هو الجهة والمكان الذي يكون بين الجهتين المسامتَين[٧] لليدين؛ ينبغي أن تَعلم أنّ في قوله تعالى: ﴿بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ استعارة، وذلك أنّه شبّه الزمان بالمكان حيث شبّه الإتيان بالشيء قبل أنْ يأمُرَ به الله ورسوله بتقدُّم مَن يتقدَّمُ في المَشْي[٨] في الطريق مثلًا لوَقاحته على مَن يتقدَّم أن يتأخّر عنه ويَقْفُوَ[٩] أثرَه تعظيمًا له وترحيبًا، ثمّ أطلِقَ تقدّم المكان وأريدَ تقدّم الزمان.

---

١ ن: المستقلّة.
٢ ن – هو.
٣ ف ن: المسامتين.
٤ ن: للدين.
٥ ف: المسامتين.
٦ د: أراد به؛ ف: أراد.
٧ ف: المسامتين.
٨ ن: الشي.
٩ ن: ويقفوا.

وهو الذي يُسمِّيه أهلُ البيان تمثيلًا، ولجزيها هكذا فائدةٌ جليلةٌ ليست في الكلام العُريان، وهي تَصويرُ الهُجنةِ والشَّناعةِ فيما نُهوا عَنه من الإقدامِ على أمرٍ من الأمُور دون الاحتذاءِ على أَمْثِلةِ الكتابِ والسُّنة.

والمعنى: أن لا تَقْطَعُوا أمْرًا إلا بَعد ما يَحكُمانِ به ويَأذَنانِ فيه، فتكونُوا إمَّا عاملينَ بالوَحي المُنزَل، وإمَّا مُقْتَدِينَ برسُول الله، وعَليْه يَدورُ تفسيرُ ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما.

وعن مجاهدٍ: لا تفتاتُوا على الله شيئًا حتَّى يَقُصَّه على لسَانِ رسُوله.

ويجوز أن يُجرَى مَجرى قَولك: "سَرَّني زيدٌ وحُسْنُ حَالِهِ" ....

ثمّ أشار المصنّف إلى فائدة هذه الاستعارة والتمثيل بقوله: **(ولجَريها هكذا)**... إلخ. والهُجْنة: العَيب. والشَّناعة:[١] القُبح،[٢] مِن شَنّعتُ عليه الأمر تَشنيعًا؛ إذا قبَّحْتَه[٣] عليه.[٤] وقوله: **(تَمثيلًا)** وهو التمثيل الساذَج. وقولنا:[٥] "الساذَج" احتراز عن التمثيل بالاستعارة.[٦]

قوله: **(العُرْيان)** أي: العاري عن التمثيل.[٧]

قوله: **(ما يَحكمان به)** "ما" مصدريّة، أي: بعد حُكمِهما[٨] به، وإذنِهما فيه.

قوله: **(لا تَفْتاتوا)** قال في **الصحاح**: «افتاتَ / فلان عليَّ، أي: قال عليك الباطل».[٩] [٣٦٦و]

وقال في **مجمل اللغة**: «الافْتيات: افتعال مِن الفَوْت، وهو السبق إلى الشيء».[١٠]

قوله: **(ويجوز أن يُجرَى)** عطفٌ على قولِه... إلخ،[١١] أو على معنى **(دون الاحتذاء)**، وهذا أوجَه؛ لأنّ قوله: **(والمعنى)**[١٢] إلى قوله: **(رسولِه)**[١٣] تقرير له.

---

١ ف: والشُّناعة.
٢ ن: الفتح.
٣ ن: فتحته.
٤ **المُغرب** للمطرّزيّ، «شنع».
٥ ن: وفولنا.
٦ وفي هامش ف: فيه نظر.
٧ ن - قوله: (العُرْيان) أي: العاري عن التمثيل.
٨ ن: حكمها.
٩ **الصحاح** للجوهري، «فأت».
١٠ **مجمل اللغة** لابن فارس، «فوت».
١١ ف: إلى آخره. | كذا في النسخ الخطيّة، سقط منها لفظ قوله المعطوف عليه، ولعلّ المراد قوله: (وقد جرَت هذه العبارة)... إلخ.
١٢ ن + إلخ، أو على معنى (دون الاحتذاء)، وهذا أوجَه؛ لأنّ قوله: (والمعنى).
١٣ ف: ورسوله.

و"أُعْجِبتُ بعَمرٍو وكرَمِه"، وفائدةُ هذا الأسلوب: الدَّلالةُ على قوَّة الاختصاص، ولمَّا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكانِ الذي لا يَخفَى سُلكَ به ذلك المَسلكُ.

وفي هذا تَمْهيدٌ وتوطئةٌ لِمَا نُقِمَ منهم فيما يَتلُوها مِن رَفع أصواتهم فوق صوتهِ؛ لأن مَن أحْظاهُ الله بهذه الأَثرَةِ، واختَصَّه هذا الاختصاصَ القويَّ، كان أدْنَى ما يَجِبُ له من التَّهيُّبِ والإجلال أن يُخفَضَ بين يدَيهِ الصَّوتُ ويُخافَتَ لَدَيهِ بالكلام.

وقيل: بعثَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم إلى تهامَةَ سريَّةً سبعةً وعشْرين رَجُلًا عَليْهِم المُنذرُ بن عمرٍو السَّاعِديُّ، فقتَلهم بنو عَامرٍ وعَليهم عامرُ بنُ الطُّفيلِ، إلَّا ثلاثةَ نَفَر نَجَوا فَلَقُوا رَجُلينِ من بني سُليْم قُربَ المَدينةِ، فاعتَزَيَا لهم إلى بني عامرٍ -لأنَّهم أعَزُّ من سُليْم- فقتَلوُهما وسَلبُوهما، ثُمَّ أتَوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «بئسمَا صَنعتُم، ....

قوله: (هذا الأسلوب) أي: أسلوبُ[١] "سرَّني زيدٌ وحُسْنُ حاله".

قوله: (وفي هذا تمهيد) أي: في قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾... إلخ.

قوله: (لِما نُقِمَ[٢] منهم) أي: عِيبَ عليهم وأُنكِر.

قوله: (لأنَّ مَن[٣] أحاطَه[٤] الله) بيان كونه تمهيدًا وتوطئةً لِما يتلوه.

قوله: (الأَثَرة) "الأَثَرة" اسم الاستيثار[٥] الذي[٦] هو الاستبداد.

قوله: (وقيل: بعث) عطفٌ على قوله: (وفي هذا تمهيدٌ)؛ لأنّ الأوّل إشارة إلى أنّه نزل لتمهيد[٧] ما بعده، وهذا إشارة إلى أنّه نزل في حقّ هؤلاء لا[٨] لتمهيد ما بعده.

---

١ ن - أي: أسلوب.
٢ ن: قدم.
٣ وفي هامش د ف: أي: النبيّ عليه السلام.
٤ د ف: أخطأه. | في مطبوع الكشّاف: "أحظاه".
٥ ن: الاستثنا.
٦ ن: والذي.
٧ ن: التمهيد.
٨ ن - لا.

كانا مِن سُلَيم، والسَّلَبُ ما كسَوتُهما»، فَوَدَاهُما رسولُ الله ونزلَت؛ أي: لا تعمَلُوا شيئًا من ذات أنفسِكم حتَّى تَستَأمِرُوا رَسُولَ الله.

وعن مسروقٍ: دخَلتُ على عائشة رضي الله عنها في اليوم الذي يُشَكُّ فيه، فقالت للجارية: اسقِيهِ عَسَلًا، فقُلتُ: إنِّي صائمٌ، فقالت: قد نهى اللهُ عن صَومِ هذا اليوم، وفيه نَزلَتْ.

وعن الحسنِ: أنَّ أُناسًا ذَبَحوا يومَ الأضحَى قبلَ الصَّلاة فنزلَتْ، وأمَرهُم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُعِيدُوا ذبْحًا آخَر. وهذا مذهبُ أبي حنيفةَ رحمه الله إلَّا أَنْ تزولَ الشَّمسُ، وعند الشافعي رحمه الله: يجوز الذَّبح إذا مضَى من الوقتِ مِقدارُ الصَّلاة.

وعن الحسن أيضًا: لمَّا استقرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمَدينة أتتهُ الوُفُودُ من الآفاق فأكثَرُوا عليه بالمَسائل، فنُهوا أن يَبتَدِئُوه بالمَسألَةِ حتَّى يكونَ هو المُبتدئَ.

وعن قتادة: ذُكِر لنَا أنَّ ناسًا كانُوا يقولُون: لو أُنزِل فيَّ كذا لكان كَذا، فكَرِه اللهُ ذلك منهُم وأنزلَها.

وقيل: هي عامَّةٌ في كلِّ قولٍ وفعلٍ، ويَدْخُلُ فيها أنه إذا جَرَتْ مسألَةٌ

قوله: **(كانا مِن بني سُلَيم)** هذه الجملة بيان للجملة[١] المتقدِّمة.

قوله: **(والسَّلَبُ ما كَسَوتهما)** مِن تمام الحديث.

قوله: **(فَوداهما)** أي: أعطى دِيتَهما.

قوله: **(وفيه نزلت)** مِن كلام عائشة رضي الله عنها.[٢]

قوله: **(أيضًا)** وإنَّما قال: "أيضًا"[٣] لأنَّ القول المتقدِّم كان مَرويًّا عنه، فله في سبب نزوله وجهان.

---

١ ف: مِن الجملة.

٢ د - رضي الله عنها.

٣ ن - قال: "أيضًا".

في مجلِس رسول الله لم يَسبِقُوه بالجواب، وأن لا يُمشَى بين يدَيهِ إلّا لِلحاجة، وأن يُستَأنَى في الافتتاحِ بالطَّعام.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فإنّكم إن اتَّقَيتُموهُ عَاقَتْكُم التَّقوى عن التَّقدِمةِ المَنهيِّ عنها، وعن جميع ما تَقتضي مُراقبةُ الله تَجنُّبَه، فإنَّ التَّقيَّ حَذرٌ لا يُشافِهُ أَمْرًا إلا عن ارتفاعِ الرَّيبِ وانجِلاءِ الشَّك في أنْ لا تَبعَةَ عليه فيه، وهذا كما تقولُ لمن يُقارِفُ بعَضَ الرَّذائل: "لا تفعَلْ هذا وتَحفَّظْ ممَّا يُلصِقُ بكَ العَارَ"، فتَنْهَاهُ أوَّلًا عن عينِ ما قارَفَه ثمَّ تَعُمُّ وتُشيعُ وتَأمُرُه بما لو امتثَلَ فيه أمْرَكَ لم يَرْتكِبْ تلك الفعلةَ وكلَّ ما يَضربُ في طَريقها ويتعلَّقُ بسبَبِها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَا تقُولون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تعمَلون، وحقُّ مثلهِ أن يُتَّقى ويُراقَبَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾

إعَادةُ النداءِ عَليهم استدعاءٌ منهم لتجديدِ الاستبصَار عند كلِّ خِطابٍ واردٍ، وتَطريةِ الإنصَاتِ لكلِّ حُكمٍ نازلٍ، وتَحرِيكٌ منهم لئلَّا يَفتُروا ويَغفُلوا عن تَأمُّلِهم، وما أُخذُوا به عند حضُورِ مجلسِ رسُول الله من الأدَبِ الذي المُحافَظةُ عليه تعُودُ عليهم بعَظيمِ الجَدوى في دِينهم، وذلك أنَّ في إعْظامِ صاحبِ الشرعِ إعظَامَ ما وَرد به، ....

قوله: (وأنْ يُستأنَى) أي: يُنتظَر.

قوله: (عاقَتْكم)[١] أي: مَنعَتْكم، والعَوْق: المنع.

قوله: (لا يُشافِه) أي: لا يُشارِف، يقال: شافَهتُ[٢] البلدَ إذا شارفتَه.

قوله: (وما أُخِذوا به) أي: عمّا أُخِذوا.

قوله:[٣] (مِن الأدب) بيان "ما".

---

١ ن: عاقبكم.

٢ ن: شارفت.

٣ ن - البلد إذا شارفتَه. قوله: (وما أُخِذوا به) أي: عمّا أُخِذوا. قوله.

ومُستَعظِمُ الحقِّ لا يَدَعُه استعظامُهُ أنْ يألوَ عَملًا بما يَحْدُوه عليه، وارتِداعًا عمَّا يَصُدُّه عنهُ، وانتهاءً إلى كلِّ خيْرٍ.

والمراد بقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾: أنّه إذا نطَق ونَطقْتُم فعَليْكُم أن لا تَبلغُوا بأصواتِكُم ورَاء الحدِّ الذي يَبلُغُه بصَوتِهِ، وأن تغُضُّوا منها بحيث يكون كلامُه عاليًا لكلامِكم، وجَهرُهُ باهِرًا لِجَهْرِكم، حتَّى تكونَ مَزيَّتُه عليكم لائحَةً وسَابِقتُه واضِحة، وامتيَازُه عن جُمهوركم كشيَةِ الأَبلقِ غيرَ خَافٍ، لا أن تغْمُرُوا صَوْتَه بلَغَطِكم وتَبْهَرُوا مَنْطِقَه بصَخَبِكُم.

وبقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾: أنّكم إذَا كلَّمْتُموهُ وهو صَامِتٌ فإيَّاكُم والعُدولَ عمَّا نُهِيتُم عنه من رَفع الصَّوتِ، بل عليْكُم أنْ لا تَبلغُوا به الجَهْرَ الدَّائرَ بَينكم، وأن تَتعمَّدُوا في مخاطبته القولَ اللَّيِّنَ المقرَّبَ من الهَمْس الذي يُضَادُّ الجهْرَ، كما تكون مخاطبةُ المَهِيبِ المُعظَّم، عامِلِين بقَوله عزَّ اسْمُه: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح ٩/٤٨].

قوله: (ومُستَعْظِم الحقّ) أي:[١] ما ورد به.

قوله: (بما يَحْدوه) ضميره المستتر عائد إلى (الحقّ)، أو إلى (صاحب الشرع). قال في مجمل اللغة: «حَدَوتُه[٢] على كذا: بعثتُه عليه».[٣] قوله: "يَحْدوه" صحّ بالحاء المهملة.

وقوله: (وارتداعًا) عطفٌ على قوله: (عملًا)، وكذا قوله: (انتهاءً). والتقييد بغير ذلك ممّا يخالفه خَبط. وقوله: (عمّا يَصُدّه) فاعله إمّا "الحقُّ" أو "صاحب الشرع"، كما مرّ في "يَحدوه". وقوله: "وانتهاءً"،[٤] أي: إيصالًا[٥] إلى كلّ خير،[٦] وإتيانًا به.

قوله: (يبلغه بصوته) "الباء"[٧] للتعدية.

قوله: (كَشِيَةِ)[٨] أي: علامة.

---

[١] ن – أي.
[٢] ن: حدوثه.
[٣] مجمل اللغة لابن فارس، «حدو».
[٤] ن: انتهاءً.
[٥] ن: اتصالًا.
[٦] ن: خبر.
[٧] ن: الا.
[٨] ن: شبه.

وقيل: مَعنى ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: لا تقولُوا لهُ: يا محمَّدُ، يا أحمدُ، وخاطِبوهُ بالنُّبوَّة.

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: لمَّا نزلت هذه الآيةُ قال أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: يا رسولَ الله، واللهِ لا أُكَلِّمكَ إلَّا السِّرارَ أو أخَا السِّرارِ حتَّى ألقَى اللهَ.

وعن عُمر رضي الله عنه: أنه كان يُكلِّم النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كأخِي السِّرارِ لا يُسمعُه حتَّى يَستَفْهِمَهُ.

وكان أبو بكر إذا قَدِمَ على رسول الله وفدٌ أَرسَل إليهم مَن يُعَلِّمُهم كيف يُسَلِّمونَ، ويَأمُرهُم بالسَّكينةِ والوَقار عند رسُول الله صلى الله عليه وسلم.

وليس الغَرَضُ برَفعِ الصَّوتِ ولا الجَهْرِ ما يُقصَدُ به الاستخفافُ والاستهَانة؛ لأن ذلك كفرٌ، والمخاطَبُون مؤمِنُون، وإنَّما الغَرَضُ صَوْتٌ هو في نفسِهِ والمَسمُوعُ من جَرْسه غيرُ مُناسبٍ لِمَا يُهَابُ به العُظَماءُ ويُوقَّرُ الكُبَراءُ، فيُتكَلَّفُ الغَضُّ منه، ورَدُّهُ إلى حدٍّ يَمِيلُ بهِ إلى ما يَسْتَبِينُ فيهِ المأمورُ به من التَّعزيرِ والتَّوقيرِ.

ولم يتناوَل النَّهيُ أيضًا رَفْعَ الصَّوتِ الذي لا يتَأذَّى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما كان منهم في حَرْبٍ، أو مُجَادلةِ معَانِدٍ، أو إرْهابِ عَدوٍّ، أو ما أَشْبهَ ذلك.

ففي الحَديث أنَّه قال عليه السَّلام للعبَّاس بن عبدِ المطَّلب لمَّا انهزَم النَّاسُ يَوْمَ حُنَيْنٍ: «اصرُخْ بالنَّاسِ»، وكان العبَّاسُ أَجهَرَ النَّاسِ صَوْتًا.

قوله: (قال ابن عبّاس رضي الله عنهما:[١] «لمّا نزلت») هذا مؤيِّد[٢] للوجه الأوّل.

قوله: («أو أخا السِّرار»)[٣] أي: مثل السِّرار.[٤]

قوله: (مِن التعزير) بيان (المأمور به).

---

[١] د - رضي الله عنهما.

[٢] ن: مؤيدًا.

[٣] نحوه في مسند البزّار، ١٢٧/١ (٥٦)؛ والمستدرك للحاكم، ٧٨/٣ (٤٤٤٩)، مِن حديث أبي بكر رضي الله عنه.

[٤] ن: الشرار.

يُروى: أنَّ غارَةً أَتَتْهم يَومًا فصَاحَ العبَّاسُ: يا صَباحَاهُ، فأسقطتِ الحَواملُ لشِدَّةِ صَوْتِه، وفيه يقول نابغَةُ بني جَعْدَةَ:

زَجْـرَ أبـي عُـروَةَ السِّبَاع إذَا   أشـفَـقَ أن يَـخـتَـلِـطْـنَ بـالـغَـنَـمِ

زعَمتِ الرُّوَاةُ أنه كان يَزجرُ السِّباعَ عن الغَنمِ فيَفْتِقُ مَرارَةَ السَّبُع في جوفهِ.

وفي قراءة ابن مسْعُود رضي الله عنه: "لا تَرفَعُوا بأَصْوَاتِكُم" والبَاءُ مزيدةٌ مَحذوٌّ بها حَذْوَ التَّشديدةِ في قول الأَعْلَم الهُذَلِي:

رَفَّـعْـتُ عَـيْـنِـي بـالـحـجَـا   ز إلـى أُنـاسٍ بـالـمـنَـاقِـبِ

ولَيْس المَعنى في هذه القراءة أنهم نُهُوا عن الرَّفع الشَّديدِ تخيُّلًا أن يكُون ما دُون الشَّدِيد مُسَوَّغًا لهُم، ولكن المَعنى نهيُهُم عمَّا كانوا عليه من الجَلبَةِ

قوله: (**يُروى أنّ غارة**) بيان كونه أجهَرَ.

قوله: (**وفيه يقول**) أي: في العبّاس.

قوله: (**والتشديدة**)[1] يريد: أنّ التشديدة[2] في (**رَفَّعْتُ**) للمبالغة، وكذا "الباء" في ("**بِأَصْوَاتِكُمْ**")،[3] ولكن ليس المراد النهيَ عن النهي الشديد وتَسويغَ ما دونَه؛ بل المراد نهْيُهم عمّا كانوا عليه.

قوله: (**أبي عُروة**) كُنية العبّاس.

قوله: (**في قول الأعلَم**) اتّفق أنّ ابن مسعود كان مِن هُذَيل، والأعلَم كان هُذَليًا.[4]

قوله: (**بالمَناقِب**) اسم موضع.

قوله: (**تخيُّلًا**) مفعول له، أي: ليس المعنى: أنّهم نُهُوا ليظنُّوا، فحذف اللام لأنّ التخيّل، أي:[5] الظنّ فِعل لفاعل الفِعل المُعلّل.

---

[1] في مطبوع **الكشّاف**: حذو التشديدة.

[2] ف: التشديد.

[3] في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، وهي قراءة شاذّة. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٤٤.

[4] ن - قوله: (أبي عُروةَ) كُنية العبّاس. قوله: (في قول الأعلَم) اتّفق أنّ ابن مسعود كان مِن هُذَيل، والأعلَم كان هُذَليًا.

[5] ن: أو.

واستجْفاؤُهُم فيما كانوا يَفعلُون.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: نَزلتْ في ثابتِ بن قيسِ بن شمَّاسٍ، وكانَ في أُذنهِ وَقرٌ، وكان جَهْوَريَّ الصَّوتِ، فكان إذا كَلَّم رفعَ صَوتَه، وربَّما كان يُكلِّم رسولَ الله فيَتأذَّى بصَوْتهِ.

وعن أنس رضي الله عنه: أن هذه الآيةَ لمَّا نزلَتْ فُقِدَ ثَابتٌ، فتَفقَّدَهُ رسولُ الله فأُخبِر بشَأنهِ، فدعاه فسألَه فقال: يا رسُولَ الله، لقد أُنزِلَتْ إليك هذِه الآيةُ، وإنِّي رَجُلٌ جَهيرُ الصَّوتِ فأخافُ أن يكون عمَلي قد حَبِطَ، فقال له رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لستَ هُناك، إنَّكَ تَعيشُ بخَيْرٍ وتمُوتَ بخَيْرٍ، وإنَّك من أهل الجنَّة».

وأمَّا ما يُروَى عن الحسن: أنها نزلَتْ فيمَن كان يَرْفعُ صَوْتَه من المُنافِقين فوقَ صَوْتِ رسُول الله، فمَحْمَلُه -والخطابُ للمُؤمِنينَ- على أن يُنهَى المؤمنُونَ لِيندَرجَ المُنافقُون تحت النَّهي، ليَكُونَ الأَمرُ أغلَظَ عَليهم وأشَقَّ.

وقيل: كان المنافِقون يَرفعُون أَصْواتَهم ليُظهِرُوا قلَّة مُبالاتِهم به فيَقتديَ بهم ضَعَفةُ المُسلمينَ.

وكافُ التَّشبيه في محلِّ النَّصب؛ أي: لا تجهروا له جَهْرًا مثلَ جَهْرِ بَعضِكم لبَعْضٍ، وفي هذا: أنَّهم لم يُنْهَوا عن الجَهْر مُطْلقًا حَتَّى لا يَسُوغُ لهُم إلَّا أن يُكلِّموه بالهَمْس والمُخَافتةِ، وإنَّما نُهوا عن جهْرٍ مخصُوصٍ مُقيَّدٍ بصِفةٍ، أعني:

قوله: (استِجْفاؤهم) استَجْفاه:[١] عدّه جافيًا.[٢] يقال: الجَفاء غالبٌ على أهل البَدو، وهو الغِلَظ في العشرة، والخُرق[٣] في المعاملة، وترك الرِّفق. وثوبٌ جافٍ: أي: غليظٌ.[٤]

[٣٦٦ظ] قوله: (فُقِدَ ثابت) / أي: ثابت بن[٥] قيس.

قوله: (والخطاب للمؤمنين) "الواو" للحال، أو جملة معترِضة.

---

١ د: استَحفاه؛ ن: استحفاوه.

٢ **الصحاح** للجوهري، «جفا».

٣ ن: والحرف.

٤ **المُغرب** للمطرّزي، «جفو».

٥ ن: ابن.

الجَهرَ المنعُوتَ بمُماثَلَةِ ما قد اعتادُوهُ منه فيما بَينهُم، وهُو الخلوُّ من مُراعاة أُبَّهَةِ النُّبوَّةِ وجَلالةِ مقدارها، وانحِطاطِ سَائر الرُّتَبِ وإن جَلَّتْ عن رُتبَتِهَا.

﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَـٰلُكُمۡ﴾ مَنصُوبُ المَوضِعِ على أنّه مفعُولٌ له، وفي مُتَعَلَّقهِ وَجْهان:

أحدهما: أن يتعلَّق بمَعنى النهي، فيكونَ المعنى: انتَهُوا عمَّا نُهِيتُم عَنه لحُبُوطِ أعْمالِكم؛ أي: لِخشيَةِ حُبُوطِهَا، على تقدير حَذْف المضاف كقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء ٤/١٧٦].

والثاني: أن يَتَعَلَّق بنَفسِ الفعل، ويكونَ المَعنى: أنَّهم نُهوا عن الفعل الذي فعَلُوه لأجْل الحُبُوطِ؛ لأنه لمَّا كان بصَدَدِ الأداء إلى الحُبُوطِ جُعِل ....

قوله: **(قد اعتادوه منه)** أي: مِن الجهر، فإنّهم قد اعتادوه نوعًا مِن الجهر فيما بينهم.

قوله: **(أُبَهةِ)** أي: العَظَمة.[1]

قوله تعالى: (**﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء ٤/١٧٦]**)، أي: كراهة أنْ تَضِلُّوا.

قوله: **(لأجل الحُبوط)** متعلّق بقوله: **(فعلوه)**، أي: فعلوا ذلك الفعل -وهو رفع الصوت والجَهْر- لِتحبَط أعمالُهم. وقوله: **(لأنّه)** أي: لِأنّ[2] الفِعل. وقوله:[3]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (أحدهما: أن يتعلّق)... إلخ الحاصل: أنّ هنا يجوز أن يكون تعليلًا للنهي كما في الوجه **الأوّل**، والعامل معنى النهي، وأن يكون نهيًا للمُعلّل كما في الوجه **الثاني**، والعامل فيه الفعل المعلّل بخلاف قول المصنّف في ديباجة **المفصَّل** [ص ١٨]: «ولا يَبعدون عن الشُّعوبيّة مُنابذةً للحقّ الأبلج»، فإنّه هناك متعيّن أن يكون تعليلًا للنفي، لا نفيًا للتعليل، فإنّه يُفوِّت الغرض على تقدير أن يكون نفيًا للمعلّل، فإنّ الغرَض نفي البعد مطلقًا، فلو كان نفيًا للمقيّد لا يلزم نفيُه على التعيين، فإنّه يحتمل حينئذ أن يكون نفي المقيّد بانتفاء الجزء الثاني فقط، وهو المنابَذة، فلا يلزم انتفاء البُعد، فيفوت الغرَض، فتعيّن أن يكون تعليلًا للنفي، والعامل فيه معنى النفي، وهو "يَقربون"، كما قال ابن الحاجب في **شرح المفصّل [الإيضاح، ١/١٧]**، فالفرق بينهما أنّه يجوز هنا الوجهان، بخلاف هناك، فإنّه يتعيّن هناك أحد الوجهين كما بيّنّا. فإن قيل: لِمَ خَصّ المصنّف التعليل بالنّهيَين الأخيرين دون الأوّل؟ لأنّ النداء الأوّل قد فرَغ، وهذا مِن تتمّة النداء الثاني، فيكون مقطوعًا عنه، فلا يتعلّق به، فتعيّن أن يتعلّق بالنّهيَين الأخيرين، كما قال المصنّف.

[2] ن: لاذ.

[3] ن: قوله.

كأنّه فُعِل لأَجْلِه، وكأنّه العِلَّةُ والسَّببُ في إيجادِه على سَبيلِ التَّمْثِيلِ كقَوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص ٨/٢٨].

فإن قلتَ: لخِّصِ الفرقَ بين الوَجْهين؟

قلتُ: تلخيصُهُ أن يُقدَّرَ الفِعْلُ في الثاني مَضمُومًا إليه المفعُولُ له كأنَّهما شيءٌ واحِدٌ، ثم يُصَبَّ النَّهيُ عليهمَا جميعًا صَبًّا، وفي الأَوَّل يُقدَّرُ النَّهيُ مُوجَّهًا إلى الفِعل على حِيالهِ، ثمَّ يُعلَّلُ له مَنْهِيًّا عنه.

فإن قلتَ: بأيِّ النَّهيَين تعلَّق المفعولُ له؟

قلتُ: بالثَّاني عند البَصْريِّينَ مُقدَّرًا إضْمارُه عند الأوَّل؛ كقولِهِ: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف ٩٦/١٨]، وبالعَكس عند الكوفيِّين، وأيُّهما كان فمَرْجِعُ المَعنى إلى أن الرَّفعَ والجَهْرَ كلاهُما منصُوصٌ أداؤهُ إلى حُبُوطِ العَمل، وقراءةُ ابن مسعُود رضي الله عنه: "فتَحْبَطَ أعمَالُكُم" أَظهَرُ نَصًّا بذلِك؛ لأن ما بعدَ الفاء لا يكون إلَّا مُسبَّبًا عمَّا قبْلَه، فيَتنزَّلُ الحُبُوطُ من الجَهْر مَنْزلةَ الحُلُول من الطُّغيانِ في قوله: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [طه ٨١/٢٠].

و"الحُبوطُ" من حَبِطَتِ الإبلُ: إذا أَكَلَتِ الخَضِر فَنفخَ بَطونَها ورُبَّما هَلكَتْ، ومنه قولُه عَليه السَّلام: «وإن مما يُنبتُ الرَّبيعُ لَمَا يَقتُلُ حَبَطًا ....

(لأجله) أي: لأجل الحُبوط. وقوله: (وكأنّه) أي: الحُبُوط. وقوله: (في إيجاده) أي: في إيجاد ذلك الفعل. وقوله: "لأجل الحُبوط" وحُذف اللام على الوجه الثاني لأنّ حَذْفها مع "أن" و"أنّ" قياس مستمِرّ، أو لأنّه مفعول له. وكذا على الوجه الأوّل يحتمل هذين الأمرين.

قوله: (أظهرُ نصًّا) أي: نُصوصيّته أظهر.

قوله: (في قوله: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ [طه ٨١/٢٠]) ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ [طه ٨١/٢٠].

قوله: («لَما يَقتُل حَبَطًا»)[1] أي: لَشيء يَقتُل، وقوله عليه السلام: «حَبَطًا»

---

[1] صحيح البخاري، ٩١/٨ (٦٤٢٧)؛ صحيح مسلم، ٧٢٧/٢ (١٠٥٢).

أو يُلـمُّ»، ومِن أخَواتهِ: حَبِجَتِ الإبلُ: إذا أكلَت العَرْفَجَ فأصَابَها ذلك، وأحبَضَ عَملَه مِثلُ: أَحبَطه، وحَبِط الجُرحُ وحَبِرَ: إذا غَفِرَ، وهو نكسُه وتراميهِ إلى الفسَاد، جُعِل العَملُ السَّيِّئ في إضرارِهِ بالعمل الصَّالح كالدَّاء والحَرضِ لمن يُصَابُ به، أعاذَنَا اللهُ من حَبَطِ الأعمالِ وخَيْبَة الآمَالِ.

وقد دلَّت الآيةُ على أمْرَين هَائِلَين:

أحَدهُما: أنَّ فيما يَرتكِبُ مَن يُؤمِنُ من الآثَام ما يُحبِطُ عمَلَه.

مصدر لا مِن فعله؛ لأنّه في معنى القتل. وقوله: **(أو يُلِمُّ)** أي: يَقرُب مِن ذلك. والأَولى أن يُقال: هو مفعول له.

قوله: **(حَبِجَتِ[١] الإبلُ)** حَبِجَت[٢] الإبلُ -بالكسر- تَحْبَجُ حَبَجًا؛ انتفخت بطونها عن أكل العَرْفَج؛[٣] لأنّه يتعقَّد[٤] فيها ويَيْبَس حتّى تتمرَّغَ[٥] مِن وَجَعِه.[٦]

قوله: **(وحَبِط الجُرْحُ وحَبِرَ[٧] إذا غفِر)** غَفَر الجُرْح يَغفِر غَفْرًا؛ نُكِسَ،[٨] وكذلك المريض.[٩] وحَبِرَ الجُرح أيضًا حَبَرًا، أي: نُكِسَ وغَفَر، وقال الكسائي، «أي: بَرِئَ[١٠] وبقيت له آثار».[١١]

قوله: **(والحَرَضِ)**[١٢] الحَرَضُ: الإشراف على الهلاك.[١٣]

قوله: **(فيما يرتكبُ)** أي: في الآثام التي يَرتكبها[١٤] المؤمِن ما يُبطِل عمله. وقوله: **(مِن الآثام)** بيان "ما".

---

١ ف: حَبِحَت.

٢ ف: حبَحَت.

٣ العرفَج: نبت، وهو مِن دِقّ الحطَب، سريع الالتهاب، ولا يكون له جمر. **المُغرب** للمطرّزي، «عرفج».

٤ ن: ينعقد.

٥ ف: يتمرَّغ؛ ن: تتمزع.

٦ **الصحاح** للجوهري، «حبج».

٧ ن: وخبر.

٨ ن: انكس.

٩ **الصحاح** للجوهري، «غفر».

١٠ ن: برى.

١١ **الصحاح** للجوهري، «حبر».

١٢ ن: والحريص.

١٣ انظر: **مجمل اللغة** لابن فارس، «حرض». وفي **الصحاح** للجوهري، «حرض»: «رجلٌ حَرَضٌ، أي: فاسدٌ مريضٌ يُحْدِثُ في ثيابه، واحدُه وجمعُه سواء. وقال أبو عمرو: 'الحَرَضُ: الذي أذابَه الحُزن أو العِشق'».

١٤ ن: يرتكها.

والثاني: أنَّ في آثامهِ ما لا يَدْري أنّه مُحْبِط، ولعَلَّه عند الله كذلك، فعَلى المُؤمن أن يكُون في تقوَاه كالمَاشِي في طَرِيقٍ شَائكٍ لا يَزالُ يحتَرِزُ ويَتَوقَّى ويَتحفَّظُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ③﴾

﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ من قَولك: امتُحِنَ فلانٌ لأمرِ كذا، وجُرِّبَ له، ودُرِّبَ للنُّهوضِ به، فهُو مُضْطَلِعٌ بهِ غيرُ وانٍ عنه، والمَعنى: أنَّهم صُبُرٌ على التَّقوى أقوِياءُ على احتمالِ مَشاقِّها.

أو وُضعَ الامتِحانُ مَوضِعَ المَعرفةِ -لأن تحقُّقَ الشيء باختِبارِهِ- كما يُوضَعُ الخَبرُ مَوضِعَها، فكأنه قيل: عرَف اللهُ قُلوبَهم للتَّقوى، وتكون اللام متعلِّقةً بمَحذُوف، واللامُ هي التي في قولك: "أنتَ لهذا الأمْر"؛ أي: كائِنٌ له ومختصٌّ به، قال:

أنتَ لهَا أَحْمدُ من بَينِ البَشرْ

وقال:

أَعَدَّاءُ مَن لِلْيَعْمَلاتِ على الوَجَى وأضيافِ ليلٍ بيَّتوا لنزولِ

قوله: **(مَوضعَها)**[1] أي: موضع المعرفة.

قوله: **(بمحذوف)** أي: كائنةً للتقوى ومختصّةً بها.

قوله:

(أنتَ لها أحمدُ مِن بين البشرْ)[2]

"لها"، أي: للنبوّة، أي: أنت كائن وثابت[3] للنبوّة. و"أحمد"، أي: يا أحمد.

قوله:

(أَعَدّاءُ مَن[4] لِليَعْمَلاتِ[5] على الوَجَى)

---

[1] ن: موضوعها.

[2] في **الصحاح** للجوهري، «غبر»؛ ولسان العرب لابن منظور، «غبر»، للحرمازي، بلفظ:
أنتَ لها مُنذِرُ مِن بين البَشرْ داهيةُ الدهرِ وصَمّاءُ الغَبَرْ

[3] ن: ونايب.

[4] ن: ممن.

[5] ن: لليملات.

وهي مَع معمولها منصُوبةٌ على الحالِ.

أو ضَرَبَ اللهُ قلوبَهُم بأنواعِ المِحنِ والتكاليفِ الصَّعبةِ لأجْلِ التقوى؛ أي: لتَثبُتَ فتَظْهَرَ تقوَاهَا، ويُعلَم أنَّهم مُتَّقونَ؛ لأن حقيقةَ التَّقوى لا تُعلَم إلَّا عند المِحَن والشَّدائدِ والاصطِبَار عَلَيْها.

وقيل: أخلَصَها للتَّقوى، من قَولهم: امتحَن الذَّهبَ وفتَنَه: إذا أذَابَه فخَلَّص إبْريزَه من خَبَثهِ ونَقَّاهُ.

وعن عمر رضي الله عنه: أذهَبَ الشَّهواتِ عنها.

والامتحانُ: افتعالٌ من مَحنَه: إذا اختبره، وهو اختبارٌ بليغٌ أو بلاءٌ جَهِيدٌ، قال أبو عمرو: كُلُّ شيءٍ جَهَدْتَه فَقَد مَحنْتَهُ، وأنشَد:

أتَـتْ رَذايَـا بـاديًـا كَـلَالُـهـا   قد مُـحِـنَـتْ واضـطَـرَبَـتْ آطـالُـهـا

بيتٌ آخر، أي: يا عدّاءُ مَن يكون لليَعْملات؟[1] تمامه:

وأضـيـافٍ[2] لَـيْـلٍ بـيَّـتـوا لـنُـزولِ[3]

قوله: **(وهي مع[4] معمولها)** أي: المحذوف، وإنّما أنّث[5] لأنّه بمعنى: كائنةً ومختصّةً، أو نقول: الضمير يعود إلى "اللام"، يعني: أنّ الجارّ والمجرور في محلّ الحال.

قوله:

(أتَـتْ[6] رَذايَـا)...[7] الـبـيـتَ[8]

الرَذِيّة: الناقة المَهزولة مِن السير، والجمع: الرَّذايا، والمذكّر: رَذِيّ.[9]

---

١ ن - (على الوَجَى) بيت آخر، أي: يا عَدّاءُ مَن يكون لليَعْمَلات؟

٢ ن: صياف.

٣ لعُتَيّ بن مالك يَرثي صاحبَه عَدّاءً. ناداه مسائلًا له على طريق التوجّع: مَن خلّفتَ بعدَك للوُرّاد؟ وعلى مَن اعتمدتَ في تفقُّد الأضياف؟ و"اليَعمَلات": النُّوق السِّراع. و"الوَجَى": هو الحَفَى. انظر: **شرح أبيات الحماسة** للمرزوقي، ٢/٨٨٤.

٤ ن - مع.

٥ ن: أنت.

٦ ن: أنت.

٧ ن: رديا.

٨ ن: والأصل.

٩ **الصحاح** للجوهري، «رذي».

قيل: أُنزلت في الشَّيخين رضي الله عنهما؛ لِمَا كان منهما من غضِّ الصَّوتِ والبُلوغِ به أخَا السِّرارِ.

وهذه الآيةُ بنَظْمِها الذي رُتِّبت عليه: من إيقَاع الغَاضِّين أصْواتَهم اسمًا لـ﴿إِنَّ﴾ المؤكِّدةِ، وتَصييرِ خبَرِها جُملةً من مُبتدأ وخبر مَعْرِفتين معًا، والمبتدأِ اسمَ الإشارة، واستئنافِ الجملة المُستودَعَة ما هُو جزاؤهُم على عملِهم، وإيرادِ الجزاء نكرةً مُبهَمًا أمْرهُ= ناظِرةٌ في الدَّلالة على غايةِ الاعتِداد والارتضاء لِمَا فعَل الذينَ وَقَّرُوا رسولَ الله من خَفض أصواتِهم، وفي الإعلام بمبلَغِ عِزَّة رسُولِ الله وقدْرِ شَرفِ منزلتهِ.

وفيها: تعريضٌ بعَظِيم ما ارتكبَ الرافعُون أَصْواتَهم واستيجابِهم ضدَّ ما استوجَبَ هؤلاء.

والإطْلُ: الخاصِرة.[١] والكَلال: الإعْياء. يعني: أتَتِ الناقة مَهزولةً ظاهرًا إعياؤها مضْطَربةً[٢] خواصرها[٣] مِن شدّة سيرها.

قوله: (لِما كان منهما) أي: لشيء وُجد[٤] وحَصَل، وهو غَضّ الصوت، وإبلاغُ الصوت شبهَ المُسارّة.[٥] وقوله: (أخا[٦] السِّرار) أي: شِبهُ السِّرار.

قوله: (اسمًا لـ"إنّ") أي: ﴿ٱلَّذِينَ﴾. وقوله: (معرفتَين) أي: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾. وقوله: (والمبتدأ[٧] اسمَ الإشارة) أي:[٨] وتصيير المبتدأِ اسمَ الإشارة. وقوله: (واستئنافِ) الجملة المستأنَفة: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾.

قوله: (نكرةً) أي: ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾.

[٣٦٧و] قوله: (مِن خَفْض)[٩] بيان لِ(ما[١٠] / فَعَل).

قوله: (وفيها تعريض) أي: في الآية.

---

١ ن: الحاضرة. | وفي هامش د: والجمع: الآطال "نسخة". | **الصحاح** للجوهري، «أطل».
٢ ن: مطربة.
٣ ن: حواظرها.
٤ ف: وُجِد.
٥ ن: المشار.
٦ ف: أحا.
٧ ن: المبتدأ.
٨ ن – أي.
٩ ن: حفص.
١٠ ن: ما.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾

و"الوَراء": الجهةُ التي يُواريهَا عنك الشَّخصُ بطَلَلِهِ من خَلْفٍ أو قُدَّامٍ، و﴿مِن﴾ لابتداءِ الغاية، وأن المُنادَاةَ نشَأَتْ من ذلك المكان.

فإن قلتَ: أفرُقْ بين الكلامين: بين ما تَثْبُتُ فيه وما تَسقُط عنه؟

قلتُ: الفرق بينهما: أن المنادِيَ والمنادَى في أحدهما يجوز أن يجمَعهُما الوَراءُ، وفي الثاني: لا يجوز؛ لأن الوَراء يصيرُ بدُخُول ﴿مِن﴾ مُبتَدأَ الغايةِ، ولا يَجتمِع على الجِهةِ الواحدةِ أن تكونَ مُبتَدأً ومُنتَهًى لفعلٍ واحدٍ، والذي يقول: "نادَانِي فلانٌ من وراءِ الدَّارِ" لا يُريد وجهَ الدَّارِ ولا دُبُرهَا، ولكن أيَّ قُطرٍ من أقطارِها الظاهرةِ كان مُطلَقًا بغيرِ تعيينٍ واختصاص، والإنكارُ لم يتوجَّه عليهم من قِبَلِ أن النداء وقع منهم في أدْبَار الحُجراتِ أو في وجوهها، وإنَّما أُنكِرَ عليهم أَنَّهم نادَوْهُ من البَرِّ والخارجِ مُناداةَ الأجلافِ بَعضِهم لبعضٍ من غيرِ قصْدٍ إلى جهةٍ دون جهة.

والحُجرةُ: الرُّقعةُ من الأرض المَحجُورةُ بحائطٍ يحوِّطُ عليها، وحَظِيرةُ الإبلِ تُسمَّى الحُجرةَ، وهي فُعلةٌ بمعنى مَفعولَةٍ كالغُرفةِ والقُبضةِ، وجمعُهَا:

قوله: (**بِطَلَلِه**) أي: بذاته وعَينه، قال في **المُجمَل**: «شَخْصُ الرجل: طَلَلُه».[1] وقوله: (**مِن خَلف**) بيان الجهة.

قوله: (**ما تثبُتُ فيه**) أي: تثبُت "مِن" فيه. وقوله: (**وما تَسقُط[2] عنه**) أي: وبين[3] ما تسقُط عنه لفظة "مِن".

قوله: (**في أحدهما**) وهو ما تسقُط[4] عنه "مِن". وقوله: (**وفي الثاني**) أي: ما تَثبُت.

قوله: (**الظاهرة**) أي: الخارجة. وقوله: (**"كان"**) تامّة، صفة لـ(**قُطْر**).[5] وقوله: (**مطلقًا**) حال.

---

[1] **مجمل اللغة** لابن فارس، «طلل».
[2] ن: يسقط.
[3] ف: وين.
[4] ن: يسقط.
[5] ن: لقط.

"الحُجُراتُ" بضمتين، و"الحُجَرات" بفتح الجيم، و"الحُجْرَات" بتسكينها، وقرئ بهنَّ جميعًا.

والمرادُ: حُجُراتُ نساء رسولِ الله، وكانت لكلٍّ منهن حُجرةٌ، ومناداتُهم من ورائها يحتمِلُ أنَّهم قد تَفرَّقوا على الحُجرَاتِ مُتطَلِّبين له، فنادَاه بَعضٌ من وراءِ هذه وبعضٌ من وراء تلك، وأنَّهم قد أتَوهَا حجرةً حجرةً فنادَوهُ من ورائها، وأنهم نادَوهُ من وراءِ الحُجرة التي كان فيها ولكنها جُمِعت إجلالًا لرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ولِمكان حُرمته.

والفعلُ وإن كان مسندًا إلى جميعهم فإنه يجوز أن يَتولَّاهُ بَعضُهُم وكان الباقونَ راضين، فكأنَّهم تَوَلَّوه جميعًا، فقد ذكَر الأصمُّ أن الذي نادَاه عُيينَةُ بنُ حِصنٍ والأقرَعُ بن حابسٍ.

والإخبارُ عن أكثرهم بأنهم لا يعقلون يَحتمِلُ أن يكون فيهم مَن قُصِد بالمُحاشاةِ، ويَحتمِلُ أن يكون الحكمُ بقلَّةِ العُقلاء فيهم قصدًا إلى نفي أن يكون فيهم مَن يَعْقل، فإن القِلَّة تَقعُ مَوقعَ النَّفي في كلامِهم.

روي: أنَّ وفدَ بني تميم أتوا رسُولَ الله وقتَ الظَّهيرة وهو راقِدٌ، فجَعلُوا يُنادُونَه: يا محمَّد اخرُج إلينَا، فاستَيقَظَ فخَرجَ ونَزلت، وسُئِل رسولُ الله عنهم فقال: «هُم جُفاةُ بني تميمٍ، لولا أنَّهم من أشَدِّ الناس قِتالًا للأعورِ الدَّجَّالِ لدَعَوتُ الله عليهم أن يُهلِكهم».

قوله: (**بالمحاشاة**) أي: بالاستثناء.[1]

قوله: (**فإنّ القِلّة تقع**)... إلخ قال:

قليلُ التشكِّي للمهمّ يصيبُه كثيرُ الهَوَى شتَّى النَّوَى[2] والمسالكِ[3]

---

[1] ن: الاستثناء.

[2] ن – شتّى النوى.

[3] لتأبّط شرًّا في ديوانه، ص ١٥١. | وفي هامش د ف: قوله: (في "كان" إمّا ضمير الفاعل)... إلخ على الوجه **الأوّل**: يعود إلى صبرهم، فإنّ "أنّ" مع اسمه وخبره في تأويل صبرهم. وعلى **الثاني**: يعود إلى مطلق الصبر المفهوم مِن ﴿صَبَرُواْ﴾، مثل: ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة ٨/٥].

وورُودِ الآيةِ على النَّمَطِ الذي وَرَدتْ عليه فيه ما لا يَخْفَى على الناظر من بَيِّنَات إكبَار محَلِّ رسُول الله وإجلالِهِ:

منها: مَجيئُها على النَّظْمِ المُسَجِّلِ على الصَّائحينَ به بالسَّفهِ والجَهْلِ لِمَا أقدَمُوا عليه.

ومنها: لفظُ الحُجرات وإيقاعُهَا كنايةً عن موضع خَلوتهِ ومَقيلِهِ مع بَعض نسائهِ.

ومنها: المُرورُ على لَفظها بالاقتصارِ على القَدْرِ الذي تَبيَّن به ما استُنكِر علَيهم.

ومنها: التَّعريفُ باللام دون الإضافة.

ومنها: أنْ شُفِع ذمُّهم باستِجفائِهم واستركاكِ عقُولهم وقِلَّةِ ضَبطِهم لِمواضع التَّمييز في المخاطَبات؛ تَهْوينًا لِلخَطْب على رسول الله، وتَسليةً له وإماطَةً لِمَا تَداخَلَه من إيحاشٍ ....

قوله: **(مِن بيّنات)** بيان "ما". والبيّنات: الحُجَج والدلائل. أي: فيه حُجج تعظيم منزلة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[١]

قوله: **(على لفظها)** أي: لفظ الحُجُرات.[٢]

قوله: **(باستجفائهم)** استجفاه:[٣] عدَّه[٤] جافيًا.[٥]

---

١ د: عليه السلام.

٢ وفي هامش د ف: بل لفظ الآية، وهي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات ٤/٤٩]. وقوله: (بالاقتصار) "الباء" للملابسة، أي: اقتصر في الآية على الذي استنكر منهم، وهو النداء وراء الحجرات؛ ليؤذن بهذا أنّه ليس لهم مِن الخِصال إلّا هذا الأمر المنكَر بسبب إساءة الأدب. قوله: (ومنها التعريف باللام دون الإضافة) فإنّ "اللام" قد يُفيد التعظيم؛ لأنّه قد يُنزل غير المعهود بمنزلة المعهود بوجه مِن الوجوه الخِطابيّة، إمّا لأنّ الشيء عظيم الشأن حَقّه أن لا يُنسى ولا يغيب عن الحسّ، ارجعْ إلى **المفتاح** [للسكّاكي، ٢١٢/١] في قوله: «أمّا الحالة المقتضية لكونه -أي: لكون المسنَد- اسمًا معرّفًا» حتى يتبيّن لك هذا البحث غاية التبيّن. ومِن الإضافة لا يُفهم هذا التعظيم، فإنّها لا تدلّ على الحضور؛ بل يُعلم هناك بواسطة ذكر المضاف إليه، لا مِن جهة الحضور في الذهن، تأمّل.

٣ ن: استحفا.

٤ ن: عدةً.

٥ **الصحاح** للجوهري، «جفا».

تَعَجْرُفِهم وسُوء أدبِهم وهَلمَّ جرًّا من أوّل السُّورة إلى آخر هذه الآية.

فتأمَّلْ كيف ابتُدئ بإيجاب أن تكون الأمورُ التي تَنتَمي إلى الله ورسُولهِ مُتقدِّمةً على الأمُور كلِّها من غيْرِ حَصْرٍ ولا تقييدٍ، ثمَّ أُردفَ ذلك النَّهيَ عمَّا هو من جنسِ التَّقديم من رَفع الصَّوتِ والجَهْر كأنَّ الأوَّلَ بساطٌ للثَّاني وَوِطاءٌ لذكره، ثم ذُكِرَ ما هو ثناءٌ على الذين تحامَوا ذلك فغَضُّوا أصْواتَهم دلَالةً على عَظيم مَوقعهِ عند الله، ثم جيء على عقِب ذلك بما هو أطمُّ وهُجْنَتُه أتمُّ: من الصِّياحِ برسول الله في حال خلوتهِ ببَعضِ حُرُماتهِ من وَراء الجُدُر كما يُصاحُ بأَهْون النَّاس قَدْرًا؛ ليُنبِّهَ على فَظاعةِ ما أَجْرَوا إليه وجَسَروا عَليه؛ لأن مَن رَفع الله قَدْرَه عن أن يُجهَر له بالقَول حتى خاطبه جلَّةُ المُهاجرين والأنصار بأخي السِّرارِ كان صَنيعُ هؤلاء من المُنكَر الذي بلغَ في التفاحُشِ مَبلغًا، ومِن هذا وأمثالهِ يُقتَطَفُ ثمرُ الألباب، وتُقتَبَسُ محاسنُ الآداب، كما يُحكى عن أبي عُبيدٍ -ومكانُهُ من العلم والزُّهدِ وثقةِ الرِّواية ما لا يَخفى- أنه قال: ما دَقَقْتُ بابًا على عالمٍ قطُّ حتَّى يَخرُج في وَقت خُرُوجهِ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

﴿أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟﴾ في مَوضع الرَّفع على الفاعليَّة؛ لأن المعنى: ولو ثبَتَ صَبْرهُم، والصَّبرُ: حَبسُ النَّفْسِ عن أن تُنازِعَ إلى هَواهَا، ....

قوله: (تَعَجْرُفِهم) العَجْرَفة:[١] الصوت الجهير عن قوّة وتجبُّرٍ وتكبُّرٍ. يقال: فلان تَعَجْرَفَ على فلان؛ إذا كان يركبُه بما يكره ولا يهاب شيئًا.[٢]

قوله: (ثمّ أُردِفَ ذلك النهيَ) "ذلك" قائم مَقام الفاعل، و"النهيَ" منصوب لأنّه مفعول ثانٍ.

قوله: (ما أَجْرَوا إليه) أجرى إليه في الشرّ، وجرى إليه في الخير، قال المرزوقي في شرح قوله:

---

١ ن: الغجرفة.

٢ الصحاح للجوهري، «عجرف».

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف ٢٨/١٨] وقولُهم: "صبَرَ عن كذا" محذوفٌ منه المَفعولُ وهو النَّفْسُ، وهو حَبْسٌ فيه شِدَّةٌ ومشقَّةٌ على المحبُوس، ولذا قيل للحَبْس على اليَمينِ أو القَتلِ: صَبْرٌ، وفي كلام بَعضهم: "الصَّبْرُ مُرٌّ لا يَتجرَّعهُ إلَّا حُرٌّ".

فإن قلتَ: هل من فَرقٍ بين ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ﴾ و: إلى أن تَخرُجَ؟

قلتُ: إن "حتَّى" مختصَّةٌ بالغايةِ المَضروبةِ، تقولُ: "أكلتُ السَّمكة حتَّى رأسِها" ولو قلت: "حتَّى نصْفِها" أو: "صَدرِها" لم يجُز، و"إلى" عامةٌ في كلِّ غايةٍ، فقد أفادت ﴿حَتَّىٰ﴾ بِوَضعِها أنَّ خروج رسول الله إليهم غايةٌ قد ضُربَتْ لصَبْرهم، فما كان لَهم أن يقطَعُوا أمْرًا دونَ الانْتِهاء إليها.

فإن قلتَ: فأيُّ فائدةٍ في قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾؟

قلتُ: فيه أنَّه لو خرَج ولم يكن خُرُوجُه إلَيهم ولأجْلِهم للَزِمَهُم أن يَصْبِرُوا إلى أن يَعْلمُوا أنَّ خروجَه إليهم.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في "كان" إمَّا ضميرُ فاعلِ الفِعل المُضمَر بعد "لو"، وإمَّا ضميرُ مَصْدرِ ﴿صَبَرُواْ﴾ كقولهم: "مَن كذَبَ كان شرًّا له".

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: بَليغُ الغُفران والرَّحمة وَاسِعُهُما، فلَن يَضِيقَ غُفرَانُه ورَحْمتُه عن هَؤلاءِ إن تابُوا وأنابُوا.

هـمُ قطعوا الأرحـامَ بيني وبينَهم وأجْرَوا إليها[١] واستحلُّوا[٢] المَحارِما:[٣]

«الإجراء يُستعمل في المنكَر المذموم، ومفعوله محذوف، كأنّه قيل: أجْرَوا فِعلَهم إليها».[٤]

---

١ وفي هامش د ف: أي: إلى القطيعة.

٢ ن: واسنحلوا.

٣ ن: المحازما. | لغَلّاق بن مروان في **شرح أبيات الحماسة** للمرزوقي، ٤٥٤/١.

٤ **شرح أبيات الحماسة** للمرزوقي، ٤٥٤/١. | وفي هامش د ف: قوله: (جِلّةُ المهاجرين) الجِلّة مِن الإبل: المَسانّ، وهو جمع جليل، مثل: صَبيّ وصِبية. ومَشْيخةٌ جِلّةٌ، أي: مَسانّ. **صحاح**. | **الصحاح** للجوهري، «جلل».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾

بعَثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الوَليدَ بنَ عُقْبةَ أخا عثمانَ لأُمِّهِ -وهو الذي وَلَّاهُ عثمانُ الكوفةَ بعدَ سَعْد بن أبي وقَّاص فصَلَّى بالناس وهو سَكرانُ صَلَاةَ الفجرِ أرْبَعًا ثم قال: هَل أزِيدُكم؟ فعَزَلهُ عثمانُ عنهم- مُصَدِّقًا إلى بنِي المُصْطَلِق، وكانت بينَه وبينَهم إِحْنَةٌ، فلما شارفَ ديَارهم رَكبُوا مُسْتقبِلين له فحَسِبهم مُقَاتِليه، فرَجع وقال لرسُول الله: قد ارتدُّوا ومَنعُوا الزكاةَ، فوَرَدوُا وقالوا: نعُوذُ باللهِ من غضَبهِ وغضَب رسُولِهِ، فاتَّهمَهم فقال: «لَتَنتَهُنَّ أو لأَبْعَثَنَّ إلَيْكم رَجُلًا هو عِنْدِي كنفْسِي يُقاتلُ مُقاتِلتَكُم ويَسْبِي ذَرَاريكم»، ثمَّ ضَرب بيَدِهِ على كتفِ عليٍّ رضي الله عنه.

وقيل: بعَث إليهم خالدَ بنَ الوليد فوجَدهم مُنادِين بالصَّلوات مُتَهجِّدين، فسَلَّموا إليه الصَّدَقاتِ فرجَع.

وفي تنكيرِ الفاسقِ والنَّبأ شِيَاعٌ في الفُسَّاق والأنبَاءِ؛ كأنَّه قال: أيُّ فاسِقٍ جاءكُم بأيِّ نبَإٍ فتوقَّفُوا فيهِ وتَطلَّبُوا بيَانَ الأمر وانكشافَ الحقيقة، ولا تعتمدُوا قولَ الفاسِقِ؛ لأن مَن لا يتحامَى جنسَ الفُسوق لا يَتحَامى الكَذبَ الذي هو نوعٌ منه.

والفُسوقُ: الخروجُ من الشيء والانسلاخُ منه، يُقال: فسَقَتِ الرُّطَبَةُ عن قشرهَا، ومن مقلوبهِ: "فَقَسْتُ البَيضَةَ" إذا كَسَرْتَها وأخْرَجْتَ ما فيها، ومن مَقلُوبه أيضًا "قَفَسْتُ الشَّيء": إذا أخرَجْتَه من يد مالكهِ مُغتَصِبًا له علَيه.

قوله: (مصدِّقًا) أي: بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[١] الوليدَ مصدِّقًا، أي: آخذًا[٢] الصدقة.

قوله: (إِحْنَةٌ) أي: حِقْدٌ.

قوله: (فاتّهمهم) أي: فاتّهمهم النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم.[٣]

---

١ د: عليه السلام.

٢ ن: آخد.

٣ د: عليه السلام. | وفي هامش د ف: قوله: (وفيه تنكير "الفاسق")... إلخ التنكير للإفراد، أي: فرد مِن أفراد الفُسّاق، وفرد مِن أفراد النبأ.

ثم استُعمل في الخُروجِ عن القَصْد والانْسِلاخِ من الحقِّ قال رُؤبَةُ:

يَذهَبنَ في نَجْدٍ وغَوْرًا غائرا   فَواسِقًا عن قَصْدِها جَوائِرَا

وقرأ ابنُ مسعود رضي الله عنه: ﴿فتَثَبَّتُوا﴾، والتَّثبُّتُ والتَّبيُّنُ مُتقاربان، وهما: طَلَبُ الثَّباتِ والبَيان والتَّعرُّفِ، ولمَّا كان رسولُ الله والذين معَه بالمَنزلة التي لا يَجسُرُ أحَدٌ أن يُخْبِرَهُم بكَذبٍ، وما كان يقَعُ مِثلُ ما فرَطَ من الوَليدِ إلّا في النَّدْرةِ، قيل: ﴿إِن جَآءَكُمْ﴾ بحرفِ الشَّكِّ، وفيه: أنَّ على المؤمنين أن يكُونوا على هذه الصِّفةِ؛ لئلَّا يَطمعَ فاسقٌ في مُخاطَبتِهم بكلمةِ زُورٍ.

﴿أَن تُصِيبُواْ﴾ مفعولٌ له؛ أي: كراهةَ إصَابتِكم ﴿قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ حالٌ كقوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ [الأحزاب ٢٥/٣٣] يَعني: جاهلين بحقيقةِ الأمْر وَكُنْهِ القصَّة.

والإصبَاحُ بمَعْنى الصَّيرُورَة، والنَّدمُ ضَرْبٌ من الغمِّ، وهو أن تَغتمَّ على ما وقع منك تَتَمنَّى أنَّه لم يَقع، وهو غمٌّ يَصْحَبُ الإنسان صُحْبةً لهَا دَوامٌ ولِزامٌ؛ لأنه كلَّما تذكَّر المُتَندَّمَ عليه رَاجَعَهُ، ....

قوله:

(فواسِقًا[١] عن قَصدها جَوائرا)

أوّله:

يَذْهَبنَ في نجد وغَوْرًا غائرا[٢]

قوله: (على هذه الصفة)[٣] أي: بالمنزلة التي لا يَجْسَرُ أحد أن يُخْبرهم بكذِب.

قوله: (راجَعه)[٤] أي: راجَعه[٥] الهمّ.

---

١ ن: فاسقًا.

٢ هو لرُؤبة كذلك في جامع البيان للطبري، ٢٩٠/١٥ (الكهف، ٥٠/١٨)؛ ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ٤٠٦/١. وينسب أيضًا للعجّاج، وهو في ملحق ديوانه، ٢٨٨/٢. | قوله: (قيل: ﴿إِن جَآءَكُمْ﴾ بحرف الشكّ) نزول الآية بعد قصّة الوليد، فحينئذٍ يكون الشرط مشكوكًا فيه، كما هو مقتضى "إنْ".

٣ وفي هامش د ف: أي: التثبت والتبيين.

٤ ن: راجعة.

٥ ن: راجعة.

من النَّدامِ وهو لِزَامُ الشَّريبِ ودَوامُ صُحْبَتِه، ومن مقلوباتهِ: "أَدْمَنَ الأَمْرَ": أدامَهُ، و"مَدَنَ بالمكانِ": أقام به، ومنه المَدينة، وقَد تَراهُم يجعَلُون الهَمَّ صَاحِبًا ونجِيًّا وسَميرًا وضَجِيعًا ومَوصُوفًا بأنَّه لا يُفارِق صَاحبَه.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾

الجُملةُ المصَدَّرة بـ"لَوْ" لا تكُونُ كلامًا مستأنَفًا لأدائهِ إلى تَنافُرِ النَّظم، ولكنْ مُتَّصِلًا بما قَبلهُ حالًا من أحدِ الضَّميرين في ﴿فِيكُمْ﴾: المُستترِ المَرْفوعِ، أو البارزِ المجرور، وكلاهُما مذهبٌ سَدِيدٌ.

والمَعنى: ﴿أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ على حالةٍ يجبُ عليكم تغييرُها، ....

قولـه: (الشَّريبِ) شريبُك:[1] هو الذي يُشارِبك، فَعيل[2] بمعنى مُفاعل، مثل: نديم وأكيل.[3]

قوله: (لا تكون كلامًا) أي: في هذا الموضع.[4]

قوله: (ولكنْ متّصلًا) أي: ولكن يكون كلامًا متّصلًا.

قوله: (مَذْهَبٌ سديد)[5] يعني: لا يلزم منه محذور، لا تقديمُ الحال على ذي الحال المجرور، على تقدير جعْله حالًا مِن المجرور،[6] ولا التقديمُ على العامل المعنوي، على تقدير جعله حالًا مِن الفاعل المعنوي.

قوله: (على حالةٍ يجب) هذا على تقدير أن يكون الحال مِن المستتر المرفوع،

---

[1] ن: شريبل.

[2] ن: فقيل.

[3] الصحاح للجوهري، «شرب».

[4] وفي هامش د ف: قوله: (لأدائه إلى تنافر النَّظم) لأنّه لو لم يكن ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ مِن تتمّته لا يكون في ذلك الإخبار فائدة، ولا يكون ذلك الإخبار مُوردًا للسؤال حتّى يكون هذا مُستأنَفًا، فتعيّن ما ذكر المصنّف.

[5] ن: شديد.

[6] ن - لا تقديمُ الحال على ذي الحال المجرور، على تقدير جعله حالًا مِن المجرور.

أو: أنتم على حالةٍ يجبُ عليكم تغييرُها، وهي أنَّكُم تُحاولُون منه أن يَعْمَلَ في الحوادثِ على مُقتضَى ما يَعنُّ لكم من رَأيٍ واستِصْوابٍ فعْلَ المِطْوَاعِ لِغيرِه، التَّابعِ له فيما يَرْتَئِيه، المُحتَذي على أمثلتهِ، ولو فعَلَ ذلك ﴿لَعَنِتُّمْ﴾؛ أي: لوَقَعْتُم في الجَهْد والهَلاكِ، يقالُ: فلانٌ يتَعَنَّتُ فلانًا؛ أي: يطلُبُ ما يُؤدِّيهِ إلى الهَلاكِ، وقد أَعْنَتَ العَظْمُ: إذا هِيضَ بَعدَ الجَبْرِ.

وهذا يدُلُّ على أن بعض المؤمنين زَيَّنُوا لِرسُول الله الإيقاع ببَني المُصطَلِق وتَصْديقَ قول الوَليد، وأنَّ نظائرَ ذلك من الهَنَات كانت تَفرُطُ منهم، وأنَّ بعضَهم كانوا يَتَصوَّنُونَ ويَزَعُهُم جِدُّهُم في التقوى عن الجَسَارةِ على ذلك، وهم الَّذين استَثناهُم الله بقَوله:

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ﴾؛ أي: إلى بَعْضكُم، ولكنَّه أغنَتْ عن ذكر البَعضِ صِفَتُهم المُفارِقةُ لصفةِ غيرِهم، وهذا من إيجازاتِ القرآن ولَمَحاتِهِ اللَّطيفةِ التي لا يَفطُنُ لهَا إلَّا الخَواصُّ.

وعن بعض المفسِّرين: هم الذين امتَحَنَ الله قلوبَهم للتَّقوى، ....

أي: مُستقِرًّا على حالةٍ. وقوله: **(أو أنتم)**... إلخ على تقدير أن يكون الحال مِن البارز المجرور.

قوله: **(فيما يَرْتئيه)** أي: يراه الغير لنفسه. يقال: ارتأى[1] فلان، أي: رأى رأيًا لنفسه، مثل: اشْتَوَى أخذ الشِّواء[2] / لنفسه. [٣٦٧ظ]

قوله: **(المُحْتَذِي)**[3] أي: المُقْتدِي.[4]

قوله: **(هِيضَ)** أي: كُسِرَ.

قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ﴾ المعنى: لكنّ الله حبَّبَ[5] إليكم الإيمان فأطَعْتُموه فوقاكم[6] الله العنَتَ.

---

١ ن: أن يأتي.
٢ ن: الشوى.
٣ ن: المتحدي.
٤ ن: المعتدي.
٥ ن - المعنى: لكنّ الله حبّب.
٦ ن: وقفاكم.

وقولُه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ -والخطابُ لرسُول الله؛ أي: أولئكَ المُستثْنَونَ هم الرَّاشدونَ- يُصَدِّقُ ما قُلْتُهُ.

فإن قلتَ: ما فائدةُ تقديم خبَرِ ﴿أَنَّ﴾ على اسمِهَا؟

قلتُ: القصدُ إلى توبيخ بعضِ المؤمنينَ على ما استُهجِنَ مِنهم من استتباعِ رَأيِ رسُولِ الله لآرَائهم، فوجَب تقديمُهُ لانصبَابِ الغَرضِ إليه.

فإن قلتَ: فلِمَ قيل: ﴿يُطِيعُكُمْ﴾ دُون: أَطَاعكم؟

قلتُ: للدَّلالة على أنه كان في إرادتهم استِمرارُ عمَلِه على ما يستَصوِبُون، وأنَّه كلَّما عَنَّ لهم رأيٌ في أَمرٍ كان مَعمُولًا عليهِ، بدليلِ قولهِ: ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ كقولك: "فلانٌ يَقْري الضَّيفَ ويَحْمي الحَريمَ" تُريد أنَّه ممَّا اعتَادَه ووُجِد منه مُستَمرًّا.

فإن قلتَ: كيف مَوقعُ "لكنَّ" وشَريطَتُهَا مَفقُودةٌ من مُخالَفةِ ما بعدَها لِمَا قبلَها نفيًا وإثباتًا؟

قلتُ: هي مفقُودةٌ من حيث اللَّفظُ حاصِلةٌ من حَيْث المعنى؛ لأنَّ الذين حُبِّبَ إليهم الإيمانُ ....

قوله: (وقولُه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾)... إلخ هذا إلى آخِره مِن تمام كلام بعض المفسّرين.[1]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (ما قلتُه) أي: مِن أنّ المراد بالمُحبَّب إليهم للإيمان هم الذين امتحن الله... إلخ. قوله: (استمرارُ عمله) قلنا: إنّ الاستمرار مِن الفعل المضارع يفهم بحسب المقام وبحسب القرائن، قلنا: مِن جملتها أنّه يكون على خلاف مقتضى الظاهر، مثل أن عُبّر عن الماضي بالمضارع، فإنّه إذا عُبّر عن الشيء الواقع في الزمان الماضي بصيغة الحاضر يدلّ على استمرار ذلك الواقع في الماضي إلى الحال، فيلزم الاستمرار، وهنا كذلك، فإنّه لو يدلّ على الماضي فيكون الإطاعة ماضية، وعُبّر عنها بصيغة الحال والحاضر، ويمكن حمل قولهم: "يَقْرِي" في قولهم: "فلان يَقْرِي" على هذا، فإنّه مدح، والمدح إنّما يكون على الواقع، فيكون الماضي معبَّرًا بالمضارع. ويحتمل أن يُفهم الاستمرار منه باعتبار وقوعها في الجملة الاسميّة، تأمّل، فإنّ لكلّ مقام مَقال. قوله: (قلت: القصد) حاصله أنّه قدّم الخبر للاهتمام، وفي الحقيقة الاهتمام بشأن المجرور، لكن لمّا لم يمكن تقدّم المجرور بدون تقدّم الجارّ فقُدّم الجارّ والمجرور للاهتمام، وهو أنّ المراد توبيخ بعض المؤمنين كما ذكر.

قد غايَرتْ صِفتُهم صفةَ المقدَّم ذِكرُهم فوقعَتْ "لكنَّ" في حاقِّ مَوقِعِها من الاستدراك.

ومعنى تحبيبِ الله وتكريهِهِ: اللُّطْفُ والإمْدَادُ بالتَّوفيقِ، وسَبيلُهُ الكِنايةُ كمَا سَبَق، وكُلُّ ذي لُبٍّ ورَاجعٍ إلى بَصيرةٍ وذهْنٍ لا يَغْبَى عَلَيْه ....

قوله: (قد[1] غايرتْ صفتُهم) لأنّ صفة مَن[2] تقدَّمَهم[3] أنّهم لا يريدون متابعة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[4] فيما يَعِنُّ مِن الأمر؛ بل كانوا يريدون أن يتّبِعَهم فيه، وصفة هؤلاء المُحبَّبِ[5] إليهم الإيمان أنّهم يريدون أن يتّبعوه فيه،[6] فكأنّه قيل -والله أعلم-: أولئك[7] لا يحبُّون متابعته في الأمور التي تَعِنّ، وأنتم تحبّون متابعتَه[8] عليه السلام فيها، فظهر التغاير مع استقامة المعنى.

قوله: (في حاقِّ موقِعها) أي: في وسَطه. نظيره قولك: حضَر زيد لكنّ عمرًا غاب.

قوله: (ومعنى تَحْبِيبِ الله) التَحْبيب مِن لوازم اللطف؛[9] لأنّه تعالى متى لَطَف بهم لزَمه[10] أن يُحبِّب[11] إليهم الإيمان، فأطلِق اللازم؛ وهو التَّحْبيبُ، وأريدَ المَلزوم؛ وهو اللطف، فيكون كناية. ثمّ اعلم أنّ قوله: "ومعنى تَحْبيب الله"... إلخ ابتداءُ كلام بعد تمام الجواب لبيان معنى[12] التَّحْبيب والتّكريه على مذهبه. وأمّا على مذهبنا فهو محمول على ظاهره.

ثمّ استدلّ على تفسيره بقوله: (وكلُّ ذي لُبٍّ). وقوله: (كما سبق) إشارة إلى ما مرّ آنفًا،[13] وهو أنّ بعضهم كانوا يتصوَّنون ويَزَعُهُم جِدُّهم في التقوى عن الجَسارة...[14] إلخ. وقوله: "وكُلُّ ذي لُبٍّ"... إلخ هذا استدلال على أنّ سبيله الكناية

---

[1] ن: وقد.
[2] ن - من.
[3] ف: تقدَّمُهم.
[4] د: عليه السلام.
[5] ن: المحبب.
[6] ن - فيه.
[7] ن: إليك.
[8] ن: متابعة.
[9] ن: اللفظ.
[10] وفي هامش د: أي: لزم لُطفه بهم.
[11] ن: يحب.
[12] ن - معنى.
[13] ن: آبقا.
[14] ن: الحراسة.

أنَّ الرَّجُل لا يُمدَحُ بغَير فِعلِهِ، وحَملُ الآيةِ على ظاهرها يؤدِّي إلى أن يُثنَى عليهم بفِعلِ اللهِ، وقد نعَى اللهُ هذا على الذين أنزَلَ فيهم: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ [آل عمران ٣/١٨٨].

فإن قلتَ: فإنَّ العَربَ تمدَحُ بالجَمَال وحُسنِ الوُجوه، وذلك فعلُ الله، وهو مدحٌ مَقبُولٌ عند الناس غيرُ مَرْدُودٍ؟

قلتُ: الذي سَوَّغ ذلك لَهُم أنَّهم رَأوا حُسْنَ الرُّواءِ ووسَامَة المَنظرِ في الغالبِ يُسْفِر عن مخْبَرٍ رَضيٍّ وأخلاقٍ محمودة، ومن ثَمَّ قالوا: "أحسَنُ ما في الدَّميمِ وجْهُه"، فلم يَجعَلُوه من صفاتِ المدح لِذاتِه، ولكن لدلالتِهِ على غيره، على أنَّ مِن مُحقِّقَةِ النُّقَّادِ وعُلماءِ المعاني مَن دفَعَ صِحَّة ذلك وخَطَّأَ المادحَ به، وقَصَرَ المَدْحَ على النَّعْتِ بأمَّهاتِ الخَيْرِ، وهي الفصَاحةُ والشَّجَاعةُ والعَدْلُ والعِفَّةُ وما يَتَشَعَّبُ منها ويَرجِعُ إليها، وجعَل الوصف بالجَمالِ

بدليل عقلي، وإشارةً[١] إلى أنّه بديهي. وقوله: **(وقد نعى)**...[٢] إلخ دليل نقلي على[٣] أنّه لا يُمدَح بفعل غيره. وقوله: "وقد نعى الله"، فلان يَنعى على ذنوبه: **يُظهِرها ويُشَهِّرها**.[٤] وقوله: **(هذا)** يريد: هذا المعنى، وهو الثناء على الشخص بفعل غيره. وقوله: (**﴿وَيُحِبُّونَ﴾** [آل عمران ٣/١٨٨])... إلخ قائم مَقام فاعل **(أُنزل)**.

قوله: **(فلم يَجْعلوه)** مرتَّب على قوله: **(الذي سوَّغ)**. والضمير في "يجعلوه" للجمال وحُسْن الوجوه. وقوله: **(على أنّ)** إشارة إلى جواب آخر، وهو مَنْع صحّة المدح بالجمال وحُسْنِ الوجه.[٥]

---

[١] ن - (لُبِ)... إلخ هذا استدلال على أنّ سبيله الكناية بدليل عقلي وإشارةً.

[٢] في بعض مطبوعات **الكشّاف**: وقد نفَى.

[٣] ن - على.

[٤] وفي هامش د ف: الشُّهْرة: وضوح الأمر، تقول منه: شَهَرْتُ الأمرَ أشْهَرُه شَهْرًا وشُهْرَة، فاشتهَرَ، وكذلك: شَهَّرتُه تشْهيرًا. قال الأصمعي: «هو مِن نَعَيْتُ»، وفلان يَنْعى عن فلان ذنوبَه، أي: يُظهِرُها ويَشْهَرُها. صحاح. | **الصحاح** للجوهري، «شهر» «نعا».

[٥] وفي هامش د ف: قوله: (في "كان" إمّا ضمير فاعل الفعل)... إلخ على الأوّل يعود إلى "الصبر" المضاف المستفاد مِن "أنْ" مع اسمه وخبره، وعلى الثاني يعود إلى الصبر المطلق المستفاد مِن "صبروا"، مثل قوله تعالى: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة ٥/٨].

والثَّروةِ وكثْرةِ الحفَدَةِ والأعضَادِ -وغيْرِ ذلك مِمَّا لَيسَ للإنسان فيه عَملٌ- غَلَطًا ومُخالَفةً عن المَعقُول.

و"الكُفْرُ": تَغْطِيةُ نِعَمِ الله وغَمْطُهَا بالجُحُودِ.

و"الفُسوقُ": الخرُوجُ عن قصد الإيمان ومَحجَّته برُكُوبِ الكبَائرِ.

و"العصيَانُ": تركُ الانقيادِ والمُضيِّ لِمَا أَمَرَ به الشَّارعُ، والعِرقُ العَاصِي: العَانِد، واعتصَت النُّواةُ: اشتَدَّتْ.

و"الرُّشدُ": الاستقامةُ على طريق الحقِّ مع تصَلُّبٍ فيه، من الرَّشادة وهي الصَّخرةُ، قال أبُو الوَازِعِ: كلُّ صَخْرةٍ رَشَادةٌ، وأنشد:

وغَـيْـرَ مُـقَـلَّـدٍ ومُـوَشَّـمَـاتٍ صَلِينَ الضَّوءَ من صُمِّ الرَّشَادِ

قوله: (﴿وَٱلْفُسُوقَ﴾ **الخروج عن قَصْد الإيمان**) هذا عند المعتزلة، فإنّهم يقولون: الفاسق يخرج مِن الإيمان، ولا يدخل في الكفر، وهو منزلة بين المنزلتَين. ويمكن تطبيقه على مذهب أهل السنّة أيضًا بأنّ الإيمان يقتضي الإتيان بالطاعات، فَمَنْ تركها فقد عدَل وخرَج عمّا يقتضيه الإيمان.

قوله:[١] (﴿وَٱلْعِصْيَانَ﴾ **ترك الانقياد**) فـ"العِصْيان"[٢] شامل لجميع الذنوب،[٣] و"الفُسوق" مختصّ بالكبائر على ما ذكر.

قوله: (**والعِرْق العاصي**: / **العانِدُ**) عَنَدَ العِرْقُ: سالَ ولم يَرقأْ، وهو عِرْقٌ عانِد.[٤] [٣٦٨و]

قوله:

(**وغــيــرَ[٥] مُــقَــلَّــد**)... البيتَ[٦]

أي: يُسْرِعْنَ في السَّيْر بالقُوّة والجَلادة بحيث يَظْهَرُ النار مِن الأحجار في سَيرها، وأنّها اليَعْملات غير المُقَلَّدات والمُوَشَّماتِ للنحر، و"الضوء": النار.

---

١ ن: وقوله.

٢ ن: والعصيان.

٣ ن + قوله.

٤ **الصحاح** للجوهري، «عند».

٥ ن: وهو.

٦ بغير نسبة كذلك في **تفسير القرطبي**، ٣١٥/١٦ (الحجرات، ٧/٤٩)؛ **وشرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٩٩.

﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾

و﴿فَضْلًا﴾ مفعولٌ له، أو مصْدَرٌ من غيرِ فعله.

فإن قلتَ: مِن أين جازَ وُقوعه مفعولًا له والرُّشْدُ فِعلُ القَوم والفضْلُ فِعلُ الله، والشَّرط أن يتَّحِدَ الفاعِل؟

قلتُ: لمَّا وقَع الرُّشدُ عبارةً عن التَّحْبِيب والتَّزيِين والتَّكْرِيهِ مُسنَدَةً إلى اسمه -تقدَّسَتْ أسْماؤُه- صَار الرُّشد كأنَّه فِعلُه، فجاز أن ينتصِبَ عنه.

أو لا ينتصِبُ عن ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾، ولكنْ عن الفِعل المُسنَد إلى اسم الله، والجُملةُ الَّتي هي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ اعتراضٌ، أو عن فعلٍ مقدَّر كأنه قيل: جَرَى ذلك -أو: كان ذلك- فضلًا من الله.

وأمَّا كونُه مَصْدرًا من غَيْر فعْلِه فأَن يُوضَع مَوضِعَ رُشدًا؛ لأنَّ رُشْدَهم فضلٌ من الله لِكونهم مُوفَّقِينَ فيه، والفضلُ والنِّعمةُ بمعنى الإفضالِ والإنْعامِ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال المُؤمِنين وما بَينهم من التَّمايز والتفاضُل ﴿حَكِيمٌ﴾ حين يُفضِلُ ويُنْعِم بالتوفِيق على أَفاضِلهم.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾

قوله: (**أنْ يتَّحد الفاعل**) أي: أنْ يَتَّحد الفاعل فيهما، فحُذف "فيهما".[١]

قوله: (**عن الفعل المُسنَد**) أي: ﴿حَبَّبَ﴾.

قوله: (**جرى ذلك**) فقوله: "ذلك" إشارة إلى التَحْبيب والتزيين والتَّكْريه،[٢]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله: (قلت: لمّا وقع الرُّشد) هذا الوجه والوجه الثالث إنّما يصحّ باعتبار ذكر المُسبَّب وإرادة السبب، تأمّل، على الوجه الأوّل أريدَ بالرشد التحبيب، وعلى الثالث أُريد بالرشد الإفضال. الحاصل: أنّ هذا التوجيه إنّما يتمّ بملاحظة المجاز.

[٢] ن: التكريه.

عن ابن عبّاس رضي الله عنه: وَقفَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم على مَجلسٍ بعض الأنصَار وهو على حمارٍ، فبالَ الحمارُ، فأمسَك عبدُ الله بن أُبيّ بأنفهِ وقال: خَلِّ سبيلَ حمارِكَ فقد آذانَا نَتْنُه، فقال عبدُ الله بنُ رَوَاحَةَ: واللهِ إنَّ بَوْلَ حِمَارِه لأَطيبُ من مِسكِكَ -ورُوي: حمارهُ أفضَلُ منك، وبولُ حمارهِ أَطيبُ من مسْكِكَ- ومَضَى رسول الله وطال الخوْضُ بينهما حتى استَبَّا وتجَالَدَا، وجاء قَومَاهُما وهُما الأوسُ والخَزرَجُ فتجَالَدُوا بالعصي، وقيل: بالأيدي والنِّعالِ والسَّعَف، فرَجع إليهم رسُولُ الله فأَصْلَح بينهم، ونَزلَت.

وكلُّ ذلك مِن فعله تعالى كفضله[١] سبحانه وتعالى. وقوله: **(أو كان ذلك فَضْلًا)** "كان" تامّة، و"فَضْلًا" مفعول له.

قوله: **(وقفَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)**[٢] واعلم أنّ وقوف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٣] على مَجْلسهم راكبَ الحمار كان بأمر الله تعالى. وفائدة تلك الحالة وبَولِ حِماره هناك تميّزُ المنافقين مِن المؤمنين، وظهورُ كذِب مِن يَدّعي الإيمان نِفاقًا، وظهورُ صِدْق مَن يدّعي الإيمان موافقًا لقلبه.[٤] وقول عبد الله بن[٥] أُبيّ مِن جملة لَحْنِ القول الذي عُرف به نفاقه،[٦] والله أعلم.

قوله: **(وتجالَدا)**[٧] قال في **الصحاح**: «تَجالَدَ القوم بالسيوف».[٨] وأنا أقول: هو مِن قولهم: جَلَدَه، أي: ضرَبَ جِلْدَه، وهو قد يكون بالسَّوْط والعصا[٩] وغير ذلك، وكأنّ صاحب **الصحاح** قال: «تجالَدوا بالسيف»؛ إشارة إلى أنّه يستعمل في الضَّرْب بالسيف أيضًا.

قوله: **(والسَّعَف)** "السَّعَف" جمع سَعَفةٍ؛ وهي أغصان النخلة إذا يَبِسَتْ.[١٠]

---

١ ن: يفضله.

٢ د: عليه السلام. | لم أجده عن ابن عبّاس رضي الله عنهما. ونحوه في **صحيح البخاري**، ١٨٣/٣ (٢٦٩١)؛ و**صحيح مسلم**، ١٤٢٤/٣ (١٧٩٩)، من حديث أنس رضي الله عنه.

٣ د: عليه السلام؛ ن - واعلم أنّ وقوف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

٤ ن: لعليه.

٥ ن: ابن.

٦ ن: نفاقه.

٧ ن: وخالدا.

٨ **الصحاح** للجوهري، «جلد».

٩ ن: والعصاء.

١٠ **مجمل اللغة** لابن فارس، «سعف».

وعن مقاتِلٍ: قَرأها عليهم فاصطَلَحُوا.

و"البَغي": الاستطالةُ والظُّلم وإباءُ الصُّلح.

و"الفيء": الرُّجوعُ، وقَد سُمِّي به الظِّلُّ والغَنيمةُ؛ لأن الظِّلَّ يرجِعُ بَعد نسْخِ الشَّمْسِ، والغنيمةَ ما يرجعُ مِن أَمْوالِ الكُفَّار إلى المُسلمينَ.

وعن أبي عَمْرٍو: "حَتى تَفِي" بغَير همْزٍ، ووَجهُه: أنَّ أبا عمرو خفَّفَ الأُولى من الهَمزَتين المُلتقِيَتَيْنِ، فلَطُفَت على الرَّاوِي تِلك الخلسَةُ فَظنَّه قد طَرَحها.

قوله: (بعد نسخِ الشمس) النسخ: الإزالة، يقال: نسَخ[1] الشمس الظلَّ، أي:[2] أزالَتْه.[3] فقوله: "نسْخِ الشمس" مِن إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوف، أي: بعد إزالة الشمس الظلَّ.

قوله: (وخفَّف[4] الأُولى)[5] يعني خفَّفَ أبو[6] عمرو الهمزةَ الأُولى بأن جعلها بينَ بينَ، ثمّ اختلس حركتها وتلفّظ بالهمزة الثانية المكسورة صريحًا، فخفي حركة تلك الهمزة على السامع للَطافتها، فظنّ أنّ الهمزة الأُولى طُرِحتْ، وهذا موافق للقاعدة المذكورة في **المفصّل**،[7] وهي أنّ الهمزتَين إذا التقَتا في كلمتَين جاز تخفيف[8] إحداهما[9] بأن تُجعل[10] بينَ بينَ.

هذا تقرير كلام المصنّف، وأنا أقول: الأَولى أن لا يُحمل قراءة أبي عمرو على غلط الراوي، ويقال: خفّفَ الهمزة الأولى بنقل الحركة والحذف، فإنّه إذا اجتمع همزتان مختلفتان في كلمتين والأُولى آخِرُ الكلمة جاز تخفيف الأولى على قياسها لو كانت منفردة، فيجوز الحذف[11] كما في "شيء".

---

١ في **الصحاح** وغيره: "نسخت".

٢ ن – أي.

٣ **الصحاح** للجوهري، «نسخ».

٤ في مطبوع **الكشّاف**: خفَف.

٥ قراءة "حَتَّى تَفِي" بالياء مِن غير همز رواية شاذّة عن أبي عمرو، وهي مرويّة كذلك عن الزهري. والقراءة الصحيحة عن أبي عمرو: ﴿تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ﴾ بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٤٤؛ و**شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٤٤؛ و**النشر** لابن الجزري، ١/٣٨٨.

٦ ن: أبوا.

٧ **المفصّل** للزمخشري، ص ٤٩٢.

٨ ن: نحفيف.

٩ ف: أحدهما.

١٠ ن: يجعل.

١١ ن: أن يحذف.

فإن قلتَ: ما وجهُ قوله: ﴿ٱقْتَتَلُواْ﴾ والقياسُ: "اقتتلَتا" كما قرأ ابن أبي عَبْلَة، أو: "اقتتَلا" كما قَرأ عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ على تأويل الرَّهطَيْن أو النَّفَريْنِ؟

قلتُ: هُو ممَّا حُمِل على المعنى دون اللَّفظِ؛ لأن الطَّائفتين في مَعنى القومِ والناس.

وفي قراءة عبد الله: "حتى يَفِيئوا إلى أَمْرِ الله فإنْ فاءُوا فخُذوا بينَهم بالقِسْط".

وحُكمُ الفِئَةِ البَاغِيةِ: وجوبُ قتالِها ما قاتلتْ، وعن ابن عُمَر رضي الله عنهما: ما وجَدْتُ في نفسِي من شيءٍ ما وَجَدتُه من أَمْر هذه الآيَة أنْ لَم أُقاتِل هذه الفِئَةَ الباغيةَ كما أَمَرنِي اللهُ، قالهُ بَعدَ أن اعتَزَلَ.

فإذا كافَّتْ وقبَضتْ عن الحربِ أيديَها تُرِكَتْ، وإذا تَولَّتْ عُمِل بما رُوِيَ

قوله: **(بالقِسْط)** أي: بالعدل في ترك الهوى والمَيل. وقيل: بكتاب الله.

قوله: **(وحُكْمُ الفئة)**[1] إلى قوله: **(عُمل بما رُوي)** إشارة إلى أقسامها / الثلاثة، وذلك لأنَّها إمّا أن تُقاتِل أو لا، فإنْ لم تُقاتِل لا تُقاتَل، وهو قوله: "فإذا كافَّتْ"... إلخ، وإن اشتغلت بالقتال فإمّا أنْ تَنْهزم[2] وتَفِرَّ أو لا،[3] فإن انهزمتْ عُمِلَ بما رُوي، وهو القِسم الأخير، وإنْ لم تنْهزم وجب قتالها ما قاتلَتْ، وهو القسم المذكور أوّلًا. وقوله: **(ما قاتلَتْ)**[4] "ما" مصدريّة، والمدّة معها مقدّرة. [٣٦٨ظ]

قوله: **(«ما وجدْتُ»)** "ما" نافية. وقوله: **(«مِن شيء»)** متعلّق بـ"وجدتُ". وقوله: **(«ما وَجَدْتُه»)** أي: الذي. وقوله: **(«إنْ[5] لـمْ أُقاتِلْ»)** جوابُه محذوف؛ لدلالة قوله: "ما وجدتُ"... إلخ عليه. وقوله: **(«كما أَمَرني الله»)** إلى ههنا كلام ابن عمر.[6] وقوله: **(قاله)** ابتداء كلام مِن المصنّف. وقوله: **(فإذا كافَّتْ)** أي: تركتِ[7] الحرب. وقوله:[8] **(وإذا تولَّتْ)** أي: انهزمتْ وفرَّتْ عن الحرب.

---

[1] ن: الفتنة.

[2] ن: نهزم.

[3] ن: أوّلًا.

[4] ن: قابلت.

[5] ن: وإن.

[6] **المستدرك** للحاكم، ٢/٥٠٢ (٣٧٢٢)؛ **السنن الكبرى** للبيهقي، ١٨/١٧ (١٦٧٨٤).

[7] ن: نزلت.

[8] ن: وفوله.

عَن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «يا ابنَ أُمِّ عَبْدٍ، هل تَدْرِي كيف حُكمُ الله فيمَن بَغَى من هذه الأُمَّة؟» قال: اللهُ ورسُولُه أَعلم، قال: «لا يُجْهَزُ على جَرِيحها، ولا يُقتلُ أسيرُها، ولا يُطلبُ هارِبُهَا، ولا يُقْسَمُ فَيْئُها».

ولا تخلُو الفئتَانِ من المُسلمين في اقتتالهما:

إمَّا أن يَقتَتِلا على سبيل البَغي مِنهما جَميعًا، فالوَاجِبُ في ذلك أَن يُمشَى بينهما بما يُصلِحُ ذاتَ البَيْنِ ويُثْمِرُ المُكافَّةَ والمُوادَعةَ، فإن لَمْ تتحَاجَزَا وَلَمْ تَصْطلِحَا وأَقامَتَا على البَغْي صِيرَ إلى مُقَاتَلتِهما.

وإمَّا أن يَلتَحِمَ بَينهما القِتالُ لشُبْهةٍ دخلت عليهما، وكِلتاهما عند أنفسِهما مُحِقَّةٌ،

قوله: (**يا ابن أمّ عَبدٍ**) يريد: عبد الله بن[١] مسعود رضي الله عنه.[٢]

قوله: (**لا يُجْهَزُ**) يقال: أجْهَزْتُ على الجريح؛ إذا أسرعتَ قتلَه[٣] وأتْمَمتَ عليه.[٤]

قوله: (**على سبيل البَغي**)[٥] أي: الظلم الصريح مِن غير شُبهة عَرَضَتْ لهما. والدليل على أنّ المراد هذا هو قوله بعد ذلك: (**لشبهة[٦] دخلَتْ عليهما**).

قوله: (**فإن لم تَتحاجَزا**) حَذَف قَسِيمَه، وهو إن تحاجَزَتا واصطلَحتا وتركَتا[٧] البغي فهو المطلوب.

قوله: (**يلتحم**) قال في **الصحاح**: «ألحَمتُ الحرب فالتَحَمَتْ».[٨] قال المطرّزي في **المُغرب**: «لُحمة الثوب[٩] خلاف سَداه، وفي المثل: 'ألْحِمْ ما أسْديْتَ'، يُضرَب في إتمام الأمر، أي: تَمِّمْ ما ابتدأتَه مِن الإحسان.[١٠] والمُلحَم مِن[١١] الثياب: ما سَداه إبريسَم، ولُحْمتُه غير إبريسم، والتحم القتال بينهم، أي: اشتبك[١٢] واختلط».[١٣]

---

١ ن: ابن.
٢ د - رضي الله عنه.
٣ ن: قبله.
٤ **الصحاح** للجوهري، «جهز».
٥ ن + أي: الظلم.
٦ ن: شبهة.
٧ ن: وتركا.
٨ **الصحاح** للجوهري، «لحم».
٩ وفي هامش د ف: لُحمة الثوب، يُضمّ ويُفتح. صحاح. | **الصحاح** للجوهري، «لحم».
١٠ قوله: "أي: تَمِّمْ ما ابتدأتَه مِن الإحسان" ليس في **المُغرب**، وهو في **الصحاح** للجوهري، «لحم».
١١ ن - من.
١٢ ن: استبد.
١٣ **المُغرب** للمطرّزي، «لحم».

فالواجِبُ إزالةُ الشُّبهة بالحجَجِ النَّيِّرةِ والبَراهِين القَاطعة وإطْلاعُهما على مَراشِدِ الحقِّ، فإن ركَبَا مَتْنَ اللَّجَاج ولم تَعملا على شاكِلَةِ ما هُدِيَا إليه ونُصِحَا بهِ من اتِّباع الحقِّ بعد وضوحه لهُما فقد لَحِقَتَا بالفِئَتَين البَاغِيَتَيْنِ.

وإمَّا أن تكون إحدَاهُما البَاغِيةَ على الأُخرى، فالواجِبُ أن تُقَاتَلَ فِئةُ البَغْيِ إلى أَن تَكُفَّ وتَتُوبَ، فإن فَعَلَتْ أُصْلِحَ بَيْنها وبَين المَبغِيِّ عليها بالقِسْط والعَدْلِ.

وفي ذلك تفاصيلُ: إن كانتِ الباغيةُ من قِلَّة العَدَدِ بحَيْث لا مَنَعَة لها ضُمِّنَت بعدَ الفَيْئَةِ ما جَنَتْ، وإن كانت كثيرةً ذاتَ مَنَعَةٍ وشَوكةٍ لم تُضَمَّن

قوله: (على مَراشد الحقِّ) المراشد: مقاصد الطرُق، والطريق الأرْشد نحو الأقصد.[1] والمَتْن[2] مِن الأرض: ما صَلُبَ وارتفع، والجمع: مِتان، ومَتْنا الظَّهر: مُكتنَفا الصُّلْب مِن العَصَب واللَّحْمِ عن يمينٍ وشِمال.[3]

قوله: (فإن فَعلَتْ) أي: كفَّتْ[4] وتابَتْ.

قوله: (وفي ذلك تفاصيل) أي: في الإصلاح[5] بالقِسط.

قوله: (إن كانت الباغية) هذه جملة مستأنَفة لبيان التفاصيل. وقوله: (لا مَنَعةَ) قال في **الصحاح**: «يقال: منعتُ الرجل عن الشيء فامتنع منه، ومَنُعَ -بالضمِّ- مَناعةً، وفلان في عِزٍّ ومَنَعةٍ، بالفتح، وقد تُسكَّن، ويقال: المَنَعةُ جمع مانع، مثل: كافر وكَفَرة، أي: هو في عِزٍّ ومَن يمنَعُه مِن عشيرته».[6] وقال في **المجمل**: «فلان ذو مَنَعةٍ، أي: عزيزٌ ممتنعٌ على مَن يريده».[7]

قوله: (ضُمِّنَتْ) لأنَّها ما دامت قليلةً فهي في حكم الناهب والسارق.

قوله: (بعد الفَيْئة) أي: الرجوع.

قوله: (وشوكة) الشوكة: شدّة البأس، والحدُّ في السلاح.[8]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «رشد».
٢ ن: والملبن.
٣ **الصحاح** للجوهري، «متن».
٤ ن: لفت.
٥ ف: الاصطلاح.
٦ **الصحاح** للجوهري، «منع».
٧ **مجمل اللغة** لابن فارس، «منع».
٨ ن - قوله: (وشوكة) الشَّوكة: شِدّة البأس، والحدُّ في السلاح.

إلَّا عند محمَّدِ بن الحسَنِ، فإنه كان يُفْتِي بأَنَّ الضَّمانَ يَلزمُها إذَا فاءَتْ، وأَمَّا قَبل التَّجمُّعِ والتَّجنُّدِ أو حِين تتفَرَّقُ عند وَضْع الحَرْب أَوزارَها فمَا جَنَتْهُ ضَمِنَتْهُ عند الجميع، فمحملُ الإِصْلاح بالعَدل في قوله: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ على مذهَب محمَّدٍ وَاضِحٌ مُنطَبِقٌ على لفظ التَّنزيل، وعلى قول غَيره وَجْهُهُ أَن يُحملَ على كون الفِئَةِ قليلةَ العَددِ، والَّذي ذَكرُوا أَنَّ الغَرضَ إِمَاتَةُ الضَّغَائنِ وسَلُّ الأَحْقادِ دُون ضَمان الجِناياتِ ليس بحَسَنِ الطِّبَاقِ للمأمُور به مِن إعمال العدلِ ومُراعَاةِ القِسْط.

فإن قلتَ: فلمَ قُرِنَ بالإِصْلاح الثاني العَدْلُ دُون الأوَّل؟

قلتُ: لأنَّ المراد بالاقتِتَال في أوَّل الآية أَن يَقْتَتِلا باغِيتَيْنِ مَعًا أو رَاكِبَتي شُبْهةٍ، وأَيَّتُهما كانت فالَّذي يجِبُ على المُسلمين أَن يأخُذوا به في شَأنِهما:

[٣٦٩و] قوله: / (وأمّا قبل التجمُّع) هذا عطفٌ على محذوف، أي: هذا الذي ذكرناه قبل التفرّق وبعد التجمّع والتجنّد، وأمّا قبل التجمّع...

قوله: (مُنطبِق على لفظ التنزيل) لأنّ قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ﴾... إلخ يقتضي لزوم الضمان إذا فاءَتْ[١] مطلقًا.

قوله: (أنّ الغرضَ) أي: مِن الإصلاح والقِسط.

قوله: (قلتُ: لأنّ المراد)... إلخ فإنّ قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ دلّ على ذلك؛ بل الصواب أن نقول: إنّ الأمر بالإصلاح[٢] بينهما يدلّ على أنّهما ظالِمان مِن غير ارتكاب[٣] شُبهة، أو لشبهة[٤] لهما؛ لأنّه لو كان أحدهما مُصلحًا مُحِقًّا قطعًا، والآخر باغيًا[٥] أو راكب شُبهة، فالمحتاج إلى النصيحة هي الطائفة الثانية، أي: الظالمة، لا المُحقّة المصلِحة، فلا[٦] يحتاج إلى الإصلاح في الطرفَين، فإنّ أحد الطرفَين صالح، وفيه بحثٌ.

---

[١] ن: فات.
[٢] ف: بالاصطلاح.
[٣] ن – ارتكاب.
[٤] ن: شبهة.
[٥] ن: باغيار.
[٦] ن: ولا.

إِصْلاحُ ذاتِ البَيْنِ وتَسكِينُ الدَّهماء بإِرَاءَةِ الحقِّ والمَواعِظ الشَّافيةِ ونَفْيِ الشُّبهةِ، إلَّا إذا أَصَرَّتَا فحينئذٍ تجبُ المقاتلةُ، وأمَّا الضَّمانُ فلا يتَّجهُ، وليس كذلك إذا بَغَتْ إحدَاهُما فإن الضَّمان مُتَّجهٌ على الوَجْهين المذكُورين.

﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ أمرٌ باستعْمال القِسْط على طرِيق العمُوم بَعد ما أُمِرَ به في إصْلاح ذاتِ البين، والقَولُ فيه مِثلُه في الأَمر باتِّقاءِ الله على عقِبِ النَّهي عن التَّقْدِيم بَينَ يَديْه.

و"القَسْطُ" بالفَتح: الجَوْرُ، من القَسَطِ وهو اعوجَاجٌ في الرِّجْلَين، وعُودٌ قَاسِطٌ: يابِسٌ، وأَقسَطَتْهُ الرِّياحُ، وأمَّا "القِسْطُ" بمَعْنى العَدل فالفِعل منه: أَقْسَطَ، وهَمْزتُه لِلسَّلْب؛ أي: أزَالَ القَسْطَ وهُو الجَورُ.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾

هذا تقريرٌ لِمَا أَلزَمه من تولِّي الإِصْلاح بين مَن وقَعت بينهم المُشَاقَّةُ من المُؤمنين، وبَيانُ أنَّ الإيمانَ قد عَقدَ بين أهْلِهِ من السَّبَب القَريبِ والنَّسب اللَّاصِق

وأظنَ أنّ[١] الأَولى أنْ يقال: المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ﴾ -والله أعلم- هو المقاتَلة[٢] مِن غير أنْ تنتهي إلى تلف مالٍ أو نفسٍ. وبقوله: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ﴾ إلى قوله: ﴿بِٱلۡعَدۡلِ﴾ هو ما أدّى إلى تلَفِ مالٍ أو نفسٍ. فلذا قال تعالى في **الأوّل**: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ أي: بالحُجج والمواعظ، وفي **الثاني** قال: ﴿بِٱلۡعَدۡلِ﴾، وهو تضمين مَن يجب عليه الضمان.[٣]

قوله: (**الدَّهْماء**) الدَهْمَاء: الداهية، سُمِّيت بذلك لظلمتها.

قوله: (**على الوجهين المذكورين**) أي: في قول محمّد بن الحسن وقول غيره.

قوله: (**والقَسْط -بالفتح-: الجَور**) قيل: "إذا جاء القِسْط زال القَسْط".

قوله: (**هذا تقرير**) أي: قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

---

١ ف - أنّ.

٢ ن: المقابلة.

٣ ن: الضمن.

ما إن لم يَفضُلِ الأُخُوَّة ولم يُبرِّز عليها لم يَنْقُص عنها ولم يتقَاصَر عن غايَتِها، ثمَّ قد جَرت عادةُ الناس على أنه إذا نَشِبَ مثلُ ذلك بين اثنَين من إخْوة الوِلاد لَزم السَّائرَ أن يتناهَضُوا في رَفعهِ وإزاحتِه ويَركبُوا الصَّعْبَ والذَّلُول مَشيًا بالصُّلْح وبَثًّا للسُّفَراء بينَهما، إلى أن يُصادِفَ ما وَهَى من الوِفَاقِ مَن يَرقَعُه، وما استشَنَّ من الوِصال مَن يَبُلُّه، فالأُخوَّةُ في الدِّين أحقُّ بذلك وبأَشَدَّ مِنْه.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «المُسلم أَخُو المُسْلم: لا يَظْلِمُه، ولا يَخْذُلُه، ولا يَعِيبُه، ولا يتطَاول عليه في البُنيَانِ فيَستُر عَنه الرِّيحَ إلَّا بإذْنِه، ولا يُؤذِيه بِقتَار قِدْره»،

قوله: (ما إن لم يَفْضُل) "ما" نافية، و"إنْ" شرطيّة. وقوله: (لم يُبَرِّزْ) أي: لم يَفُقْ.[1] وقوله: (إذا نَشِبَ) أي: عَلِق. وقوله: (مِثْلُ ذلك) أي: الاقتِتال.[2]

قوله: (السائر)[3] أي: الجميع، أو الباقي.[4]

قوله: (للسفراء) السفراء: جمع[5] السفير، وهو المُصلح.[6]

قوله: (ما وَهَى)[7] أي: ضَعُف.

قوله: (مَن يَرقَعه) فاعل (يُصادِف)، و"ما وَهَى"[8] مفعوله.[9] والعكس أولى؛ بل هو الصواب.

قوله: (وما اسْتَشَنَّ) أي: يَبِسَ. عن عمر بن عبد العزيز: «إذا اسْتَشَنَّ[10] ما بينك وبين الله فَابلُلْه بالإحسان إلى عباده».[11]

قوله: (فيسْتُر) بالنصب جواب النفي، وبالرفع داخل في حكم النفي.

قوله:[12] (بِقُتار) القُتار: ريح الشِّواء.[13]

---

[1] ن: يعق.

[2] ف: الامتنال.

[3] ن: يسائر.

[4] ن: والباقي.

[5] ن: جميع.

[6] في **الصحاح** للجوهري، «سفر»: «السَفيرُ: الرسولُ المصلحُ بين القوم».

[7] ن: ما هي.

[8] ن: هي.

[9] ن: مفعولة.

[10] ن: استبس.

[11] **الفائق** للزمخشري، ١/١٢٨؛ **النهاية** لابن الأثير، «شنن».

[12] ن – قوله.

[13] **الصحاح** للجوهري، «قتر».

ثم قال: «احفَظُوا، ولا يحفَظهُ منكم إلَّا قليلٌ».

فإن قلتَ: فَلِمَ خُصَّ الاثنانِ بالذِّكْر دُون الجَميع؟

قلتُ: لأنَّ أقلَّ مَن يَقعُ بينَهم الشِّقَاقُ اثنانِ، فإذا لزِمَتِ المُصالَحَةُ بين الأَقلِّ كانت بين الأَكثرِ أَلزَمَ؛ لأن الفسَاد في شِقاقِ الجميع أكثرُ منه في شقاقِ الاثنين.

وقيل: المراد بالأَخوَيْن: الأوْسُ والخَزرَجُ.

وقرئ: ﴿بيْنَ إخوَتكم﴾ و: "إِخْوَانِكُم"، والمعنى: ليس المُؤمِنُونَ إلَّا إِخْوَةً، وإنَّهم خُلِّصَ لذلك مُتمَحِّضُون قد انْزَاحَتْ عَنهم شبُهاتُ الأَجْنبيَّة، وأَبَى لُطفُ حالهم في التَّمازُج والاتِّحاد أَن يُقْدِمُوا على ما يتولَّدُ مِنه التَّقاطُع، فبَادِرُوا قَطْعَ ما يَقعُ من ذلك إن وقَع واحْسِمُوه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فإنَّكم إن فَعلتُم لم تَحمِلْكُم التَّقْوَى إلَّا على التَّواصُل والائتلافِ والمُسارعةِ إلى إماطةِ ما يَفرُطُ منه، وكان عند فِعلِكُم ذلك وصُولُ رحمة الله إليكم واشتمالُ رأفَتهِ عَليكم حقيقًا بأنْ تَعْقِدُوا به رَجَاءَكُم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾

قوله: **(ثمّ قال)** أي: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[١]

قوله: **(فإن قلتَ: فلِمَ خُصّ الاثنان؟)**[٢] أي: في قوله: ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾، فإنّ الأخوَين تَثْنيةُ الأخ.

قوله: **(خُلَّصٌ لذلك)** أي: للأخوّة.

قوله: **(إنْ فعلتم)** أي: فعلتم التقوى.[٣]

قوله: **(حقيقًا)** أي: جديرًا. وهو خبر "كان".

---

[١] د: عليه السلام.

[٢] ف: الاثان؛ ن: الانسان.

[٣] ن: اللتقوى.

"القومُ": الرِّجالُ خاصَّةً لأنَّهم القُوَّامُ بأمُور النِّساء، قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء ٣٤/٤] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النِّساء لَحْمٌ على وَضَمٍ إلَّا ما ذُبَّ عَنه»، والذَّابُّون هُمُ الرِّجالُ.

وهو في الأَصْل جمعُ قائم؛ كصَوم وزَوْرٍ في جَمع صَائمٍ وزَائرٍ، أو تَسْمِيَةٌ بالمَصدر، عن بَعض العربِ: إذا أكَلْتَ طعَامًا أَحبَبْتَ نَوْمًا وأَبْغَضْتَ قَومًا؛ أي: قِيَامًا، واختصاصُ القَوم بالرِّجال صريحٌ في الآية، وفي قولِ زُهَيْر:

أَقَــــوْمٌ آلُ حِصْـــــنٍ أَمْ نِسَـــــاءُ

وأمَّا قَولُهم في قَوم فرعَون وقوم عادٍ: هُم الذُّكُورُ والإناثُ، فليس لفْظُ القَوم بمُتعَاطٍ للفَريقيْن، ولكن قُصِد ذِكْرُ الذُّكُور وتُرِكَ ذكرُ الإناثِ لأنَّهنَّ توابِعُ لِرجَالهنَّ.

قوله: (**لَحْم على وَضَمٍ**) الوَضَمُ: الخِوان[١] أو الطبق[٢] الذي يوضَع عليه اللحم.

قوله: (**عن[٣] بعض العرب: "إذا أكلتَ"**)... إلخ وبعضهم يرويه هكذا:[٤] "إذا أكلتَ الطعم[٥] أردتَ النوم وكَرِهْتَ القَومَ". وقوله: (**أي: قيامًا**) فدلّ على أنّ "القَوم" بمعنى القيام.

قوله: (**صريحٌ**) لقوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾، / في مقابلة ﴿قَوْمٌ﴾. [٣٦٩ظ]

قوله:

(**أَقْـــــوَمٌ آلُ[٦] حِصْـــــنٍ أَمْ نســـــاءُ**)

أوّله:

ومـــا أدري وســـوفَ إخـــالُ أدري[٧]

قوله: (**بمُتعاطٍ**) أي: بمتناوِلٍ، والتعاطي: التناول.

---

١ ف: الخَوان.
٢ ن: والطبق.
٣ ن: على.
٤ ف: هكذى.
٥ ن: العظم.
٦ ن: إلى.
٧ انظر: **شرح شعر زهير لثعلب**، ص ٦٥.

وتنكيرُ القوم والنِّساء يَحتمِلُ مَعنَيين: أَن يُراد: لا يَسْخَرْ بَعْضُ المُؤْمِنين والمؤمنات من بَعْضٍ، وأن تُقصَدَ إفادَةُ الشِّياعِ وأن تَصير كُلُّ جماعَةٍ مِنهم مَنهِيَّةً عن السُّخريَّةِ، وإنَّما لم يُقَلْ: "رَجُلٌ من رجُلٍ ولا امرأةٌ من امرأةٍ" على التَّوحيدِ؛ إعْلامًا بإقْدامِ غيْرِ واحدٍ من رجَالهم وغيرِ واحِدةٍ من نسائهم على السُّخْرية، واستفظَاعًا للشَّأنِ الَّذي كانوا عليه، ولِأنَّ مشهَد السَّاخِرِ لا يكادُ يَخلو ممَّن يَتَلَهَّى ويُستَضْحَكُ عَلى قَولِهِ، ولا يَأتِي ما عليه من النَّهي والإنْكار، فيكُون شَريكَ السَّاخر وتِلْوَهُ في تحمُّلِ الوِزْرِ، وكذلك كلُّ مَن يَطرُقُ سَمْعَه فيَستَطِيبُه ويَضحَكُ به، فيُؤدِّي ذلك -وإن أَوجَدهُ واحِدٌ- إلى تكَثُّرِ السَّخَرَةِ وانقلابِ الواحِدِ جماعةً وقَومًا.

وقولُه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ كلامٌ مُستأنفٌ قد وَرد مَورِد جَواب المُستخبِر عن العِلَّة المُوجِبةِ لِمَا جاء النَّهي عنه، ....

قوله: (أنْ يُراد) الأوّل.[١]

قوله: (وأنْ يُقْصَدَ) الثاني.

قوله: (إعلامًا بإقدام) يعني: يُستَقْبح فعلهم بأنّ كثيرًا منهم يفعل ذلك كما استُقْبِح[٢] فعلُ[٣] آكلي الربا بأنّهم يأكلون أضعافًا[٤] مضاعَفةً حيث قال تعالى: ﴿لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ﴾ [آل عمران ١٣٠/٣].

قوله: (ولا يأتي) عطفٌ على (يتلهَّى)، أي: لا يفعل هذا الجليس ما يجب عليه مِن النهي.

قوله: (وكذلك[٥] كلُّ) أي: هو أيضًا شريك الساخِرِ في تحمُّل الوِزْر.

قوله: (فيؤدّي) عطفٌ[٦] على قوله: (لا يكاد).

---

١ وفي هامش د: قوله: (أن يراد)... إلخ على الوجه الأوّل التنكير للتنويع، وعلى الثاني للإفراد. قلنا: إنّ التنكير للإفراد نوعًا أو شخصًا، أي: مِن جملة معاني التنكير الإفراد نوعًا أو شخصًا.

٢ ن: استفتح.

٣ ف: فعُل.

٤ ن ف + أضعافًا.

٥ ن: ولذلك.

٦ ن - أيضًا شريك الساخِر في تحمُّل الوِزْر. قوله: (فيؤدّي) عطفٌ.

وإلّا فقد كان حَقُّه أن يُوصَل بما قبلهُ بالفاء، والمعنى: وجُوبُ أَن يَعْتَقِد كلُّ أحَدٍ أَنَّ المسخُور مِنه ربَّما كان عند الله خيرًا من السَّاخِر؛ لأنَّ النَّاسَ لا يَطَّلِعُون إلّا على ظوَاهرِ الأَحْوال ولا عِلْمَ لهُم بالخَفِيَّاتِ، وإنَّما الَّذِي يَزِنُ عند الله خلوصُ الضمائر وَتَقْوى القُلُوبِ، وعِلْمُهم من ذلك بمَعْزِلٍ، فيَنبغي أن لا يَجتَرِئَ أَحدٌ على الاستهزاءِ بمَن تَقتَحِمُه عَينُه إذَا رآهُ رَثَّ الحالِ، أو ذَا عَاهةٍ في بدنِهِ، أو غيْرَ لَبيقٍ في مُحادثَتِه، فلَعَلَّه أَخلَصُ ضمِيرًا وأَنْقَى قَلبًا مِمَّن هو على ضِدِّ صفتِهِ، فيَظْلِمَ نفسَه بتحقيرِ مَن وَقَّرَهُ اللهُ والاستِهَانَةِ بمَن عَظَّمَهُ اللهُ.

ولقَد بَلغَ بالسَّلفِ إفراطُ تَوقِّيهم وتَصوُّنِهم من ذلك أَنْ قال عَمْرُو بنُ شُرَحْبِيلٍ: لو رأيتُ رجُلًا يَرضَعُ عَنزًا فضَحِكتُ منه خَشيتُ أن أَصْنَع مثلَ الَّذي صَنعَهُ.

وعن عبدِ الله بن مسعُودٍ رضي الله عنه: البَلاءُ مُوكَّلٌ بالقَولِ، لو سَخِرْتُ من كَلْبٍ لخشِيتُ أَن أُحوَّلَ كَلْبًا.

وفي قراءةِ عبد الله: "عَسَوا أن يكُونوا"، و: "عسَيْنَ أَن يَكُنَّ"، فـ"عَسَى" على هذه القِراءة هي ذاتُ الخَبرِ كالتي في قَوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [محمد ٢٢/٤٧] وعلى الأُولى: التي لا خبَر لهَا كقَوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة ٢١٦/٢].

و"اللَّمزُ": الطَّعْنُ والضَّرْبُ باللِّسان، وقرئ: ﴿ولا تَلمُزُوا﴾ بالضم.

قوله: **(بالفاء)** لِما بينهما مِن السببيّة.

قوله: **(تقتَحمُه)**[١] أي: تزْدريه.[٢]

قوله: **(غيرَ لَبيقٍ)** اللَّبِقُ واللَّبيقُ: الحاذِق.[٣]

قوله:[٤] **(مِن ذلك)** "ذلك" إشارة إلى الاستهانة والسخريةِ والاستحقار.

قوله: **(وعلى الأُولى التي)** **فالأوَل**: مثل: عسى[٥] أن يَفعلَ زيدٌ. **والثاني**: مثل: عسى[٦] زيدٌ أن يفعل.

---

[١] ن: تفتحه.
[٢] ن: تزدرية.
[٣] **الصحاح** للجوهري، «لبق».
[٤] ن - قوله.
[٥] ن: عيسى.
[٦] ن: عيسى.

والمعنى: وخُصُّوا أيُّها المؤمنُون أنفسَكم بالانْتهاءِ عن عَيْبها والطَّعن فيها، ولا عَليكم أن تَعِيبُوا غَيرَكم ممَّن لا يَدِينُ بِدِينِكم ولا يَسِيرُ بسِيرَتكُم، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذكرُوا الفَاجِرَ بما فيه كي يَحْذَرَهُ النَّاسُ».

وعن الحسن في ذكر الحَجَّاج: أخرَج إليَّ بنانًا قصيرةً قلَّما عَرِقَتْ فيها الأَعِنَّةُ في سبيل الله، ثم جَعل يُطَبْطِبُ شُعَيْرَاتٍ له ويقُولُ: يا أبَا سَعيد يا أبا سَعيد.

وقال لمَّا مات: اللَّهُمَّ أنتَ أمتَّهُ فاقطَعْ سُنَّته فإنَّه أتَانا أُخيَفِش أُعَيمِش يَخْطِرُ

قوله: (يُطَبْطِبُ) أي: يُحَرِّك شاربَه، قيل:[١] أخرجَ يده كان يريد أن يُبايعه الحسن. والطَّبْطبة: صوت الماء ونحوه، وقد تَطَبْطبَ،[٢] أي: صوَّتَ.[٣] فقوله: (يُطَبْطِبُ شُعَيراتٍ له) أي: يجعل شاربَيه مصوِّتًا[٤] يريد تكَلُّمَه[٥] بتلك الكلمات.

قوله: (يا أبا[٦] سعيد) كُنية الحسن.

قوله: (وقال لمّا مات)[٧] أي: قال الحسن: لمّا مات الحجّاج. وقوله: "لمّا مات" يدلّ على أنّ القول الأوّل مِن الحسن كان في زمِن الحجّاج، لكن في غَيبَتِه.

قوله: (أُخيَفِشَ) الخَفَش: صِغَرُ العين وضَعْفٌ في البصر خِلْقةً، والرجل أخفَشُ. وقد يكون الخَفَش عِلّةً؛ وهو الذي يُبصر الشيء بالليل ولا يُبصِرُه بالنهار،[٨] ويُبْصِرُه في يوم غَيم ولا يُبْصِرُه في يوم صاحٍ.[٩] وقوله: (أُعَيمِشَ)[١٠] العَمَشُ في العين: ضعف الرؤية مع سَيَلان الدمع في أكثر أوقاتها، والرجل أعمَش، وتصغيره: أُعَيمِش، والمرأة[١١] عَمْشاء،[١٢] وتصغيره:[١٣] عُمَيْشاء.[١٤] وقوله: (يخطرُ) أي: يتبَخْتَر. وخَطَرانُ الرجل: اهتزازه في المشي وتبَختره.[١٥]

---

١ ن: قبل.

٢ ن: يطنطب.

٣ **الصحاح** للجوهري، «طبب».

٤ ف: مصوِّتًا.

٥ ن: تكلمة.

٦ ف: يا با.

٧ ن – بتلك الكلمات. قوله: (يا أبا سعيد) كُنية الحسن. قوله: (وقال: لمّا مات).

٨ ن: في النهار.

٩ **الصحاح** للجوهري، «خفش».

١٠ ن: اعتمش.

١١ ن – مع سيلان الدمع في أكثر أوقاتها، والرجل أعمش، وتصغيره: أعَيمِش، والمرأة.

١٢ ن: عسا.

١٣ ن: وتصغير.

١٤ ن: عميشا. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «عمش».

١٥ **الصحاح** للجوهري، «خطر».

في مِشيتِهِ، ويصعَد المِنبَر حتى تَفوتَهُ الصَّلاةُ، لا مِنَ اللهِ يَتَّقِي، ولا من النَّاس يَستَحِي، فَوْقَهُ اللهُ وتَحتَهُ مئةُ ألفٍ أو يزيدُون، لا يَقُولُ لهُ قائلٌ: الصَّلاةَ أيُّها الرَّجُلُ الصَّلاةَ أيُّها الرَّجُلُ، هيْهَاتَ دُون ذلك السَّيْفُ والسَّوْطُ.

وقيل: مَعناه: لا يَعِبْ بَعضُكم بَعْضًا؛ لأنَّ المؤمنينَ كنفْسٍ واحِدة، فمَتى عابَ المؤمنُ المؤمنَ فكَأنَّما عابَ نفسَه.

وقيل: مَعناه: لا تفعَلُوا ما تُلمَزُون بهِ؛ لأنَّ مَن فَعَل ما استَحَقَّ به اللَّمْزَ فقَد لمَزَ نفسَه حَقيقةً.

و"التَّنابُزُ بالأَلْقابِ": التَّداعي بهَا، تفاعُلٌ مِن نبَزَهُ، وبَنو فلانٍ يتَنابَزُونَ ويتَنازَبُونَ.

ويُقال: النَّبْزُ والنَّزْبُ لَقبُ السَّوءِ، والتَّلقيبُ المنهيُّ عنه هُو ما يتَداخَلُ المَدعوَّ به كراهةٌ لِكونه تقصِيرًا به وذمًّا له وشيْنًا، فأمَّا ما يُحِبُّه ممَّا يُزينُه ويُنوِّه بهِ فلا بأس به؛ رُوي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مِن حَقِّ المُؤمن على أَخيهِ أن يُسمِّيهِ بأَحبِّ أسمائه إلَيْه».

ولهذا كانت التَّكنيةُ من السُّنَّةِ والأَدَبِ الحسَنِ؛ قال عُمر رضي الله عنه: أَشِيعُوا الكُنَى فإنَّها مَنْبَهَةٌ.

ولقد لُقِّب أبو بكر بالعَتِيق والصِّدِّيقِ، وعمرُ بالفارُوقِ، وحَمزةُ بأسَد الله، وخالدٌ بسيف اللهِ، وقَلَّ من المشاهير في الجاهِليَّة والإسلام مَن لَيسَ له لقَبٌ،

قوله: **(هيهات)** أي: بَعُدَ هذا القول، أي: لا يمكن لقائلٍ أنْ يقول: الصلاة أيّها الرجل. وقوله: **(دون ذلك)** جملة مستأنَفة للبيان، أي: حال السيف والسَّوط دون ذلك القول.

قوله: **(وقيل: معناه)** عطفٌ على قوله: **(والمعنى: وخُصُّوا)**.

قوله: **(ويُنَوِّه)** أي: يرفع.

قوله: **(مَنْبَهَةٌ)** أي: سبب للرفعة.[1] والنباهة: الرفعة.

---

[1] ن: للرقعة.

ولـم تَزَلْ هـذه الألقابُ الحَسنةُ في الأُمَم كُلِّها من العَربِ والعَجم تَجْري في مُخاطَباتِهم ومُكاتَباتِهم من غير نكِير.

رُوي عن الضَّحَّاك: أنَّ قومًا من بني تميم استَهزَءُوا ببلالٍ وخبَّابٍ وعمَّارٍ وصُهَيْبٍ وأبي ذَرٍّ وسَالمٍ مَوْلى أبي حُذَيفَةَ، فنزلت.

وعن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها كانت تسخَرُ مِن زَينبَ بنتِ خزيمةَ الهِلاليَّةِ وكانَت قصيرةً.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: أنَّ أُمَّ سَلمة ربَطَتْ حَقوَيْهَا بسَبِيبَةٍ وسَدَلَتْ طَرَفهَا خَلْفَها فكانت تَجُرُّهُ، فقالَت عائشةُ لحَفصَة: أُنْظُرِي ما تَجرُّ خَلْفَها كأنَّه لِسَانُ كلْبٍ.

وعن أنس: عَيَّرتْ نساءُ رسولِ الله أمَّ سَلمةَ بالقِصَر.

وعن عِكرمةَ عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ صَفيَّةَ بنتَ حُيَيٍّ أتَتْ رسُولَ الله فقالت: إنَّ النساء يُعَيِّرْنَنِي ويقلنَ: يا يهُوديَّةُ بنتَ يَهودِيَّين، فقال لها رسُول الله: «هَلَّا قُلْتِ: إنَّ أَبي هارُونُ وإِنَّ عمِّي مُوسى وإِنَّ زَوْجي محمَّدٌ؟».

ورُوي أنَّها نزلَت في ثابت بن قيْسٍ وكان به وَقْرٌ، فكانوا يُوسِّعُونَ له في مجْلِسِ رسُول الله ليَسْمع، فأَتَى يَومًا وهُو يقُول: تفسَّحُوا حَتَّى أَنْتَهِيَ إلى رسُولِ الله، فقال لرَجُلٍ: تَنحَّ، فلم يَفعَل، فقَال: مَن هذا؟ فقال الرَّجُلُ: أنا فلانٌ، فقال: بل أنْتَ ابنُ فُلانَةَ، يُريد أمًّا كان يُعيَّرُ بِهَا في الجاهليَّةِ، فخَجِلَ الرَّجُل فنَزلَتْ، فقال ثابتٌ: لا أَفخَر على أحدٍ في الحَسب بَعْدَهَا أبدًا.

﴿ٱلِٱسْمُ﴾ هاهُنا ....

قولـه: (حَقْوَيها بسَبِيبةٍ) الحَقْوُ: الخَصرُ ومَشَدُّ الإزار.[1] والسِّبُّ والسَّبِيبة:[2] شُقَّةٌ كتَّانٍ[3] رقيقةٌ.[4]

---

١ الصحاح للجوهري، «حقا».

٢ ن: السبيبة.

٣ ن: لتان.

٤ الصحاح للجوهري، «سبب».

بمَعنى الذِّكر، من قَولهم: "طَارَ اسْمُه في النَّاس بالكرَم، أو باللُّؤم" كما يُقال: "طَارَ ثناؤهُ وصِيتُه" وحَقيقتُه: ما سَمَا مِن ذِكْره وارتفعَ بين الناس، ألَا تَرى إلى قوْلِهم: أشَادَ بذكره، كأنّه قيلَ: بئس الذكرُ المُرتفِعُ للمُؤمنينَ بسَببِ ارتِكابِ هذه الجرَائرِ أن يُذكَرُوا بالفِسقِ.

وفي قَوله: ﴿بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ ثلاثةُ أوْجُه:

أحدها: استقباحُ الجَمْع بين الإيمانِ وبين الفِسْق الَّذي يأباهُ الإيمانُ ويَحظُرُه؛ كما تقُولُ: "بئسَ الشَّأنُ بعدَ الكِبرَةَ الصَّبْوةُ".

والثاني: أنه كان في شتَائمِهم لمَن أَسْلَم مِن اليَهُود: يا يهُوديُّ، يا فاسقُ، فنُهوا عنه وقيل لَهم: بِئس الذِّكرُ أن تَذكُرُوا الرَّجُلَ بالفِسْقِ واليَهودِيَّة بعدَ إيمانه،

قوله: (**بمعنى الذكر**) ويئول المعنى إلى قولك: بئس ما ذُكر به الشخص واشتهر به الفُسوق، أي: لا تَلْمزوا[١] ولا تنابَزوا لئلّا يَشْتهر ذكركم بالفسوق،[٢] أي:
[٣٧٠و] بئس[٣] الاسم اسم الفسوقِ، وهو / أن يقول له: يا فاسقُ، يا سارقُ.

قوله: (**هذه الجرائر**)[٤] "الجرائر"[٥] جمع الجَريرة،[٦] وهي الجناية.[٧] يقال:[٨] جرَّ[٩] عليهم جَريرةً،[١٠] أي: جنى[١١] عليهم جِنايةً.[١٢]

قوله: (**ويَحْظُره**)[١٣] الحَظْرُ:[١٤] الحَجْرُ، وهو خلاف الإباحة.[١٥]

---

[١] ن: يلزموا.
[٢] ن + قوله.
[٣] ن: بكسر.
[٤] ن: الحرائر.
[٥] ن: الحزائر.
[٦] ن: الحريرة.
[٧] ن: الحناية.
[٨] ن: ويقال.
[٩] ن: حرّ.
[١٠] ن: حريرة.
[١١] ن: حنى.
[١٢] ن: حناية. | وفي هامش د: **صحاح**. | **الصحاح** للجوهري، «جرر».
[١٣] ن: ويحطره.
[١٤] ن: الحطر.
[١٥] وفي هامش د ف: قوله: (**أن يُذكَروا بالفِسق**) هو المخصوص بالذَّمّ. قوله: (**بعد الكَبرة**) الكِبَرُ في السِّنّ، وقد كَبِرَ الرجل يَكْبَرُ كِبَرًا، أي: أسَنَّ، ومَكْبِرًا أيضًا بكسر الباء، يقال: **علاه المَكْبِر**، والاسم الكَبْرة بالفتح، يقال: عَلَتْ فلانًا كَبْرَة. **صحاح**. | **الصحاح** للجوهري، «كبر».

والجُملةُ على هذا التَّفْسير مُتعلِّقةٌ بالنَّهي عن التَّنَابُز.

والثالثُ: أن يُجعَل مَن فَسَقَ غيرَ مؤمِنٍ؛ كما تقول للمُتحوِّل عن التِّجارةِ إلى الفِلَاحَةِ: "بئسَت الحِرفةُ الفِلاحَةُ بَعد التِّجارة".

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

يقال: "جَنَبَهُ الشَّرَّ": إذَا أَبعَدهُ عنه، وحقيقتُه: جعَلَه منه في جانبٍ، فيُعدَّى إلى مفعولَيْنِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم ٣٥/١٤] ثُمَّ يُقال في مُطاوعِهِ: اجْتَنَب الشَّرَّ، فتَنْقُصُ المُطاوَعةُ مفعولًا، والمَأمُورُ باجتِنابِهِ هو بَعضُ الظَّنِّ، وذلك البَعضُ مَوصُوفٌ بالكَثْرةِ، ألَا تَرى إلى قَوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

قوله: **(على هذا التفسير)** وعلى التفسير[1] الأوّل كان متعلّقًا بالنهي عن السُّخرية. والصواب أن نقول: كانت الجملة متعلّقة في الوجه الأوّل بالنهي عن الجمع بين الإيمان والفُسُوقِ الحاصلِ[2] مِن السُّخرية والتنابزِ واللَّمْزِ إلى[3] غير ذلك.

قوله: **(إلى الفِلاحة)** فَلَحتُ الأرضَ: شقَقْتُها للحَرْث،[4] ومنه سمّي الأكّار[5] فلّاحًا.[6] والفِلاحة -بالكسر-: الحِراثة.[7]

قوله: **(وحقيقتُه: جعَلَه)** أي: جعَلَه مِن الشرّ في جانبٍ، أي: جعَلَه في جانبٍ مِن الشرّ. و"مِن" للابتداء، أي: إذا ابتدأتَ النظر مِن الشرّ[8] رأيتَه في جانبٍ بعيدٍ منه.

قوله: **(موصوف بالكَثْرة)** فإنّ قوله تعالى في تعليل الاجتناب عن كثير مِن الظنّ: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ يدلُّ على أنّ المأمور باجتنابه بعضُ الظنّ.

---

١ ن - وعلى التفسير.

٢ ن: والحاصل.

٣ ن: أي.

٤ ن: للحرث.

٥ ن: الأدار.

٦ ن + قوله.

٧ د ف - والفِلاحة -بالكسر-: الحِراثة. [وهي في هامش د ف]. | الصحاح للجوهري، «فلح».

٨ ن - و"مِن" للابتداء، أي: إذا ابتدأتَ النظر مِن الشرّ.

فإن قلتَ: بَيِّن الفصْلَ بين "كَثيرٍ" حيثُ جاء نكرةً وبينَه لو جاء معْرفةً؟

قلتُ: مَجِيئُه نكرةً يُفيد مَعنى البَعْضِية، وأنَّ في الظُّنُون ما يَجبُ أَن يُجتنَب، من غير تَبيينٍ لِذلك ولا تَعيينٍ؛ لئلَّا يَجتَرِئَ أحَدٌ على ظنٍّ إلَّا بَعد نظرٍ وتَأمُّلٍ وتمييزٍ بين حَقِّه وباطله بأَمارةٍ بَيِّنةٍ مع استشْعارٍ للتَّقْوَى والحذَرِ، ولَو عُرِّفَ لَكان الأمْرُ باجتِنابِ الظَّن مَنُوطًا بما يَكْثُر منه دُون ما يقِلُّ، ووجَب أن يكُونَ كلُّ ظَنٍّ متَّصِفٍ بالكَثْرة مُجتَنَبًا، وما اتَّصَف منه بالقِلَّة مُرخَّصًا في تَظَنِّيهِ.

الظنُّ على أربعة أوجه:

مأمور به؛[١] كحُسنِ[٢] الظنِّ بالله تعالى وبالمؤمنين.

ومَحظور[٣] يقابلُه،[٤] ومنه: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾، قال مُقاتل: «هو أن يتكلّم بما ظنَّه، فإن لم يتكلَّم فلا يكون إثْمًا».[٥]

ومندوبٌ؛ كسُوء الظنِّ بمَن ظاهِره الفِسقُ، قال[٦] عليه السلام: «احْترِسوا مِن الناس بسوء الظنّ»،[٧] وقال: «الحَزْمُ سوء الظنّ»،[٨] والحَزْم مندوب إليه.

ومُباح؛ كالظنّ في الصلاة والصوم والقِبلة، أُمِرَ صاحبُه بالتحرّي فيها، والبناءِ على غَلَبة الظنّ.

ولهذا الانقسام قال: ﴿كَثِيرٗا﴾، ولم يُطلِق.[٩]

قوله: **(ولو عُرِّف)** أي: لو عُرِّف وقال: "اجتنبوا الكثيرَ[١٠] مِن الظنّ" لكان المعنى: إنَّ الظُّنون الكثيرة المعلومة يجب أن تُجتنَب دون ما سواها، وليس المعنى عليه.

---

١ ن: مأمورية.

٢ ن: لحسن.

٣ وفي هامش د ف: أي: منهيّ عنه.

٤ ن: يقايله.

٥ انظر: **تفسير مقاتل بن سليمان**، ٩٦/٤ (الحجرات، ١٢/٤٩).

٦ ن: قوله.

٧ **المعجم الأوسط** للطبراني، ١٨٩/١ (٥٩٨). وهو في **السنن الكبرى** للبيهقي، ٣٨١/٢٠ (٢٠٤٤٤)، مِن قول مُطرِّف بن عبدِ الله.

٨ **مسند الشهاب** للقضاعي، ٤٨/١ (٢٤).

٩ وفي هامش د: قوله: (يفيد البَعضيّة) يحتمل أن يكون مِن كِلا قَبيل الإفراد، أي: الإفراد النوعيّ والشخصيّ، أي: نوعًا مِن أنواع الكَثرات، أو فردًا مِن أفراد الكَثرات، ويحتمل أن تكون للإبهام الذي هو ضِدّ التعريف حتّى يَعُمّ كلَّ بعض.

١٠ ف: كثيرًا.

والَّذي يُميِّزُ الظُّنونَ التي يجبُ اجتِنَابُها عمَّا سِواهَا: أَنَّ كُلَّ ما لَم تُعْرفْ له أمَارةٌ صَحِيحةٌ وسَبَبٌ ظاهِرٌ كانَ حَرامًا واجبَ الاجتنابِ، وذلك إذا كان المظنُونُ به ممَّن شُوهِدَ مِنهُ السَّترُ والصَّلاحُ، وأُونِسَت مِنه الأَمانةُ في الظَّاهر، فظَنُّ الفَسادِ والخِيانةِ به مُحرَّمٌ، بخلافِ مَن اشتَهَرَهُ النَّاسُ بتعَاطي الرِّيَبِ والمُجاهَرةِ بالخَبَائثِ؛ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله حَرَّم من المُسلم دَمَه وعِرْضَه وأَن يُظَنَّ بهِ ظَنُّ السَّوءِ».

وعن الحسن: كُنَّا في زَمانٍ الظَّنُّ بالنَّاسِ حَرامٌ، وأَنت اليَوْمَ في زمانٍ اعْمَل واسْكُت وظُنَّ بالناس ما شئتَ، وعنه: لا حُرمَةَ لفَاجِرٍ، وعنه: إنَّ الفاسقَ إذا أَظهَر فسْقَهُ وهَتَك سِتْره هَتكه اللهُ، وإذا استَتَر لم يُظْهِر اللهُ عليه لعَلَّه أَن يتُوبَ.

وقد رُوي: مَن أَلْقَى جِلْبَابَ الحَياء فلا غِيبَةَ له.

و"الإثْمُ": الذَّنبُ الَّذي يَستحِقُّ صاحبُه العِقَابَ، ومِنه قِيل لعُقوبَتِه: الأَثَامُ، فَعَالٌ منه كالنَّكَالِ والعَذابِ والوَبالِ، قال:

لقد فَعلَتْ هَـذِي النَّـوَى بي فَعلةً ... أَصَـابَ النَّـوَى قبـلَ الممـاتِ أَثَامُهـا

قوله: (**وأُونِسَتْ**) أي: أُبصِرَتْ.

قوله:

(لقد فعَلَت هَـذِي[1] النَّوى بيَ فَعْلةً ... أصابَ النوى قبلَ المَمـاتِ أثامُها)[2]

"النَّوى": البُعدُ. وقوله: "أصابَ" دعاء على النَّوى بالأثام. وقوله: "قبل المَمات" يجوز أن يريدَ مَمات النَّوى؛ يريد أن يدعوَ على النَّوى بأن لا يموتَ حتَّى يَلْقى جزاءَ ما فعل، وهذا معنًى لطيف مجازي. ويجوز أن يريد مماتَ نفسِه؛ يريد أن يدعوَ[3] لنفسه بأن لا يموتَ حتَّى يرى ما يلحَقَ النَّوى مِن الجزاء على فعله؛[4] فيتسلَّى بذلك.

---

[1] ن – هذي.

[2] ن: أثاما. | بغير نسبة كذلك في **أساس البلاغة** للزمخشري، ١/٢١؛ **وشرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٣٠٠.

[3] ف: يدعوا.

[4] ن – على فعله.

والهمزَةُ فيه عن الواو كأنّه يَثِمُ الأَعمالَ؛ أي: يَكْسرهَا بإحبَاطهِ.

وقرئ: "ولا تحسَّسُوا" بالحاءِ، والمعنيان مُتقارِبان، يُقال: تجسَّس الأَمر: إذا تَطَلَّبه وبَحَثَ عنه، تَفَعُّلٌ من الجَسّ، كما أَنَّ التَّلمُّس بمَعنى التَّطَلُّب من اللَّمس؛ لِمَا في اللَّمس من الطَّلَب، وقَد جاء بمَعنى الطَّلب في قَوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن ٨/٧٢] والتَّحسُّسُ: التَّعرُّف، من الحَسِّ، ولتقَارُبهما قيل لمَشاعرِ الإِنْسان: "الحَواسُّ" بالحاء والجيم.

والمرادُ: النَّهيُ عن تتبُّع عَوْراتِ المُسْلمين ومَعَايبهم والاستِكشافِ عَمَّا ستَرُوهُ.

وعن مجاهدٍ: خذُوا ما ظهَر ودَعُوا ما ستَرهُ اللهُ.

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «أَنَّه خطَبَ فرَفع صَوْتَهُ حَتَّى أَسمَع العَواتِقَ في خدُورِهِنَّ قال: يا مَعْشَر مَن آمَن بلسَانهِ ولم يَخلُصِ الإِيمانُ إلى قَلْبِه لا تَتَبَعُوا عوْرَاتِ المُسلمين، فإنَّ مَن تتبَّع عَوْراتِ المُسلمين تتبَّع اللهُ عَوْرته حَتَّى يفضَحَه ولَو في جَوْف بيْتِهِ».

قوله: (وقُرئ: "وَلَا تَحَسَّسُوا")[١] شاذّ،[٢] أي: لا تَتَّبعوا عَثَرات المسلمين.

قوله: (يُقال)... إلخ جملة مستأنَفة لبَيان التقارب.

قوله: (عورات المسلمين) قال في الصحاح: «العَورة: سَوأة الإنسان، وكُلّ ما يُستَحْيَى[٣] منه، والجمع: عَوْرات بالتسكين، وإنّما يُحرَّك[٤] الثاني مِن 'فَعْلة' في جمع الأسماء إذا لم يكن ياءً أو واوًا،[٥] وقرأ بعضُهم: 'عَوَرَاتِ النِّسَاءِ'[٦] بالتحريك. / والعَورة كلُّ خَلَل يُتخوَّف[٧] منه في ثَغْرٍ أو حرب».[٨] [٣٧٠ظ]

قوله: (العَواتِقَ)[٩] أي: الكرائمَ.

---

١ ف: وَلا تَجَسَّسُوا.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي رجاء وابن سيرين. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٤٥.

٣ ن: يستحي.

٤ ن: تحرّك.

٥ ن: واوًا.

٦ مِن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور ٣١/٢٤]. وفتحُ الواو مِن "عَوَرات" قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش وابن مقسم. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٤٢.

٧ ف: يُتحوَّف؛ ن: يتحوّن.

٨ الصحاح للجوهري، «عور».

٩ ن: العوايق.

وعن زَيْد بن وَهْبٍ: قلْنا لابن مسْعُود رضي الله عنه: هَل لك في الوَليد بن عُقبَة بن أبي مُعَيطٍ تَقطُرُ لِحيتُهُ خمرًا؟ فقال ابنُ مسعُود رضي الله عنه: إنَّا قد نُهينَا عن التَّجسُّس، فإن ظهرَ لَنا شَيء أَخَذنا به.

"غابَه واغتَابَه": كغَاله واغتَاله، والغِيبَةُ من الاغتيَاب كالغِيلةِ من الاغتيالِ، وهي ذِكرُ السَّوءِ في الغَيْبةِ، وسُئِل رسول الله عن الغِيبَةِ فقال: «أَن تَذكُرَ أَخاك بما يَكْرَهُ، فإن كان فيه فقَد اغتَبْتَه، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّهُ».

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: الغِيبَةُ إدامُ كِلاب النَّاسِ.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ تمثِيلٌ وتَصوِيرٌ لِمَا يَنالُه المُغْتَابُ من عِرْض المُغتَابِ على أَفْظَع وَجْهٍ وأفحشِهِ، وفيه مُبالَغاتٌ شتَّى:

منها: الاستفهامُ الَّذي مَعناه التَّقريرُ.

ومنها: جَعْلُ ما هُو في الغَايَة من الكراهَةِ مَوصُولًا بالمَحبَّةِ.

ومنها: إسْنادُ الفِعْل إلى ﴿أَحَدُكُمْ﴾ والإشعارُ بأنَّ أحَدًا منَ الأحَدِينَ لا يحبُّ ذلك.

قوله: («فقد بَهَتَّه»)[١] إذا[٢] قال عليه[٣] ما لم يفعل.

قوله: (**المُغْتاب**) يَصلُح لاسم[٤] الفاعل واسم المفعول، والتقدير مختلف.[٥]

قوله: (**معناه التقرير**) قرَّرهم بأنَّ أحدًا منهم لا يحبّ[٦] أكلَه. والمبالغة في التقرير أنّه لا يقع إلّا في كلامٍ هو مُسَلَّم عند كلّ أحد. ولو قيل: "معناه الإنكار"[٧] لكان موافقًا لقوله بعد ذلك: (**أحدًا[٨] مِن الأحَدِين لا يحبُّ ذلك**)،

---

١ صحيح مسلم، ٢٠٠١/٤ (٢٥٨٩)؛ سنن أبي داود، ٢٣٧/٧ (٤٨٧٤).

٢ ن: إذ.

٣ ن + السلام.

٤ ن: الاسم.

٥ وفي هامش د ف: الأوّل بمعنى اسم الفاعل. والثاني بمعنى اسم المفعول.

٦ ن: يجب.

٧ ف: الأنكار.

٨ ن - ولو قيل: "معناه الإنكار" لكان موافقًا لقوله بعد ذلك: (أحدًا).

ومنها: أَنْ لم يُقتَصَر على تَمْثِيل الاغْتياب بِأَكْلِ لحم الإنسانِ حَتَّى جُعِل الإِنسان أَخًا.

ومنها: أَنْ لم يُقتَصر على لَحْم الأَخِ حتَّى جُعِل مَيْتًا.

وعن قتادةَ: كمَا تكرَهُ إِنْ وَجدْتَ جِيفَةً مُدوِّدَةً أن تَأْكُلَ منها كذلك فاكرَهْ لَحم أَخِيكَ وهو حيٌّ.

وانتصَب ﴿مَيْتًا﴾ على الحال من اللَّحم، ويجوزُ أَنْ ينتَصِبَ عن الأَخِ، وقرئ: ﴿مَيِّتًا﴾.

ولمَّا قرَّرَهم عزَّ وجلَّ بأنَّ أحَدًا منهم لا يُحِبُّ أَكلَ جيفةِ أَخيه عقَّبَ ذلك بقَوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ معناه: فقد كَرِهْتُموه واستَقَرَّ ذلك، وفيه معنى الشرط؛ أي: إنْ صحَّ هذا فكرهتُموه، وهي الفاء الفصيحة؛ ....

وقولِه في تفسير ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.[١] وفي هذه الحاشية نظرٌ؛ فإنّ المراد بـ"التقرير" في قول المصنّف أن يجعله مُقِرًّا بأنّه لا يُحِبُّ،[٢] فهو في المعنى إنكار ذلك.

قوله: (**جِيفةً**) الجيفة: البدَن الذي[٣] فارقه الروح. وقوله: (**مُدَوِّدةً**) **الدُّود**: جمع دُودةٍ، وجمع الدُّود: دِيدان، والتصغير: دُوَيد، والقياس: دُوَيدة. **هكذا ذُكر في الصحاح**.[٤] وأنا أقول: إنّما فعل كذلك[٥] لئلّا يَلْتبس بتصغير "دُودة". ودادَ الطعامُ يَدَادُ، وأدادَ ودَوَّدَ، كلّه بمعنًى؛ إذا وقع فيه السُّوس.[٦]

قوله: (**ويجوز أن ينتصِب عن "الأخ"**) لأنّه وإن كان مضافًا إليه **فهو في**[٧] معنى[٨] المفعول، مثل: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة ١٣٥/٢].

قوله: (**وهي الفاء الفصيحة**) قال: "هي الفاء الفصيحة"، ونظيره: ما يقول الفقهاء: "وإذا كان كذلك"، وهي للإلزام.[٩]

---

١ ن: فلرتموه.
٢ ن: يجب.
٣ ن – الذي.
٤ **الصحاح** للجوهري، «دود».
٥ ن: ذلك.
٦ **الصحاح** للجوهري، «دود».
٧ ف ن – في.
٨ ف: بمعنى.
٩ ن: اللالزام.

أي: فتحَقَّقَتْ بوُجُوب الإقرارِ عَليكُم وبأنّكم لا تَقدِرُون على دَفعه وإنكاره -لإباء البشريَّة عليكم أَنْ تجحدُوه- كَراهَتُكم لَه وتَقَذُّرُكُم منه، فَلْيتحقَّقْ أيْضا أَن تكرهُوا ما هُو نَظِيرُهُ مِن الغِيبة والطَّعْن في أَعرَاض المسلمين.

وقرئ: "فكُرِّهتُمُوه"؛ أي: جُبِلْتُم على كراهَتِه.

فإن قلتَ: هَلَّا عُدِّيَ بـ"إلَى" كما عُدِّيَ في قوله: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ [الحجرات ٤٩/٧] وأَيُّهما القياسُ؟

قلتُ: القياسُ تعَدِّيهِ بنفسِه؛ لأنّه ذو مفعُولٍ واحدٍ قَبل تثقيلِ حَشْوه، تقُول: كَرِهْتُ الشَّيءَ، فإذا ثُقِّل استَدْعَى زيادَةَ مفعُولٍ، وأمَّا تعدِّيهِ بـ"إلَى" فتَأوُّلٌ وإجْراءٌ لَ"كرَّهَ" مُجرى: "بَغَّضَ"، لأن "بغَّضَ" مَنقولٌ من: بَغُضَ إلَيْه الشَّيءُ فهو بَغيضٌ إلَيْه؛ كقولك: حَبَّ إلَيْه الشيءُ فهوَ حَبيبٌ إلَيْه.

قوله: **(بوجوب[1] الإقرار)** أي: بكَراهَتكم.

قوله: **(على دفعه)**... إلخ الضمائر[2] في[3] "دفعه"[4] و"إنكاره" و"يَجحدوه"[5] عائدةٌ[6] إلى قوله: **(كَراهتُكم)** بتأويل الكُره، وهو متقدِّم معنًى؛ لأنّه فاعل "تحقَّقَتْ".

قوله: **(لإباء البشريّة)**[7] متعلّق بقوله: **(لا تقدِرون)**،[8] أو بقوله: **(بوجوب)** على طريق التنازع. وقوله: **(كَراهتُكم له)** أي: للأكل.[9] وقوله: **(وتقذُّركم منه)** أي: للأكل،[10] القَذَر ضِدُّ النظافة، وهو قَذِرٌ بَيِّنُ القَذارة، وقَذِرتُ الشيء -بالكسر- وتَقَذَّرتُه واستَقْذَرتُه، أي: كرِهْتُه. وقوله: **(فليتحقَّقْ)** عطفٌ على قوله: **(فتَحققَتْ)**.

قوله: **(فإن قلتَ: هلَّا عُدِّيَ)** يعني قوله: **﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾**.

---

[1] ن: يوجب.
[2] ن: الخمائر.
[3] ن - في.
[4] ن: دفعة.
[5] ن: يجحدوه.
[6] ف: عائدًا.
[7] ن: البريّة.
[8] ن: لا يقدرون.
[9] ن: الأكل.
[10] ن: الأكل.

والمبَالَغةُ في "التوَّاب" للدَّلالةِ على كَثْرةِ مَن يتُوب عليه مِن عبَادِهِ، أو لأنَّه ما مِن ذَنْبٍ يَقترفُه المُقترِفُ إلَّا كان مَعفُوًّا عندهُ بالتَّوبةِ، أو لأنَّه بليغٌ في قبُول التَّوبة، مُنزِّلٌ صاحِبَها مَنزِلةَ مَن لم يُذْنِب قَطُّ، لسَعةِ كرَمهِ.

والمعنى: واتَّقوا الله بتَرك ما أُمرتُم باجتِنابه والنَّدمِ على ما وُجِدَ مِنكم مِنه، فإنَّكُم إن اتَّقيتُم تقبَّلَ اللهُ توْبَتكم وأنعمَ عَليكم بثوَاب المتَّقِين التَّائبينَ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: أنَّ سلمان رضي الله عنه كان يَخْدُمُ رَجُلين من الصَّحابة ويُسوِّي لهما طَعَامَهُما، فنَام عن شأنهِ يَومًا، فبَعثَاهُ إلى رَسُول الله يَبْغِي لَهُما إدَامًا، وكان أُسامَةُ على طعام رسُول الله، فقال: ما عِنْدي شَيءٌ، فأخْبَرَهُما سَلْمانُ، فعِند ذلك قالا: لَو بعَثْناه إلى بِئرِ سُمَيحَةَ لغَارَ مَاؤُها، فلمَّا رَاحَا إلى رسُول الله قال لهُما: ما لي أرَى خُضْرةَ اللَّحمِ في أفواهِكُما، فقَالا: ما تناوَلْنَا لحْمًا! فقال: «إنَّكُما قد اغتَبْتُما» ونَزلت.

قوله: **(وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما)**[1] سبب النزول.[2] وقوله: **(ويُسوِّي)** أي: يهيّئ.[3]

قوله: **(بئر سُحَيمةَ)**[4] "سُحَيمةُ"[5] مِن آبار مكّة. وقوله: **(لَغَارَ)** غارَ الماءُ غَورًا[6] وغُئُورًا،[7] أي: سَفَلَ في[8] الأرض.[9] وقوله: **(راحا)** راحَ يَروح رَوَاحًا؛ نقيضُ غَدَا يَغدو.[10] وقوله: **(خُضْرة اللحم)** ذكر أنّ العرب تُسمِّي الأَسْود أخضرَ، والأخضرَ أسودَ، قالوا: ومنه قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن ٥٥/٦٤]، أي: خَضْراوان مِن الرِّيّ، ولذلك[11] سُمّي[12] سواد العراق سوادًا لكثرة خُضرته.[13]

---

[1] د - رضي الله عنهما.

[2] انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣٨١/٢٤ (الحجرات، ١٢/٤٩)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ٣٤٤/٧ (الحجرات، ١٢/٤٩).

[3] ن: يهي.

[4] كذا في الأصول الخطيّة، وفي مطبوع **الكشّاف**: "سُميحة".

[5] ن - سحيمة.

[6] ف: غَور؛ ن: عور

[7] وعوورًا.

[8] ن - في.

[9] **الصحاح** للجوهري، «غور».

[10] ن: يغدوا.

[11] ن: وكذلك.

[12] ن - سمّي.

[13] **مجمل اللغة** لابن فارس، «خضر».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾

﴿مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ من آدم وحوّاءَ، وقيل: خلَقنا كلَّ واحدٍ مِنكُم من أَبٍ وأُمٍّ، فما مِنكُم أَحَدٌ إلَّا وهو يُدْلِي بمِثلِ ما يُدْلِي به الآخَرُ سَواءً بسَواءٍ، فلا وَجْهَ لِلتَّفاخُرِ والتَّفاضُل في النَّسب.

و"الشَّعْبُ": الطَّبقة الأُولَى من الطَّبقاتِ السِّتِّ التي علَيها العَربُ، وهي: الشَّعْبُ، والقَبيلةُ، والعِمارَةُ، والبَطْنُ، والفَخْذُ، والفَصيلَةُ، فالشَّعْبُ يَجمعُ القَبائلَ، والقبيلةُ تجمَعُ العَمائرَ، والعِمَارةُ تجمعُ البُطُون، والبَطنُ تجمع الأَفخاذ، والفَخْذُ تجمَعُ الفَصَائل: خُزَيمَةُ شَعْبٌ، وكِنانَةُ قبيلَةٌ، وقريشٌ عِمَارَةٌ، وقُصيٌّ بَطنٌ، وهاشمٌ فخِذٌ، والعبَّاس فصيلَةٌ.

وسُمِّيت الشُّعُوبَ لأنَّ القبائل تشعَّبتْ منها.

وقرئ: "لتتعارفوا"، و: ﴿لِتَّعَارَفوا﴾ بالإدغام، و: "لِتَعرِفُوا"؛ أي: لِتَعلَمُوا كَيْف تتَنَاسَبُونَ، و: "لِتَتعرَّفُوا".

والمعنى: أنَّ الحكمة التي من أَجْلها رَتَّبَكُم على شُعوبٍ وقبائلَ هي أَن يَعْرِف بعضُكم نسَب بعضٍ فلا يَعتَزِيَ إلى غير آبائهِ، لا أنْ تتفاخَرُوا بالآباء والأَجْداد وتدَّعُوا التَّفاوُتَ والتَّفاضُلَ في الأَنسابِ.

ثمَّ بيَّن الخصْلَةَ التي بها يَفضُلُ الإنسانُ غيرَه ويكتسِبُ الشَّرف والكرَم عند الله فقال: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾. وقرئ: "أنَّ" بالفتح، كأنَّه قيل: لِمَ لا نتَفَاخَرُ بالأنساب؟ فقيل: لأن أكرَمكُم عند الله أتقَاكُم لا أَنسَبُكُم.

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنّه طافَ يَومَ فتح مكَّةَ، فحمد اللهَ وأَثنى عَليه ثم قال: «الحمْدُ الله الَّذي أَذهبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وتكَبُّرهَا، يا أَيُّها النَّاسُ،

قوله: (عُبِّيَّةَ) العُبِّيَّةُ:[1] الكِبْر والتجبُّر، وعُبِّيَّةُ[2] الجاهليّة: نَخْوَتُها، وهي "فُعْلِيَّة"، وكأنَّها مِن عَبَّ النَّبتُ؛ طالَ.[3]

---

١ ف: العُبِّيَّة. [أي: بضمّ العين وكسرها].

٢ ف: وعُبِّيَّة. [أي: بضمّ العين وكسرها].

٣ الصحاح للجوهري، «عبب». | وفي هامش د ف: قوله: (يُدْلي) أي: يتوسّل بقَرابة.

إنَّما الناسُ رَجُلان: مُؤمِنٌ تَقِيٌّ كريمٌ على الله، وفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ على الله» ثمَّ قرأ الآيةَ.

وعنه عليه السلام: «مَنْ سَرَّهُ أَن يكون أَكرَمَ الناس فليَتَّقِ الله».

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: كرَمُ الدُّنيا الغِنَى، وكَرَمُ الآخرة التَّقْوَى.

وعن يزيد بن شجرَة: مَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في سُوقِ المَدينة فرأى غُلامًا أَسْودَ يَقول: مَن اشتَراني فعَلَى شَرْطٍ لا يَمنعُني عن الصَّلَوات الخمسِ خلْفَ رسُولِ الله، فاشتَراه رجُل، فَكان رسُولُ الله يَراهُ عِند كلِّ صَلاةٍ، ففَقَدَهُ فسأَلَ عَنه صَاحِبَه، فقال: محمُومٌ، فعَادَه، ثمَّ سأَلَ عَنه بعد أيَّامٍ فقيل: هو لِمَا بِهِ، فجَاءهُ وهوَ في ذَمائه فتوَلَّى غَسْلَه ودَفْنَهُ، فدَخل على المُهاجرين والأَنصار أَمْرٌ عظيم، فنَزلت.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

"الإيمانُ": هو التَّصديقُ مَع الثِّقةِ وطُمأنينَةِ النَّفس، والإسْلامُ: الدُّخولُ في السِّلْم، والخرُوجُ من أَن يكون حَرْبًا للمؤمنين بإظهار الشَّهَادتين، ألا تَرى إلى قوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾.

قوله: (لِما هو به)[١] أي: هو مُتَهيِّئٌ للموت الذي هو لاصقٌ به، لا بدّ له
[٣٧١و] منه.[٢] وقوله: (في / ذَمائه)[٣] أي: بقيّة حَرَكته. الذَّماء:[٤] بقيّة النَّفْس، والذَّماء:[٥] الحركة. ذَمَى[٦] يَذْمي:[٧] تحرَّكَ.[٨]

---

١ في مطبوع الكشّاف: هو لما به.

٢ في فتوح الغيب للطيبي، ٥٠٩/١٤: «رُوي عن المصنّف».

٣ ن: دمائه. | انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ٤٠٠/٢٤ (الحجرات، ١٣/٤٩)؛ وأسباب النزول للواحدي، ص ٤١١.

٤ ن: الدما.

٥ ن: والدماء.

٦ ن: دمى.

٧ ن: يدمي.

٨ مجمل اللغة لابن فارس، «ذمي».

فاعلَمْ أنَّ ما يكُون مِن الإقرار باللِّسان من غيرِ مُوَاطأةِ القَلْب فهو إسْلامٌ، وما واطأَ فيه القَلْبُ اللِّسانَ فهو إيمانٌ.

فإن قلتَ: ما وجهُ قوله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ والَّذِي يقتَضيه نَظمُ الكلام أن يُقال: "قل: لا تقولُوا آمنَّا، ولكن قُولُوا أَسْلَمْنا"، أو: "قُل لم تُؤمِنُوا ولكِنْ أَسْلَمْتُم"؟

قلتُ: أفاد هذا النَّظمُ تكذيبَ دعْواهُم أوَّلًا، ودَفْعَ ما انتحَلُوه، فقيل: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾، ورُوعيَ في هذا النَّوعِ من التَّكذِيب أَدَبٌ حَسنٌ حينَ لم يُصرِّحْ بلَفظِه، فلم يُقَل: "كَذَبْتُم"، ووُضِع ﴿لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ الَّذي هُوَ نَفيُ ما ادَّعَوْا إثبَاتَه موضِعَه، ثُمَّ نبَّه على ما فَعَل مِن وَضْعِه مَوضعَ "كَذَبْتم" في قولِهِ في صِفة المُخلصين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ تعريضًا بأنَّ هؤلاء هُم الكاذِبُون، ورُبَّ تعريضٍ لا يُقاوِمُه التَّصريحُ،

قوله: **(فاعلم أنّ كلّ)**... إلخ والصواب أن يقال: الإقرار باللسان هو الإسلام، فإن كان مع مواطَأة القلب فهو إسلام مقبول، وإن كان مِن غير مواطَأة القلب فهو إسلام غير مقبول. وأمّا قوله: **(وما[1] واطَأ)**... إلخ ففيه نظرٌ؛ لأنّ الإيمان هو التصديق بالقلب كما ذُكر، ولا يُشترط فيه مواطَأة القلبِ اللسانَ. وقوله: **(ما يكون)**[2] تامّة. وقوله: **(مِن الإقرار)** بيان "ما".

قوله: **(قلتُ: أفادَ)** أي: أريدَ أنْ يُفيدَ هذا النَّظْم التكذيبَ فقيل.

قوله: **(في صفة المُخلِصين)** الجارّ متعلِّق بقوله: **(نبّه)**، كأنّه قيل: أُوقِع التنبيه عليه في قوله، وهو مثل:

يَــجْــرَحْ فــي عَــراقــيــبــهــا[3]

قوله: **(تَعريضًا)** يجوز أن يكون متعلّقًا بـ"نبّه"، أو "قولِه"، إمّا مفعولًا له، وإمّا مَصدرًا مِن غير لفظ الفعل.

---

[1] ن - وما.

[2] ف: ما يلون.

[3] ن: عراقيها. | تمامه:

وإن تعتذِر بالمَحل مِن ذِي ضروعها
إلى الضيفِ يَجرح في عَراقيبها نَصلِي

وهو لذي الرمّة في ديوانه، ١/١٥٦.

واستَغْنَى بالجُملة الَّتي هي ﴿لَمْ تُؤْمِنُواْ﴾ عن أَن يُقال: "لا تقُولوا آمَنَّا"، لاستهْجَانِ أن يُخاطَبُوا بلَفْظٍ مُؤدَّاهُ النَّهْيُ عن القَوْل بالإيمانِ، ثُمَّ وُصِلَتْ بهَا الجُملةُ المُصَدَّرةُ بكلمةِ الاستدرَاك مَحمُولةً على المَعنى، ولـم يُقَل: "ولكـن أَسْلَمتُم"، ليَكونَ خارجًا مَخْرَجَ الزَّعْمِ والدَّعْوَى، كما كان قَولُهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ كذلك، ولو قِيلَ: "ولكن أَسْلمتُم"، لكان خرُوجُه في مَعْرِض التَّسليم لَهُم والاعتدادِ بقَوْلهم، وهُو غيرُ مُعْتدٍّ به.

فإن قلتَ: قولُه: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ بَعد قوله: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ يُشْبِهُ التَّكريرَ من غَيْرِ استقْلَالٍ بفائدَةٍ مُتجدِّدةٍ؟

قلتُ: ليس كذلك؛ لأنَّ فائدةَ قوله: ﴿لَمْ تُؤْمِنُواْ﴾ هو تكذيبُ دَعْواهم، وقولُه: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ توقِيتٌ لِمَا أُمِرُوا به أن يقُولوه، كأنَّه قيل لهُم: "ولكن قولوا أسلَمْنا حينَ لم تثبُتْ مُواطَأةُ قلُوبكم لِألْسِنتكم"، لأنّه كلامٌ وَاقِعٌ مَوقعَ الحال من الضمير في ﴿قُولُواْ﴾.

وما في ﴿لَمَّا﴾ مِن معنى التَّوقُّعِ دالٌّ على أنَّ هَؤلاء قد آمَنُوا فيما بَعْدُ.

﴿لَا يَلِتْكُم﴾: لا يَنقُصْكُم ولا يَظْلِمْكُم، يُقال: أَلَتَه السُّلطانُ حَقَّه أشدَّ الأَلْتِ، وهي لُغة غَطفانَ، ولغَةُ أَسَدٍ وأَهْلِ الحجاز: لَاتَه لَيْتًا.

وحَكى الأصمعي عن أُمِّ هِشامٍ السَّلُوليَّة أَنَّها قالت: الحمْدُ لله الذي لا يُفاتُ ولا يُلَاتُ، ولا تُصِمُّهُ الأَصْواتُ.

قوله: **(لاستِهْجان)** متعلّق بقوله: **(استُغنِيَ)**، أي: عُدِل إلى ﴿لَمْ تُؤْمِنُواْ﴾ مِن "لا تَقولوا: آمَنّا" لاستِهْجان...

قوله: **(على المعنى)** فإنّ معنى ﴿لَمْ تُؤْمِنُواْ﴾ هو "لا[1] تقولوا: آمنّا"، وعُدل عنه للفائدة المذكورة، ثـمّ إذا استدرك نظرَ إلى ما هو المقصود الأصلي.

قولـه: **(لا يُفـاتُ)**... إلـخ قولها: "لا يُفـاتُ"،[2] أي: لا يُظلَـم ولا يُسـبَق.

---

[1] ن: هؤلاء.

[2] ن: يغاث.

وقرئ باللُّغتَين: ﴿لَا يَلِتْكُم﴾، و: ﴿لا يألتْكُم﴾، ونحوُه في المَعنى ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء ٤٧/٢١].

ومَعنى طاعةِ الله ورَسُوله: أَن يتوبُوا عمَّا كانُوا عليه من النِّفاق، ويَعقِدُوا قلُوبَهم على الإيمان ويعْملُوا بمقْتضيَاتِه، فإن فعَلُوا ذلك تقَبَّل اللهُ توبتَهم، ووَهبَ لهم مَغفرتَهُ، وأَنعم عليهم بجَزيل ثوابهِ.

وعن ابن عبَّاس: أنَّ نفَرًا من بَنِي أَسدٍ قَدِمُوا المدِينةَ في سَنةٍ جَدْبَةٍ، فأظهَروا الشَّهادةَ، وأفسَدُوا طُرُق المَدينةِ بالعَذِراتِ، وأَغلَوا أسعَارَهَا، وهم يَغْدُونَ ويَرُوحُون على رسُول الله ويقُولُون: أَتتْكَ العَربُ بأنفُسها على ظُهُور رَوَاحِلها، وجِئْنَاكَ بالأَثْقالِ والذَّرَاريِّ، يُريدون الصَّدَقةَ ويَمنُّونَ عَليه، فنَزلَت.

و"لا يُلاتُ"، أي: لا يُنقَص. و"لا يُصِمُّه"،[١] يقال: أصْمَمْتُه، أي: وجدْتُه أصمَّ. يعني: يسمع الأصوات جَهْرَها وهَمْسَها.

قوله: (وقُرئ باللغتَين:[٢] ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ و﴿لَا يَـأْلِتْكُم﴾) ﴿لَا يَـأْلِتْكُم﴾ بهمزةٍ ساكنةٍ،[٣] ومُبدَلةٍ[٤] بألِفٍ،[٥] وبلا هَمزٍ[٦] وألِفٍ،[٧] والجميع[٨] مِن السبعة.[٩]

---

[١] ن: يضمّه.

[٢] ن: بالعتين.

[٣] أي: ﴿لَا يَـأْلِتْكُم﴾ بهمزة ساكنة بين الياء واللام، وبها قرأ يعقوب وأبو عمرو بخلف عنه. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٧٦/٢.

[٤] ن: متدة.

[٥] هو الوجه الثاني عن أبي عمرو. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٧٦/٢.

[٦] ن: همزة.

[٧] أي: ﴿لَا يَلِتْكُم﴾، وبها قرأ باقي العشرة. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٧٦/٢.

[٨] ن: والجمع

[٩] ن: السبغمة. | وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: الجواب على طريقين) على الوجه الأوّل: التراخي في الزمان، وعلى الثاني: التراخي في الرُّتبة، فإنّ المراد بعدم الارتياب المفهوم مِن المعطوف بـ"ثُمّ" على الوجه الأوّل إنّما هو العارضُ، لا المُعتبر في الإيمان، يعني: الذين آمنوا إيمانًا مُحقَّقًا مُنتفيًا عنه الرَّيب والشكّ، ثمّ لم يَعرِضْ لهم بعد أزمنة متطاوِلة ارتياب وشكّ. وعلى الوجه الثاني المراد بعدم الارتياب: إنّما هو المعتبر في الإيمان الداخلُ فيه، وإنّما أفرده بالذِّكر تعظيمًا له، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾... ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة ٩٨/٢]، وإنّما أتى بـ"ثمّ" دون "الواو" المفيدة لهذا للإشعار باستمراره، أي: باستمرار عدم الارتياب في الأزمنة المتراخِية... إلخ.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾

"ارتابَ": مُطَاوِعُ رَابَه: إذا أَوقَعه في الشَّكِّ مَع التُّهمَةِ، والمَعنى: أَنَّهم آمَنُوا ثمَّ لم يقَعْ في نُفُوسهِم شَكٌّ فيما آمَنوا به، ولا اتِّهامٌ لمَن صَدَّقُوهُ واعتَرفوا بأنَّ الحقَّ مَعه.

فإن قلتَ: ما مَعْنى ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا وهي لِلتَّراخِي، وعَدمُ الارْتِيابِ يجبُ أَن يكون مقارنًا للإيمانِ لأنّه وصْفٌ فيه، لِمَا بيَّنْتُ من إفادةِ الإيمان معنى الثِّقَةِ والطمأنينةِ التي حقِيقتُها التيقُّنُ وانتفاءُ الرِّيبِ؟

قلتُ: الجوابُ على طريقين:

أحدُهما: أنَّ مَن وُجِد منه الإيمانُ رُبَّما اعتَرضَه الشَّيْطان أو بَعضُ المُضِلِّينَ بَعْد ثَلَجِ الصَّدْرِ فشَكَّكهُ وقذَف في قلْبِه ما يَثْلِمُ يقِينه، أو نَظَرَ هُو نَظَرًا غيرَ سَديدٍ يَسقُطُ بِه على الشَّكِّ ثم يستمرُّ على ذلك راكبًا رَأسَهُ لا يَطْلُبُ له مَخرجًا، فوُصِف المُؤْمِنُونَ حَقًّا بالبُعد عن هذه المُوبِقَاتِ، ونظيرهُ قولُه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت ٣٠/٤١].

والثاني: أنَّ الإِيقانَ وزوَالَ الرَّيْبِ لمَّا كان مِلَاكَ الإيمانِ أُفرِدَ بالذِّكر بَعد تقدُّمِ الإيمان، تنبيهًا على مكانِه، وعُطِفَ على الإيمان بكلمةِ التَّراخِي إشعَارًا باستقرارِه في الأَزمِنة المُتَراخيةِ المتطَاوِلةِ غضًّا جَديدًا.

﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ يجُوز أَن يكون المُجَاهَدُ مَنويًّا، وهو العَدوُّ المحَارِبُ أو الشيطانُ أو الهوَى، ....

قوله:[١] **(ثَلَج الصدرِ) الثَّلَج**:[٢] طمأنينة القلب.

قوله: (وجاهَدَ) يجوز أنّ[٣] "جاهَدَ" متعَدٍّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ [التوبة ٧٣/٩]، و"جَهَد" لازم، يقال:[٤] جَهَدَ الرجل في كذا، أي: جَدَّ فيه.[٥]

---

١ ن: قال.
٢ ن: البلح.
٣ د: أنْ يكون. [وفيها كَشط على كلمة "يكون"].
٤ ن: يقل.
٥ الصحاح للجوهري، «جهد».

وأَن يكون جاهَدَ مُبالَغةً في جَهِدَ، ويجوز أن يُرادَ بالمُجاهَدة بالنّفس: الغَزْوُ، وأَنْ يتَناولَ العبَاداتِ بأَجمَعِهَا، وبالمُجاهَدَة بالمال: نحوُ ما صَنعَ عثمانُ رضي الله عنه في جَيْشِ العُسْرَة، وأَن يتَناوَلَ الزَّكواتِ وكُلَّ ما يتعَلَّق بالمالِ من أعمالِ البرِّ التي يتحَاملُ فيهَا الرَّجُل على مالهِ لوَجْهِ الله.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ الَّذين صَدقُوا في قولهم: آمَنَّا، ولم يَكْذِبُوا كما كذَبَ أعْرَابُ بني أسَدٍ.

أو: هُم الذين إيمانُهم إيمانُ صِدْقٍ وإيمانُ حَقٍّ وَجِدٍّ وثبَاتٍ.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

يُقال: ما عَلِمتُ بقُدُومِكَ، أي: ما شَعَرْتُ بهِ ولا أَحَطْتُ بهِ، ومِنه قولُه: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ وفيه تَجهيلٌ لهم.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

يُقال: مَنَّ عَلَيْه بيَدٍ أَسْدَاهَا إليه، كقولك: أَنْعَمَ عَليه وأَفْضَلَ عَليه.

و"المِنَّة": النِّعْمةُ الَّتي لا يَسْتَثِيبُ مُسْدِيهَا مَنْ يُزِلُّهَا إلَيْه، واشتِقاقُها من المَنِّ

قولـه: (وأنْ يكـون "جاهَدَ" مبالغةً في "جَهَدَ") فعلى هذا يكـون "جاهَدَ" لازِمًا، لكن ورد في صيغة "فاعَلَ" ليدلَّ على المبالغة، كما مرَّ مِرارًا.

قولـه: (ويجوز أن يُراد) فيكون مِن "جاهَدَ" المُتعدِّي. وقولـه: (وأن تتناولَ) فيكون مِن "جاهَدَ" بمعنى "جَهَدَ".

قوله: (في جيش العُسْرة) هو غزوة تبوك.

قولـه: (لا يَستثيبُ) أي: لا يَطلُبُ الثوابَ، أي: العِوضَ. وقولـه: (مُسْـديها) فاعـل "يَستَثيب"، و(مَن يُزِلّها) مفعوله. والسَّدَى: المعروف، يقال: أسْدَى فلان

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾

"ارتابَ": مُطَاوعُ رَابَه: إذا أَوقَعه في الشَّكِّ مَع التُّهمَةِ، والمَعنى: أَنَّهم آمَنُوا ثمَّ لم يقَعْ في نُفُوسهِم شَكٌّ فيما آمَنوا به، ولا اتِّهامٌ لمَن صَدَّقُوهُ واعترفوا بأنَّ الحقَّ مَعه.

فإن قلتَ: ما مَعْنى ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا وهي لِلتَّراخِي، وعَدمُ الارْتِيابِ يجبُ أَن يكون مقارنًا للإيمانِ لأنَّه وصْفٌ فيه، لِمَا بيَّنْتُ من إفادةِ الإيمان معنى الثِّقَةِ والطمأنينةِ التي حقِيقتُها التيقُّنُ وانتفاءُ الرِّيبِ؟

قلتُ: الجوابُ على طريقين:

أحدُهما: أنَّ مَن وُجِد منه الإيمانُ رُبَّما اعترَضه الشَّيْطان أو بَعضُ المُضِلِّينَ بَعْد ثَلَجِ الصَّدْرِ فشَكَّكهُ وقذَف في قلْبِه ما يَثْلِمُ يَقِينه، أو نَظَرَ هُو نَظَرًا غيرَ سَديدٍ يَسقُطُ بِهِ على الشَّكِّ ثم يستمرُّ على ذلك راكبًا رَأسَهُ لا يَطْلُبُ له مَخْرجًا، فوُصِف المُؤمِنُونَ حَقًّا بالبُعد عن هذه المُوبِقَاتِ، ونظيرهُ قولُه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت ٤١/٣٠].

والثاني: أنَّ الإيقانَ وزوَالَ الرَّيْبِ لمَّا كان مِلَاكَ الإيمانِ أُفرِدَ بالذِّكر بَعد تقدُّمِ الإيمان، تنبيهًا على مكانِه، وعُطِفَ على الإيمان بكلمةِ التَّراخِي إشعَارًا باستقرارِه في الأَزمِنة المُتَراخيةِ المتطَاوِلةِ غَضًّا جَديدًا.

﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ يجُوز أَن يكون المُجَاهَدُ مَنوِيًّا، وهو العَدوُّ المحَارِبُ أو الشيطانُ أو الهوَى، ....

قوله:[١] (ثَلَج الصدرِ) الثَّلَج:[٢] طمأنينة القلب.

قوله: (وجاهَدَ) يجوز أنّ[٣] "جاهَدَ" متعَدٍّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ [التوبة ٧٣/٩]، و"جَهَد" لازم، يقال:[٤] جَهَدَ الرجل في كذا، أي: جَدَّ فيه.[٥]

١ ن: قال.
٢ ن: البلح.
٣ د: أنْ يكون. [وفيها كَشط على كلمة "يكون"].
٤ ن: يقل.
٥ **الصحاح** للجوهري، «جهد».

وأَن يكون جاهَدَ مُبالَغةً في جَهِدَ، ويجوز أن يُرادَ بالمُجاهَدة بالنَّفس: الغَزْوُ، وأَنْ يتَناولَ العبَاداتِ بأَجمَعِهَا، وبالمُجاهَدَة بالمال: نحوُ ما صَنعَ عثمانُ رضي الله عنه في جَيْشِ العُسْرَة، وأَن يتَناوَلَ الزَّكَواتِ وكُلَّ ما يتعَلَّق بالمالِ من أعمالِ البرِّ التي يتحَاملُ فيهَا الرَّجُل على مالِه لوَجْهِ الله.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ الَّذين صَدقُوا في قولهم: آمَنَّا، ولم يَكْذِبُوا كما كـذَبَ أعْرَابُ بني أسَدٍ.

أو: هُم الذين إيمانُهم إيمانُ صِدْقٍ وإيمانُ حَقٍّ وَجِدٍّ وثبَاتٍ.

﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦﴾

يُقال: ما عَلِمتُ بقُدُومِكَ، أي: ما شَعَرْتُ بهِ ولا أَحَطْتُ بهِ، ومِنه قولُه: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾ وفيه تَجهيلٌ لهم.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾

يُقال: مَنَّ عَلَيْه بيَدٍ أَسْدَاهَا إليه، كقولك: أَنْعَمَ عَليه وأَفْضَلَ عَليه.

و"المِنَّة": النِّعْمةُ الَّتي لا يَسْتَثِيبُ مُسْدِيهَا مَنْ يُزلُّهَا إلَيْه، واشتِقاقُها من المَنِّ

قوله: **(وأنْ يكون "جاهَدَ" مبالغةً في "جَهَدَ")** فعلى هذا يكون "جاهَدَ" لازِمًا، لكن ورد في صيغة "فاعَلَ" ليدلَّ على المبالغة، كما مرّ مِرارًا.

قوله: **(ويجوز أن يُراد)** فيكون مِن "جاهَدَ" المُتعدِّي. وقوله: **(وأنْ تتناولَ)** فيكون مِن "جاهَدَ" بمعنى "جَهَدَ".

قوله: **(في جيش العُسْرة)** هو غزوة تبوك.

قوله: **(لا يَستثيبُ)** أي: لا يَطلُبُ الثوابَ، أي: العِوضَ. وقوله: **(مُسْديها)** فاعل "يَستَثيب"، و**(مَن يُزلّها)** مفعوله. والسَّدَى: المعروف، يقال: أَسْدَى فلان

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾

"ارتابَ": مُطَاوِعُ رَابَه: إذا أَوقَعه في الشَّكِّ مَع التُّهمَةِ، والمَعنى: أَنَّهم آمَنُوا ثمَّ لم يقَعْ في نُفُوسِهِم شَكٌّ فيما آمَنوا به، ولا اتِّهامٌ لمَن صَدَّقُوهُ واعتَرفوا بأَنَّ الحقَّ مَعه.

فإن قلتَ: ما مَعْنى ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا وهي لِلتَّراخِي، وعَدمُ الارْتِيابِ يجبُ أَن يكون مقارنًا للإيمانِ لأنه وصْفٌ فيه، لِمَا بيَّنْتُ من إفادةِ الإيمان معنى الثِّقَةِ والطمأنينةِ التي حقِيقَتُها التيقُّنُ وانتفاءُ الرِّيبِ؟

قلتُ: الجوابُ على طريقين:

أحدُهما: أنَّ مَن وُجِد منه الإيمانُ رُبَّما اعتَرضَه الشَّيطان أو بَعضُ المُضِلِّينَ بَعْد ثَلَجِ الصَّدْرِ فشَكَّكَهُ وقذَف في قلْبِه ما يَثْلِمُ يَقِينَه، أو نَظَرَ هُو نَظَرًا غيرَ سَديدٍ يَسقُطُ بِهِ على الشَّكِّ ثم يستمرُّ على ذلك راكبًا رَأسَهُ لا يَطلُبُ له مَخرجًا، فوُصِف المُؤمِنُونَ حَقًّا بالبُعد عن هذه المُوبِقَاتِ، ونظيرهُ قولُه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت ٤١/٣٠].

والثاني: أنَّ الإيقانَ وزَوَالَ الرَّيْبِ لمَّا كان مِلَاكَ الإيمانِ أُفرِدَ بالذِّكر بَعد تقدُّمِ الإيمان، تنبيهًا على مكانِه، وعُطِفَ على الإيمان بكلمةِ التَّراخِي إشعَارًا باستقرارِه في الأَزمِنة المُتَراخيةِ المتطَاوِلةِ غَضًّا جَديدًا.

﴿وَجَٰهَدُوا۟﴾ يجُوز أَن يكُون المُجَاهَدُ مَنوِيًّا، وهو العَدوُّ المحَارِبُ أو الشيطانُ أو الهوَى، ....

قوله:[1] (ثَلَج الصدرِ) الثَّلَج:[2] طمأنينة القلب.

قوله: (وجاهَدَ) يجوز أنَّ[3] "جاهَدَ" متعَدٍّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ [التوبة ٩/٧٣]، و"جَهَد" لازم، يقال:[4] جَهَدَ الرجل في كذا، أي: جَدَّ فيه.[5]

---

[1] ن: قال.
[2] ن: البلح.
[3] د: أنْ يكون. [وفيها كَشط على كلمة "يكون"].
[4] ن: يقل.
[5] الصحاح للجوهري، «جهد».

وأَن يكون جاهَدَ مُبالَغةً في جَهِدَ، ويجوز أن يُرادَ بالمُجاهَدة بالنَّفس: الغَزْوُ، وأَنْ يتَناولَ العبَاداتِ بأَجمَعِهَا، وبالمُجاهَدَة بالمال: نحوُ ما صَنعَ عثمانُ رضي الله عنه في جَيْشِ العُسْرَة، وأَن يتَناوَلَ الزَّكواتِ وكُلَّ ما يتعَلَّق بالمالِ من أعمالِ البرِّ التي يتحَاملُ فيهَا الرَّجُل على مالهِ لوَجْهِ الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الَّذين صَدقُوا في قولهم: آمَنَّا، ولم يَكْذِبُوا كما كذَبَ أعْرَابُ بني أسَدٍ.

أو: هُم الذين إيمانُهم إيمانُ صِدْقٍ وإيمانُ حَقٍّ وَجِدٍّ وثبَاتٍ.

﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦﴾

يُقال: ما عَلِمتُ بقُدُومِكَ، أي: ما شَعَرْتُ بهِ ولا أَحَطْتُ بهِ، ومِنه قولُه: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾ وفيه تَجهيلٌ لهم.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾

يُقال: مَنَّ عَلَيْه بيَدٍ أَسْدَاهَا إليه، كقولك: أَنْعَمَ عَليه وأَفْضَلَ عَليه.

و"المِنَّة": النِّعْمةُ الَّتي لا يَسْتَثِيبُ مُسْدِيهَا مَنْ يُزِلُّهَا إِلَيْه، واشتِقاقُها من المَنِّ

قولـه: (**وأَنْ يكون "جاهَدَ" مبالغةً في "جَهَدَ"**) فعلى هذا يكون "جاهَدَ" لازِمًا، لكن ورد في صيغة "فاعَلَ" ليدلّ على المبالغة، كما مرّ مِرارًا.

قوله: (**ويجوز أن يُراد**) فيكون مِن "جاهَدَ" المُتعدِّي. وقوله: (**وأن تتناولَ**) فيكون مِن "جاهَدَ" بمعنى "جَهَدَ".

قوله: (**في جيش العُسْرة**) هو غزوة تبوك.

قوله: (**لا يَستثيبُ**) أي: لا يَطلُبُ الثوابَ، أي: العِوضَ. وقوله: (**مُسْديها**) فاعل "يَستَثيب"، و(**مَن يُزِلّها**) مفعوله. والسَّدَى: المعروف، يقال: **أَسْدَى فلان**

الَّذي هو القَطْع؛ لأنّه إنّما يُسْدِيهَا إلَيْه ليَقْطَعَ بها حاجَتَه لا غيرُ، من غيرِ أن يَعْمِدَ لطَلَبِ مَثُوبة.

ثم يُقالُ: منَّ عليه صُنعَه، إذا اعتدَّهُ عَليه مِنَّةً وإنْعامًا.

وسيَاقُ هذه الآية فيه لُطْفٌ ورَشَاقةٌ، وذلك أنَّ الكائِنَ من الأَعَارِيب قد سمَّاه اللهُ إسْلامًا، ونَفى أن يكُون كما زَعمُوا إيمانًا، فلمَّا مَنُّوا على رسُولِ الله ما كانَ مِنْهُم قال الله سبحانه لرسُوله: إنَّ هؤلاء يَعتدُّونَ عليك بما لَيْس جَديرًا بالاعتِدادِ به مِن حَدَثهم الَّذي حَقُّ تسْمِيتِه أَن يُقالَ له: إسْلامٌ، فقُل لهُم: لا تَعتَدُّوا عَليَّ إسْلامَكُم، أي: حَدَثَكُم المُسمَّى إسْلامًا عِندي لا إيمانًا.

ثم قال: بل اللهُ يَعتَدُّ عَلَيْكم أَن أَمدَّكُم بتَوفيقِه حيثُ هدَاكم للإيمان على ما زعَمتُم وادَّعَيتُم أنَّكم أُرشِدْتُم إليه ووُفِّقتُم لَه، إنْ صَحَّ زَعمُكُم وصَدقَتْ دعواكم، إلَّا أنَّكُم تَزعُمونَ وتدَّعُون ما اللهُ عَليمٌ بخِلافه.

وفي إضافةِ الإسْلام إليهم وإيراد الإيمانِ غيرَ مُضافٍ ما لا يَخفى على المتأمِّل.

إلى فلان معروفًا.[١] وأَزْلَلْتُ إليه نعمةً إذا أسدَيتَها،[٢] وفي الحديث: «مَن أُزِلَّتْ إليه نعمة فليَشكرها».[٣]

قوله: **(ثمّ يُقال)** عطفٌ على قوله: **(يُقال)**، والحاصل: أنّ معنى "مَنَّ": أنعَمَ، ثمّ يُطلَق ويُراد به: عدُّ الفعلَ إنعامًا، أي:[٤] اعتبار[٥] الإنعام والاعتداد به.

قوله: **(مَثوبةٍ)** أي: عِوَضٍ يطلُبها منه.

قوله: **(ورَشاقةٌ)** أي: حُسْن.

قوله: **(أنّ الكائن)**[٦] أي: الذي حصل وصدَر منهم.

[٣٧١ظ] / قوله: **(مِن حَدَثِهم)** أي: الأمرِ الحادث.

---

١ مجمل اللغة لابن فارس، «سدى».

٢ ن: سديتها.

٣ الصحاح للجوهري، «زلل». والحديث في مسند الشهاب للقضاعي، ٢٣٨/١ (٣٧٦).

٤ ن: قوله.

٥ ف + أي: اعتبار.

٦ ن: إذا لكان.

وجوابُ الشَّرط مَحذُوفٌ لدَلَالة ما قَبْله عَليه، تَقديرُه: إنْ كُنتم صادِقينَ في ادِّعائِكُم الإيمانَ فللّٰه المِنَّةُ عَليكم.

وقرئ: "إن هَداكم" بكَسْر الهمزة.

وفي قراءة ابن مسعُود: "إذْ هَداكم".

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

وقرئ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتَّاء والياء، وهذا بيَانٌ لِكَونهم غيرَ صادِقين في دعْوَاهُم، يَعني: أنَّه عزَّ وجلَّ يَعْلَم كُلَّ مُستَترٍ في العَالَمِ ويُبْصِرُ كُلَّ عَملٍ تعْملُونه في سِرِّكُم وعَلانِيَتِكم، لا يخفى عَلَيْه مِنْهُ شيءٌ، فكيف يَخفَى عليه ما في ضمائركم ولا يظهَرُ على صِدْقِكُم وكذْبِكُم، وذلك أنَّ حالَه مَع كلِّ مَعْلومٍ واحدةٌ لا تَختلِفُ.

عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورةَ الحُجُرات أُعطِيَ من الأَجْرِ بعدَدِ مَن أَطاع اللهَ وعَصَاهُ».

قوله: (**وقُرئ: "إِنْ هَدَاكُمْ"**) شاذّ.[١]

قوله: (**وهذا بيان**) أي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾.[٢]

قوله: (**ولا يَظهر**) أي: يطَّلِع.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[٣]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عمر رضي الله عنهما. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٤٥.

٢ ن - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾.

٣ ف - السورة بحمد الله تعالى.

الَّذي هو القَطْع؛ لأنَّه إنَّما يُسْدِيهَا إلَيْه ليَقْطَعَ بها حاجَتَه لا غيرُ، من غيرِ أن يَعْمِدَ لطَلَبِ مَثُوبة.

ثم يُقالُ: منَّ عليه صُنعَه، إذا اعتدَّهُ عَليه مِنَّةً وإنْعامًا.

وسيَاقُ هذه الآية فيه لُطْفٌ ورَشَاقةٌ، وذلك أنَّ الكائِنَ من الأَعَارِيب قد سمَّاه اللهُ إسْلامًا، ونَفى أن يكُون كما زَعمُوا إيمانًا، فلمَّا مَنُّوا على رسُولِ الله ما كانَ مِنْهُم قال الله سبحانه لرسُوله: إنَّ هؤلاء يَعتدُّونَ عليك بما لَيْس جَديرًا بالاعتِدادِ به مِن حَدَثهم الَّذي حَقُّ تسْمِيتِه أن يُقالَ له: إسْلامٌ، فقُل لهُم: لا تَعتَدُّوا عَليَّ إسْلامَكُم، أي: حَدَثُكُم المُسمَّى إسْلامًا عِندي لا إيمانًا.

ثم قال: بل اللهُ يَعتَدُّ عَليْكم أَن أَمدَّكُم بتَوفيقِه حيثُ هدَاكم للإيمان على ما زعَمْتُم وادَّعَيْتُم أنَّكم أُرشِدْتُم إليه ووُفِّقتُم لَه، إنْ صَحَّ زَعمُكُم وصَدقَتْ دعواكم، إلَّا أنَّكُم تَزعُمونَ وتدَّعُون ما اللهُ عَليمٌ بخِلافه.

وفي إِضافةِ الإِسْلام إليهم وإيراد الإيمانِ غيرَ مُضافٍ ما لا يَخفى على المتأمِّل.

إلى فلان معروفًا.[١] وأَزْلَلْتُ إليه نعمةً إذا أسدَيتَها،[٢] وفي الحديث: «مَن أُزِلَّتْ إليه نعمة فليَشكرها».[٣]

قوله: (ثمّ يُقال) عطفٌ على قوله: (يُقال)، والحاصل: أنّ معنى "مَنَّ": أنعَمَ، ثمّ يُطلَق ويُراد به: عدَّ الفعلَ إنعامًا، أي:[٤] اعتبار[٥] الإنعام والاعتداد به.

قوله: (مَثوبةٍ) أي: عِوَضٍ يطلُبها منه.

قوله: (ورَشاقةٌ) أي: حُسْن.

قوله: (أنّ الكائن)[٦] أي: الذي حصل وصدَر منهم.

[٣٧١ظ] / قوله: (مِن حَدَثِهم) أي: الأمرِ الحادث.

---

١ مجمل اللغة لابن فارس، «سدى».

٢ ن: سديتها.

٣ الصحاح للجوهري، «زلل». والحديث في مسند الشهاب للقضاعي، ١/٢٣٨ (٣٧٦).

٤ ن: قوله.

٥ ف + أي: اعتبار.

٦ ن: إذا لكان.

وجوابُ الشرطِ محذوفٌ لدلالةِ ما قبلَه عليه، تقديرُه: إن كنتم صادقين في ادِّعائِكُم الإيمانَ فللَّه المنَّةُ عليكم.

وقرئ: "إن هداكم" بكسرِ الهمزة.

وفي قراءة ابن مسعود: "إذ هداكم".

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

وقرئ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء، وهذا بيانٌ لكونهم غير صادقين في دعْوَاهُم، يَعني: أنَّه عزَّ وجلَّ يعلم كلَّ مستترٍ في العالم ويُبصر كلَّ عملٍ تعْمَلُونه في سِرِّكُم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيءٌ، فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظْهَرُ على صدقكم وكذبكم، وذلك أنَّ حالَه مع كلِّ معلومٍ واحدةٌ لا تَختلِفُ.

عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: مَن قرأ سورة الحُجُرات أُعطي من الأَجْرِ بعدَدِ مَن أَطاع الله وعصاه.

قوله: (وقُرئ: "إنْ هَدَاكُم") شاذ.

قوله: (وهذا بيان) أي: قوله تعالى: ﴿إن الله يعلم﴾ [illegible]

قوله: (ولا يظهر) أي: يطَّلع.

تمت السورة بحمد الله تعالى.

سورة قٓ

مكيّةٌ، وهي خمسٌ وأربعونَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣﴾

الكَلامُ في ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۞ بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ نحوُهُ في ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۞ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [ص ٣٨/١] سَواءً بِسَواءٍ؛ ....

سورة قٓ

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: (الكلامُ)... إلخ "الكلامُ" مبتدأ، و"نحوَه" خبره، وهو بفتح الواو أحسن،[٢] كأنّه قال: يَنْحو نحوَه، أي: يَقْصِد قَصْدَه، والنحو: القَصد، يقال: نَحوتُ نَحوَك، أي: قصدتُ قصدَك، ونَحَوتُ بَصَري إليه، أي: صرفتُ، وأنحَيتُ[٣] عنه بصري، أي: عَدَلتُ.[٤]

وقوله: (في ﴿ق﴾) متعلّق بقوله: "الكلامُ"؛ لأنّه في معنى التكليم. وأمّا قوله: (في ﴿ص﴾) فمتعلّق بمحذوف؛ لأنّه حال مِن "الهاء" في "نحوَه"، كأنّه قال: يُشْبِه الكلامَ كائنًا في ﴿ص﴾. وقوله: (سواءً) أيضًا حال مِن هذا الضمير، وهو بمعنى مُستويًا، كأنّه قال: مُستويًا مقابَلًا بمُستَوٍ. وقوله: (سواءً[٥] بسواءٍ) ففيه وجهان:

---

١ ف ن - وبه نستعين.
٢ ن: وأحسن.
٣ ن: وألحيت.
٤ الصحاح للجوهري، «نحا».
٥ ن: سوا.

لالتِقَائِهِمَا في أسلُوبٍ وَاحِدٍ.

و"المَجِيدُ": ذو المجدِ والشَّرَفِ على غيرِه من الكُتُبِ، ومَن أحَاطَ عِلمًا بمَعانيهِ وعمِلَ بما فيهِ مَجُدَ عندَ اللهِ وعندَ النَّاسِ، ....

أحدهما: أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف مِن حروف المعجم على سبيل التحدّي والتنبيهِ على الإعجاز، كما مرّ[١] في أوّل الكتاب، ثمّ أتْبَعَه القَسَم محذوفَ الجوابِ لدلالة التحدّي عليه، كأنّه قال: والقرآنِ المجيدِ إنّه لَكلامٌ مُعْجِز.

والثاني: أن يكون ﴿ق﴾ خبرَ مبتدأ محذوف على أنّ ﴿ق﴾ اسم للسورة، كأنّه قال: هذه ﴿ق﴾، يعني: هذه السورة التي أعجزت العرب ببلاغته وفصاحته والقرآنِ المجيدِ، كما تقول: هذا حاتِمٌ واللهِ، تريد هذا هو المشهورَ بالسخاء واللهِ. ثمّ قال: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾... إلخ كما سيأتي بيانه.

قوله: (لالتقائهما) "اللام" في "لالتقائهما" متعلّق بقوله: "نحوَه"؛ لأنّه في معنى: يُشبِهه.

قوله: (على غيره) الأَولى أن يقال: إنّ قوله: "على غيره"[٢] متعلّق بالمَجد أو الشرَف، كأنّه قال: ذو فَضل على غيره، وإنّ قوله: (ومَن أحاط)... إلخ جملة معطوفة على جملة قوله: (و﴿ٱلۡمَجِيدِ﴾[٣] ذو المجد)، وكذا قوله: (وهو بسبب) معطوف على تلك الجملة أيضًا. وأمّا ما[٤] كتبنا[٥] مِن أنّه عطفٌ على قوله: "على غيره" مِن حيث المعنى فضعيف؛ لأنّ معنى الوجه الأوّل: أنّه مَجيد في نفسه، فهو صفة بحال الموصوف، ومعنى الوجهين الأخيرين أنّه صفة بحالِ متعلَّق الموصوف.[٦]

قوله: (ومَن أحاط) عطفٌ على قوله: "على غيره" مِن حيث المعنى، فإنّه متعلِّق بمحذوف جوابٌ لسؤال مقدَّر، فإنّه لمَّا قيل: "ذو المجد والشرف" ورَد سؤال،

---

[١] ن – مرّ.
[٢] ن – الأَولى أن يقالَ: إنّ قوله: "على غيره".
[٣] ن + أي.
[٤] ن – ما.
[٥] ن: لتبنا.
[٦] ن – ومعنى الوجهين الأخيرين أنّه صفة بحال متعلّق الموصوف.

وهو بسببٍ مِن اللهِ المجيدِ، فجَازَ اتِّصافُهُ بصفَتِهِ.

وهو أنّه على مَن شَرُفَ؟ فأُجيب بقوله: "على غيره"، أي: شرُفَ على سائر الكتب باعتبار العلوم والإعجاز فيه، وهذا شرَفٌ باعتبار ذاته، ثمّ عطفَ عليه شَرَفَه باعتبار عالِمِه، وباعتبار[١] مُنْزِله، فهي ثلاثة أنواع مِن الشرَف.

قوله: **(وهو بسبب)** أي: **القرآن**، و"الباء" في "بسبب" للملابسة،[٢] وكلّ ما يَربِط شيئًا بشيء أو يجعله متعلِّقًا به منتَسِبًا إليه يُسمَّى سببًا.[٣] و"مِن" في **(مِن الله)** للاتّصال،[٤] كما في قول الشاعر:

لَسْتُ / مِن قَيسٍ ولا القَيسُ مِنِي[٥] [٣٧٢و]

يعني: أنّ **القرآن** مُلابِس بشيء يجعله مُنتَسِبًا إلى الله تعالى متعلِّقًا به، وهو كونه كلامًا[٦] مُنْزَلًا مِن عنده تعالى، فجاز اتّصاف **القرآن** بصفة **الله** تعالى،[٧] وهو المَجيد. ويجوز أن يكون هذا مِثلَ قولهم: يجوز أن يُوصَف الشيء بحال ما هو مِن سببِه، والمراد بالسبب الضمير، و"مِن" للاتّصال،[٨] فيكون إشارة إلى أنّ أصلَ الكلام: **والقرآنِ** المجيدِ مُنْزِلُه، فوُصِف **القرآن** بالمَجيد،[٩] وهو صفة مُنْزِلِه، ثمّ حُذِف المضاف، وأقيمَ المضاف إليه مُقامَه.

قوله: **(فجاز[١٠] اتّصافه)**[١١] مُرتّب على الوجهين، هما: قوله: "ومَن أحاط"، وقوله: "وهو بسبب"، فالضمير مِن "بصفته"[١٢] يعود إلى "المُحيط" وإلى "الله المجيد"، لكنّ الأدبَ أن[١٣] يقال: هو عائد إلى الله تعالى[١٤] المَجيد،

---

١ ن - باعتبار.

٢ ن: الملابسة.

٣ ف: شيئًا.

٤ ن: الاتصال.

٥ صدره:

أيّها السائل عَنهم وعَنّي

قال العَيني: «قائله مجهول لا يُعرف». **المقاصد النحويّة** للعَيني، ١/٣٢٤.

٦ ف: كاملًا.

٧ ن - فجاز اتّصاف **القرآن** بصفة الله تعالى.

٨ ن: الاتّصال.

٩ ن: المجيد.

١٠ ن: مجازًا.

١١ ن: تصافه.

١٢ ن: بسقته.

١٣ ن: الأدبان.

١٤ ف ن - تعالى.

لالتِقَائِهِمَا في أسلُوبٍ وَاحِدٍ.

و"المَجِيدُ": ذو المجدِ والشَّرَفِ على غيرِه من الكُتُبِ، ومَن أحَاطَ عِلمًا بمَعانيهِ وعمِلَ بما فيهِ مَجُدَ عندَ اللهِ وعندَ النَّاسِ، ....

أحدهما: أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف مِن حروف المعجم على سبيل التحدّي والتنبيهِ على الإعجاز، كما مرّ[1] في أوّل الكتاب، ثمّ أتبَعَه القَسَم محذوفَ الجوابِ لدلالة التحدّي عليه، كأنّه قال: **والقرآنِ** المجيدِ إنّه لَكلامٌ مُعْجِز.

والثاني: أن يكون ﴿ق﴾ خبرَ مبتدأ محذوف على أنّ ﴿ق﴾ اسم للسورة، كأنّه قال: هذه ﴿ق﴾، يعني: هذه السورة التي أعجزت العرب ببلاغته وفصاحته **والقرآنِ** المجيدِ، كما تقول: هذا حاتِمٌ واللهِ، تريد هذا هو المشهورَ بالسخاء واللهِ. ثمّ قال: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ﴾... إلخ كما سيأتي بيانه.

قوله: **(لالتقائهما)** "اللام" في "لالتقائهما" متعلّق بقوله: "نحوَه"؛ لأنّه في معنى: يُشبِهه.

قوله: **(على غيره)** الأولى أن يقال: إنّ قوله: "على غيره"[2] متعلّق بالمَجد أو الشرَف، كأنّه قال: ذو فَضل على غيره، وإنّ قوله: **(ومَن أحاط)**... إلخ جملة معطوفة على جملة قوله: (و﴿ٱلْمَجِيدِ﴾[3] **ذو المجد**)، وكذا قوله: **(وهو بسبب)** معطوف على تلك الجملة أيضًا. وأمّا ما[4] كتبنا[5] مِن أنّه عطفٌ على قوله: "على غيره" مِن حيث المعنى فضعيف؛ لأنّ معنى الوجه الأوّل: أنّه مَجيد في نفسه، فهو صفة بحال الموصوف، ومعنى الوجهين الأخيرين أنّه صفة بحالِ متعلَّق الموصوف.[6]

قوله: **(ومَن أحاط)** عطفٌ على قوله: "على غيره" مِن حيث المعنى، فإنّه متعلِّق بمحذوف جوابٌ لسؤال مقدَّر، فإنّه لمَّا قيل: "ذو المجد والشرف" ورَد سؤال،

---

١ ن – مرّ.
٢ ن – الأولى أن يقالَ: إنّ قوله: "على غيره".
٣ ن + أي.
٤ ن – ما.
٥ ن: لتبنا.
٦ ن – ومعنى الوجهين الأخيرين أنّه صفة بحال متعلّق الموصوف.

وهو بسببٍ مِن اللهِ المجيدِ، فجاز اتّصافُه بصفته،

وهو أنّه على مَن شَرُفَ؟ فأُجيب بقوله: [illegible]
الكتب باعتبار العلوم والإعجاز فيه، وهذا [illegible]
شَرَفَه باعتبار عالِمِه، وباعتبار [illegible]

قوله: (وهو بسبب) أي: القرآن [illegible]
يَربط شيئًا بشيء أو يجعله متعلّقًا به [illegible]
للاتّصال،[4] كما في قول الشاعر:

[illegible]

يعني: أنّ القرآن [illegible]
كونه كلامًا منزّلًا من عند [illegible]
وهو المجيد. ويجوز أن يكون [illegible]
[illegible] والمراد بالسبب [illegible]
[illegible] الكلام والقرآن المجيد [illegible]
[illegible] ثمّ حذف المضاف [illegible]

قوله: (فجاز اتّصافه) [illegible]
[illegible] وقوله: "وهو بسبب" [illegible]
[illegible] "الله المجيد"، لكنّ الأمر [illegible]

[illegible]

قولُه: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ إنكارٌ لتعجُّبِهم ممّا ليسَ بعَجبٍ، وهو أنْ يُنذِرَهم بالمَخُوفِ رجلٌ منهم قد عَرفُوا وَساطَتَهُ فيهم وعدالَتَهُ وأمانَتَهُ، ومَن كانَ على صِفتِه لم يكنْ إلّا ناصِحًا لقَومِهِ مُترَفرِفًا عليهم خائِفًا أنْ يَنالَهم سُوءٌ ويحِلّ بهم مكروهٌ، وإذا عَلِمَ أنّ مَخوفًا أظلّهم لَزِمَهُ أنْ يُنذِرَهم ويحذِّرَهُم،

وحُذف مِثلُه مِن الأوّل لدلالة الآخر عليه، كقول الشاعر:

فـإنّـي وقَـيّـارٌ بـهـا لَـغَـريـبُ[1]

قوله تعالى: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ الضمير في ﴿عَجِبُوٓاْ﴾ للكافرين، بيّنَه بقوله: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾، فإنّه وإنْ كان متأخِّرًا إلّا أنّه يجري ما يُفسِّره ما بعده. ثمّ فيه وضع المُضمرِ[2] موضعَ الظاهر، والظاهرِ موضعَ المضمر.[3]

قوله: (**إنكارٌ لتعجُّبهم**) دلّ على الإنكار قولُه: ﴿بَلۡ﴾؛ لأنّها لِترك الأوّل والأخْذِ فيما هو أهمُّ، فجعله أهمَّ بالنظر إليه، فكأنّه قيل: انظُر إلى كلامِهم ما يقولون. فقوله: ﴿عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ﴾ دلّ على أنّهم أنكروا البعث؛ لأنّه المنذَرُ به. وقوله: ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ دلّ على إنكارهم كون المُنذِر منهم.

قوله: (**قد عرفوا**)...[4] إلخ بيان لفائدة قوله تعالى: ﴿مِّنۡهُمۡ﴾. وقوله: (**وَساطتَه**) أي: شرَفَه. وقوله: (**ومَن كان على صفته**) "مَن كان" شرطٌ، جزاؤُه (**لم يكن**)، وهذا إشارة إلى أنّه[5] ليس تعجَب.[6] وقوله: (**مُترفرِفًا**) أي: مُشفِقًا. رَفرَفَ[7] الرجل على القوم؛ تحنَّنَ عليهم.[8]

وقوله: (**وإذا عَلِمَ**)... إلخ عطفٌ على الجزاء. والتنكير في قوله: (**مَخوفًا**)[9]

---

١ صدره:

ومَـن يَـكُ أمسَى بالمدينةِ رَحْلُه

وهو لضابِئ بن الحارث البُرجُمي. و"قيّار" اسم جمَله. انظر: **الصحاح** للجوهري، «قير»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «قير».

٢ ن: الضمير.

٣ ن: الضمير.

٤ ن: عرَفوا.

٥ ن - أنّه.

٦ ف: بعجب؛ ن + وقوله: (مَن كان) شرطٌ جزاؤه "لم يكن"، وهو إشارة إلى أنّه تعجّب.

٧ ن: ورفرف.

٨ **جمهرة اللغة** لابن دريد، «رفرف».

٩ ن: محفوفًا.

فكيفَ بما هو غايةُ المخاوِفِ، ونهايةُ المحَاذيرِ؟

وإنكارٌ لِتعجُّبِهم ممَّا أنذَرَهُم به مِن البَعثِ مع عِلمِهم بقُدرةِ الله على خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ ومَا بينَهُما وعلى اختراعِ كُلِّ شيءٍ وإبداعِهِ، وإقرارِهم بالنَّشأةِ الأُولى، ومع شهَادةِ العقلِ بأنَّهُ لا بدَّ مِن الجزاءِ، ثمَّ عُوِّلَ على أحدِ الإنكارَينِ بقولِه: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا﴾ دِلالةً على أنَّ تعجُّبَهم مِن البَعثِ أدخلُ في الاستبعادِ، وأحقُّ بالإنكارِ.

للدلالة على التحقير، فلذلك قال: (فكيف[١] بما هو غاية المَخاوِف؟). وقوله: "فكيف" أي: فكيف ظنُّك بما هو غاية المخاوِف، وهو عذاب الآخرة؟ فإنّه إذا عَلِمَ ذلك كان[٢] لزوم إنذارهم أشدّ.

قوله: (مع علمهم) إلى قوله: (مِن الجزاء) بيان أنّه ليس تعجّب،[٣] فهو ههنا كقوله في الأوّل: "ومَن كان على صفته"... إلخ.

قوله: (ومع شهادة) إشارة إلى الداعية بعد الإشارة إلى القدرة بقوله: (مع عِلمِهم).

قوله: (ثمّ عوِّل) متعلّق بقوله: (إنكار... وإنكار)، يريد أنّ قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ إنكار لتعجّب الكفّار مِن مجيء منذِر منهم ومِن البعث، فكأنّه قال: أشار تعالى إلى الإنكارَين بقوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾، ثمّ عوّل تعالى على أحد الإنكارَين، أي: اعتدّ به وصرّح بذكره؛ لأنّ التعجّب مِن البعث أبعَدُ مِن التعجّب مِن مَجيء مُنذِر منهم.[٤]

قوله: (أدْخَلُ) يعني: تعجُّبُهم في غاية الاستبعاد، يعني: التعجّب في مثل هذا المحلّ مُستبعَد[٥] / جدًّا، لأنّه لا ينبغي لعاقل أن يتعجّب مِن هذا فتعجّبهم مُستَبْعَد[٦] [٣٧٢ظ] جدًّا. والأصوب أن يقال: أدخَلُ في التعجّب مِن التعجّب مِن مجيء مُنذِر منهم.

---

١ ن: كيف.
٢ ن - كان.
٣ ف ن: بعجب.
٤ ن: منذرهم.
٥ ن: مستبعدًا.
٦ ن: مستبعدًا.

قولُه: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ إنكارٌ لتعجُّبِهم ممَّا ليسَ بعَجبٍ، وهو أنْ يُنذِرَهم بالمَخُوفِ رجلٌ منهم قد عَرفُوا وَساطَتَهُ فيهم وعدَالتَهُ وأمانَتَهُ، ومَن كانَ على صِفتِه لم يكنْ إلّا ناصِحًا لقومِهِ مُترَفرِفًا عليهم خائِفًا أنْ يَنالَهم سُوءٌ ويحِلَّ بهم مكروهٌ، وإذا عَلِمَ أنَّ مَخوفًا أظلَّهم لَزِمَهُ أنْ يُنذِرَهم ويحذِّرَهم،

وحُذف مِثلُه مِن الأوّل لدلالة الآخر عليه، كقول الشاعر:

فإنّي وقَيّارٌ بها لَغريبُ[١]

قوله تعالى: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ الضمير في ﴿عَجِبُوٓاْ﴾ للكافرين، بيّنَه بقوله: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾، فإنّه وإنْ كان متأخِرًا إلّا أنّه يجري ما يُفسّره ما بعده. ثمّ فيه وضع المُضمرِ[٢] موضعَ الظاهر، والظاهرِ موضعَ المضمر.[٣]

قوله: (إنكارٌ لتعجُّبهم) دلّ على الإنكار قولُه: ﴿بَلۡ﴾؛ لأنّها لِترك الأوّل والأخذِ فيما هو أهمُّ، فجعله أهمَّ بالنظر إليه، فكأنّه قيل: انظُر إلى كلامِهم ما يقولون. فقوله: ﴿عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ﴾ دلّ على أنّهم أنكروا البعث؛ لأنّه المنذَرُ به. وقوله: ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ دلّ على إنكارهم كون المُنذِر منهم.

قوله: (قد عرفوا)...[٤] إلخ بيان لفائدة قوله تعالى: ﴿مِّنۡهُمۡ﴾. وقوله: (وَساطتَه) أي: شرَفَه. وقوله: (ومَن كان على صفته) "مَن كان" شرطٌ، جزاؤُه (لم يكن)، وهذا إشارة إلى أنّه[٥] ليس تعجّب.[٦] وقوله: (مُترفرِفًا) أي: مُشفِقًا. رَفرَفَ[٧] الرجل على القوم؛ تحنَّنَ عليهم.[٨]

وقوله: (وإذا عَلِمَ)... إلخ عطفٌ على الجزاء. والتنكير في قوله: (مَخوفًا)[٩]

---

١ صدره:

ومَن يَكُ أمسَى بالمدينةِ رَحْلُه

وهو لضابِئ بن الحارث البُرجُمي. و"قَيّار" اسم جمَله. انظر: **الصحاح** للجوهري، «قير»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «قير».

٢ ن: الضمير.

٣ ن: الضمير.

٤ ن: عرّفوا.

٥ ن - أنّه.

٦ ف: بعجب؛ ن + وقوله: (مَن كان) شرطٌ جزاؤه "لم يكن"، وهو إشارة إلى أنّه تعجّب.

٧ ن: ورفرف.

٨ **جمهرة اللغة** لابن دريد، «رفرف».

٩ ن: محفوفًا.

فكيفَ بما هو غايةُ المخاوِف، ونهايةُ المحاذير؟

وإنكارٌ لِتعجُّبِهم ممَّا أنذرَهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ وما بينهما وعلى اختراع كلِّ شيءٍ وإبداعه، وإقرارهم بالنَّشأةِ الأُولى، ومع شهَادةِ العقل بأنَّه لا بدَّ من الجزاء، ثمَّ عوَّل على أحد الإنكارَين بقولِه: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتۡنَا﴾ دلالةً على أنَّ تعجُّبَهم مِن البَعثِ أدخلُ في الاستبعاد، وأحقُّ بالإنكار.

للدلالة على التحقير، فلذلك قال: (فكيفَ بما هو غايةُ المخاوف؟) [illegible]

"فكيف" أي: فكيف ظنُّك بما هو غاية المخاوف [illegible]

علمَ ذلك كان" لزوم إنذارهم أشدّ.

قوله: (مع علمهم) إلى قوله: (من الجزاء) [illegible]

كقوله في الأوَّل: "ومَن كان على صفته" إلخ.

قوله: (ومع شهادة) إشارة إلى [illegible]

(مع علمهم).

قوله: (ثم عوَّل) متعلِّق بقوله: (إنكار [illegible]

[illegible] إنكار تعجب [illegible]

البعث فكأنه قال: أشار تعالى إلى الإنكارين [illegible]

[illegible] ثمَّ عوَّل تعالى على أحد الإنكارين [illegible]

التعجب من البعث أبعد من التعجب [illegible]

قوله: (أدخل) يعني: تعجُّبهم في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ووُضِعَ ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ مَوْضِعَ الضميرِ للشَّهادَةِ على أنهم في قولِهم هذا مُقدِمونَ على الكُفرِ العظيم، و﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى الرَّجعِ، و﴿إِذَا﴾ منصوبٌ بمضمرٍ مَعْناهُ: أَحِينَ نموتُ ونَبلى نُرجَعُ؟ ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾: مُستبعَدٌ مُستنكَرٌ؛ كقولِكَ: "هذا قولٌ بعيدٌ"، و"قد أبعَدَ فلانٌ في قولِه"، ومعناه: بعيدٌ من الوَهمِ والعَادةِ.

ويجوزُ أن يكونَ الرَّجعُ بمعنى المرجُوعِ، وهو الجوابُ، ويكونَ من كلامِ الله تعالى استبعادًا لإنكارِهِم ما أُنذِروا به من البَعثِ، والوقفُ قبلَه على هذا التَّفسيرِ حسنٌ.

وقُرِئَ: "إذا متنا" على لفظِ الخبرِ، ومعناهُ: إذا متنا بَعُدَ أنْ نرجِعَ، والدَّالُّ عليه: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾.

فإن قلتَ: فما ناصِبُ الظَّرفِ إذا كانَ الرَّجعُ بمعنى المرجُوعِ؟

قوله: (منصوب بمُضمر) فحُذف جواب "إذا"، ثمّ أشار إليه بقوله: (ذلك). وقوله: (معناه) يريد معنى البُعد المذكور في الآية وفي المثالَين.

قوله: (وهو الجواب) الجواب ههنا قولهم: ﴿أَءِذَا[1] مِتۡنَا﴾، فإنّهم إنّما قالوا ذلك جوابًا لقول المسلمين: إنّا نُبعث بعد الموت.

قوله: (ويكون مِن كلام الله) يُشير إلى أنّه على الأوّل مِن[2] تتمّة كلام الكُفّار.

قوله: (حَسَنٌ) أي: ليس بتامّ ولا قبيح.[3]

قوله: (ومعناه: إذا مُتْنا)... إلخ.[4] واعلم أنّه قدّر في القراءة ﴿أَءِذَا﴾[5] بالاستفهام: أحين نموت نُرجَع؟ لأنّ الإنكار كان متوجّهًا إلى الاستفهام،[6] ويستقيم المعنى. وأمّا هنا[7] فلمّا كان بطريق الخبر[8] لزم أن يكون التقدير: بَعُدَ أنْ نُرجَعَ.

---

[1] ن: إذا.

[2] ن - من.

[3] قال الأشموني: «﴿وَكُنَّا تُرَابٗا﴾ حسَن، إن لم يُجعل جواب القسم بعده». منار الهدى للأشموني، ص ٧٣٤.

[4] قراءة "إذَا مُتْنَا" بالخبر قراءة شاذّة، مرويّة عن يحيى بن وثّاب والأعرج وشيبة وأبي جعفر. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٤٦. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم: ﴿مِتۡنَا﴾ بكسر الميم، وقرأ باقي العشرة: ﴿مُتۡنَا﴾ بضمّ الميم. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٤٢/٢.

[5] ن: أبدًا.

[6] ن - أحين نموت نُرجَع؟ لأنّ الإنكار كان متوجّهًا إلى الاستفهام.

[7] ف: ههنا.

[8] ن: الخير.

قلتُ: ما دلَّ عليه المنذِرُ من المنذَرِ به، وهو البعثُ.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ٤﴾

﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ رَدٌّ لاستبعَادِهم الرَّجعَ؛ لأنَّ مَن لَطُفَ عِلمُه حتَّى تغلغلَ إلى ما تنقصُ الأرضُ من أجْسادِ الموتَى، وتأكلُه مِن لحومِهم وعِظامِهم؛ كانَ قادرًا على رَجْعِهم أحياءً كما كانُوا، عن النَّبيِّ عليه السَّلام: «كلُّ ابنِ آدمَ يَبْلَى إلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ».

وعن السُّدِّي: ﴿مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: ما يموتُ فيُدفنُ في الأرضِ منهم.

﴿كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾: محفوظٌ من الشَّياطينِ ومِن التَّغيُّرِ، وهو اللَّوحُ المحفوظُ، أو: حافِظٌ لِمَا أُودِعَه وكُتِبَ فيه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ٥﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾ إضرابٌ أُتبِعَ الإضرابَ الأوَّلَ للدِّلالةِ على أنَّهم جاؤوا بما هو أفظعُ

قوله: (**وهو البعث**) فكأنَّه قيل: أئذا مُتْنا نُبْعثُ؟

قوله: (**﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ رَدٌّ**) كان[1] استبعادهم مِن حيث تفرّقُ الأجزاء، فذكر تعالى أنّه عالم بها.

قوله: (**«عَجْبَ الذنَبِ»**)[2] أي: عَظْمَه.[3] قال: العَجْبُ أمرٌ عَجَبٌ؛ أوّل ما يُخْلَق وآخر ما يُخْلَق.[4]

قوله: (**أفظَعُ**) وكونه أفظَعَ[5] لأنّهم لمّا سمعوا هذا الأمر العظيم كذّبوا مِن غير تفكّر وتدبّر ونظر وتأمّل، وحقّ مَن يكون له عقل أنْ يتأمّل عند[6] سماع مثل ذلك وينظر ليعلم أهوَ حقّ أم لا، ثمّ بعد ذلك إمّا أن يصدِّق أو يكذِّب.

---

١ ن: لان.

٢ صحيح البخاري، ٦/١٦٥ (٤٩٣٥)؛ صحيح مسلم، ٤/٢٢٧٠ (٢٩٥٥).

٣ ن: عظمة.

٤ كذا في فتوح الغيب للطِّيبي، ٢/٥٣٤.

٥ ن - وكونه أفظع.

٦ ن: عن.

من تعجُّبِهم، وهو التّكذيبُ بالحقِّ -الذي هو النُّبوةُ الثّابتةُ بالمعجزاتِ- في أوَّلِ وهلةٍ من غيرِ تفكُّرٍ ولا تدبُّرٍ.

﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾: مُضطَرِبٍ، يُقالُ: مَرِجَ الخاتَمُ في إصبَعِه وجَرِجَ، فيقولونَ تارةً: شاعِرٌ، وتارةً: ساحِرٌ، وتارةً: كاهِنٌ، لا يَثْبتونَ على شيءٍ واحِدٍ.

وقُرِئَ: "لِمَا جاءهم" بِكسرِ اللّامِ و"ما" المصدريَّةِ، واللّامُ هي الّتي في قولِهم: "لِخَمْسٍ خلَوْنَ"؛ أي: عند مَجيئِهِ إيّاهُم.

وقيلَ: الحقُّ: القرآن، وقيل: الإخبارُ بالبَعث.

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ﴾ حين كفرُوا بالبَعث إلى آثارِ قُدرةِ الله في خَلقِ العالَم.

﴿بَنَيۡنَٰهَا﴾: رفعناهَا بغيرِ عَمَدٍ.

﴿مِن فُرُوجٖ﴾: من فُتوقٍ؛ يعني: أنّها مَلساءُ سليمةٌ من العُيوب، لا فتقَ فيها ولا صَدْعَ ولا خَلَلَ؛ كقَوله: ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك ٦٧/٣].

﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧﴾

قوله: (**في أوّل**[١] **وَهْلة**) أي: أوّل شيء، والوَهْلة:[٢] القَزعة.[٣]

قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ "الفاء" في ﴿فَهُمۡ﴾ للدلالة على أنّهم لمّا عدَلوا عن الحقّ كان كلّ ما يقولونه ويَميلون إليه باطلًا لا دليلَ عليه، فلا يُمكنهم[٤] الإقامة عليه والتوقّف لديه، فإنّه في نفسه غير ثابت؛ بل مضطرب، فالحقّ أبلَج، والباطل لَجْلَج.[٥]

---

١ ن - أوّل.

٢ ن - والوَهْلة.

٣ كذا في النسخ الخطّيّة، بالقاف والراء. وفي **الصحاح** للجوهري، «وهل»: «والوهلة: الفَزْعة»، بالفاء والزاي.

٤ ن - كان كلّ ما يقولونه ويَميلون إليه باطلًا لا دليلَ عليه، فلا يمكنهم.

٥ وفي هامش د ف: قوله: (مَرِج الخاتم) المَرَج -بالتحريك- مصدر قولك: مَرِج الخاتَم في إصبعي -بالكسر-، أي: قَلِقَ، مثل: جَرِجَ. صحاح. | **الصحاح** للجوهري، «مرج».

﴿مَدَدْنَٰهَا﴾: دَحوناها.

﴿رَوَٰسِيَ﴾: جِبالًا ثوابتَ، لولا هي لَتكفَّأَتْ.

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: من كلِّ صِنفٍ، ﴿بَهِيجٍ﴾: يُبتَهَجُ به لحُسنه.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾: لتُبصِّرَ به وتُذكِّرَ كلَّ ﴿عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: راجعٍ إلى ربِّه، مُتفكِّرٍ في بَدائعِ خَلْقه، وقُرئَ: "تبصرةٌ وذِكرى" بالرَّفع؛ أي: خَلْقُها تبصرةٌ.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾

﴿مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾: كثِيرَ المنافِعِ، ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾: وحبَّ الزَّرعِ الذي من شأنه أن يُحصَدَ، وهو ما يُقتاتُ به من نحوِ الحِنطةِ والشَّعيرِ وغيرِهما.

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠﴾

﴿بَاسِقَٰتٍ﴾: طِوالًا في السَّماءِ، وفي قراءةِ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: "باصقات" بإبدالِ السِّينِ صادًا لأجْلِ القافِ.

﴿نَّضِيدٌ﴾: منضودٌ بَعضُه فوقَ بعضٍ، إمَّا أن يُرادَ كثرةُ الطَّلعِ وتَراكُمُه، أو كثرةُ ما فيه من الثَّمرِ.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ إشارة إلى القدرة. وقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ كان إشارة إلى العِلم، فأشار إلى القدرة والعِلم اللَّذين يَبتَني[1] عليهما أمرُ البعث، كما في قوله تعالى:[2] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس ٣٦/٧٩].

قوله: (لَتكَفَّأَتْ) أي: لَتَقلَّبَتْ.

[1] ن: ينبني.

[2] ن - تعالى.

﴿رِزْقًا﴾ على: أنبتنَاها رزقًا؛ لأنَّ الإنباتَ في معنى الرِّزقِ، أو على أنّه مفعولٌ له؛ أي: أنبتنَاهَا لِنرزقَهُم.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾: كما حَيِيَتْ هذه البلدةُ الميتةُ كذلك تَخرجون أحياءً بعد موتِكُم، والكافُ في محلِّ الرَّفعِ على الابتداءِ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣﴾

أرادَ بِفرعونَ: قومَهُ؛ كقوله: ﴿مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس ١٠/٨٣]؛ لأنَّ المعطوفَ عليه ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾، والمعطوفاتُ جماعاتٌ.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾

﴿كُلٌّ﴾ يجوزُ أنْ يُرادَ به: كلُّ واحدٍ منهم، وأن يُرادَ جميعُهم، إلّا أنّه وُحِّدَ الضَّميرُ الرَّاجعُ إليه على اللَّفظِ دونَ المعنى.

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: فوجبَ وحَلَّ وَعيدِي، وهو كلمةُ العذابِ، وفيه تسليةٌ لرسول اللهِ وتهديدٌ لهم.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾

"عيِيَ بالأمرِ": إذا لم يَهتدِ لوجْهِ عَملِه، والهمزةُ للإنكارِ، والمعنى: إنَّا لم نعجِزْ -كما علِمُوا- عن الخلقِ الأوَّلِ حتَّى نعجزَ عن الثَّاني، ثمَّ قال: هم لا يُنكرونَ قُدْرتَنا على الخلقِ الأوَّلِ، واعتِرافُهم بذلكَ في طيِّهِ الاعتراف بالقُدرة على الإعادةِ.

قوله: (على أنبتنا[١] رزقًا) يكون مصدرًا مِن غير لفظه.

قوله: (كقوله تعالى:[٢] ﴿مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس ١٠/٨٣]) الضمير لفرعون؛ لأنّه أراد قومَه.

قوله: (وُحِّدَ[٣] الضمير) توحيد الضمير على إرادة كلِّ واحدٍ ظاهرٌ.

---

[١] في مطبوع الكشّاف: أنبتناها.

[٢] ن - تعالى.

[٣] ن: وجد.

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾؛ أي: في خَلْطٍ وشُبْهةٍ، قد لَبَسَ عليهم الشَّيطانُ وحيَّرَهُم، ومنه قولُ عليٍّ رضي الله عنه: يا حارِ، إنَّه لَملْبُوسٌ عليكَ، اعرِفِ الحقَّ تَعرِفْ أهلَه.

ولَبْسُ الشَّيطانِ عليهم: تسويلُه إليهم أنَّ إحياءَ الموتى أمرٌ خارجٌ عن العادةِ، فتركوا لذلك القياسَ الصَّحيحَ: أنَّ مَن قدَرَ على الإنشاءِ كان على الإعادةِ أقدَرَ.

فإن قلتَ: لِمَ نُكِّرَ الخلقُ الجديدُ، وهلَّا عُرِّفَ كما عُرِّفَ الخلقُ الأوَّلُ؟

قلتُ: قُصِدَ في تنكيرِه إلى خلقٍ جديدٍ له شأنٌ عظيمٌ وحالٌ شديدةٌ، حَقُّ مَن سمعَ به أن يهتمَّ به ويخافَ، ويبحثَ عنهُ ولا يقعُدَ على لَبْسٍ في مثله.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾

"الوَسوسةُ": الصَّوتُ الخفيُّ، ومنه: وسواسُ الحُلِي، ووسوسةُ النَّفسِ: ما يَخْطُرُ ببالِ الإنسانِ ويَهْجِسُ في ضميرِه من حديثِ النَّفْسِ.

والباءُ مثلُها في قولِكَ: صَوَّت بكذا، وهمسَ به، ويجوزُ أن تكونَ للتَّعديةِ، والضَّميرُ للإنسان؛ أي: ما تَجعَلُه مُوَسْوِسًا، و﴿مَا﴾ مصدريةٌ؛ ....

قوله: (**أنَّ مَن قدَر**) بدل عن[1] (**القياسَ الصحيحَ**).

قوله: (**وَسْواسُ الحُليِّ**) أي: صوته.

قوله: (**في قولك: صوَّت بكذا**) وتكلَّم به، ونطق به.

قوله: (**والضميرُ**) أي: في ﴿بِهِۦ﴾.

قوله: (**أي: ما تجعله**)[2] يعني: ما تجعله[3] -أي: ما تجعله[4] نفسُه- مُوَسِّسًا، أي: نعلم[5] جَعْلَ الإنسان نفسُه مُوَسْوِسًا. وقوله: (**و﴿مَا﴾ مصدريّة**)

[1] ن: على.
[2] وفي هامش د ف: الإنسان.
[3] ن: يجعله.
[4] ن: يجعله.
[5] ن: يعلم.

لأنهم يقولونَ: حدَّثَ نفسَهُ بكذَا، كما يقولونَ: حدَّثَتْهُ به نفسُهُ، ....

﴿مَا﴾ على القول الأوّل: موصولة، أي: الشيء الذي يوسوس به نفسُه، وعلى القول[1] الثاني:[2] مصدريّة.

[٣٧٣و] / وقوله: (لأنهم يقولون)... إلخ يريد أن يُبيِّن أنّه يصحّ أن يكون "الباء" في ﴿بِهِ﴾ للتعدية، و﴿مَا﴾ مصدريّة، ويكون المعنى: تجعله نفسُه مُوَسْوِسًا، كما يصحّ أن يكون "الباء" للآلة، كما في قولك: صوَّت بكذا، و﴿مَا﴾ موصولة، ويكون المعنى: أنّ النفس مُوَسْوِسة بالكلام النفسي، لا أنّ النفس جاعلة إيّاه مُوَسْوِسًا، فمثّل بقوله: (حدَّث نفسَه بكذا)، وهو في المعنى مثل ما إذا جُعلت "الباء" في الآية للتعدية؛ لأنّه إذا قيل: جعَلَت[3] الإنسانَ نفسُه مُوسوِسًا؛ يكون[4] المُوَسوِسُ -أي:[5] المُحَدِّث والمُصوِّتُ- هو الإنسانَ لا نفسَه. ومَثّل بقوله: (حدَّثَتْهُ[6] به نفسُه) وهو في[7] المعنى مثلُ ما إذا[8] جُعل[9] "الباء" في الآية للآلة؛ لأنّه حينئذٍ تكون[10] النفس مُوسوِسة مُحَدِّثة.

والبيت الذي أورده مثل قولك: "حدَّث نفسَه بكذا"؛ لأنّه جعل المخاطَب مُحدِّثًا لا النفسَ. وتمامه:

إنّ صِدْقَ النفسِ يُزري بالأمل

وبعده:

غيرَ أنْ لا تَكْذِبَنْها[11] في التقى[12] واخْزُها[13] بالبِرِّ لله الأجَلّ[14]

[1] ف – القول.

[2] ن – موصولة، أي: الشيء الذي يوسوس به نفسُه، وعلى القول الثاني.

[3] ن: حلت.

[4] ف: يلون.

[5] ن – أي.

[6] ن: حدثت.

[7] ن – في.

[8] ن – إذا.

[9] ن: اجعل.

[10] ن: يكون.

[11] ن: يكذبنها.

[12] ن: النفى.

[13] وفي هامش د ف: أمر.

[14] للَبيد بن ربيعة في ديوانه، ص ١٨٠.

قال[١] الأصمعيّ: «هو مأخوذ مِن قول لَبيد:

وإذا هَمَمْتَ بأمرِ شرٍّ فاتّئِدْ   وإذا هَمَمْتَ بأمرِ خيرٍ فافعلِ»[٢]

ومثله قول الشاعر:

وإذا صدَقْتَ النفسَ لم تترك[٣] لها   أملًا ويأمُلُ[٤] ما اشتهى المكذوبُ[٥]

وسُئل بشّار: أيّ بيتٍ قالته العرب أشْعَرُ؟ قال: إنّ تفضيلَ بيتٍ واحدٍ على الشِّعْرِ كلِّه لَشديدٌ، لكنّه أحسنَ الشاعرُ في قوله:

واكْذِبِ النفسَ إذا حدَّثْتها[٦]

أي: لا تحدِّثْ نفسَك بأنّك[٧] لا تظْفَرُ، فإنّ ذلك يُثَبِّطك[٨] عن الغزْو. وحالُ الأمل في أمر الآخرة أقوى الأسباب في الغفلة عنها، والأملُ في الدنيا رحمة مِن الله حينَ عَمرَ به[٩] الدنيا وتَمّ[١٠] صلاحُها.

وإذا تأمّل المتأمِّل في قوله: "واكْذِبِ النفسَ" وجد فيه إشارةً إلى أنّ الأملَ مَبناه على الكذب، وأعرَض عن الدنيا ورَغِبَ[١١] في الآخرة. ويقرُب منه ما ذكر بعضهم أنّه صلّى الله عليه وسلّم[١٢] قال: «كُن في الدنيا كأنّك تعيشُ أبدًا، وكُن في الآخرة كأنّك تموت غدًا»،[١٣] يعني: أخِّر الأمور المتعلِّقة[١٤] بالدنيا ولا تَعجل فيها،

---

١ ن: فال.

٢ كذا في فتوح الغيب للطيبي، ٥٣٤/١٤. ولم أجدْ قولَ الأصمعي، والبيت مِن قصيدة لعبد القيس بن خُفاف البُرجُمي يوصي بها ابنه. انظر: لسان العرب لابن منظور، «كرب»؛ وشرح شواهد المغني للسيوطي، ٢٧٣/١.

٣ ن: تترل.

٤ ن: وتأمل.

٥ لنُفيع بن اللقيط الأسدي في ربيع الأبرار للزمخشري، ٢٨٥/٣.

٦ العمدة للقيرواني، ١٧/٢؛ مجمع الأمثال للميداني، ١٣٩/٢.

٧ ن: فإنّك.

٨ ن: يثبطل.

٩ ن: عمرته.

١٠ ن – وتمّ.

١١ ن + إلى البيت.

١٢ د: عليه السلام.

١٣ لم أجده بهذا اللفظ مرفوعًا إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. ونحوه في مسند الحارث، ٩٨٣/٢ (١٠٩٣)، مِن قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. وفي السنن الكبرى للبيهقي، ٣٩٩/٥ (٤٨٠٧)، مرفوعًا: «فاعمَلْ عَملَ امرئٍ يَظنّ أن لن يموت أبدًا، واحذَرْ حَذَرًا تَخشى أن تموت غدًا».

١٤ ن: للتعلقة.

....

وسوِّفِ النفسَ في فِعْلها، وقدِّم الأمور الأُخرويّة، واعجَلْ فيها، ولا تأمَن الموت والفَوتَ، فإنّك لا تدري ما يكون غدًا.

وأراد لَبيد[1] بـ"أمرِ شرّ" الأمورَ[2] الدنياوية، وبـ"أمرِ خيرٍ"[3] الأخرويّةَ.

ومثل قولهم: "حدَّثَ به نفسَه" قولُ الشاعر:

أقُـرَيْـنُ إنّـك لـو رأيـتَ[4] فوارسي[5] بـعَـمـايَـتَـيـن إلـى جـوانـب سَـلْـفَـعِ
حـدَّثْـتَ نفسَك بالوفاء ولـم تكن[6] لـلـغـدر خـائـنـةً مُـغِـلَّ[7] الإصْـبَـعِ[8]

وقد مرّ هذا البيت في أوائل سورة المائدة.[9]

قوله: "أقُرَيْنُ" الهمزة فيه للنداء، و"قُرَيْنُ" عَلَم.

واخـــزُهـــا[10] بـالـبـرِّ لله الأجَـــلِّ

قال المرزوقي في شرح الحماسة: «خَزَاه يَخزوه خَزْوًا؛[11] إذا كَفّه على[12] المكروه، وحَبَسَه[13] عن المراد، / قال لبيد: [٣٧٣ظ]

واخـــزُهـــا بـالـبـرِّ لله الأجَـــلِّ».[14]

وقال في الصحاح: «خزاه يَخزوه خَزوًا؛ ساسَه[15] وقهَرَه، ثمّ قال[16] لَبيد:

واخـــزُهـــا فـي الـبِـرِّ لله الأجَـــلِّ».[17]

قوله: (حدَّث نفسَه بكذا) و(حدَّثَه[18] به نفسُه) كلا المعنيين ورَدا[19] في الحديث،

---

[1] تقدّم أنّ البيت لعبد القيس بن خُفاف البُرجُمي.
[2] ن: للأمور.
[3] ن - خير.
[4] ن + قوله.
[5] ن: شي.
[6] ن: يكن.
[7] ن: معك.
[8] لرجلٍ كِلابي يخاطب قُرينًا أخا عُمير الحنفي، وكان له عنده دم. انظر: لسان العرب لابن منظور، «خون».
[9] المائدة، ١٣/٥.
[10] وفي هامش د ف: أمر.
[11] ن: جزوًا.
[12] في شرح ديوان الحماسة: "عن".
[13] ن: وجلسه.
[14] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٥١١/٢.
[15] وفي هامش د ف: أي: حفِظه.
[16] ن + قال.
[17] ن: الأجلي. | الصحاح للجوهري، «خزا».
[18] ن: وحدثت.
[19] ن: ورد.

قال:

واكْـــذِبِ النَّفـــسَ إذا حدَّثْتَهـــا

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:[١] «إنّ الله تعالى تجاوزَ[٢] عن أُمّتي ما وَسْوَسَتْ به صدورُها ما لم تعمل به أو تتكلّم به».[٣] وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما[٤] أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٥] جاءه رَجل فقال: «إنّي أُحَدِّث نفسي بالشيء، لَأَنْ أكون[٦] حُمَمةً أحبُّ إليّ مِن أنْ[٧] أتكلّم به»، فقال صلّى الله عليه وسلّم:[٨] «الحمد لله الذي ردَّ أمره إلى الوَسْوَسة».[٩] قوله:[١٠] "حُمَمة" الحُمَم: الرماد والفَحم وكلُّ ما احترق، والواحد: حُمَمة.[١١] وقوله عليه الصلاة والسلام: «أمْرَه»، أي: أمْرَ الشيطان.[١٢]

قوله: (قال:

واكْـــذبِ[١٣] النفـــسَ إذا حدَّثْتها)

تمامه:

إنّ صِـــدْقَ النفس يُـــزري بالأملْ

وبعده:

غير أنْ لا تكذِبَنْها في التقى[١٤] واخـزُها بالبِرِّ لله الأجَـلْ[١٥]

وقوله: (لأنّهم يقولون)... إلخ تعليل لقوله: (والباء) إلى قوله: (مصدريّة)، فكأنّه قال: جاز الوجهان لأنّهم... إلخ.

١ د: عليه السلام.
٢ ن: يجاوز.
٣ بهذا اللفظ في **صحيح البخاري**، ١٤٥/٣ (٢٥٢٨). وهو في **صحيح البخاري**، ٤٦/٧ (٥٢٦٩)؛ و**صحيح مسلم**، ١١٦/١ (١٢٧)، بلفظ: «إنّ الله تجاوزَ عن أمّتي ما حدّثت به أنفسها، ما لم تعمَل أو تتكلّم».
٤ د - رضي الله عنهما.
٥ د: عليه السلام.
٦ ن: ألون.
٧ ن: أن من.
٨ د: عليه السلام.
٩ **مسند أحمد**، ٢٤٨/٥ (٣١٦١)؛ **صحيح ابن حبّان**، ٣٦٠/١ (١٤٧).
١٠ ن: بقوله.
١١ **الصحاح** للجوهري، «حمم».
١٢ ن: السلطان.
١٣ ن: والدب.
١٤ ن: النفى.
١٥ تقدّم قريبًا.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ مجازٌ، والمرادُ: قُرْبُ عِلْمِه منه، وأنّه يتعلَّقُ بمعلومهِ منه ومن أحوالِه تعلُّقًا لا يخفَى عليه شيءٌ من خفيّاتِه، فكأنَّ ذاتَهُ قريبةٌ منه، كما يُقال: اللهُ في كلِّ مكانٍ، وقد جلَّ عن الأمكنةِ.

و"حبلُ الوريد": مَثَلٌ في فَرْطِ القُربِ؛ كقولهم: "هو منّي مقعَدَ القابلةِ ومَعقِدَ الإزارِ"؛ قال ذُو الرُّمَّةِ:

قوله: (والمراد قُربُ عِلمه) وقيل: قُربُ قدرته.

قوله: (بمعلومه منه ومِن[١] أحواله) الضمير مِن "معلومه" عائد إلى الله تعالى، ومِن "منه" و"أحواله"[٢] إلى الإنسان. وقوله: (تعلُّقًا) أي: تعلُّقًا عظيمًا. وقوله: (لا يخفى)...[٣] إلخ جملة مبيِّنة لقوله: "يتعلّق بمعلومه تعلُّقًا".[٤] وقوله: (مَثَل في[٥] فَرْط القُرب) يعني: هو استعارة مصرَّح بها؛ إذ شُبِّه القريب[٦] المُفرِط القُربِ بحبل الوريد، ثمّ ذُكر حبل الوريد وأريدَ القُرب المُفرِط القُربِ، فكأنّه قيل: نحن أقرب إليه مِن كلّ قريب مُفرِط القُرب، كما شُبِّه القريب المُفرِط القُربِ بمَن كان في مَقْعَد[٧] القابلة،[٨] أو في مَعْقِدِ الإزار.[٩]

قوله: (كقولهم: هو[١٠] منّي) "هو" مبتدأ، "منّي" خبره، و"مِن" للاتّصال[١١] كما في قوله:

لستُ مِن قيسٍ ولا القيسُ مِنِي[١٢]

وقوله: (مَقعَدَ القابلة) إمّا في محلّ الحال مِن الضمير في "منّي"، أي:

---

١ ن: ولا من.

٢ ن – الضمير مِن "معلومه" عائد إلى الله تعالى، ومِن "منه" و"أحواله".

٣ ف: لا تخفى.

٤ ن – وقوله: (لا يخفى)... إلخ جملة مبيِّنة لقوله: "يتعلّق بمعلومه تعلُّقًا".

٥ ن – في.

٦ ف – القريب.

٧ ن: متعد.

٨ ن: القايلة.

٩ ن: مقعد الإزرار.

١٠ ف: وهو.

١١ ن: الاتّصال.

١٢ وفي هامش د ف: خف [أي: بتخفيف النون]. | ويُذكر البيت شاهدًا على حذف نون الوقاية مِن كلمة "منّي". انظر: **المقاصد النحويّة** للعيني، ٣٢٤/١.

والــمــوتُ أدْنَـــى لــي مِـــنَ الــوَريــدِ

والحبلُ: العِرقُ، شُبِّهَ بواحدِ الحِبالِ، ألَا ترى إلى قولِه:

كـــأنْ وريـــدَيْـــهِ رشـــاءُ خُــلْــبِ

والوَريدانِ: عِرقانِ مكتنفانِ لِصَفْحَتَي العُنُقِ في مُقدَّمها متَّصلانِ بالوَتِين، يَردَانِ من الرَّأسِ إليه.

وقيلَ: سُمِّي وريدًا لأنَّ الرُّوحَ تَرِدُه.

فإن قلتَ: ما وجهُ إضافةِ الحبلِ إلى الوَريدِ، والشيءُ لا يُضاف إلى نفسه؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدُهما: أن تكونَ الإضافةُ للبيان؛ ....

هو متّصل بي حالَ استقراره في مَقعِد القابلة،[1] وإمّا خبر بعد خبر، أي: هو متّصل بي مستقِرّ في مَقعِد[2] القابلة. أو نقول: "هو" مبتدأ، "مَقعِدَ"[3] خبره، و"منّي" حال مِن الضمير المستتر في "مَقعِد"،[4] و"مِن" للابتداء، أي: هو في مَقعِد[5] القابلة مبتدِئًا أمره منّي، لكن[6] هذا ضعيف للُزوم تقدّم الحال على العامل المعنوي.

قوله:

(كـــأنْ وَريـــدَيـــه رشـــاءَا خُـــلُـــبْ)[7]

الخُلُبُ: الليف. والرِّشاء: الحبل.

وقوله: **(بالوَتين)** الوَتين: عِرْق يَقي[8] القلبَ، إذا انقطع مات صاحبه.[9]

---

١ وفي هامش د: مَعْقِد الإزار.

٢ ف: مَقعَد.

٣ ف: مقعَد.

٤ ف: مقعَد.

٥ ف: مَقعَد.

٦ ن + لكن.

٧ ن: حلت. | يُنسب إلى رؤبة بن العجّاج، وهو في ملحق ديوانه، ص ١٦٩. وأوّله:

يَــسـوقـهـا أعـيـس هــدّارٌ بَـبِـبْ
إذا دَعـاهـا أقـبـلَـت لا تـتَّـئِـبْ
كـأن وَريــدَيـــه رِشـــاءُ خُـلُـبْ

٨ ن: يلقي. | في مطبوع الصحاح: "في".

٩ الصحاح للجوهري، «وتن».

كقولهم: "بعيرُ سانيةٍ".

والثاني: أن يُرادَ حبلُ العاتِقِ، فيُضافُ إلى الوريدِ كما يضافُ إلى العاتِقِ؛ لاجتماعِهما في عُضوٍ واحدٍ، كما لو قيل: "حبلُ العِلْباءِ" مثلًا.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ١٧﴾

﴿إِذْ﴾ منصوبٌ بـ﴿أَقْرَبُ﴾ وساغَ ذلكَ لأنَّ المعانيَ تعملُ في الظَّرفِ متقدِّمةً ومتأخِّرةً.

والمعنى: أنّه لطيفٌ يتوصَّلُ علمُه إلى خَطَراتِ النَّفسِ وما لا شيءَ أخفَى منه، وهو أقربُ من الإنسانِ من كلِّ قريبٍ ....

قوله: (بعيرُ[1] سانيةٍ) السانية: الناضِحة، وهي الناقة التي يُسقى عليها، وفي المَثَل:[2] «سَير السَّواني سَفَر لا ينقطع».[3] وفي بعض النسخ: "بعيرُ[4] سائبةٍ"،[5] والسائبة: الناقة التي كانت تُسيَّبُ في الجاهليّة لِنَذْرٍ ونحوه.[6]

[٣٧٤و] قوله: (لاجتماعهما) / أي: الوريد والعاتِق.[7]

قوله: (العِلْباء) العِلْباء: عصَب العُنُق.

قوله: (﴿إِذْ﴾ منصوب بـ﴿أَقْرَبُ﴾) أي: ظرف له، وإن كان "أفعَل" التفضيل لا يعمل إلّا أنّ فيه معنى الفعل، وذلك القدر يكفي أن يعمل في الظرف، فإنّ معنى قولهم: "إنّه لا يعمل" أنّه لا يعمل في الفاعل والمفعول به[8] الظاهرَين. وقوله: (لأنّ المعاني)[9] أي: معاني الأفعال تعمل في الظروف، كاسم الإشارة والجارّ والمجرور، فجَعل المصنّف اسم التفضيل مِن قَبيل ذلك لضَعفه في العمل، فقال: (تعمل في الظرف) مع ضَعفه.

---

[1] ف: بغير.

[2] ن: الميل.

[3] الصحاح للجوهري، «سنا». والمَثَل يضرَب للأمر الذي لا يكاد ينتهي. انظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي، ص ٣٣٤؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٣٤٢/١.

[4] ن: بغير.

[5] ن: سانية.

[6] الصحاح للجوهري، «سيب».

[7] وفي هامش د: بل الوريد والحَبل.

[8] ن: له.

[9] ن: المعنى.

حين يتلقَّى الحفيظانِ ما يتلفَّظُ به، إيذانًا بأنَّ استحفاظَ الملكَينِ أمرٌ هو غنيٌّ عنه، وكيف لا يَستغني عنه وهو مطَّلِعٌ على أخفَى الخفيَّاتِ؟ وإنَّما ذلك لحكمةٍ اقتضتْ ذلكَ، وهي ما في كِتْبَةِ الملَكَيْنِ وحِفظِهما، وعَرْضِ صحائِفِ العملِ يومَ يقومُ الأشهادُ، وعِلمِ العبدِ بذلكَ مع عِلمِه بإحاطةِ الله بعملِه= من زيادةِ لُطْفٍ له في الانتِهاء عن السيِّئاتِ والرَّغبةِ في الحسَناتِ؛ وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ مقعدَ مَلَكَيْكَ على ثَنِيَّتَيكَ، ولسانُك قلمُهما، وريقُك مِدادُهما، وأنت تجرِي فيمَا لا يعنِيكَ، لا تَستحِي منَ الله ولا منهما».

ويجوز أن يكونَ تلقِّي الملَكَين بيانًا للقُربِ؛ يعني: ونحنُ قرِيبون منه مطَّلعُون على أحوالِهِ، مُهَيمنون عليه، إذْ حَفَظَتُنا وكَتَبَتُنا موكَّلونَ به.

و"التَّلقِّي": التلقُّنُ بالحفظِ والكِتْبَةِ، و"القعيدُ": المُقاعدُ؛ كالجَليس بمعنى المُجالِس، وتقديرُه: عن اليمينِ قعيدٌ وعن الشِّمالِ قعيدٌ من المتلقِّيينَ، فتُرِكَ أحدُهما لِدلالة الثَّاني عليه؛ كقوله:

.... كنْتُ منه ووالدي بريًّا ....

قوله: (إيذانًا) مفعول له، فِعلُه محذوف، أي: قال تعالى ذلك للإيذان.[1] وقوله: (ما يتلفّظ به)[2] مفعول (يتلقّى)، حُذف لدلالة ما بعدَه عليه.

قوله: (أمرٌ هو) أي: الله تعالى. وقوله: (وإنّما ذلك) عطفٌ على قوله: "أمرٌ" لاستقامة أن يقال: استحفاظ الملَكَين هو لحكمة.

قوله: (على ثَنِيَّتَيكَ) الثنِيَّتان: السِّنّان المتقدّمان.

قوله: (فيما لا يعنيك)[3] عَناه، أي: أهمَّه.

قوله: (ويجوز أن يكون تلقِّي الملَكين) فهو للتعليل.[4]

قوله: (التلقُّن بالحفظ) يقال: لقَّنْتُه فتلقّنَ.

قوله: (كنتُ منه ووالدِي بَريًّا)[5]

---

[1] ن: الإيذان.
[2] ن - به.
[3] ن: لا يغنيك.
[4] ن - فهو للتعليل.
[5] وفي هامش د ف: شِعر.

﴿مَا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾

﴿رَقِيبٌ﴾: مَلَكٌ يرقُبُ عملَه، ﴿عَتِيدٞ﴾: حاضرٌ.

واختُلِفَ فيمَا يَكتُبُ الملكان:

فقيل: يكتبانِ كلَّ شيءٍ حتّى أنِينَهُ في مرضِه.

وقيلَ: لا يَكتبانِ إلّا ما يُؤجَرُ عليه أو يُوزَرُ به، ويدُلُّ عليه قولُه عليه السَّلامُ: «كاتبُ الحَسَناتِ على يمينِ الرَّجلِ، وكاتِبُ السَّيئاتِ على يسارِ الرَّجُلِ، وكاتب الحسناتِ أمينٌ على كاتبِ السَّيئاتِ، فإذا عمِلَ حسنةً كتَبَها ملَكُ اليمينِ عشرًا، وإذا عمِلَ سيئةً قال صاحبُ اليمينِ لصاحبِ الشِّمالِ: دَعْه سبْعَ ساعاتٍ لعلَّه يُسبّحُ أو يَستغفِرُ».

وقيلَ: إنَّ الملائكةَ يجتنبونَ الإنسانَ عند غائِطِه وعند جِماعِهِ.

وقُرِئَ: "ما يُلفَظُ" على البناءِ للمفعولِ.

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠﴾

رَمـانـي بـأمـرٍ كـنـتُ مـنه ووالـدِي   بـريًـا[1] ومِـن أجـل الـطَّـويِّ رَمـانـي[2]

"الطويّ": البئر المطويّة. أي:[3] إنّما رماني لأجل بئر مَطويّة كان بيننا فيها نزاع وخصومة.

قوله: (أو يُوزَرُ[4] به) أي: يُؤثَم به.

قوله: (ويدلّ عليه قوله عليه السلام: «كاتبُ»)[5] فدلَّ[6] الحديث على أنّ الكاتِب إمّا كاتب الحسنات، أو كاتب السيّئات،[7] فما يكتُبان لا يكون إلّا حسنةً أو سيّئةً.

---

١ ن - بريًّا.

٢ قال ابن برّي: البيت لابنِ أحمر. وقيل: هو للأزرَق بن طَرَفة بن العَمَرّد الفَراصي. لسان العرب لابن منظور، «جول».

٣ ن - أي.

٤ ن: يور.

٥ الكشف والبيان للثعلبي، ٤٥٧/٢٤ (ق، ١٧/٥٠).

٦ ن: فد.

٧ ن: السيات.

لمَّا ذكرَ إنكارَهم البَعثَ، واحتجَّ عليهم بوصفِ قُدرتِه وعلمِه، أعلَمَهُم أنَّ ما أنكرُوه وجحدُوه هم لاقُوهُ عن قريبٍ عندَ موتِهم وعند قيامِ السَّاعةِ، ونبَّه على اقترابِ ذلكَ بأنْ عبَّر عنه بلفظِ الماضِي، وهو قولُه: ﴿وَجَآءَتْ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾.

و"سكرةُ الموتِ": شدَّتُه الذَّاهبةُ بالعقلِ، والباءُ في ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ للتَّعديةِ؛ يعني: وأَحضَرتْ سكرةُ الموتِ حقيقةَ الأَمْرِ الذي أنطقَ الله به كُتُبَهُ وبعثَ به رُسُلَه، أو حقيقةَ الأَمْرِ وجليَّةَ الحالِ: من سعادة الميِّتِ وشقاوتِه. وقيلَ: الحقُّ: الذي خُلقَ لهُ الإنسانُ من أنَّ كُلَّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ.

ويجوزُ أن تكون الباءُ مثلَها في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون ٢٣/٢٠]؛ أي: وجاءَتْ مُلتبِسَةً بالحقِّ؛ أي: بحقيقةِ الأَمْرِ، أو بالحكمةِ والغَرضِ الصَّحِيح؛ كقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام ٦/٧٣].

وقرأ أبو بكرٍ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهما: "سكرةُ الحقِّ بالموتِ"؛ على إضافة السَّكرة إلى الحقِّ، والدَّلالةِ على أنَّها السَّكرةُ التي كُتِبَتْ على الإنسان وأُوجبَت له، وأنَّها حكمةٌ، والباءُ للتَّعديةِ لأَنَّها سببُ زُهوقِ الرُّوحِ لشِدَّتها، أو لأنَّ الموت يعقبُها فكأنَّها جاءتْ بهِ، ويجوزُ أن يكون المعنى: جَاءت ومعها الموتُ.

قوله: **(ما أنكروه)** أي: مِن الجزاء والحساب.

قوله: **(عند موتهم)** بدل مِن **(عن قريب)**.[1]

قوله: **(ويجوز أن يكون المعنى)** أي: معنى قراءتهما.[2] وقوله: **(ومعها[3] الموت)** أي: جاءت[4] ملتبسةً به.

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (لأنّها سبب زَهوق)... إلخ على الوجه **الأوّل**: يكون مِن قَبيل الإسناد إلى السبَب. وعلى الوجه **الثاني**: مِن قَبيل الاستعارة بالكناية، شُبِّهت "سَكرة الموت" بالفاعل القادِر، والجامع دَوران الفعل مع كلّ منهما وجودًا وعدَمًا.

[2] وفي هامش د ف: أي: قراءة أبي بكر وابن مسعود. | أي: قراءتهما: "سَكْرَةُ الحَقِّ بِالمَوتِ"، وهي قراءة شاذّة. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٤٥؛ و**شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٤٦.

[3] ن: ومعهما.

[4] ن: حات.

وقيلَ: "سَكرةُ الحقّ": سكرةُ الله؛ أُضيفت إليه تفظيعًا لشأنِها وتهويلًا.

وقُرئ: "سَكَرَاتُ الموتِ".

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ﴿ٱلْمَوْتِ﴾، والخِطابُ للإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [ق ١٦/٥٠] على طريق الالتفاتِ، أو إلى "الحقّ" والخِطابُ للفاجِر.

﴿تَحِيدُ﴾: تنفِرُ وتهربُ.

وعن بعضهم: أنّه سأل زيدَ بنَ أسلَمَ عن ذلك فقال: الخطابُ لرسُول الله، فحكاهُ لصالح بنِ كيسانَ، فقال: والله ما سنٌّ عاليةٌ، ولا لسانٌ فصيحٌ، ولا معرفةٌ بكلامِ العرب، هو للكافر، ثم حَكاهما للحُسينِ بنِ عبدِ الله بنِ عُبيدِ الله بنِ عبّاسٍ فقال: أخالِفُهما جميعًا، هو للبَرِّ والفاجِر.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ على تقديرِ حذفِ المضافِ؛ أي: وقتُ ذلكَ يومُ الوعيدِ، والإشارةُ إلى مصدر ﴿نُفِخَ﴾.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾: ملَكان، أحدُهما يسُوقه إلى المحشر، ....

قوله: (وقُرئ: "سَكَرَاتُ") شاذ.[١]

قوله: (واللهِ ما سِنٌّ) أي: لزيد بن[٢] أسلم. وقوله:[٣] (هو للكافر) أي: الخِطاب.

قوله: (حكاهما) الضمير المستتر فيه يعود إلى قوله: (بعضِهم)، وقوله: "هما" يعود إلى زيد وصالح، أي: حكى قولَهما.

قوله: (أُخالِفهما جميعًا) أي: أُخالف زيد بن[٤] أسلم في قوله: «الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم»،[٥] وصالحًا في قوله: «للكافر». وقوله: (للبَرّ والفاجر) أي: للإنسان، وهذا الكلام إشارة إلى اختيار القول الأوّل.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤٥.

٢ ن: ابن.

٣ ن: قوله.

٤ ن: ابن.

٥ د: عليه السلام.

والآخَرُ يَشهدُ عليه بعَملِه، أو ملكٌ واحدٌ جامِعٌ بين الأمرينِ، كأنّه قيل: معَها ملكٌ يَسُوقه ويَشهدُ عليه.

ومَحلُّ ﴿مَعَهَا سَآئِقٌ﴾ النَّصبُ على الحالِ من ﴿كُلُّ﴾ لتعرُّفِهِ بالإضافةِ إلى ما هو في حكمِ المَعْرفة.

﴿لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

وقُرئ: "لقد كنتِ... عنكِ غطَاءكِ فبصَرُكِ" بالكسر على خطابِ النَّفس؛ أي: يُقال لهَا: لقد كنتِ، جُعِلت الغفلةُ كأنَّها غطاءٌ غطَّى به جسدَه كلَّه، أو غِشَاوةٌ غطَّى بها عينَيه، فهو لا يُبصِر شيئًا، فإذا كان يومُ القيامة تَيقَّظَ وزالَت عنه الغَفلةُ وغِطاؤها، فيُبصرُ ما لم يُبصِرْهُ من الحقِّ، ورجعَ بصَرُه الكليلُ عن الإبصارِ لِغفلتِه حديدًا لِتيقُّظِهِ.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ هو الشَّيطان الَّذي قُيِّضَ له ....

قوله: (**على الحال مِن ﴿كُلُّ﴾**) قال في **الصحاح**: «'كلّ' و'بعض' مَعرفتان، لم يجِئ عن العرب بالألف واللام، وهو جائز؛ لأنّ فيه معنى الإضافة، أُضيفت أو لم تُضَف».[1] وقوله: (**لتَعرُّفه**) أي: لتَعرُّف "كلّ"، قال:[2] أصل "كلّ"[3] أن يُضاف إلى الجمع كأفعَل التفضيل، فكأنّه قيل: كلّ النفوس. وقوله: (**في حكم المعرفة**) وذلك لأنّها بإضافة "كلّ"[4] إليها صارت شاملة لجميع النفوس، فتعيَّن مدلولها،[5] فصارت معرفة.

قوله: / (**بالكسر**) أي: في الجميع. [٣٧٤ظ]

قوله: (**غطَّى به جسدَه**) أي: غطَّى ذلك الشخصُ بذلك الغطاء جسدَه.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «كلل».
٢ ن: وقال.
٣ ن: كان.
٤ ن: لكل.
٥ ن: مذلولها.

في قوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف ٤٣/٣٦] يَشهدُ له قولُه: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق ٥٠/٢٧].

﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ ﴿هَٰذَا﴾ شيءٌ لدَيّ وفي مَلَكتي ﴿عَتِيدٌ﴾ لجهنّم، والمعنى: أنّ ملكًا يسوقُه، وآخرَ يشهدُ عليه، وشيطانًا مقرُونًا به يقول: قد أعتَدْتُه لجهنّم وهيَّأتُه لها بإغوائي وإضلالي.

فإن قلتَ: كيف إعرابُ هذا الكلام؟

قلتُ: إنْ جعَلْتَ ﴿مَا﴾ موصوفةً فـ﴿عَتِيدٌ﴾ صفةٌ لها، وإنْ جعلتَها موصولةً

ويجوز أن يكون الضمير مِن "غطّى" عائدًا[1] إلى الله تعالى، فإنّه تعالى هو الذي جعل الغطاء على بدنه، أو على عينه، وجعل على بصره غِشاوة،[2] وكان مراد المصنّف هو الأوّل لموافقته مذهبَه.

قوله: (**في قوله: ﴿نُقَيِّضْ﴾** [الزخرف ٤٣/٣٦]) قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ [الزخرف ٤٣/٣٦].

قوله: (**يشهدُ له**) أي: لِما ذكرنا مِن أنّ المراد بـ"القرين" الشيطان، فقوله: "يشهد" جملة مستأنَفة لبيان هذا التفسير.

قوله: (**وفي مَلَكَتي**) هو بالفَتحات، يقال: ما في مِلْكه شيء، وما في[3] مَلْكه شيء، أي: لا يملك شيئًا، وفيه لغة ثالثة: ما في مَلَكَتِه شيء، بالتحريك.[4]

قوله: (**والمعنى أنّ مَلَكًا**) أي: أنّ معه مَلَكًا. وقوله: (**يقول**) صفة "شيطانًا". وقوله: (**أعتدْتُهُ**) الشيء العتيد: الحاضر المُهيَّأ، وقد عَتَّده[5] تَعْتيدًا، وأعتَدَه إعتادًا، أي: أعدَّه ليوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف ١٢/٣١].[6]

قوله: (**قلتُ: إن جعلتَ ﴿مَا﴾**) إن كانت ﴿مَا﴾ موصوفة فـ﴿عَتِيدٌ﴾ صفة بعد صفة؛

---

[1] ن: عائد.

[2] د: عِشاوة.

[3] ف: في.

[4] الصحاح للجوهري، «ملك».

[5] ن: عنده.

[6] الصحاح للجوهري، «عتد».

فهو بدلٌ، أو خبرٌ بعدَ خَبر، أو خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَلْقِيَا﴾ خطابٌ من الله للملَكَين السَّابقَين: السَّائِقِ والشَّهيدِ، وجوّزَ أن يكونَ خِطابًا للواحِد على وجهَين:

أحدهما: قولُ المبرّدِ: إن تثنيةَ الفاعِل نُزِّلتْ منزلةَ تثنيَةِ الفعل لاتّحادهما، كأنّه قِيل: أَلْقِ أَلْقِ؛ للتَّأكيدِ.

والثَّاني: أنَّ العربَ أكثرُ ما يرافقُ الرَّجلُ منهم اثنين، فكثُرَ على ألسنَتِهم أن يقولوا: خليلَيَّ، وصاحبيَّ، وقِفَا، وأسعِدَا، حتَّى خاطبُوا الواحدَ خطابَ الاثنين.

عن الحجَّاجِ: أنَّه كان يقول: يا حرسَيَّ، اضربَا عُنقَه.

لأنّ ﴿لَدَيَّ﴾ صفة على هذا. وقوله: (فهو بدل) فيه بحث؛ لأنّ النكرة إذا كانت بدلًا مِن المعرفة فالنعت.

قوله: (السائق) بدل.

قوله: (خطابًا للواحد) أي: للخازن.

قوله: (كأنّه قيل: أَلْقِ[1] أَلْقِ) ووجه ذلك أنّه حذف الفعل الثاني، ثمّ أُتِيَ بفاعله وفاعلِ الفعل الأوّل على صورة ضمير الاثنين متّصلًا بالفعل الأوّل.

قوله: (أكثر ما يُرافق)...[2] إلخ "أكثر"[3] مبتدأ، خبرُه محذوف. وقوله: (اثنين)[4] مفعول "يرافق"،[5] أي: أكثر مرافقة الرجل اثنين حاصل. وقوله: (وأسْعِدا) الإسعاد: المعاوَنة.

قوله: (يا حَرَسَيَّ[6] اضربا عُنُقَه) الحَرَس -بفتحتين-: حَرَس السلطان، وهم الحُرّاس، الواحد: حَرَسِيّ؛ لأنّه صار اسم جنس فنُسب إليه، ولا تقول:

---

[1] ن: الو.

[2] ن: يوافق.

[3] ن: ألثر.

[4] في بعض مطبوعات الكشّاف: اثنان.

[5] ن: يوافق.

[6] ن: يا حرشي.

وقرأ الحسنُ: "أَلْقِيَنْ" بالنُّون الخفيفة، ويجوز أن تكون الألفُ في ﴿أَلْقِيَا﴾ بدلًا من النُّون إجراءً للوصلِ مَجرى الوقفِ.

﴿عَنِيدٍ﴾: معاندٍ مجانبٍ للحقِّ، مُعادٍ لأهلِهِ.

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥﴾

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: كثيرِ المنعِ للمالِ عن حقوقِه، جُعِل ذلك عادةً له لا يَبذُلُ منه شيئًا قطُّ، أو: مناعٍ لجنسِ الخير أن يصِلَ إلى أهلِه، يحولُ بينه وبينهُم، قيلَ: نزلتْ في الوليد بنِ المُغيرةِ، كان يمنعُ بني أخيهِ مِن الإسلام، وكان يقول: مَن دخل منكم فيه لم أنفعْهُ بخيرٍ ما عشتُ.

﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالمٍ متخطٍّ للحقِّ، ﴿مُرِيبٍ﴾: شاكٍّ في الله وفي دِينهِ.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۝٢٦﴾

﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ مبتدأٌ مضمَّنٌ معنى الشَّرطِ، ولذلكَ أجيبَ بالفَاء، ويجوزُ أن يكون ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ منصوبًا بدلًا من ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾، ويكونُ ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تكريرًا للتَّوكيدِ.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝٢٧﴾

فإن قلتَ: لم أُخلِيتْ هذه الجملةُ من الواوِ، وأُدخلت على الأولى؟

قلتُ: لأنَّها استُؤنفت كما تُستَأنَفُ الجملُ الواقعةُ في حكايةِ التقَاوُلِ،

حارِس إلّا أن تذهب به إلى معنى الحِراسة دون الجِنس، هذا هو المذكور في **الصحاح**،[١] وهو يدلّ على أنّ الحجّاج أطلقه على الواحد لأنّه صار اسم جنس، ثمّ ثنّاه فقال: «يا حَرَسَيَّ» على لفظ التثنية[٢] المضافة إلى ياء المتكلّم عند النداء.

قوله: **(كثير المَنْع للمال)** فـ"الخير" بمعنى المال.[٣]

قوله: **(قلتُ: لأنّها)** أي: لأنّ هذه الجملة.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «حرس».

٢ ف: التثبية.

٣ ن - فـ"الخير" بمعنى المال.

كما رَأيتَ في حكايةِ المُقاوَلةِ بين مُوسى وفرعونَ.

فإن قلتَ: فأين التَّقاوُلُ هاهنا؟

قلتُ: لمَّا قال قرينهُ: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ وتبعه قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ وتلاه: ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ عُلِمَ أنَّ ثَمَّةَ مقاولةً من الكافرِ، لكنَّها طُرِحَت لِمَا يدلُّ عليها، كأنَّه قال: ربِّ هو أطغاني، فقال قرينُه: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾.

وأمَّا الجملة الأولى فواجبٌ عطفُها للدَّلالة على الجمعِ بين معناها ومعنى ما قبلَها في الحصُول؛ أعني: مَجيءَ كلِّ نفسٍ مع الملكَين، وقولَ قرينهِ ما قال له.

﴿مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾: ما جعلتُه طاغيًا، وما أوقعتُهُ في الطُّغيان، ولكنَّه طغى واختارَ الضَّلالة على الهُدَى؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾ [إبراهيم ١٤/٢٢].

﴿قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ۝٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ۝٢٩﴾

﴿قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ﴾ استئنافٌ مثلَ قَوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ كأنَّ قائلًا قال: فماذا قال الله؟ فقيل: ﴿قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ﴾، والمعنى: لا تختَصِمُوا في دار الجزاءِ ومَوقِفِ الحسابِ، فلا فائدةَ في اختِصَامكم، ولا طائِلَ تحتَه، وقد أوعَدْتكم بعَذابي على الطُّغيَان في كُتبي وعلى ألسِنة رُسُلي، فما تركتُ لكم حُجَّةً عليَّ.

ثـمَّ قـالَ: لا تَطمَعُوا أن أبدِّلَ قولي ووعيدِي فأُعفِيَكُم عمَّا أوعَدْتُكم به ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ فأُعَذِّبَ مَن ليس بمُستوجِبٍ للعذابِ.

والباءُ في ﴿بِٱلۡوَعِيدِ﴾ مَزيدةٌ مِثلُها في ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة ٢/١٩٥]، أو مُعَدِّيةٌ على أنَّ "قَدَّمَ" مطاوِعٌ بمعنى: ﴿تَقَدَّمَ﴾.

قوله: (**كأنَّه قال: رَبِّ**) بيان المقاوَلة.

قوله: (**فأُعفيَكم**)[1] يقال: أعْفِنِي عن هذا الأمر، أي: دعني.

---

[1] ن: فأعقبكم.

ويجوزُ أن يقعَ الفِعل على جُملةِ قولِه: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ويكون ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ حالًا؛ أي: قدَّمْتُ إليكم هذا مُلتَبِسًا بالوعيدِ مقترِنًا بهِ، أو قدَّمتُه إليكُم مُوعِدًا لكم به.

فإن قلتَ: إنَّ قولَه: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ﴾ واقعٌ موقِعَ الحالِ من ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟﴾، والتَّقديمُ بالوعيدِ في الدُّنيا، والخصومةُ في الآخرةِ، واجتماعُهما في زمانٍ واحدٍ واجبٌ.

قلتُ: معناهُ: لا تختصِمُوا وقد صحَّ عندَكُم أنِّي قدَّمتُ إليكم بالوعيدِ، وصحةُ ذلك عندَهم في الآخِرة.

فإن قلتَ: كيف قال ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾ على لفظِ المبالغةِ؟

قلتُ: فيه وجهانِ: أنْ يكونَ من قولِك: هو ظالمٌ لعبدِهِ، وظلَّامٌ لعَبيدِه.

وأن يُرادَ: لو عَذَّبتُ مَن لا يستحِقُّ العذابَ لكُنتُ ظلَّامًا مُفرِطَ الظُّلمِ، فنفَى ذلكَ.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾

قُرئ ﴿نَقُولُ﴾ بالنُّون والياءِ، وعن سعيد بنِ جُبيرٍ: **"يومَ يقولُ الله لجهنَّمَ"**، وعن ابنِ مسعُود والحسنِ: **"يُقال"**.

قوله: **(يقع الفعل)** أي: **﴿قَدَّمْتُ﴾**.

قوله: **(ملتبِسًا)** فيكون حالًا مِن المفعول. وقوله: **(أو قدَّمتُه إليكم) فيكون** حالًا مِن الفاعل.

قوله: **(واجتماعُهما)** أي: اجتماع الحال مع فعله العامل فيه الذي قيَّد به.

قوله: **(قُرئ: ﴿نَقُولُ﴾ بالنون والياء)**[1] كلاهما مِن السبعة.[2]

قوله: **(وعن سعيد بن[3] جبير: "يَوْمَ يَقُولُ اللهُ") أي: هكذا قَرأ.**[4]

---

[1] ن: والباء.

[2] قرأ نافع وشعبة عن عاصم بالياء، وقرأ باقي العشرة بالنون. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٧٦/٢.

[3] ن: ابن.

[4] ن: اقرأ. | قراءة شاذّة، وعزاها الكرماني للأعمش. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٤٧.

وانتصابُ "اليوم" بـ"ظلَّامٍ"، أو بمُضمرٍ نحو: "اذكُرْ" و"أنذِرْ"، ويجوزُ أن ينتصِبَ بـ﴿نُفِخَ﴾ [ق ٢٠/٥٠] كأنه قيل: ونُفخ في الصُّورِ يومَ نقولُ لجهنَّمَ، وعلى هذا يُشارُ بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ [ق ٢٠/٥٠] إلى ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ ولا يُقدَّرُ حذفُ المضافِ.

وسؤالُ جهنَّمَ وجوابُها من باب التَّخييلِ الَّذي يُقصَد به تصويرُ المعنى في القلب وتبيينُه.

وفيه معنيان:

أحدُهما: أنَّها تمتلئُ مع اتِّساعها وتباعُدِ أطرافِها حتَّى لا يَسَعُها شيءٌ ولا يزادُ على امتِلائها؛ كقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف ١٨/٧].

والثَّاني: أنَّها من السَّعةِ بحيث يدخلُها مَن يدخلُها وفيها موضعٌ للمزيدِ.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ استكثارًا للدَّاخِلين فيها، واستبداعًا للزِّيادةِ عليهم لفَرْطِ كثرتهم، أو طلبًا للزِّيادةِ غيظًا على العُصَاة.

قوله: (**ويجوز أن ينتصب**)...[١] إلخ يعني: إذا انتصب ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ بـ﴿نُفِخَ﴾ / يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾[٢] إشارةً إلى ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾، فلا يحتاج إلى تقدير حذف المضاف، إذ المعنى حينئذٍ: ذلك اليومَ -أي: يومَ نقول لجهنّم- هو يومُ الوعيد، فيصحّ الحَمْلُ مِن غير التقدير، وأمّا إذا لم يكن منصوبًا بـ﴿نُفِخَ﴾،[٣] ويكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةً إلى النفخ، فلا يصحّ الحمل مِن غير التقدير، فيقال: التقدير: وقتُ ذلك -أي: وقت النفخ- هو يوم الوعيد، كما مرّ في الورق المتقدّم. [٣٧٥و]

قوله: (**استكْثارًا**)[٤] مِن قولهم: اسْتَكْثَره،[٥] أي: عدَّه[٦] كثيرًا.

قوله: (**أو طلَبًا للزيادة**) هذا مناسب للوجه الثاني، والوجهُ الأوّل[٧] للوجه الأوّل.

---

١ ف: يتنصب.
٢ ن - الوعيد.
٣ ن: بفتح.
٤ ن: استكبارًا.
٥ ن: استكبرته.
٦ ن: عدة.
٧ ن - للوجه الثاني، والوجه الأوّل.

و"المزِيدُ": إمّا مصدرٌ كالمحِيد والمَمِيد، وإمّا اسمُ مفعولٍ كالمَبِيع.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ٣١﴾

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ نَصبٌ على الظَّرفِ؛ أي: مكانًا غيرَ بعيدٍ، أو على الحالِ، وتذكيرُه لأنّه على زِنَةِ المصدر كالزَّئير والصَّليل، والمصادرُ يَستوي في الوَصف بها المذكَّرُ والمؤنَّث، أو على حذفِ الموصُوف؛ أي: شيئًا غيرَ بعيدٍ، ومَعناه التَّوكيدُ، كما تقولُ: هو قريبٌ غيرُ بعيدٍ، وعزيزٌ غيرُ ذليلٍ.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ٣٢﴾

قُرئ ﴿تُوعَدُونَ﴾ بالتاء والياءِ، وهي جملةٌ اعتراضيّةٌ.

و﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، بتكرير الجارّ كقولِه: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف ٧/٧٥] و﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى الثَّوابِ، أو إلى مصدر ﴿أُزْلِفَتْ﴾.

قوله: (**كالمَحيد[1] والمَمِيد**)[2] حاد الشيء: مال، يَحيد حَيدًا، وماد[3] الشيء يَميد[4] مَيدًا؛[5] إذا تحرّك.[6]

قوله: (**وإمّا اسم مفعول**) أي: يُقال: هل مَن يُزاد؟[7] كما يُقال: هل مَن يُباع؟

قوله: (**كالزئير[8] والصَّليل**) الزئيرُ:[9] صوت الأسد في صدره، وقد زأَرَ يَزأَر زَأْرًا وزَئيرًا فهو زائر.[10] وصَلّ[11] المِسمارُ وغيره يَصِلُّ صَليلًا، أي: صوَّتَ.

قوله: (**ومعناه**) أي: معنى قوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ سواء نُصب على الظرف أو على الحال.

قوله: (**كقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾** [سبأ ٣٤/٣٢]) ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ﴾ [سبأ ٣٤/٣٢].

---

[1] ن: كالمجيد.
[2] ن: الممبد.
[3] ن: وماذا.
[4] ن: يميدا.
[5] ن: ميد.
[6] انظر: **الصحاح** للجوهري، «حاد» «ميد».
[7] ن: يدداد.
[8] ن: كالربير.
[9] ن: الربير.
[10] **الصحاح** للجوهري، «زأر».
[11] ن: وأصل.

والأَوَّابُ: الرَّجّاعُ إلى ذكرِ الله، والحفيظُ: الحافِظُ لِحدودِه.

﴿مَنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ٣٣﴾

﴿مَنْ خَشِيَ﴾ بدلٌ بعَد بدلٍ تابعٌ لـ"كُلّ"، ويجوزُ أن يكونَ بدلًا عن موصوفِ ﴿أَوَّابٍ﴾ و﴿حَفِيظٍ﴾، ولا يجوزُ أن يكونَ في حُكم ﴿أَوَّابٍ﴾ و﴿حَفِيظٍ﴾؛ لأنَّ "مَن" لا يُوصفُ به، ولا يوصف من بين الموصُولاتِ إلا بـ"الذي" وحدَه.

ويجوزُ أن يكونَ مبتدأً، خبرُه: "يُقال لهم: ادخلوهَا بسلامٍ"؛ لأنَّ ﴿مَنْ﴾ في معنى الجمع.

ويجوزُ أن يكونَ منادًى كقولِهم: "مَن لا يزالُ مُحْسِنًا أَحْسِنْ إليَّ" وحُذِفَ حرفُ النِّداءِ للتَّقريبِ.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حالٌ من المفعولِ؛ أي: خَشيَهُ وهو غائبٌ لم يَعرِفْهُ وكونَه مُعاقِبًا إلا بطريقِ الاستدلالِ. أو صفةٌ لمصدرِ ﴿خَشِيَ﴾؛ أي: خَشِيَهُ خشيةً مُلْتبِسةً بالغيبِ، حيثُ خشيَ عقابَهُ وهو غائبٌ. أو خَشِيَهُ بسببِ الغيبِ الذي أَوْعَدَهُ بهِ من عذابِه. وقيلَ: في الخلوةِ حيثُ لا يراهُ أحدٌ.

قوله: **(بدل)** أي: مِن ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

قوله: **(لأنّ "مَن" لا يوصَف[1] به)**... إلخ يعني: لو كان في حكم ﴿أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ -وهما صفتان لموصوف محذوف- لزِمَ أن يكون "مَن" صفة، و"مَن" لا يكون صفة. ثمّ قرَّر ذلك بقوله: **(ولا يُوصَف)**... إلخ، يعني: لا يقع شيء مِن الموصولات صفةً غيرُ "الذي".

قوله: **(ويجوز أن يكون)** أي: ﴿مَنْ خَشِيَ﴾.

قوله: **(وقيل: في الخَلْوة)** فيكون ظرفًا أو حالًا، أي: وهو غائب عن عيون الناس.[2]

---

١ ن: يصف.

٢ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ أي: يومُ الدخول يومُ الخلود، أي: يومُ تقدير الخلود.

فإن قلتَ: كيف قُرِنَ بالخشيةِ اسمُه الدَّالُّ على سعةِ الرَّحمةِ؟

قلتُ: للثناء البليغِ على الخاشِي، وهو خشيتُه مع علمه أنَّه الواسِعُ الرَّحمةِ، كما أثنى عليه بأنَّه خاشٍ مع أنَّ المخشيَّ عنه غائبٌ، ونحوُه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون ٦٠/٢٣] فوصفَهُم بالوَجَلِ مع كثرةِ الطَّاعاتِ.

﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ وُصِفَ القلبُ بالإنابةِ -وهي الرُّجوعُ إلى الله تَعالى- لأنَّ الاعتبارَ بما ثبتَ منها في القلبِ.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾

يُقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾؛ أي: سالِمينَ منَ العذابَ وزوالِ النِّعم، أو: مُسلَّمًا عليكُم، يُسلِّمُ عليكُم اللهُ وملائكَتُه.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾؛ أي: يومُ تقديرِ الخلُودِ؛ كقوله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر ٧٣/٣٩]؛ أي: مقدِّرينَ الخُلُودَ.

قوله: **(أي: مُقدِّرين الخلود)** هكذا ذكر النحويُّون[١] مِن أنَّ التقدير: مقدِّرِين الخلود؛ لأنَّ الخلود هو المَكْث[٢] المستمرّ الذي لا ينقطع، وهذا لا يتحقَّق إلّا في أزمنة غيرِ متناهية، فلا يكون وقت الدخول خالدين؛ بل يكونون مقدِّرِين ذلك.

ويَرِد في خاطري أنّه لمّا كان الخلود هو الاستمرار المذكور، ولا يتحقّق إلّا في الأزمنة الغير المتناهية؛ كان نِسْبته إلى تلك الأزمنة على السَّوِيّة، ولا يختصّ به زمان دون زمان، ففي أيّ زمان كان يمكن نسبة[٣] الخلود إليه؛ لأنّه مِن تلك الأزمنة؛ إذ لا يَلزم انقراض[٤] الأزمنة لتحقّق معنى الخلود، وإلّا لزِم أن لا يُتصوَّر الخلود. ثمّ في قوله تعالى: ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ شيء آخر، وهو أن يكون المراد باليوم الزمان الممتدّ[٥] الغير[٦] المتناهي الذي هو مِن وقت دخول الجنّة إلى ما لا يَتناهى.[٧]

---

١ ن: النحيون.

٢ ن: المكت.

٣ ف: نسبتُه.

٤ ن: تعراض.

٥ ن: المهتد.

٦ ن: العين.

٧ ن: يتناها.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: هو ما لم يَخطُرْ ببالهم ولم تبلغْهُ أمانيُّهم حتَّى يشاؤوه.

وقيل: إنَّ السَّحابَ يمرُّ بأهلِ الجنَّةِ فيُمطرُهم الحورَ، فتقولُ: نحنُ المزيدُ الذي قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦﴾

﴿فَنَقَّبُوا۟﴾ -وقُرئ بالتَّخفيف-: فخَرقُوا في البلاد ودوَّخُوا، و"التَّنقيب": التَّنقيرُ عن الأَمْرِ والبحثُ والطَّلَبُ، قال الحارثُ بنُ حِلِّزَة:

نَقَّبُوا في البِلادِ من حَذَرِ المَو تِ وجَالُوا في الأَرْضِ كُلَّ مَجَالِ

ودخلتِ الفاءُ للتَّسبيب عن قولِه: ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾؛ أي: شدَّةُ بطشِهم أقدَرَتْهُم على التَّنقيبِ وقوَّتُهم عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: لدينا زيادة على ما يشاءُوه،[١] وهي أشياء لم يخطُر[٢] ببالهم، وإذا لم يَخطُر[٣] ببالهم لا يمكن أن يشاءوه. وقول المصنّف: (حتّى يَشاءُوه) متعلّق بقوله: (يَخطُر)[٤] مِن غير حرف النفي، ثم دخل عليه النفي، فتأمّل.

قوله: (فتقول: نحن)[٥] أي: فتَقول[٦] الحُور:[٧] نحن...

قوله تعالى: ﴿فَنَقَّبُوا۟﴾ قال في الصحاح: «نقَّبوا[٨] في البلاد؛[٩] ساروا / فيها طلبًا للمَهْرب».[١٠] [٣٧٥ظ]

قوله: (ودَوَّخوا) أي: ذَلَّلوا. دوَّخ البلادَ:[١١] قهَرها، واستولى على أهلها.

---

١ ن: يشاءُ.

٢ ف: تخطر.

٣ ن: تخطر.

٤ ن - ببالهم لا يمكن أن يشاءوه، وقول المصنّف: (حتّى يشاءوه) متعلّق بقوله: (يَخطُر).

٥ ن: نحر.

٦ ن: فنقول.

٧ ن: ابحور.

٨ ن: نقبوا.

٩ وفي هامش د:
نقَّبوا في البلاد مِن حذر الموت
وجالوا في الأرض كلّ مَجالِ

١٠ الصحاح للجوهري، «نقب».

١١ عبارة الصحاح للجوهري، «دوخ»: «داخَ البلادَ يَدوخها: قهرها».

ويجوزُ أن يرادَ: فنقَّبَ أهلُ مكَّةَ في أسفارهم ومسَايرهم في بلاد القُرون، فهل رأَوا لهم مَحيصًا حتَّى يؤمِّلُوا مثلَه لأنفسِهم؟ والدَّليلُ على صحَّته قراءةُ مَن قرأ: "فنَقِّبُوا" على الأمرِ؛ كقوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة ٩/٢].

وقُرئ بكسرِ القافِ مخفَّفةً من النَّقَبِ، وهو أن يَنتقِبَ خُفُّ البَعيرِ، قال:

مَـا مَسَّـهـا مـن نَـقَـبٍ ولا دَبَـرْ

والمعنى: فنَقِبتْ أخفافُ إبلِهم، أو حَفِيتْ أقدامُهم ونقِبَتْ كما تنقَبُ أخفافُ الإبلِ لكَثْرة طوفِهم في البلادِ.

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ من اللهِ أو من الموتِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧﴾

﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾؛ أي: قلبٌ واعٍ؛ لأنَّ مَن لا يَعِي قلبُه فكأنَّه لا قلبَ له.

قوله:

(مـا مـسَّـهـا مِـن نـقَـبٍ ولا دَبَـرْ)

أوّله:

أقـسَـم بـالله أبـو حـفْـص عُـمَـر[1]

قوله: (أي: قلبٌ واعٍ؛ لأنَّ مَن لا يَعِي)... إلخ يريد: أنَّ كلَّ إنسان له قلبٌ لا محالةَ، وإنَّما نفَى الله تعالى القلب[2] بفحوى الكلام عمَّن ليس له قلبٌ[3] واعٍ؛

---

[1] سأل عمرُ رجلًا عن إبله، فذكَرَ عَجَفًا ودَبَرًا، فقال عمر: «إنّي لأحسِبها ضِخامًا سِمانًا»، قال: فأتى عليه عمر وهو في إبله يحدوها، وهو يقول:

أقـسَـمَ بـالله أبـو حـفـصٍ عـمَـرْ
مـا إنّ بـهـا مِـن نـقَـبٍ ولا دبَـرْ
فـاغـفِـر لـه الـلّٰـهـمّ إن كـان فـجَـرْ

قال: فقال له عمر: «ما هذا؟» قال: «أميرُ المؤمنين سألني عن إبلي فأخبرته عنها، فزعم أنّه يحسَبها ضِخامًا سِمانًا، وهي كما ترى»، قال: «فإنّي أنا أمير المؤمنين عمر، ائتني في مكان كذا وكذا»، فأتاه فأمر بها فقُبضت، وأعطاه مكانها مِن إبل الصدقة. **مسند الحارث**، ٢/٨٩٥ (٩٧١). | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ أي: فيما ذكر مِن العِبر وإهلاك القُرى لَذِكرى؛ تذكرةٌ وعِظة. **معالم**. | **معالم التنزيل** للبغوي، ٧/٣٦٣ (ق، ٥٠/٣٧).

[2] ف: العلب.

[3] ن: قلب.

و"إلقاءُ السَّمعِ": الإصغاءُ.

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾؛ أي: حاضرٌ بفِطنتِه؛ لأنَّ مَن لا يُحضِرُ ذهنَه فكأنَّهُ غائِبٌ، وقد مَلَّحَ الإمامُ عبدُ القاهِرِ في قوله لبعضِ مَن يأخذُ عنه:

ما شِئتَ مِن زَهْزَهةٍ والفَتَى بِمُضْقَلاباذَ لِسَقيِ الزُّرُوعِ

لأنّ مَن ليس له قلبٌ واعٍ؛ فكأنّه لا قلبَ له؛ لأنّ المقصود مِن القلب هو الحِفظ. وكذا قول المصنّف: **(لأنّ مَن لا يُحْضِر ذِهْنَه)** إشارة إلى أنّ مَن ألقَى[١] السمعَ يكون حاضِرًا لا محالةَ، فإنّ إلقاء[٢] السَّمع -أي: الإصغاءَ مِن الغائب- محالٌ، لكنّ الله تعالى:[٣] ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، أي: حاضر؛[٤] إشارةٌ إلى أنّ مَن لا يَحْضُر بفطْنَتِه فكأنّه غائب. و"الباء" في "بِفِطنَته" يجوز أن يكون للتعدية أو للملابسة. وقوله: **(لأنّ)** متعلّق بمحذوف، أي: لم يُذكر قوله: "واعٍ"؛ بل حُذف، وقال: "لِمَن له قلب" مطلقًا؛ لأنّ مَن ليس له قلب واعٍ فكأنْ لا قلبَ له، فلِذا نفَى القلب عنه مطلقًا. وعَيْتُ الحديثَ[٥] أعِيه وَعيًا؛ حفِظتُه.

قوله: **(وقد مَلّحَ)** يقال: ملَّح الشاعر؛ إذا أتى بشيء مَليح.

قوله: **(مَن يأخُذ عنه)** أي: يستفيد منه، ومفعوله محذوف، أي: يأخذ منه العِلْم.

قوله:

(ما شئت مِن زَهْزَهةٍ والفتى بمَضْقلاباذَ[٦] لِسقْيِ[٧] الزُّروعْ)

"الزَّهْزَهة": التحسين. و"المَضْقلاباذ": مَحلّة بجُرْجان.[٨] و"الفتى": أبو عامر الجُرْجاني. أوّله:

يَجيء مِن فَضْلةٍ[٩] وقتٍ له مجيءَ مَن شاب الهوى[١٠] بالنزوعْ

---

١ ن: للعى.

٢ ن: اللقا.

٣ كذا في النسخ الخطيّة، والظاهر أنّ المعنى: "ولكنّ الله تعالى قال".

٤ ف - أي: حاضر.

٥ ن: الحديث.

٦ ن: مصة اذ.

٧ ن: يسقي.

٨ ن: بحرحا.

٩ ن: فصله.

١٠ ن: الهدى.

أو: وهو مؤمنٌ شاهدٌ على صحَّتِه وأنَّهُ وحيٌ مِن اللهِ.

أو: وهو بعضُ الشُّهداءِ في قولِه: ﴿لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة ١٤٣/٢].

وعن قتادةَ: وهو شاهدٌ على صدقِهِ من أهلِ الكتابِ لوجُود نعتِهِ عنده.

وقرأ السُّدِّي وجماعةٌ: "أُلقِي السَّمعُ" على البناءِ للمفعول، ومعناه: لمن أَلْقَى غيرُه السَّمْعَ وفتَحَ له أذُنَه فحَسْبُ ولم يحضِرْ ذهنَه، وهو حاضرُ الذِّهنِ متفطِّنٌ.

ثُمَّ تَرى جَلْسَةً[١] مُسْتَوْفِزٍ[٢] قد شُدِّدَتْ أحمالُه بالنُّسُوعْ[٣]

قوله: "بالنزوع": أي: بالكفِّ مِن المعاصي. يقال: نزَع عن الأمر نُزوعًا، ونازَعَتِ النفسُ إلى الأمر نِزاعًا.[٤] واستوفَزَ في قِعْدَته؛ قعَد مُنتَصبًا غيرَ مطمئِنّ.[٥] والوَفْزُ والوَفَزُ: العَجَلة، والجمع: أوفاز، يقال: نحن[٦] على أوفاز، أي: على أسفارٍ.[٧] والنِّسْعة: هي التي تُنسَج عريضًا للتصدير، والجمع: نِسْع ونِسَع وأنْساع.[٨]

قوله: (على صِدقه)[٩] أي: صِدقِ القرآن. وقوله: (مِن أهل الكتاب) أي: هو مِن أهل الكتاب.[١٠]

قوله:[١١] (لِمَن أَلقى غيرُه) فعلى هذا لا يكون ضميرٌ عائدٌ إلى الموصول في قوله: "أُلْقِيَ السَّمْعُ"،[١٢] وإنّما يكون الضمير فيما عُطف عليه، وهو قوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، ومثله جائز، ويَقرُب منه ما أورده المصنّف في باب "ما أُضمِر عامِلُه على شريطة التفسير" مِن المفصَّل،[١٣] وهو قوله: «أَزَيدًا[١٤] ضربتَ عَمرًا وأخاه،[١٥]

---

١ ن: حلشه.

٢ ن: مستوقر.

٣ للشيخ عبد القاهر الجُرجاني يصف بعضَ تلامذته بقلّة الرغبة في تحصيل العلم، وعدمِ حضور قلبه وقتَ القراءة. الكشكول للهمذاني، ٢١٩/١.

٤ في الصحاح للجوهري، «نزع»: «نَزَعَ عن الأمر نُزوعًا؛ انتهى عنه. ونازَعَتِ النفسُ إلى كذا نِزاعًا، أي: اشتاقَت».

٥ المُغرب للمطرّزي، «وفز».

٦ ن: نحر.

٧ الصحاح للجوهري، «وفز».

٨ الصحاح للجوهري، «نسع».

٩ ن: صدفه.

١٠ ن - وقوله: (مِن أهل الكتاب) أي: هو مِن أهل الكتاب.

١١ ن: وقوله.

١٢ وهي قراءة شاذّة، مرويّة كذلك عن أبي البرهسم وأبي حيوة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٤٧.

١٣ المفصّل للزمخشري، ص ٧٦.

١٤ ف: أريدًا.

١٥ ن: أو أخاه.

وقيلَ: أُلقِيَ سَمعُه أو السَّمعُ منه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾

"اللُّغوبُ": الإعياءُ، وقُرئ بالفتحِ بزِنةِ القَبُولِ والوَلُوعِ.

قيل: نزلتْ في اليهودِ -لُعنَتْ- تكذيبًا لقولهم: خلقَ اللهُ السَّماوات والأَرضَ في ستَّةِ أيَّامٍ؛ أوَّلُها الأحد وآخِرُها الجمعةُ، واستراحَ يوم السَّبتِ واستلقَى على العرشِ.

وقالُوا: إنَّ الَّذي وقع من التَّشبيهِ في هذه الأمَّةِ إنَّما وقَعَ من اليهودِ، ومنهم أُخِذَ.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فاصبِرْ على ما يقول اليهودُ ويأتون به من الكفرِ والتَّشبيهِ.

وقيل: فاصبِرْ على ما يقولُ المشركونَ مِن إنكارِهم البَعثَ، ....

وأَزَيدًا[١] ضربتَ رجُلًا يحبُّه[٢] لأنّ الآخِر ملتبِس بالأوّل بالعطف أو بالصفة»، فقوله: "لأنّ الآخِرَ" إشارة إلى أنّه وإن لم يكن ضمير في "عمرًا" و"رجلًا" لكن وُجد في العطف والصفة، فكفى / ذلك. [٣٧٦و]

قوله: (وقيل: أُلْقِيَ سَمْعُه)... إلخ يعني: يكون اللام بدلًا مِن الإضافة، أو[٣] يكون في الكلام حذف، وهو الظرف[٤] المشتمِل على الضمير.

قوله: (والوَلوع) أُولِعتُ بالشيء -بالعين المهمَلة- أُولَعُ به وَلوعًا؛ بفتح الواو، ورجل وُلَعة[٥] بما لا يَعنيه.[٦]

---

١ ن: وأرتدا.
٢ ن: تحبّه.
٣ ن: أن.
٤ ف: الطرف.
٥ ن: ولعت.
٦ مجمل اللغة لابن فارس، ص ٩٣٧.

فإنَّ مَن قَدَرَ على خَلقِ العالَم قدرَ على بعثِهم والانتقامِ منهم.

وقيل: هي منسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ.

وقيلَ: الصَّبرُ مأمورٌ به في كلِّ حالٍ.

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: حامدًا ربَّكَ، والتَّسبيحُ محمُولٌ على ظاهِره وعلى الصَّلاةِ، فالصلاةُ ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: الفجرُ، ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾: الظهرُ والعصرُ، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾ العِشاءان، وقيل: التهجدُ.

﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾: التَّسبيحُ في آثار الصَّلواتِ، والسُّجودُ والركوعُ يُعبَّر بهما عن الصَّلاة.

وقيل: النَّوافلُ بعد المكتوباتِ، وعن عليٍّ رضيَ الله عنه: الركعتان بعد المغرب.

ورُوي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن صلَّى بعد المغربِ قبل أن يتكلَّمَ كُتبتْ صلاتُه في عِلِّيينَ».

وعن ابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنه: الوِتر بعدَ العِشاءِ.

و"الأدبارُ": جمع دُبُرٍ، وقُرئ: ﴿وإدبارَ﴾؛ من أدبرتِ الصَّلاةُ: إذا انقضتْ وتمَّت، ومعناه: ووقتَ انقضاءِ السُّجودِ؛ كقولهم: آتيكَ خُفوقَ النَّجمِ.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾

قوله: (فإنَّ مَن قَدَر) إشارة إلى أنّ الفاء في ﴿فَٱصْبِرْ﴾ لترتّب الأمر بالصبر على خلق المذكورات.

قوله: (يعبّر بهما عن الصلاة) فيكون معنى ﴿أَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ أدبارَ الصلوات، أي: التسبيحَ في آثار الصلوات.

قوله: (خُفوقَ النجم) أي: وقتَ[1] خُفُوق النجم.

---

[1] ن: وقتِ.

﴿وَٱسۡتَمِعۡ﴾ يعني: واستمِعْ لِمَا أخبرُكَ به من حالِ يومِ القيامةِ، وفي ذلكَ تهويلٌ وتعظيمٌ لشأنِ المخبَرِ بهِ والمحدَّثِ عنه، كما يُروى عن النَّبيّ عليه السَّلام أنَّه قال سبعةَ أيَّامٍ لمعاذِ بنِ جبلٍ: «يا معاذ، اسمعْ ما أقولُ لك»، ثمَّ حدَّثهُ بعدَ ذلك.

فإن قلتَ: بِمَ انْتَصَبَ اليومُ؟

قلتُ: بما دَلَّ عليه ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾؛ أي: يومَ يُنادِي المنادِي يخرجُون من القبورِ، و﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ﴾ بدلٌ من ﴿يَوۡمَ يُنَادِ﴾.

و﴿ٱلۡمُنَادِ﴾: إسرافيلُ، ينفخ في الصُّورِ وينادِي: أيَّتُها العِظام البَاليةُ والأوصالُ المتقطِّعةُ واللُّحوم المتمزِّقةُ والشُّعُور المتفرِّقَةُ، إنَّ الله يأمركُنَّ أن تجتمعْنَ لفَصْلِ القضاءِ.

وقيل: إسرافيلُ يَنفخُ وجبريل يُنادِي بالحَشرِ.

﴿مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾: من صخرةِ بيتِ المَقْدِسِ، وهي أقربُ الأرضِ من السَّماءِ باثني عشَرَ ميلًا، وهي وسَطُ الأرضِ.

وقيل: من تحتِ أقدامِهم.

وقيل: من منابتِ شُعورهم يُسمَعُ من كلِّ شعرةٍ: أيَّتها العِظام البَاليةُ.

و﴿ٱلصَّيۡحَةَ﴾: النَّفخةُ الثَّانيةُ.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿ٱلصَّيۡحَةَ﴾، والمرادُ به: البَعث والحشرُ للجزاءِ.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٣ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ۝٤٤﴾

قُرئ: ﴿تَشَقَّقُ﴾ و: ﴿تَّشَّقَّقُ﴾ بإدغام التَّاء في الشِّين، و: "تُشقَّقُ" على البناء للمفعول، و: "تَنشقُّ".

قوله: **(يعني: واستمعْ لِما أُخبرك)**[١] فيكون معموله محذوفًا.

---

[١] ن: أخبَرك.

﴿سِرَاعًا﴾ حالٌ من المجرور.

﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ تقديمُ الظَّرفِ يدلُّ على الاختصاص، يعني: لا يتيسَّر مثلُ ذلك الأَمْرِ العظيمِ إلا على القادِرِ الذَّاتِ الَّذي لا يَشغَلُه شأنٌ عن شأنٍ، كما قال: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان ٢٨/٣١].

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تهديدٌ لهم وتسليةٌ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

﴿بِجَبَّارٍ﴾ -كقوله: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية ٢٢/٨٨]- حتَّى تَقسِرَهُم على الإيمان، إنما أنت داعٍ وباعثٌ.

وقيل: أُريدَ التَّحلُّمُ عنهم وتركُ الغِلظةِ عليهم.

ويجوز أن يكونَ من "جَبَره على الأَمْرِ" بمعنى: أجبرَهُ؛ أي: ما أنتَ بوَالٍ عليهم تُجبرُهم على الإيمانِ، و"على" بمنزلتهِ في قولك: هو عَليهم، إذا كان وَاليَهم ومالكَ أمرِهم.

﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات ٤٥/٧٩] لأنَّه لا ينفعُ إلَّا فيه، دون المُصرِّ على الكُفرِ.

قوله:[١] (القادرِ الذاتِ) إشارة إلى مذهبه، وهو أنَّ الصفة ليست زائدة على الذات.

قوله: (كما قال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ﴾ [لقمان ٢٨/٣١])... إلخ أي: خَلْقُكم كخَلق نفسٍ واحدةٍ، وبَعْثُكم كبعثِ نفسٍ واحدةٍ؛ وذلك لأنَّه لا يَشغَلُه شأن عن شأن، فلا يَشغلُهُ خَلْق نفْسٍ عن خَلْقِ نفسٍ أخرى، ولا بَعثُ نفسٍ عن نفسٍ أخرى.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية ٢٢/٨٨]) ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية ٢٢/٨٨].

---

١ ن: فوله.

عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأَ سورةَ ق هوَّنَ الله عليه تاراتِ الموتِ وسَكَراتِه».

قوله: («**تاراتِ الموتِ**»)[١] أي: غَشَيات الموت، تأخُذُه تارةً، وتتركُه أُخرى.

تمّت السورة بتوفيق[٢] الله تعالى.[٣]

---

١ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٤١٨/٢٤؛ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٦٢/٤. وهو جزء مِن الحديث المَروي عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: **الموضوعات** لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٢ ن: بحمد.

٣ ف – تمّت السورة بتوفيق الله تعالى.

سورة والذاريات

مكيَّة، وهي ستُّون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾

"الذَّارياتُ": الرِّياحُ؛ لأنَّها تذرُو التُّرابَ وغيرَه، قال الله تعالى: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف ٤٥/١٨]، وقُرئ بإدغامِ التَّاءِ في الذَّال.

سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: (**لأنَّها تَذْرُو**)[٢] ذَرَت الريح الترابَ تَذْروه[٣] ذَرْوًا؛ سَفَتْه، ومنه قولهم: ذَرَّى الناسُ الحِنطةَ.[٤]

ابن عمر:[٥] «الرياح ثَمان؛ أربع منها عذاب، وأربع منها رحمة؛ أمّا الرحمة: فالناشرات، والمبشِّرات، والذاريات، والمرسَلات. وأمّا العذاب: فالعاصِف، والقاصِف، والصَّرْصَر، والعَقيم»، يريد ما في **القرآن**.

واجتمعت العرب على أنّ الرياح أربع: الشَّمال، ومَهَبُّها[٦] مِن بنات النَّعْش إلى مَطلع الشمس. والدَّبُور، ومَهبُّها مِن مَطلِع[٧] الشمس[٨] إلى مَطلِع سُهيل.

---

١ ف ن - وبه نستعين.

٢ ن: تدور.

٣ ن: تذوره.

٤ **الصحاح** للجوهري، «ذرا».

٥ كذا في النسخ الخطّيّة، وهو عن ابن عمرو رضي الله عنهما في **العظمة** لأبي الشيخ، ١٣٠٥/٤؛ و**شرح السنة** للبغوي، ٣٩٤/٤؛ و**الدرّ المنثور** للسيوطي، ٣٩٧/١.

٦ ن: ومهمها.

٧ ن: مطع.

٨ ن: الشمع.

و"الحاملاتُ وِقرًا": السَّحابُ؛ لأنَّها تحملُ المطرَ، وقُرئ: "وَقرًا" بفتح الواو على تسميةِ المحمُولِ بالمصْدرِ، أو على إيقاعِه موقعَ "حملًا".

و"الجارياتُ يسرًا": الفُلكُ. ومعنى ﴿يُسْرًا﴾: جريًا ذا يُسرٍ؛ أي: ذا سهولةٍ.

و"المقسِّماتُ أمرًا": الملائكةُ؛ لأنَّها تُقسِّمُ الأمورَ مِن الأمطارِ والأرزاقِ وغيرِها، أو تفعلُ التَّقسيمَ مأمورةً بذلك.

وعن مجاهد: تتولَّى تقسيمَ أمرِ العبادِ: ....

والجَنوب، ومَهبُّها مِن مَطلِع سُهَيل إلى مَغرِب الشمس. والصَّبا، ويُقال له: القَبُول، ومَهبُّها مِن مَغرب الشمس إلى بنات نَعْش.

قوله: (﴿وِقْرًا﴾) أي: ثِقلًا. الوِقْرُ: الحِمْل، والجَمع: الأَوقار.[١] ومَن قال: "السَّلَم[٢] في الحَطَب أوقارًا أو أحمالًا"،[٣] إنّما جَمع بينهما لأنّ[٤] "الحِمل" عامّ، و"الوِقْر" أكثر ما يُستعمل في حِمْل البَغل والحِمار، كالوَسْقِ في حِمل البعير.[٥]

قوله: (وقُرئ: "وَقْرًا") شاذّ.[٦]

قوله: (على تسمية المحمول بالمصدر) فـ﴿وِقْرًا﴾[٧] يكون منصوبًا على أنّه مفعول به، كما هو في الوجه الأوّل كذلك.

قوله: (أو على إيقاعه مَوقع حَمْلًا) فهو منصوب[٨] على المصدر.

قوله: (لأنّها تَقْسِم الأمور)... إلخ ﴿أَمْرًا﴾[٩] على الأوّل مفعول به، وهو واحد الأمور. وعلى[١٠] / الثاني حال، واحد الأوامر، و﴿ٱلْمُقَسِّمَٰتِ﴾ جارية مَجرى اللازم. وقوله: (تتولّى) أي: الملائكة. [٣٧٦ظ]

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «وقر».

٢ ن: السلام.

٣ انظر: **الأصل** للشيباني، ٣٨٩/٢.

٤ ن: أنّ.

٥ **المُغرب** للمطرّزي، «وقر».

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة بن مصرّف. انظر: **الدرّ المصون** للسمين الحلبي، ٥٧٨/٤ (الذاريات، ٥١/٢).

٧ ن: فهو قرأ.

٨ ن: نصب.

٩ ن: أمر.

١٠ ن: على.

جبريلُ للغِلظة، وميكائيلُ للرَّحمة، وملكُ الموتِ لقبضِ الأرواحِ، وإسرافيلُ للنَّفخِ.

وعن عليٍّ رضيَ الله عنه أنَّه قالَ وهو على المِنبر: سَلُوني قبلَ أن لا تسألُوني، ولن تَسألُوا بَعدِي مِثلِي، فقامَ ابنُ الكَوَّاءِ فقال: ما الذَّارياتُ؟ قال: الرِّياحُ، قال: فالحامِلاتُ وِقرًا؟ قال: السَّحابُ، قال: فالجارياتُ يُسرًا؟ قال: الفُلكُ، قال: فالمقسِّماتُ أمرًا؟ قال: الملائكةُ. وكذا عن ابنِ عبَّاسٍ.

وعن الحسنِ رضي الله عنه: "المقسِّماتُ" السَّحابُ يَقسِمُ الله بها أرزاقَ العِبادِ. وقد حُملتْ على الكواكبِ السَّبعةِ.

ويجوزُ أن يُرادَ الرِّياحُ لا غيرُ؛ لأنَّها تُنشئُ السَّحابَ وتُقِلُّهُ وتُصرِّفُه، وتَجري في الجَوِّ جَرْيًا سهلًا، وتُقسِّمُ الأمطارَ بتصريفِ السَّحابِ.

قوله: (**جبرئيل عليه السلام**)[1] مبتدأ، (**للغِلْظة**) خبره، وكذا إعراب ما بعده مِن الجمل، وهذه الجمل بيان "تتولَّى"... إلخ.

قوله: (**قبلَ**[2] **أنْ لا تسألوني**) أي: قبل أن لا يُمكِنَكم[3] سؤالي. يريد موتَه.

قوله: (**وقد حُملت**) أي: ﴿ٱلْمُقَسِّمَٰتِ﴾.

قوله: (**ويجوز أن يُراد الرياح**) أي: بالجميع.[4]

قوله: (**لأنّها تُنشِئ**) نشَأَت السحابة: ارتفعتْ، وأنشأتْها الريح: رفَعَتْها.

واعلم أنّ المصنّف لمّا أراد أن يبيّن أنّ المراد بالجميع:[5] الرياح؛ تركَ بيانَ أنّه يجوز أن يُراد بـ﴿ٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ الرياح؛[6] لأنّ ذلك ظاهر قد عُلم ممّا مرّ، ولا كلامَ فيه، وإنّما الكلام في البواقي، فبيّن بقوله: (**لأنّها تُنشِئ السحاب وتُقِلُّه وتُصرِّفُه**) أنّه يجوز أن يُراد الرياح بـ﴿ٱلْحَٰمِلَٰتِ﴾، والباقيان ظاهران على ما بيّن. ويدلّ على ما ذكرنا قوله: "وأمّا على الثاني"... إلخ. وقوله:[7] "تُقِلُّه"[8] أي: ترفعه.

---

١ ف ن - عليه السلام.
٢ ن: قيل.
٣ ن: يمكبكم.
٤ ف ن: بالجمع.
٥ ن: بالجمع.
٦ ن - ترك بيانَ أنّه يجوز أن يُراد بـ﴿ٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ الرياح.
٧ ن: قوله.
٨ ن: نقله.

فإن قلتَ: ما معنى الفاءِ على التَّفسيرَين؟

قلتُ: أمّا على الأوَّل فمعنى التَّعقِيبِ فيها: أنَّه تعالى أقسمَ بالرِّياح، فبِالسَّحابِ الَّذي تَسوقُه، فبِالفُلك التي تُجرِيها بهُبوبها، فبِالملائكة التي تَقسِمُ الأرزاقَ بإذنِ الله من الأمطارِ وتجاراتِ البَحرِ ومنافعه، وأمَّا على الثاني فلأنها تَبتدئُ في الهُبوبِ فتَذرُوا التُّرابَ والحَصباءَ، فتُقِلُّ السَّحابَ، فتَجري في الجَوِّ بَاسطَةً له، فتُقسِّمُ المطرَ.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝﴾

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ جوابُ القَسَمِ، و"ما" موصولةٌ أو مصدريةٌ، والموعُودُ: البَعثُ، و"وَعدٌ صادقٌ": كعِيشةٍ راضيةٍ، و"الدِّينُ": الجزاءُ، و"الواقعُ": الحاصِلُ.

قوله: (**قلتُ: أمّا على الأوّل فمعنى التعقيب**)... إلخ أي: معنى الترتيب[١] أنّه تعالى ذكرَ أوّلًا الريحَ التي تُجري السحابَ، وذكرَ بعدها السحابَ الذي يُجريه الريح، ثمّ ذكرَ الفلك التي تُجريها الريح، لكن أخّرها عن ذكر السحاب لأنّ ظهور القدرة في السحاب أعظم،[٢] وذكرَ بعد السحاب والفلك الملائكةَ الذين يَقْسِمون الأرزاق مِن الأمطار والتجارات في البحر. وقوله:[٣] (**أقسَمَ**) أي: حلَفَ.

قوله: (**وأمّا على الثاني فلأنّها**)... إلخ تقديم ما قدَّم لتقدّمها[٤] بحسب الرتبة في **الأوّل**، وبحسب الزمان في **الثاني**، قال رحمه الله:[٥] يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [فاطر ٩/٣٥].

قوله: (**أو مصدريّة**) إذا كان "ما" مصدريّة يكون التقدير: إنّ وَعْدَكم صادق، فبيّن أنّه مِن قَبيل "ذي كذا"؛ إذ[٦] الصادق: الواعِدُ، وينبغي أن يقال مثلُ ذلك فيما إذا كان "ما" موصولة؛ لأنّ الموعود لا يكون صادقًا؛ بل الواعِدُ.

قوله: (**ووعْدٌ صادق**) أي: ذو صِدق.

---

١ ف: الترتب.
٢ ن: أعلم.
٣ ن: قوله.
٤ ن: ليقدّمها.
٥ ف ن: رضي الله عنه.
٦ ف ن: إذا.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۞ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۞﴾

﴿ٱلْحُبُكِ﴾: الطَّرائق؛ مثلُ حُبُكِ الرَّملِ والماءِ إذا ضَربتْهُ الرِّيحُ، وكذلك حُبُكُ الشَّعرِ: آثارُ تثنِّيهِ وتكسُّرِه؛ قال زهير يصفُ غديرًا:

مُكَلَّلٍ بِأُصُولِ النَّجْمِ تَنْسِجُهُ ... رِيحٌ خَرِيقٌ لِضَاحِي مَائِهِ حُبُكُ

والدِّرْعُ محبوكةٌ لأنَّ حَلَقَها مُطرَّقٌ طَرائقَ، ويقال: إن خِلقةَ السَّماءِ كذلكَ.

وعن الحسنِ: حُبُكُها: نُجومُها، والمعنى: أنَّها تُزيِّنُها كمَا تُزيِّنُ المَوشيَّ طرائقُ الوَشْيِ.

وقيل: حُبُكها: صَفَاقَتُها وإحكَامُها، من قولِهم: فرسٌ محبوكُ المعَاقِم؛ أي: مُحكَمُها، وإذا أجادَ الحائكُ الحياكةَ قالوا: ما أحسنَ حُبُكَه!

وهو جمعُ "حِباكٍ" كمِثالٍ ومُثُلٍ، و"حَبيكة" كطَريقةٍ وطُرُقٍ.

وقُرِئ: "الحُبْكِ" بوزن القُفْلِ، و: "الحِبْكِ" بوزن السِّلْكِ، و: "الحَبَكِ" بوزن الجَبَلِ، و: "الحُبَكِ" بوزن البُرَقِ، و: "الحِبَكِ" بوزن النِّعَمِ، و: "الحِبِكِ" بوزن الإِبِلِ.

قوله: (قال زهير:

مكَلَّلٌ بأصول النجم تنسِجُه ... ريحٌ خَرِيقٌ[1] لِضاحي[2] مائه حُبُكُ)[3]

رَوضةٌ مُكَلَّلة؛ إذا حُفَّتْ بالنَّور.[4] والنجم مِن النبات: ما لم يَقُم على ساق. والريح الخَريق:[5] الباردة شديدة الهُبوب. والضاحي:[6] البارز، وضاحية كلِّ شيء: الناحية البارزة منه، ويُقال: هم يَنزلون بالضواحي، ومكانٌ ضاحٍ:[7] بارزٌ.[8]

قوله: (المَعاقِم) أي: المَفاصل. معاقم الفَرَس: مَعاقِد أرْساغِها، واحدها: مَعْقِم.

قوله: (البُرَق) جمع: بُرْقة، وهي أرض فيها حجارة.

---

١ ن: حريق.
٢ ن: يضاحي.
٣ ن: حبل. | انظر: **شرح شعر زهير** لثعلب، ص ١٣٤.
٤ **الصحاح** للجوهري، «كلل». والنَّور -بالفتح-: الزَّهر. انظر: **الصحاح** للجوهري، «نور».
٥ ن: الحريق.
٦ ن: وايضاحي.
٧ ن: صاح.
٨ **الصحاح** للجوهري، «ضحا».

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قولُهم في الرَّسُولِ: ساحرٌ وشاعرٌ ومجنونٌ، وفي القرآن: شِعرٌ وسِحرٌ وأساطيرُ الأوَّلينَ.

وعن الضحَّاكِ: قولُ الكفرةِ لا يكون مُستويًا، إنَّما هو متناقِضٌ مختلِفٌ.

وعن قتادة: منكم مصدِّقٌ ومكذِّبٌ ومُقِرٌّ ومنكِرٌ.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ الضميرُ للقرآنِ أو للرَّسولِ؛ أي: يُصْرَفُ عنهُ مَن صُرِفَ، الصَّرفَ الذي لا صَرْفَ أشدُّ منه وأعظمُ؛ كقوله: لا يَهلِكُ على الله إلَّا هالكٌ.

وقيل: يُصرَفُ عنه مَن صُرِفَ في سَابق عِلم الله؛ أي: عَلِم فيما لم يَزَلْ أنّه مأفوكٌ عن الحقِّ لا يَرعَوي.

ويجوزُ أن يكونَ الضميرُ لـ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ أو لـ﴿ٱلدِّينَ﴾، أقسَم بالذَّارياتِ على أنَّ وقوعَ أمرِ القيامةِ حقٌّ، ثمَّ أقسمَ بالسَّماءِ على أنَّهم في قولٍ مُختلِفٍ في وقوعِه:

قوله: (لا يكون مستويًا) لأنّهم لمّا عَدَلوا عن الحقّ لم يستقرُّوا على أمر واحد؛ بل تختلف أقوالهم كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق ٥٠/٥].

قوله: (الصرفَ الذي)... إلخ يشير به إلى أنّه لمّا حذف صلة ﴿أُفِكَ﴾ -أي: متعلَّقُه- دلّ على / تعميم المَصروف عنه؛ لأنّ حذف المفعول يكون كذلك، أي: [٣٧٧و]
صُرِف عن الخير والبِرّ والثواب والنجاة والفلاح إلى غير ذلك، فلذلك قال: (الصَّرْفَ الذي لا صرفَ أشدّ منه). ثمّ اعلم أنّه يجوز في "أشدّ" الرفع والنصب، فإن رفعتَه فإمّا أن يكون خبرًا أو صفة تابعةً للمَحلّ، وإن نَصبتَه -أي: فتحتَه- يكون صفة تابعة للّفظ، وعلى هذا يكون الخبر محذوفًا. وقوله:[١] (على الله) أي: على سَعة رحمة الله.

قوله: (لا يَرْعوي) أي: لا يَنزجِر.

قوله: (أقسَم بـ"الذاريات") هذا تقرير المعنى مِن أوّل السورة إلى هنا على هذا الوجه.

---

[١] ن: قوله.

فمنهم شَاكٌّ، ومِنهم جاحدٌ، ثمَّ قال: يُؤفكُ عن الإقرارِ بأمرِ القيامةِ مَن هو المأفوكُ.

ووجهٌ آخرُ: وهو أن يرجِعَ الضميرُ إلى ﴿قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾، و"عن" مِثْلُه في قوله:

يَـــنْـــهَـــونَ عـــن أكـــلٍ وعـــن شُـــربِ

أي: يَتناهَون في السِّمَن بسببِ الأكلِ والشُّربِ، وحقيقتُه: يَصدُرُ تَناهِيهِم في السِّمَن عنهما، وكذلك يَصدرُ إفكُهم عن القولِ المختلِفِ.

قوله: **(فمنهم شاكّ، ومنهم جاحد)** الشاكّ: مَن يتردّد فيه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف ٣٦/١٨]، والجاحد: مَن يُنكره مِن أصله، كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ [التغابن ٧/٦٤]. أو نقول: الشاكّ: مَن يُنكره لعدم علمه به، والجاحد: مَن ينكره[١] مع علمه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل ١٤/٢٧]، لكنّ المناسب لقوله تعالى: ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ هو المعنى الأوّل.

قوله: **(ووجه آخَر)** أي: وهنا وجه آخر.[٢]

قوله: **(وعن مِثله في قوله)** أي: على هذا الوجه.

قوله:

(يَـنـهَـون عـن أكـلٍ وعـن شُـربِ)[٣]

جَملٌ ناهٍ[٤] إذا كان عريقًا في السِّمَن. والضمير مِن قوله: "يَنهَون" يعود إلى جماعة عقلاء مِن الرجال. ومَن ظنّ أنّ الضمير للنُّوق أخطأ، فإنّه لو كان كذلك لَوجَب أن يُقال: يَنهَين، فتدبَّر، سواء كان يائيًّا أو واويًّا. والمصنّف أشار إلى أنّ الضمير[٥] للعقلاء المذكورين في موضعَين مِن تركيبه. فوَزْن "يَنهَون": يَفْعَوْنَ،[٦] ووزن "يَتناهَوْنَ": يَتفَاعَون. وقوله: **(عنهما)** أي: عن الأكل والشرب.

---

١ ن: ينكر.

٢ ف ن - آخر.

٣ صدره:

يَـمـشـون دُسْـمًـا حـولَ قُـبَّـتِـهِ

وهو بغير نسبة في **لسان العرب** لابن منظور، «نهي».

٤ ن: ناة.

٥ ن - فتدبَّر، سواء كان يائيًّا أو واويًّا، والمصنّف أشار إلى أنّ الضمير.

٦ ن: يعفون.

وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: "يُؤفَكُ عنه مَن أَفَكَ" على البناءِ للفاعلِ؛ أي: مَن أفَكَ النَّاسَ عنه، وهم قريشٌ، وذلك أنَّ الحيَّ كانوا يَبعثُون الرَّجلَ ذا العقلِ والرَّأيِ ليسألَ عن رسولِ الله، فيقولُون له: احذَرْهُ، فيرجعُ فيخبرُهم.

وعن زيدِ بنِ عليٍّ: "يَأفِكُ عنه مَن أُفِكَ"؛ أي: يصرفُ النَّاسَ عنه مَن هو مأفوكٌ في نفسِه.

وعنه أيضًا: "يأفِكُ عنه مَن أَفَّكَ"؛ أي: يَصرِفُ النَّاسَ عنه مَن هو أفَّاكٌ كذابٌ.

وقُرئ: "يؤفَنُ عنه مَن أُفِنَ"؛ أي: يُحرَمُهُ مَن حُرِمَ، مِن أَفَنَ الضَّرعَ: إذا نَهِكَهُ حَلبًا.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ دعاءٌ عليهم؛ كقوله: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس ١٧/٨٠] وأصلُه: الدُّعاءُ بالقتلِ والهلاكِ، ثم جَرى مجرى لُعِنَ وقُبِحَ.

و﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾: الكذَّابون المُقدِّرون ما لا يَصحُّ، وهم أصحابُ القولِ المختلِفِ، واللامُ إشارةٌ إليهم، كأنَّه قيل: قُتِلَ هؤلاءِ الخرَّاصون، وقرئ: "قَتَلَ الخرَّاصين"؛ أي: قتلَ اللهُ.

قوله: (**وذلك أنَّ الحيَّ**) "ذلك" إشارة إلى أنّه كيف أفَكَ[١] قريش الناسَ.

قوله: (**ليسأل عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**)[٢] أي: عن أمره وشأنه صلّى الله عليه وسلّم.[٣]

قوله: (**إذا نَهِكَهُ**)[٤] أي: أضعفه.

قوله: (**و"اللام" إشارة إليهم**) أي: "اللام"[٥] للعهد.[٦] وقد تقدَّم أنَّ لام العَهد لا يلزم أن يكون بعد تقدّم ذلك اللفظ بعينه؛ بل يجوز إذا كان المعنى واحدًا،

[١] ن: أفل.
[٢] د: عليه السلام.
[٣] د: عليه السلام.
[٤] ن: نهله.
[٥] ف: للام
[٦] ف: العهد.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٖ سَاهُونَ ⑪﴾

﴿فِي غَمْرَةٖ﴾: في جهلٍ يَغمرُهم ﴿سَاهُونَ﴾: غافلُون عمّا أمِرُوا به.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ⑫ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ⑬ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ⑭﴾

﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ فيقولون: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: متى يومُ الجزاءِ؟ وقُرئ بكسر الهمزة، وهي لغةٌ.

فإن قلتَ: كيف وقعَ ﴿أَيَّانَ﴾ ظرفًا لليوم، وإنّما تقعُ الأحيانُ ظرُوفًا للحَدَثانِ؟

قلتُ: معناه: أيّانَ وقوعُ يومِ الدِّين.

فإن قلتَ: فبِمَ انتصبَ اليومُ الواقعُ في الجوابِ؟

قلتُ: بفعلٍ مُضمرٍ دلَّ عليه السُّؤالُ؛ أي: يقعُ يومَ هُم على النَّار يُفتنون،

كقولك: "مَرَرتُ ببني تميم فلم يَقروني، والقوم لِيام"،[١] فإنّ "اللام" في "للقوم"[٢] لام العهد مع أنّه لم يتقدَّم ذكر القوم؛ لأنّ "القوم"[٣] هنا عبارة عن "بني تميم"، ومثله كثير في القرآن.

قوله: **(وإنّما يقع الأحيان ظروفًا[٤] للحَدَثان)** أي: لا يقع ظرف الزمان خَبرًا إلّا عن الحَدَث، لا يقال: "زَيد يومَ الجمعة"، وإن جاز "زيد في الدار" مثلًا، ولذلك ذكَر النَّحويُّون في قولك: "خرجت فإذا السَّبُع"، أنّه لا يجوز أن يكون "السَّبُع" مبتدأ و"إذا" خبره؛ لأنّ الزمان لا يقع[٥] خبرًا عن الجُثّة.[٦] وقوله: "للحَدَثان"، أي: للمصدر.

---

١ "لِيام" لغة في "لِئام" جمع "لَئيم". انظر: **الصحاح** للجوهري، «لئم».

٢ كذا في النسخ الخطّيّة، والصواب: "القوم" دون زيادة اللام. وهذا الشاهد ذكره الزمخشري في **الكشّاف** في تفسير سورة البقرة، ٨/٢.

٣ ن - لأنّ القوم.

٤ ن: ظرفًا.

٥ ن + على.

٦ انظر: **الإيضاح** لابن الحاجب، ١٧٠/١.

ويجوزُ أن يكونَ مفتوحًا لإضافتهِ إلى غير متمكِّنٍ، وهو الجملةُ.

فإن قلتَ: فما مَحلُّهُ مفتوحًا؟

قلتُ: يجوزُ أن يكونَ محلُّه نصبًا بالمُضمر الَّذي هو: يقعُ، ورَفعًا على: هو يومُ هم على النَّار يُفتنون، وقرأه ابنُ أبي عَبلَةَ بالرَّفعِ.

﴿يُفۡتَنُونَ﴾: يُحرقون ويعذَّبون، ومنه الفَتِينُ: وهي الحَرَّةُ؛ لأنَّ حجارَتها كأنَّها مُحرَقةٌ.

﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ في محلِّ الحالِ؛ أي: مقولًا لهم هذا القولُ.

﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ، و﴿ٱلَّذِي﴾ خبرُه؛ أي: هذا العذابُ هو الَّذي ﴿كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾.

ويجوز أن يكون ﴿هَٰذَا﴾ بدلًا من ﴿فِتۡنَتَكُمۡ﴾ أي: ذوقوا هذا العذاب.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله: (مفتوحًا) أي: مبنيًّا.[١]

قوله: (وهم[٢] الجملة) أي: ﴿هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾، و﴿هُمۡ﴾ مبتدأ، ﴿عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ خبره.

[٣٧٧ظ] قوله: (وهي الحَرَة) "الحَرَّة": أرض ذات حجارة سُودٍ نَخِرة، / كأنّها أُحرِقَتْ بالنار، والجمع: الحِرار والحرّات وحَرُّونَ، جمعوه بالواو والنون كما قالوا: أَرَضون.[٣] ونَخِرَ الشيءُ -بالكسر-، أي: بَلِيَ وتفتَّت، يقال: "عظام نَخِرة".[٤]

قوله: (ويجوز أن يكون ﴿هَٰذَا﴾ بدلًا) وعلى هذا الوجه يكون[٥] ﴿ٱلَّذِي﴾ صفة ﴿هَٰذَا﴾، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الذي، أو هذا الذي.

---

١ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿هُمۡ﴾ مبتدأ، و﴿يُفۡتَنُونَ﴾ الخبر، وعدّاه بـ"على" لأنّ المعنى: يُختَبَرون على النار. أبو البقاء. | **التبيان** لأبي البقاء العكبري، ١١٧٨/٢.

٢ في مطبوع **الكشّاف**: وهو.

٣ **الصحاح** للجوهري، «حرر».

٤ **الصحاح** للجوهري، «نخر».

٥ ف - يكون.

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾: قابِلِينَ لكلِّ ما أعطاهُم راضينَ به، يعني: أنَّه ليس فيما آتاهُم إلَّا ما هو مُتلقًّى بالقَبُول، مرضيٌّ غيرُ مسخوطٍ؛ لأنَّ جميعَه حسنٌ طيّبٌ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة ٩/١٠٤]؛ أي: يقبلُها ويَرضاها.

﴿مُحْسِنِينَ﴾: قد أحسنُوا أعمالَهم، وتفسيرُ إحسانهم ما بعدَه.

﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿مَا﴾ مزيدةٌ، والمعنى: كانوا يهجعُون في طائفةٍ قليلةٍ من اللَّيل، إن جعَلْتَ ﴿قَلِيلًا﴾ ظرفًا، ولكَ أن تجعلَه صفةً للمَصدر؛ أي: كانوا يهجعُون هُجوعًا قليلًا.

ويجوز أن تكونَ ﴿مَا﴾ مصدريةً أو موصولةً، على: كانوا قليلًا من اللَّيل هُجوعُهم، أو: ما يَهجعون فيه، وارتفاعُه بـ﴿قَلِيلًا﴾ على الفاعليَّةِ، وفيه مبالغاتٌ:

لفظُ الهُجوعِ: وهو الغِرارُ من النَّوم، قال:

قَدْ حَصَّتِ البَيْضَةُ رَأسِي فمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيرَ تَهجَاعِ

وقولُه: ﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾؛ لأنَّ اللَّيلَ وقتُ السُّباتِ والرَّاحةِ، وزيادةُ ﴿مَا﴾ المؤكِّدةِ لذلك.

قوله: **(ومنه قوله تعالى)** أي: ممّا ورد فيه الأخذ بمعنى الرضا والقَبول.[١]

قوله: **(وارتفاعه)**[٢] أي: ارتفاع ﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾، لأنّ ﴿مَا﴾ إنْ كانت موصولة فالموصول هو الفاعل، وإن كانت مصدريّة فالمصدر الفاعل.

قوله: **(وهو الغِرار)**[٣] أي: القليل.

قوله:

(قد حصّتِ البيضةُ)... البيت

---

١ وفي هامش د ف: فيكون مِن الكناية، فإنّ القبول مستلزِم للأخذ، والأخذ مِن توابع القَبول.

٢ ن: واوتعاعه.

٣ وفي هامش د ف: الغِرار: النوم القليل. | **الصحاح** للجوهري، «غرر». | وفي بعض مطبوعات **الكشّاف**: الفرار.

﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ وصَفهم بأنَّهم يُحْيُون اللَّيلَ متهجِّدين، فإذا أسحَرُوا أخذُوا في الاستغفارِ كأنَّهم أَسلفُوا في ليلهم الجرائمَ.

وقوله: ﴿هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ فيه أنَّهم هم المستغفرونَ الأحِقَّاءُ بالاستغفارِ دونَ المصرِّين، وكأنَّهم المختصُّونَ به لاستدامتِهم له وإطنابهم فيه.

فإن قلتَ: هل يجوزُ أن تكون ﴿مَا﴾ نافيةً كما قال بعضُهم، وأن يكونَ المعنى: أنَّهم لا يهجَعُون من اللَّيل قليلًا، ويُحيُونه كلَّه؟

قلتُ: لا، لأنَّ "ما" النَّافيةَ لا يعملُ ما بعدَها فيما قبلَها، تقولُ: "زيدًا لم أَضْرِبْ"، ولا تقول: زيدًا ما ضربتُ.

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾

"السَّائلُ": الَّذي يَستجدي و"المحروم": الَّذي يُحسَبُ غنيًّا فيُحرمُ الصَّدقةَ لِتعفُّفِهِ، وعن النَّبيِّ عليه السَّلام: «ليسَ المسكينُ الَّذي تَرُدُّه الأُكلةُ والأُكلتان، والتَّمرةُ والتَّمرتان»، قالوا: فما هو؟ قال: «الَّذي لا يَجِدُ ولا يُتصدَّقُ عليه».

البيت[1] لأبي قيس بن[2] الأسْلت. والحَصُّ:[3] إزالة الشَّعرة. وقوله: "أطعَمُ نومًا" مثل قول الشاعر:

فإن شئتِ حرَّمتُ النساءَ سِواكمُ   وإن شئتِ لم أَطْعَمْ نُقاخًا ولا بَرْدًا[4]

حيث استعمل الطعم في النوم. أورد المصنِّف هذا البيت في سورة المؤمنين في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآ﴾ [المؤمنون ٢٣/٩٩-١٠٠].[5]

قوله: (يستجدي) أي: يطلب الجَداء، وهو العَطِيّة.[6]

---

١ ف - البيت.

٢ ن: ابن.

٣ ن: الحصّ.

٤ لعبد الله بن عمرو العَرجي في الصحاح للجوهري، «برد»؛ ولسان العرب لابن منظور، «برد».

٥ وفي هامش د ف: قوله: (المؤكِّدة لذلك) أي: للهُجُوع، أي: هُجوع قليل غاية القِلّة.

٦ وفي هامش د ف: قوله: (الأُكْلَةُ) الأُكْلَةُ -بالضمّ-: اللُّقمة. | الصحاح للجوهري، «أكل».

وقيل: الَّذي لا يَنمِي له مالٌ.

وقيل: المُحارَف الَّذي لا يكادُ يَكسِبُ.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ تدلُّ على الصَّانعِ وقدرتِهِ وحكمتِه وتدبيرِه، حيث هي مَدحُوَّةٌ كالبِساطِ لِمَا فَوقها؛ كما قال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [طه ٢٠/٥٣] وفيها المسالكُ والفِجاجُ للمتقلِّبينَ فيها والماشِين في مَناكِبها، وهي مجزَّأةٌ: فمِن سَهْلٍ وجبلٍ، وبَرٍّ وبحرٍ، وقطعٍ متجاوراتٍ: من صُلبةٍ ورِخوةٍ، وعَذاةٍ وسَبْخةٍ، وهي كالطَّروقةِ تُلْقَحُ بألوانِ النَّبات وأنواعِ الأشجارِ بالثِّمارِ المختلفةِ الألوانِ

قوله: **(وقيل: المُحارَفُ)**[1] هو بالحاء الغير المعجمة، أحْرَفَ الرجل فهو مُحْرِف؛ إذا نمى مالُه وصَلُح، يقال: جاء فلان بالحِلْق -والحِلْقُ:[2] المال الكثير- والإحْرافِ؛ إذا جاء بالمال الكثير، ورجل مُحارَف -بفتح الراء-، أي:[3] مَجْدود محروم،[4] وهو خلاف قولك: مبارَك، قال:

مُحارَفٌ بالشاءِ والأباعِرِ مبارَكٌ بالقَلَعِيِّ الباتِرِ[5]

وقد حُورف كسبُ فلان؛ إذا شُدِّد عليه في معاشه، كأنّه مِيل برزقه عنه.[6] مرَج القَلَعة -بالتحريك-: موضع بالبادية،[7] والقَلَعي: سيف منسوب إليه.[8]

قوله: **(وعَذاةٍ)**[9] أي: طيِّبة.

قوله: **(كالطَّروقة)** طَروقة الفَحْل، يقال: ناقة طَروقة الفَحْل للتي بلَغَت أن يَضربِها الفَحْل.[10] وقوله: **(بالثمار)** أي: مُلتبسة بالثمار، فهي حال مِن **(الأشجار)**.

---

[1] وفي هامش د ف: أي: منقوص الحظّ.

[2] ن: واللحلق.

[3] ن: أو.

[4] ن: محزوم.

[5] بغير نسبة في **الصحاح** للجوهري، «حرف»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «حرف».

[6] **الصحاح** للجوهري، «حرف».

[7] ن: البادية.

[8] **الصحاح** للجوهري، «قلع».

[9] وفي هامش د: العَذاة: الأرض الطيّبة التربة. | **الصحاح** للجوهري، «عذا».

[10] **الصحاح** للجوهري، «طرق».

والطُّعومِ والرَّوائحِ ﴿تُسقَى بماءٍ واحدٍ ونفضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأُكُلِ﴾ [الرعد ١٣/٤] وكلُّها موافقةٌ لحوائجِ ساكِنيها ومنافعِهم ومصَالحِهم في صحتِهم واعتلالِهم، وما فيها من العُيون المتفَجّرةِ والمعَادنِ المفتنَّةِ والدَّوابِّ المنبثَّةِ في برِّها وبحرِها، المختلفةِ الصُّورِ والأشكالِ والأفعالِ: من الوحشيِّ والإنسيِّ والهوامِّ، وغيرِ ذلك.

﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾: للموحِّدين الذين سلكُوا الطَّريقَ السويَّ البُرهانيَّ الموصِلَ إلى المعرفةِ، فهم نظَّارونَ بعيونٍ باصرةٍ وأفهامٍ نافِذةٍ، كُلَّما رأَوا آيةً عرفوا وجهَ تأمُّلها، فازدادُوا إيمانًا مع إيمانِهم، وإيقَانًا إلى إيقانِهم.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ في حالِ ابتدائِها وتنقُّلهَا من حالٍ إلى حالٍ، وفي بواطِنها وظواهِرها من عجائبِ الفِطَر وبدائِع الخلقِ ما تَتحيَّرُ فيه الأذهانُ، وحسبُكَ بالقلوبِ وما رُكِزَ فيها من العُقول وخُصَّتْ به من أصنافِ المعاني، وبالألسُنِ والنُّطقِ ومخارجِ الحُروفِ، وما في تركيبها وترتيبِها ولطائفِها من الآياتِ السَّاطعةِ والبيّناتِ القاطِعة على حكمةِ المدبِّرِ، دعِ الأسماعَ والأبصارَ والأطرافَ وسائرَ الجوارحِ، وتَأَتِّيهَا لِمَا خُلقتْ له، وما سُوِّيَ في الأعضاءِ من المفاصلِ للانعطافِ والتثَنِّي، فإنَّه إذا جَسَا شيءٌ منها جاءَ العَجْزُ، وإذا استرخَى أناخَ الذُّلّ، فتبارَكَ الله أحسنُ الخالقينَ.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ هو المطرُ؛ لأنَّه سببُ الأقواتِ.

قوله: (﴿يُسْقَىٰ﴾[١] [الرعد ١٣/٤]) استشهاد. وقوله: **(واعتلالِهم)** أي: مَرضِهم.

قوله: **(إذا جَسَا)** أي: يَبِسَ؛ لأنَّه إذا يَبِسَ صَلُبَ.

قوله: **(أو أراد)** عطفٌ على جملة قوله: **(هو المطر)**... إلخ.

---

[١] د ف: تُسقى. | قرأ يعقوب وابن عامر وعاصم: ﴿يُسْقَىٰ﴾ [الرعد ١٣/٤] بالياء على التذكير، وقرأ باقي العشرة ﴿تُسْقَىٰ﴾ [الرعد ١٣/٤] بالتاء على التأنيث. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٧.

وعن سعيدِ بنِ جُبيرٍ: هو الثَّلجُ، وكلُّ عينٍ دائمةٍ منهُ.

وعن الحسنِ: أنَّه كانَ إذا رأى السَّحابَ قالَ لأصحابِه: فيه واللهِ رزقكُم، ولكنَّكُم تُحرمونَه بخطاياكُم.

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: الجنَّةُ، هي على ظهرِ السَّماءِ السَّابعةِ تحتَ العرشِ.

أو أراد: أنَّ ما تُرزقونَه في الدُّنيا وما توعدُونه في العقبى كلُّه مقدَّرٌ مكتوبٌ في السَّماءِ.

قرئ: ﴿مثلُ ما﴾ بالرَّفعِ صفةٌ للحقِّ؛ أي: حقٌّ مثلُ نُطقِكم، وبالنَّصبِ على: إنَّه لحقٌّ حقًّا مثلَ نُطقِكم، ويجوزُ أن يكونَ فتحًا لإضافتِه إلى غيرِ متمكِّنٍ.

و﴿مَا﴾ مزيدةٌ بنصِّ الخليل، وهذا كقول النَّاسِ: "إنَّ هذا لحقٌّ كما أنَّك ترى وتسمعُ"، و: "مثلَ ما أنَّك هاهنا"، وهذا الضميرُ إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ من أمرِ الآياتِ والرِّزقِ وأمرِ النَّبيِّ عليه السَّلام، أو إلى ﴿ماتُوعدونَ﴾.

وعن الأصمعيِّ: أقبلتُ من جامعِ البَصرة فطَلَعَ أعرابيٌّ على قَعُودٍ، فقال: مَن الرَّجُلُ؟ قلتُ: من بني أصمَعَ، قال: من أين أقبلتَ؟ قلتُ: من موضعٍ يُتلى فيه كلامُ الرَّحمنِ، فقال: اتلُ عليَّ، فتلوتُ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ فلمَّا بلغتُ قولَه: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ قال: حسبُكَ، فقامَ إلى ناقتِه فنحرَها ووزَّعَها على مَن أقبلَ وأدبرَ، وعمدَ إلى سيفِهِ وقَوسِه فكسَرهُما وولَّى، فلما حَجَجْتُ مع الرَّشيد طَفِقتُ أطوفُ، فإذا أنا بمن يهتِفُ بي بصوتٍ دقيقٍ، فالتفتُّ فإذا أنا بالأعرابيِّ قد نحَلَ واصفرَّ، فسلَّمَ عليَّ واستقرأَ السُّورةَ، فلمَّا بلغتُ الآيةَ صاحَ وقال:

قوله: (وهذا الضمير) أي: في ﴿إِنَّهُۥ﴾.

قوله: (على قَعود) أي: راحلة.

قوله: (فلمّا بلغتُ الآية) "اللام" فيه للعهد، يريد الآيةَ التي ذكرها في قوله: (فلمّا بَلغتُ قولَه:[١] ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾).

---

[١] ن - "فلمّا بلغت" قوله.

قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا، ثمَّ قالَ: وهل غيرُ هذا؟ فقرأتُ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ فصاحَ وقال: يا سبحانَ اللهِ، مَن ذَا الَّذي أغضبَ الجليلَ حتَّى حَلَفَ؟! لم يُصدِّقوهُ بقولِه حتَّى ألجؤوه إلى اليمين، قالها ثلاثًا، وخرجَتْ معها نَفْسُه.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ تفخيمٌ للحديثِ وتنبيهٌ على أنَّه ليس من عِلمِ رسول الله، وإنما عَرفَهُ بالوحي، والضَّيفُ للواحدِ والجماعةِ؛ كالزَّورِ والصَّوم؛ لأنَّه في الأصلِ مصدرُ ضَافَه، وكانوا اثني عشَرَ مَلَكًا، وقيل: تسعةٌ عاشرُهم جبريلُ، وقيل: ثلاثةٌ: جبريلُ، وميكائيلُ، وملكٌ معهما.

وجَعلهم ضَيْفًا لأنَّهم كانوا في صُورة الضَّيفِ حيثُ أضافَهم إبراهيمُ، أو لأنَّهم كانوا في حِسبَانِه كذلك، وإكرامُهم: أنَّ إبراهيمَ خَدمَهم بنفسِه وأَخدَمَهُم امرأتَه، وعجَّل لهم القِرَى، أو أنَّهم في أنفُسِهم مكرمونَ، قال الله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/٢٦].

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِذْ دَخَلُواْ﴾ نصبٌ بـ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ إذا فُسِّرَ بإكرامِ إبراهيمَ لهم، وإلَّا فبما في ﴿ضَيْفِ﴾ من معنى الفِعل، أو بإضمار "اذكُر".

﴿سَلَٰمًا﴾ مصدرٌ سادٌّ مسدَّ الفِعل مُستغنًى به عنه، وأصلُه: نُسَلِّمُ عليكُم سلامًا، وأمَّا ﴿سَلَٰمٌ﴾ فمَعدولٌ به إلى الرَّفع على الابتداءِ، وخبرُه محذوفٌ،

قوله: (**مُستَغْنًى به**) صفة (**مصدر**)، وليس في "مُستغنًى" ضمير، وهو مسنَد إلى "به"، وضميره يعود إلى "مصدر"، ومِن "عنه" إلى "الفعل".[١]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: غُرباء لا نعرفكم، قال ابن عبّاس: «قال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم». وقيل: إنّما أنكر أمرهم لأنّهم دخلوا عليه مِن غير استئذان. وقال أبو العالية: «أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض». **معالم**. | **معالم التنزيل** للبغوي، ٣٧٦/٧ (الذاريات، ٢٥/٥١).

معناه: عليكُم سلامٌ؛ للدِّلالةِ على ثَبات السَّلام، كأنَّه قصَدَ أن يُحيِّيَهم بأحسنَ ممَّا حيَّوهُ به أخذًا بأدبِ الله، وهذا أيضًا من إكرامِه لهم.

وقُرئا مرفوعين، وقُرئ: "سلامًا قال سِلْمًا"، والسِّلمُ: السَّلامُ، وقُرئ: ﴿سلامًا قال سِلْمٌ﴾.

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أنكرَهم للسَّلامِ الَّذي هو عَلَمُ الإسلامِ، أو أرادَ أنَّهم ليسوا من معَارفِه، أو من جنسِ النَّاس الذين عَهِدَهم، كما لو أبصرَ العَربُ قومًا من الخَزَر، أو رأى لهم حالًا وشَكلًا خِلافَ حالِ النَّاسِ وشكلِهم، أو كان هذا سؤالًا لهم، كأنَّه قال: أنتم قومٌ مُنكَرونَ فعرِّفُوني مَن أنتم؟

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: فذهبَ إليهم في خُفيَةٍ من ضُيُوفه، ومن أدبِ المُضيفِ أنْ يخفيَ أمرَهُ وأن يبادِهَ بالقِرَى من غيرِ أن يَشعُرَ به الضَّيفُ؛ حذَرًا من أن يكُفَّهُ ويَعذِرَه.

قال قتادةُ: كان عامةُ مالِ نبيِّ الله إبراهيمَ البقرَ.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ والهمزةُ في ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ للإنكارِ، أنكرَ عليهم تركَ الأكلِ، أو حثَّهم عليه.

قوله: **(أو كان هذا سؤالًا)** عطفٌ على قوله: **(أنكرهم)**... إلخ، فإنَّه إشارة إلى أنَّ إبراهيم قال ذلك في نفسه، لا معهم، كما ذكر أنَّه[1] قال ابن عبّاس: «قال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم».[2] ثمّ أشار المصنّف إلى أنّه يجوز أن يكون هذا الكلام مِن إبراهيم كلامًا لهم تعرّفًا[3] مِن حالهم، أي: أنتم قومٌ / لا نعرفكم، **[٣٧٨و]** فعرّفوني حالكم لأعلم مَن أنتم.

قوله: **(مِن الخَزَر)** الخزَر: جيلٌ مِن الناس، ويقال لهم: الغُزّ.

---

١ ن: بأنّه.

٢ التفسير الوسيط للواحدي، ١٧٨/٤ (الذاريات، ٢٥/٥١).

٣ ف: تعريفًا.

﴿فَأَوْجَسَ﴾: فأَضْمَرَ، وإنَّما خافَهم لأنَّهم لم يتحرَّموا بطعَامِهِ فظنَّ أنَّهم يريدونَ به سوءًا.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وقَعَ في نفسِهِ أنَّهم ملائكةٌ أرسلُوا للعذابِ.

وعن عَون بنِ [أبي] شدَّادٍ: مسحَ جبريلُ العِجلَ بجناحهِ، فقام يَدرُجُ حتَّى لَحِقَ بأمِّهِ.

﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾؛ أي: يَبْلغُ ويَعلمُ، وعن الحسنِ: ﴿عَلِيمٍ﴾: نبيٌّ.

والمبشَّرُ به إسحاقُ، وهو أكثرُ الأقاويلِ وأصحُّها؛ لأنَّ الصِّفةَ صفةُ سارةَ لا هاجَرَ، وهي امرأةُ إبراهيمَ وهو بَعلُها، وعن مجاهدٍ: هو إسماعيلُ.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فِى صَرَّةٍ﴾: في صيحةٍ؛ من: صَرَّ الجندُبُ، وصَرَّ القلمُ والبابُ، ومحلُّه النَّصبُ على الحالِ؛ أي: فجاءَت صارَّةً، ....

قوله: (لم يتحرَّموا) يقال: تحرَّمْتُ بطعام فلان، أي: أكلت منه قدرَ ما دخلتُ به في حُرْمته.

قوله: (يَدرُج) أي: يمشي.

قوله: (لأنَّ الصفة)... إلخ يريد أنَّ المذكور في هذا الموضع، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾، وقولَه تعالى[١] في موضع آخر: ﴿وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى﴾ [هود ٧٢/١١]؛ يدلّ على أنّ المُبَشَّرَ به إسحق ابن سارة، لا إسماعيلُ ابن هاجر؛[٢] لأنّ سارة كانت[٣] امرأةَ إبراهيم، وكان إبراهيم بَعْلَها، وأمّا هاجر فلم تكُ[٤] كذلك؛[٥] بل[٦] كانت جاريتَه سُرِّيَتَه، وكان إبراهيم عليه السلام[٧] سيّدَها.

قوله: (الجُنْدُب) هو ذكَر الجَراد.

---

١ ن + ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾.
٢ ن: هاهر.
٣ ن: كانن.
٤ ف: تكن؛ ن: يكن.
٥ ن: لذلك.
٦ ف: لأنّها.
٧ ف: صلوات الله؛ ن: صلوات الله عليه.

قال الحسنُ: أقبلَتْ إلى بيتِها وكانت في زاويةٍ تنظرُ إليهِم؛ لأنَّها وجَدتْ حرارةَ الدَّمِ فلَطَمتْ وجهَهَا من الحياءِ.

وقيل: فأخذتْ في صرَّةٍ، كما تقول: أقبلَ يَشتِمُنِي.

وقيلَ: صَرَّتُها قَولها: أوه، وقيل: يا ويلتا، وعن عكرمةَ: رَنَّتُها.

﴿فَصَكَّتْ﴾: فلَطَمت ببسطِ يديها، وقيل: فضربتْ بأطرافِ أصَابعِها جَبهَتَها فِعْلَ المتعجِّبِ.

﴿عَجُوزٌ﴾؛ أي: أنا عجوزٌ، فكيف ألِدُ؟!

﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٠﴾

﴿كَذَٰلِكِ﴾ مثلَ ذلك الَّذي قُلنا وأَخْبَرْنا به ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾؛ أي: إنَّما نُخبركِ عن الله، واللهُ قادرٌ على ما تَستَبْعِدين.

ورُوي أنَّ جبريلَ قالَ لها: انظُري إلى سقفِ بيتكِ، فنظرتْ فإذا جذوعُه مُورِقةٌ مثمرةٌ.

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ۝٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣٤﴾

لمَّا عَلِمَ أنَّهم ملائكةٌ، وأنَّهم لا ينزلون إلَّا بإذنِ الله رسلًا في بعضِ الأمورِ ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾؛ أي: فما شأنُكم، وما طلَبُكم؟

﴿إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾: إلى قوم لوط.

﴿حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ يريدُ: السِّجيلَ، وهو طينٌ طُبِخَ كما يُطبخُ الآجرُّ حتَّى صارَ في صلابةِ الحجارةِ.

قوله: (حرارةَ الدم) أي: دم الحيض.

قوله: (رَنَّتُها)[1] أي: أنينُها.[2]

---

١ ف: زَنَّتُها.

٢ ن: رنينها.

﴿مُسَوَّمَةً﴾: معلَّمةً، من السُّومةِ وهي العلامةُ، على كلِّ واحدٍ منها اسمُ مَن يُهلَك به.

وقيل: أُعلِمَت بأنَّها من حجارةِ العذابِ.

وقيل: بعلامةٍ تدلُّ أنَّها ليست من حجارةِ الدُّنيا.

سمَّاهم مسرفينَ كما سمَّاهم عادِينَ؛ لإسرافِهم وعُدوانهم في عَملهم حيثُ لم يَقتنِعُوا بما أبيحَ لهم.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٦ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٣٧﴾

الضَّميرُ في ﴿فِيهَا﴾ للقريةِ، ولم يجرِ لها ذكرٌ لكونِها معلومةً.

وفيه دليلٌ على أنَّ الإيمانَ والإسلامَ واحدٌ، وأنَّهما صِفتا مدحٍ.

قيل: هم لوطٌ وابنتَاهُ، وقيل: كانَ لوطٌ وأهلُ بيتهِ الذين نجَوا ثلاثةَ عشَرَ، وعن قتادةَ: لو كان فيها أكثرُ من ذلك لأنجاهُم؛ لِيَعلمُوا أنَّ الإيمانَ محفوظٌ، لا ضيعةَ على أهلِه عندَ الله.

﴿ءَايَةً﴾: علامةً يَعتبرُ بها الخائفون دون القاسِيةِ قلوبُهم، قال ابنُ جُريجٍ: هي صخرٌ منضودٌ فيها، وقيلَ: ماءٌ أسودُ منتنٌ.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝٤٠﴾

قوله: (وفيه دليل على أنّ[1] الإيمان والإسلام واحد) لأنّه تعالى ذكَرهم تارةً بالإيمان وأُخرى بالإسلام؛ وفيه نظرٌ، لجواز أن يكون قد ذكر الصفتَين لحصولهما لهم، وإشارة إلى أنّهم كانوا موصوفين بالصِّفتَين، لا أنّهما واحد.[2]

---

[1] ن - أنّ.

[2] وفي هامش د: والحقّ ما قاله السمرقندي؛ بأنّهما لا يتغايران على المعنى المذكور في كتابه.

﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ معطوفٌ على ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ [الذاريات ٥١/٢٠] أو على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ على معنى: وجعلنا في موسى آيةً؛ كقوله:

عَلَفْتُها تِبْنًا وماءً بارِدًا

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾: فازورَّ وأعرَضَ؛ كقوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء ١٧/٨٣].

وقيل: فتولَّى بما كان يتقوَّى به من جُنوده ومُلكِه، وقُرئ: "بركُنه" بضمِّ الكافِ.

﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾؛ أي: هو ساحرٌ ﴿مُلِيمٌ﴾ آتٍ بما يُلامُ عليه من كُفرِه وعِنادِه، والجملةُ مع الواو حالٌ من الضَّمير في ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾.

فإن قلتَ: كيف وُصِفَ نبيُّ الله يونسَ -صَلواتُ الله عليه- بما وصِفَ به فرعونُ في قوله: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات ٣٧/١٤٢]؟

قلتُ: مُوجِباتُ اللَّومِ تختلفُ، وعلى حَسَبِ اختلافِهَا تختلفُ مقاديرُ اللَّومِ، فراكبُ الكبيرةِ ملومٌ على مقدارِها، وكذلك مقترِفُ الصَّغيرةِ، ألَا ترى إلى قولِه: ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ [هود ١١/٥٩] ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه ٢٠/١٢١] لأنَّ الكبيرةَ والصَّغيرةَ يجمعهُما اسمُ العصيانِ كما يجمعُهما اسمُ القبيحِ والسَّيئةِ.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝٤٢﴾

﴿ٱلْعَقِيمَ﴾: التي لا خيرَ فيها من إنشاءِ مطرٍ أو إلقاحِ شجرٍ، وهي ريحُ الهلاكِ، واختُلِفَ فيها:

قوله: (على معنى) وإنّما قال: "على معنى"... إلخ؛ لأنّه لا يستقيم العطفُ على ظاهره؛ إذ ليس المعنى: تَرَكْنا في موسى آيةً،[1] كما أنّ المعنى: تركنا في تلك القرية آية.[2]

قوله: (فازْوَرَّ وأعرَضَ) فيكون المراد بـ"الركن": الجانب والطرَف.

---

[1] ن: أنّه.

[2] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ أي: وتركنا في إرسال موسى آيةً وعِبرةً. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٣٧٨/٧ (الذاريات، ٣٨/٥١).

فعن عليٍّ رضيَ الله عنه: النَّكباءُ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: الدَّبورُ.

وعن ابن المسيَّب: الجَنوبُ.

"الرَّميم": كلُّ ما رَمَّ؛ أي: بَلِيَ وتفتَّتَ من عَظْمٍ أو نباتٍ أو غيرِ ذلكَ.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تفسيرُه قولُه: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود ٦٥/١١].

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: فاستكبرُوا عن امتثاله.

وقُرِئَ: ﴿الصَّعْقَةُ﴾ وهي المرَّةُ من مصدرِ صَعَقَتْهُمُ الصَّاعقةُ، و﴿الصَّاعِقَةُ﴾: النَّازِلة نفسُها.

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ كانت الصَّاعقةُ نهارًا يُعَايِنُونَها، ورُوِيَ أنَّ العمالقةَ كانُوا معهم في الوادِي ينظرون إليهم وما ضرَّتهم.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ كقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف ٧٨/٧].

وقيل: هو من قولِهم: ما يقومُ به، إذا عَجز عن دَفعِهِ.

﴿مُنتَصِرِينَ﴾: مُمتنِعِينَ من العذاب.

قوله: (النَّكباء) ريحُ الصَّبا تجيء مِن جانب المَشرق، والدَّبور تقابله، والجَنوب تقابل الشَّمال، وهو يجيء مِن شِمال مَن يتوجَّه المَشْرِقَ. و"النَّكباء": الريح الناكبة التي تَنكُبُ[1] عن جهات[2] الرياح القُوَّمِ.[3]

قوله: (وقيل: هو مِن قولهم) فعلى الوجه الأوَّل: يكون القيام ضِدَّ القُعود. وعلى الثاني: يكون مِن قولهم: قام بالأمر إذا باشره واستطاعه.

---

[1] د ف: تَنكَّبُ.

[2] في الصحاح: "مهابِّ".

[3] الصحاح للجوهري، «نكب».

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَقَوْمَ﴾ قرئ بالجرِّ على معنى: وفي قوم نوحٍ، وتُقوِّيه قراءةُ عبدِ الله: "وفي قومِ نوحٍ"، وبالنَّصبِ على معنى: وأهلَكْنا قومَ نوحٍ؛ لأنَّ مَا قبله يدلُّ عليه، أو: واذكُرْ قومَ نوحٍ.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿بِأَيْي۟دٍ﴾: بقوَّةٍ، والأيدُ والآدُ: القوةُ، وقد آدَ يَئِيدُ وهو أيِّدٌ.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: لقادِرونَ، من الوُسْعِ وهو الطَّاقة، والموسِعُ: القويُّ على الإنفاقِ.

وعن الحسنِ: لَمُوسعُون الرِّزقَ بالمطر.

وقيل: جعلنا بينها وبين الأرضِ سعةً.

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ نحن.

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: ومن كل شيءٍ من الحيوان ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى.

وعن الحسن: السَّماءُ والأرضُ، واللَّيلُ والنَّهارُ، والشمسُ والقمرُ، والبحر والبرُّ، والموتُ والحياةُ، فعدَّدَ أشياءَ، وقال: كلُّ اثنين منها زوجٌ، والله تعالى فردٌ لا مِثلَ له.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: فعلنَا ذلكَ كلَّه -من بناءِ السَّماءِ، وفرشِ الأرضِ، وخلقِ الأزواجِ- إرادةَ أن تتذكَّروا فتعرفُوا الخالقَ وتعبدُوه.

قوله: (وجعلنا بينها) أي: بين السماء. وقوله:[١] (نحن) فالمخصوص بالمدح محذوف.

قوله: (وكلُّ اثنين منها زوج) والصواب: كلّ اثنين منها زوجان، وكلُّ واحد منهما زوج، والله[٢] تعالى فرد لا زوجَ له، وقد مرّ تحقيق ذلك.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن: فالله.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى طاعتِه وثوابِه من معصيتِه وعقابِه، ووَحِّدُوه ولا تُشركوا به.

وكرَّرَ قولَه: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ عند الأَمْرِ بالطَّاعةِ والنَّهيِ عن الشِّركِ ليُعلِمَ أنَّ الإيمانَ لا ينفعُ إلَّا مع العمل، كما أنَّ العملَ لا ينفعُ إلَّا مع الإيمان، وأنَّه لا يفوزُ عندَ الله إلا الجامعُ بينهما، ألَا ترى إلى قوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا﴾ [الأنعام ١٥٨/٦].

قوله: (**عند الأمر بالطاعة**) يريد قولَه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾. وقوله: (**والنهي**) يريد قولَه: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ﴾.[1]

قوله: (**ألا ترى[2] إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ﴾** [الأنعام ١٥٨/٦])... إلخ تمسَّك المصنِّف بهذه الآية على أنَّ الإيمان المجرَّد لا ينفع. ووجهه أن يقال: كلمة "أو" يُفيد أحد الأمرين، فيكون المعنى: أنَّ مَن لم يكن له إيمان أو كان له إيمان ولكن لم يَكسِبْ خيرًا في الإيمان لا يَنفَعُه الإيمان يومَ يأتي بعضُ آيات ربِّك.

وجوابه أن نقول: كلمة "أو" يفيد[3] أحدَ الأمرين في الإثبات، وأمّا في النفي فيفيد[4] نَفْيَ كلِّ واحدٍ مِن الأمرين، فإذا قلتَ: "جاء زيد أو عمرو" فمعناه: جاء أحدهما، وإذا قلتَ: "ما جاء زيد أو عمرو" فالمعنى: ما جاء أحدٌ منهما، أي: لم يجِئ زيد ولا عمرو، لأنَّ نقيضَ الموجب الجزئي[5] النفْيُ الكلّي، يدلّ عليه قوله تعالى:[6] ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسان ٢٤/٧٦]. وقد قرَّر هذا / المعنى ابنُ الحاجب في **شرح المفصَّل**،[7] وغيرُه في غيره. [٣٧٨ظ]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٖ﴾ وهو وقت فَناء آجالهم، وذلك أنّهم لمّا عَقَروا الناقة قيل لهم: تمتّعوا ثلاثة أيّام، فأخذتهم الصاعقة بعد مضيّ الأيّام الثلاثة. **معالم**. | **معالم التنزيل** للبغوي، ٣٧٨/٧ (الذاريات، ٤٣/٥١-٤٤).

[2] د: يرى.

[3] ن: تفيد.

[4] ن: فتفيد.

[5] ن: الحرين.

[6] د - تعالى.

[7] **الإيضاح** لابن الحاجب، ٢٠١/٢.

والمعنى: قل يا محمَّدُ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾: الأَمْرُ مثلُ ذلك، و"ذلك" إشارةٌ إلى تكذِيبهم الرَّسولَ، وتسميتِه ساحرًا ومجنونًا، ثم فسَّر ما أجملَ بقوله: ﴿مَآ أَتَى﴾ ولا يصحُّ أن تكونَ الكافُ منصوبةً بـ﴿أَتَى﴾؛ لأنَّ ﴿مَا﴾ النَّافيةَ لا يعملُ ما بعدَها فيما قبلَها، ولو قيلَ: "لم يأتِ" لكان صحيحًا على معنى: مثلَ ذلكَ الإتيانِ لم يأتِ من قبلِهم رسولٌ إلَّا قالوا.

﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾

﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦ﴾ الضَّمير للقولِ، يعني: أتواصَى الأوَّلون والآخِرونَ بهذا القولِ حتَّى قالُوه جميعًا متَّفِقِين عليه ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ﴾؛ أي: لم يتواصَوا به؛ لأنَّهم لم يتلاقَوا في زمانٍ واحدٍ، بل جمَعتْهم العلَّةُ الواحدةُ وهي الطُّغيانُ، والطغيانُ هو الحامِلُ عليه.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾: فأعرِضْ عن الذين كرَّرْتَ عليهم الدَّعوةَ فلم يُجيبوا، وعرفتَ منهم العِنادَ واللَّجاجَ، فلا لومَ عليكَ في إعراضِكَ بعدَ ما بلَّغتَ الرِّسالةَ، وبذلْتَ مجهودَكَ في البَلاغِ والدَّعوةِ، ولا تَدَعِ التَّذكيرَ والموعظةَ بأيَّام اللهِ ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: تؤثِّرُ في الذين عرفَ اللهُ منهم أنَّهم يدخلوَن في الإيمانِ، أو تزيدُ الدَّاخلين فيه إيمانًا.

قوله: (ما أجمله) أي: في قوله: (الأمْرُ كذلك).[1]

قوله: (ولو قيل:[2] لم يأتِ) لِما مرَّ أنَّ "لم" ليس لها صدرُ الكلام.

قوله: (أي: تؤثِّر)... إلخ على التفسير الأوَّل سمّاهم "مؤمنين" باعتبار ما يئُول إليه حالهم.

---

[1] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿مِن قَبۡلِهِم﴾ مِن قَبل كفّار مكّة. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٣٨٠/٧ (الذاريات، ٥٢/٥١).

[2] ن + أي.

ورُوِي أنه لما نزلَتْ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ حَزِنَ رسول الله، واشتدَّ ذلك على أصحابِه، ورأَوا أنَّ الوحيَ قد انقطعَ، وأنَّ العذابَ قد حضرَ، فأنزلَ اللهُ ﴿وَذَكِّرْ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾

أي: وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا لأجلِ العبادةِ، ولم أُرِدْ من جميعِهم إلّا إيّاها.

فإن قلتَ: لو كان مُريدًا للعبادةِ منهم لكانُوا كلُّهم عُبّادًا؟

قلتُ: إنَّما أرادَ منهم أن يعبدوه مختارينَ للعبادةِ لا مضطرّين إليها؛ لأنَّه خلقَهم مُمَكَّنين، فاختارَ بعضُهم تَركَ العِبادة مع كونِه مُريدًا لها، ولو أرَادهَا على القَسْرِ والإلجاءِ لوُجِدَتْ من جميعِهم.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾

يريدُ: إن شأني مع عبادِي ليسَ كشأنِ السَّادةِ مع عبيدِهم، فإنَّ مُلَّاك العبيدِ إنَّما يملكونَهم ليَستعينُوا بهم في تحصيلِ معايشِهم وأرزاقِهم، فإمَّا مُجهَّزٌ في تجارةٍ ليفيءَ ربحًا، أو مُرتَّبٌ في فلاحةٍ ليَغتَلَّ أرضًا، أو مسلَّمٌ في حرفةٍ ليُنتفَعَ بأجرتِه،

قوله: **(قلتُ: إنّما أراد)** حاصل الجواب بناء على مذهبه: منعُ أنّه لو كان مريدًا[1] للعبادة[2] لكانوا كلّهم عُبّادًا؛ وذلك لأنّه لو أراد الله تعالى أن يؤمنوا إلجاءً[3] وقَسرًا لَألجَأهم إلى[4] ذلك، وقَسَرهم عليه، ولَآمَن كلُّهم كذلك.[5] وأمّا إذا أراد أن يؤمنوا باختيارهم فلا يلزم ذلك؛ لأنّ إيمانهم باختيارهم مقدورُهم، وليس داخلًا تحت مَقدورات الله تعالى، فلا يلزم مِن عدم إيمانهم العَجْز على مذهب المعتزلة.

---

١ ن: مِن يدًا.
٢ ن: للعباد.
٣ ن: إلجاء.
٤ د: على.
٥ ن: ذلك.

أو مُحتَطِبٌ، أو محتشٌ، أو مستقٍ، أو طابخٌ، أو خابزٌ، وما أشبهَ ذلك من الأعمالِ والمهنِ التي هي تصرُّفٌ في أسبابِ المعيشةِ وأبوابِ الرِّزقِ، فأمَّا مالكٌ مَلَكَ العبيدَ وقال لهم: اشتغلُوا بما يسعدُكم في أنفسِكم ولا أريدُ أن أصرِّفَكُم في تحصيلِ رزقي ولا رزقِكُم، وأنا غنيٌّ عنكم وعن مَرَافِقِكم، ومتفضِّلٌ عليكم برزقكُم وبما يُصلحُكم ويُعيشُكم من عِندي، فما هو إلا أنا وحدِي.

﴿ٱلْمَتِينُ﴾: الشَّديد القوَّة، قُرئ بالرَّفع صفةً لـ﴿ذُو﴾، وبالجرِّ صفةً لـ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ على تأويلِ الاقتدارِ. والمعنى في وصفِه بالقوةِ والمتانةِ: أنَّه القادرُ البليغُ الاقتدارِ على كلِّ شيءٍ.

وقُرئ: "الرَّازِقُ"، وفي قراءةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: "إنِّي أنا الرَّزاقُ".

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

"الذَّنوبُ": الدَّلوُ العظيمةُ، وهذا تمثيلٌ، أصلُه في السُّقاةِ يتقسَّمون الماءَ فيكون لهذا ذَنوبٌ ولهذا ذَنوبٌ، قال:

وقال الواحدي في **الوسيط**:

قال المفسّرون: هذا خاصّ لأهل طاعته، يعني: مَن آمَن مِن الفريقين. والدليل على صحّة هذا ما رُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما:[١] «في قراءة أُبيّ: 'وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ مِن الْمُؤْمِنِينَ إلّا لِيَعبُدُونِ'». وقال أهل المعاني: إلّا ليَخضعوا لي ويتذلَّلوا. ومعنى العبادة في اللغة: الذلّ والانقياد. وكلّ مخلوق مِن الجِنّ والإنس خاضع لقضاء الله متذَلِّل لمَشيئته،[٢] خلَقه كما أراد، ورزَقه كما قضى، لا يَملِك أحد لنفسه خُروجًا عمّا خُلِق عليه.[٣]

قوله: (**أو مُحْتَشٌّ**) أي: جامع الحشيش.

---

١ د - رضي الله عنهما.
٢ ن: لمشيئه.
٣ **التفسير الوسيط** للواحدي، ١٨١/٤ (الذاريات، ٥٦/٥١).

لـنَـا ذَنُــــوبٌ ولـكـم ذَنُـــوبٌ   فــإنْ أَبَـيْـتُـم فـلَـنَـا الـقَـلِـيـبُ

ولمَّا قال عمرُو بنُ شَأْسٍ:

وفي كـلِّ حَـيٍّ قَـد خَـبَطْـتَ بِنِعْمَةٍ   فَـحُـقَّ لِـشَـأْسٍ مـن نَـــدَاكَ ذَنُـــوبُ

فقال الملِكُ: نعم، وأذنِبةٌ.

والمعنى: فإنَّ الَّذين ظلمُوا رسولَ الله بالتَّكذيبِ من أهلِ مكَّةَ لهم نَصِيبٌ من عذابِ الله مثلُ نَصيبِ أصحابِهم ونُظَرائِهم من القرونِ.

وعن قتادةَ: سَجْلًا من عذابِ اللهِ مثلَ سجلِ أصحابِهم.

﴿مِن يَوْمِهِمُ﴾: من يوم القيامةِ، وقيل: من يوم بدرٍ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ والذَّارياتِ أعطاهُ الله عشْرَ حسناتٍ بعددِ كلِّ ريحٍ هبَّتْ وجرتْ في الدُّنيا».

قوله: (القَلِيبُ) أي: البئر.

قوله: (ولمّا قال عَمرو[1] بن شاس) شاس هو[2] أخو عَلْقَمةَ بن عَبَدة. يمدح بهذه القصيدة الحارثَ بن[3] أبي شمس الغسّاني، وكان شاس عنده أسيرًا.

قوله: (نَعَمْ وأَذْنِبةٌ) وأطْلَقَ له أُسارى.

تمّت السورة[4] بحمد الله[5] ومنّه وكرمه.[6]

---

١ ن: عمر.

٢ ن: وهو.

٣ ن: ابن.

٤ ف – السورة.

٥ ن + تعالى.

٦ ف ن – ومنّه وكرمه؛ ف + تعالى وحُسن توفيقه.

سورة الطور

مكيّةٌ، وهي تسعٌ وأربعون آيةً، وقيل: ثمان وأربعون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾

"الطُّورُ": الجبَلُ الّذي كلَّم اللهُ عليه موسى -عليه السَّلامُ- وهو بمَدينَ.

والكتابُ المسطورُ في الرَّقِ المنشُور -والرَّقُّ: الصَّحيفةُ، وقيل: الجِلدُ الّذي يُكتَبُ فيه الكتابُ- الذي تُكتبُ فيه الأعمالُ، قال الله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء ١٧/١٣].

وقيل: هو ما كتبَهُ الله لموسَى وهو يَسمعُ صَرِيرَ القَلم.

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: **(عليه)**[٢] حال مِن **(موسى)** قُدِّم.

قوله: **(والكتاب المَسطور)** مبتدأ، خبره: "الكتاب الذي". وقوله: **(والرَّق)**... إلخ حال، أو جملة اعتراضيّة. وقوله: **(الكتاب الذي)** فسَّر المصنِّف "الكتاب المَسطور" بقوله: "الكتاب الذي[٣] يُكتَب فيه"، وليس بسديد؛[٤] بل الوجه أن يقال: "الكتاب المَسطور": ما كُتِب، وهو إمّا التوراة، أو القرآن، أو المكتوب في اللوح، إلّا أن يريد المصنِّف أنّ المَعنيّ بقوله: "المَسطور" هو المَسطور فيه.

---

١ ف ن - وبه نستعين.

٢ ن: وعليه.

٣ ن - فسَّر المصنِّف الكتاب المسطور بقوله: "الكتاب الذي".

٤ ن: بشديد.

وقيل: اللَّوحُ المحفوظُ.

وقيل: القرآنُ، ونُكِّرَ لأنَّه كتابٌ مخصوصٌ من بَين جنسِ الكُتبِ؛ كقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس ٩١/٧].

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾: الضُّراح في السَّماءِ الرَّابعةِ، وعُمرانُه: كثرةُ غاشيَتِه من الملائكةِ.

وقيل: الكعبةُ لكَونها مَعمورةً بالحُجَّاجِ والعُمَّارِ والمجاورين.

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾: السَّماءُ ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾: المَملُوءُ، وقيل: المُوقَدُ، من قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير ٨١/٦]، ورُوِي: أنَّ الله تعالى يجعلُ يومَ القيامةِ البحارَ كلَّها نارًا تُسجَرُ بها نارُ جنَّهمَ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه سأل يهوديًا: أين موضِعُ النَّارِ في كتابِكُم؟ قال: في البحرِ، قال عليٌّ رضي الله عنه: ما أُراهُ إلا صَادقًا؛ لِقوله: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾

﴿لَوَٰقِعٌ﴾: لنازِلٌ، قال جُبيرُ بنُ مُطعِمٍ: أتيتُ رسولَ الله أكلِّمُه في الأُسارَى،

قوله: (الضُّراحُ)[1] بالضاد[2] المعجمة؛ لأنَّه ضُرِح إلى السماء، أي: رُفِعَ وأُبعِدَ.[3] لأبي العلاء المعرّي:

لقد بلغَ الضُّراحَ[4] وساكنيه نَثاك[5] وزار مَن سكنَ الضَّريحا[6]

النَّثا:[7] في الخير والشرّ، والثناء:[8] في الخير[9] خاصّة. قوله: "وزار" عطفٌ على قوله: "بلغَ". يعني: أنّ خبرك بلغ الملائكة الذين يَسكنون الضُّراح، والأمواتَ

[٣٧٩و] / الذين يَسكُنون الضريح، أي: القبر.

---

[1] ن: الصراح.
[2] ن: بالصاد.
[3] انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «ضرح».
[4] ن: الصراخ.
[5] ن: نثال.
[6] **ديوان سقط الزند** لأبي العلاء المعرّي، ١/٢٦٩.
[7] ن: الثناء.
[8] ف: والثنا؛ ن: والنثاء.
[9] ن: الحبر.

فألفَيتُه في صلاةِ الفجرِ يقرأُ سُورةَ الطُّورِ، فلمّا بلغَ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ أسلمْتُ خوفًا من أن ينزلَ العذابُ.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾

﴿تَمُورُ﴾: تضطربُ وتجيءُ وتذهَبُ، وقيل: المورُ: تحرُّكٌ في تموُّجٍ، وهو الشَّيءُ يتردَّدُ في عَرْضٍ كالدَّاغِصَةِ في الرُّكبَةِ.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾

غَلَبَ الخوضُ في الاندفاعِ في الباطلِ والكذبِ، ومنه قولُه: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر ٤٥/٧٤] ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة ٦٩/٩].

"الدَّعُّ": الدَّفعُ العنيفُ، وذلكَ أنَّ خَزَنةَ النَّارِ يَغُلُّونَ أيديَهم إلى أعناقِهم، ويجمعُونَ نَواصِيَهم إلى أقدَامِهم، ويَدفعونَهم إلى النَّار دفعًا على وجوهِهم، وزَخًّا في أقفيَتِهم.

وقرأ زيدُ بنُ عليٍّ: "يُدْعَونَ" من الدُّعاءِ؛ أي: يقالُ لهم: هَلُمُّوا إلى النَّارِ وادخُلُوا النَّارَ.

﴿دَعًّا﴾: مَدعُوعِينَ، يقالُ لهم: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ﴾.

قوله: (كالداغِصَة)[1] العَظم المدوَّر الذي يتحرّكُ على رأس الرُّكبة.[2]

قوله: (وزخًّا) الزَّخُّ: الدفع.[3]

قوله: (مَدْعُوعِين) يشير به إلى أنّ ﴿دَعًّا﴾ حال على القراءة الثانية،[4] أي: وهم يُدَعُّون. وعلى الأُولى[5] مصدر كما أشار إليه بقوله: (دَفعًا على وُجوههم).

---

[1] كذا في الأصول الخطّيّة: "كالداغضة" بالضاد. والصواب: "كالداغصة" بالصاد، كما في نُسخ الكشّاف وكتب اللغة.

[2] انظر: الصحاح للجوهري، «دغص».

[3] ن: الدمع.

[4] أي: قراءة زيد بن عليّ: "يُدْعَونَ"، وهي قراءة شاذّة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٤٩.

[5] ف: الثانية.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥﴾

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ يعني: كنتُم تَقولونَ للوَحي: هذا سحرٌ، أفسحرٌ هذا؟ يريد: أهذا المِصداقُ أيضًا سحرٌ؟ ودخَلتِ الفاءُ لهذا المعنى.

﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتُم لا تُبصرُون في الدُّنيا؛ يعني: أم أنتُم عُميٌ عن المُخبَر عنه كما كنتُم عميًا عن الخَبر، وهذا تقريعٌ وتهكُّمٌ.

﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾

﴿سَوَآءٌ﴾ خبرُه محذوفٌ؛ أي: سواءٌ عليكمُ الأمرانِ: الصَّبرُ وعَدمُه.

فإن قلتَ: لم عُلِّلَ استواءُ الصَّبرِ وعدمُه بقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟

قلتُ: لأنَّ الصَّبرَ إنَّما تكونُ له مزِيَّةٌ على الجَزَعِ لنَفعِه في العاقبةِ؛ بأن يُجازَى عليه الصَّابرُ جزاءَ الخيرِ، فأمَّا الصَّبرُ على العذابِ الذي هو الجزاءُ ولا عاقبةَ له ولا منفعةَ فلا مزيةَ له على الجَزَعِ.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ١٨﴾

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾: في أيَّةِ جنَّاتٍ وأيِّ نعيمٍ؛ بمعنى الكمالِ في الصِّفةِ، أو: في جنَّاتٍ ونعيمٍ مَخصوصَةٍ بالمتَّقينَ، خُلقتْ لهم خاصةً.

وقُرئَ: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ و: ﴿فكِهِينَ﴾ و: "فاكهون"، ....

قوله: **(المِصْداق)** هو الشيء الذي[١] يُعرف[٢] به الصِّدق،[٣] فالعذاب في الآخرة وغيرُ ذلك مِن أحوال القيامة فما بعد ذلك مِصْداقُ أقوال الأنبياء، فلذلك قال المصنّف: **(أهذا[٤] المِصداق أيضًا سِحر؟)**.

---

١ ن - بقوله: (دَفعًا على وُجوههم). قوله: (المِصداق) هو الشيء الذي.
٢ ن: يصرف.
٣ ن: الصدف.
٤ ن: هذا.

مَن نصبَهُ حالًا جعلَ الظَّرفَ مُستقرًّا، ومَن رفعَه خبرًا جعلَ الظَّرفَ لغوًا؛ أي: مُتَلَذِّذينَ ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾.

فإن قلتَ: علامَ عُطفَ قولُه: ﴿وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾؟

قلتُ: على قولِه: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾، أو على ﴿ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾، على أن تَجعلَ ﴿ما﴾ مصدريةً، والمعنى: فاكهين بإيتائِهم ربُّهم ووقايتِهم عذابَ الجحيمِ، ويجوزُ أن تكونَ الواو للحالِ، و"قد" بعَدها مُضمرةٌ.

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠﴾

يقال لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ أكلًا وشُربًا ﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾، أو: طعامًا وشرابًا ﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾؛ وهو الَّذي لا تنغِيصَ فيه، ويجوزُ أن يكونَ مثلَه في قوله:

هَنِيئًا مَرِيئًا غيرَ داءٍ مُخامِرٍ ... لِعَزَّةَ مِن أعراضِنَا ما اسْتَحَلَّتِ

قوله: (**مُستقَرًّا**) أي: خبرًا. وقوله: (**لَغوًا**) أي: ليس بخبر.

قوله: (**على أنْ يُجعل "ما" مصدريّة**)[1] "على أن يُجعل" متعلّق بقوله: (**على ﴿ءَاتَىٰهُمۡ﴾**)،[2] يريد: أنّه إذا جُعل ﴿وَوَقَىٰهُمۡ﴾[3] عطفًا على ﴿ءَاتَىٰهُمۡ﴾ لا يجوز أن يكون "ما" موصولة؛ إذ لا ضميرَ في قوله: ﴿وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ يعود إلى "ما"، فتعيّن أنْ يكون "ما" مصدريّة. وأمّا الضمير العائد مِن قوله: ﴿ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ فمحذوف، أي: آتاهم إيّاه، وهو المفعول الثاني لـ﴿ءَاتَىٰهُمۡ﴾، ولا يمكن تقدير مثل ذلك في ﴿وَوَقَىٰهُمۡ﴾؛ لأنّه أخذ كِلا مفعولَيه.

قوله: (**أكلًا وشربًا هنيًا**)... إلخ ﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾[4] على الوجه **الأوّل** صفة[5] للمصدر، وعلى **الثاني** صفة للمفعول به.

---

١ ن – على أن يُجعل "ما" مصدريّة.
٢ ن: آثاهم.
٣ ن: ووفاهم.
٤ ن – الخ ﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾.
٥ ن – صفة.

أعني: صفةً استُعملتْ استعمالَ المصدرِ القائمِ مَقامَ الفِعلِ مُرتفعًا بهِ "ما استحلَّت" كما يَرتفِعُ بالفعلِ، كأنّه قيلَ: هَنَأَ عزَّةَ المستَحَلُّ من أعراضِنَا، وكذلكَ معنَى ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ هاهُنا: هنَأكُم الأكلُ والشُّربُ، أو هَنَأكُم ما كنتُم تعملونَ؛ أي: جزاءُ ما كنتُم تعملونَ، والباءُ مزيدةٌ كما في ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ [الرعد ٤٣/١٣]، والباءُ متعلِّقةٌ بـ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ إذا جعلتَ الفاعِلَ الأكلَ والشُّربَ.

وقرئ: "بعِيسٍ عِينٍ".

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معطوفٌ على "حورٍ عِينٍ"؛ أي: قرَنَّاهُم بالحورِ وبالذين آمنُوا؛ أي: بالرُّفقاءِ والجُلساءِ منهم، كقوله: ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر ٤٧/١٥] فيتمتَّعونَ تارةً بملاعبةِ الحُورِ، وتارةً بمؤانسةِ الإخوانِ المؤمنينَ،

قوله: (وكذلك[١] معنى ﴿هَنِيٓـًٔا﴾)[٢] يشير إلى أنّ ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ ههنا مثل "هَنيئًا" في البيت[٣] في أنّه في محلّ المصدر لفعل محذوف، ثمّ بعد ذلك يحتمل ما في الآية وجهين: **الأوّل**: أن يكون فِعله[٤] مع فاعله محذوفًا، أي: هَنَأَ الأكلُ[٥] هنيئًا. **والثاني**: أن يكون فاعله[٦] "ما كنتم"، وعلى هذا يكون "الباء" زائدة.

قوله:[٧] (وقُرِئ: "بِعِيسٍ")[٨] حُورٍ، بمعنى: حُورٍ عِينٍ.

قوله: (أي: قرنّاهم) يعني: يكون قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ كقوله:[٩] "عَلَفْتُه تِبْنًا وماءً باردًا"، فإنّ ﴿زَوَّجۡنَٰهُم﴾ يدلّ[١٠] على "قَرنّاهم"، ولا يجوز أن يُحمل على ظاهره؛ إذ لا يصحّ: زوّجناهم بالذين آمنوا.

---

١ ف: ولذلك.

٢ ن: هنا.

٣ البيت لكثيّر عزّة في ديوانه، ص ١٠٠.

٤ ن: فعلة.

٥ ن: للأكل.

٦ ن: فاعلة.

٧ ن + أي: قرنّاهم.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه وإبراهيم. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٠.

٩ ن: لقوله.

١٠ ف: بل.

وأَتْبعناهم ذُرِّياتِهم؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله يرفعُ ذُرِّيَّةِ المؤمنِ في درجَتِه وإن كانُوا دونَه؛ لِتَقَرَّ بهم عينُه» ثم تلا هذه الآيةَ.

فيجمعُ الله لهم أنواعَ السُّرورِ بسعادتِهم في أنفسِهم، وبمزاوجَةِ الحورِ العِينِ، وبمؤانَسَةِ الإخوانِ المؤمنينَ، وباجتماعِ أولادِهم ونَسلِهم بهم.

ثمَّ قالَ: ﴿بإيمانٍ أَلْحَقْنا بهم ذرِّيَّاتِهم﴾؛ أي: بسببِ إيمانٍ عظيمٍ رفيعِ المحلِّ، وهو إيمانُ الآباءِ ﴿أَلْحَقْنَا﴾ بدرجاتِهم ﴿ذرياتهم﴾ وإن كانُوا لا يستأهلُونها، تفضُّلًا عليهِم وعلى آبائِهم، لِتُتِمَّ سرورَهم، ونكملَ نعيمَهم.

فإن قلتَ: ما معنى تنكيرِ الإيمانِ؟

قلتُ: معناه: الدِّلالةُ على أنَّه إيمانٌ خاصٌّ عظيمُ المنزِلةِ، ويجوزُ أنْ يُرادَ: إيمانُ الذُّرِّيَّةِ الدَّاني المحِلِّ، كأنَّه قال: بشيءٍ من الإيمانِ لا يؤهِّلُهم لدرجةِ الآباءِ ألحقناهم بهم.

وقرئ: "وأَتْبَعْتُهُم ذريَّتَهم"، ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾، و: ﴿ذُرِّيَّاتُهم﴾.

وقرئ: "ذِرِّياتُهم" بكسرِ الذَّالِ.

ووجهٌ آخرُ: وهو أن يكونَ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مبتدأً، خبرُه: ﴿بإيمانٍ أَلْحَقْنا بهم ذُرِّياتِهم﴾ وما بينهُما اعتراضٌ.

قوله: **(فيَجمَع)** إلى قوله: **(بهم)** ابتداءُ كلامٍ مِن المصنِّف لتفسير: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾.

قوله: **(ثمّ قال: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾)**[1] عطفٌ مِن حيث المعنى على الحديث، وهو قوله: **(قال رسول الله عليه السلام)**...[2] إلخ، فإنّ الحديث لمّا أورده المصنّف لبيان الآية، فكأنّه قال: قال الله تعالى: يرفع ذُرِّيّات المؤمنين إلى درجاتهم، ثمّ قال تعالى:[3] بسبب إيمانٍ ألحَقنا.

قوله:[4] **(لا يُؤَهِّلهم)** صفة **(شيء)**.

---

[1] ن: بإيمانهم.
[2] ف ن – عليه السلام.
[3] ن – يرفع ذُرِّيّات المؤمنين إلى درجاتهم، ثمّ قال تعالى.
[4] ن + قوله.

﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾: وما نقَصْنَاهُم، يعني: وفَّرنا عليهِم جميعَ ما ذكرنَا من الثَّوابِ والتَّفضُّلِ، ومَا نقصنَاهُم من ثوابِ عملِهِم من شيءٍ.

وقيل: معناه: وما نَقصناهُم من ثوابِهم شيئًا نعطيهِ الأبناءَ حتَّى يلحقُوا بهم، إنَّما ألحقنَاهُم بهم على سبيلِ التفضُّلِ.

قُرئ: ﴿أَلَتۡنَٰهُم﴾، وهو من بابَينِ: من أَلَتَ يَأْلِتُ، ومن أَلَاتَ يُلِيتُ، كأَمَاتَ يُميتُ، و: "آلتناهُم" من آلَتَ يُؤْلِتُ؛ كآمَنَ يُؤْمِنُ، و: "لِتْنَاهُم" من لَاتَ يَليتُ، و: "وَلَتْنَاهُم" من وَلتَ يَلِتُ؛ ومعناهنَّ واحدٌ.

﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾؛ أي: مرهونٌ، كأنَّ نفسَ العبدِ رهنٌ عندَ الله بالعملِ الصَّالحِ الذي هو مطالَبٌ به، كما يَرْهنُ الرَّجلُ عبدَه بدَينٍ عليه، فإن عمِلَ صالحًا فكَّها وخلَّصَها، وإلَّا أوْبَقَها.

﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢﴾

﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم﴾: وزدناهُم في وقتٍ بعد وقتٍ.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾

﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾: يتعاطَون ويتعاوَرُون هُم وجلساؤهُم من أقربائِهم وإخوانِهم ﴿كَأۡسٗا﴾: خمرًا ﴿لا لَغْوَ فيها﴾: في شُربها ﴿ولا تأثيمَ﴾؛ أي: لا يتكلَّمون في أثناءِ الشُّربِ بسَقَطِ الحديثِ وما لا طائلَ تحتَه؛ كفعلِ المتنادِمينَ في الدُّنيا على الشَّرابِ في سَفَهِهم وعَرْبَدَتِهم، ولا يفعلُونَ ما يُؤثَمُ به فاعِلُه؛ أي: يُنْسَبُ إلى الإثمِ لو فعلَه في دارِ التَّكليفِ؛ من الكذبِ والشَّتمِ والفواحِشِ، ....

قوله: (في أثناء الشرب) الأثناء: جمع الثِّني، قال في الصحاح: «الثِّنْيُ: واحد أثناءِ الشيء، أي: تضاعيفه».[1]

قوله: (وعَرْبَدَتِهم) العَرْبَدة: سوء الخُلُق، والمُعَرْبِد: هو الذي يؤذي نَدِيمه.[2]

---

[1] الصحاح للجوهري، «ثني».

[2] الصحاح للجوهري، «عربد».

وإنَّما يتكَّلمونَ بالحِكَمِ والكَلامِ الحسَنِ متلذِّذِين بذلك، لأنَّ عقولَهم ثابتةٌ غيرُ زائلةٍ، وهم حكماءُ علماءُ.

وقُرِئَ: ﴿لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ﴾.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ أي: مملوكُون لهم مخصوصُونَ بهم.

﴿مَّكْنُونٌ﴾ في الصَّدَفِ؛ لأنَّه رَطْبًا أحسنُ وأصفَى، أو مخزونٌ؛ لأنَّه لا يُخزَنُ إلَّا الثَّمينُ الغالي القيمةِ، وقيلَ لقتادةَ: هذا الخادمُ فكيف المخدُوم؟ فقال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «والَّذي نفسِي بيدِه إنَّ فضلَ المخدُومِ على الخادِمِ كفضْلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ».

وعنه صلى الله عليه وسلم: «إنَّ أدنَى أهلِ الجنَّةِ منزلةً مَن يُنادِي الخادِمَ من خُدَّامِهِ فيجيبُه ألفٌ ببابِه: لبَّيكَ لبَّيك».

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: يتحادثُون ويسألُ بعضُهم بعضًا عن أحوالِه وأعمالِه وما استوجَبَ به نيلَ ما عندَ الله.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿مُشْفِقِينَ﴾: أرِقَّاءَ القلوبِ من خشيةِ اللهِ.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

وقرئ: "ووقَّانا" بالتَّشديدِ.

﴿عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾: عذابَ النَّارِ ووهجَهَا ولَفحَهَا، والسَّمُومُ: الرِّيحُ الحارَّةُ التي تَدخُل المسَامَّ، فسُمِّيتْ بها نارُ جهنَّمَ لأنَّها بهذه الصِّفةِ.

قوله: **(وَوَهَجَها)** الوَهَجُ -بالتحريك-: حرّ النار، والوَهْجُ -بالتسكين-

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ لقاءِ اللهِ والمصيرِ إليهِ، يعنونَ في الدُّنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾: نعبدُهُ ونسألُه الوِقايةَ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾: المحسنُ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: العظيمُ الرَّحمةِ، الَّذي إذا عُبِدَ أثابَ، وإذا سُئِلَ أجابَ.

وقُرِئَ: ﴿أنَّه﴾ بالفتحِ، بمعنى: لأنَّه.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٢٩﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾: فاثْبُتْ على تذكيرِ النَّاسِ وموعظتِهم، ولا يُثَبِّطَنَّكَ قَولُهم: كاهنٌ أو مَجنونٌ، ولا تُبالِ بهِ فإنَّه قولٌ باطلٌ متناقِضٌ؛ لأنَّ الكاهِنَ يحتاجُ في كهانتهِ إلى فِطنةٍ ودِقَّةِ نَظَرٍ، والمجنونُ مغطًّى على عقلِهِ، وما ﴿أَنتَ﴾ بحمدِ اللهِ وإنعامِه عليكَ بصِدقِ النُّبوَّةِ ورَجاحةِ العَقلِ أحدَ هذَين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ٣٠﴾

وقُرِئَ: "يُتربَّص به ريبُ المنونِ" على البناءِ للمفعولِ.

و"ريبُ المنونِ": ما يُقلِقُ النُّفوسَ ويَشخَصُ بها من حوادِثِ الدَّهرِ، قال:

أَمِنَ المنونِ ورَيْبِه تَتَوجَّعُ

مصدر وَهَجَتِ النارُ تَهِجُ وَهْجًا وَوَهَجانًا؛ إذا اتّقَدَت.[١] ويقال: لَفَحَتْه النار بحرِّها، وكذا السَّموم.[٢]

قوله: (ورَيبُ المَنون)... إلخ الرَّيبُ: بمعنى الرايب، مِن قولهم: رابَه الدهر، وأرابَه، أي: أقلقَه. ويقال: شَخَصَ مِن / بلد كذا، أي: خرَج وذهَب. والباء في "بها" للتعدية. [٣٧٩ظ]

قوله:

(أَمِن المَنون[٣] ورَيبه تتوجَّعُ)

---

١ الصحاح للجوهري، «وهج».

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «لفح».

٣ ن: المؤمنون.

وقيل: المنونُ: الموتُ، وهو في الأصلِ فَعولٌ من مَنَّهُ: إذا قطَعَهُ؛ لأنَّ الموتَ قَطُوعٌ، ولذلكَ سُمِّيتْ شَعوبَ، قالُوا: ننتظرُ به نوائبَ الزَّمانِ فيهلِكُ كما هلَكَ مَن قبْلَه من الشُّعراءِ: زهيرٌ والنَّابغةُ.

﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ٣١﴾

﴿مِنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أتربَّصُ هلاكَكُم كما تتربَّصونَ هلاكِي.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٣٢﴾

﴿أَحْلَٰمُهُم﴾: عقولُهم وألبابُهُم، ومنهُ قولُهم: أحلامُ عادٍ، والمعنى: أتأمُرُهُم أحلامُهم بهذا التَّناقُضِ في القَولِ، وهو قَولُهم: كاهِنٌ وشاعرٌ، مع قولِهم: مجنونٌ، وكانت قريشٌ يُدْعَونَ: أهلَ الأحلامِ والنُّهى ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: مجاوزُونَ الحَدَّ في العِنَادِ مع ظهورِ الحَقِّ لهم.

فإن قلتَ: ما معنى كونِ الأحلامِ آمِرةً؟

قلتُ: هو مجازٌ لأدائِها إلى ذلكَ، كقولِه: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود ١١/٨٧].

تمامه:

والـدهـر لـيـس بِـمُـعـتِـبٍ مَـن يَـجـزَعُ[1]

"بمُعْتِبٍ"، أي: بمُرْضٍ.

قوله: (**سُمِّيت شَعُوبَ**)[2] الشُّعْبة: الفُرْقة، تقول: شَعَبَتْهم المَنية، أي: فرَّقَتْهم، وشَعَبْتُ الشيءَ،[3] أي: فرَّقْتُه وجَمَعْتُه أيضًا.[4]

قوله: (**زُهير والنابغة**) عطفُ بيان (**مَن قَبلَه**).

---

[1] ن – تمامه:
والدهر ليس بمُعْتِبٍ مَن يَجْزَع
| لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه، ص ٥٥.

[2] ف: شَعُوبَ.

[3] ن – الشيء.

[4] **الصحاح** للجوهري، «شعب».

وقُرئ: "بل هُم قومٌ طاغُونَ".

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ٣٣﴾

﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾: اختَلَقَه من تِلقاءِ نفسِه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فلِكُفرِهم وعِنادِهم يَرمونَ بهذه المَطاعِنِ مع علمِهم ببُطلانِ قولِهم وأنّه ليسَ بمتقوِّلٍ؛ لعجزِ العربِ عنه، وما محمّدٌ إلّا واحدٌ من العربِ.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ٣٤﴾

وقُرئَ: "بحديثِ مِثلِه" على الإضافةِ، والضَّميرُ لرسولِ اللهِ، ومعناه: أنَّ مثلَ محمدٍ في فصاحتِه ليسَ بمُعْوِزٍ في العربِ، فإن قَدَرَ محمَّدٌ على نَظمِهِ كانَ مِثلهُ قادرًا عليهِ "فليأتوا بحديثِ" ذلكَ المثل.

قوله: (وقُرئ: "بَلْ هُمْ") شاذّ.[١]

قوله: (وأنّه ليس) أي: أنّ القرآن.

قوله: (ومعناه: أنّ مثلَ)... إلخ وأظنُّ أنّ معنى هذه القراءة[٢] -والله أعلم-: أنّ محمّدًا لم يتعلّم ولم يَتدارَس الكتب ولم يسافر،[٣] فليأتوا بحديث مَن كان بهذه الصفة، ووازِنوا بينَه وبينَه. هذا معنى هذه القراءة، لكن معنى القراءة المشهورة أدخَلُ في معنى[٤] الإعجاز، فليتأمّل.

قوله: (ليس بمُعْوِز) يقال: أعْوَزَه الشيء إذا احتاج إليه، فلم يقدِرْ عليه.[٥]

قوله: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ المُسَيْطِر والمُصَيطِر: المُسَلَّط على الشيء لِيُشرفَ عليه، ويتعهّدَ أحواله، ويكتُبَ عملَه.[٦]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٥٠.

٢ يعني قراءة: "بِحَدِيثِ مِثْلِهِ" على الإضافة. وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَحدري. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٥٠.

٣ ن - ولم يسافر.

٤ ن: هذا.

٥ **الصحاح** للجوهري، «عوز».

٦ **الصحاح** للجوهري، «سطر».

﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾

﴿أَمْ خَلَقُواْ﴾: أم أحدثوا وقدَّروا التقديرَ الَّذي عليه فِطرتُهم ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾: من غيرِ مقدِّرٍ ﴿أَمْ هُمُ﴾ الذينَ خلقُوا أنفسَهم حيثُ لا يعبدونَ الخالقَ.

﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾؛ أي: إذا سُئلوا: مَن خَلقَكُم وخلقَ السَّماواتِ والأَرضَ؟ قالوا: الله، وهم شاكُّون فيما يقولونَ، لا يُوقنون.

وقيل: أخُلِقُوا من أجلِ لا شيءٍ من جزاءٍ ولا حسابٍ.

وقيل: أخُلِقُوا من غيرِ أبٍ وأمٍّ.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ الرِّزقِ حتى يرزُقُوا النُّبوَّةَ مَن شاؤوا؟ أو: أعِندهم خَزائنُ علمِهِ حتَّى يختارُوا لها مَن اختيارُهُ حِكمةٌ ومَصلحةٌ.

﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: الأربابُ الغالبونَ حتَّى يُدبِّرُوا أمرَ الرُّبوبيَّةِ، ويبنُوا الأمورَ على إرادتِهم ومشيئَتِهم، وقُرئ: ﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ بالصَّادِ.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ منصوبٌ إلى السَّماءِ يَستمعُون صَاعدينَ فيه إلى كلامِ الملائكةِ وما يُوحَى إليهم من علمِ الغَيبِ حتَّى يَعلموا ما هو كائنٌ مِن تقدُّمِ هلاكِه على هلاكِهم، وظَفرِهم في العاقبة دونَه كما يَزعمونَ.

﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجةٍ واضحةٍ تُصدِّقُ استماعَ مُستمِعِهم.

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۝٣٩ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١﴾

"المغرمُ": أن يلتزمَ الإنسانُ ما ليسَ عليه؛ أي: لزِمَهم مغرمٌ ثقيلٌ ....

فَدَحَهُم فَزَهَّدَهُم ذلكَ في اتّباعك.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾؛ أي: اللَّوحُ المحفوظُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه حتَّى يقولوا: لا نُبعثُ، وإنْ بُعثنا لم نُعذَّبْ.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وهو كيدُهم في دارِ النَّدوةِ برسولِ الله وبالمؤمنين ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إشارةٌ إليهم، أو أريدَ بهم كلُّ مَن كفرَ بالله ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾: هم الَّذين يعودُ عليهم وبالُ كيدِهم ويَحيقُ بهم مكرُهم، وذلكَ أنَّهم قُتلوا يومَ بدرٍ.

أو: المغلوبونَ في الكيدِ، من: كايَدْتُه فكِدْتُه.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

"الكِسْفُ": القِطعةُ، وهو جوابُ قولِهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء ٩٢/١٧]، يريدُ أنَّهم لِشدَّةِ طُغيانِهم وعِنادِهم لو أسقطناهُ عليهم لقالُوا: هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ بعضُه فوقَ بعضٍ يُمطرنَا، ولم يُصدِّقُوا أنَّه كِسْفٌ ساقطٌ للعذابِ.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله: (فدَحهم) يقال: فدحَه الدَّين، أي: أثقله.[١]

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ المراد بـ﴿ٱلْغَيْبُ﴾: الغائب، فلذلك قال: "المراد به اللوح المَحفوظ".

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي: لا ينفع إنذار هؤلاء، فذَرهم حتّى يَلْقَوا[٢] يومَ القيامة، وقيل: يومَ الموتِ.

---

[١] الصحاح للجوهري، «فدح».
[٢] ن: يلقو.

قُرِئَ: ﴿حتَّى يَلْقَوا﴾ و: "يُلَقَّوا".

﴿يَصْعَقون﴾: يموتُونَ، وقُرِئَ: ﴿يُصْعَقُونَ﴾، يقال: صَعَقَهُ فصَعِقَ، وذلكَ عندَ النَّفخةِ الأولى نفخةِ الصَّعَقِ.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: وإنَّ لهؤلاءِ الظَّلمةِ ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: دونَ يومِ القيامةِ: وهو القتلُ ببدرٍ، والقحطُ سبعَ سِنينٍ، وعذابُ القبرِ. وفي مصحفِ عبدِ اللهِ: "دونَ ذلك قريبًا".

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمْهالِهم وما يَلحقُكَ فيه من المشقَّةِ والكُلفَةِ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مَثَلٌ؛ أي: بحيثُ نراكَ ونكلؤكَ، وجمعُ العينِ لأنَّ الضَّميرَ بلفظِ ضميرِ الجماعةِ، ألَا ترَى إلى قولِه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه ٣٩/٢٠]، وقُرِئَ: "بأعيُنَّا" بالإدغام.

﴿حِينَ تَقُومُ﴾: من أيِّ مكانٍ قمتَ، وقيل: من مَنامِك.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: وإذا أدبرَتِ النُّجومُ مِن آخرِ اللَّيلِ، وقُرِئَ: "وأَدبارَ" بالفتحِ، يعنِي: في أعقابِ النُّجومِ وآثارِها إذا غَربتْ.

والمرادُ: الأَمْرُ بقولِ: "سبحان الله وبحمدِه" في هذه الأوقاتِ.

قوله: (وما يَلْحَقُكَ) الأَولى أن يكون "ما يَلحَقك" عطفًا على قوله: (حُكْمِ).

قوله:[١] (ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ [طه ٣٩/٢٠]) فلم يجمع "العين" حين لم يكن الضمير بلفظ الجماعة.

---

[١] ف - قوله.

وقيل: التَّسبيحُ: الصَّلاةُ إذا قامَ من نومِه، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾: صلاةُ العشاءَين، ﴿وَإِدۡبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: صلاةُ الفجرِ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ الطُّورِ كان حقًّا على الله أن يؤمِّنَهُ مِن عذابِه وأن يُنَعِّمَهُ في جَنَّتِه».

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.[1]

---

١ ف ن – ومنّه وكرمه.

سورة النجم

مكية، وهي إحدى وسِتُّون، وقيل: ثنتان وسِتُّون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾

"النَّجمُ": الثُّريَّا، وهو اسمٌ غالبٌ لها، قال:

إذَا طلَــعَ النَّجْـــمُ عِشَـــاءً ابـتَـغَـى الـــرَّاعِـــي كِـسَـــاءً

أو: جِنسُ النُّجومِ، قال الراعي:

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله:

(إذا طلَـــعَ النجـــمُ عِشـــاءًا[2] ابـتـغـى الـــراعـــي كِـــساءًا)[3]

هـذا البيت مِن الرَّمَل مَجزُوّ، والرَّمَل "فاعِلَاتُنْ" سِتّ مرّات، حُذف بالجَزْءِ[4] عَرُوضُه وضَرْبُه،[5] فصار:[6] "فاعِلاتُن فاعِلاتُن فاعِلاتُن فاعِلاتُن"،[7] وزاد فيه الشاعر "إذا" بالخَزْم.[8] والخَزْمُ:[9] زيادةٌ في أوّل البيت لا يُعتَدُّ به في التقطيع. وقوله: "عِشاءً" مُنوّنٌ؛ لأنّه ضَرْبُ البيت، وليس محلّ الوَقف. وقوله: "طلَعَ"

---

١ ف ن – وبه نستعين.
٢ ن: عشاءً.
٣ ن: كساءً. | يُروى مِن قول العرب مِن غير نسبة. انظر: **المخصّص** لابن سيَده، ٣٦٩/٢؛ و**ربيع الأبرار** للزمخشري، ١٠٣/١.
٤ ن: بالحز.
٥ ن: وحربه.
٦ ف: صار.
٧ ن – فاعلاتن.
٨ ن: بالحرم.
٩ ن: بالجزم.

فـبـاتَـتْ تـعـدُّ الـنَّـجـمَ فـي مُـسـتَـجِـيـرةٍ

يريدُ: النُّجومَ.

﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: إذا غَربَ أو انتَثَرَ يومَ القيامَةِ.

أو: النَّجمُ الذي يُرجَمُ به، ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: إذا انقضَّ.

أو: النَّجمُ من نجومِ القُرآنِ، وقد نَزَلَ منَجَّمًا في عِشرين سنةً، ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: إذا نَزَلَ.

أو: النباتُ ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: إذا سقطَ على الأرضِ.

وعن عُروةَ بن الزُّبيرِ: أنَّ عُتبةَ بنَ أبي لهبٍ وكانت تحتَه بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادَ الخروجَ إلى الشَّام، فقالَ: لآتيَنَّ محمَّدًا فلأُوذِيَنَّه، فأتاه فقال: يا محمَّدُ، هو كافِرٌ بالنَّجمِ إذا هَوَى، وبالَّذي دَنا فتدلَّى، ثم تفَلَ في وجهِ رسول الله وردَّ عليهِ ابنتهُ وطلَّقَها، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهمَّ سلِّطْ عليه كلبًا من كِلابكَ»، ....

لأنَّ طُلوعَ الثُّريّا في الشتاء يكون في أوائلِ الليل.

قوله:

(فباتَــتْ تَعُــدُّ النجــمَ فــي مُســتَجِيرةٍ)

تمامه:

ســريـعٍ بـأيـدي الآكـلـيـن جُـمُـودُهـا[1]

و"المستَجِيرَة":[2] هي الجَفْنة الممْتَلِئة.[3] أي: نظَرَتْ في هذه الجَفْنة فرأتْ فيها النجوم لعِظَمها. قوله: "سريعٍ" يريد: أنّ الوقتَ كان وقتَ الشتاء، فكان يَجْمُدُ دَسَمُه على أيدي الآكلين.

وقوله: **(يريد)** أي: الشاعر.

---

١ للراعي النميري في **لسان العرب** لابن منظور، «نجم».
٢ ن: والمستجيرة.
٣ ن: الممثلة.

وكان أبو طالبٍ حاضرًا فوَجَمَ لها، فقال: ما كانَ أغناكَ يا ابنَ أخي عن هذه الدَّعوةِ! فرجعَ عتبةُ إلى أبيه فأخبرَه، ثم خرجُوا إلى الشَّامِ فنزلُوا منزلًا، فأشرفَ عليهم راهبٌ من الدَّيرِ فقال لهم: إنَّ هذه أرضٌ مَسبعَةٌ، فقال أبو لهبٍ لأصحابه: أغيثُونا يا معشرَ قريشٍ هذه الليلةَ، فإنِّي أخافُ على ابني دعوةَ محمَّدٍ، فجمعُوا جمالَهم وأناخُوها حولَهم وأحدقُوا بعُتبةَ، فجاءَ الأسدُ يتشمَّمُ وجوهَهُم حتى ضربَ عُتبةَ فقتلَه، فقال حسَّانُ:

مَن يَرجِعُ العَامَ إلى أَهلِهِ فَمَا أَكِيلُ السَّبعِ بالرَّاجِعِ

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني: محمَّدًا صلى الله عليه وسلم، والخطابُ لقريشٍ،

قوله: (فوَجَمَ) أي: سَكَتَ مع الغَمّ. وقوله:[١] **(ما كان أغناك)** "كان" زائدة، و"ما" للتعجُّب. وقوله: **(عن هذه الدعوة)** / أي: الدعاء. [٣٨٠و]

قوله: **(حتّى ضرب عُتْبةَ فقتَلَه)** قال بعضهم: هذا الحديث غير صحيح، وقال:[٢] إنّ[٣] عُتْبة أسلمَ وحَسُن إسلامُه. قال محيي السُّنّة رحمه الله[٤] في **شرح السُّنّة**، في باب ما يجوز للمُحْرِم قَتلُه مِن الوَحش: «الكَلب العَقُور: كلُّ سَبُعٍ يَعْقِرُ، وقد دعا النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[٥] على عُتْبَةَ بن[٦] أبي لَهَبٍ فقال: 'اللّهمّ سَلِّطْ عليه كَلْبًا مِن كِلابكَ'، فافترَسَه الأسدُ».[٧]

قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني محمّدًا[٨] صلّى الله عليه وسلّم،[٩] أي: ما أخطأ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم[١٠] فيما رأى وأخبر عنه، وما عدَل عن القصْد فيه؛ لأنّهم سَمَّوه ضالًا، فكذَّبهم[١١] الله تعالى في ذلك.

---

١ ن: قوله.
٢ ن: قال.
٣ ن: وإنّ.
٤ د - رحمه الله.
٥ د: عليه السلام.
٦ ن: ابن.
٧ شرح السنّة للبغوي، ٢٦٨/٧.
٨ ن: محمّد.
٩ د: عليه السلام.
١٠ د: عليه السلام.
١١ ن: فلذبهم.

وهو جوابُ القَسَمِ، والضَّلالُ: نقيضُ الهُدَى، والغَيُّ: نقيضُ الرُّشدِ؛ أي: هو مُهتدٍ راشدٌ، وليس كما تزعمونَ من نِسبَتِكُم إيَّاهُ إلى الضَّلالِ والغَيِّ، وما أتاكُم به من القرآنِ ليسَ بمَنْطقٍ يَصْدرُ عن هواهُ ورأيِهِ، إنَّما هو وحيٌ من عندِ الله يُوحَى إليه.

ويَحتجُّ بهذه الآيةِ مَن لا يَرى الاجتهادَ للأنبياءِ، ويُجابُ بأنَّ الله تعالى إذا سوَّغَ لهم الاجتهادَ كانَ الاجتهادُ وما يَستنِدُ إليه كلُّه وحيًا لا نُطقًا عن الهَوى.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥﴾

﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾: مَلَكٌ شديدٌ قُواهُ، والإضافةُ غيرُ حقيقيَّةٍ لأنَّها إضافةُ الصِّفةِ المشبَّهةِ إلى فاعِلِها وهو جبريلُ عليه السَّلامُ، ومِن قوَّتِهِ أنَّه اقتلَعَ قُرَى قومِ لوطٍ من الماءِ الأسودِ وحملَها على جناحِهِ، ورفعَهَا إلى السَّماءِ ثم قلَبَهَا، وصاحَ صيحةً بثمودَ فأصبحُوا جاثمينَ، وكانَ هُبُوطُه على الأنبياءِ وصُعُودُه في أَوْحَى من رَجْعةِ الطَّرفِ، ورأى إبليسَ يُكلِّمُ عيسَى على بعضِ عِقابِ الأرضِ المقدَّسةِ فنفحَه بجناحِه نفحةً فألقاهُ في أقصَى جبلٍ بالهندِ.

﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾

﴿ذُو مِرَّةٖ﴾: ذو حَصَافةٍ في عقلِه ورأيِهِ ومتانةٍ في دينِهِ ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾: فاستقامَ على صورةِ نفسهِ الحقيقيَّةِ، دونَ الصُّورةِ التي كان يتمثَّلُ بها كلما هبَطَ بالوَحي، وكان ينزلُ في صُورةِ دِحيةَ الكَلْبيِّ.

قوله: (**في أَوحَى**) أي: في أسرَعَ.

قوله: (**عِقاب**) جمع عَقَبة.

قوله: (**دِحيَة**) ودِحْية -بالكسر- هو دِحْية بن[1] خليفة الكَلْبي، الذي كان يأتي جبرئيلُ عليه السلام في صورته، وكان مِن أجمل الناس. وأمّا دَحْية -بالفتح-

[1] ن: ابن.

وذلكَ أنَّ رسولَ الله أحبَّ أن يراهُ في صُورتِه التي جُبِلَ عليها، فاستوى له في الأفقِ الأعلَى -وهو أفقُ الشَّمسِ- فملأَ الأُفُقَ.

وقيل: ما رآهُ أحدٌ من الأنبياء في صورتِهِ الحقيقيةِ غيرُ محمَّدٍ مرَّتين: مرةً في الأرضِ، ومرةً في السَّماءِ.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من رسول الله ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: فتَعلَّق عليه في الهواء، ومنهُ: تدَلَّتِ الثَّمرةُ، ودلَّى رجلَيْهِ من السَّريرِ، والدَّوالي: الثَّمرُ المُعلَّقُ، وقال:

تَـدلَّـى عـلـيـهـا بـيـن سِـــبٍّ وخَـيـطَـةٍ

ويُقال: هو مِثلُ القِرِلَّى: إن رأى خيرًا تدلَّى، وإن لم يرَه تولَّى.

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾: مقدارَ قوسَين عربيَّتينِ، والقَابُ، والقِيبُ، والقَادُ، والقِيدُ،

ودَحْوة فهما ابنا مُعاوِيةَ بن[1] بكر بن هوازن.[2]

قوله:

(تـدلَّـى عـلـيها بـيـن سِـــبٍّ وخَـيْـطـةٍ)

تمامه:

بـجَـرداء مـثـلِ الـوَكْـفِ يَـكْبُـو[3] غُـرابُـهـا[4]

السِّبُّ: الحَبل.[5] والخيط: الوَتِدُ. والجَرداء:[6] الصخرة المَلْسـاء.[7] والوَكْف: النِّطْع. والشاعر يصف مُشْتارًا.[8] والضمير في "عليها" للعَسَل؛ لأنّه يُذكَّر ويُؤنَّث.

قوله: **(القِرِلَّى)** طائر يصيد السمك. والمعنى: إنْ رأى خيرًا -أي:[9] سَمَكًا- تعلَّق به، وإلّا تولَّى.

---

١ ن: ابن.

٢ ن: حوارن.

٣ د: يَكْبوا؛ ن: نكبوا.

٤ وفي هامش د ف: وقيل تمامه:
تـدلِّـيَ دَلْـوِ الـماتِـحِ الـمُـتَـشَـمِّرِ
| لأبي ذُؤَيب الهذلي في **الصحاح** للجوهري، «سبب»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «سبب».

٥ ن: الجيل.

٦ ن: والجردا.

٧ ن: الملسـا.

٨ ن: مشتازًا. | المُشتار: المُجتني للعسـل. شُرْتُ العسـلَ واشتَرتُها، أي: اجتَنَيتها. **الصحاح** للجوهري، «شور».

٩ ن + أو.

والقِيسُ: المِقدارُ، وقرأ زيدُ بنُ عليّ: "قادَ"، وقُرئ: "قِيدَ"، و: "قَدْرَ".

وقد جاءَ التَّقديرُ: بالقَوسِ، والرُّمحِ، والسَّوطِ، والذِّراعِ، والبَاعِ، والخَطوةِ، والشِّبرِ، والفِترِ، والإصبَعِ، ومنه: «لا صلاةَ إلى أن ترتفعَ الشَّمسُ مقدارَ رُمحَيْنِ».

وفي الحديث: «لَقَابُ قَوسِ أحدِكُم من الجنَّةِ وموضِعُ قِدِّهِ خيرٌ من الدُّنيا وما فيهَا»، والقِدُّ: السَّوطُ.

ويقالُ: بينهما خُطُواتٌ يسيرةٌ، وقال:

وقَـدْ جَعَلَتْنِي مِـن حَـزِيـمَـةَ إصبَعَا

فإن قلتَ: كيفَ تقديرُ قولِه: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾؟

قلتُ: تقديرُه: فكانَ مِقدارُ مسافةِ قُربهِ مِثلَ قَابِ قوسَيْنِ، فحُذِفت هذه المضافاتُ كما قال أبو عليّ في قولِه:

وقَـدْ جَعَلَتْنِي مِـن حَـزِيـمَـةَ إصبَعَا

أي: ذا مقدارِ مسافةِ إصبَعٍ.

﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي: على تقديرِكُم؛ ....

قوله: (والفِتْرِ) "الفِتر": ما بين طرَف[1] السَّبّابة والإبهام إذا فتحْتَهما.[2]

قوله:

(وقـد جعلَتْنِي مِـن حَـزِيـمـةَ إصبَعا)

أوّله:[3]

فـأدرَكَ إبـقـاء الـعَـرادةِ ظَـلْـعُـهـا[4]

أي: أوصَلَتْني إلى المنزل العَرادة، فلمّا بقيَ بيني وبينه مقدارُ مسافةِ إصْبَعٍ أدركه الظَّلْعُ؛[5] وهو وَجَع الرِّجلِ، والمراد الفرَس.

---

[1] ن: طرفي.

[2] **الصحاح** للجوهري، «فتر».

[3] ف ن: قوله.

[4] ن: طلعها. | للكَلْحَبة اليربوعي في **لسان العرب** لابن منظور، «بقي».

[5] ن: الطلع.

كقولِه: ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات ١٤٧/٣٧].

﴿إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾: إلى عبدِ اللهِ، وإن لم يَجْرِ لاسمهِ عزَّ وجلَّ ذِكْرٌ؛ لأنَّه لا يُلبِسُ كقَولِه: ﴿عَلَىٰ ظَهۡرِهَا﴾ [فاطر ٤٥/٣٥].

﴿مَآ أَوۡحَىٰ﴾ تفخيمٌ لِلوَحْي الَّذي أُوحِيَ إليه، قِيلَ: أوحَى إليه أنَّ الجنَّةَ محرَّمةٌ على الأنبياءِ حتَّى تَدخُلَها، وعلى الأممِ حتَّى تَدْخُلَها أُمتكَ.

﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾

﴿مَا كَذَبَ﴾ فؤادُ محمَّدٍ ما رآهُ ببصرِه من صُورةِ جبريل؛ أي: ما قالَ فؤادُهُ لمَّا رآهُ: لم أعرِفْكَ، ولو قالَ ذلك لكان كاذبًا؛ لأنَّه عرفَهُ، يعني: أنَّه رآهُ بعينِه وعَرَفَهُ بقلبِه، ولم يَشكَّ في أنَّ ما رآهُ حقٌّ.

وقُرِئَ: ﴿ما كذَّبَ﴾؛ أي: صدَّقَهُ ولم يَشُكَّ أنَّه جبريلُ بصُورتِه.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ مِن المِراءِ؛ وهو المُلاحاةُ والمُجادلةُ، واشتقاقُه من مَرْيِ النَّاقةِ،

قولـه: (كقوله تعالى: ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات ١٤٧/٣٧]) ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات ١٤٧/٣٧].

قولـه: (كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ ظَهۡرِهَا﴾ [فاطر ٤٥/٣٥]) ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا﴾ [فاطر ٤٥/٣٥]، أي: على ظهر الأرض.

قوله تعالى: ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ مفعول به، مثل "زيدًا" في قولك: "كذبتَ[١] زيدًا".

قولـه: (المُلاحاة) يقال: لاحَيتُه[٢] مُلاحاةً ولِحاءً إذا نازَعتَه، وفي المَثَل: «مَن لاحاكَ[٣] فقد عاداكَ».[٤]

---

١ ن: لدبت.
٢ ن: لاحتيه.
٣ ن: لاجاك.

٤ الصحاح للجوهري، «لحى». وفي مجمع الأمثال للميداني، ٣١٢/٢: «اللَّحْيُ واللَّحْو: القَشْر، أي: مَن تعرَّض لِقشْر عِرْضك فقد نَصَب لك العَداوة. والمَثَل مِن قول أكْثَم بن صَيْفي».

كأنَّ كلَّ واحدٍ من المتجادلَين يمرِي مَا عندَ صاحِبِهِ.

وقرئ: ﴿أَفَتَمْرُونَهُ﴾: أَفَتَغْلِبُونَه في المِراءِ؟ مِن مَارَيتُهُ فمَرَيتُه، ولِمَا فيه من معنى الغَلَبَةِ عُدِّيَ بـ﴿عَلَىٰ﴾ كما تقولُ: "غلبتُه على كَذا"، وقِيل: ﴿أَفَتَمْرُونَهُ﴾: أفتَجْحَدُونَهُ؟ وأنشدُوا:

لئِن هجَرْتَ أَخَا صِدْقٍ ومَكرُمَةٍ   لَقَد مَرَيْتَ أَخًا مَا كانَ يَمْرِيكَا

وقالُوا: يُقالُ: مَرَيْتُهُ حقَّه: إذا جَحَدْتَهُ، وتَعْدِيَتُهُ بـ﴿عَلَىٰ﴾ لا يَصحُّ إلَّا على مذهبِ التَّضمينِ.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾

﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: رأى جبريلَ عليه السلام مرَّةً أخرى، من النُّزولِ، نُصبتِ النَّزلةُ نصبَ الظَّرفِ الَّذي هو "مَرَّةً" لأنَّ الفَعلَةَ اسمٌ للمرَّة من الفِعلِ، فكانتْ في حُكمِها؛ أي: نزلَ عليه جبريلُ نزلةً أخرى في صورةِ نفسِه فرآهُ عليهَا، وذلك ليلةَ المِعراجِ.

قيل في سِدرة المنتهَى: هي شجرةُ نَبِقٍ في السَّماءِ السَّابعةِ عن يمينِ العَرشِ،

قوله: (وأنشدوا:[١]

لـئـن هَـجَـزتَ)...[٢] الـبـيـتَ[٣]

قوله: "لقد مَرَيْتَ"، أي: جَحَدْتَه. وخلاصة المعنى: لئن هجَرْتني -وأنا أخو صِدْقٍ ومَكرُمةٍ- لقد جَحَدْتَ حقَّ أخٍ وَفيٍّ ما كان يجحد حقَّك.

قوله: (شجرة نَبِقٍ) النَّبْقُ: تخفيف نَبِق بكسر الباء، وهو حِمْلُ السِّدْر، الواحدة: نَبِقةٌ، مثل: كَلِم وكَلِمة.[٤]

---

[١] ن: وأنشد.

[٢] في بعض مطبوعات الكشّاف: هَجوت.

[٣] بغير نسبة في الكشف والبيان للثعلبي، ١٠٣/٢٥ (النجم، ١٢/٥٣)؛ والتفسير البسيط للواحدي، ٢٧/٢١ (النجم، ١٢/٥٣).

[٤] الصحاح للجوهري، «نبق». | وفي هامش د

ف: قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ﴾ الآيَة، ﴿عِندَ﴾ ظرف لـ﴿رَأَىٰ﴾، و﴿عِندَهَا﴾ حال مِن "السِّدرة"، و﴿إِذْ﴾ ظرف زمان لـ﴿رَأَىٰ﴾، و﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ مفعول ﴿رَأَىٰ﴾، وقيل: هو نعت لـ﴿ءَايَٰتِ﴾، والمفعول محذوف، أي: شيئًا مِن آيات ربِّه. أبو البقاء. | التبيان لأبي البقاء العكبري، ١١٨٧/٢.

ثمرُها كقِلالِ هَجَر، ووَرَقُها كآذانِ الفيُولِ، تنبعُ من أصلِها الأنهارُ الَّتي ذكرَها الله في كتابِهِ، يسيرُ الرَّاكبُ في ظِلِّها سبعينَ عامًا لا يقطعُها.

و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ بمعنى: مَوضعِ الانتهاءِ، أو: الانتهاءِ؛ كأنَّها في منتهى الجنَّةِ وآخِرِها.

وقيل: لم يجاوزْهَا أحدٌ، وإليهَا ينتهِي عِلمُ الملائكةِ وغيرِهم، ولا يعلمُ أحدٌ ما وراءَها.

وقيل: تَنتهِي إليها أرواحُ الشُّهداءِ.

﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾: الجنَّةُ الَّتي يصيرُ إليها المتَّقونَ: عن الحسن.

وقيلَ: تأوِي إليهَا أرواحُ الشُّهداءِ.

وقرأ عليٌّ وابنُ الزُّبيرِ وجماعةٌ: "جَنَّهُ المأوى"؛ أي: سَتَرهُ بظِلالِهِ ودخَل فيه.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّها أنكرَتْهُ وقالت: مَن قرأ بهِ فأجَنَّهُ اللهُ.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾

﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ تعظيمٌ وتكثيرٌ لِمَا يَغشاهَا، فقد عُلم بهذه العِبَارة أنَّ ما يَغشَاهَا من الخلائقِ الدَّالَّةِ على عظَمةِ اللهِ وجَلالِهِ أشياءُ لا يَكتَنِهُها النَّعتُ ولا يحيطُ بها الوصفُ.

وقد قيل: يغشَاهَا الجمُّ الغفيرُ من الملائكةِ يَعبُدونَ اللهَ عندَها، وعن رسول الله عليه السلام: «رأيتُ على كلِّ وَرَقةٍ مِن ورَقها مَلَكًا قائمًا يُسبِّحُ اللهَ».

وعنه عليه السَّلام: «يغشَاها رَفرَفٌ من طيرٍ خُضرٍ».

وعن ابنِ مسعُودٍ وغيرِه: يغشاها فَراشٌ من ذهبٍ.

قوله: (أي: ستَرَه) يعني: ستَرَ الرسولَ.[1]

قوله: (فأجَنَّه) يقال: جُنَّ جُنونًا، وأجَنَّه الله، فهو مَجنون. وإنَّما أدخل "الفاء" في "فأجَنَّه" لأنَّه بمعنى الدعاء.[2]

---

١ ن - قوله: (أي: ستَرَه) يعني: ستَرَ الرسولَ.

٢ وفي هامش د ف: قوله: (رَفرَفٌ مِن طير) الرَّفرَف: الثياب الخُضر، وأراد هنا الساتر، و"من طير" بيان، والله أعلم.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾

﴿مَا زَاغَ﴾ بصرُ رسولِ اللهِ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾؛ أي: أَثْبتَ ما رآهُ إثباتًا مُستيقَنًا صحيحًا من غيرِ أن يَزِيغَ بَصرُه عنه أو يتجاوزَهُ.

أو: ما عدلَ عن رؤيةِ العجائبِ التي أُمرَ برُؤيتها ومُكِّنَ منها ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: وما جاوزَ ما أُمِرَ برؤيتهِ.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾

﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ واللهِ لقد رأى ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾ الآياتِ التي هي كُبْراها وعُظْمَاها؛ يعني: حينَ رُقيَ به إلى السَّماءِ فأُرِيَ عجائبَ الملكوتِ.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾

"اللاتُ والعزى ومناة" أصنامٌ كانت لهم، وهي مؤنَّثاتٌ:

فاللَّاتُ كانت لثقيفٍ بالطَّائفِ، وقيل: كانت بنخَلةَ تعبدُها قريشٌ، وهي فَعْلَةٌ من لَوَى؛ لأنَّهم كانوا يَلْوونَ عليها ويعكُفون للعبادةِ، أو يَلتوونَ عليها؛ أي: يَطُوفونَ.

وقُرِئَ: ﴿اللَّاتَّ﴾ بالتَّشديد، وزعمُوا: أنَّه سُمِّيَ برجلٍ كان يَلُتُّ عنده السَّمنَ بالزَّيتِ ويُطعِمُهُ الحاجَّ.

وعن مجاهدٍ: كان رجل يلُتُّ السَّويقَ بالطَّائفِ، وكانوا يعكُفونَ على قبرهِ، فجعلُوه وثنًا.

قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ﴾ أي: ما[1] مالَ.

قولـه: (كانوا يَلْوُون) مِن[2] قولهم: مَرّ[3] لا يَلْوي على أحدٍ، أي: لا يُقيم عليه ولا ينتظره.

---

[1] ن: من.
[2] ف: مَنَّ.
[3] ف ن: من.

والعُزَّى: كانت لِغَطفانَ، وهي سَمُرةٌ، وأصلُها: تأنيثُ الأعزِّ، وبعثَ إليها رسولُ اللهِ خالدَ بنَ الوليدِ فقطعَها، فخرجتْ منها شيطانةٌ ناشرةٌ شعرَها، داعيةٌ ويلَها، واضعةٌ يدَها على رأسِها، فجعلَ يضربُها بالسَّيفِ حتَّى قتلَها، وهو يقول:

يـا عُـزَّ كُفرَانَـكِ لا سُـبحَانَكِ إنِّـي رأيـتُ اللهَ قَـد أهَانَـكِ

ورجعَ فأخبرَ رسولَ اللهِ، فقال عليه السَّلام: «تلكَ العُزَّى، ولن تُعبَدَ أبدًا».

ومَناةُ: صخرةٌ كانت لهُذيلٍ وخُزاعةَ، وعن ابنِ عبَّاسٍ: لثقيفٍ.

وقُرئ: ﴿ومَناءةَ﴾.

وكأنَّها سُمِّيتْ "مَناةَ" لأن دماءَ النَّسائكِ كانت تُمنَى عندَها؛ أي: تُراقُ، و"مَنَاءةُ" مفعَلةٌ من النَّوءِ، كأنَّهم كانُوا يَستَمْطِرونَ عندَها الأنواءَ تَبرُّكًا بها.

قوله: (خالدَ بنَ الوليد) / يمكن أن يكون قد رآها خالد بن[1] الوليد بالعين المَلَكِيّة، وقَتْلُه عبارة عن إبطال حُكمه ودعوتِه إلى عبادة العُزَّى، ولذلك قال صلّى الله عليه وسلّم:[2] «تلك العُزَّى،[3] ولن[4] تُعبَد أبدًا»،[5] وقوله صلّى الله عليه وسلّم:[6] «ولن تُعبَدَ»، أي: لن تُعبَدَ هي. [٣٨٠ظ]

قوله: (﴿وَمَنَوٰةَ﴾ صَخرة)...[7] إلخ إشارة إلى أنّ ﴿مَنَوٰةَ﴾ قُرئ بوجهين: **الأوّل**: بغير همزة بعد ألِف، وهو قوله: "﴿وَمَنَوٰةَ﴾[8] صَخرة"... إلخ. **والثاني**: بهمزة بعد ألِف،[9] وهو قوله: (وقُرئ: "وَمَنَاءَةَ"). ثمّ أشار إلى تفسير القراءة الأُولى بقوله: (وكأنّها)... إلخ، وإلى تفسير القراءة الثانية بقوله: (و"مَنَاءَةَ" مَفْعَلة)...[10] إلخ. وقوله: (مِن النَّوءِ) فعلى هذا "مَنْوَأَة" نُقلت حركة الواو إلى النون فقُلِبت ألِفًا.

---

١ ف: ابن.
٢ د: عليه السلام.
٣ ن: العربى.
٤ ن: ولكن.
٥ ن: أبداره. | الكشف والبيان للثعلبي، ١٢٠/٢٥ (النجم، ١٩/٥٣)؛ التفسير البسيط للواحدي، ٤٢/٢١ (النجم، ١٩/٥٣).
٦ د: عليه السلام.
٧ ن: سجره.
٨ ن: مناة.
٩ قرأ بها ابن كثير، وقرأ باقي العشرة بغير همز. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٧٩/٢.
١٠ ن: متعلّقة.

و﴿ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ ذَمٌّ، وهي المتأخِرةُ الوضيعةُ المِقدارِ؛ كقوله: ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ﴾ [الأعراف ٣٨/٧]؛ أي: وُضَعَاؤهُم لِرؤسائِهم وأشرَافِهم.

ويجوزُ أن تكونَ الأوَّليَّةُ والتَّقدُّمُ عندَهم للَّاتِ والعُزَّى.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١﴾

كانُوا يقولـون: إنَّ الملائكةَ وهـذه الأصنـامَ بنـاتُ الله، وكانـوا يعبدونَهـم ويزعمونَ أنَّهـم شُفعاؤهم عندَ الله، مع وَأدِهـمُ البنات، فقيل لهـم: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾.

ويجوز أن يرادَ: إنَّ اللَّاتَ والعزَّى ومناةَ إناثٌ، وقد جعَلْتُموهُنَّ لله شركاءَ، ومن شأنِكم أن تحتقِرُوا الإناثَ وتستنكِفُوا من أن يولَدْنَ لكم ويُنسبْنَ إليكم، فكيفَ تجعَلونَ هؤلاءِ الإناثَ أندادًا لله وتسمُّونَهُنَّ آلهةً.

﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾

﴿قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾: جائرةٌ، من ضَازَهُ يَضِيزُهُ: إذا ضامَهُ، والأصلُ: ضُوزَى، ففُعِلَ بها ما فُعِلَ بـ"بِيضٍ" لتَسلَمَ الياءُ.

وقُرِئَ: ﴿ضِئۡزَى﴾: من ضَأَزَهُ بالهَمزِ، و: "ضَيْزَى": بفتح الضَّاد.

قوله: (بناتُ الله) تعالى الله عمّا يقول الظالمون عُلوًّا كبيرًا.[١]

قوله: (ويجوز) عطفٌ على قوله: (كانوا يقولون)... إلخ.

قوله: (والأصل: ضُوزَى) وقع في نُسخ الكشّاف: "والأصل: ضُوزَى"، والظاهر أنّ الصواب: "والأصل: ضُيْزَى"؛ لأنّه مِن ضَازَه يَضِيزُه، ويؤيّده قوله: (لِتَسْلَمَ[٢] الياء).[٣]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ -أي: طلب الدنيا- ﴿مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ أي: ذلك غاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٤١٠/٧ (النجم، ٣٠/٥٣).

[٢] ن: التسليم.

[٣] ن: الباء.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾

﴿هِيَ﴾ ضميرُ الأصنامِ؛ أي: ما هي إلا أسماءٌ ليس تحتَها في الحقيقةِ مسمَّياتٌ؛ لأنَّكم تَدَّعونَ الإلهيَّةَ لِمَا هو أبعدُ شيءٍ منها وأشدُّهُ منافاةً لها؛ ونحوُه قولُه تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ [يوسف ١٢/٤٠].

أو ضميرُ الأسماءِ، وهي قولهُم: اللَّاتُ والعُزَّى ومناةُ، وهم يَقصِدونَ بها أسماءَ الآلهةِ، يعني: ما هذهِ الأسماءُ إلا أسماءٌ سمَّيتمُوها بهواكُم وشَهوتِكم، ليس لكم من الله على صِحَّةِ تسميتِها برهانٌ تتعلَّقونَ به.

ومعنى ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾: سمَّيتُم بها، يُقال: سَمَّيتُه زيدًا، وسمَّيتهُ بزيدٍ.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ وقُرئ بالتَّاء.

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: إلَّا تَوهُّمَ أنَّ ما هم عليهِ حقٌّ وأنَّ آلهتَهم شفعاؤُهم، ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾: وما تشتهيه أنفسُهم، ويَترُكُونَ ما جاءَهم من الهُدى والدَّليلِ على أنَّ دِينَهم باطِلٌ.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ هي ﴿أَمْ﴾ المنقطعةُ، ومعنى الهمزةِ فيها الإنكارُ؛ أي: ليس للإنسانِ ما تمنَّى؛ والمراد: طمَعُهم في شفاعةِ الآلهةِ، وهو تَمَنٍّ على الله في غايةِ البُعدِ.

وقيل: هو قولُهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت ٤١/٥٠].

وقيل: هو قولُ الوليدِ بنِ المغيرةِ: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم ١٩/٧٧].

قوله: (سَمَّيتُهم[١] بها) كأنّه قيل: سَمَّيتُم[٢] معبوداتِكم أو تلك الصور مِن الأحجار والأشجار بها، أي: بهذه الأسماء، وهذا على الوجه الثاني. وعلى الوجه الأوّل فمعنى ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ ذكَرْتُموها، مِن قولك: سمَّيتُ زيدًا، أي: ذكَرتُه.

---

[١] في مطبوع الكشّاف: سمّيتم.

[٢] ن: سمّيتهم.

وقيل: هو تمنِّي بعضِهم أن يكون هو النَّبيَّ.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾؛ أي: هو مالِكُهما، فهو يُعطي منهما مَن يشاءُ، ويَمنعُ مَن يشاءُ، وليس لأحَدٍ أن يَتحكَّمَ عليه في شيءٍ منهما.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

يعني: أنَّ أمرَ الشَّفاعةِ ضيِّقٌ، وذلكَ أنَّ الملائكةَ مع قُربتِهم وزُلفَاهُم وكثرتِهم واغتِصَاصِ السَّماواتِ بجُموعِهم، لو شفعُوا بأجمعِهم لأحدٍ لم تُغنِ شفاعتُهم عنه شيئًا قطُّ، ولم تَنفعْ إلَّا إذا شَفعُوا من بعد أن ﴿يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ لهم في الشَّفاعةِ ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ الشَّفاعةَ له، ويَرضاهُ ويَراهُ أهلًا لِأنْ يُشفعَ له، فكيفَ تَشفعُ الأصنامُ إليه لِعَبَدتِهم؟

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾

﴿لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾؛ أي: كلَّ واحدٍ منهم ﴿تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ لأنَّهم إذا قالُوا: "الملائكةُ بناتُ الله" فقد سمَّوا كلَّ واحدٍ منهم بنتًا، وهي تسميةُ الأنثى.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾﴾

﴿بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ﴾؛ أي: بذلكَ وبما يَقُولونَ، وفي قراءةِ أُبَيٍّ: "بها"؛ أي: بالملائكةِ، أو التَّسمية.

﴿لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ يعني: إنَّما يُدرَكُ الحقُّ الذي هو حقيقةُ الشَّيءِ وما هو عليه بالعلمِ والتَّيقُّنِ، لا بالظَّنِّ والتوهُّمِ.

قوله: (وما هو عليه) عطفٌ على (حقيقةُ)، وهو عائد إلى "الشيء"، والضمير مِن "عليه"[١] إلى "ما"، فالعطف في "وما هو" للبيان؛ لأنَّ حقيقة الشيء عبارة عن الأمر الذي يكون الشيء مستقرًّا على ذلك الأمر.

---

١ ن - عطفٌ على (حقيقة)، وهو عائد إلى "الشيء"، والضمير مِن "عليه".

﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٢٩﴾

﴿فَأَعۡرِضۡ﴾ عن دعوةِ مَن رأيتَه مُعرضًا عن ذِكرِ الله وغمّ الآخرةِ، ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولا تَتهالَكْ على إسلامِه.

﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ۝٣٠﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾؛ أي: إنَّما يعلمُ اللهُ مَن يُجيبُ ممَّن لا يُجيبُ، وأنتَ لا تعلمُ، فخَفِّض على نفسِك ولا تُتعِبْها، فإنَّك لا تَهدِي مَن أحببتَ، وما عليكَ إلا البلاغُ، وقولُه: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ اعتراضٌ.

أو: فأعرِضْ عنه ولا تُقابلْه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ بالضَّالِّ والمُهتدِي، وهو مُجازِيهما بما يَستحقَّانِ من الجَزاءِ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ۝٣١﴾

قُرئ: ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ ﴿وَيَجۡزِيَ﴾ بالياء والنون فيهما، ومعناه: أنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّما خَلقَ العالَمَ وسوَّى هذه الملكوتَ لهذا الغرضِ: وهو أن يُجازيَ المُحسِنَ من المكلَّفين والمسيءَ منهم.

ويجوزُ أن يتعلَّقَ بقوله: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ لأنَّ نتيجةَ العِلمِ بالضَّالِّ والمهتدِي جزاؤُهما.

﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾: بعقابِ ما عملُوا من السُّوءِ، ....

قوله: **(بعِقاب ما عملوا)** أشار إلى أنّ المضاف محذوف، وأنا أقول: لا حاجةَ إلى تقدير المضاف؛ لأنّه لمّا كان المراد: بما عملوا السُّوء، فكأنّه قيل: لِنجزيَ الذين أساءُوا بالسُّوء، وبهذا يظهر مطابقته مع قوله: ﴿بِٱلۡحُسۡنَى﴾ أشدَّ مطابقة ممّا ذكره[1] المصنّف.

---

[1] ن: ذكر.

و﴿بِٱلۡحُسۡنَى﴾: بالمثوبةِ الحُسنى، وهي الجنَّةُ، أو بسببِ ما عملُوا من السُّوءِ وبسببِ الأعمالِ الحُسنَى.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾

﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾: الكبائرَ من الإثمِ؛ لأنَّ الإثمَ جِنسٌ يشتمِلُ على كبائرَ وصغائرَ، والكبائرُ: الذُّنوبُ التي لا يَسقطُ عقابُها إلا بالتوبةِ.

وقيلَ: الَّتي يكبرُ عِقابُها بالإضافةِ إلى ثوابِ صَاحِبِها.

﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾: ما فَحُشَ من الكبائرِ؛ كأنَّه قال: والفواحشَ منها خاصةً.

وقُرئَ: ﴿كبيرَ الإثمِ﴾؛ أي: النَّوعَ الكبيرَ منه، وقيل: هو الشِّركُ باللهِ.

و"اللَّمَمُ": ما قلَّ وصَغُرَ، ومنه: اللَّممُ: المَسُّ من الجُنونِ، واللَّوثةُ منه، وألمَّ بالمكانِ: إذا قَلَّ فيه لَبثُهُ، وألمَّ بالطَّعام: قلَّ منه أكلُه، ومنه:

لـقـاءُ أخـــلَّاءِ الـصَّـفَـاء لِـمَـامُ

قوله: (إلّا بالتوبة) بناء[١] على مذهبه. وأمّا عند أهل السنّة فيجوز أن يعفو[٢] الله تعالى عنها.

قوله:

(لـقـاءُ أخِـــلَّاء[٣] الـصَّـفـاء[٤] لِـمـامُ)[٥]

يجوز أن يكون المعنى كمعنى الزيادة لحظة،[٦] ويجوز أن يكون المعنى: أنّ لقاءهم وإن طال زمانه وامتدَّ يُرى قليلًا، كما قالوا: "سَنَةُ الوَصلِ سِنَة، وسِنَةُ الفِراقِ سَنَة".

---

١ ن: ثنا.
٢ ن: يعفوا.
٣ ن: أحلا.
٤ ن: الصفا.
٥ تمامه:
وكـلّ وِصـالِ الـغـانـيـاتِ ذِمـامُ
انظر: فتوح الغيب للطيبي، ٩٩/١٥.
٦ ن: يحطة.

والمرادُ: الصَّغائرُ من الذُّنوبِ.

ولا يخلُو قولُه: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ من أن يكونَ استثناءً منقطعًا أو صفةً؛ كقولِه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الأنبياء ٢١/٢٢] كأنَّه قيل: كبائرَ الإثمِ غيرَ اللَّممِ، و: آلهةٌ غيرُ الله.

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ: اللَّممُ: هي النَّظرةُ والغَمزةُ والقُبلةُ.

وعن السُّدِّي: الخَطْرَةُ من الذَّنبِ.

وعن الكَلبِي: كلُّ ذنبٍ لم يَذكرِ اللهُ عليه حدًّا ولا عَذابًا.

وعن عطاءٍ: عادةُ النَّفسِ الحينَ بعدَ الحينِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ حيثُ يُكفِّرُ الصَّغائرَ باجتنابِ الكبائرِ، والكبائرَ بالتَّوبةِ.

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: فلا تَنسُبُوها ....

قولـه: (أو صفةً) فيه نظر؛ لأنَّ ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾[1] مَعرِفة، و﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ -أي: غيرَ اللَّمَمِ- نكرة، فلا يكون صفتَه[2] إلّا أن يُمنَع كونه نكرة كما في ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾، وإذا حمل على الصفة يكون مثلَ قول الشاعر:

... إلّا الفَرْقــــــــــــدانِ[3]

لأنّ[4] ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾[5] ليس جمعًا مَنكورًا.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال ابن عبّاس رضي الله عنهما:[6] «هو أن يُلِمَّ بالذَّنْبِ مرّة ثمّ يتوبَ ولا يعود».[7]

---

١ ن: الأمم.

٢ ن: صفتة.

٣ أوّله:

وكلّ أخٍ مُفارِقُـــــه أخـــــوه
لَعَمـــرُ أبيـــكَ إلّا الفَرقـــدانِ

وهو: لعمرو بن مَعد يكرب. وقيل: لحضرمي بن عامر. انظر: **الصحاح** للجوهري، «إلا»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «إلا».

٤ ن: ولأنّ.

٥ ن: الأمم.

٦ د: عنه.

٧ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٢٠٢/٤ (النجم، ٣٢/٥٣). وهو بلفظ قريب في **المستدرك** للحاكم، ١٢٢/١ (١٨١)، و**السنن الكبرى** للبيهقي، ٧/٢١ (٢٠٧٨٣).

إلى زكاءِ العملِ وزيادةِ الخيرِ والطَّاعاتِ، أو إلى الزكاءِ والطَّهارةِ من المعاصِي، ولا تُثنُوا عليها واهضِمُوها، فقد عَلِمَ الله الزَكِيَّ منكم والتَّقِيَّ أولًا وآخِرًا، قبلَ أن يُخرجَكم من صُلْبِ آدمَ، وقبلَ أن تخرجُوا من بُطُون أمَّهاتِكم.

وقيل: كانَ ناسٌ يَعملُون أعمالًا حَسَنةً ثم يَقولُون: صَلاتُنا وصِيامُنا وحجُّنَا؛ فنزلت، وهذا إذا كانَ على سبيلِ الإعجَابِ أو الرِّياءِ، فأمَّا مَن اعتقدَ أنَّ ما عمِلَه من العَملِ الصَّالحِ من الله وبتوفيقِه وتأييدِه ولم يقصِدْ به التمَدُّحَ لم يكُنْ من المزكِّينَ أنفسَهم؛ لأنَّ المسرَّةَ بالطَّاعةِ طاعةٌ، وذِكرُها شُكرٌ.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾

"أكدى": قطعَ عَطِيَّتَه وأمسَكَ، وأصلُه: إكدَاءُ الحَافِرِ، وهو أن تَلقَاه كُدْيةٌ -وهي صَلابةٌ كالصَّخرةِ- فيُمسكَ عن الحفرِ؛ ونحوهُ: أجبَلَ الحافِرُ، ثم استُعِيرَ فقيل: أجبلَ الشَّاعرُ، إذا أُفحِمَ.

رُوي: أنَّ عثمانَ رضي الله عنه كان يُعطِي مالَه في الخيرِ، فقال له عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي سرحٍ -وهو أخوهُ من الرَّضَاعةِ-: يُوشِكُ أن لا يَبقى لكَ شيءٌ، فقال عُثمَانُ: إنَّ لي ذُنوبًا وخَطَايا، وإنِّي أطلُبُ بما أصنعُ رِضا اللهِ وأرجُو عفوَه، فقال عبدُ الله: أعطِني ناقتَك برَحْلِها وأنا أتحمَّلُ عنكَ ذُنوبَكَ كلَّها، فأعطاه وأشهَدَ عليهِ وأمسَكَ عن العطاءِ، فنزلت، ومعنى ﴿تَوَلَّىٰ﴾: تركَ المركَزَ يومَ أُحُدٍ. فعادَ عثمانُ إلى أحسنَ من ذلكَ وأجملَ.

[٣٨١و] قوله: (إلى زَكاء العمل) مِن قولهم: زَكى / المال يَزْكو[١] زَكاءً؛[٢] نَمَى وزاد. وقوله: (أو إلى الزَّكاء) مِن قولهم: زَكى، أي: طَهُرَ،[٣] وغُلامٌ زاكٍ.

قوله: (واهْضِموها) الهَضْم: الكَسر.[٤]

قوله: (ترك المَركز)[٥] مَركز الرجل: مَوضِعه.

---

١ ن: يزكوا.

٢ ن: زكا.

٣ ن: ظهر.

٤ وفي هامش د ف: قوله: (ثمّ استعير) شبه الشاعر بالحافر، والجامع الامتناع مِن الفعل بسبب إلقاء الكُدية والإفحام، فيكون استعارة بالكناية، ويجوز أن يكون استعارة تبعيّة.

٥ ن: المذكور.

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى
وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ
يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾

﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ فهو يعلمُ أنَّ ما قالَ له أخوهُ من احتمالِ أوزارِه حقٌّ.

﴿وَفَّىٰٓ﴾ قُرِئ مخفَّفًا ومشدَّدًا، والتَّشديدُ مبالغةٌ في الوَفاءِ، أو بمعنَى: وفَّرَ وأتَمَّ؛ كقولِه: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة ٢/١٢٤]، وإطلاقُه ليتناولَ كلَّ وفاءٍ وتوفيَةٍ؛ من ذلك: تَبليغُه الرِّسالةَ، واستِقلالُه بأعباءِ النُّبوَّةِ، والصَّبرُ على ذبحِ ولدِهِ وعلى نارِ نمرودَ، وقيامُه بأضيَافِه وخِدمتُه إيَّاهم بنفسِه، وأنَّه كانَ يخرجُ كلَّ يومٍ فيمشِي فَرْسخًا يرتادُ ضيفًا، فإن وافَقَه أكرمَه وإلَّا نوى الصَّومَ.

وعن الحسنِ: ما أمَرَهُ الله بشيءٍ إلَّا وفَّى به.

وعن الهُذَيلِ بنِ شُرَحبِيلَ: كان بين نوحٍ وبين إبراهيمَ يُؤخذُ الرَّجلُ بجَرِيرةِ غيرِه، ويُقتلُ بأبيهِ وابنِه وعمِّهِ وخَالِه، والزَّوجُ بامرأتِه، والعبدُ بسيِّدِهِ، فأوَّلُ مَن خَالفَهم إبراهيمُ.

وعن عطاءِ بنِ السَّائبِ: عَهِدَ أنْ لا يَسألَ مخلُوقًا، فلمَّا قُذِفَ في النَّارِ قال له جبريلُ وميكائيلُ: أَلَكَ حاجةٌ؟ فقالَ: أمَّا إليكُم فَلا.

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «وفَّى عمَلَه كلَّ يومٍ بأربعِ ركعاتٍ في صدرِ النَّهارِ»، وهي صلاةُ الضُّحى.

ورُوي: «ألَا أُخبرُكم لِمَ سمَّى الله خَليلَه ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ كان يقولُ إذا أصبحَ وأمسَى:

قوله: (كقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة ٢/١٢٤]) ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة ٢/١٢٤].

قوله: (استقلالُه) استقلَّ الشيءَ، أي: أقلَّه، يعني: حَمَله.[1]

قوله: (بأعباء) العِبْء: الثِّقل.

---

[1] ن: حملة.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ إلى ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم ٣٠/١٨]».

وقيل: وفَّى سِهَامَ الإسلامِ: وهي ثلاثونَ: عشَرةٌ في التَّوبةِ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [التوبة ٩/١١٢]، **وعشرةٌ في الأحزابِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾** [الأحزاب ٣٣/٣٥]، **وعشَرةٌ في المؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾** [المؤمنون ٢٣/١].

وقُرئَ: "في صُحْفِ" بالتَّخفيف.

﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ ﴿أنْ﴾ مخففَّةٌ من الثَّقيلةِ، والمعنى: أنَّه لا تَزِرُ، والضَّميرُ ضميرُ الشَّأنِ، ومَحلُّ ﴿أنْ﴾ وما بعدَها: الجرُّ بدلًا من "ما في صُحُفِ موسى"، أو الرَّفع على: هو أن لا تزرُ؛ كأنَّ قائلًا قال: وما في صُحُفِ موسى وإبراهيمَ؟ فقيل: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾.

﴿إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾: إلَّا سعيُه.

فإن قلتَ: أمَا صَحَّ في الأخبارِ: الصَّدقةُ عن الميِّتِ، والحجُّ عنه، وله الإضعَافُ؟

قلتُ: فيه جوابان:

أحدُهما: أنَّ سعيَ غيرِه لمَّا لم يَنفعْه إلَّا مبنيًّا على سعيِ نفسِه وهو أن يكونَ مؤمنًا صالحًا، وكذلك الإضعافُ، كان سعيُ غيرِه كأنَّه سعيُ نفسِه؛ لكونِهِ تابعًا له وقائِمًا بقيَامِه.

والثاني: أنَّ سعيَ غيرِه لا ينفعُه إذا عمِلَه لنفسِه، ولكنْ إذا نَواهُ بهِ فهو بحكم الشَّرعِ كالنَّائبِ عنه، والوكيلِ القائِمِ مقامَهُ.

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾: ثم يُجزَى العبدُ سعيَه، يُقالُ: جزاهُ الله عمَلَهُ، وجزَاهُ على عملِهِ؛ بحذفِ الجارِّ وإيصالِ الفِعلِ، ....

قوله: (﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾) ﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم ٣٠/١٧-١٨].

قوله: (**إذا نَواه به**) أي: نَواه ذلك الشخص بذلك العمل.

ويجوزُ أن يكونَ الضَّميرُ للجَزاءِ، ثم فسَّرهُ بقولِهِ: ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾، أو أبدلَه عنه؛ كقوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء ٣/٢١].

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ قُرِئَ بالفَتحِ على معنى: أنَّ هذا كلَّه في الصُّحفِ، وبالكسرِ على الابتداء، وكذلك ما بعدَه.

و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ مصدرٌ بمعنى الانتهاءِ؛ أي: يَنتهِي إليه الخَلقُ ويَرجعون إليه؛ كقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران ٢٨/٣].

و﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾: خَلَقَ قُوَّتَي الضَّحِكِ والبُكاءِ.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦﴾

﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾: إذا تُدْفَقُ في الرَّحِمِ، يُقالُ: مَنَى وأمنَى، وعن الأخفشِ: تُخلَقُ، من مَنَى المَانِي؛ أي: قدَّر المقدِّر.

قوله: (**ويجوز أن يكون الضمير**)... إلخ فعلى الوجه **الأوّل** يكون الضمير المنصوب في ﴿يُجْزَىٰهُ﴾ للسَّعْي، وهو مفعول ثانٍ،[1] و﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ مفعول مطلق. وعلى الوجه **الثاني** الضمير المنصوب مفعول مطلق، و﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ إمّا بيان له أو بدل عنه، ثمّ أشار إلى أنّ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء ٣/٢١] يحتمل أيضًا البيانَ والبدل.

قوله: (**قُرِئَ بالفتح**) سبعة.

قوله: (**وبالكسر**) شاذ.[2]

قوله: (**خلَقَ قُوَّتَي الضِحْكِ والبكاء**) كأنّه أشار بهذا إلى مذهبه؛ لأنّ أفعال العباد بِخَلقهم عنده، ففسَّر هذه الآية بما ذكر.

---

١ ن: بان.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبان وأبي السمّال واليماني وابن أبي عبلة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٥٢.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝﴾

قُرِئ: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾، و: ﴿النَّشاءَة﴾ بالمدِّ.

وقال: ﴿عَلَيْهِ﴾ لأنَّها واجبةٌ عليهِ في الحكمةِ ليُجازِيَ على الإحسانِ والإساءةِ.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝﴾

﴿وَأَقْنَىٰ﴾: وأعطَى القِنيةَ: وهي المالُ الذي تَأثَّلتَهُ وعزمْتَ أن لا تُخرِجه مِن يدِكَ.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝﴾

﴿ٱلشِّعْرَىٰ﴾: مِرزَمُ الجَوزاءِ: وهي الَّتي تَطلعُ وراءَها، ....

قوله: (وقال: ﴿عَلَيْهِ﴾) أي: إنّما ذكر لفظةَ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليدلّ على الوجوب، وهذا بناء على مذهبه.

قوله: (تأثَّلْتَهُ) أي: اتَّخذْتَه أصلًا.

قوله: (مِرزَم الجوزاء) المِرْزَمانِ: مِرْزَما[1] الشِّعْرَيَين،[2] وهما نجمان؛ أحدهما في الشِّعْرَى، والآخَر في الذراع. والرَّزَمة -بالتحريك- صوت الناقة تُخْرِجُه مِن حَلْقها، لا تفتح به فاها،[3] وذلك على وَلدِها حين تَرْأَمُه. وفي[4] المَثَل: «رَزَمةٌ ولا دِرَّةٌ»، يُضرب لِمَن يَعِدُ[5] ولا يَفي. وقد أرْزَمَت الناقةُ. والإرْزام أيضًا: صوت الرعد.[6]

واعلم أنّ الكواكب الثابتة كثير جدًّا لا يمكن عَدُّها،[7] وجميعُها في السماء الثامنة،[8] وسُمّيت ثابتة لأنّ أوضاع بعضها مع البعض لا تختلف، والأبعاد التي بينها لا تتفاوت، لا لأنّ فَلَكَها لا حركةَ لها. وأصحاب الأرصاد رَصَدوا مِن جملة الكواكب الثابتة ألفًا واثنين وعشرين، وبيَّنوا مواضعها، وحصروها

---

١ ن: مرزماء.
٢ ن: الشعربين.
٣ ن: فاءها.
٤ ن: في.
٥ ن: بعد.
٦ الصحاح للجوهري، «رزم».
٧ ن: عددها.
٨ ف: الثانية.

....

في ثمانية وأربعين صورةً، منها الاثني[١] عشر صورة على منطقة البُروج، ومنها أحدٌ وعِشرون صورة في ناحية الشمال، وخمسة عشر في ناحية الجَنوب، وإنّما قدَّروها بهذه الصورة لِيَسهُل عليهم ضَبطُها وتعريفها عند الحاجة.[٢]

إذا عرفت ذلك فنقول:[٣] مِن جملة الصور الجنوبيّة[٤] صورة الجبّار؛ ثمانية وثلاثون كوكبًا على صورة رجل بيده عصا، وفي وسطه مِنطقة وسيف، ويسمّى[٥] هذه الصورة[٦] بالجَوزاء، وهي غير الجَوزاء المَعدودة[٧] في البُروج، فإنّ تلك في منطقة البُروج، وهذه جنوبيّة.

ومِن الصور الجنوبيّة كَلْب أكبر؛ ثمانية عشر كوكبًا، ومِن كواكبها[٨] الشِّعْرى اليَماني، ويُسمَّى أيضًا الشِّعْرى العَبور، وهي كلبُ الجبّار، ومِرزَم الجوزاء. أمّا[٩] تسميته[١٠] بكلب[١١] الجبّار فلأنّه / يَطلُع خَلْفَه كالكَلْب الذي يَعْدو خَلْفَ شخصٍ. [٣٨١ظ] وتسميته بمِرْزَم الجوزاء تشبيهًا بالفَصيل الذي يَعدو خلفَ الناقةِ ويَحْمِلها على الرَزَمة، وهو الصَّوت. وقد عرفتَ أنّ الجبّار هو الجوزاء،[١٢] ولذلك أضاف المصنّف "الشِّعْرى" تارةً إلى "الجوزاء" بقوله: "مِرْزَمُ الجوزاء"،[١٣] وأخرى إلى "الجبّار" بقوله: "كَلْب الجَبّار".

ومِن الصور الجنوبيّة كلْب أصغر؛ كوكبان،[١٤] يسمّى أحدهما بالشِّعْرى[١٥] الشامي، ويسمَّى أيضًا بالغُمَيصاء.[١٦]

---

١ ن: الانثى.
٢ ن: الجاجة.
٣ ف: فقول؛ ن: قبول.
٤ ن: والحنونية.
٥ ف: ونسمّي.
٦ ن – الصورة.
٧ ن: المذكورة.
٨ ف: كوالبها.
٩ ن: وأمّا.
١٠ ن: تسميته.
١١ ن – بكلب.
١٢ ن: الجوزا.
١٣ ن: الجوزا.
١٤ ن: كولبان.
١٥ ف: الشِغرى.
١٦ ن: بالعمضا.

وتُسمَّى: كلبَ الجبَّارِ، وهما شِعرَيَانِ: الغُمَيصَاءُ والعَبُور، وأرادَ العَبُورَ، وكانتْ خُزَاعةُ تَعبدُها، سنَّ لهم ذلكَ أبو كبشةَ، وهو رجلٌ من أشرافِهم، وكانت قريشُ تقولُ لرسولِ الله عليه السلام: أبو كبشةَ؛ تشبيهًا له به لمخالفَتِه إيَّاهُم في دينِهم.

يريدُ: أنّه ربُّ معبودِهم هذَا.

ويظهر لك ممّا ذكرنا معنى قول المصنّف: **(وهما شِعْرَيان)**... إلخ. والضمير يعود إلى "الشِّعْرى"، وإنّما ثنّاه باعتبار خبره، فكأنّه قال: الشِّعْرى: شِعْرَيان. و"الغُمَيصاء والعَبُور" بدل أو عطفُ بيان. ثمّ قال: وأراد -أي: أراد تعالى- بقوله: ﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ الشِّعْرى العَبُور، لا الشِّعْرى[١] الغُمَيصاء،[٢] وإنّما ذكَرها لأنّ[٣] قبيلة خُزاعة كانت تَعبدها، فبيّن تعالى أنّ الشِّعْرى مَربوبٌ لا رَبٌّ، وعبدٌ لا مَعبود.

قوله: **(الغُمَيْصاء[٤] والعَبُور)** والعَبُور أشهرهما ضياءً،[٥] وخُصَّتْ[٦] بالذكر لأنّ أبا[٧] كَبْشة[٨] قال: «لا أرى شمسًا ولا قمرًا ولا نجمًا يقطع السماء عَرضًا غيرها، فليس شيء مثلها»، فعَبَدها وعَبَدَتْها خُزاعة،[٩] فخالفوا قريشًا في عبادة الأوثان.[١٠] وقوله: **(كلْبَ الجبّار)** وفي بعض النُّسخ: "كلب الجَوزاء".[١١]

قوله: **(تشبيهًا له به)** أي: للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم[١٢] بأبي كَبْشة، والضمير في **(لِمخالفته)** يجوز أنْ يعود إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[١٣] ويجوز أن يعود إلى أبي كبشة.[١٤]

---

[١] ن + العبور.
[٢] ن: والعميضاء.
[٣] ن: لاذ.
[٤] ن: العميصا.
[٥] ن: ضيا.
[٦] ن: وحصعت.
[٧] ف: أبي.
[٨] وفي هامش د ف: صوابه: ابن أبي كبشة.
[٩] ن: جزاعة.
[١٠] انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٧٤/٢٥ (النجم، ٤٩/٥٣).
[١١] ن: الجوزا.
[١٢] د: عليه السلام.
[١٣] د: عليه السلام.
[١٤] ن: لبشة.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ۝٥١ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ۝٥٢﴾

"عادٌ الأولى": قومُ هودٍ، وعادٌ الأخرى: إرَمُ، وقيلَ: الأولى القدماءُ؛ لأنّهم أُولَى الأممِ هلاكًا بعدَ قومِ نُوحٍ، أو المتقدِّمونَ في الدُّنيا الأشرافُ.

وقُرئ: "عادًا لُولَى"، و: ﴿عادَلُّولَى﴾ بإدغام التَّنوينِ في اللَّام، وطرحِ همزةِ "أولى" ونقلِ ضمَّتِها إلى لامِ التَّعريفِ.

﴿وثمودًا﴾ وقُرئ: ﴿وَثَمُودَاْ﴾.

﴿أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ لأنَّهم كانُوا يُؤذونَه ويَضربونَه حتَّى لا يكونَ به حِرَاكٌ،

قوله: (وعادٌ الأُخرى: إرَمُ) يُخالِف قولَه في سورة الفجر: «﴿إِرَمَ﴾ [الفجر ٧/٨٩] عطفُ بيان لـ"عادٍ"، وإيذان بأنّهم عاد الأُولى القديمة». ومُخالِف لقول الواحدي في الوسيط: «هما عادان،[١] فالأُولى هي إرَم، وهي التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾».[٢]

قوله: (وقيل: الأُولى) ذكر في تسمِيَتهم ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ ثلاثةَ أوجه.

قوله: (وقُرئ: "عَادًا لُولَى")[٣] أصل "عَادًا لُولَى":[٤] "عادَنِ[٥] الأُولَى"، بتحريك النون، ثمّ نقل ضمّة الهمزة إلى اللام، واستَغنى عن تحريك التنوين، فصار "عادَنْ[٦] لُولَى"، فلم يُدغم. وأمّا مَن قرأ: "عَادَ[٧] لُّولَى"[٨] بالإدغام فالأصل على ما ذكرنا لكن أدغم. وحاصل الوجهين اعتبار الحركة العارضة للّام.[٩]

---

١ ن: عادان.

٢ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٨١/٤ (الفجر، ٦/٨٩).

٣ ن – ذكر في تسميتهم الأُولى ثلاثة أوجه. قوله: (وقُرئ: "عَادًا لُولَى").

٤ ن + أصل "عَادًا لُولَى" أصل "عَادًا لُولَى".

٥ ن: عادان.

٦ ن: عادان.

٧ ن: عادا

٨ ن: اولى. | قرأ بها أبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر ونافع بخُلف عن قالون. والوجه الثاني لقالون بهمزة ساكنة بعد اللام المضمومة بدلًا مِن الواو مع إدغام التنوين. انظر: النشر لابن الجزري، ٤١٠/١.

٩ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ يعني: الحجارة المنضودة المسوّمة. | معالم التنزيل للبغوي، ٤٢٠/٧ (النجم، ٥٤/٥٣).

ويُنَفِّرونَ عنه، حتَّى كانوا يُحذِّرونَ صِبيانَهم أن يسمَعُوا منه، وما أثَّر فيهم دعاؤُهُ قريبًا من ألفِ سنةٍ.

﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾

﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ﴾: والقُرَى التي ائتَفكتْ بأهلِها؛ أي: انقلبَتْ، وهم قومُ لوطٍ، يقال: أفَكَهُ فائتَفَكَ، وقُرِئَ: "والمؤتفكاتِ".

﴿أَهۡوَىٰ﴾: رفعَها إلى السَّماءِ على جناحِ جبريلَ، ثُمَّ أهواهَا إلى الأرضِ؛ أي: أسقَطَها.

﴿مَا غَشَّىٰ﴾ تهويلٌ وتعظيمٌ لِمَا صَبَّ عليهَا من العذابِ وأَمطرَ عليهَا من الصَّخرِ المنضُودِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾: تتشَكَّكُ، والخِطابُ لرسولِ الله، أو للإنسانِ على الإطلاقِ، وقد عدَّدَ نِعمًا ونِقَمًا وسمَّاهَا كُلَّها آلاءً من قِبَلِ ما في نِقَمِه من المزاجِرِ والمواعِظِ لِلمعتبرِينَ.

﴿هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾

﴿هَٰذَا﴾ القرآنُ ﴿نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ﴾؛ أي: إنذارٌ من جنسِ الإنذاراتِ الأولى التي أُنذِرَ بها مَن قبلَكم، أو: هذا الرَّسولُ منذِرٌ من المنذِرينَ الأوَّلينَ،

قوله: (﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ﴾ أي: والقُرى) يعني: أنَّها صفة موصوف محذوف.

قوله: (المَنضود) يقال: نَضَدَ المتاعَ، أي: وضع بعضَه على بعض.[1]

قوله: (نِعَمًا ونِقَمًا) يقال: انتقم الله منه، أي: عاقَبه، والاسم منه: النَّقِمة، والجمع: نَقِمَاتٌ ونَقِمٌ، مثل: كَلِمةٍ وكَلِماتٍ، وإنْ شئتَ[2] سكَّنْتَ القافَ ونَقلْتَ حركتها فقلتَ: نِقْمَة، والجمع: نِقَمٌ، مثل: نِعْمَة ونِعَم.[3]

---

[1] ن - بعض. | الصحاح للجوهري، «نضد».
[2] ن: سبب.
[3] الصحاح للجوهري، «نقم».

وقال: ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ على تأويلِ الجماعةِ.

﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ٥٧ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ٥٨﴾

﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ﴾: قَرُبَتِ الموصوفةُ بالقُربِ في قوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر ١/٥٤].

﴿لَيۡسَ لَهَا﴾ نفسٌ ﴿كَاشِفَةٌ﴾؛ أي: مُبيِّنةٌ متى تَقومُ؛ كقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف ١٨٧/٧].

أو: ليس لها نفسٌ كاشفةٌ -أي: قادرةٌ على كشفِها إذا وقعَتْ- إلَّا الله، غيرَ أنَّه لا يكشِفُها.

أو: ليس لها الآنَ نفسٌ كاشفةٌ بالتَّأخيرِ.

وقيل: "الكاشفةُ" مصدرٌ بمعنى الكَشْفِ كالعَافيةِ.

وقرأَ طلحةُ: "ليس لها مما يَدْعون من دونِ الله كاشفةٌ وهي على الظالمينَ ساءتِ الغاشيةُ".

قوله: (وقال: الأُولى) يعني: على الوجه الثاني. وأمّا على الوجه الأوّل فظاهر.

قوله: (إذا وقَعَتْ) أي: مُزيلة إذا وقَعَت، فهو مِن قولك: كشَفَ البلاء، أي: أزالها ودفعها. وقوله: (غيرَ) متعلّق / بهذا الوجه. [٣٨٢و]

قوله: (كاشفة بالتأخير) فإنّ تأخيرها نوع مِن الدفع والإزالة، فإنّه تعالى لمّا وصفَها بالقُرب قال: ليس مَن يُؤخِّرها.[1]

قوله: ("سَاءَتِ الغَاشِيَةُ") إلى هنا قراءة طلحة.[2]

قوله تعالى: ﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ الهمزة فيه للإنكار، فالله تعالى أنكر عليهم إنكارهم واستهزاءهم وترْكَ بُكائهم.[3]

---

١ ن: تؤخّرها.

٢ قراءة شاذّة. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢٩٥/٢.

٣ ن: نكابهم.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢﴾

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ وهو القرآنُ ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إنكارًا ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً، ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ والبكاءُ والخُشوعُ حقٌّ عليكُم، وعن رسول الله: أنَّه لم يُرَ ضاحكًا بعدَ نُزُولِها.

وقُرِئ: "تَعْجَبون تَضْحَكون" بغيرِ واوٍ.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾: شامخونَ مُبرْطِمُون، وقيل: لاهُون لاعِبونَ، وقال بعضُهم لجاريتِه: اسمِدِي لنَا؛ أي: غَنِّي لنا.

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾؛ أي: واعبدوه ولا تعبدوا الآلهةَ.

عن رسولِ الله عليه السلام: «مَن قَرأ سورةَ والنَّجمِ أعطاهُ الله عشْرَ حسناتٍ بعددِ مَن صدَّقَ بمحمَّدٍ وجَحَدَ به بمكَّةَ».

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ يقال: سَمَدَ سُمودًا إذا رفع رأسه تكبُّرًا، وكلُّ رافع رأسه سامِد. والسُّمود: اللَّهو، والسامد: اللاهي، يقال للقَينة: أَسْمِدينا،[١] أي: أَلْهينا بالغناء.[٢] والقَينة: الأمَة مُغَنِّيةً كانت أو غير مُغَنِّية، والجمع: القِيان،[٣] وبعض الناس يظُنّ أنّ القَينة المُغَنِّيةُ خاصّة، وليس كذلك.[٤]

قوله: (مُبَرْطِمون) قال مجاهد: «كانوا يَمُرُّون بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٥] غِضابًا»،[٦] وقال: البَرْطَمة: الإعراض. وقيل: بَرطَمَ إذا رفع رأسه تكبُّرًا.[٧] والشموخ: العُلوّ، وجبل شامخ، أي: عالٍ، ويقال: شَمَخَ بأنفه إذا تكبَّر.[٨]

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[٩]

---

١ ن: اسمدنا.

٢ **الصحاح** للجوهري، «سمد».

٣ **الصحاح** للجوهري، «قين».

٤ ن: لذلك.

٥ د: عليه السلام.

٦ **جامع البيان** للطبري، ٢٢/٩٨ (النجم، ٥٣/٦١).

٧ انظر: **النهاية** لابن الأثير، «برطم».

٨ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شمخ».

٩ ف - السورة بحمد الله تعالى.

سورة القمر

مكِّيةٌ، وهي خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾

انشقاقُ القَمرِ مِن آياتِ رسول الله ومُعجزاتِه النَّيِّرةِ، عن أنسٍ رضِيَ الله عنه: أنَّ الكُفَّارِ سألُوا رسولَ اللهِ آيةً فانشقَّ القمرُ مرَّتينِ.

وكذا عن ابنِ عبَّاسٍ وابنِ مَسعودٍ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: انفلقَ فِلقَتينِ؛ فِلقةٌ ذهبَتْ، وفِلقةٌ بَقِيتْ. وقال ابنُ مسعودٍ: رأيتُ حِرَاءَ بين فِلقَتَي القَمَرِ.

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾ معنى ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾:[2] دنَتْ دُنُوًّا قريبًا؛ لأنَّ في "اقتَرَب" مِن المبالغة ما ليس في "قَرُبَ"، وكذلك "اقتدَرَ"؛ لأنَّ أصل "افتعَلَ" طلَبُ إعداد الشيء بالمبالغة.

قوله: (ذهبَتْ) أي: فِلْقةٌ ذهبتْ[3] عن موضعه، وفِلْقةٌ بقيتْ في موضع القمر، هذا رواية ابن عبّاس، وأمّا على رواية ابن مسعود فالفِلْقتان ذهبتا عن موضع القمر؛ لقوله: «رأيتُ حِراءَ بينهما».[4] قال الواحدي في **الوسيط**:

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ن: افتربت.

[3] ن + ذهبت.

[4] انظر: صحيح البخاري، ١٤٢/٦ (٤٨٦٤)؛ وصحيح مسلم، ٢١٥٨/٤ (٢٨٠٠).

وعن بعضِ النَّاسِ: أنَّ معنَاه: يَنشقُّ يومَ القِيامةِ، وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ يردُّه، وكفى به رادًّا.

وفي قراءةِ حُذيفةَ: "وقد انشقَّ القمر"؛ أي: اقتربتِ السَّاعةُ وقد حصَلَ من آياتِ اقترابِها أنَّ القمرَ قد انشَقَّ؛ كما تقول: أقبلَ الأميرُ وقد جاءَ المبشِّرُ بقُدومِه.

وعن حذيفةَ: أنَّه خطَب بالمَدائن ثم قال: ألا إنَّ السَّاعةَ قد اقتربَتْ، وإنَّ القمرَ قد انشقَّ على عهدِ نبيِّكُم.

﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾

﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: دائمٌ مُطَّرِدٌ، وكلُّ شيءٍ قد انقادَتْ طريقَتُه ودامَتْ حالُه قيلَ فيه: قد استمَرَّ.

لمَّا رأَوا تتابُعَ المعجزاتِ وتَرادُفَ الآياتِ قالوا: هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: قويٌّ محكَمٌ، من قولِهم: استمرَّ مَريرُه.

وقيل: هُو مِن استمرَّ الشَّيءُ: ....

حديثُ انشقاق القمر رواه جماعةٌ مِن الصحابة؛ أنسُ بن مالك، وجُبَير بن مُطْعِم، وابن عبّاس، وعبد الله بن عمرو، وحُذيفة.[١] وجماعةُ المفسِّرين على هذا، إلّا ما روى عثمانُ بن عطاء عن أبيه أنّه قال: «معناه سيَنْشَقُّ القمر»، والعلماء كلُّهم على خِلافه. قال[٢] الزجّاج: «زُعْمُ قومٍ عدلوا عن القصد وما عليه أهل العلم أنّ تأويلَه أنّ القمر ينشقُّ يوم القيامة، والأمرُ بيّن في اللفظ وإجماع أهل العلم؛ لأنّ قوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ﴾ يدلّ على أنّ هذا في الدنيا، لا في الآخرة».[٣]

قوله: (يَرُدُّه) أي: يَرُدُّ قولَ مَن قال: معناه: يَنشَقُّ يوم القيامة.

قوله: (لمّا رأَوا) استئناف جملة مبيّنة لقولهم: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾.

قوله: (مَريرُه) أي: قوّته.[٤]

---

١ ف: حذيفة.

٢ ن + ابن.

٣ التفسير الوسيط للواحدي، ٤/٢٠٧ (القمر، ٢/٥٤).

٤ ن: قوتمه.

إذا اشتدَّتْ مَرارَتُه؛ أي: مُستبشَعٌ عندَنا، مُرٌّ على لَهَواتِنا، لا نَقدِرُ أن نُسيغَهُ كما لا يُساغُ المُرُّ المُمْقِرُ.

وقيل: ﴿مُّسۡتَمِرّٞ﴾: مارٌّ ذاهِبٌ يزولُ ولا يبقَى؛ تَمْنِيَةً لأنفسِهم وتعليلًا.

وقرئ: "وإنْ يُرَوْا".

﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣﴾

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ وما زَيَّنَ لهم الشَّيطانُ مِن دَفعِ الحَقِّ بعدَ ظُهورِهِ

قوله: (المُمْقِرُ) مَقِرَ الشيء -بالكسر- يَمْقَرُ مَقَرًا، أي: صار مُرًّا، فهو شيء مَقِرٌ. وأمْقر الشيء، أي: صار مُرًّا، قال لَبيد:

مُمْقِرٌ مُرٌّ على أعدائه وعلى الأدْنَيْنَ[1] حُلْوٌ كالعسل[2]

قوله: (على لَهَواتِنا) اللَّهاة: الهَنة / المُطْبَقة في أقصى سَقْف الفَم، والجمع: اللَّها[3] واللَّهَواتُ واللَّهَياتُ أيضًا.[4] [٣٨٢ظ]

قوله: (مارٌّ) يعني: أنّه مِن المرور، لا مِن المَرارة.

قوله: (تَمْنيةً) مفعول له مِن (قيل)، كأنّه قال: قالوا ذلك لتَمْنيةٍ، أو مصدرٌ؛ لأنّ قولَ ذلك تَمْنية. وهي مِن الأمنية، واحدُه:[5] الأمانيُّ، تقول منه: تمنَّيتُ الشيء، ومَنَّيتُ غيري. وأدخَلَ المصنِّف "اللام" في (لأنفسهم) وإن كان "مَنَّيت" متعدّيًا[6] بنفسه؛ لأنّ المصدر لا يَقوى قوّة الفعل. وقوله: (تعليلًا) مِن قولهم: عَلَّلَه بالشيء، أي: لَهّاه به كما يُعَلَّلُ الصبيُّ بشيء مِن الطعام يَتجزء[7] به[8] عن اللبن، يقال: فلان يُعَلِّل نفسَه بتعِلّةٍ.[9]

---

[1] ن: الأذنين.

[2] الصحاح للجوهري، «مقر». والبيت في ديوان لبيد، ص ١٩٧.

[3] ن: اللّهات.

[4] الصحاح للجوهري، «لها».

[5] ن: واحدة.

[6] ن: معتديًا.

[7] ن: ينجز.

[8] وفي هامش د: يتجزأ به. | في مطبوع الصحاح: "يتجزَّء".

[9] ن: يتعله. | الصحاح للجوهري، «علل».

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾؛ أي: كلُّ أمرٍ لا بُدَّ أن يصيرَ إلى غايةٍ يستقرُّ عليهَا، وإن أَمْرَ محمَّدٍ سيصيرُ إلى غايةٍ يتبيَّنُ عندَها أنَّه حَقٌّ أو باطِلٌ، وستظهَرُ لهم عَاقِبتُه.

أو: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من أمرِهم وأمرِه ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾؛ أي: سَيثْبُتَ ويستَقِرُّ على حالةِ خِذلانٍ أو نُصرةٍ في الدُّنيا وشَقاوةٍ أو سعادةٍ في الآخرةِ.

وقُرِئَ بفتحِ القَافِ، يعني: كلُّ أمرٍ ذو مُستقَرٍّ؛ أي: ذو استقرارٍ، أو: ذُو مَوضعِ استقرارٍ، أو زمانِ استقرارٍ.

وعن أبي جعفرٍ: ﴿مستقِرٍّ﴾ بكسر القافِ والجرِّ عطفًا على ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: اقتربتِ السَّاعةُ واقتربَ كلُّ أمرٍ مستقِرٍّ يستقِرُّ ويتبيَّنُ حالُه.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤﴾

﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾: مِنَ القُرآنِ المُودَعِ أنباءَ القُرونِ الخَاليةِ، أو أنباءَ الآخرةِ، وما وُصِفَ من عذابِ الكُفَّارِ ﴿مُزْدَجَرٌ﴾: ازدجارٌ، أو موضعُ ازدجارٍ، والمعنى: هو في نفسِه موضِعٌ للازدجارِ ومَظنَّةٌ له؛ كقوله: ﴿لَّكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١/٣٣]؛ أي: هو أُسوَةٌ.

وقُرِئَ: "مُزَّجَرٌ" بقلبِ تاءِ الافتِعالِ زايًا، وإدغامِ الزَّاي فيها.

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ بدلٌ من ﴿ما﴾ أو على: هو حكمةٌ، وقُرِئَ بالنَّصبِ حالًا من ﴿ما﴾.

قوله: (لا بدّ أن يصير) الصواب بغير الواو قبل "أن" كما هو في بعض النُّسخ، وأمّا الواو كما هو في بعض النُّسخ فلا وجهَ له إلّا أن يكون زائدة؛ لأنّ الواو لا يقع بين الاسم والخبر، وترى هذا الواو كثيرًا في عبارات الإمام العلّامة[1] فخر الدين الرازي رحمه الله[2] ومَن تَبِعَه مِن العلماء، فكأنّهم وجدوا جواز زيادته في كلامهم.

قوله: (عطفًا) أي: عطفًا لقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾.

---

١ ن - العلّامة.

٢ د - رحمه الله.

فإن قلتَ: إن كانتْ ﴿ما﴾ موصولةً ساغَ لك أن تَنصِبَ ﴿حِكْمَةٌ﴾ حالًا، فكيفَ تعملُ إنْ كانت موصوفةً؟ وهو الظَّاهرُ.

قلتُ: تُخَصِّصُها الصِّفةُ فيَحسُنُ نَصبُ الحالِ عنهَا.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ نفيٌ أو إنكارٌ، و"ما" منصوبةٌ؛ أي: فأيَّ إغْناءٍ تُغنِي النُّذُرُ؟

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لِعلمِكَ أنَّ الإنذارَ لا يُغني فيهم.

نُصِبَ ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ بـ﴿يَخْرُجُونَ﴾، أو بإضمارِ "اذكُرْ"، وقُرئ بإسقاطِ الياءِ اكتفاءً بالكسرةِ عنها.

والدَّاعي: إسرافيلُ أو جبريلُ؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [ق ٥٠/٤١].

﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾: مُنكَرٍ فَظيعٍ تُنكرُه النُّفوسُ لأنَّها لم تَعْهَدْ بمثلِه، وهو هولُ يومِ القيامةِ.

وقُرئ: ﴿نُكْرٍ﴾ بالتَّخفيفِ، و: "نُكِرَ" بمعنى: أُنكِرَ.

﴿خاشعًا أبصارُهُم﴾ حالٌ من الخَارجينَ، فعلٌ للأبصارِ، وذُكِّرَ كما تقولُ: "يَخشَعُ أبصارُهُم"، وقُرئ: "خاشعةً" على: تَخشعُ أبصارُهم، و: ﴿خُشَّعًا﴾ على: يَخْشعنَ أبصارُهُم، وهي لغةُ مَن يقول: "أكلُوني البَراغيثُ"، وهم طَيِّئٌ.

قوله: **(موصوفةً)** أي: شيء فيه مُزْدَجَر.

قوله: **(فيَحسُنُ)** لأنّها تَقْرُبُ مِن المعرفة.

قوله تعالى: ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير، وهو الرسول. وقيل: هو المُنذَرُ منه. وقيل: المصدر. وقوله: **(أو إنكار)** أي: استفهام.

قوله: **(على يَخْشَعْنَ)** يعني أنّ ﴿خُشَّعًا﴾ جمع خاشع، فجمعه مع ذكر فاعله بعده مثل: "يَخشَعْنَ" بنون جمع المؤنّث مع ذكر الفاعل بعده.

ويجوزُ أن يكونَ في ﴿خُشَّعًا﴾ ضميرُ "هم" وتقعَ ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ بدلًا عنه.

وقُرئَ "خُشَّعٌ أبصارُهم" على الابتداءِ والخبرِ، ومحلُّ الجملة النَّصبُ على الحال؛ كقوله:

وَجَدْتَهُ حاضِرَاهُ الجودُ والكرمُ

وخُشوعُ الأبصارِ كنايةٌ عن الذِّلَّةِ والانخزالِ؛ لأنَّ ذِلَّةَ الذَّليلِ وعِزَّةَ العزيزِ تَظهرانِ في عُيونِهما.

وقُرئَ: "يُخْرَجون".

﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: مِن القبورِ.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ الجَرادُ مَثلٌ في الكَثرةِ والتَّموُّجِ، يُقال في الجيشِ الكثيرِ المائجِ بعضُه في بعضٍ: جاؤوا كالجَرادِ وكالدَّبا مُنتشِرٌ في كُلِّ مكانٍ لكثرتِهِ.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مسرعينَ مادِّي أعناقِهم إليه، ....

قوله: **(ويجوز)** عطفٌ على قوله: "على يَخْشَعْنَ"، فعلى هذا يكون ﴿خُشَّعًا﴾ حالًا مِن الخارجين أيضًا، لكن لا يكون فِعلًا للأبصار؛ بل يكون فِعلًا للخارجين. فقوله: **(ضميرُهم)** أي: ضمير الخارجين.

قوله: **(على الحال)**[1] فكأنّه جملة اسميّة بالضمير دون الواو كما في البيت.

قوله: **(والانخزال)** انخزَلَ[2] الشيء، أي: انقطع، والاختزال:[3] الاقْتطاع.[4]

قوله: **(وكالدَّبَا)**[5] الدَّبا: الجراد الصغير قبل أنْ يطير، والواحدة: دَباة.[6]

---

١ ن - قوله: (على الحال).

٢ ن: انخزال.

٣ ف: والاختزال.

٤ **الصحاح** للجوهري، «خزل».

٥ ن: وكالدباء.

٦ **الصحاح** للجوهري، «دبي».

وقيلَ: ناظِرينَ إليهِ لا يُقْلِعونَ بأبصارِهم، قال:

تَعبَّدَنِي نَمِرُ بنُ سَعْدٍ وقَد أُرَى ونَمِرُ بنُ سَعدٍ لِي مُطِيعٌ ومُهْطِعُ

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾

﴿قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ أهلِ مكَّةَ ﴿فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا﴾ يعني: نوحًا.

فإن قلتَ: ما معنى قولِه: ﴿فَكَذَّبُواْ﴾ بعدَ قوله: ﴿كَذَّبَتْ﴾؟

قلتُ: معناه: كذَّبُوا فكَذَّبُوا عبدَنا؛ أي: كذَّبُوه تكذيبًا على عَقِبِ تكذيبٍ، كلَّما مضَى منهم قَرْنٌ مُكذِّبٌ تَبِعَه قرنٌ مُكذِّبٌ.

أو: كذَّبتْ قومُ نوحٍ الرُّسُلَ فكذَّبُوا عبدَنا؛ أي: لمَّا كانُوا مكذِّبينَ بالرُّسلِ جاحدينَ للنُّبوَّةِ رأسًا كذَّبُوا نوحًا؛ لأنَّه من جُملةِ الرُّسلِ.

﴿مَجْنُونٌ﴾: هو مجنونٌ ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾: وانتَهَرُوه بالشَّتمِ والضَّربِ والوعيدِ بالرَّجمِ في قولِهم: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء ٢٦/١١٦].

وقيل: هو من جُملةِ قِيلِهم؛ أي: قالُوا: هو مجنونٌ، وقد ازدجَرَتْهُ الجِنُّ وتخبَّطَتْهُ،

قوله: **(لا يُقْلِعون) الإقلاع عن الأمر: الكفُّ عنه، يقال: أقلَعَ فلان عمّا كان** عليه، وأقلَعَتْ[١] عنه[٢] الحُمَّى.[٣]

قوله: **(تَعبَّدَني)**[٤] التَعبُّدُ: اتّخاذ الناس عبيدًا، تقول: تَعَبَّدَني هذا الرجل، وكان قبلَ هذا مطيعًا لي وناظرًا[٥] إليّ.

قوله: (﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ وانتَهروه)... إلخ فقوله: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ على الوجه **الأوّل** عطفٌ على ﴿قَالُواْ﴾، وعلى الوجه **الثاني** عطفٌ على ﴿مَجْنُونٌ﴾.

قوله: **(تخَبَّطَته)**[٦] التخبُّط: الضرب على غير استواءٍ.[٧]

---

١ ن: وأقلعته.
٢ ن: عن.
٣ **الصحاح** للجوهري، «قلع».
٤ ن: تعبدوني.
٥ ن: وناظر.
٦ ن: تخبطه.
٧ ن: استوا.

وذهبَتْ بِلُبِّهِ وطارتْ بقَلْبِهِ.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ١٠﴾

قُرئ: ﴿أَنِّى﴾ بمعنى: فدعَا بأنِّي ﴿مَغْلُوبٌ﴾، و: "إنِّي" على إرادةِ القَولِ: فدعَا فقال: إنِّي مغلوّب غَلَبَنِي قَومِي فلم يسمعُوا منِّي واستحكَمَ اليأسُ من إجابَتِهم لي ﴿فَٱنتَصِرْ﴾: فانتقِمْ منهم بعذابٍ تبعَثُه عليهم، وإنَّما دعَا بذلكَ بعدَ ما طَمَّ عليه الأَمْرُ وبلغَ السَّيلُ الزُّبَا، فقد رُوي: أنَّ الوَاحدَ من أمَّتهِ كان يلقَاهُ فيَخْنُقُهُ حتَّى يخِرَّ مغشيًّا عليهِ، فيُفِيقُ وهو يقول: اللّهمَّ اغفرْ لِقومِي، فإنَّهم لا يعلمون.

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢﴾

قُرئ ﴿فَفَتَحْنَا﴾ مخفَّفًا ومشددًا، وكذلك ﴿وَفَجَّرْنَا﴾.

﴿مُّنْهَمِرٍ﴾: مُنصَبّ في كثرةٍ وتَتَابُعٍ، لم ينقطعْ أربعينَ يومًا.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾: وجعَلْنا الأرضَ كلَّها كأنَّها عيونٌ تتفجَّرُ، وهو أبلغُ من قولِكَ: وفجَّرنا عُيونَ الأرضِ، ونظيرُهُ في النَّظمِ: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم ١٩/٤].

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ يعني: مياهَ السَّماءِ والأرضِ، وقُرئ: "الماءان"؛ أي: النَّوعانِ من الماءِ السَّماوِيِّ والأرضِيِّ.

قوله: (طَمَّ) أي: علا وغَلَبَ، يقال: جاء السَّيْل فطَمَّ[1] الرَّكيّة، أي: دَفَنها وسوَّاها.[2] والرَّكِيّة: البئر. وقوله: (الزُّبى) الزُّبية: حفرةٌ يَختَفي فيها / الصائد، [٣٨٣و] وهي تكون في بطن الجبل، والجمع: الزُّبى.[3]

---

١ ن: يضم.

٢ ن: وسوالها. | الصحاح للجوهري، «طمم».

٣ انظر: لسان العرب لابن منظور، «زبى».

ونحوهُ قولُكَ: عندِي تمران؛ تريد: ضربانِ من التَّمرِ: بَرنِيٌّ ومَعقِلِيٌّ، قال:

لَـنَـا إِبِـــلانِ فِـيـهِـمـا مَـا عَـلِـمْـتُـمُ

وقَرأ الحسنُ: "الماوَانِ" بقلبِ الهمزةِ واوًا؛ كقولهم: عِلباوَانِ.

﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾: على حالٍ قدَّرَها الله كيفَ شاءَ، وقيلَ: على حالٍ جاءت مُقَدَّرةً مستويةً: وهي أنَّ قدْرَ ما أُنزلَ من السَّماءِ كقَدْرِ ما أُخرِجَ من الأرضِ سواءً بسواءٍ.

وقيل: ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ في اللَّوحِ أنَّه يكونُ؛ وهو هلاكُ قومِ نوحٍ بالطُّوفانِ.

﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣﴾

﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾ أرادَ: السَّفينةَ، وهي من الصِّفاتِ التي تقومُ مقامَ الموصُوفاتِ، فتَنوبُ مَنابَها وتُؤدِّي مُؤدَّاهَا بحيثُ لا يُفصَلُ بينها وبينَهَا، ونحوهُ:

[مَـفْـرِشِـي صـهـوةُ الـحـصـانِ] ولـكِـنْـ نَ قَـمِـيـصِـي مَـسْـرُودَةٌ مـن حَـدِيـدِ

قوله:

(لـنـا إبِـــلان فـيـهـمـا مـا عـلِـمْـتُـم)

تمامه:

فَـعَـن أيِّـهـا مـا شِـئـتـم[1] فـتَـنـكَّـبـوا[2]

قوله: "ما علِمتم"، أي: مِن قِرَى الأضياف[3] وغيره.

قوله: (عِلْباوان)[4] العِلْباء:[5] عَصَبُ العُنق، وهما عِلْباوان، بينهما مَنْبت العُرْف.[6]

قوله:

(ولكنْـ نَ قميصي مَسْرودة[7] مِن حديدِ)[8]

---

١ ف + ما شئتم.

٢ نسبه الصاغاني لشعبة بن قمير. **خزانة الأدب** للبغدادي، ٥٦٥/٧.

٣ ن: الأصياف.

٤ ن: غلباوان.

٥ ن: الغلبا.

٦ وفي هامش د: العرق. | **الصحاح** للجوهري، «علب».

٧ ن: مسودة.

٨ ن: جديد.

أراد: ولكنَّ قميصي دِرْعٌ؛ وكذلك:

ولـو فـي عُـيـونِ الـنَّـازِيـاتِ بِـأكـرُعِ

أرادَ: ولو في عُيونِ الجرادِ.

ألَا ترى أنّك لو جمعتَ بين السَّفينةِ وبين هذه الصِّفةِ، أو بينَ الدِّرعِ والجرادِ وهاتينِ الصِّفتينِ، لم يصحَّ، وهذا من فصِيحِ الكلامِ وبَدِيعِه.

و"الدُّسُرُ": جمعُ دِسارٍ: وهو المِسمَارُ، فِعَالٌ من دَسَرَهُ: إذا دفَعَه؛ لأنّه يُدسَرُ به منفَذُهُ.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾

﴿جَزَآءً﴾ مفعولٌ له لِمَا قُدِّمَ من فتحِ أبوابِ السَّماءِ وما بعدَه؛ أي: فعلنا ذلكَ جزاءً ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوحٌ عليه السَّلامُ، ....

أوّله:

مَـفْـرَشـي صَـهْـوةُ الـحِـصـانِ ولـكـنّ[1]

الصَّهوة: مَقعَد الفارس مِن ظهر الفرَس.[2] وفرَسٌ حِصان -بالكسر- بيّنُ التحصين والتحصُّن.[3] ويقال: سُمّي حِصانًا لأنّه ضُنّ بمائه، فلم يُنزَ إلّا على كريمة،[4] ثمّ[5] كثُرَ ذلك حتّى سمَّوا كلَّ ذكَر مِن الخيل حِصانًا.[6] وقوله: "مَسْرودةٌ"،[7] أي: منسوجة.

قوله:

(ولـو فـي عـيـون الـنـازيـات بـأكْـرُعِ)[8]

---

١ وفي هامش د ف: لكنْ. | لأبي الطيّب المتنبّي في ديوانه، ص ١٤.

٢ **مجمل اللغة** لابن فارس، «صهو».

٣ ن: والتحصين.

٤ ن: كريمتهم.

٥ ن - ثمّ.

٦ **الصحاح** للجوهري، «حصن».

٧ ن: مسودة.

٨ ن: بألرع. | في **فتوح الغيب** للطيبي، ١٥/١٢٨: «ألحق الشارحُ قبلَه:

وإنّـي لأستَوفي حقوقي جاهـدًا»

ونسبه البغدادي إلى أبي العلاء. انظر: **شرح أبيات المغني** للبغدادي، ٣/١١٣.

وجعلَه مكفورًا لأنَّ النَّبيَّ نعمةٌ من الله ورحمةٌ، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٧/٢١] فكان نوحٌ عليه السَّلامُ نعمةً مكفورةً.

ومن هذا المعنى: ما يُحكَى أنَّ رجلًا قال للرَّشيدِ: الحمدُ لله عليكَ، فقال: ما معنَى هذا الكلامِ؟ قال: أنتَ نِعمةٌ حمدْتُ الله عليهَا.

ويجوز أن يكونَ على تقديرِ حذفِ الجارِّ وإيصالِ الفعلِ.

وقرأ قتادةُ: "كَفَرَ"؛ أي: جزاءً للكافِرينَ.

وقرأ الحسنُ: "جِزاءً" بالكسرِ؛ أي: مجازاةً.

﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦﴾

الضَّميرُ في ﴿تَّرَكۡنَٰهَا﴾ للسَّفينةِ، أو للفَعلة؛ أي: جعلناهَا آيةً يُعتَبرُ بها، وعن قتادةَ: أبقاهَا الله بأرضِ الجزيرةِ -وقيل: على الجُودِيِّ- دهرًا طويلًا، حتَّى نظرَ إليها أوائلُ هذه الأمَّةِ.

و"المدَّكِرُ": المعتَبِرُ، وقُرئَ: "مُذْتَكِر" على الأصلِ، و: "مذَّكرٌ" بقلبِ التَّاءِ ذالًا، وإدغامِ الذَّالِ فيها، وهذا نحوُ: "مُزَّجرٌ".

و"النُّذُرُ": جمعُ نذيرٍ؛ وهو الإنذارُ.

أراد بـ"النازِيات": الجراد، وسمّاهُنّ بذلك لأنّهنّ يَنْزُون بالأكْرُعِ؛ وهي أرجُلُهنّ. والنَّزْوُ:[1] الوَثْبُ.[2]

قوله: **(ألا ترى)** تحقيق لقوله: **(تقوم مَقام الموصوفات)**... إلخ.[3]

قوله: **(بالكسر)** أي: بكسر[4] الجيم.

قوله: **(أو لِلْفَعْلة)** والمراد بـ"الفَعْلة" هي حَملُهم على السفينة الموصوفة.

---

[1] ن: النز.

[2] ن: الوتب.

[3] وفي هامش د ف: قوله: (ويجوز أن يكون على تقدير)... إلخ فيكون أصله: لِمَن كُفِر به، فعلى الوجه **الأوّل** يكون لَمِن الكفران، وعلى **الثاني** مِن الكفر.

[4] ن: بلسر.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾: سهَّلناهُ للادِّكارِ والاتِّعاظِ، بأنْ شحنَّاهُ بالمواعِظِ الشَّافِيةِ، وصرَّفنَا فيهِ من الوعْدِ والوعيدِ ﴿فَهَلْ مِن﴾ مُتَّعِظٍ.

وقيلَ: ولقد سهَّلْناهُ للحفظِ وأعنَّا عليه مَن أرادَ حِفظَه، فهل من طالبٍ لحفظِه ليُعان عليهِ؟

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: ولقد هيَّأناهُ للذِّكرِ؛ مِن يَسَّرَ ناقتَه للسَّفرِ: إذا رَحَلَها، ويَسَّرَ فرسَه للغزوِ: إذا أَسرَجَهُ وأَلْجَمَه، قالَ:

وقُـمْـتُ إلَـيْـهِ بـالـلِّـجَـامِ مُـيَـسِّـرًا هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّـذِي كُنْـتُ أَصنَـعُ

ويُروى: أنَّ كُتُبَ أهلِ الأديانِ نحوَ التَّوراةِ والإنجيلِ لا يَتلُوها أهلُها إلا نظرًا، ولا يحفظُونها ظاهرًا كما القرآن.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾

﴿وَنُذُرِ﴾: وإنذَارَاتي لهم بالعذابِ قبلَ نُزُولِه، أو: إنذاراتي في تعذِيبِهم لِمَن بعدَهم.

﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾: في يوم شُؤمٍ، وقُرئَ: "في يومِ نحِسٍ" كقولِه: ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت ١٦/٤١].

﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾: قد استمرَّ عليهِم ودامَ حتَّى أهلَكَهم، أو: استمرَّ عليهِم جميعًا

قوله: (ظاهرًا) يقال: استظهر الشيءَ، أي: حفِظَه وقرأه[1] ظاهرًا.[2]

قوله: (قُرِئَ: "فِي يَوْمِ نَحِسٍ") أي: بكسر الحاء.[3]

قوله: (أو استمرَّ عليهم جميعًا) يعني: يجوز أن يكون المراد بالاستمرار:

---

[1] ن: قراءة.

[2] **الصحاح** للجوهري، «ظهر».

[3] قراءة شاذَّة، مرويَّة عن الحسن. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٥٥.

على كبيرِهم وصغيرِهم حتَّى لم يُبقِ منهم نَسمَةً، وكان في أربعاءَ، في آخرِ الشَّهر لا تدورُ.

ويجوزُ أن يريدَ بالمستمِرِّ: الشَّديدَ المرارةِ والبَشاعةِ.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: تَقلَعُهم عن أماكنِهم، وكانوا يَصطفُّونَ آخِذينَ بعضُهم بأيدي بعضٍ، ويَتدخَّلُون في الشِّعابِ، ويَحفِرونَ الحُفَرَ فيَندَسُّونَ فيها، فتنزِعُهم وتكبُّهم وتَدُقُّ رقابَهم.

﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ يعني: أنَّهم كانوا يَتساقطون على الأرضِ أمواتًا وهم جُثَثٌ طوالٌ عِظامٌ ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ﴾: وهي أصُولُها بلا فُروعٍ، ﴿مُّنقَعِرٍ﴾: مُنقَلِعٍ عن مغَارِسِه.

وقيل: شُبِّهوا بأعجازِ النَّخلِ؛ لأنَّ الرِّيحَ كانت تقطعُ رؤوسَهم فتبقَى أجسادًا بلا رُؤوسٍ.

وذكَّرَ صِفَةَ ﴿نَخۡلٍ﴾ على اللَّفظِ، ولو حمَلَها على المعنى لأنَّثَ؛ كما قال: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة ٦٩/٧].

الامتداد[١] بحسب الزمان، وأن يكون المراد الشمول.

قوله: **(لا تدور)** أي: لا ترجع في ذلك الشهر، فتشاءَموا[٢] بالأربعاء التي في آخر الشهر، وهذا ممّا اشتهر بين بعض الناس حتّى أنّهم يُبالِغون في التشاؤم[٣] بالأربعاء التي تكون في آخر الشهر.

قوله: **(في الشِّعاب)** الشِّعْب: ما انفَرَج[٤] بين الجَبلين.

قوله: **(فيَندسُّون)** دَسَستُ الشيء في التراب: أخفيتُه فيه، والدَّسّاسةُ: حيّة صمّاء[٥] تندَسُّ تحت التراب اندِساسًا، أي: تندفِن.[٦]

---

١ ن: الاستمداد.

٢ ن: فتشاموا.

٣ ن: التشام.

٤ ن: انفتح.

٥ ن: صمّا.

٦ **الصحاح للجوهري**، «دسس».

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا﴾ نصبٌ بفعلٍ يُفسِّره ﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾ وقُرئ: "أبشرٌ منا واحدٌ" على الابتداءِ، و﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾ خبرُه، والأوَّلُ أوجَهُ للاستفهامِ.

كان يقولُ: إن لم تتَّبعُوني كنتم في ضَلالٍ عن الحقِّ ﴿وَسُعُرٍ﴾: ونيرانٍ، جمع سعيرٍ، فعكسوا عليه فقالوا: إن اتَّبعناكَ كُنَّا إذًا كما تقولُ.

وقيل: الضَّلالُ: الخطأُ والبُعدُ عن الصَّوابِ، والسُّعُرُ: الجُنونُ، يقال: ناقةٌ مَسْعُورةٌ، قال:

كَـأنَّ بهـا سُـعْـرًا إذا العِيسُ هَـزَّهَـا ... ذَمِـيـلٌ وإرْخَــاءٌ مـن الـسَّـيْرِ مُـتْـعِـبُ

فإن قلتَ: كيف أنكرُوا أن يتَّبعُوا بشرًا منهم واحدًا؟

قوله: (ونيرانٍ) تفسير ﴿سُعُرٍ﴾.

قوله:[١]

(كأنّ بها سُـعْـرًا إذا[٢] العيسُ هزَّها ... ذميلٌ وإرْخـاءٌ مِـن الـسَّـير مُتعِبُ)[٣]

"العيسُ" -بالكسر-: الإبل البِيض[٤] يُخالِط بياضَها شيء مِن الشُّقْرةِ،[٥] واحدها: أعْيَسُ، والأنثى: عَيساء.[٦] وهَزَزتُ الشيءَ هَزًّا[٧] فاهتَزَّ،[٨] أي: حرّكْتُه[٩] فتحرَّك، يقال: هزَّ الحادي الإبلَ هزيزًا[١٠] فاهتزّت[١١] هي؛ إذا تحرَّكَتْ في سيرها لِحُدائه.[١٢] والذَّميلُ: ضَرْبٌ مِن سير الإبل بعَدوٍ.[١٣] والإرخاء: ضَرْب مِن العَدْو.[١٤]

---

١ وفي هامش ف: شعر.
٢ ن: إذ.
٣ بغير نسبة كذلك في **الدرّ المصون** للسمين الحلبي، ١٤٠/١٠ (القمر، ٢٤/٥٤)؛ و**اللباب** لابن عادل، ٢٦١/١٨ (القمر، ٢٤/٥٤).
٤ ن: الأبيض.
٥ ن: السفرة.
٦ ن: عيسا. | **الصحاح** للجوهري، «عيس».
٧ ن: هذا.
٨ ن: فامتز.
٩ ن: حركنه.
١٠ في مطبوع **الصحاح**: "هزًّا".
١١ ن + أي: حركته فتحرّك، يقال: هزّ الحادي الإبلَ هزيزًا فاهتزّت.
١٢ **الصحاح** للجوهري، «هزز».
١٣ **الصحاح** للجوهري، «ذمل».
١٤ ن: العدوّ. | **الصحاح** للجوهري، «رخا».

قلتُ: قالُوا: ﴿أَبَشَرًا﴾؟ إنكارًا لِأَن يتَّبعُوا مثلَهم في الجِنسيَّةِ، وطلبوا أن يكونَ مِن جنسٍ أعلى من جنسِ البشرِ، وهم الملائكةُ، وقالُوا: ﴿مِنَّا﴾ لأنّه إذا كان منهم كانت المماثلةُ أقوَى، وقالوا: ﴿وَاحِدًا﴾ إنكارًا لِأنْ تتَّبعَ الأمَّةُ رجلًا واحدًا، أو أرادوا: واحدًا من أفنائِهم ليس بأشرفِهم وأفضلِهم، ويدلُّ عليه قولُهم: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾؛ أي: أأُنزلَ عليه الوحيُ من بيننا وفينا مَن هو أحقُّ منه بالاختيارِ للنُّبوةِ.

﴿أَشِرٌ﴾: بطِرٌ متكبِّرٌ حمَلَهُ بَطَرُه وشَطَارتُه وطلبُه التعظُّمَ علينا على ادِّعاءِ ذلك.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزولِ العذابِ بهم، أو يومَ القيامةِ ﴿مَنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ أصالحٌ أم من كذَّبه؟ وقُرئ: ﴿ستَعْلَمون﴾ بالتَّاء على حكايةِ ما قال لهم صالحٌ مُجِيبًا لهم، أو هو كلامُ اللهِ على سبيلِ الالتفاتِ.

وُقرئ: "الأَشُرُ" بضمِّ الشِّينِ؛ كقولهم: "حَدِثٌ وحَدُثٌ" و: "حَذِرٌ وحَذُرٌ" وأخواتٍ لها.

وقُرئ: "الأشَرُّ" وهو الأبلَغُ في الشَّرارةِ، و"الأَخْيَرُ والأَشَرُّ" أصلُ قولهم: "هو خيرٌ منه، وشرٌّ منه"، وهو أصلٌ مرفوضٌ.

وقد حَكى ابنُ الأنباري: تقول العربُ: هو أخيَرُ وأشَرُّ، وما أخيَرَه وما أشَرَّه!

و"مُتْعِب" صفة[١] "إزْخاء".[٢] يقال: تَعِبَ يَتْعَبُ تَعَبًا، وأَتْعَبَهُ غيرُه. و"العِيسُ" مرفوع بفعل دلّ عليه "هزَّ". أي: إذا أسرع العيسُ[٣] في السير فكأنّ ناقتي بها جُنون مِن غاية سرعته.

قوله: (تقول[٤] العرب) أي: حكى الأنباري قائلًا: تقول العرب، أو هو مفعول "حكى"؛ / لأنّه في معنى "قال". [٣٨٣ظ]

---

١ ن: صفته.

٢ ن: إرجاء.

٣ ن - مرفوع بفعل دلّ عليه "هزَّ"، أي: إذا أسرع العيسُ.

٤ في بعض مطبوعات الكشّاف: قول.

﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾: باعِثُوها ومُخرِجُوها من الهَضبةِ كما سألوا، ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحانًا لهم وابتلاءً، ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾: فانتظِرْهُم وتبصَّرْ ما هم صانِعُون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أذاهُم ولا تعجَلْ حتَّى يأتِيَكَ أمري.

﴿قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾: مقسومٌ بينهم: لها شِرْبُ يومٍ ولهم شِربُ يومٍ، وإنَّما قالَ: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ تغليبًا للعُقلاءِ.

﴿مُّحْتَضَرٌ﴾: محضُورٌ لهم أو للنَّاقةِ، وقيل: يَحضرونَ الماءَ في نَوبتهم، واللَّبنَ في نوبتِها.

﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿صَاحِبَهُمْ﴾ قُدارَ بنَ سالِفٍ أُحيمَرَ ثمودَ ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾: فاجترأَ على تعاطِي الأَمْرِ العَظيمِ ....

قوله: (**مِن الهَضْبة**) الهَضْبة: الجبل المُنبسِط على وجه الأرض، والجمع: هِضَبٌ وهِضابٌ.[1]

قوله: (**محضورٌ لهم أو للناقة**)[2] أي: يَحضُره[3] القوم يومًا، وتحضُره[4] الناقةُ يومًا.

قوله: (**وقيل**) فعلى هذا يكون المراد بـ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ شِرْبَ الماءِ وشِرْبَ اللبن، فالمعنى: يَحْضُر القومُ الماءَ في نَوْبة القوم، ويَحضُر القومُ اللبنَ[5] في نَوبة الناقة.

قوله: (**على تعاطي[6] الأمرِ**) تعاطَى الأمرَ إذا تكلَّف تناولَه.

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «هضب».

[2] ن: وللناقة.

[3] ن: بحصرة.

[4] ن: وبحصرة.

[5] ن - فالمعنى: يَحضُر القومُ الماءَ في نَوْبة القوم، ويَحضُر القومُ اللبن.

[6] ن: تعالى.

غيرَ مُكترِثٍ له فأحدثَ العقرَ بالنَّاقةِ.

وقيلَ: فتَعاطَى النَّاقةَ فعَقرَهَا أو: فتَعاطَى السَّيفَ.

﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صيحةُ جبريلَ.

و"الهشيمُ": الشَّجرُ اليابسُ المُتهشِّمُ المتكَسِّرُ، و﴿ٱلْمُحْتَظِرِ﴾: الَّذي يَعْمَلُ الحظيرةَ، وما يَحتَظِرُ به يَيْبَسُ بِطول الزَّمانِ وتَتَوطَّؤه البهائمُ فيَتحطَّمُ ويتهشَّمُ.

وقرأ الحسنُ بفتح الظَّاءِ، وهو موضِعُ الاحتظارِ؛ أي: الحظيرةُ.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ
نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾
وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً
عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿حَاصِبًا﴾: ريحًا تَحصِبُهم بالحجارةِ؛ أي: ترمِيهم.

﴿بِسَحَرٍ﴾: بقِطْعٍ من اللَّيلِ، وهو السُّدُسُ الآخِرُ منه.

وقيل: هما سَحَرانِ: فالسَّحَرُ الأعلى قبل انصداعِ الفجرِ، ....

قوله: (**مُكتَرِثٍ**) يقال: ما أكْتَرِثُ[1] له، أي: ما أُبالي به.[2]

قوله: (**قُدارُ بنُ[3] سالِفٍ**) قال في **الصحاح**: «قُدارُ بنُ سالِفٍ: الذي يُقال له: أحمرُ ثَمودٍ؛ عاقِرُ ناقةِ صالحٍ عليه السلام».[4]

قوله: (**الحظيرة**) هي ما يُعمل للإبل مِن شجرٍ لِيَقيها الحرَّ والبرد.

قوله: (**وقيل: هما سَحَران**)[5] الضمير يعود إلى "السَّحَر"،[6] فكأنَّه قال: السَّحَر[7] سَحَران،[8] لكنّه ثنّاه[9] باعتبار الخبر، كما يؤنَّثُ باعتبار الخبر في قولهم: "مَن كانتْ أُمّكَ؟".

---

١ ن: أكترت.
٢ **الصحاح** للجوهري، «كرث».
٣ ن: قدارين.
٤ **الصحاح** للجوهري، «قدر».
٥ د: شجرانِ.
٦ د: الشجر؛ ن: السجر.
٧ د: الشجر؛ ن: السجر.
٨ د: شجران.
٩ ن: ثناه.

والآخرُ عند انصداعِه، وأنشد:

مَـــرَّتْ بـأعـلَـى الـسَّـحَـريـنِ تَـــذْأَلُ

وصُرِفَ لأنَّهُ نكرةٌ، ويُقالُ: لَقِيتُه بسَحَرَ: إذا لقيتَه في سَحَرِ يومِه.

﴿نِعۡمَةٗ﴾: إنعامًا، مفعولٌ له، ﴿مَن شَكَرَ﴾ نعمةَ اللهِ بإيمانِهِ وطاعَتِه.

﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ لوطٌ عليه السَّلامُ ﴿بَطۡشَتَنَا﴾: أَخْذَتَنا بالعذابِ ﴿فَتَمَارَوۡاْ﴾: فكذَّبوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ مُتشاكِّينَ ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾: فمسحنَاهَا وجَعلناهَا كسائرِ الوجهِ لا يُرى لها شَقٌّ.

رُوِي أنَّهم لمَّا عالجوا بابَ لوطٍ عليه السَّلامُ ليدخلُوا، قالتِ الملائكةُ: خَلِّهِم يدخلُوا، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ [هود ٨١/١١] فصَفَقَهُم جبريلُ عليه السَّلامُ بجناحِهِ صفقةً فتركَهُم يتردَّدون لا يهتدونَ إلى البابِ حتَّى أخرجَهم لوطٌ.

قوله: (تَذْأَلُ) أي: تُسرع.

قوله: (ويقال: لَقِيتُه[١] سَحَرَ)[٢] قال ابنُ الحاجب في شرح المفصَّل:

وأمَّا "سَحَرُ" فيُستعمل[٣] معرفة ونكرة، فإذا استُعمل نكرة كان منصرِفًا، وإذا[٤] استُعمل معرفة كان غير مُنصرِف، وليس فيه ما يمنَعُه الصَّرْف إلَّا أن يُقدَّر العلميّة مع العدل عن الألف واللام. ولو قيل: إنَّه مبنيّ لِتضمُّنه معنى الألف واللام لم يَبعد عن الصواب، كما أنّ "أمْسِ" على لغة أهل الحجاز مبنيّ لتضمّنه معنى الألف واللام، ولا يكون عَلَمًا على هذا؛ لأنّ العلَم إنّما يكون علَمًا بالقصدِ، لا بتقدير حرف التعريف.[٥]

قوله: (فكذَّبوا) يريد: أنّ معنى "تَمارَوا": شكُّوا، لكن ضُمِّن ههنا معنى التكذيب، ولذلك عُدّي بالباء، فآل[٦] المعنى إلى ما ذكر.

قوله: (فصَفَقهم) أي: ضرَبهم.

---

١ ن: لعيته.

٢ في مطبوع الكشّاف: "بسَحَرَ".

٣ ف: فتستعمل.

٤ ن: فإذا.

٥ وفي هامش د: وفيه نظر يُفهم مِن شرح اللباب التبريزي. | الإيضاح لابن الحاجب، ٦٠/١.

٦ ن: قال.

﴿فَذُوقُواْ﴾ فقُلتُ لهم: "ذوقُوا" على ألسنةِ الملائكةِ.

﴿بُكۡرَةً﴾ أوَّلَ النَّهارِ وباكِرَه؛ كقوله: ﴿مُشۡرِقِينَ﴾ [الحجر ٧٣/١٥] و﴿مُصۡبِحِينَ﴾ [الحجر ٨٣/١٥]، وقرأ زيدُ بنُ عليّ رضيَ الله عنهما: ﴿بُكۡرَةَ﴾ غيرَ منصرفةٍ، تقول: أتيتُه بُكرةً وغُدوَةً بالتَّنوينِ: إذَا أردتَ التنكيرَ، وبكرةَ وغدوةَ: إذا عرَّفتَ وقصدْتَ بُكْرةَ نَهارِك وغُدوتَه.

﴿عَذَابٌ مُّسۡتَقِرٌّ﴾: ثابتٌ قد استقرَّ عليهم إلى أن يُفضِيَ بهم إلى عذابِ الآخرة.

قوله: (وباكِرَه)[١] أي: فاتِحَتَه.

قوله: (كقوله: ﴿مُشۡرِقِينَ﴾ [الحجر ٧٣/١٥]) أي: في حقِّهم.

قوله: (و"بُكرةَ" و"غُدْوةَ" إذا عرَّفتَ) قال ابن الحاجب رحمه الله[٢] في **شرح المفصَّل**:

> وَضَعوا للأوقات أعلامًا كما[٣] وَضَعوا[٤] للمعاني الموجودة -وإنْ لم تكن الأوقات[٥] شيئًا موجودًا-[٦] إجراءً[٧] لها مُجرى الأمور الموجودة، ثمّ مثّل بـ"غُدْوةَ"، والدليل[٨] على أنّه عَلَم قولُهم: سِيرَ على فرسِه غُدْوةُ، فـ"غُدْوةُ" غير منصرف، ولو لم يكن عَلَمًا لَوجَبَ صَرْفُه؛ إذ ليس فيه إلّا التأنيث اللفظي، والتأنيثُ[٩] اللفظي بالتاء لا يمنع إلّا مع العَلَمِيّة، وقد يُستعمل نكرةً فيُعرَّف باللام كغيره، وأمّا "بُكْرة"[١٠] فقد استُعمل معرفة ونكرة كما استُعمل "غُدوة"، إلّا أنّه لم يَتصرَّف كتصرُّف "غُدوة"، فلا تقول: سِيرَ على فرسك بُكرةُ،[١١] ولا بُكْرةٌ؛ لأنّها غير متصرِّفة، ومعنى قولنا: متصرِّفة: أنّها تُستعمل / ظرفًا وغيرَ ظرف، وغيرُ المتصرِّفة لا تُستعمل إلّا ظَرفًا.[١٢] [٣٨٤و]

---

١ ن: وباكرة.
٢ د - رحمه الله.
٣ ن - كما.
٤ ن: وضعو.
٥ ف: لأوقات؛ ن: للأوقات.
٦ ن: موجوجًا.
٧ ن: إجرا.
٨ ن: الدليل.
٩ ن: والثأليث.
١٠ ن: نكرة.
١١ ن + بكرة.
١٢ **الإيضاح** لابن الحاجب، ٥٩/١.

فإن قلتَ: ما فائدةُ تكريرِ قوله: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟

قلتُ: فائدتُه: أن يُجدِّدُوا عند استماعِ كلِّ نبإٍ من أنباءِ الأوَّلينَ ادِّكارًا واتِّعاظًا، وأن يَستأنفُوا تَنبُّهًا واستيقاظًا، إذا سمعُوا الحثَّ على ذلك والبَعْثَ عليه، وأن تُقرَعَ لهم العصَا مراتٍ، ويُقَعْقَعَ لهم الشَّنُّ تاراتٍ؛ لئلَّا يَغلبَهم السَّهوُ ولا تستوليَ عليهِمُ الغَفلةُ، وهكذا حُكمُ التَّكريرِ لقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عند كلِّ نعمةٍ عدَّها في سورة الرَّحمنِ، وقولِه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عندَ كلِّ آيةٍ أوْرَدَها في سورة والمرسلاتِ، وكذلك تكريرُ الأنباءِ والقِصصِ في أنفسِها؛ لتكونَ تلكَ العِبرُ حاضرةً للقُلوبِ، مصوَّرَةً للأذهانِ، مذكورةً غيرَ مَنسيَّةٍ في كلِّ أوانٍ.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٤٢﴾

﴿ٱلنُّذُرُ﴾: موسى وهارونُ وغيرُهما من الأنبياءِ؛ لأنَّهما عَرَضَا عليهم ما أنذَرَ به المرسَلون، أو جمعُ نَذِيرٍ: وهو الإنذارُ.

قوله: **(الشَّنُّ)**[١] الشَّنُّ:[٢] القِرْبة[٣] الخَلَق، وفي المَثَل: «**لا يُقَعْقَعُ بالشِّنان**»،[٤] قال النابغة:[٥]

كـأنّـك مِـن جِـمـال بـنـي أُقَـيـش ... يُـقَـعْـقَـعُ خَـلْـفَ رِجـلَـيـه بِـشَـنِّ[٦]

والتقدير في البيت: كأنّك جَمل مِن جِمال هذه القبيلة، أي: إنّك جَبان في الحرب، لا تقدِرُ على الطِّعانِ، ولا تَقرُبُ إلى الحرب؛ بل تَنْفِر عنها كما يَنْفِر الجَمل عن صوت الشَّنّ[٧] وعن قَعْقَعَتِه.

قوله: **(لأنّهما عرَضا)** يعني: إنّما قال: ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ لأنّ موسى وهرون عليهما السلام[٨]

---

١ ن: السن.

٢ ن: السن.

٣ ن: والقربة.

٤ ن: بالسنان. | يُضرب لمَن لا يَتَّضع لِما يَنزل به مِن حوادث الدهر، ولا يروعه ما لا حقيقةَ له. **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٢٦١.

٥ ن: النابعة.

٦ **الصحاح** للجوهري، «شنن».

٧ ن: السن.

٨ د - عليهما السلام.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا﴾: بالآياتِ التِّسعِ.

﴿أَخۡذَ عَزِيزٖ﴾ لا يُغالَبُ ﴿مُّقۡتَدِرٍ﴾ لا يُعجزهُ شيءٌ.

﴿أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَـٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٤٣﴾

﴿أَكُفَّارُكُمۡ﴾ يا أهلَ مكّةَ ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَـٰٓئِكُمۡ﴾ الكفّارِ المعدودِين: قومِ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وآلِ فرعونَ؛ أي: أهُم خيرٌ قوّةً وآلةً ومكانةً في الدُّنيا، أو أقلُّ كفرًا وعنادًا؟ يعني: أنَّ كفارَهم مثلُ أولئك بل شرٌّ منهم.

﴿أَمۡ﴾ أُنزلَت عليكُم يا أهلَ مكّةَ ﴿بَرَآءَةٞ﴾ في الكتبِ المتقدِّمةِ: أنَّ مَن كفرَ منكم وكذَّبَ الرُّسُلَ كان آمنًا من عذابِ الله؟ فأَمِنتُمْ بتلك البراءةِ؟

﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ۝٤٤ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾

﴿نَحۡنُ جَمِيعٞ﴾: جماعةٌ أمرُنا مجتمِعٌ ﴿مُّنتَصِرٞ﴾: ممتنِعٌ لا نُرَامُ ولا نُضَامُ.

وعن أبي جهلٍ: أنَّه ضَربَ فَرَسَهُ يومَ بدرٍ فتقدَّمَ في الصفِّ وقال: نحنُ ننتصرُ اليومَ من محمّدٍ وأصحابه، فنزلت: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾.

عن عكرمةَ: لمَّا نزلت هذه الآيةُ قالَ عمرُ: أيُّ جمعٍ يُهزمُ؟ فلمَّا رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَثِبُ في الدِّرعِ ويقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾ عَرَفَ تأويلَها.

عَرَضا على آل فرعون إنذارَ الأنبياء، فكأنَّ[1] الأنبياء أتوهم.

قوله: **(لا نُرام[2] ولا نُضام)**[3] الرَّوم: الطلَب، والضَّيم:[4] الظُّلم، أي: لا يَطلُبُنا أحدٌ، ولا يَظلِم علينا أحَد.

قوله: **(أيّ جمعٍ)** أجَمْعنا أم جَمْعهم؟

قوله: **(عرَف تأويلَها)** لأنَّه عَلِمَ مِن مبالغة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[5]

---

١ ن: وكأنَّ.
٢ ن: يرام.
٣ ن: يضام.
٤ ن: الضيم.
٥ د: عليه السلام.

﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾، أي: الأدبارَ؛ كما قال:

كُـلُـوا فـي بـعـض بَـطْـنِـكـم

وقرئ: "الأدبار".

﴿أَدْهَىٰ﴾: أَشَدُّ وأفظَعُ، و"الدَّاهيَةُ": الأمرُ المُنكَر الَّذي لا يُهْتَدَى لِدَوائه، ﴿وَأَمَرُّ﴾ من الهَزيمةِ والقَتْلِ والأَسْر، وقرئ: "سنَهزِم الجمعَ".

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾

﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾: في هَلاك وَنيرانٍ، ....

في الدعاء أنّه يُستجاب له، ويُهْزَمُ جنود الكفّار، أو عَلِمَ مِن قراءة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[1] هذه الآيةَ ذلك الوقت أنّ المراد جمع الكفّار.[2]

قوله تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ قال في **الصحاح**: «الدُّبُرُ والدُّبْرُ: الظَّهْر، قال تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾،[3] جُعل للجماعة كما قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم ٤٣/١٤]. والدُّبُرُ والدُّبْرُ: خلاف القُبُل، ودُبُرُ الأمرِ ودُبْرُه:[4] آخِرُه».[5]

قوله:

(كُـلُـوا فـي بـعـض بَـطْـنِـكـم)

تمامه:

تَـعِـفُّـوا فـإنّ زمانكـم زَمَـن خَـمـيـصُ[6]

قوله: **(في هَلاك)** أي: في هَلاك في الآخرة، وفي نيران في[7] الآخرة أيضًا،

---

[1] د - صلّى الله عليه وسلّم؛ ن - في الدعاء أنّه يُستجاب له ويُهزم جنود الكفّار، أو عَلِمَ مِن قراءة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.
[2] ن: الكفرا.
[3] ن - قال في **الصحاح**: «الدُّبُرُ والدُّبْرُ: الظَّهر، قال تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾».
[4] ن + إلى.
[5] **الصحاح** للجوهري، «دبر».
[6] البيت مِن أبيات سيبويه الخمسين التي لم يُعلم قائلها. **خزانة الأدب** للبغدادي، ٥٣٠/٧.
[7] ن - في.

أو: في ضَلالٍ عن الحقِّ في الدُّنيا ونِيرانٍ في الآخرة.

﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ كقولك: وَجَدَ مَسَّ الحُمَّى، و: ذَاقَ طَعْمَ الضربِ؛ لأن النَّار إذا أَصابتْهم بحَرِّها ولَحِقتْهُم بإيلامِها فكأنَّها تمسُّهُم مسًّا بذلك كما يَمَسُّ الحَيوانُ ويُباشِرُ بما يُؤذِي ويُؤلِمُ.

و﴿ذُوقُواْ﴾ على إرادة القَول، و﴿سَقَرَ﴾ عَلَمٌ لجَهنَّم، من سَقرَتْه النارُ وصَقرَتْهُ: إذا لَوَّحَتْهُ، قال ذو الرُّمَّة:

إذا ذابتِ الشمسُ اتَّقَى صَقَرَاتِها   بأَفْنانِ مَرْبُوعِ الصَّرِيمةِ مُعْبِلِ

وعدَمُ صرفها للتعرِيف والتأنيث.

فعلى هذا يكون قوله: ﴿فِي ضَلَلٍ﴾ مِن: ضَلَّ الشيءُ يَضِلُّ ضَلالًا؛ ضاعَ وهلَك، والاسم: الضُّلُّ بالضمّ، ومنه قولهم: هو ضُلُّ ابن[1] ضُلٍّ؛ إذا كان لا يُعرَف ولا يُعرف أبوه.[2]

قوله: (**أو في ضلال عن الحقّ**) فعلى هذا هو مِن الضَّلال[3] والضلالةِ؛ ضِدّ الرَّشاد.[4]

قوله:

(**إذا ذابتِ[5] الشمس اتّقى صَقَراتِها   بأفنانِ مَرْبُوعِ الصَّرِيمةِ مُعْبِلِ**)[6]

يصف ثَوْرَ الوَحْش. ذابت الشمس: اشتدّ[7] حرُّها. والمُعْبِلُ:[8] **الذي له عَبَلٌ**[9] بالتحريك؛ وهو وَرَق الأرْطى، وكلُّ وَرَق مفتولٍ فهو عَبَل.[10] يقال: **ذابَ لُعابُ** الشمس، وذلك في أشدّ ما يكون مِن الحرّ، ويكون في شعاع الشمس[11] **مثلُ اللُّعاب**.

١ ن: إذ.

٢ **الصحاح** للجوهري، «ضلل».

٣ ف: الضالّ.

٤ ن - قوله: (عن الحقّ) فعلى هذا هو مِن الضَّلال، والضلالة: ضِدُّ الرَّشاد. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «ضلل».

٥ ن: أذابت.

٦ ن: معتل. | لذي الرمّة في **ديوانه**، ١٤٥٨/٣.

٧ ن: واستد.

٨ ن: والمعيل.

٩ ن: عيل.

١٠ ن - بالتحريك، وهو وَرَق الأرْطى، وكلُّ ورق مفتولٍ فهو عَبَل. | **الصحاح** للجوهري، «عبل».

١١ ن - وذلك في أشدّ ما يكون مِن الحرّ، ويكون في شعاع الشمس.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ٤٩﴾

﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوبٌ بفِعلٍ مُضمَرٍ يُفسره الظاهرُ، وقرئ: "كلُّ شيء" بالرَّفعِ، والقَدَرُ والقَدْرُ: التقديرُ، وقُرئ بهما.

أي: خَلقْنا كلَّ شيءٍ مُقدَّرًا مُحكَمًا مرتَّبًا على حسَب ما اقتضَتْه الحِكمةُ، أو مُقدَّرًا مكتوبًا في اللَّوح، مَعْلومًا قبل كونِه، قد عَلمنا حالَه وزمانَه.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ٥٠﴾

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾: إلَّا كلمةٌ واحِدةٌ سَريعةُ التكوين ﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ أراد قولَه: كن؛ يعني: أنه إذا أرادَ تكوينَ شيءٍ لم يَلْبَثْ كونُه.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ٥٣﴾

﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾: أشباهَكُم في الكُفر من الأُمم.

﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾: في دَواوين الحَفَظةِ.

والأفنان: الغصون،[١] واحدُها: فَنَن. والصَّقرة:[٢] شِدّة الحَرّ. والمراد بالمَرْبوع: الشجر الذي أصابه[٣] المطر، وأضافه إلى "الصَّريمة" لأنّه نابتٌ عليها. وأسند الذَّوبَ إلى الشمس مجازًا، كقولك:[٤] نهارُه صائم. والمَرْبوع: الذي أتى عليه مطر الربيع. والصَّريمة: الرَّمْلة المُنصرمة[٥] مِن الرمال.[٦] والمُغْبِل:[٧] جماعة الشجر ذي الوَرق. والعَبَل: ورق الأرْطى.

قوله: (وقُرئ: "كُلُّ شَيْءٍ" بالرفع) شاذّ.[٨]

---

١ ن: الغضون.
٢ ف: والصَّقْر؛ ن: والصفرة.
٣ ن: أبه.
٤ ن: لقولك.
٥ ن: المتصرمة.
٦ ن: الزمان.
٧ ن: والمعيل.
٨ ن + قوله: (وقُرئ بالرفع) شاذّ. | قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي السمّال. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٥٦.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأَعمال ومِن كلِّ ما هُو كائنٌ ﴿مُسْتَطَرٌ﴾: مسطُورٌ في اللَّوح.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَنَهَرٍ﴾: وأنهَارٍ، اكتُفِي باسْمِ الجنسِ، وقيل: هو السَّعَةُ والضِّياءُ من النَّهار، وقرئ بسكُون الهاء، و: "نُهُر" جَمْعُ نَهَرٍ كأَسَدٍ وأُسُدٍ.

﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: في مكانٍ مَرضيّ، وقرئ: "في مقاعِدِ صدقٍ".

قوله: (وقُرئ[1] / بسكون[2] الهاء) أي: بفتح النون وسكون الهاء.[3] وقوله: [٣٨٤ظ]
(و"نُهُرٍ") أي: قُرئ بضمّ النون والهاء.[4] قال الشيخ في الكواشي: «قُرئ بضمّ النون والهاء؛ جمع نَهَر، كأَسَد وأُسُد، أو جمع نهار، وهذا دليلٌ[5] على أنْ لا ليلَ[6] ثَمَّة».[7] قولُ الشيخ: "أو جمع نهار" كقَذال وقُذُل. عن ابن دُرَيد: «القَذَالان: ما اكتنفا[8] فاسَ القَفَا[9] مِن عَنْ يمين وشمالٍ».[10] وعن الغُوري: «القَذال: ما بين نُقْرة القَفا[11] إلى الأُذن، وهما[12] قَذالان، عن اليمين قَذال، وعن الشِّمال قَذال».[13]

قوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ الصِّدْق: الصَّلاح والجَودة، ونقيضه: الرَّداءة[14] والفساد، يقال: رجل صِدْق، أي: مختَصٌّ بالصلاح والجَودة. فمعنى ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ مكان مختصّ بالصلاح والجَودة،[15] فيكون مَرْضيًّا.

---

١ ن – وقرئ.
٢ ن: بكون.
٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعرج ومجاهد وحميد وأبي السمّال والفياض بن غزوان. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٥٧؛ **والبحر المحيط** لأبي حيّان، ٤٩/١٠ (القمر، ٥٤/٥٤).
٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن زهير العرقبي والأعمش وأبي نهيك وأبي مجلز واليماني. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٥٧؛ **والبحر المحيط** لأبي حيّان، ٤٩/١٠ (القمر، ٥٤/٥٤).
٥ ن – دليلٌ.
٦ ف: دليل.
٧ ف ن: ثمّ. | **تفسير الكواشي**، ٥٣٣ظ.
٨ ن: التنفا.
٩ ن: الفقا.
١٠ **المُغرب** للمطرّزي، «قذل».
١١ ن: القفاء.
١٢ ن: ومما.
١٣ **المُغرب** للمطرّزي، «قذل».
١٤ ن: الرداه.
١٥ ن – فمعنى ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ مكان مختص بالصلاح والجَودة.

﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾؛ أي: مقرَّبينَ عند مَليك مُبْهَمٍ أَمْرُهُ في المُلكِ والاقتدارِ، فلَا شيء إلَّا وَهُو تَحت مُلكهِ وقدرتِه، فأَيُّ مَنزِلةٍ أكرَمُ مِن تلك المَنْزلةِ وأَجمعُ للغِبْطةِ كلِّهَا والسَّعَادةِ بأسْرِها.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورة القمر في كلِّ غِبٍّ بعثهُ الله يومَ القيامة ووَجْهُهُ مثلُ القَمر ليلةَ البدر».

قوله: (في كلِّ غِبٍّ) أي: يقرؤه يومًا، ولا يقرؤه يومًا.

تمّت السورة بحمد الله تعالى[1] ومَنِّه وكرمه.[2]

---

[1] د - تعالى.

[2] ف ن - ومنّه وكرمه.

سورة الرحمٰن

مكيةٌ، وقيل: مدنية، وقيل: فيها مكيٌّ مدنيٌّ.
وهي ستٌّ أو سبعٌ أو ثمانٌ وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ① عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ② خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ③ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ④ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ⑤ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ⑥﴾

عدَّد اللهُ عزَّ وعَلا آلَاءَه، فأرَادَ أن يُقدِّم أوَّلَ شيءٍ ....

سورة الرحمٰن

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (عدّد الله عزّ وعلا) أي: أراد أن يُعَدِّد آلاءَه[2] فأراد، فإنّ الإرادة تعلَّقتْ أوّلًا بتعديد الآلاء، وبعده تعلَّقتْ بكيفيّة[3] تَعداده، أي: بالترتيب الذي ينبغي أن يكون التعداد على ذلك الترتيب.

قوله: (أوّلَ شيء) ظرفُ (يُقدِّم)، أي: قبل كلّ واحد واحد، فإنّ اسم التفضيل إذا أُضيف إلى النكرة أفاد التفضيل على كلّ واحد واحد مِن أفراد الجنس، فإذا قلتَ: "زيد أفضل رجلٍ" كان المعنى: أنّه إذا عُدّ جنس الرجال[4] واحدًا واحدًا فزَيدٌ[5] أفضل مِن كلّ واحد واحد. اعلم أنّ الصواب أنْ يكون "أوّلَ شيء" حالًا عن "ما"[6] مُقدَّمًا عليه، لا ظرفًا؛ لأنّ "أفعَلَ" إذا أُضيف فإنّه يكون

---

[1] ف ن - وبه نستعين.
[2] ن: آلاه.
[3] ن: بكيفة.
[4] ف: الرحال.
[5] ف: مزيد.
[6] ن: عمّا.

ما هُو أَسبقُ قَدمًا من ضُرُوب آلائِه وأصناف نَعْمائه وهي نِعمةُ الدِّين، فقدَّم من نعمةِ الدين ما هُو في أعلى مراتبِها وأقصَى مراقِيها وهو إنعَامُه بالقرآن وتَنزيلِه وتعليمِه؛ لأنه أعْظمُ وَحْيِ الله رُتبَةً وأَعلاه منزلةً، وأَحسنُهُ في أبواب الدِّين أثرًا، وهو سَنامُ الكتُبِ السَّماوية ومِصداقُها، والعِيَارُ علَيها، وأَخَّر ذِكرَ خَلْقِ الإنسان عن ذِكره ثُمَّ أَتبعَه إياهُ؛ ليُعْلم أَنه إنما خلقَه للدِّينِ، وليُحيط عِلمًا بوَحيِهِ وكتُبِه وما خُلق الإنسانُ من أجْلِهِ، وكأن الغرَض في إنْشائه كان مقدَّمًا عليه، وسابِقًا له، ثم ذكَر ما تميَّزَ به من سائرِ الحيوَانِ من البَيان، وهو المنطقُ الفصِيح المُعرِبُ عمَّا في الضَّمير.

بمعنى المضاف إليه، فيكون ههنا بمعنى "شيء"، فلا يكون ظرفًا.

قوله: **(قَدَمًا)** أي: منزلةً ورتبةً.

قوله: **(وهي نعمة)** عائد إلى "ما"، وأنَّثه باعتبار "النعمة"، أي: باعتبار خبره.

قوله: **(وتنزيلُه وتعليمُه)**[١] العطفُ[٢] فيه[٣] للبيان، سواء ضُمَّ أو كُسِر. والأَولى أن نقول: هنا ثلاث نِعَم: **الأُولى**: إنشاء **القرآن** وإبداعُه. **والثاني**: تنزيلُه على نبيّنا[٤] صلّى الله عليه وسلّم. **والثالث**:[٥] تعليمُه. وأشار المصنّف إلى الجميع.

قوله: **(والعِيار عليها)** أي: الشاهد المعدَّل المُهيمِن.

قوله: **(عن ذِكره)** الضمير مِن "ذِكره" يعود إلى "ما" في قوله: **(ما هو أعلى)**.[٦] وقوله: **(ثـمّ أَتبَعَه)** عطفٌ على **(أخَّرَ)**، والمراد بتأخير[٧] ذكره أنْ لم يَذكُرْ قبله، وبإتباعه أنْ ذكر بعده، أي: في عَقِبه، مِن غير أنْ / يَفصل بينهما بشيء. [٣٨٥و]

قوله: **(وما خُلقَ الإنسان)** يعني به الدِّينَ والعِلمَ، فـ"ما" مبتدأ، و**(كان مُقدَّمًا)** خبره، وهذه كالجملة المعترضة.

قوله: **(ما يَتميَّزُ)** أي: الإنسان. وقوله:[٨] **(مِن البيان)** بيان "ما"، قال في **الصحاح**:

---

١ ن: وتعلمه.
٢ ن: والعطف.
٣ ن: منه.
٤ ن + محمّد.
٥ ن: والثالث.
٦ ن: على.
٧ ن: ما خيّر.
٨ ن: قوله.

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مُبتَدأٌ، وهذه الأفعالُ مع ضمائرها أخبَارٌ مترادفة، وإخلاؤُها من العاطِف لمجيئها على نمَطِ التَّعديدِ كما تقول: "زيدٌ أغناك بعد فقرٍ، أعزَّك بعدَ ذُلٍّ، كثَّرَكَ بعدَ قِلَّةٍ، فَعَلَ بك ما لم يفْعَلْ أحَدٌ بأحَد، فمَا تُنكِرُ مِن إحْسَانِهِ؟".

﴿بِحُسۡبَانٖ﴾: بحسَابٍ مَعْلوم وَتقْديرٍ سويّ يجريان في بُرُوجهما ومَنازِلهما. وَفي ذلك مَنافعُ للناس عظيمةٌ منها: عِلمُ السِّنِينَ والحسَابِ.

﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾: والنباتُ الذي ينجُمُ من الأرض لا سَاقَ له كالبُقول ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ الذي له سَاقٌ، وسجُودُهما: انقيَادُهما لله فيما خُلِقَا له وأنهما لا يَمتَنِعَانِ؛ تشبيهًا بالساجِدِ من المكلَّفينَ في انقيادِه.

«البيان: الفصاحة واللَّسَن، وفي الحديث: 'إنّ مِن البيان سِحْرًا'،[1] وفلان أبْيَنُ مِن فلان، أي: أفصَح منه، وأوضح كلامًا».[2]

قوله: (﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مبتدأ) اعلم[3] أنّ هذا إذا لم يُجعل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ آية. قال الشيخ في **الكواشي**: «﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ خبر مبتدأ محذوف إن جُعل آية، تقديره: اللهُ الرحمنُ. وإن لم يُجعل آية[4] فهو مبتدأ، خبره ﴿عَلَّمَ﴾».[5]

قوله: (**مع[6] ضمائرها**) لو قال: "مع مَعمولاتها" لكان أحسن، وكأنّه إنّما ذكر كذلك لأنّ[7] منصوباتها ليست جزء[8] الجملة.

قوله: (**فما تُنكِر**) "ما" مفعول "تُنكِر" مقدَّم عليه، و(**مِن إحسانه**) في محلّ الحال، أي: كائنًا[9] إحسانًا مِن إحسانه.

قوله: (**تشبيهًا**) أي: شُبِّها تشبيهًا. وقوله: (**في انقياده**)[10] أي: في انقياد كلّ واحد منها لله تعالى.

---

١ ن: لسحرًا. | **صحيح البخاري**، ١٣٨/٧ (٥٧٦٧)؛ **صحيح مسلم**، ٥٩٤/٢ (٨٦٩).
٢ **الصحاح** للجوهري، «بين».
٣ ن: علم.
٤ ن: أنه.
٥ **تفسير الكواشي**، ٥٣٤و.
٦ ن – مع.
٧ ن: لا.
٨ ن: استاجز.
٩ ن: كائنا.
١٠ ن: انقياد.

فإن قلتَ: كيف اتَّصلَتْ هَاتانِ الجمْلتَانِ بـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾؟

قلتُ: استُغنِي فيهما عن الوَصْل اللَّفظي بالوَصْل المعنويّ؛ لِمَا عُلم أنَّ الحُسبانَ حُسبانُه والسُّجُودَ له لا لِغَيره، كأنه قيل: الشمسُ والقمرُ بحسبانِه، والنَّجمُ والشَّجرُ يَسْجُدانِ لهُ.

فإن قلتَ: كيف أُخِلَّ بالعاطِف في الجُمَلِ الأُوَلِ ثمَّ جيء به بَعْدُ؟

قلتُ: بُكِّتَ بتلك الجُمَلِ الأُوَلِ -وارِدَةً على سَنَنِ التَّعدِيدِ- الَّذين أنكرُوا الرَّحمنَ وآلاءَهُ؛ كَما يُبكَّتُ مُنكِرُ أَيادِي المُنعِمِ عَليه من النَّاسِ بتَعدِيدهَا عليه في المِثال الَّذي قَدَّمْتُه، ثُم رُدَّ الكَلامُ إلى مِنهاجِهِ بعْدَ التَّبكِيتِ في وَصْلِ ما يجِبُ وَصْلُه لِلتنَاسُب والتَّقارُبِ بالعَاطِف.

قوله: (**فإنْ قلتَ: كيف اتّصلَتْ؟**) أي: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مبتدأ، وهما مِن جملة أخباره المترادِفة،[1] فكيف اتّصلتا به مِن غير ضمير؟

قوله: (**فإن قلتَ: كيف أُخِلَّ؟**) يقال: أَخَلَّ[2] به، أي: تركه.

قوله: (**قلتُ: بُكِّتَ**) أي: الذين أنكروا.

قوله: (**لِيكون كلُّ واحدة**)[3] "اللام" في "لِيكون" متعلّقة بـ(**واردةٍ**).[4]

قوله: (**الذين أنكروا**) إشارة إلى أنّه نزل في حقّ الذين كانوا يقولون: ما ندري ما الرحمن؟ وكانوا يُنكِرونه.

قوله: (**مِن الناس**) حال مِن الضمير في "المُنعِم"، و"الباء" في (**بِتعديد**) متعلّق بقوله: (**يُبكَّتُ**). وقوله: (**ثمّ رُدَّ**) عطفٌ على قوله: "**بُكِّتَ**"[5] يعني: يجب[6] في الجُمل[7] المتناسبة[8] والمُتقاربة[9] أنْ يُوصَل بعضها بالبعض بالعاطف،

---

[1] ن: المراد فيه.

[2] ن - يقال أخَلّ.

[3] ن: واحد.

[4] ن: بوادرة.

[5] ن: بكث.

[6] ن: يحث.

[7] ن: الجهل.

[8] ن: المتناسية.

[9] ن: والمتعارية.

فإن قلتَ: أيُّ تَناسُبٍ بين هاتَيْنِ الجُملتَين حتَّى وُسِّطَ بينهما الْعَاطِفُ؟

قلتُ: أنَّ الشَّمس والقَمر سَماويَّانِ والنَّجمَ والشَّجرَ أرضيَّانِ، فبَيْنَ القَبيلتَينِ تَناسُبٌ من حَيثُ التَّقابُلُ، وأن السَّماء والأرضَ لَا تزَالانِ تُذكَرانِ قَرينتَيْنِ، وأنَّ جَرْيَ الشمسِ والقمرِ بحُسْبَانٍ من جنْسِ الانقيادِ لأمرِ اللهِ، فَهُو مُناسِبٌ لِسُجوُد النجمِ والشَّجرِ.

وقيل: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: جعَله عَلامَةً وآيةً.

وعـن ابـن عبّـاس رضـي الله عنـه: الإنْسَـانُ آدَمُ، وعنـه: محمَّـدٌ صلـى الله عليـه وسـلم.

وعن مجاهد النجمُ: نجومُ السَّماء.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ٩﴾

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾: خلَقها مَرفُوعةً مَسموكةً حيثُ جَعلَها مَنشأَ أَحكامِه ومَصْدَرَ قَضَايَاه، ومُتَنزَّلَ أَوامِره ونَواهيهِ، ومَسْكنَ ملائكتهِ الَّذِين يَهبِطُونَ بالوَحْي على أَنبيَائهِ، وَنَبَّه بذلك على كِبرياء شأنِه وَملْكِه وسُلْطانه.

لكـن فُصِـل بيـن الجمـل المتقدّمـة لِغـرَض التبكيـت، ولمّـا حصـل التبكيـت مِـن فَصْـل[١] تلـك الجُمـل ردّ الجُمـل البواقـيَ إلـى أصلهـا فـي العطـف.

قولـه: **(وأنّ السماء والأرض لا تزالان)** وإذا كانا كذلك كان السماويّ والأرضيّ[٢] أيضًا[٣] كذلك.[٤]

قوله: **(وأنّ جَرْيَ الشمس)**... إلخ بيّن أوّلًا التناسب بين الجملتين بحسب المسنَد إليه فيهما، وههنا بيَّن بحسب المسنَد.

قوله: **(جَعله علامة)** أي: جعله علامة ودليلًا للنبوّة والشريعة.

---

١ ن: فصل.
٢ ن: والأرض.
٣ ن - أيضًا.
٤ ن: لذلك.

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ وفي قراءة عبْدِ الله: "وخَفَض الميزان"، وأَرادَ به كلَّ ما تُوزَنُ بِهِ الأشياءُ وتُعرفُ مقاديرُها: من ميزانٍ وقَرَسْطُونٍ ومِكْيالٍ ومِقْياسٍ؛ أي: خَلقه مَوضُوعًا مَخفُوضًا على الأَرْضِ، حَيْثُ عَلَّقَ بِهِ أَحْكامَ عِبادِهِ وقضاياهُم، وما تعبَّدَهُم بِهِ من التسْويَةِ والتَّعْدِيلِ في أَخذِهم وإِعطائِهم.

﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ﴾: لئلا تَطْغَوا، أَو هي "أَنْ" المُفسِّرةُ، وقرأ عبد الله: "لا تَطْغَوا" بغَيرِ "أَنْ" على إرَادةِ القَول.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾: وقوِّمُوا وَزنكُم بالعَدْلِ ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾: ولا تَنْقُصُوه، أَمرَ بالتسوِيَة ونهَى عن الطُّغيَانِ الَّذِي هُو اعتِداءٌ وزِيادَة، ....

قوله: (وقَرَسْطون) هو القَبّان.

قوله: (حيث علَّق) إشارة إلى أنّ المراد بوضعِ المِيزان تعليقُ أحكام العِباد به.

قوله: (وما تعبَّدهم به) أي: أمرهم به.

قوله: (أو هي "أن" المُفسِّرة) وإذا[1] كان "أن" مفسِّرة[2] كان ﴿لَا تَطْغَوْاْ﴾ مجزومًا بـ"لا" الناهية، ويلزم منه عطف الطلب على الطلب، وإن كان ناصبةً يكون "لا" نافية، ويكون ﴿تَطْغَوْاْ﴾ منصوبًا به، ويكون الأمر والنهي عطفًا على الخبر؛ لأنّه في معنى الطلب؛ لأنّ معنى "وضعَ الميزان لئلّا تَطْغَوا" في[3] معنى "لا تَطْغَوا في الميزان".

[٣٨٥ظ] قوله: (وقرأ عبد الله) قراءة / عبد الله تؤيّد[4] "أنِ" المفسِّرة، وأمّا وجه كون "أنْ" مفسِّرةً فإنّ[5] ﴿وَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ في معنى قوله لهم: ﴿لَا تَطْغَوْاْ﴾ ﴿وَأَقِيمُواْ﴾ ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ﴾.

قوله: (أمرَ بالتسوية)[6] ابتداء كلام مِن المصنّف، أي: أمرَ بالتسوية[7] بقوله:

---

[1] ن: وإن.

[2] ن: المفسّرة.

[3] ن – في معنى الطلب؛ لأنّ معنى "وضع الميزان لئلّا تَطْغَوا" في.

[4] ن: توليد.

[5] ف: فإن.

[6] ن: بالتوبة.

[7] ن: بالتوبة.

وعن الخسرانِ الذِي هو تَطْفيفٌ ونقصَانٌ، وكرَّر لَفظَ الميزانِ تشديدًا لِلتوصيةِ به، وتقويةً للأمر باستِعمالِه والحَثِّ عليه.

وقرِئ: "والسماءُ" بالرَّفعِ، "ولا تَخسروا" بفتح التاء وضمِّ السِّين وكسرِها وفتحِها، يُقال: خَسَرَ الميزانَ يَخسِره ويَخسُره، وأمَّا الفتحُ فَعلى أن الأصْل: ولا تخسَرُوا في الميزَانِ، فحُذِف الجارُّ وأُوصِل الفعْلُ.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠﴾

﴿وَضَعَهَا﴾: خَفَضَها مَدْحوَّةً على الماء ﴿لِلۡأَنَامِ﴾: لِلخَلْقِ، وهو كلُّ ما عَلى ظَهْرِ الأَرضِ من دابَّةٍ، وعن الحسن: الإِنسُ والجنُّ، فهي كالمِهَاد لهُم يتَصرَّفونَ فَوقَها.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١﴾

﴿فَٰكِهَةٞ﴾: ضُروبٌ ممَّا يُتفكَّه به، و﴿ٱلۡأَكۡمَامِ﴾: كُلُّ ما يَكُمُّ -أي: يُغَطِّي- من ليفةٍ وسَعَفةٍ وكُفَرَّاةٍ، وكُلُّه مُنتَفَعٌ به كما يُنتَفعُ بالمَكْمُوم من ثمره وجُمَّاره وجُذُوعه.

﴿أَقِيمُواْ﴾، ونهى عن الطغيان بقوله: ﴿لَا تَطۡغَوۡاْ﴾، ونهى عن الخسران[١] بقوله: ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ﴾.

قوله: (**"ولا تَخْسُروا" بفتح التاء**)[٢] خَسِر في البيع خُسْرًا وخُسرانًا، وخَسِرتُ الشيءَ، وأخسَرته: نقصتُه.[٣]

قوله: (**كالمِهاد**) المِهاد: الفِراش.

قوله: (**وسَعَفةٍ وكُفَرّاةٍ**)... إلخ السَّعَف: ورَقُ جريد النخل الذي يُسَفُّ منه الزَّبيل والمَراوح.[٤] سَفَفتُ الخُوصَ[٥] أسُفُّه سَفًّا؛ نَسَجْتُه.[٦] والزَّبيل: معروف،

---

١ ن: الخران.

٢ القراءات الثلاث شاذّة؛ "وَلَا تَخْسَرُوا" بفتح التاء والسين، مرويّة عن بلال بن أبي بردة. "وَلَا تَخْسُرُوا" بفتح التاء وضمّ السين، مرويّة عن زيد بن عليّ. "وَلَا تَخْسِرُوا" بفتح التاء وكسر السين، مرويّة عن زيد بن عليّ وابن عُمير. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٥٧.

٣ **الصحاح** للجوهري، «خسر».

٤ **المُغرب** للمطرّزي، «سعف».

٥ ن: الحوض.

٦ **الصحاح** للجوهري، «سفف».

وقيل: الأكمامُ: أوعيَةُ الثمر، الوَاحِدُ كِمٌّ بكسْرِ الكافِ.

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢﴾

﴿ٱلْعَصْفِ﴾: وَرَق الزَّرعِ، وقيل: التِّبْنُ ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: الرزق وهو اللُّبُّ، أرَاد فيها: ما يُتلذَّذُ بِه من الفواكه، والجامعُ بين التلذُّذِ والتَّغذِّي، وهُو ثمر النَّخلِ وما يُتغذَّى به، وهو الحَبُّ.

قرئ: ﴿والرَّيحانِ﴾ بالكسرِ، ومَعناه: والحبُّ ذو العصْفِ الَّذي هو عَلَفُ الأنعام، والريحانِ الَّذي هو مَطعمُ الناسِ.

وبالضمّ على: وذو الريحانِ، فحُذِف المضافُ وأُقيم المضافُ إليه مقامَه، وقيل: معناه: وفيها الريحانُ الذي يُشَمُّ.

فإذا كسرته شدَدتَ وقلتَ: زِبِّيل وزِنْبيل؛ لأنّه ليس في الكلام "فَعْليل" بالفتح.[١] والكُفَرّاة -بضمّ الكاف وفتح الفاء وتشديد الراء-: كِمُّ[٢] النَّخْل؛ لأنّه يَستُر ما في جوفه. والجُمّار: شَحْمة النَخْل.[٣] يعني: "دِلِ دِرَخْت[٤] خُرْمَا". وفي كلامه لفّ ونشر مُشوَّش؛ لأنّ اللِّيفَ للجُذوع، والسَّعَفة للجُمّار، والكُفَرّاة للتَمْر.

قوله: (وقيل: ﴿ٱلْأَكْمَامِ﴾[٥] أوعية الثَّمر،[٦] الواحد: كِمٌّ) أقول: فعلى هذا هو الكُفَرّاة. قال المُطرّزي في **المُغرِب**: «الطَّلْعُ: ما يَطْلُع مِن النخلة، وهو الكِمُّ قبل أن يَنشَقّ، وقد يقال لِما يَبدو[٧] مِن الكِمّ: طَلْعٌ أيضًا، وهو شيء أبيض يشبه بلونه الأسنانَ،[٨] وبرائحتِه المَنِيَّ. وقولهم: 'طَلْع الكُفَرَّى' إضافة بيان».[٩]

قوله: (أراد فيها) أي: في الأرض. وقوله: (ما يُتلذّذ به) وهو الفاكهة.

قوله: (وقيل: معناه: وفيها الرَّيحانُ) هذا معنًى في غاية الحُسْن، فكأنّه قيل:

---

١ **الصحاح** للجوهري، «زبل».
٢ ن: لم.
٣ ن - النَّخْل. | **الصحاح** للجوهري، «جمر».
٤ ن: دَرحت.
٥ ن: للأكمام.
٦ في بعض مطبوعات **الكشّاف**: أوعية التمر.
٧ ن: يبدوا.
٨ ن: الإنسان.
٩ **المُغرب** للمطرّزي، «طلع».

وفي مَصَاحِفِ أَهلِ الشَّام: ﴿والحبَّ ذاالعَصْفِ والرَّيحانَ﴾؛ أي: وَخَلَق الحبَّ والرَّيحانَ، أو: وأَخصُّ الحَبَّ والريحانَ، ويجوز أن يُراد: وذَا الرَّيحانِ، فيُحذف المضاف ويُقام المضافُ إليه مَقامَه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣﴾

الخِطابُ في ﴿رَبِّكُمَا﴾ للثَّقَلينِ بدلَالةِ "الأنامِ" عَليهما وقولِه: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦﴾

"الصَّلصَالُ": الطِّينُ اليَابسُ له صَلصَلَةٌ.

و"الفَخَّارُ": الطِّينُ المطبُوخ بالنَّار، وهو الخَزفُ.

فإن قلتَ: قد اختَلفَ التنزيلُ في هذا، وذلك قولُه جلَّ ذكرُه: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر ٢٦/١٥] ﴿مِن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات ١١/٣٧] ﴿مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران ٥٩/٣]؟

قلتُ: هو متفِقٌ في المَعنى، ومُفيدٌ أنه خلقَه من ترابٍ: جعَله طينًا، ثُمَّ حمأً مسنونًا، ثمَّ صَلصَالًا.

فيها ما يُتلذَّذ[1] به، وهو الفاكهة، وفيها[2] ما يكون غذاء لهم ولِدَوابّهم،[3] وفيها ما هو غذاء[4] وفاكهة، وفيها[5] ما يُنتفَع برائحته، فعلى هذا لو كان معنى المجرور أيضًا كذلك بأن يكون جَرُّه بالجِوار[6] لكان حسَنًا.

قوله: (**و"الفَخّار": الطين المَطبوخ**)؛

لا تَفْتخِرْ بِغِنًى[7] أُمْطيتَ[8] كاهِلَه   فإنَّ أصلَك[9] يا فخَّارُ فَخَّارُ[10]

---

١ ف: يَتلذد.
٢ ف: وفها.
٣ ن: ولدابهم.
٤ ن: عذا.
٥ ف: وفها.
٦ ن: بالجواب.
٧ ن: يعنى.
٨ ن: مطيب.
٩ ن: أصله.
١٠ لأبي الفتح البستي في يتيمة الدهر للثعالبي، ٣٨٢/٤.

و"الجانُّ": أبو الجنِّ، وقيل: هو إبليسُ.

و"المَارِجُ": اللَّهَبُ الصَّافي الذي لا دُخانَ فيه، وقيل: المختلِطُ بسوَاد النارِ، من مَرِجَ الشَّيءُ: إذا اضطَربَ واختلَط.

فإن قلتَ: فما معَنى قوله: ﴿مِن نَّارٍ﴾؟

قلتُ: هو بيَانٌ لـ﴿مَارِجٍ﴾، كأنّه قيل: من صَافٍ من نارٍ، أو مُختلِطٍ مِن نارٍ، أو أرَادَ: مِن نارٍ مخصُوصةٍ؛ كقَوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل ٩٢/١٤].

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾

قرئ: "ربِّ المَشْرِقَينِ وربِّ المَغْرِبَينِ" بالجرِّ بدَلًا من ﴿رَبِّكُمَا﴾ وأرَادَ: مشرقَي الصَّيفِ والشتاءِ ومَغرِبَيهما.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: أرسَلَ البَحرَ المِلْحَ وَالبَحرَ العَذْبَ مُتجاورَيْنِ مُتلاقِيَين، لا فصلَ بين الماءينِ في مَرأى العَيْن.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: حاجزٌ من قُدرة الله ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: لا يتجاوَزانِ حَدَّيْهما، ولا يَبغي أحَدُهما على الآخَرِ بالمُمازجَة.

قوله: **(وأراد مَشرقَي[١] الصيف والشتاء)** وخُصّ مَشرقَي[٢] الصيف والشتاء[٣] بالذكر -وهما رَأْسُ السرطان، ورأس الجَدْي- لأنّهما غاية ارتفاع الشمس وانخفاضها.

قوله: **(أرسَل البحرَ المِلْحَ)** يقال: ماء مِلح،[٤] وهو ضِدّ العذب، وأمّا المالح فليس بفصيح.[٥]

---

١ ف: مَشرقِي.

٢ ف: مَشرقِي.

٣ ن - وخُصّ مَشرقَي الصيف والشتاء.

٤ ن: مالح.

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ملح».

﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾

قرئَ: ﴿يُخرَج﴾ و: ﴿يَخرُجُ﴾ من أُخْرِجَ وخَرَج.

و: "يُخرِجُ"؛ أي: اللهُ عزَّ وجلَّ "اللؤلؤَ والمرجانَ" بالنَّصب، و: "نُخرِجُ" بالنونِ.

و﴿ٱللُّؤۡلُؤُ﴾: الدُّرُّ ﴿وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾: هذا الخرزُ الأحمرُ، وهو البُسَّذ.

وقيل: ﴿ٱللُّؤۡلُؤُ﴾: كِبارُ الدُّرِّ، ﴿وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾: صِغارُه.

فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿مِنۡهُمَا﴾ وإنما يخرُجَانِ من المِلْحِ؟

قلتُ: لمَّا التَقيَا وصَارَا كالشيء الواحدِ جَازَ أن يُقالَ: يَخرجانِ منهما؛ كما يقال: يخرجان من البحرِ، ولا يخرُجان من جميع البَحر ولكنْ مِن بَعضِه، وتقُول: "خرَجْتُ من البلدِ"، وإنما خرجتَ من محلَّةٍ من محَالِّه، بل مِن دارٍ وَاحدةٍ من دُورِه.

وقيل: لا يَخرُجان إلا مِن مُلتَقَى المِلْح والعَذْبِ.

﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

"الجواري": السُّفنُ، وقرئَ: "الجوارُ" بحذف الياء ورَفْعِ الراء، ونحوُه:

لها ثنَايَا أربعٌ حِسَانُ   وأربعٌ فكلُّها ثمانُ

و﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾: المَرفوعَاتُ الشُّرُعِ، وقرئ بكسر الشين، وهي الرَّافِعاتُ الشُّرُعِ، أو اللَّاتي يُنشِئنَ الأَمواجَ بِجَرْيِهِنَّ، والأَعلامُ: جمعُ علَم، وهو الجَبلُ الطَّويلُ.

قوله: (وإنَّما[1] يَخرُجان) أي: اللؤلؤ والمَرْجان. وقوله:[2] **(لمَّا التقيَا)** أي: العَذْب والمِلح. وقوله: **(ولا يَخرُجان مِن جميع)** حال مِن قوله: **"يَخرُجان"**، أي: كما يقال هذا الكلام في ذلك الحال.[3] وقوله: **(وإنّما خرجَت)** حال.

قوله: **(الشُّرُعِ)** جمع شِراع السفينة.[4]

---

[1] ف: وإنّهما.

[2] ف: قوله.

[3] ن – مِن قوله: "يَخرُجان"، أي: كما يقال هذا الكلام في ذلك الحال.

[4] وفي هامش د ف: قوله: (أين وَجهٌ عَربي؟) وفي بعض النُّسخ: "أيّ وجهٍ عربيّ كريم؟".

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٨﴾

﴿عَلَيْهَا﴾: على الأرض.

﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾: ذاتُه، والوَجهُ يُعبَّر به عن الجملةِ والذَّاتِ، ومسَاكينُ مكَّةَ يَقُولُون: أينَ وَجْهُ عَربيّ كريمٍ يُنقِذُني مِن الهوَانِ.

و﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ صِفةُ الوَجْهِ، وقَرأ عبدُ اللهِ: "ذي" على صِفةِ ﴿رَبِّكَ﴾، ومَعناهُ: الَّذي يُجِلُّه المُوحِّدُونَ عن التشبيهِ بخَلْقهِ وعن أفعَالهم، أو: الَّذي يُقالُ له: ما أجَلَّك وأكرمَك! أو: مَنْ عِندَه الجَلالُ والإكرَامُ للمُخلِصين مِن عِباده.

وهذه الصِّفة من عظيم صفاتِ اللهِ، ولقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ألِظُّوا بيَا ذا الجَلالِ والإكرام».

وعنه عَلَيْه السَّلام: أنَّه مرَّ برَجُلٍ وهو يُصلِّي وَيقول: يا ذَا الجلال والإكرام،

قوله: (مِن الهَوان) الهَوان:[١] اسمٌ مِن قولهم: أهانه، أي: استخفَّ به.

[٣٨٦و] قوله: (أو عن أفعالهم) أي: يُجِلُّونَه / عن أفعالهم بأن يقولوا أو يَعتقِدوا[٢] أنّ أفعالهم ليستْ بخَلْقِه[٣] تعالى. وهذا الذي ذكره مبنيّ على مذهبه. وأمّا أهل السُّنّة فيقولون جميع[٤] الأشياء بِخَلْقه تعالى، فيُجِلُّونَه عن أنْ يُشبِهَه أحدٌ في أن يَخلُق شيئًا؛ بل الخالقُ هو وحدَه.

قوله: (للمخلِصين) اللام في "للمُخلِصين"[٥] ممّا تنازع[٦] فيه عاملان، أي: يُجِلُّ[٧] المُخلِصين ويُكرِمُهم.

قوله: («ألِظُّوا»)[٨] ألَظَّ فلان بفلان؛ إذا لَزِمَه،[٩] وقيل: الإلظاظ: الإلحاح.[١٠]

---

١ ن - الهوان.
٢ ن: مبتدأ.
٣ ن: بخلقة الله.
٤ ن: جمع.
٥ ن: المخلصين.
٦ ن: ينازع.
٧ ن: يجعل.
٨ وفي هامش د ف: أي: ألِحُّوا. | مسند أحمد، ١٣٨/٢٩ (١٧٥٩٦)؛ سنن الترمذي، ٤٢٥/٥ (٣٥٢٤).
٩ ن - إذا لَزِمه.
١٠ الصحاح للجوهري، «لظظ».

فقال: «قد استُجيبَ لك».

فإن قلتَ: ما النِّعمةُ في ذلك؟

قلتُ: أعظمُ النعمةِ، وهو مجيءُ وقتِ الجزاء عقيبَ ذلك.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

كلٌّ مِن أَهْلِ السَّماوات والأرض مُفتَقِرُونَ إليه، فيَسألُه أَهْلُ السمَاواتِ ما يتعَلَّقُ بدينهم، وأهلُ الأرضِ ما يتعلَّقُ بدينهم ودُنيَاهُم.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾؛ أي: كُلَّ وقتٍ وحينٍ يُحدِثُ أمُورًا، ويُجدِّدُ أحْوالًا؛ كمَا رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه تلاهَا فقِيل له: وما ذلك الشأنُ؟ فقال: «مِن شأنِهِ أن يَغفِرَ ذَنبًا ويُفرِّجَ كَرْبًا، ويَرْفَع قومًا وَيضعَ آخَرِينَ».

وعن ابنِ عُيَينةَ: الدَّهرُ عند الله تعالى يَومانِ؛ أحدُهما: اليومُ الذي هو مُدةُ الدنيا، فشأنُهُ فيه الأَمْرُ والنَّهي، والإمَاتةُ والإحياء، والإعطاءُ والمنعُ، والآخرُ: يَومُ القيامة، فشَأنُه فيه الجزاءُ والحسَابُ.

وقيل: نَزلتْ في اليَهُودِ حين قالُوا: إن الله لا يَقضِي يَومَ السَّبتِ شيئًا.

وسأَلَ بعضُ المُلوك وَزيرَه عَنها، فاستمهَلهُ إلى الغَدِ، وذَهَبَ كئيبًا يُفكِّر فيها، فقال غلامٌ له أَسودُ: يا مَولايَ، أَخبِرْني ما أَصابك لعل الله يُسهِّل لكَ على يَديَّ، فأَخبَره، فقال: أنا أُفسِّرها لِلمَلِك فأَعْلِمْهُ، فقال: أَيُّها المَلك، شأنُ الله أنه يُولجُ اللَّيل في النهارِ، ويُولجُ النَّهار في اللَّيل، ويُخرِجُ الحيَّ من الميِّتِ،

قوله: **(فإن قلتَ: ما النعمة في ذلك؟)** أي: في الفناء.

قوله: **(عنها)** أي: عن الآية.

قوله: **(فأَعْلَمَه)**[١] أي: فأعْلَم الوزير المَلِكَ أنّ غُلامَه[٢] قال كذا، ثمّ أتاه[٣] به.

---

١ وفي هامش د ف: فَأَعْلِمْهُ.

٢ ن: علامة.

٣ ن: أثاه.

ويُخرجُ الميّتَ من الحيّ، ويَشفي سقيمًا، ويُسقِمُ سَليمًا، وَيبتلِي مُعَافًى، ويُعافي مُبتلًى، ويُعِزُّ ذليلًا، ويُذلُّ عَزيزًا، ويُفقِر غنيًّا، ويُغني فقيرًا، فقال الأمير: أَحسَنتَ، وأَمَرَ الوَزيرَ أن يخلَع عَليه ثِياب الوِزارةِ، فقال: يا مَولايَ، هذا من شأنِ الله.

وعن عبد الله بن طاهرٍ: أنه دعَا الحُسينَ بنَ الفَضلِ وقال له: أشكَلَتْ عليَّ ثلاثُ آياتٍ دَعَوتُك لتكشِفَها لي: قولُه تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ [المائدة ٣١/٥] وقد صح أن الندم توبةٌ، وقولُه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ وَصحَّ أن القَلم جَفَّ مما هو كائنٌ إلى يَومِ القيامة، وقولُه تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم ٣٩/٥٣] فما بالُ الأَضعَافِ؟ فقال الحُسَين: يجوز أن لا يكون الندمُ توبةً في تِلك الأُمَّة، وَيكونَ توبةً في هذه الأمةِ؛ لأن الله خصَّ هذه الأمةَ بخصَائص لم يُشارِكهم فيها الأُمم، وقيل: إن نَدمَ قابيلَ لم يكُن على قَتل هَابيل، ولكنْ على حَملِه، وأما قَولُه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ فمَعناه: ليس له إلَّا ما سعى عَدْلًا، وَلي أن أَجزيَهُ بواحدةٍ ألفًا فَضْلًا، وأمَّا قولُه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ فإنها شُؤونٌ يُبدِيهَا لا شؤونٌ يَبتَدِئُهَا، فقام عبدُ الله وقَبَّل رأسهُ وسَوَّغ خراجَه.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مُستعارٌ من قَول الرجُلِ لِمَن يتَهَدَّدُه: "سَأفرُغُ لك"؛ يُريد:

قوله: (هذا مِن شأن الله تعالى)[١] أي: أنْ كنتُ مملوكًا فجعلني وزيرًا في هذه الساعة مِن شأن الله تعالى.[٢]

قوله: (يُبْدِيها) أي: يُظهرُها، والإبداء:[٣] الإظهار.

قوله: (وسوَّغ) يقال: ساغَ له ما فعل، أي: جاز له ذلك، وسوَّغتُه له، أي: جوَّزتُه.[٤]

قوله: (مستعار)...[٥] إلخ لا يمكن إطلاق[٦] الفراغ في صفة الله بالحقيقة؛

---

١ ف – تعالى.

٢ ف – تعالى؛ ن – (تعالى) أي: أن كنتُ مملوكًا فجَعلني وزيرًا في هذه الساعة مِن شأن الله تعالى.

٣ ن: والإبد.

٤ الصحاح للجوهري، «سوغ».

٥ ن: بمستعار.

٦ ن: إطلاقه.

سأتجرَّدُ للإيقاع بك مِن كُلِّ ما يَشْغَلُني عنه حتَّى لا يكون لي شُغلٌ سواه، والمرادُ: التَّوَفُّرُ عَلى النِّكايةِ فيه والانتقامِ منه.

ويجوز أن يُرادَ: سَتَنتَهِي الدُّنيا وتَبلغُ آخِرَها، وتنتهِي عند ذلك شُؤُونُ الخَلق التي أرادَهَا بقوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ فلا يَبقَى إلَّا شأنٌ واحِدٌ وهو جزاؤكُم، فجعَل ذلك فَراغًا لهم على طريق المثَلِ.

وقرئ: ﴿سَيَفۡرُغُ لكُم﴾، أي: اللهُ تعالى.

و: "سأَفْرُغُ لكم"، و: "سَنِفْرَغُ" بالنُّون مفتوحًا ومكسُورًا وفَتح الرَّاء، و: "سَيُفْرَغُ" بالياء مفتوحًا ومضمومًا مع فتح الراء.

وفي قراءةِ أُبيّ: "سَنَفْرُغُ إليكم" بمعنى: سنَقْصِدُ إليكم.

و﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾: الإنس والجن، سُمِّيا بذلك لأنَّهما ثَقَلَا الأرضِ.

لأنَّ الفراغ هو الخلوص عن المَهامّ، وذلك إنّما يكون في حقّ مَن يَشغلُه شأن عن شأن، والله تعالى لا يَشغَلُه شأن عن شأن، فلذلك حمل على الاستعارة.[1]

قوله: **(والمراد: التوفّر)** يعني: شبّه التوفّر على النِّكاية[2] في المُتهدّد بالتجرّد مِن كل شغل، فذُكرَ التجرّد، وأُريدَ التوفّر، ثمّ[3] قيل بطريق الاستعارة التبعيّة: ﴿سَنَفۡرُغُ﴾، أي: سأتَوفَّرُ على النِّكاية لكم.

قوله: **(ويجوز أن يُراد)** وعلى هذا شُبّه انتهاء شئُون الخَلْق وبقاءُ شأن واحد وهو الجَزاء بالفَراغ، ثمّ ذُكر الفَراغ وأُريدَ ذلك الانتهاء،[4] ثمّ قيل: ﴿سَنَفۡرُغُ﴾ بطريق الاستعارة التبعيّة.

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (مستعار)... إلخ الظاهر أنّه على الوجه **الأوّل** استعارة لغويّة مِن قَبِيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم، وعلى **الثاني** استعارة تمثيليّة؛ شبّه حال الله تعالى بحال ذلك الشخص في ترتّب جزائه على انتهاء فِعله، والفرق أنّ عدم الاشتغال هناك لِمانع، وهنا لا لِمانع؛ بل لِحكمة اقتضته، وفي المفتاح ذكر وجهًا آخر؛ وهو أنّه استعارة تبعيّة. | انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي. ٣٨٩/١.

[2] ن: الكناية.

[3] ن - ثمّ.

[4] ف ن: الانتها.

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٤﴾

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ كالترجمَةِ لقَوله: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾.

﴿إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ﴾؛ أي: إن استطعتُم أن تَهْرُبوا من قضائي وتخرجوا من ملكُوتي ومن سمائي وأرضي، فافعَلُوا.

ثم قال: ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾؛ أي: لا تَقدِرُون على النفُوذ ﴿إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ يَعني: بقوَّةٍ وقَهرٍ وغَلَبةٍ، وأنَّى لَكُم ذلك، ونحوهُ: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت ٢٩/٢٢].

ورُوي: أنَّ الملائكةَ تَنزِل فتُحِيطُ بجَميعِ الخلائقِ، فإذا رَآهم الجنُّ والإنسُ هَرَبُوا فلا يَأتُونَ وَجهًا إلَّا وَجدُوا الملائكةَ أَحَاطَت به.

﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ٣٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٦﴾

﴿شُوَاظٞ﴾ ﴿وَنُحَاسٞ﴾ كلاهما بالضمِّ والكسر، والشُّواظ: اللَّهَبُ الخالصُ، والنحاسُ: الدُّخان، وأُنْشِدَ:

يُضيءُ كضَوءِ سِراجِ السَّليـ طِ لم يَجعَلِ اللهُ فيه نُحاسا

وقيل: الصُّفْرُ المُذابُ يُصَبُّ على رُؤوسِهم.

وعن ابن عباس: إذا خَرجُوا من قبُورهم سَاقهم شُواظٌ إلى المحشرِ.

قوله:

(تُضيء كضوء سِراج السَّليط لم يجعلِ الله فيه نُحاسًا)[١]

"تُضيءُ"، أي: المرأة. و"السليط": الزَّيت، والسِّراج الذي يُوقَد منه أضْوءُ، قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ﴾ [النور ٢٤/٣٥].

---

١ للنابغة الجَعدي في ديوانه، ص ١٠٠.

وقرئ: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ مَرْفُوعًا عطفًا على ﴿شُوَاظٌ﴾، ومجرورًا عطفًا على ﴿نَارٍ﴾.

وقرئ: "ونُحُسٍ" جمع نُحاسٍ، وهو الدخان، نحو: لِحافٍ وَلُحُفٍ.

وقرئ: "ونَحُسُّ"؛ أَي: ونَقتُلُ بِالعذابِ.

وقرئ: "نُرْسِلُ عليكما شواظًا من نارٍ ونحاسًا".

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾: فلا تمتنِعانِ.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ٣٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٨﴾

﴿وَرۡدَةٗ﴾ حَمْراءَ ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾: كدُهْنِ الزَّيتِ؛ كما قال: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ [الكهف ٢٩/١٨] وهو دُرْدِيُّ الزَّيتِ، وهو جمعُ دُهْنٍ، أَو اسْمُ ما يُدْهَنُ به كالخِزام والإِدام، قال:

كأنهما مَزَادَتا مُتَعَجِّلٍ فَرِيَّانِ لمَّا تُدهَنا بِدِهَانِ

وقيل: "الدِّهانُ": الأديمُ الأَحمرُ.

قوله: (كالحِزام)[١] حِزامُ الدابّة معروف، تقول منه: حَزَمْتُ[٢] الدابّة، ومنه: حِزام[٣] الصبيّ في مَهدِه.[٤]

قوله:

(كأنّهما مَزادتا مُتَعَجِّلٍ فَرِيّان[٥] لمّا تُدهَنا بدِهانِ)[٦]

فَرَيْتُ المَزادةَ: خَلقتُها وصَنعتُها. أي: كأنّ عينيه فَرِيّان[٧] جديدان، يَصِفهما[٨] بجَرَيان الدموع. وشبّه عينَيه مِن كثرة البكاء بِمَزادتين غير مدهونتَين خَرَزَهما مُتَعجِّلٌ فما أحكَمَ خَرْزَهما.[٩]

---

١ في مطبوع الكشّاف: "كالخزام".
٢ ن: جزمت.
٣ ن: جزام.
٤ الصحاح للجوهري، «حزم».
٥ وفي هامش د: مَزادَتان.
٦ لامرئ القيس في ديوانه، ص ٨٨، بلفظ: "لمّا تُسلَقا بدهانِ".
٧ وفي هامش ف: مَزادَتان.
٨ ن: نصفها.
٩ ن: حرزها.

وقرأ عُبيد بنُ عُمَير: "وردةٌ" بالرفع بمعنى: فحَصَلَتْ سَمَاءٌ وَرْدَةٌ، وهو من الكلام الذي يسمَّى: التجريد، كقوله:

فَلئِن بَقيتُ لأرحَلَنَّ بغَزوةٍ نحوَ الغَنائم أَو يمُوتَ كَريمُ

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٠﴾

﴿إِنسٌ﴾: بعضٌ من الإنس ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾ أُريدَ: وَلا جِنٌّ؛ أَي: ولا بَعضٌ من الجنِّ، فوضعَ الجَانَّ الذي هو أبو الجِنِّ مَوضعَ الجنِّ، كما يقال: "هاشِمٌ" ويُرادُ وَلَدُه، وإنما وُحِّدَ ضميرُ الإِنس في قَوله: ﴿عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ لكَونه في معنى البَعض، والمعْنَى: لا يُسْأَلُونَ لِأَنَّهم يُعرَفُون بسيمَا المُجرِمِينَ، وهي سَوادُ الوُجوهِ وزُرْقةُ العُيُون.

قوله: (بمعنى: فحصلَتْ) يريد: أنّ "كان" تامّة.

قوله:

(فلئن بَقيتُ)... البيتَ[1]

"اللام" في "لئن" موطِّئة للقَسم، و"لأرحَلَنَّ"[2] جوابه. وقوله: "نحو الغنائم"[3] ظرف، ويُروى: "تَحْوي الغنائمَ". وقوله: "أو يموتَ" "أو" بمعنى "إلّا أنْ"، و"يموتَ" ينتصب بـ"أنْ" مُضمرة، كأنّه / قال: إلّا أن يموتَ كريم،[4] [٣٨٦ظ] ويعني بالكريم نفسَه. كان ينبغي أن يقول: "أو[5] أموتَ كريمًا" حتّى يكون له ذِكر، إلّا أنّا عَلِمْنا بفحوى[6] الكلام أنّه لا يريد كريمًا غيره.

قوله تعالى: ﴿عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ قيل: إضمارٌ عن غيرِ مذكور، و"الذنب" يدلّ عليه، أي: لا يُسأل عن ذنب المُذنِب إنسٌ ولا جانّ، أي: لا يؤاخَذ أحدٌ بذَنْب غيره. وعلى ما ذكر في الكتاب عائد إلى "الإنْس"؛ لأنّه متقدِّم معنًى.

---

[1] لقتادة بن مسلمة الحنفي. انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٢/٧٧٠.
[2] ن: ولأرحلنن.
[3] ن + ثمّ.
[4] ن – كريم.
[5] ن – أو.
[6] ن: بنحوي.

فإن قلتَ: هذا خِلافُ قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر ٩٢/١٥] وقَولِه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات ٢٤/٣٧]؟

قلتُ: ذاك يَومٌ طويلٌ وفيه مَواطِن، فيُسألُون في مَوطنٍ ولا يُسألُونَ في آخرَ، قال قتادةُ: قد كانت مَسألةٌ ثُمَّ خُتِم على أفْواهِ القَوْم وتكَلَّمت أَيدِيهم وأَرْجُلُهم بما كانوا يَعْملُون.

وقيل: لا يُسْأل عن ذَنبِهِ ليُعْلَمَ مِن جهَته، ولكنْ يُسْألُ سُؤالَ تَوبيخٍ.

وقرأ الحسنُ وعَمرُو بن عُبَيدٍ: "ولا جأنٌّ" فِرارًا من التِقاء السَّاكِنَين وإن كان على حَدِّه.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ عن الضحاك: يُجمعُ بين ناصِيتهِ وقدَمهِ في سلْسلةٍ منْ وَراءِ ظهره، وقيل: تَسحَبهُم الملائكةُ؛ تارَةً تأخذُ بالنواصي وتارَةً تأخذ بالأقدام.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾: ماءٍ حارٍّ قد انتهَى حَرُّه ونُضجُهُ؛ أَي: يُعاقَبُ عليهم بين التَّصْليَة بالنارِ وبين شُرب الحميمِ، وقيل: إذا استغَاثوا من النارِ جُعِل غِيَاثُهُم الحميمُ.

وقيل: إنَّ وَادِيًا من أَودِيةِ جهنَّم يَجتمِعُ فيه صَدِيدُ أَهْلِ النارِ، فيُنطَلَقُ بهم في الأَغلالِ فيُغمسُونَ فيهِ حتى تَنخَلِعَ أَوْصَالهُم، ثمَّ يُخرجُونَ مِنها وقد أَحدَثَ اللهُ لهم خَلقًا جَدِيدًا [فيُلقَون في النار].

وقرئ: ﴿يَطُوفُونَ﴾ من التَّطْويفِ، و: "يَطَّوَّفُونَ"؛ أي: يَتَطَوَّفُونَ، و: "يُطَافُون".

وفي قراءة عبْد الله: "هذه جهنَّمُ التي كُنْتُما بها تكذِّبان، تَصْلَيَانِ لا تموتان فيها

ولا تَحْيَيَان، تَطُوفون بينها".

ونعمةُ اللهِ فيما ذَكَرَه من هَوْل العذاب: نجَاةُ النَّاجِي مِنه بِرحمتهِ وفضلهِ وما في الإنذار بهِ من اللُّطف.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾

﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: مَوقِفَهُ الَّذي يقفُ فيه العِبادُ للحِساب يومَ القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين ٦/٨٣] ونحوهُ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ [إبراهيم ١٤/١٤].

ويجوز أن يُراد بـ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: أَنَّ الله قائمٌ علَيه؛ أَي: حافِظٌ مهَيمنٌ، من قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد ٣٣/١٣] فهو يُراقِبُ ذلك فلا يَجسُرُ على مَعْصِيةٍ.

وقيل: هو مُقحَمٌ؛ كما تقول: "أَخافُ جانبَ فلانٍ" و: "فعلت هذا لِمكانك"، وأُنشِد:

قوله: ("يَطُوفُونَ بَينَهَا")[١] إلى هنا قراءة عبد الله.[٢]

قوله: (فهو يُراقِبُ)[٣] الضمير عائد إلى "مَن خاف"، أي: ذلك الشخص الذي يعلم أنّ الله تعالى[٤] قائم عليه حافظ ويخاف ذلك يُراقِب ذلك المعنى فلا يَجْترِئ على معصية. وعلى هذا يكون ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ بمعنى: قيامَ ربّه، يعني: يكون مصدرًا، وعلى الأوّل كان اسمَ مكان. وقوله: "فهو يُراقِب" فيه حذف، أي: يجوز أن يُراد بـ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: قيامُ الله تعالى وحِفْظه، فالمعنى: هو يخاف ذلك القيام، فيُراقبه ويجتنب[٥] المعصية. أو نقول: قوله: "يُراقِب" هو تفسير "يخاف"؛ لأنّ الخَوف يستلزم[٦] المراقبة. وقوله: (مُقحَم) أي: زائد.

قوله:

---

١ ن: بينهما.
٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه وطلحة. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٦٠.
٣ ن: تراقب.
٤ ف ن - تعالى.
٥ ف: ويجتب.
٦ ن: مستلزم.

ذَعَـــرتُ بـه القَـطـا ونَـفـيـتُ عنه   مَـقـامَ الـذِّئـب كـالـرَّجُـل الـلَّعـيـن

يُريد: ونفيتُ عنه الذِّئبَ.

فإن قلتَ: لِم قال: ﴿جَنَّتَانِ﴾؟

قلتُ: الخطابُ للثَّقلَيْنِ؛ فكأنه قيل: لِكلِّ خَائِفَيْن منكما جَنَّتانِ: جنَّةٌ للخائف الإنسيِّ وجنةٌ للخَائف الجنِّي، ويجوز أن يقال: جَنَّةٌ لفعلِ الطاعاتِ وَجَنَّة لِتَرك المعَاصي؛ لأن التكليف دائرٌ علَيهما، وأَن يُقالَ: جَنَّةٌ يُثَابُ بهَا وأُخرى تُضمُّ إلَيها على وَجْه التفضُّلِ؛ ....

...(ونَفَيْتُ عنه مَقامَ الذئب[1] كالرجل اللعينِ)

أوّله:

ومــــاءٍ قـــد وَرَدْتُ لوصـــل أروى   عـليـه الـطـيـر كـالـوَرَق الـلَّـجـيـنِ
ذَعَـــرْتُ بـه القَـطـا ونَـفَـيـتُ عنه   مـقـامَ الـذئـب[2] كـالـرجـل الـلـعـيـنِ[3]

"اللَّجينُ": الخَبَطُ، وهو ما سقط مِن الورَق. وأروَى اسم حبيبةِ الشاعر. قوله: "نَفَيْتُ"، أي: طَرَدْتُ وأبعَدْتُ عن ذلك الماء. وخَصّ القَطا والذئبَ بالذكر لأنّ القَطا أهدى الطَّير، وأنّ[4] الذئب أهدى السِّباع، وهما السابقان إلى المياه.[5] قوله: "كالرجل اللعينِ" قال في **الصحاح**: «"الرجل اللعين" شيء يُنصَب وسط الزَّرْع يُسْتَطرَدُ[6] به[7] الوحوش».[8] ومعنى البيت: رُبَّ ماءٍ قد وردتُه لِأَرى مَحبوبتي[9] أروى، وقد جاءت إليه لِغَسل[10] رأسها، ورخْضِ ثيابها.

قوله: **(فكأنّه قيل: لكلّ[11] خائفَين)** لأنّ مَن خاف مِن الجِنّ والإنس، يكون خائفَين؛ أحدهما مِن الإنس، والآخر مِن الجِنّ.

---

[1] ف: الذنب.
[2] ن: الذنب.
[3] للشمّاخ بن ضرار في **ديوانه**، ص ٣٢١.
[4] ن + كان.
[5] ف: المِياء؛ ن: الماء. | وفي هامش د: المِياء.
[6] وفي هامش د: مِن الطَّرد.
[7] ن – به.
[8] **الصحاح** للجوهري، «لعن».
[9] ن: محبوبني.
[10] ن: يغسل.
[11] ن: لكان.

لقوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس ١٠/٢٦].

﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ۝٤٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩﴾

خصَّ الأفنانَ بالذِّكرِ -وهي الغِصَنَةُ الَّتي تَتشعَّبُ من فرُوعِ الشجرةِ- لأنها هي الَّتي تُورِقُ وتُثمِرُ، فمنها تَمتدُّ الظِّلالُ ومنها تُجتنَى الثِّمارُ.

وقيل: الأَفنان: أَلْوانُ النِّعمِ؛ ما تَشتَهي الأَنفسُ وتَلَذُّ الأَعيُنُ، قالَ:

ومِـن كـلِّ أفنـانِ الـلَّـذاذةِ والصِّبَا لَـهوتُ بـهِ والعَـيشُ أَخضـرُ نـاضِرُ

﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ۝٥٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١﴾

﴿عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ﴾ حَيثُ شاؤوا في الأَعالِي والأَسافِلِ.

وقيل: تجريَان من جبَلٍ مِن مِسْك.

وعن الحسن: تَجريان بالماء الزُّلالِ: إحدَاهُما التَّسنيمُ والأُخرى: السَّلسَبيلُ.

قوله: (كقوله[١] تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾) ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس ١٠/٢٦].

قوله: (الغِصَنةُ) الغُصْن: غُصْن الشجر،[٢] والجمع: الأغصان والغُصون والغِصَنة، مثل: قُرْط[٣] وقِرَطة.[٤]

قوله: (وقيل: الأفنان: ألوان النِّعَم) أي: يكون جمعَ الفَنّ بمعنى النوع، لا جمع[٥] الفَنَن بمعنى الغُصْن.

قوله: (ما تَشْتهي) بيان قوله: "ألوانُ النِّعَم".

قوله:

(ومِـــن كُـــلِّ أفـــنـــانِ)... الـبـيـتَ[٦]

---

١ ف ن: لقوله.

٢ ن: السجود.

٣ ن: فرط.

٤ ن: وفرطة. | **الصحاح** للجوهري، «غصن».

٥ ن: يجمع.

٦ بغير نسبة كذلك في **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٥٢/١٠ (الرحمن، ٤٨/٥٥)؛ و**الدرُّ المصون** للسمين الحلبي، ١٧٩/١٠ (الرحمن، ٤٨/٥٥).

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ٥٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٣﴾

﴿زَوۡجَانِ﴾: صِنفانِ: قيل: صِنْفٌ مَعرُوفٌ وصِنف غريبٌ.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۢ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٥﴾

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصْبٌ على المَدْح لِلخائفين، أو حالٌ مِنهُم لأنَّ مَن خَاف في مَعْنى الجَمْع.

﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾: مِن دِيباجٍ ثخِينٍ، وإذا كانت البَطائنُ مِن الإستبرق فَما ظنُّك بالظَّهَائرِ؟ وقيل: ظهائرُها مِن سُندُسٍ، وقيل: من نُورٍ.

﴿دَانٖ﴾: قريبٌ ينَالُه القائمُ والقاعِدُ والنائم، وقرئ: "وجِنَى" بكسر الجيم.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩﴾

﴿فِيهِنَّ﴾: في هذهِ الآلاء المعْدُودةِ من الجَنَّتينِ والعَيْنَيْن والفاكهةِ والفُرشِ والجَنى.

أو: في الجنَّتين لاشتمالِهما على أَماكِنَ وقصُورٍ ومجالِسَ.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾: نساءٌ قَصَرْنَ أبصارَهنَّ على أَزواجهنَّ لا يَنظُرْن إلى غَيرِهم

قول الشاعر: "لَهوتُ" مِن اللَّهو، وهو ما يَشْغَلُك مِن طَرَبٍ ولَهوٍ، يقال: لَها يَلْهو[١] لَهْوًا. قوله: "أخضرُ" كلُّ شيء غَضٍّ طَرِيِّ فهو أخضر، تشبيهًا بالنبات الطريّ. وناضِر، أي: غضّ. والواو[٢] في "والعيشُ" للحال.

قوله: **(وقيل: ظَهايرُها)** عطفٌ على قوله: **(وإذا كان)**... إلخ، فكأنّه قال: لا يعلم ظَهايرَها أحد، ثمّ قال: قيل: هو مِن سُنْدُسٍ.

/ قوله: **(أو في الجَنَّتين)** عطفٌ على قوله: **(في هذه)**،[٣] ذكَر أوّلًا أنّ الضمير [٣٨٦و]

---

١ ن: يلهوا.

٢ ن: الواو.

٣ ن: مده.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾؛ أي: لم يَطْمِثِ الإنسيَّاتِ منهنَّ أَحدٌ من الإنس ولا الجِنِّياتِ أحدٌ من الجِنِّ، وهذا دليل على أن الجِنَّ يَطمِثون كما يَطْمث الإنسُ.

وقرئ: ﴿لم يَطْمُثْهُنَّ﴾ بضمِّ الميم.

قيل: هُنَّ في صَفاء اليَاقُوتِ وبَياضِ المرْجانِ، وصغارُ الدُّرِ أَنصَعُ بَياضًا.

وقيل: إنَّ الحوراءَ تلبَسُ سَبعِينَ حُلَّةً، فيُرَى مُخُّ سَاقِها مِن ورائها كما يُرى الشرابُ الأحمر في الزُّجاجَة البَيضاء.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١﴾

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العَمل ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ في الثَّواب.

وعن محمد ابن الحَنفيَّة: هي مُسْجَلَةٌ لِلبَرِّ والفَاجرِ. أي: مُرسَلة؛ يَعني: أنَّ كلَّ مَن أَحسَن أُحسِنَ إليه، وكلَّ مَن أَساءَ أُسيءَ إليه.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣ مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥﴾

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ ومن دُون تَينِكَ الجَنَّتَين المَوعُودَتين للمُقرَّبين ﴿جَنَّتَانِ﴾ لمَن دُونَهم من أَصحاب اليمين ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾: قد ادْهَامَّتا من شِدة الخضرة.

يعود إلى الآلاء[1] المَعدودة، ثمّ ذكر أنّه يعود إلى الجَنتَين، وبيَّن أنّه[2] يجوز عَود ضمير جمعِ المؤنّث إليهما لاشتمالهما على أماكن، فلذلك يكون في معنى الجمع.

قوله: (أنصَعُ بياضًا) فلذلك قال: ﴿ٱلْمَرْجَانُ﴾، ولم يقل: الدُّرّ أو اللآلِئ.

قوله: (مُسْجَلةٌ) قال في الصحاح: «قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ قال فيه محمّد بن الحنفيّة:[3] 'هي مُسْجَلَةٌ[4] للبَرِّ والفاجِر'.[5] قال الأصمعي: 'أي: مُرْسَلة؛ لم يشترط فيها بَرٌّ دون فاجر'. يقال: أسجَلْتُ الكلامَ، أي: أرسلتُه».[6]

---

[1] ن: الآلا.

[2] ن: ويتراخ.

[3] ن: الحسفة.

[4] ن: مستحله.

[5] ن: والتاجر.

[6] ن: أسلته. | الصحاح للجوهري، «سجل».

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧﴾

﴿نَضَّاخَتَانِ﴾: فَوَّارَتان بالماء، والنَّضخُ أكثرُ من النَّضح؛ لِأنَّ النَّضحَ -غيرَ معجَمةٍ- مِثْلُ الرَّشِّ.

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩﴾

فإن قلتَ: لَمَ عُطِف النخلُ وَالرُّمانُ على الفَاكهة وهُما مِنها؟

قلتُ: اختصَاصًا لَهُما وبَيانًا لفَضْلِهما؛ كأنّهما لِمَا لَهما من المزيَّةِ جِنسانِ آخرانِ؛ كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة ٩٨/٢]، أَو لِأنَّ النَّخْلَ ثَمرهُ فاكهَةٌ وطعَامٌ، والرُّمانَ فاكهةٌ ودَواءٌ، فلم يخلُصَا للتَّفكُّه.

ومنه قال أبُو حَنيفَةَ رحمهُ الله: إذا حَلفَ لا يأكلُ فاكهةً فأكلَ رمانًا أو رُطبًا لم يَحْنث، وخالفَه صَاحبَاه.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١﴾

﴿خَيْرَٰتٌ﴾: خَيّراتٌ، فخُفِّفَت كقوله عليه السلام: «هَيْنُونَ لَيْنُونَ»، وأمَّا "خَيْرٌ" الذي هو بمعنى "أَخْيَرَ" فلا يقال فيه: "خَيْرُون" ولا "خَيْراتٌ".

وقرئ: "خيّراتٌ" على الأصل، والمعنى: فاضِلاتُ الأَخلاقِ حِسَانُ الخَلْقِ.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣﴾

﴿مَقْصُورَٰتٌ﴾: قُصِرْنَ في خُدورهِنَّ، يقال: امرأةٌ قصيرَةٌ وقَصُورَةٌ ومَقصُورة: مُخدَّرةٌ.

قوله: (لم يَحنَثْ) وإنّما قال: "لم يَحْنَثْ" لأنّهما[1] غير خالصتَين للتفَكّه، فحمل قول الحالف على الخالِص للتفَكّه.

قوله: (ولا خيراتٌ) لأنّ اسم التفضيل إذا كان نكرة وجب أنْ يكون مُفردًا مُذكّرًا.[2]

---

١ ف: لأنّها.

٢ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾ أي: في الجنان الأربع. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٤٥٧/٧ (الرحمن، ٧٠/٥٥).

وقيل: إن الخَيمةَ من خِيامِهنَّ دُرَّةٌ مُجوَّفةٌ.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٥﴾

﴿قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ أصحابِ الجنَّتين، دَلَّ عليهم ذكرُ الجنَّتينِ.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧﴾

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصْبٌ على الاختِصاصِ.

و"الرَّفرفُ": ضَرْبٌ من البُسُطِ، وقيل: البُسُطُ، وقيل: الوسَائدُ، وقيل: كلُّ ثَوْبٍ عَريضٍ رَفرفٌ، ويُقال لأطرافِ البُسْط وفُضولِ الفُسْطَاط: رفَارفُ، ورَفرفُ السحابِ: هَيْدَبُه.

و"العَبقَري": منسُوبٌ إلى عَبقَرَ، تَزعُمُ العَربُ أنه بلَدُ الجِن، فيَنْسبُون إليه كلَّ شيءٍ عَجيبٍ.

وقرئ: "رَفارِفَ خُضُرٍ" بضمتَين "وعَباقِرِيّ" -كمدَائنيّ- نِسْبةً إلى عَباقِرَ في اسْم البَلدِ.

ورَوَى أَبو حَاتمٍ: "عَبَاقَرِيَّ" بفتح القافِ ومَنْعِ الصَّرفِ، وهذا لا وَجْهَ لصِحتِه.

فإن قلتَ: كيف تقَاصَرتْ صفاتُ هاتين الجنَّتين عن الأُولَيينِ حتى قيل: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾؟

قوله: (هَيْدَبُهُ) أي: طَرفه الذي يلي الأرضَ.

اعلم أنّه كُرِّر ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ في السورة إحدى وثلاثين مرّة، ثمانية منها ذكرها عقيب آيات فيها تعديدُ عجائب خَلْق الله، ومَبْدأ الخَلْق ومعادهم، ثمّ سبعة منها عقيب آياتٍ فيها[1] ذكرُ النار وشدائدها على عدد أبواب جهنّم، وبعد هذه السبعة ثمانيةٌ في وصف الجَنّات[2] وأهلِها على عدد أبواب الجَنّة،

---

[1] ن - تعديد عجائب خلْق الله ومبدأ الخَلْق ومعادهم، ثمّ سبعة منها عقيب آيات فيها.

[2] ن: الجنان.

قلتُ: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ دُون ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٍ﴾، و﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ دُون ﴿تَجۡرِيَانِ﴾، و﴿فَٰكِهَةٞ﴾ دُون ﴿كُلِّ فَٰكِهَةٖ﴾، وكذلك صفةُ الحوْرِ والمُتَّكأ.

﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾

وقرئ: ﴿ذوالجلال﴾ صفةٌ للاسْمِ.

عن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرَأ سُورةَ الرَّحمنِ أدَّى شُكرَ ما أَنعمَ اللهُ علَيْه».

وثمانية أخرى بعدها للجنتَين اللَّتَين دونهما، فمَن اعتقد الثمانية الأولى وعَمِل بموجَباتها[١] استَحقّ كِلتا الثمانِيَتَين مِن الله، ووقاه مِن السبعة السابقة.

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنّه وكرمه.[٢]

---

[١] د: بمواجباتها.

[٢] ف - بحمد الله تعالى ومنه وكرمه؛ ن - ومنه وكرمه.

سورة الواقعة

مكيةٌ، وهي سبعٌ وتسعون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ٣﴾

﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ كقولك: كانَت الكائنةُ، وحَدَثتِ الحادثةُ، والمراد: القيامةُ، وُصفَت بالوُقوع لأنَّها تقعُ لا مَحالةَ، فكأنَّه قيل: إذا وقعَتِ التي لا بدَّ من وُقوعها. ووُقُوع الأمر: نُزُولهُ، يقال: وقعَ ما كنتُ أَتوقَّعُه؛ أي: نَزَلَ ما كنتُ أترقَّبُ نُزولَه.

فإن قلتَ: بمَ انتصَبَ ﴿إِذَا﴾؟

قلتُ: بـ﴿لَيْسَ﴾، كقولك: ....

سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (وُصِفَتْ بالوقوع) في قوله: ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾.

قوله: **(قلتُ: بـ﴿لَيْسَ﴾)** في كون[2] ﴿لَيْسَ﴾ عاملة في ﴿إِذَا﴾ بَحْثٌ؛ لأنَّ ﴿إِذَا﴾ إن جُعِلت شرطيّة فلا بدّ مِن الفاء في جزائه، وإن جُعِلتْ لِمجرّد الظرفيّة فلا يَحسُن المعنى؛ لأنّ المعنى ههنا إنّما يستقيم إذا جُعلت شرطيّة، لكن يمكن أن يقال: يستقيم المعنى على جَعل ﴿إِذَا﴾ ظرفيّة بأن يكون ﴿لِوَقْعَتِهَا﴾ بدلًا مِن ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾، فكأنّه قيل: ليس[3] نفسٌ[4] كاذبةٌ وقت وقوعها حين وقوعها.

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] ن: لون.

[3] ن: أن.

[4] ن: يفسر.

يومَ الجُمعة لَيْس لي شُغْلٌ، أَو بمحذُوف؛ يعني: إذا وَقَعَت كان كَيْتَ وكَيْتَ، أَو بإضمار: "اذكُرْ".

﴿كَاذِبَةٌ﴾: نفسٌ كاذِبة؛ أي: لا تكُون حين تقعُ نفسٌ تكذِبُ على الله وتكذِبُ في تكْذِيبِ الغَيْبِ؛ لأنَّ كلَّ نفْسٍ حِينئذٍ مُؤمنةٌ صَادِقةٌ مُصَدِّقة، وأكثرُ النُّفوسِ اليومَ كوَاذبُ مُكذِّباتٌ، كقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر ٨٤/٤٠] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الشعراء ٢٠١/٢٦] ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الحج ٥٥/٢٢]. واللَّامُ مِثْلُها في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر ٢٤/٨٩].

وإلى معنى الظرفيّة أشار المصنّف بقوله: (يومَ[١] الجمعة ليس لي شُغل).[٢]

قوله: (تكذِبُ على الله) بأن تُثبِتَ[٣] له شريكًا، أو تقول: إنّه لا يبعث[٤] الموتى.

قوله: (وأكثرُ النفوس) يجوز "أكثرَ"[٥] بالنصب عطفًا على "كلَّ"، فيكون قوله: (لأنّ) متعلّق بمحذوف، أي: إنّما ذكر[٦] ذلك لأنّ. وإن قُرِئ "أكثرُ" بالرفع على الابتداء فقوله: "لأنّ" متعلّق بـ"لا يكون".

قوله: (كَواذِب مكذِّباتٌ) لأنّ كلَّ مُكذِّب كاذِب؛ لأنّه يقول بخلاف ما هو كائن،[٧] فمعناه لا يكون يوم القيامة نفس تُكذِّب الغيب.

قوله: (واللام[٨] مِثلُها) أي: هي لام التاريخ، كما في قولهم: كُتب لِخمسٍ خَلَونَ / مِن شهر كذا. وإذا كان اللام مثلَها فالوجه أن يكون ﴿لِوَقْعَتِهَا﴾[٩] بدلًا مِن ﴿إِذَا﴾. [٣٨٦ظ]

---

١ ن: يو.

٢ وفي هامش د ف: قوله: (نفس كاذبة) على الوجه **الأوّل**: كان الكذب بالنسبة إلى المؤمنين. وعلى **الثاني**: بالنسبة إلى القيامة. وعلى **الثالث**: المراد به الجُبن بطريق الكناية. أعني: على الوجه **الأوّل**: المخاطَبون هم الرسول والمؤمنون. وعلى **الثاني**: المخاطب هو الساعة، تأمّل.

٣ وفي هامش د ف: النفس.

٤ ن: يبعت.

٥ ن: الثر.

٦ ن: ذكرت.

٧ ن: كاني.

٨ ن: وللام.

٩ ن: لوقعها.

أو: ليس لهَا نفسٌ تكْذِبُها، وتقُولُ لهَا: "لَم تكُوني" كما لها اليَوْمَ نُفُوسٌ كثِيرةٌ يَكْذِبْنَها يقُلْنَ لها: "لَنْ تكُونِي".

أو هي مِن قولهم: "كَذَبتْ فلانًا نَفسُه" في الخَطْبِ العظِيم: إذا شجَّعَتْهُ على مُباشَرتهِ وقَالت له: إنَّك تُطِيقُه وما فوقَه، فتَعرَّضْ لهُ ولا تُبالِ بهِ، على مَعنى: أنها وَقْعَةٌ لا تُطاقُ شِدَّةً وفظاعةً، وأَنْ لا نفسَ حينئذٍ تُحدِّثُ صاحبَها بما تُحدِّثه به عِند عظَائم الأمُورِ وتُزيِّنُ له احتمالَهَا وإطَاقتَها؛ لأنهم يومئذٍ أضعفُ من ذاك وأذَلُّ، ألا ترَى إلى قوله: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة ٤/١٠١]، والفَراشُ مَثَلٌ في الضَّعفِ.

وقيل: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ مصدرٌ كالعافيَةِ بمعنى التكذيب، من قولك: حَملَ على قرنهِ فما كَذَّبَ؛ أي: فما جَبُنَ وما تَثبَّطَ، وحَقِيقتُه: فما كذَّب نفسَه فيما حَدَّثتهُ بهِ من إطَاقَتهِ له وإقدامهِ علَيه، ....

قوله: (مِن قولهم: كَذَبَتْ فلانًا نفسُه) ويقرُب منه قول الشاعر مِن حيث المعنى:

واكْـذِبِ النفـسَ إذا حدَّثتَها ... إنّ[1] صِـدْقَ النفْـس يُـزري بالأمَلْ[2]

قوله: (في الخَطْب) ظرف "قولهم".

قوله: (حينئذٍ) أي: وقتَ وقوعها.

قوله: (وحقيقته) بيان أنّ "كذّب" كيف يكون بمعنى جَبُنَ[3] وتثبَّط، فكأنّ الجبان كذَّب[4] نفسَه حين قالت له نفسُه:[5] إنّك تَقْدِر على مقاومة قِرْنِكَ. وإذا ظهر ذلك فالمعنى: ليس لِوقعتها جُبْنٌ وتثبُّطٌ، أي: رَجْعةٌ وارتدادٌ،[6] فعلى هذا يكون كنايةً؛ لأنّ الجُبن والتثبُّطَ[7] سبب للتكذيب، فذُكرَ التكذيب[8] وأُريدَ الجُبن والتثبّط[9] إطلاقًا للَّازم وإرادةً للملزوم.[10]

---

١ ن: أي.
٢ للَبيد بن ربيعة في ديوانه، ص ١٨٠.
٣ ن: حين.
٤ ن: لذبَ.
٥ ن + حين وقالت له نفسه.
٦ ن: واريداد.
٧ ن: والتبط.
٨ ف: التكذب.
٩ ن: والتبط.
١٠ ن: الملزوم.

قال زهير:

... ... إذا ما اللَّيثُ كَذَّبَ عن أقرانه صَدَقَا

أي: إذا وقعت لَم تكُن لهَا رَجعَةٌ ولا ارتِدادٌ.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ على: هي خَافِضةٌ رافعةٌ، تَرفع أقوامًا وتَضَعُ آخَرِينَ، إمَّا وَصفًا لها بالشدَّة لأن الواقِعات العظامَ كذلكَ يَرتفعُ فيها ناسٌ إلى مَراتِبَ ويَتَّضِعُ ناسٌ، وإما أنَّ الأَشقِياءَ يُحطُّونَ إلى الدَّركاتِ، والسُّعداءَ يُرفَعُونَ إلى الدَّرَجات، وإمَّا أنَّها تُزَلزِلُ الأَشياءَ وتُزيلُها عن مَقارِّها فتَخفضُ بعضًا وتَرفعُ بعضًا،

قوله: (قال زُهير:

إذا ما الليثُ كذَّبَ[1] عن أقرانه صَدَقا)

أوّله:

بِـعَـثَّـرَ[2] يَـصْـطـادُ الـرجـالَ[3]

قوله: (إمّا وصفًا لها) أي: مِن غير إرادة الوضع والرفع[4] صريحًا؛ بل[5] إطلاقًا للَّازم على الملزوم، فيكون كنايةً.[6]

قوله: (يرتفع)... إلخ بيان لقوله: (كذلك)،[7] وعلى[8] هذا يكون مِن قَبيل المجاز في الإسناد، فإنّ الخافض الرافع[9] في الحقيقة هو الله تعالى، وكذلك قوله: (وإمّا لأنّها تُزَلْزِل).

---

١ ن: لذب.

٢ ن: بعشر. | وفي هامش د ف: أي: موضع.

٣ وفي هامش د ف:
بِـعَـثَّـرَ يَـصـطـادُ الـرجـالَ إذا
ما الليثُ كذَّبَ عن أقرانه صَدَقَا
| هو في شرح شعر زهير لثعلب، ص ٥٠، أوّله:
لـيـثٌ بِـعَـثَّـرَ يَـصـطـادُ الـرجـال...

٤ وفي هامش د ف: فإنّ شِدّة الأمر مستلزِمة للرفع والخَفْض.

٥ ن - بل.

٦ وفي هامش د ف: فيجوز أن يراد المجموع، فإنّ الكناية لا تنافي الحقيقة.

٧ ن: لذلك.

٨ ن - على.

٩ وفي هامش د ف: وعلى الوجهين يحتمل أن يكون مِن قَبيل الإسناد إلى الزمان إن كان المراد بالقيامة الزمان، وإن كان عبارة عن الجزاء يكون مِن قَبيل الإسناد إلى السبب، وعلى الوجه الأوّل منهما المراد بالخفض والرفع المعنويّ لا الحسّيّ. وعلى الثاني: مِن الوجهين الحسّي لا المعنوي، تأمّل.

حيثُ تسقطُ السَّماءُ كِسَفًا وتَنتثِرُ الكواكبُ وتَنكَدِرُ، وتَسِير الجبالُ فَتَمُرُّ في الجَوِّ مَرَّ السَّحابِ.

وقرئ: "خافضةً رافعةً" بالنَّصب على الحالِ.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ٦﴾

﴿رُجَّتِ﴾: حُرِّكَت تحريكًا شديدًا حَتَّى يتهَدَّمَ كُلُّ شيءٍ فوقَها من جبَل وبناءٍ.

﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ﴾: وَفتَّت حتى تعودَ كالسَّويق، أو: سِيقَت، مِن بَسِّ الغَنَمَ: إذا سَاقَها، كقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ [النبأ ٢٠/٧٨].

﴿مُّنۢبَثّٗا﴾: مُتفرِّقًا، وقرئ: بالتَّاء؛ أَي: مُنقطعًا.

وقرئ: "رَجَّت... وبَسَّت"؛ أَي: ارتَجَّتْ وذهَبتْ، وفي كلام بِنْت الخُسِّ: "عَينُها هَاجٌ، وصَلاهَا رَاجٌ، وهي تمشِي وتَفَاجّ".

فإن قلتَ: بمَ انتصب ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾؟

قوله: (وفُتَّتْ) مِن الفَتِّ،[١] ﴿وَبُسَّتِ﴾[٢] مِن البَسِّ، وهو اتّخاذ البَسيسة، وهو أن يُلَتَّ السَّوِيقُ أو الدقيق[٣] أو الأَقِطُ المطحون بالسَّمن أو بالزيت ثمّ يؤكَل ولا يُطْبَخ.

قوله: (وقُرئ بالتاء)[٤] أي: "مُنبَتَّةً".[٥]

قوله: (وفي كلام بنتِ الخُسِّ: «عينُها هاجٌ، وصَلاها راجٌ، وهي تمشي وتفاجّ») كلام بنت الخُسِّ لوصف[٦] ناقة. عينٌ هاجّة، أي: غائرة.[٧] والصَّلا: ما عن يمين الذنَب وشِماله، وهما صَلَوان.[٨] ورجَّ[٩] فارتَجَّ، أي: حرّكه فتحرّك،[١٠]

---

١ ن: القت.

٢ ن: ولست.

٣ ن: والدقيق.

٤ ف: بالثاء.

٥ ف: مُنبَثَّةً. | لعلّه يريد: "مُنبَتًّا"، وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن إبراهيم النخعي. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٧١؛ **والمحرّر الوجيز** لابن عطيّة، ٢٣٩/٥ (الواقعة، ٦/٥٦)؛ **والدرّ المصون** للسمين الحلبي، ١٩٤/١٠ (الواقعة، ٦/٥٦).

٦ ن: أوصف.

٧ **الصحاح** للجوهري، «هجج».

٨ **الصحاح** للجوهري، «صلا».

٩ ن: ررح.

١٠ انظر: **الصحاح** للجوهري، «رجج».

قلتُ: هو بدلٌ من ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾، ويجوز أن ينتصِبَ بـ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾؛ أي: تَخفِضُ وتَرفَعُ وقْتَ رَجِّ الأرْضِ وبَسِّ الجِبالِ؛ لأنه عند ذلك يَنخفِض ما هو مُرتفِعٌ ويَرتفِعُ ما هو مُنخفِضٌ.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾

﴿أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا، يقال للأصناف التي بعضُها مع بعضٍ أو يُذكَر بَعضُها مع بعضٍ: أَزْواجٌ.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: الذين يُؤتَوْنَ صحائفَهُم بأيمانهم ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: الذين يُؤتَونَها بشَمائلِهم.

أو: أصحابُ المَنْزلةِ السنيّة وأصحابُ المنزلة الدنيَّة، من قَولك: "فلانٌ منِّي باليَمينِ، وفلان منِّي بالشِّمال": إذا وَصَفْتَهما بالرِّفعة عندَك والضَّعةِ، وذلك لِتيمُّنِهم بالمَيامِنِ وتَشاؤُمِهم بالشَّمائل، ولِتَفاؤلهم بالسَّانحِ وتطَيُّرهم من البَارحِ، ولذلك اشتقُّوا لليَمين الاسْمَ مِن اليُمْنِ وسَمَّوا الشِّمالَ: الشُّؤمَى.

و"راجّ" هنا بمعنى مُرتَجّ. وتفاجّتِ الناقة إذا فَرجَتْ بين رِجليها.[١] والخُسّ -بضمّ الخاء-:[٢] اسم رجل، واسم ابنته هند.

قوله: (بالسانِح)... إلخ السانِح: ما[٣] ولّاك[٤] ميامِنَه مِن ظبي أو طائر وغيرهما، تقول: سَنَح لي الظَّبيُ يَسْنَح سُنُوحًا؛ إذا مرّ مِن مَياسِرك إلى مَيامِنك. والسُّنوح ضِدُّ البُروح. والعرب تتيمَّن بالسانح، وتتشاءم[٥] بالبارح. وفي المَثَل: «مَن لي بالسانِح بعد البارِح».[٦]

---

١ **ديوان الأدب** للفارابي، ١٨٩/٣.
٢ ن: الجاء.
٣ ن: ماء.
٤ ن: لاك.
٥ ن: وتتسام.
٦ ن: النارح. | **الصحاح** للجوهري، «سنح». والمَثَل المذكور يُضرب في اليأس عن الشيء. انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٣٠١/٢.

وقيل: أصحابُ المَيْمَنةِ وأصحابُ المشأمةِ: أصحابُ اليُمْن والشُّؤْم؛ لأن السُّعداءَ مَيَامِينُ على أنفسِهم بطَاعتِهم، والأشقياءَ مَشَائيمُ علَيها بمَعْصِيَتِهم.

وقيل: يُؤخذ بأهلِ الجنَّة ذاتَ اليَمين وبأهْل النَّار ذاتَ الشِّمال.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾: المُخلِصُون الَّذين سَبقُوا إلى ما دَعاهُم اللهُ إليهِ، وشَقُّوا الغُبَارَ في طلَبِ مَرضاةِ الله.

وقيل: الناسُ ثلاثة:

فرجُلٌ ابتكرَ الخَيرَ في حَدَاثةِ سنِّه، ثم داوَمَ عليه حتى خرجَ من الدنيا، فهذا السابقُ المُقرَّبُ.

ورَجُلٌ ابتكَرَ عُمرَهُ بالذنبِ وَطُولِ الغفلةِ، ثم تراجَع بتوبةٍ، فهذا صاحب اليَمين.

قوله: (ميامين) المَيامين جمع المَيمون.

قوله: (يؤخذ بأهل الجنّة) أي: يؤخذ ذاهبًا بهم الجهةَ ذاتَ اليمين، أي: جهة مسمّاة باليمين، فإنّ الجهة إذا كانت مسمّاة بهذا اللفظ كانت الجهة صاحبة هذا اللفظ.[1]

قوله: (وشَقُّوا الغُبار) شقُّ الغبارِ عبارة عن السَّبْق، فإنّ مَن سبَق غيره فقد شقّ غُبارَه الذي ثارَه بِعَدْوِه، وجاوز ذلك الغبار.[2]

قوله: (فرجلٌ ابتكر) الباكورة: أوّل الشيء، ومنه الباكورة؛ أوّل الفاكهة، وقد[3] ابْتكَرْتُ الشيء؛ إذا استولَيتَ على باكورتِه، وفي حديث الجمعة: «مَن بَكَّرَ وابتَكَر»،[4] قالوا: / "بَكَّر": أسرع، و"ابتكَرَ": أدركَ أوائلَ[5] الخُطْبة.[6] [٣٨٧و]

---

١ ن - كانت الجهة صاحبة هذا اللفظ.

٢ ن - شَقُّ الغبارِ عبارة عن السَّبْق، فإنّ مَن سبَق غيره فقد شَقّ غُبارَه الذي ثاره بِعَدْوه، وجاوز ذلك الغبار.

٣ ن: قد.

٤ انظر: مسند أحمد، ٩٣/٢٦ (١٦١٧٣)؛ وسنن الترمذي، ٦٢٤/١ (٤٩٦).

٥ ن: أوابل.

٦ ن - الخُطْبة. | **الصحاح** للجوهري، «بكر».

ورجُلٌ ابتكرَ الشّر في حَداثةِ سنّه، ثم لَم يَزَلْ عليه حتى خرجَ من الدنيا، فهذا صاحبُ الشمال.

﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ و﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ تعجيبٌ من حال الفريقَين في السعادة والشّقاء، والمعنى: أيُّ شيءٍ هُم؟

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ يُريد: والسَّابقونَ مَن عرَفتَ حالَهُم، وبَلغك وَصْفَهم؛ كقَوله: "وعَبدُ الله عَبدُ اللهِ"، وقولِ أبي النَّجم:

وشِعْري شِعْرِي

كأنه قال: وشِعري ما انتَهى إليك وسمِعتَ بفصَاحتِهِ وبراعَتِهِ.

وقَد جُعل ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ تأكيدًا و﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ خبرًا، وليس بذاك.

ووقف بَعضُهم على: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ وابتدأ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾، والصوابُ: أن يُوقفَ على الثاني؛ لأنه تمامُ الجُملة، وهو في مُقابلةِ: ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ و﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٤﴾

﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: الذين قُرِبَتْ درَجاتُهم في الجنَّة من العَرش، وأعْلِيَتْ مَراتبُهم، وقرئ: "في جنة النعيم".

و"الثُّلَّةُ": الأُمَّةُ من الناسِ الكثيرةُ، قال:

قوله:

(وشِعْري شِعْري)

أوّله:

أنا أبو النجم[1]

قوله:

---

[1] وبعده:
للهِ دَرّي مِمّا يُجِنُّ صَدري
وهو مِن رجَزٍ لأبي النَّجم العجلي في ديوانه، ص ١٩٨.

وجـــاءتْ إلـيـهـم ثُـلَّـةٌ خِـنـدِفـيـةٌ بجَيْشٍ كتيَّارٍ من السَّيلِ مُزْبِد

وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ كفَى بهِ دَليلًا على الكثرَة.

وهي من الثَّلِّ، وهو الكسر، كما أنَّ الأمَّةَ من الأمِّ، وهو الشجُّ؛ كأنَّها جَماعَةٌ كُسرَتْ من النَّاس وقُطِعَتْ منهُم.

والمَعنى: أَن السَّابقين كثيرٌ من الأوَّلِينَ، وَهُم الأُمَم مِن لَدُن آدمَ إلى محمدٍ صلى الله عليه وسلم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ وهم أمَّةُ محمد.

وقيل: ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: من مُتقدِّمي هذه الأمَّةِ، و﴿مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ من متأخِّريهَا.

وعن النبيِّ عليه السلام: «الثلُّتَانِ جَميعًا مِن أُمَّتِي».

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ ثم قال: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة ٥٦/٤٠]؟

قلتُ: هذا في السَّابِقين، وذاك في أصحاب اليمين، وأنَّهم يتكاثَرُون من الأوَّلين والآخِرين جميعًا.

فإن قلتَ: فقد رُوي أنَّها لمَّا نزلَت شَقَّ ذلك على المُسلمين، فما زال رسُول الله يُراجِعُ رَبَّه حَتَّى نَزلَتْ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.

(وجاءت إليهم ثُلَّةٌ[١] خِنْدِفِيَّةٌ)...[٢] البيتَ[٣]

الخِنْدفيّة:[٤] منسوبة إلى قبيلة خِنْدِف.[٥] والتَيّار: الموج. والمُزْبِدُ:[٦] كثير الزَّبَد. والمراد كثرة[٧] الجيش وتموّجهم كتموُّج السيل المُزبِد.

قوله:[٨] **(على الكثرة)** أي: على أنّ المراد بالثُّلَّةِ الجماعة الكثيرة.[٩]

---

١ ف: ثُلَّة.

٢ ن: حندفية.

٣ بغير نسبة في **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ١٠٧.

٤ ن: الحندفية.

٥ ن: حندف.

٦ ن: والمزيد.

٧ ن: كثير.

٨ ن + قوله.

٩ ن + أي: على أنّ المراد بالثلّة الجماعة الكثيرة. | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ خمر جارية. **معالم**. | **معالم التنزيل** للبغوي، ١٠/٨ (الواقعة، ٥٦/١٨).

قلتُ: هذا لا يصحُّ لأمْرَين:

أحدُهما: أن هذه الآيةَ وَارِدةٌ في السَّابقين ورُودًا ظاهرًا، وكذلك الثانيةُ في أصحاب اليَمِين، ألا تَرى كيف عُطِفَ أصحَابُ اليَمين ووَعدُهُم على السَّابقين ووَعدِهم.

والثاني: أن النَّسخ في الأخبَار غيرُ جائزٍ.

وعن الحسن رضي الله عنه: سَابِقُو الأمم أكثَرُ مِن سَابقي أُمتِنا، وتابعُو الأُمم مِثلُ تابعي هذه الأمة.

و﴿ثُلَّةٌ﴾ خبَرُ مُبتدأ محَذوفٍ؛ أي: هُم ثلةٌ.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿مَّوْضُونَةٍ﴾: مَرْمُولَةٍ بالذَّهَبِ مُشبَّكَةٍ بالدُّرِ واليَاقُوتِ، قد دُوخِل بَعضُها في بعض كما تُوضَنُ حَلَقُ الدِّرْعِ، قَال الأعْشَى:

ومِــن نَسْــجِ داودَ مَوضُونــةً

وقيل: مُتواصِلةٍ، أُدْنِيَ بَعْضُها من بَعض.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حالٌ مِن الضميرِ في ﴿عَلَىٰ﴾، وهُو العامل فيها؛ أي: استقرُّوا عليها مُتَكِئين.

﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾ لا يَنظُرُ بَعضُهم في أَقفَاء بَعضٍ، وُصِفوا بحُسنِ العِشرةِ وتهذيبِ الأخلاقِ والآداب.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: مُبْقَون أبدًا على شكلِ الوِلدانِ وحَدِّ الوَصَافةِ لا يَتحوَّلون عنه.

قوله: (غير جائز) لأنّ خبر الله تعالى على ما هو به.

قوله: (وحَدِّ الوَصافة) يقال: وَصُفَ الغلام إذا بلغ الخِدمة.[1]

---

[1] الصحاح للجوهري، «وصف».

وقيل: مقرَطُونَ، والخُلَدَةُ: القُرْطُ.

وقيل: هم أولاد أهل الدنيا، لم تكن لهم حسَناتٌ فيُثَابُوا عليهَا، ولا سيِّئاتٌ فيُعَاقبوا عليها، رُوي عَن عَلي رضي الله عنه وعن الحسن.

وفي الحديث: «أولادُ الكفار خُدَّام أهلِ الجنةِ».

"الأكوابُ": أوانٍ بلا عُرًى وخَراطيمَ، و"الأباريقُ": ذَوات الخَراطيمِ.

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩﴾

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾؛ أي: بسَببِها، وحقِيقتُه: لا يَصدُرُ صدَاعُهم عنها، أو: لا يُفرَّقُونَ عنها. وقرأ مجاهد: "لا يَصَّدَّعون" بمعنَى: لا يتصَدَّعُون لا يَتفرَّقون؛ كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم ٤٣/٣٠]. و: "يَصْدَعُون"؛ أي: لا يَصْدَعُ بَعضُهُم بَعْضًا لا يُفرِّقونهم.

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٢١ وَحُورٌ عِينٌ ٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٢٤﴾

﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾: يَأخذُون خَيْرَهُ وأفضَلَه.

و﴿يَشْتَهُونَ﴾: يتمَنَّونَ، وقرئ: "ولحومِ طيرٍ".

وقرئ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع على: وفيها حُورٌ عينٌ؛ ....

قوله: **(والخُلْدة: القُرط)** خلَّد[1] جاريته إذا حلَّاها[2] بالخَلَدَة[3] جمع خُلْدٍ، وقيل: خُلْدةٍ.

قوله: **(وحقيقتُه)** هو كقوله:

يَنهَون عن أكلٍ وعن شُربِ[4]

---

١ ن: جلد.

٢ ن: خلاها.

٣ ن: بالحلد.

٤ أوَّله:

يَمشُون دُسْمًا حولَ قُبَّتِهِ

وهو بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «نهى».

كبَيْتِ "الكتاب":

.... إلّا رَواكِدَ جَمرُهنَّ هَبَاءُ

ومُشجَّجٌ ....

أو لِلعطفِ على ﴿وِلْدَانٌ﴾ [الواقعة ١٧/٥٦].

قوله: (كبيت[١] الكتاب:

إلّا رَواكِدَ[٢] جَمْرُهُنَّ هَباءُ ومُشَجَّجٌ)...[٣]

أراد بـ"الرواكد"[٤] الأثافيَّ[٥] يصف دارًا وآثارها. وقوله: "ومُشَجَّجٌ"[٦] مِن بيتٍ آخَر، وهو معطوف على "رواكد" في المعنى.

بادتْ وغيَّر آيَهُنَّ[٧] معَ البِلى إلّا رَواكدَ جَمرُهنَّ هباءُ
ومُشجَّجٌ[٨] أمّا سَواءُ[٩] قَذَالِهِ فبَدا وغيَّر سارَه[١٠] المَعْزاءُ[١١]

"باد"، أي: هَلَك. و"غيَّر آيَهُنَّ"،[١٢] أي: علامَتَهُنَّ، والمراد بـ"الرَّواكد": أحجار الأُثْفِيّة، وكلُّ ثابت في مكان فهو رواكد.[١٣] وهبَا الرَّمادُ يَهْبو؛[١٤] إذا اختلط بالتراب. وقوله: "ومُشجَّجٌ"[١٥] المراد به وَتِدُ الخِباء، قد شُجَّ رأسه مِن الدَّقِّ. والسواء: الوسَط. والقَذال: جماع مؤخَّرِ الرأس. و"بَدا"، أي: ظَهَر. و"سأرَه"، أي: بقيَّتَه.[١٦] والأمْعَزُ:[١٧] مكان يُخالِط ترابُه حجارةً أو حصًى، وإذا حُمل على الأرض أو البقعة[١٨] قيل:[١٩] المَعْزاء.

---

١ ن: كتبت.
٢ ن: روالد.
٣ ف: ومُشحَّجٌ؛ ن: ومسحح.
٤ ن: بالكواكد.
٥ ن: الأتافي.
٦ ف - أراد بـ"الرواكد" الأثافِيَّ يصف دارًا وآثارها. وقوله: "ومُشجَّجٌ"؛ ن: ومسحح.
٧ ن: ابهن.
٨ ف: ومُشَحَّجٌ؛ ن: ومسحح.
٩ ن: سوا.
١٠ ن: ساءه.
١١ بغير نسبة في الكتاب لسيبويه، ١٧٤/١؛ وشرح أبيات سيبويه للسيرافي، ٢٦٢/١.
١٢ ن: ابهن.
١٣ ن: روالد؛ ن + أحجار الأثفيّة، وكلّ ثابت في مكان فهو رواكد.
١٤ ن: يهبَوا.
١٥ ن: ومسحح.
١٦ ن: بقته.
١٧ ن: ولامعز.
١٨ ن: البفعة.
١٩ ف: قبل.

وبالجرِّ عطفًا على ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة ١٢/٥٦] كأنّه قال: هم في جناتٍ وفاكهةٍ ولحمٍ وحُورٍ، أو على ﴿أكوابٍ﴾ [الواقعة ١٨/٥٦] لأن معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۞ بِأَكْوَابٍ﴾ يُنعَّمُونَ بأكوابٍ.

وبالنصب على: ويؤتَونَ حُورًا.

أي: لم يبقَ مِن آثار منازل الأحبّة سوى أحجار الأثافيّ[١] ورَمادِها المختلِط بالتراب،[٢] ووَتِدِ الخِباء[٣] المَكسور الرأس المتغيّر بطول بقائه في الأرض. ورفَعَ "مُشجَّجًا"[٤] ولم يَعْطِفْه على "رواكد"،[٥] أي: وفيها مُشجَّجٌ.[٦]

وقال أبو عليّ الفارسي: «رفعَ 'مُشَجّج'[٧] للحَمل على المعنى؛ لأنّ معنى 'بادت[٨] إلّا رواكدَ':[٩] بها رواكد،[١٠] فحمل 'مُشجَّجًا'[١١] على ذلك، كقوله:

وعضُّ[١٢] زمانٍ يا ابن مروانَ لم يَدَعْ مِن المال إلّا مُسْحَتًا[١٣] أو مُجلَّفُ[١٤]

لأنّ معناه: لم يبقَ مِن المال إلّا مُسْحَت، فحمل 'مُجلَّف'[١٥] على ذلك».[١٦]

وأنا أقول: ويمكن أن يقال: معنى "بادَتْ إلّا رواكدَ":[١٧] لم يبقَ إلّا رواكدُ. يقال: أسحتَه، أي: استأصلَه، ومالٌ مُسحَتٌ، أي: مُذهَب. وجَلَّفْتُ[١٨] الشيء: قطَّعْتُه، والمُجلَّف:[١٩] الذي أُخِذ مِن جوانبه.

قوله: (لأنّ معنى ﴿يَطُوفُ﴾)... إلخ وإنّما قال ذلك لأنّ العطف لو حُمِل على ظاهره لَصار المعنى: يَطوف عليهم وِلْدان بِحُور،[٢٠] ولا يصحّ أن يقال:

---

١ ن: الأثافي.
٢ ن: بالراب.
٣ ن: الخبا.
٤ ن: مسخحا.
٥ ن: روالد.
٦ ف: مُشَحَّجٌ؛ ن: مسحح.
٧ ف: مُشَحَّج؛ ن: مسحح.
٨ ن: بادب.
٩ ن: روالد.
١٠ ن: روالد.
١١ ف: مُشَحَّجًا؛ ن: مسححًا.
١٢ ن: وغض.
١٣ ن: مسحبًا.
١٤ ن: محلف. | للفرزدق في ديوانه، ٥٥٦/٢.
١٥ ن: محلف.
١٦ شرح الأبيات المشكلة لأبي عليّ الفارسي، ص ٥٣٨.
١٧ ن: روالد.
١٨ ن: وحلفت.
١٩ ن: المخلف.
٢٠ ن: يجوز.

﴿جَزَآءَۢ﴾ مفعولٌ له؛ أي: يُفعَلُ بهم ذلك كلُّه جزاءً بأعمالِهم.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ إمَّا بدَلٌ من ﴿قِيلًا﴾ بدَليلِ قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا... إِلَّا... سَلَٰمًا﴾، وإمَّا مَفعولٌ به لـ﴿قِيلًا﴾ بمعنى: لا يَسمعُونَ فيها إلَّا أن يقولوا: سَلامًا سلامًا، والمعنى: أنهم يُفشُون السلام بينهُم، فُيسلِّمُون سلامًا بعْدَ سلامٍ.

وقرِئ: "سلامٌ سلامٌ" على الحكاية.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾

"السِّدرُ": شجَرُ النَّبقِ، و"المخضُود": الذي لا شَوكَ له كأنما خُضِدَ شوكُه، وعن مجاهد: المُوقَرُ الذي تَثْنِي أغصانَه كَثْرةُ حَملِه، مِن خَضَد الغصنَ: إذا ثَنَاه وهو رَطْبٌ.

و"الطَّلْح": شجَرُ المَوزِ، وقيل: هو شجَرُ أُمِّ غَيلانَ، ....

يَطوف عليهم بِحُور،[1] كما يصحّ ﴿بِأَكْوَابٍ﴾. وقال في **الكواشي**: «القراءة بالجرّ عطفًا على ﴿أَكْوَابٍ﴾، فيُطاف بالحُور أيضًا عليهم تكرِمةً لهم كما يُجاء بسَرارِيّ الملوك إليهم».[2]

قوله: (**وعن مجاهد**: «المُوقِر») أوقَرَت النَخلةُ إذا كثُر حَملها، يقال: نَخلة مُوقِرة ومُوقِر ومُوقَرة، وحُكي: مُوقَر، وهو على غير قياسٍ؛ / لأنّ الفعل ليس [٣٨٧ظ]
للنخلة، وإنّما قيل: مُوقِر -بكسر القاف- على قياس قولك: امرأة حامل؛ لأنّ حَمل الشجر مشبَّه بحمل النساء. فأمّا مُوقَر -بالفتح- فشاذّ.

---

١ ن: يجوز.

٢ **تفسير الكواشي**، ٥٣٨و. وقرأ ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ بالجرّ حمزة والكسائي وأبو جعفر. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٨٣.

وله نُوَّارٌ كَثيرٌ طَيِّبُ الرائحةِ.

وعن السُّدي: شجرٌ يُشبه طَلحَ الدنيا، ولكنْ له ثمرٌ أحْلَى من العسَل.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنه قَرأ: "وطلعٍ" وقال: وما شأنُ الطلح؟! وقرَأ قوله: ﴿لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق ٥٠/١٠]، فقيل: أَوَنُحوِّلُها؟ قال: آيُ القرآنِ لا تُهَاجُ اليومَ ولا تُحوَّل. وعن ابن عباس نحوُه.

و"المنضودُ": الذي نُضِد بالحَمْلِ من أسفلِه إلى أعلَاه، فلَيست له ساقٌ بارِزَةٌ.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾: مُمتدٍّ مُنبسِطٍ لا يتقلَّص؛ كظِلِّ ما بَينَ طلوعِ الفجر وطُلوعِ الشمس.

﴿مَّسْكُوبٍ﴾: يُسكَبُ لَهُم أين شاؤوا وكيف شاؤوا، لا يَتَعَنَّونَ فيه، وقيل: دائمُ الجريةِ لا ينقطع، وقيل: مَصبوبٌ يجرِي على الأرض في غير أُخدودٍ.

قوله: (وله نَوْرُهُ)[١] النَّوْرُ: نَور الشجر،[٢] وهو نُوّارُه.[٣]

قوله: (وعن عليّ رضي الله عنه)[٤] هذا الحديث[٥] لم[٦] يثبُت عن عليّ رضي الله عنه،[٧] وبتقدير[٨] ثبُوته فالمعنى أنّه سمع أوّلًا كذلك، فلمّا تحقّق أنّ القراءة تحقّقت بالحاء عَلِمَ أنّ ذلك نسخَ قراءته، وتقرّر[٩] القراءة به، فلا يمكن تغييره. وقوله: (وما شأن الطَّلْح) أي: ثُمّ قال: وما شأن الطَّلْحِ؟ وقرأ: ﴿لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق ٥٠/١٠] للاستشهاد.

قوله: (لا يَتعنَّون)[١٠] عَنِيَ -بالكسر- يَعْنى عَناءً؛[١١] إذا تَعِبَ ونصَبَ، وعَنَّيْتُهُ تَعنِيةً، وتَعَنَّيْتُه فتَعنَّى.[١٢]

---

١ في مطبوع الكشّاف: نوار.

٢ ن: الشجرة.

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «نور».

٤ د - رضي الله عنه. | الكشف والبيان للثعلبي، ٢٥/٤٥٣ (الواقعة، ٥٦/٢٩).

٥ ن + هذا الحديث.

٦ ن - لم.

٧ د - رضي الله عنه.

٨ ن: بتقدير.

٩ ن: وتقرير.

١٠ ف: لا يَتعيَّنون.

١١ ن: عنا.

١٢ الصحاح للجوهري، «عني».

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ هي دائمةٌ لا تنقطعُ في بَعض الأوقاتِ كفَواكِهِ الدُّنيا ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾: لا تُمنَعُ عن مُتناوِلِها بوَجْهٍ، ولا يُحْظَرُ عليها كما يُحظَرُ على بَساتين الدنيا.

وقرئ: "وفاكهةٌ كثيرةٌ" بالرَّفع على: وَهُناك فَاكهةٌ؛ كقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة ٥٦/٢٢].

﴿وَفُرُشٍ﴾: جمعُ فِراشٍ، وقرئ: "وفُرْشٍ" بالتخفيفِ.

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾: نُضِدَت حتَّى ارتفعَت، أَو: مَرفُوعةٍ على الأسرَّة.

وقيل: هي النساءُ؛ لأن المرأة يُكنَى عنها بالفِراش ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ على الأرائك، قال الله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس ٣٦/٥٦] ويَدُلُّ عليه قولُه: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾، وعلى التفسيرِ الأول أُضمِرَ "لَهُنَّ"؛ لأن ذكر الفُرُشِ -وهي المضاجعُ- دلَّ علَيهنَّ.

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۝٤٠﴾

قوله: (**ولا يُحْظَرُ**)[١] أي: لا يُجعَل لها حظيرة؛ وهي مثل الحائط.

قوله: (**نُضِدَتْ**) نَضَد متاعَه، أي: وضع بعضَه على بعض.[٢]

قوله: (**ويدلّ عليه**) أي: يدلّ[٣] على أنّ المراد بـ"الفُرُش" النساء قولُه تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾...[٤] إلخ.

قوله: (**وعلى التفسير الأوّل**) يعني: إذا فُسّر "الفُرُشَ" بجمع الفِراش الذي يُفرشُ فالضمير مِن ﴿أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ يعود إلى النساء،[٥] وإن لم يَجْرِ[٦] ذِكرُهُنّ؛[٧] لأن "الفُرُش" يدلّ عليهنّ.

قوله: (**أُضمِرَ**[٨] **لهُنَّ**) أي: للنساء.

---

[١] ف: ولا يُخطَرُ.
[٢] الصحاح للجوهري، «نضد».
[٣] ف - يدلّ.
[٤] ف: أنشأهنّ.
[٥] ف ن: النسا.
[٦] ن + له.
[٧] ن: ذكر.
[٨] ن: أضمن.

﴿أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾: ابتدَأْنَا خَلقهُنَّ ابتداءً جَديدًا من غيرِ ولادةٍ، فإمَّا أَن يُراد: اللاتي ابتُدِئ إنشاؤهُن، أو: اللاتي أُعيدَ إنشَاؤهنَّ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنَّ أُمَّ سلَمةَ سَألته عن قولِ الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ فقال: «يا أمَّ سَلَمةَ، هنَّ اللَّواتي قُبِضْنَ في دارِ الدنيا عجَائزَ شُمْطًا رُمصًا، جعَلهنَّ الله بَعْدَ الكِبَر أَتْرابًا على مِيلادٍ واحد في الاستواء، كلَّما أتاهُن أزواجُهن وَجَدوهنَّ أبكَارًا»، فلمَّا سمِعَتْ رسولَ الله عائشةُ يقولُ ذلك قالَت: وَا وَجعَاه، فقال رسُولُ الله: «ليس هناك وجَعٌ».

وقالَت عجُوزٌ لرسُول الله: ادعُ الله أن يُدخِلَني الجنةَ فقال: «إِن الجنَّة لا تدخلها العَجائز» فولَّتْ وهي تبكِي، فقال عليه السلام: «أخبِرُوهَا أَنَّها ليست يومئذٍ بِعجوزٍ» وقرأ الآيَةَ.

﴿عُرُبًا﴾ وقُرئ: ﴿عُرْبا﴾ بالتَّخْفيف، جمعُ عَروبٍ، وهي المُتَحبِّبةُ إلَى زَوْجِها الحَسَنةُ التَّبَعُّلِ.

﴿أَتۡرَابٗا﴾: مُسْتوِياتٍ في السنِّ بناتِ ثلاثٍ وثلاثِين، وأَزواجُهنَّ أيضًا كذَلك،

قوله: (شُمْطًا رُمْصًا) الشَّمَطُ: بياض شعر الرأس يُخالطها سواد، وقد شَمِط -بالكسر- يَشمَطُ شَمَطًا، والرجل أشمَط، والمرأة شَمْطاء.[1] والرَّمَص -بالتحريك-: وَسَخ يجتمع في المُوق، فإنْ سالَ فهو غَمَصٌ،[2] وإن جَمُد فهو رَمَصٌ. وقد رَمِصَتْ عينُه بالكسر، والرجل أرمَصُ، والمرأة رَمْصاء.[3]

قوله: (فقال: «إنّ الجنّة لا تدخلها[4] العجائز»)[5] ذكروا هذا الحديث في مِزاح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[6]

قوله: (جمع عَروبٍ) امرأة عَروب: ضَحّاكةٌ[7] طَيِّبة النفسِ.[8]

---

١ الصحاح للجوهري، «شمط».
٢ ن: عمض.
٣ ن: رمصا. | الصحاح للجوهري، «رمص».
٤ ن: يدخلها.
٥ جامع البيان للطبري، ٤٢٩/١٦ (الواقعة، ٣٦/٥٦)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٤٧٧/٢٥ (الواقعة، ٣٦/٥٦).
٦ د: عليه السلام.
٧ ن: ضحالة.
٨ مجمل اللغة لابن فارس، «عرب».

عن رسول الله عليه السلام: «يَدخلُ أهلُ الجنةِ الجَنةَ جُرْدًا مُرْدًا بيْضًا جِعَادًا مُكحَّلِينَ أبناءَ ثَلاثٍ وثلاثِينَ».

واللام في ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ مِن صلةِ "أنشأنا" و"جعلنا".

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فِى سَمُومٍ﴾: في حَرِّ نارٍ يَنفذُ في المَسامِّ ﴿وَحَمِيمٍ﴾: وماءٍ حارٍّ مُتَناهي الحَرارة.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾: من دخانٍ أَسوَدَ بَهيمٍ ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ نفيٌ لصفَتَي الظِّلِّ عنه، يُريد: أنَّه ظِلٌّ ولكنْ لا كسائرِ الظِّلالِ، سَمَّاه ظلًّا ثمَّ نفَى عَنه برْدَ الظِّلِّ ورَوْحَهُ ونَفْعَه مَن يَأوي إلَيه مِن أذَى الحَرِّ -وذلك كرَمُه- لِيَمحَق ما في مَدلُول الظِّلِّ من الاسترِواحِ إليه، والمَعنى: أنه ظِلٌّ حارٌّ ضَارٌّ، إلَّا أنَّ للنَّفِي في نحوِ هذا شأنًا ليسَ للإثباتِ.

وفيه تَهَكُّمٌ بأصْحابِ المَشأمة، وأنَّهم لا يستَأهِلُون الظِّلَّ البارِدَ الكريمَ الذي هُو لِأَضدَادِهم في الجنَّة، وقرِئ: "لا باردٌ ولا كريم" بالرَّفع؛ أي: لا هُو كذلك.

و﴿ٱلْحِنثِ﴾: الذَّنبُ العظيم، ومنه قولُهم: بَلغ الغلامُ الحنْثَ؛ أي: الحُلْم ووقْتَ المؤاخذَةِ بالمآثِمِ، ومنه: "حَنِث في يمينِه" خِلافُ "بَرَّ فيهَا"، ويُقال: تحنَّثَ؛ إذا تأثَّم وتحَرَّجَ.

قوله: (وذلك كَرَمُه) جملة معترضة، أي: نَفعُه كَرَمُه، أي: كَرَمُ الظِّلِّ.[1]

قوله: (حارٌّ ضارٌّ) قوله: "حارٌّ" هو معنى ﴿لَّا[2] بَارِدٍ﴾، وقوله: "ضارٌّ" معنى ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾.

قوله: (تأثَّمَ[3] وتحرَّجَ) أي: جانَبَ الإثمَ والحَرجَ.

---

[1] ن - قوله: (وذلك كَرَمُه) جملة معترضة، أي: نفْعُه كَرَمُه، أي: كَرَمُ الظِّلِّ.

[2] ن: الا.

[3] ن: نايم.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾ دَخلَتْ همزةُ الاستِفهام على حرف العطْفِ.

فإن قلتَ: كيف حَسُن العطْفُ على المضمر في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ من غيرِ تأكيدٍ بـ"نحنُ"؟

قلت: حَسُنَ للفاصِل الَّذي هُو الهَمزةُ؛ كما حَسُن في قوله: ﴿مَآأَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام ١٤٨/٦] لفَصلِ ﴿لا﴾ المُؤكِّدة للنفي.

وقرئ: ﴿أَوْآباؤنا﴾.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

وقرِئ: "لمُجَمَّعون".

﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: إلى ما وُقِّتَتْ بهِ الدُّنيا من يَوم معْلومٍ، والإضافةُ بمعنى "مِن"، كـ"خاتَم فضَّةٍ"، والميقاتُ: ما وُقِّتَ به الشَّيءُ؛ أي: حُدَّ، ومنه: مَواقيتُ الإحرام: وهي الحدُود التي لا يَتجاوَزُها مَن يُريد دُخول مكَّة إلا مُحرمًا.

﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهُدَى ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبَعث، وهم أَهْلُ مكَّةَ ومَن في مثلِ حالِهم.

قوله: (وقُرئ: ﴿أَوْءَابَآؤُنَا﴾)[١] فيكون عطفًا على اسم[٢] "إنّ" بعد مُضيّ الخبر، وذلك مُستحسَن.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ اليوم المعلوم: يوم القيامة، فبالجُزء[٣] الأوّل ينتهي الدنيا، فذلك الجُزء[٤] هو الذي جُعل علامةً لانتهاء الدنيا، فهو ميقات انتهاء الدنيا؛ إذ به عُلم انتهاء الدنيا.

---

١ قرأ بها ابن عامر وأبو جعفر ونافع بخُلف عن وَرش. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٥٧/٢.

٢ ن: أنتم.

٣ ن: فبالجز.

٤ ن: الجز.

﴿مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ ﴿مِن﴾ الأُولى لابتِداء الغايةِ والثانيةُ لبيانِ الشجَر وتَفسيرِه. وأَنَّث ضميرَ الشَّجر على المَعنى وذَكَّرهُ على اللَّفظِ في قوله: ﴿مِنْهَا﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾.

ومَن قرأ: "مِن شجرةٍ مِن زقُّوم" فقَد جَعَل الضميرَين لِلشجَرة، وإنما ذَكَّر الثَّانيَ على تأويلِ الزَّقُّومِ؛ لأنَّه تفسيرُها وهي في مَعناه.

﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ قرئ بالحركَات الثلاث، فالفتحُ والضمُّ مَصْدَرانِ، وعن جعفرٍ الصَّادِقِ: "أيَّامُ أكلٍ وشَرْبٍ" بفَتح الشين، وأمَّا المكسُورُ فبِمعْنى المَشرُوبِ؛ أي: مَا يَشرَبُه الهِيمُ، وهي الإبلُ الَّتي بها الْهُيَامُ، وهُو داءٌ تَشرَبُ منه فلا تَرْوَى، جَمْعُ أَهيَمَ وهَيْمَاءَ، ....

قوله: (وأنّثَ ضمير "الشجَر")... إلخ فيه لفّ ونشر. وقوله: (في قوله: ﴿مِنْهَا﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾) تنازَع[1] فيه "أنّثَ"[2] و"ذكّرَ".[3]

قوله: (ومَن قرأ: "مِن شَجَرَةٍ")... إلخ[4] يريد أنّ مَن قرأ: ﴿شَجَرٍ﴾ فالتذكير للنظر إلى اللفظ، والتأنيث للنظر إلى المعنى؛ لأنّه جمع "الشجرة"، ومَن قرأ: "شَجَرَةٍ" فالضميران للشجرة كما في القراءة الأُولى، ثمّ إنّ التأنيث ظاهر، والتذكيرَ[5] لأنّ الشجر هو الزَّقّوم.

قوله: (قُرئ بالحركات) أي: للشين.[6]

قوله: (أي: ما يَشْرَبه) هذا على تقدير الكسر،[7] وأمّا على[8] الضمّ والفتح فمصدر.

---

[1] ن: ينازع.

[2] ن: أنت.

[3] وفي هامش د ف: أي: أنّثَ في قوله: ﴿مِنْهَا﴾، وذكّرَ في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: **البحر المحيط** لأبي حيّان، ١٠/٨٦ (الواقعة، ٥٦/٥٢).

[5] ن: والتذكرة.

[6] قرأ: ﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ بضمّ الشين نافع وعاصم وحمزة وأبو جعفر، وقرأ باقي العشرة ﴿شَرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ بفتح الشين. وأمّا "شِرْبَ الهِيمِ" بكسر الشين فقراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة ومجاهد. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٨٣؛ **وشواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٣٦.

[7] وفي هامش د ف: على تقدير الكسر معناه: شارِبون مَشروبًا مثلَ مَشروب الهِيم في الكثرة.

[8] ن - على.

قَال ذُو الرُّمَّةِ:

فأَصْبَحْتُ كالهَيْماءِ لَا الماءُ مُبْرِدٌ صَدَاهَا ولا يَقضِي علَيها هُيَامُها

وقيل: الهِيمُ: الرِّمالُ، وَوجْهُه: أَن يكون جمعَ "الهَيَامِ" بفتح الهاء: وهو الرَّمْلُ الَّذي لا يتماسَكُ، جُمِعَ على فُعُل؛ كسَحابٍ وسُحُبٍ، ثم خُفِّفَ وفُعِل به ما فُعِل بجَمْع أبيَض، والمَعنى: أنَّه يُسَلَّط عليهم من الجُوع ما يَضطرُّهُم إلى أكلِ الزَّقُّوم الَّذي هُو كالمُهْل، فإذا مَلؤوا منه البُطونَ سُلِّط عليهم من العَطش ما يَضطرُّهُم إلى شُرْب الحَمِيم الذي يُقطِّعُ أَمعاءهُم فيَشربُونه شُرْبَ الهِيم.

فإن قلتَ: كيف صَحَّ عَطفُ الشَّارِبين على الشَّارِبين وهُما لِذواتٍ مُتَّفقةٍ وصِفتَانِ مُتَّفِقتانِ، فكانَ عطفًا للشَّيء على نفسهِ؟

قلتُ: لَيْستا بِمُتَّفقتَيْنِ مِن حيْثُ إنَّ كونَهُم شارِبين للحميمِ على ما هو عليه من تَناهِي الحَرارة وقَطْع الأمعَاء أَمْرٌ عَجيبٌ، وشُرْبُهمْ له على ذلك كما تَشْربُ الهيمُ الماءَ أَمرٌ عجيبٌ أيضًا، فكانَتا صِفتين مُختلِفتين.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦﴾

"النُّزُل": الرزْقُ الَّذي يُعَدُّ لِلنازلِ تكرِمةً لَهُ، وفيهِ تَهكُّمٌ كما في قولِه: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران ٣/٢١]، وكقَول أبي الشِّعر الضَّبِّيِّ:

وكنا إذا الجبَّارُ بالجَيْش ضَافَنَا جَعَلنا القَنَا والمُرهَفَاتِ لهُ نُزلَا

وقرئ: "نُزْلُهم" بالتخفيف.

قوله: / (قال ذو الرمّة: فأصبحَت)... البيتَ.[١] قوله: "صَداها"[٢] أي: عَطشَها. [٣٨٨و]
وقوله: "لا يَقضي عليها" أي: لا يقتلها العطش.

قوله: (كالمُهل) هو دُردِيُّ الزيت إذا كان حارًّا في غاية.[٣]

قوله: (ضافَنا) أي: نزل بنا ضَيفًا.

---

١ ف ن – البيت.

٢ ن: ضداها.

٣ ف: غايته.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧﴾

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تخصِيصٌ على التصديق: إمّا بالخَلْق لأنهم وإن كانوا مُصَدِّقين بهِ إلا أنَّهم لمّا كان مذهَبُهم خِلافَ ما يقتضِيه التصدِيقُ فكأنَّهم مُكذِّبُونَ بهِ، وإمّا بالبَعث؛ لأن مَن خَلَق أوَّلًا لم يمتَنِعْ عليه أن يَخلُق ثانيًا.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾

﴿مَّا تُمْنُونَ﴾: ما تُمنُونه؛ أي: تَقْذِفُونَه في الأرْحام من النُّطَفِ، وقرأ أبو السَّمَّال بفتح التاء، يقال: أَمْنى النطفةَ ومَناها، قال الله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم ٥٣/٤٦].

﴿تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾: تُقَدِّرُونَه وتصوِّرونه.

﴿قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ تَقديرًا، وقَسَمْناه عَليكم قِسمةَ الرِّزق على اختلافٍ وتفاوُتٍ كما تقتَضِيه مَشيئتُنا، فاختَلَفت أعمارُكم من قصيرٍ وطَوِيلٍ ومُتوسِّطٍ، وقرئ: ﴿قَدَرْنا﴾ بالتخفيف.

سبَقْتُه على الشَّيء: إذا أعجَزْتَه عَنه وغَلبْتَه عليه، ولم تُمكِّنْه منه، فمَعنى قَولِه: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾: إنَّا قادِرُونَ على ذلك لا تَغلِبُونَنا عَليهِ.

و﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾: جَمعُ مِثلٍ؛ أي: على أن نبدِّلَ مِنكُم ومكانَكُم أشبَاهَكم

قوله: (لمّا كان مذهبهم) مذهَبُهم[1] إنكار البعث، وهو النشأة الثانية، فكأنّهم بإنكارهم للنشأة الثانية منكِرون للنشأة الأولى.

قوله: (أبو السَّمّالِ) أبو السَّمّالِ باللام، وابن السَّمّاك بالكاف.

قوله: (أنْ نُبدِّل منكم) يشير إلى أنّ أحد المفعولين -وهو المتعدّى[2] إليه بحرف الجرّ- محذوف.

---

[1] ن - مذهبهم.

[2] ن: المتعدّي.

من الخَلْق، وعلى أن نُنشِئَكُم في خَلْقٍ لا تَعلَمونها وما عَهِدتم بمثلِها؛ يعني: إنَّا نقدِر على الأَمرين جميعًا؛ على خلقِ ما يُماثِلُكم وما لا يماثِلُكم، فكيف نَعجِزُ عن إعادتِكُم؟

ويجوز أن يكون ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ جمْعُ مَثَلٍ؛ أي: على أن نُبدِّلَ ونُغيِّرَ صفاتِكُم التي أنتُم عليها في خَلْقكُم وأخلاقكم، ونُنشئَكُم في صِفاتٍ لا تعلَمُونها.

قرئ: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ و﴿النَّشاءة﴾، وفي هذا دليلٌ على صحة القياسِ حيث جَهَّلهُم في تركِ قياس النشأةِ الأُخرَى على الأُولى.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ مِن الطَّعام؛ أي: تَبذُرُون حَبَّهُ وتعمَلُون في أَرْضِه ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾: تُنبِتُونه وتَردُّونَه نَباتًا يَرِفُّ ويَنمِي إلى أن يَبلغَ الغايةَ، ....

قوله: (مِن الخلق) بيان "الأشباه".[١]

قوله: (في خِلَقٍ) الخِلَقُ جمع الخِلْقَة، وهي الفِطرة.

قوله: (على خَلْق) هو بدل بتكرير الجارّ.[٢]

قوله: (جمع مَثَل) المِثْل والمَثَل والمَثِيل بمعنى الشِّبْه[٣] والشَّبَه والشَّبيه.[٤] ثمّ يُطلق المَثَل ويُراد به: القول السائرُ المُمَثَّلُ مَضْرِبُه بمورِده، ثمّ يُنقل مِن ذلك المعنى ويُراد به الصفة العجيبة الشأن. فذكر المصنّف أنّه يجوز أن يكون المراد بـ"المَثَل" الصفةَ العجيبة الشأن.[٥]

قوله: (يَرِفّ) رَفَّ لونه يَرِفُّ -بالكسر- رَفًّا ورَفيفًا، أي: بَرَق وتلألأ.[٦]

---

١ ن: الإشارة.

٢ ن: ايحار.

٣ ن: الشبهة.

٤ ن - والشبيه.

٥ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قال الحسن: «تندمون على ما سلَف منكم مِن المعصية التي أوجبت تلك العقوبة». معالم. | **معالم التنزيل** للبغوي، ٢٠/٨ (الواقعة، ٦٥/٥٦).

٦ **الصحاح** للجوهري، «رفف».

وعن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يقولنَّ أحدُكم: زَرعتُ، وليقُل: حَرَثْتُ» قال أبو هريرة: أرأيتم إلى قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم...﴾ الآية.

و"الحُطَام": مِن "حطَم" -كالفُتَاتِ والجُذاذِ من فَتَّ وجَذَّ- وهو مَا صَار هَشِيمًا وتَحطَّمَ.

﴿فَظَلْتُمْ﴾ وقرئ بالكسر، و: "فظَلِلْتُم" على الأصلِ.

﴿تَفَكَّهُونَ﴾: تعجَبُون، وعن الحَسَن رضي الله عنه: تَندمُونَ على تَعَبِكُم فيه، وإنفاقِكُم عليه، أو عَلى ما اقترفتُم من المعَاصِي التي أُصِبتُم بذلك من أجلِها.

وقرئ: "تَفكَّنون"، ومنه الحديثُ: «مَثَلُ العالِمِ كمَثَلِ الحَمَّة يَأتيها البُعداءُ ويتركُها القُرَباءُ، فَبَينا هُم كذلك إذ غار ماؤُهَا، فانتفَع بها قومٌ وبَقيَ قَومٌ يتفكَّنُونَ»؛ أي: يتَندَّمونَ.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: لملزَمُونَ غرَامةَ ما أَنفقنَا، أَو: مُهلكُون لهلاك رزقِنا، من الغَرام، وهو الهَلاك.

﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قومٌ ﴿مَحْرُومُونَ﴾ مُحارَفُونَ ....

قوله: (**قال أبو هريرة: «أرأيتم»**)[١] يعني: رواية هذا الحديث، قال: «أرأيتم -أي: أنظرْتم- إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ الآية»، فأشار أبو[٢] هريرة بقوله: «أرأيتم» إلى أنّ الآية تدلّ على[٣] أنّه لا ينبغي أن نقول: زرَعْت.

قوله: (**كمَثَل الحَمَّة**) الحَمَّة:[٤] العين الحارّة[٥] الماء يَستشفي بها المرضى[٦] والأعِلَّاء.[٧]

قوله: (**غرامةَ ما أنفقنا**) مِن البَذْر[٨] والمَئُونة، أي: غَرِمنا الحبَّ الذي بَذَرْنا، فذهب مِن غير عِوَضٍ.

قوله: (**مُحارَفون**) المُحارَف والمحدود: الممنوع مِن البَخْتِ وغيره.[٩]

---

١ صحيح ابن حبّان، ١٣/٣٠ (٥٧٢٣)؛ مسند البزّار، ١٧/٣٠٨ (١٠٠٦٣).

٢ ن: أبوا.

٣ ن – على.

٤ ن – الحمّة.

٥ ن: الجارة.

٦ ن: المرض.

٧ ف ن: والأعِلا.

٨ ن: البدن.

٩ الصحاح للجوهري، «حدد».

مَحدُودُون، لا حظَّ لنَا ولا بختَ، ولو كُنا مجدُودِين لَمَا جرَى علينا هذا.

وقرئ: ﴿أئنا﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠﴾

﴿ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ يريد: الماءَ العذبَ الصالح لِلشُرب، و﴿ٱلْمُزْنِ﴾: السَّحاب، الواحِدةُ: مُزْنةٌ، وقيل: هو السحابُ الأَبيضُ خاصَّةً، وهو أَعْذبُ ماء.

﴿أُجَاجًا﴾ مِلْحًا زعاقًا لا يُقدَرُ على شُربه.

فإن قلتَ: لم أُدخِلت اللام على جَوابِ ﴿لَوْ﴾ في قوله: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ ونُزِعت مِنه هَاهُنا؟

قلتُ: إن ﴿لَوْ﴾ لمَّا كانت داخلةً على جُملَتين مُعَلِّقةً ثانِيَتَهما بالأُولى تعليقَ الجزاء بالشرط، ولم تكُن مخلَصَةً لِلشرط كـ"إنْ"، ولا عامِلةً مِثلَها،

قوله: (مَحْدودون) بالحاء المُهملة. وقوله: (ولو كنّا مجدودين) بالجيم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: فظَلْتُم تَفَكّهون وتقولون:[١] إنّا لَمغرَمون. قال الضَّحّاك[٢] وابنُ[٣] كَيسان: «غَرِمْنا أموالنا وصار ما أنفقْنا غُرمًا علينا»، والمُغْرَم: الذي ذهب مالُه بغير عِوَضٍ، وهو قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ مَحْدودون ممنوعون حُرِمْنا ما كنّا نطلُبُه مِن الرَّيع[٤] في الزرع.[٥]

قوله تعالى: ﴿أُجَاجًا﴾ مشتقّ مِن الأجيج[٦] يَحْرِق[٧] الفَمَ[٨] بمُلوحته[٩] ومَرارته.[١٠]

قوله: ("لو"[١١] لم تكن مخلَّصة) وذلك لأنّ أمر الشرط فيه تقديري؛ لأنّ الشرط

---

١ ن: ويقولون.

٢ ن: الضحال.

٣ ن: وأبي.

٤ ن: الربع.

٥ معالم التنزيل للبغوي، ٢١/٨ (الواقعة، ٦٦/٥٦).

٦ ف: الأجيج؛ ن: الأحييج.

٧ ن: يحرف.

٨ ن: العم.

٩ ن: بمووحته.

١٠ وفي هامش د ف: قوله: (زُعاقًا) الماء الزُّعاق: المِلْح، وطعام مَزْعُوق إذا أُكثِر مِلْحه. صحاح. | لم أجده في مطبوع الصحاح، وانظر: مجمل اللغة لابن فارس، «زعق».

١١ ن – لو.

وإنَّما سَرى فيها مَعنى الشَّرطِ اتِّفاقًا من حيث إفادَتُها في مَضمُونَي جُملتَيْها أن الثانيَ امتنَع لامتناع الأول= افتَقَرَت في جَوابها إلى ما يُنصَبُ علَمًا على هذا التعلُّق، فزيدَت هذه اللَّام لتَكون عَلَمًا على ذلك، فإذا حُذفَتْ بعد ما صَارَت عَلَمًا مَشهورًا مكانُه؛ فلِأن الشيءَ إذا عُلم وشُهِرَ مَوقعُه وصار مَألُوفًا ومَأنُوسًا به لم يُبالَ بإسقاطِه عن اللفظ استغناءً بمعْرفَة السَّامِع.

ألا تَرى إلى ما يُحكَى عن رُؤبَة أنَّه كان يقول: "خَيْرٌ" لمَن قال له: كيف أَصبَحْتَ؟ فيَحذِفُ الجارَّ لِعِلْم كلِّ أحَدٍ بمكانِه، وتَساوِي حَالَي حَذفِه وإثباتِه لشُهرَة أَمْرِه، وناهيك بِقول أوْسٍ:

حتى إذا الكَلَّابُ قال لها كاليَومِ مطلُوبًا ولا طَلَبا

وحَذفِه: لَمْ أرَ، فإذَنْ حَذفُها اختصارٌ لفظيٌّ، وهي ثابتةٌ في المَعنى، فاستوى الموضِعانِ لا فرقَ بينهما، على أنَّ تَقَدُّمَ ذِكرِهَا -والمَسَافَةُ قصيرةٌ- مُغنٍ عن ذكرها ثانيةً ونائِبٌ عنه.

ويجوز أَن يقال: إنَّ هذه اللَّام مُفِيدَةٌ مَعنى التوكيدِ لا محالةَ، فأُدْخِلَت في آية المَطْعوم دون آية المَشرُوبِ للدلالة على أن أَمر المَطعُوم مُقدَّم على أمْر المَشْرُوبِ، وأن الوَعيد بفَقدِه أشدُّ وأَصْعَبُ من قِبَلِ أنَّ المشرُوبَ إنما يُحتاجُ إليه تَبعًا للمطعُوم، ألا تَرى أنَّك إنَّما تَسقِي ضَيفك بَعد أن تُطعِمَهُ، ولو عكسْتَ قعدتَ تحت قولِ أبي العلاء:

إنَّما هو تَوقيفُ أمرٍ[1] على أمرٍ، وذلك إنّما يتحقَّقُ في الاستقبال، و"لو" للمُضيّ،[2] فلا تكون شرطيّته بحقيقيّه. وقوله: **(فلأنَّ)** جواب **(فإذا)**.

قوله: **(مطلوبًا)** أي: الصيد. وقوله: **(ولا طَلَبًا)** جمع طالبٍ، وهو الكلب. وقوله: **(وحَذْفه)** أي: أوس. وقوله: **(حَذْفُها)** أي: حذف[3] اللام.

قوله: **(قول أبي العلاء:**[4]

---

[1] ن – الشرط فيه تقديري؛ لأنّ الشرط إنّما هو توقيف أمر. [3] ف: حرف.
[2] ن: للمعنى. [4] ن: العلا.

إذا سُقِيَتْ ضُيُوفُ النَّاسِ مَحْضًا سَقَوا أَضْيَافَهُم شَبِمًا زُلَالَا

وسُقِي بعضُ العربِ فقال: أنَا لا أَشرَبُ إلّا على ثَمِيلَةٍ. ولهذا قُدِّمَت آيةُ المَطعُوم على آية المَشْرُوبِ.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿تُورُونَ﴾: تَقْدَحُونَها وتستَخرِجُونَها من الزِّنادِ، ....

إذا سُقِيَتْ ضُيوفُ الناس محْضًا سَقَوا أضيافهم / شَبِمًا[1] زُلالًا)[2] [٣٨٨ظ]

"المَحْضُ": اللبن الخالص، وهو الذي لم يخالطه الماء.[3] و"الشَّبِمُ":[4] البارد. و"الزُّلال": الصافي.

قوله: (**إلّا على ثميلةٍ**) أي: على طعامٍ يكون في مَعِدتي. والثَّميلة: البقيّة تَبقى مِن العَلَف والشراب في بَطن البعير وغيره، وكلُّ بقيّةٍ ثَميلة.[5] ومنه: فلان ثِمال بني فلانٍ؛ إذا كان معتَمدَهم، قال أبو طالب عمُّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[6] في مَدْحِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:[7]

وأبيضُ يُسْتَسْقى الغَمام بوجهه ثِمالُ اليتامى عِصْمةٌ للأراملِ[8]

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ﴾ بدأ[9] بذِكر[10] خلْقِ الإنسان؛ لأنّ النعمة فيه سابقة على جميع النِّعَم، ثمّ بما فيه قِوام الناس وهو الحَبُّ، ثمّ بالماء الذي يُعْجَنُ به ويُشرَب عليه، ثمّ بالنار التي يُخْبَزُ بها، فصار مجموع الثلاثة طعامًا لا يَسْتَغني[11] عنه الجَسَد ما دام حيًّا.

---

١ ن: شيمًا.

٢ **ديوان سقط الزند** لأبي العلاء المعري، ١/٨٤.

٣ ف: الما.

٤ ن: والشيم.

٥ **الصحاح** للجوهري، «ثمل».

٦ د: عليه السلام.

٧ د: عليه السلام.

٨ **مجمل اللغة** لابن فارس، «ثمل».

٩ ن: هذا.

١٠ ن: يذكر.

١١ ن: يستغنى.

والعَربُ تَقدَحُ بعُودَين تحُكُّ أحدَهما على الآخر، ويُسمُّونَ الأَعْلَى: الزَّنْدَ، والأسفَل: الزَندَة، شبَّهُوهما بالفحلِ والطَّرُوقةِ.

﴿شَجَرَتَهَا﴾ التي مِنها الزّنادُ.

﴿تَذْكِرَةً﴾: تذكيرًا لنار جَهنَّم حيث عَلَّقنا بها أَسبَاب المعَايِشِ كُلِّها، وعَمَّمنا بالحاجَة إليهَا البَلوى لتكونَ حاضِرةً للنَّاسِ يَنظُرُون إليهَا ويذكُرون ما أُوعِدُوا به.

أَو: جَعلناهَا تذكرةً وأُنموذجًا مِن جهنم؛ لِمَا رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نارُكُم هذه التي يُوقِدُ بنو آدمَ جُزءٌ مِن سَبعينَ جُزءًا من حَرِّ جهنم».

﴿وَمَتَاعًا﴾: ومنفعةً ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾: للَّذين يَنزِلُون القَوَاءَ، وهي القَفْرُ، أو: للَّذين خَلَتْ بُطونُهم أو مَزاودُهُم من الطَّعام، يُقال: أَقوَيتُ من أيَّامٍ؛ أي: لم آكُل شيئًا.

قوله: (والطَّروقة) طَروقة الفَحْلِ: أُنثاه،[1] يقال: ناقةٌ طَروقةُ الفَحْلِ؛ للتي[2] بَلَغَت أن يَضرِبها الفَحْل.[3]

قوله: (البَلْوى) أي: الاختبار والامتحان،[4] أي: عمَّمْنا الامتحان بها لاحتياج[5] جميع الناس إليها في أكثر الأوقات.

قوله: (وأُنموذَجًا) النَّمُوذَجُ والأُنْمُوذَجُ تَعريب "نُموذَهْ".[6]

قوله: (مِن أيّام) أي: مُنْذ أيّام. وإنّما فسَّرنا "مِن" هذه[7] بـ"مُنْذُ" لأنّ مذهب[8] البصريّين[9] أنّ[10] "مِن" للابتداء[11] في غير الزمان، و"منذ" للابتداء في الزمان.

---

١ ن: وأنثاه.

٢ ن: التي.

٣ **الصحاح** للجوهري، «طرق». | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿شَجَرَتَهَا﴾ أي: شجرتَها التي تُقْدَح منها النار، وهي المَرخ والعفار. **معالم**. | **معالم التنزيل** للبغوي، ٢١/٨ (الواقعة، ٧٢/٥٦).

٤ ن: والامتكان.

٥ ن: لاحياج.

٦ **المُغرب** للمطرّزي، «نمذج».

٧ ن: مده.

٨ ن: مدت.

٩ ن: النصرير.

١٠ ن: أي.

١١ ن: الابتداء.

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾: فأَحدِثِ التَّسبيحَ بذكر اسمِ ربِّك، أو أراد بالاسمِ: الذكرَ؛ أي: بذكرِ ربِّك، و﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ صفةٌ للمضاف أو للمضاف إليه.

والمعنى: أنَّه لمَّا ذكرَ ما دل على قدرتِه وإنعامِه على عبَادِه قال: فأَحدِثِ التَّسبيحَ، وهو أن تقُول: "سُبحان الله"، إمَّا تنزيهًا له عمَّا يقُولُ الظالِمُون الذينَ يجحَدُونَ وحدانيَّتَهُ ويَكفُرون نِعمتَهُ، وإمَّا تعجُّبًا من أمرِهم في غَمْطِ آلائه وأَياديهِ الظاهِرة، وإمَّا شكرًا لله على النِّعم التي عدَّها ونبَّه عليها.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ معناه: فأُقسِمُ، و﴿لا﴾ مَزيدةٌ مؤكِّدةٌ، مِثلها في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد ٢٩/٥٧].

وقرأ الحسن: ﴿فَلَأُقۡسِمُ﴾، ....

قوله: (فأَحدِثْ) وإنَّما فسَّره بقوله: "أَحدِثْ" لأنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم[١] كان مُشْتَغِلًا[٢] بالتسبيح غير مُعْرِض[٣] عنه،[٤] فذكر أنَّ المراد الإحداث والاستمرار.[٥] وقوله: (بذكر اسم ربِّك) يشير بهذا إلى أنَّ "الباء"[٦] هنا للآلة، أي: سَبِّحْ بأن تَذكُرَ اسمي، ولا بدَّ في إفادة هذا المعنى مِن أحد أمرين: إمَّا تقدير المضاف، وهو الذِّكر، أو أن يكون "الاسم" بمعنى "الذِّكر"، وإمَّا كون "الاسم" بمعنى "الذِّكر"؛ فذلك لأنَّ الاسم مِن السُّموّ بمعنى الرِّفْعة؛ لأنَّ التسمية تنوية[٧] بالمسمَّى وإشادة[٨] بذكْره.

---

١ د: عليه السلام.
٢ ن: مشتعلًا.
٣ ن: معترض.
٤ ن: فيه.
٥ ن: الاستمرار.
٦ ن: البا.
٧ ن: تعويه.
٨ ن: وإساره.

ومعناه: فَلَأنَا أُقسِمُ، اللَّامُ لامُ الابتداءِ دَخلَتْ على جُملةٍ مِن مُبتدإٍ وخبَرٍ، وهي: أَنا أُقسِمُ؛ كقَولك: "لزيدٌ مُنطلقٌ"، ثم حُذِف المُبتدأ، ولا يصح أن تكون اللَّامُ لامَ القسمِ لِأمرين:

أحدُهما: أن حقَّها أن تُقرَنَ بها النونُ المؤكِّدةُ، والإخلالُ بها ضعِيفٌ قبيحٌ.

والثاني: أن لَأفعلنَّ، في جواب القَسم للاستقبال، وفِعلُ القَسم يجبُ أن يكون للحالِ.

قوله: (ومعناه: فلَأنا أُقسِمُ) إنّما قدّر المبتدأ لأنّ لام الابتداء[١] لا يدخل[٢] على الجملة الفِعليّة.

قوله: (والإخلال بها) أي: بالنون المؤكِّدة، أي: تركُ النون في جواب القسَم مع وجود اللام.

قوله: (والثاني: أنّ[٣] "لَأفعَلَنَّ")... إلخ فلو كان "لَأُقسِمُ" جواب القَسم لَكان "لَأُقسِمُ" بمعنى الاستقبال، لأنّك إذا قلتَ: واللهِ لَأُكرِمنّ زيدًا، واللهِ لَأنْصُرَنّ بَكرًا، واللهِ لَأضرِبَنّ خالدًا؛ يكون هذه[٤] الأفعال بمعنى الاستقبال، وفِعل القَسَم في مثل قولك: "أُقسِمُ[٥] بالله" و"أحلِفُ[٦] بالله" وما أشبَههما لا يجوز أن يكون للاستقبال،[٧] وإلّا لا يكون ذلك قَسَمًا؛ بل إخبارًا بأنّه[٨] سيَحلِفُ[٩] وسيُقسِم، ويَفسُد المعنى، وهذا نَحوٌ مِن[١٠] قولهم: "إذا" في قوله تعالى: ﴿إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل ١/٩٢] لا يجوز أنْ يكون شرطيّة؛ بل هو لِمجرَّد الظرف، وإلّا لَزِمَ تقييد[١١] القسَم بزمان الاستقبال، / فلا يكون قَسَمًا. [٣٨٩و]

وقوله: (وفِعلُ القَسَم يجب)... إلخ ويلزم مِن هاتين المقدّمتين أنّ "لَأفعَلَنَّ" فيه لا يكون فِعلَ القسَم، وتقريره أن نقول: "لَأفعَلنَّ" في جواب القسَم

---

١ ن: الابتدا.
٢ ف: تدخل.
٣ ن – أنّ.
٤ ن: مدة.
٥ ن: وأقسم.
٦ ن: وأخلف.
٧ ن: الاستقبال.
٨ ن: باته.
٩ ن: ستحلف.
١٠ ن – من.
١١ ن: يفسد.

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾: بمَساقِطها ومَغاربها، ولَعَلَّ للهِ تعالى في آخرِ اللَّيلِ إذا انحطَّت النُّجُومُ إلى المَغرب أَفعالًا مخصُوصَةً عظِيمةً، أَو لِلملائكة عِباداتٍ مَوْصُوفةً، أو لِأَنَّه وَقتُ قيامِ المُتَهَجِّدِينَ والمُبتَهلين إليه من عبَادِهِ الصَّالِحين ونُزُولِ الرَّحمةِ والرِّضوانِ علَيْهم؛ فلِذلكَ أَقسم بمَواقعها، واستَعظمَ ذلك بقَوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

أَو أَراد بمَواقعها: مَنازِلَها ومَسايرَهَا، وله في ذلك من الدَّليل على عظيم القُدرة والحِكمةِ ما لا يُحيط به الوصْف.

وقولُه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراضٌ في اعتراضٍ؛ لأنه اعتُرِض به بَيْنَ القَسَم والمُقسَم عليه، وهو قولُه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ واعتُرض بـ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ بين المَوصوف وصِفته.

وقيل: مَواقعُ النجُومِ: ....

يجب أن يكون للاستقبال، وفِعل القسم لا يمكن أن يكون للاستقبال، فيلزم أنّ "لأَفْعَلَنَّ" في جواب القسَم لا يكون فِعلَ القسَم.

قوله: (بمَساقِطِها) سقَطَ الشيءُ، أي: وقع على الأرض، وسقطَ النجم، أي: غاب؛ مجاز.[1] وقوله:[2] (ومَغارِبها) مِن العطف الذي للبيان. وقوله: (ولعلّ لله)[3] إشارة إلى سبب تخصيص المواقع بالذكر.

قوله: (اعتراض في اعتراض) كأنّه قال: إنّه جملة معترِضة فيها جملة معترِضة، أو جملة معترِضة في جملة معترِضة.[4]

قوله: (وقيل: "مَواقع النجوم": أوقاتُ)... إلخ يشير بذلك إلى أنّه إنْ كان المراد بـ﴿ٱلنُّجُومِ﴾ نجومَ القرآن كان "المواقع"[5] اسمَ الزمان. ويقول أضعف عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربردي:[6] لا يَبعُد على هذا الوجه أيضًا

---

١ المُغرب للمطرّزي، «سقط».
٢ ن + غاب.
٣ ن: الله.
٤ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ﴾ أي: إنّ هذا الكتابَ. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٢٢/٨ (الواقعة، ٧٧/٥٦).
٥ ف: الواقع.
٦ د: الجابردي.

أَوقاتُ وقُوعِ نجُومِ القرآن؛ أي: أوقاتُ نُزُولِهَا.

﴿كَرِيمٌ﴾: حَسنٌ مَرضيٌّ في جِنسِه من الكُتُبِ، ....

أن يكون المراد بـ"المواقع" اسم المكان، فكأنّه أقسم تعالى بصدر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[١] أو بقلبه صلّى الله عليه وسلّم[٢] الذي يَنْزِل عليه القرآن تعظيمًا وتكريمًا له صلوات الله وسلامه عليه.[٣]

قال في الوسيط: «عن ابن عبّاس رضي الله عنهما[٤] في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر ١/٩٧]: 'أنزل القرآن جملةً واحدةً في ليلة القدر[٥] إلى السماء[٦] الدنيا، فكان بمَوقع النجوم، وكان الله تعالى يُنزِلُه على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٧] بعضَه في إثر بَعضٍ'».[٨]

وقوله: (أوقاتُ وقوع) فالمَواقع: وقت الوقوع، و"النجوم": كلّ حصّة مِن الآي التي تَنْزل في كلّ وقت، وقد كتَبنا تمام تحقيق هذا في أوّل الكتاب.

قوله: (﴿كَرِيمٌ﴾ حَسَنٌ مَرْضِيٌّ) فإنّ الكريم مِن كلّ[٩] شيء أحسَنُه. الكريم صفة لكلّ ما يُرضَى ويُحمَد في بابه، يقال: وجهٌ كريمٌ؛ إذا رُضِي في حُسْنه وجماله، وكتاب كريمٌ[١٠] مَرْضِيٌّ[١١] في معانيه وفوائده، قال:

ولا يَخِيمُ[١٢] اللقاءَ[١٣] فارسُهُم[١٤]   حتّى يَشُقَّ الصفوفَ مِن كَرمِهْ[١٥]

أي:[١٦] مِن كونه مرضيًّا في شجاعته وبأسه، والثبات الكريم المَرضي

---

١ د: عليه السلام.

٢ د: عليه السلام.

٣ د: عليه السلام.

٤ د – رضي الله عنهما.

٥ ن – أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر.

٦ ف: السما.

٧ د: عليه السلام.

٨ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٣٢/٤ (القدر، ١/٩٧).

٩ ن – كلّ.

١٠ ن + يم.

١١ ن: مرض.

١٢ ن: يحتم.

١٣ ف ن: اللقا.

١٤ ف: فوارسُهم.

١٥ لبعض شعراء حمير في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٣٣٣/١.

١٦ ن – مِن كرمهْ أي.

أَو: نَفَّاعٌ جَمُّ المَنافعِ، أَو: كريمٌ على الله.

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾: مَصُونٍ مِن غير المُقرَّبينَ من المَلائكةِ لا يَطَّلِعُ عَليه مَن سِوَاهُم -وهُم المُطَهَّرُونَ من جميع الأَدناس: أَدناسِ الذُّنُوب وما سِواها- إن جَعلتَ الجملةَ صفةً لـ﴿كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ وهو اللَّوحُ.

وإن جعَلْتَه صفةً للقرآن فالمعنى: لا ينبَغي أن يَمسَّه إلَّا مَن هو على الطَّهارة من النَّاسِ؛ يَعْني: مَسَّ المكتُوب مِنه، ومِن النَّاسِ مَن حَملَه على القراءةِ أيضًا، وعن ابن عُمرَ: أَحَبُّ إليَّ أَن لا يَقرأَ إلَّا وهو طَاهرٌ، وعن ابن عباس في روايةٍ: أَنَّه كان يُبيحُ القراءةَ للجُنُبِ.

ونحوُه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المُسْلِمُ أَخُو المُسلِمِ لا يَظلمُه ولا يُسلِمُه»؛ أَي: لا يَنبغي لهُ أَن يَظلمَهُ أَو يُسلِمَهُ.

وقرئ: "المُتَطهِّرونَ"، و: "المطَّهِّرونَ" بالإدْغامِ، و: "المُطْهَرُون" مِن أَطهَره بمَعنى: طَهَّرهُ، و: "المطهِّرون" بمعنى: يُطهِّرُون أنفسَهُم أَو غيرَهُم بالاستِغفار لهُم والوحي الذِي يُنزِلُونه.

﴿تَنزِيلٌ﴾ صفةٌ رابعةٌ للقرآن؛ أي: مُنزَّلٌ من ربِّ العالمين، أو وَصْفٌ بالمَصدر لأنه نُزِّل نجومًا من بين سائر كتُب الله، فكأنَّه في نَفسه تَنزيلٌ، ولِذلك جَرى مَجْرى بَعضِ أسمائهِ فقيل: جاء في التنزيل كذا، ونَطق به التنزيلُ، أَو: هُو تَنْزِيلٌ، على حذْفِ المُبتدأِ.

فيما يتعلّق به[1] مِن المنافع.[2] وقوله: (أو نَفَّاعٌ) فإنّ الكريم يقال لمَن كان جَوادًا كثيرَ النفع.

قوله: (وعن ابن عمر رضي الله عنهما)[3] حملَه[4] على الندب.

قوله: (أو غيرهم) هم الملائكة الذين يُطهِّرون غيرهم بالاستغفار والوحي.

قوله: (لأنّه نُزِّل) إشارة إلى وجه صفته بالمصدر الذي هو التنزيل.

---

[1] ن - به.
[2] ن: المانع.
[3] د - رضي الله عنهما.
[4] ف ن: جملة.

وقرئ: "تنزيلًا" على: نُزِّل تَنزِيلًا.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يَعني: القرآنَ ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾؛ أي: مُتهاوِنُونَ بهِ كمَن يُدْهِنُ في الأَمْرِ؛ أي: يُلينُ جانبَه ولا يَتصلَّبُ فيه تَهاونًا بهِ.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ على حذفِ المضافِ؛ يعني: وتجعلُونَ شُكْرَ رزقكم التكذيبَ؛ أي: وَضعْتُم التكذيبَ مَوضع الشُّكر، وقرأ عليٌّ رضي الله عنه: "وتجعلونَ شُكْرَكم أنكم تكذِّبون"، وقيل: هي قراءةُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، والمَعنى: وتَجعلُونَ شكرَكم لِنعمةِ القرآنِ أنّكم تكذِّبُون بهِ، وقِيل: نَزلَت في الأَنواء ونسبَتهم السُّقيَا إليها.

و"الرِّزقُ": المَطرُ؛ يَعني: وتجعلُون شُكرَ ما يَرزقُكم الله من الغَيثِ أنكم تُكذِّبُون بكَونه مِن الله حَيثُ تَنسبُونه إلى النجُومِ.

وقرئ: "تَكْذِبون" وهو قولُهم في القرآنِ: سِحْرٌ وشعرٌ وافتراء، وفي المَطر: هو من الأَنواءِ، ولأن كُلَّ مُكذِّب بالحقِّ كاذِبٌ.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

ترتيبُ الآيةِ: فلولا تَرجِعُونَها إذا بلغَتِ الحُلقومَ إنْ كنتم غيرَ مَدينينَ،

قوله: (ولأنَّ كلَّ مُكذِّب) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (وهو قولهم)، فيكون مِن قَبيل الكناية؛ لأنّه ذكر الكذب وأراد التكذيب،[1] وهو مِن لوازم التكذيب كما ذكر.

قوله: (ترتيب الآية)... إلخ وإنّما كان الترتيب هكذا لأنّ "لولا" هنا للتحضيض[2] بمعنى "هَلَّا"، والغرَض طلب رجع النَّفْس منهم لإظهار عَجْزهم والتَّهكُّم بهم،

[1] ف: التكذب.
[2] ف ن: للتخصيص.

و﴿فَلَوۡلَآ﴾ الثَّانِيةُ مكرَّرةٌ للتوكيد، والضميرُ في ﴿تَرۡجِعُونَهَآ﴾ لِلنَّفسِ وهي الرُّوحُ

فكان أصلها أن تدخُلَ فعل الرَّجْعِ، لكن قُدِّم ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ لشدَّة / العناية بذكر تلك الحالة المكروهة،[1] وظهورِ عجزهم عندها، ثمّ ذكر عَقيبه: ﴿وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾ لزيادة بيان عجزهم. [٣٨٩ظ]

قال في **الوسيط**: «قال صاحب **النَّظْم**:[2] معنى ﴿تَنظُرُونَ﴾ ههنا: لا يمكنكم الدَّفْع، ولا تَملكون[3] شيئًا».[4]

ثمّ أكّد[5] ذلك زيادةَ تأكيدٍ لقوله: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ﴾، أي: كيف تَقدرون فإنّا أقرب بالقُدرة، وإنّ ملائكتَنا حاضرون عنده، مشتَغِلون بقَبْضِ روحه.

«قال المفسِّرون: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ﴾ يعني: ملكَ الموت وأعوانَه، والمعنى: ورُسلُنا القابضون روحَه ﴿أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾ أولئك الذين حضَروه».[6] فأكّد حضورَهم بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾.

ولمّا ترتّب الكلام على هذا الوجه للمعنى الذي ذكرناه، وكان وقتُ ذِكرِ مدخول ﴿فَلَوۡلَآ﴾، وهو ﴿تَرۡجِعُونَهَآ﴾؛ ذكَرَ ﴿فَلَوۡلَآ﴾ مرّةً أُخرى تأكيدًا للطلب الإنكاريّ والتعجيزيّ، ولِبُعدها عن مدخولها لفظًا، ثمّ ذكَرَ بعد "لولا" المُكرَّرة ﴿إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ﴾ زيادةً على الزيادة لبيان عَجْزِهم، أي: إنكم مَربوبون عاجزون مُحاسَبون مَجزيُّون، فكيف تقدرون على ذلك؟ ثمّ ذكَرَ ﴿تَرۡجِعُونَهَآ﴾، أي: النفْس أو[7] الروح، ثمّ ذكَرَ قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ بعد جميع ذلك لبُعد صِدقِهم وبيانِ أنّه كالمُمتنع التحقّق، ولذلك ذكر بلفظة ﴿إِن﴾.

---

[1] ن: الملرومة.

[2] يعني: أبا عليّ الحسن بن يحيى الجرجاني، صاحبَ **نظم القرآن**. انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٢/١٥٥؛ **وتاريخ جرجان** للسهمي، ص ١٨٧.

[3] ن: ولا يملكون.

[4] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٤/٢٤١ (الواقعة، ٥٦/٨٤).

[5] ن: ألد.

[6] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٤/٢٤١ (الواقعة، ٥٦/٨٥).

[7] ن: إذ.

وفي ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ لِلمُحتَضَر.

﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: غيرَ مَرْبُوبينَ، من دانَ السُّلطانُ الرَّعِيَّةَ: إذا سَاسَهُم.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يا أهلَ الميّتِ بقُدْرَتِنا وعلْمِنا، أو بملائكةِ المَوت.

والمعنى: إنكمُ في جُحُودكم أفعَالَ الله تعالى وآياتِهِ في كلِّ شيءٍ، إن أنزلَ عليكم كتابًا مُعجزًا قُلتُم: سحْرٌ وافتراءٌ، وإنْ أَرْسَلَ إليكم رَسولًا صَادِقًا قلتُم: ساحرٌ كذَّابٌ، وإن رَزقكُم مَطرًا يُحْييكُم بهِ قُلْتُم: "صَدَقَ نَوْءُ كذا"=

ثمّ إنّ المصنّف رحمه الله[١] أشار بقوله: (والمعنى:[٢] أنكم)... إلخ إلى كيفيّة[٣] ترتُّب قوله: ﴿فَلَوْلَا﴾ على ما قبله بلفظة "الفاء"،[٤] وبيَّن كونه مسبَّبًا عمّا قبله، فقوله: (إنْ أنزلَ) إلى قوله: (كذّابٌ) مستفادٌ مِن قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾؛ لأنّه بان كُفرهم بالقرآن والنبيّ وطعنُهُم فيهما. وقوله: (وإنْ رزقكم) إلى قوله: (والتعطيل) مستفاد مِن قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾. وقوله: (فما لكم) هو معنى ﴿فَلَوْلَا﴾... إلخ. وأشار إلى أنّ "لولا" هنا للطلب المولِّدِ للتعجيز والتهكّم بهم. تأمّل فيه تطّلِع على[٥] لطائفَ،[٦] واسألِ التوفيق في إدراك مستَنبَطاتِ المعاني، ولا تَحْرِص إلّا على خَفِيّات الرموز، واعرِفْ حقَّ مَن صار سببًا في استخراجه، وتأمّل[٧] قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.[٨]

قوله: (للمُحتَضَرِ) المُحتَضَر -بفتح الضاد-: المريضُ المُشرِف على الموت؛ لأنّه احْتَضَره[٩] المَلك. وقوله: (في جُحودكم)...[١٠] إلخ هذه الجملة الظرفيّة خبر "أنّ"، أي: أنتم مستقِرُّون في جُحودِ أفعال الله تعالى وآياته. وقوله: (في كلّ شيء) متعلّق بـ"أفعال وآيات". وقوله: (إن أنزل)... إلخ بيان استقرارهم[١١] في الجُحود.

---

١ د ن - رحمه الله.
٢ ن - ولذلك ذكر بلفظة "إنّ"، ثمّ إنّ المصنّف أشار بقوله: (والمعنى).
٣ ن: كيفة.
٤ ن: الفا.
٥ ف + فوائد.
٦ ف: ولطائف.
٧ ن + في.
٨ ن: تذكرون.
٩ ن: احتص.
١٠ ن: ححودلم.
١١ ن: استفرارهم.

على مذهبٍ يُؤَدِّي إلى الإهْمال والتَّعطيلِ، فما لكم لا تَرجِعُونَ الرُّوحَ إلى البدَنِ بَعد بلُوغِه الحُلقومَ إن لم يكُن ثَمَّ قابِضٌ، وكنتُم صادقِينَ في تعْطِيلكم وكُفرِكُمْ بالمُحْيي المُميتِ المُبدِئ المُعِيدِ؟

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ المُتوفَّى ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: من السابقين من الأزواج الثَّلاثةِ المذكورَة في أوَّل السُّورة ﴿فَرَوْحٌ﴾: فلَه استِراحَةٌ.

ورَوَتْ عائشةُ رضي الله عنها عن رسول الله علَيْه السَّلام: ﴿فرُوحٌ﴾ بالضَّم، وقَرأَ به الحسنُ وقال: الرُّوحُ: الرَّحمةُ؛ لأَنها كالحَياة للمَرحُوم.

وقيل: البقاءُ؛ أي: فهذانِ لَهُ مَعًا، وهُو الخُلودُ معَ الرِّزقِ وَالنَّعيمِ. و"الريحانُ": الرِّزقُ.

وقوله: (على مذهبٍ يُؤدِّي) أي: على طريقة ووَجه يؤدِّي إلى الإهمال، ويشير به إلى أنَّهم لو قالوه لا على ذلك الوجه لا يكون فيه بأس. وقوله: (إن لم[1] يكن[2] ثمَّة قابض) إشارة إلى معنى قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ كما أشرنا إليه في الحاشية.

قوله: (مِن الأزواج) حال مِن الضمير المستتر في "السابقين"، و"مِن" فيه للتبعيض. وقوله: (مِن / السابقين) أبدله مِن قوله: (مِن المقرَّبين) بطريق البيان.[3] [٣٩٠و]

قوله: (فهذان[4] له معًا) هذا على التفسير بالبقاء. وقوله: (وهو الخُلود مع الرزق) الخُلود هو معنى "الرَّوح"، والرزق معنى[5] "الرَّيحان".

---

[1] ن: ما.
[2] ف: يك.
[3] وفي هامش د ف: قوله: (وقال: "الرُّوح": الرحمة) فعلى هذا استعارة، والجامع بين الرُّوح والرحمة كونُ كلّ منهما سببًا لِحُسن حال الشيء؛ الرُّوح سبب حُسْنِ حال الحَيّ، والرحمة سبب حُسنِ حال المَرحوم. قوله: (وقيل: البقاء) فعلى هذا مِن قَبيل ذكر السبب وإرادة المُسبَّب، فإنَّ الرُّوح سبب للبقاء، فيكون مجازًا مرسلًا.
[4] ف: مَهذان؛ ن: فهدانّ.
[5] ن: مع.

﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾؛ أي: فسَلامٌ لك يا صَاحِبَ اليَمينِ مِن إخوانِك أَصحابِ اليَمين؛ أي: يُسلِّمُونَ عَلَيك، كقوله: ﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ [الواقعة ٢٦/٥٦].

﴿فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ كقوله: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة ٥٦/٥٦] وقرئ بالتَّخفيف.

﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ قُرِئَتْ بالرَّفع والجرِّ عطفًا على ﴿نزلٌ﴾ و﴿حَمِيمٖ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذي أُنزِلَ في هذه السُّورة، ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾؛ أي: الحقُّ الثابتُ من اليقينِ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سورةَ الواقعة في كلِّ ليلةٍ لم تُصِبْه فَاقَةٌ أبدًا».

قوله: (يا صاحبَ اليَمين) يشير به إلى أنَّ في الكلام حَذْفًا، والتقدير:[١] إنْ كان مِن أصحاب اليمين يُقال له: سلام عليك يا صاحبَ اليمين، فالقول محذوف، والمراد بالخطاب هو صاحب اليمين. وقوله: (مِن إخْوانك أصحابِ اليمين) تفسير قوله: ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾.

قوله: (وقُرِئ بالتخْفيف) أي: بسكون الزاي.[٢]

قوله: (عطفًا على "نُزُلٌ" و"حَمِيم") فيه لفّ ونشر.

قوله: ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ أي: الحقُّ الثابت،[٣] قيل: هذا[٤] إضافة الشيء إلى نفسه، وامتنع[٥] عنه البصريّون، وقالوا: التقدير: حقّ الأمر اليقين. واليقين: عِلمٌ[٦] يَحصُل به ثَلَجُ الصدر، ويسمَّى بَرد اليقين، وقيل: هو عِلْم يحصُل بالدليل.[٧]

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنّه.[٨]

---

١ ن: فالتقدير.

٢ ن – قوله: (وقُرئ بالتخفيف) أي: بسكون الزاي. | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: ما ذكر مِن قِصّة المحتَضِرين. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٢٧/٨ (الواقعة، ٩٥/٥٦).

٣ ن: التابت.

٤ ن: هو.

٥ ن: وامتنع.

٦ ن – علم.

٧ انظر: فتوح الغيب للطيبي، ٢٢٦/١٥.

٨ ف ن – ومَنّه.

سورة الحديد

مدنية، وقيل: مكية، وهي سبعٌ -وقيل: تسعٌ- وعشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾

جاء في بعض الفواتح: ﴿سَبَّحَ﴾ على لفظ الماضي، وفي بَعضها على لفظِ المضارِعِ، وكلُّ واحدٍ منهما مَعناه: أَنَّ مِن شأنِ مَن أُسنِد إليه التسبيحُ أَن يُسبِّحَهُ، وذلك هِجِّيرَاهُ ودَيْدَنُه، وقد عُدِّي هذا الفعلُ باللَّام تارَةً، وبنفسِه أُخرى في قَوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح ٩/٤٨]، وأَصْلُه التَّعدِّي بنفسِه؛ لأن معنى "سَبَّحْتُه":

سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (**جاء في بعض الفواتح**: ﴿سَبَّحَ﴾) بدأ بسورة بني إسرائيل بلفظ المصدر، والحديد والحشر[2] والصفّ بلفظ[3] الماضي، والجمعة[4] والتغابن بلفظ المستقبل، وسورة الأعلى بلفظ الأمر؛ استيعابًا لهذه الكلمة مِن جميع جهاتها، وهي أربع: المصدر، والماضي، والمضارع، والأمر، فحسب.

قوله: (**أن يُسَبِّحَه**) أي: أن يُسبّح لله[5] تعالى، والضمير المرفوع منه عائد إلى (**مَن أسنِد إليه التسبيح**). وقوله: (**وذلك**) أي: التسبيح. وقوله: (**هِجّيراه**) أي: عادته، والضمير أيضًا عائد إلى "مَن".

---

[1] ف ن - وبه نستعين.
[2] ن: الحشر.
[3] ن: بلفض.
[4] ن: والصفّ.
[5] ف: الله.

بَعْدتُه عن السُّوءِ، مَنقُولٌ من "سَبَح": إذا ذَهَبَ وبَعُدَ.

فاللَّامُ لا تَخلُو: إمَّا أن تكونَ مثلَ اللَّام في: نَصَحتُهُ ونَصَحتُ لَه، وإمَّا أن يُرادَ بـ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾: أَحدثَ التَّسبيحَ لأجلِ اللهِ ولوَجْهِهِ خالِصًا.

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما يَتأَتَّى منه التَّسبيحُ ويَصِحُّ.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾

فإن قلتَ: ما محَلُّ ﴿يُحْىِۦ﴾؟

قلتُ: يجوز أن لا يكون له محَلٌّ ويكونَ جملةً برأسها، كقوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة ١٠٧/٢]، وأن يكون مَرفوعًا على: هو يُحيي ويُميت، ومَنصوبًا حالًا من المَجْرورِ في ﴿لَهُۥ﴾ والجَارُّ عَامِلًا فيها.

ومَعناه: يُحيِي النُّطَفَ والبَيْضَ والمَوتَى يومَ القيامةِ، ويُميتُ الأحْياء.

قوله: (فاللام)[١] حاصلُه أنَّ "اللام" إمَّا زائدة بناء[٢] على أنَّ ﴿سَبَّحَ﴾ متعدّ، وإمَّا أُتِي به لأنَّه أجري ﴿سَبَّحَ﴾ مُجرى الفِعل اللازم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قال المُحقّقون: لا يقال لله: أوّل الأشياء؛ لأنّها لا توافقه، ولا هو مثلها، و"أفعَل" مضاف[٣] إلى ما[٤] هو منه. و"أوّل" يأتي على[٥] ثلاثة أوجه: اسم منصرف، تقول: ما تركتُ له أوّلًا ولا آخِرًا، أي: لا قديمًا ولا حديثًا. ويأتي[٦] صفة، ويلزمه "مِن" أو الألف واللام أو الإضافة، وقد يُحذف "مِن" وهي مُرادة، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه ٧/٢٠]، ويأتي[٧] ظرفًا، نحو: ما رأيتُه منذ عامٍ أوّلُ، ويُبنى على الضمّ كالغايات، والذي جاء في حقّ الله تعالى هو الاسم، لا الوصف، وفاءُ فِعله وعَينُه واوان، وليس له في كلام العرب نظير.

---

١ ف: واللام.

٢ ن: بنا.

٣ ن: مضا.

٤ ن: مو.

٥ ن: عليه.

٦ ن: وتأتي.

٧ ن: وتأتي.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾: هو القديمُ الَّذي كانَ قبلَ كلِّ شيءٍ ﴿وَٱلْآخِرُ﴾: الَّذي يَبْقَى بَعْدَ هلاكِ كلِّ شيءٍ ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأَدلَّةِ الدَّالَّةِ عليْه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ لكَونه غيرَ مُدرَكٍ بالحَواسِّ.

فإن قلتَ: فمَا معنى الواوِ؟

قلتُ: الواوُ الأُولى معناها: الدلالةُ على أنَّه الجامعُ بين الصفتين الأَوليَّةِ والآخِريَّةِ، والثَّالثةُ على أنَّه الجامعُ بين الظهور والخفاء.

وأمَّا الوُسْطَى: فعَلَى أنَّه الجامعُ بين مجمُوعِ الصِّفتين الأُوليين ومجموعِ الصِّفتين الأخرَيين، فهُو المُستمرُّ الوجُودِ في جميع الأَوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهرٌ وباطنٌ، جامعٌ للظهور بالأدلَّةِ والخفَاء، فلا يُدْرَكُ بالحَواسِّ، وفي هذا حجَّةٌ على مَن جوَّز إدْرَاكهُ في الآخرة بالحاسَّةِ.

وقيل: "الظاهرُ": الغَالي على كلِّ شيءٍ الغالِبُ له، مِن ظَهَر عَليْه: إذا عَلاهُ وغَلَبه، و"الباطنُ": الَّذي بَطَن كُلَّ شيءٍ؛ أي: عَلِمَ باطِنَه، وليس بذاكَ مع العدول عن الظاهِر المَفهُومِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ
فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ
ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾

قوله: **(بالأدلّة)** متعلّق[1] بقوله:[2] **(الظهور)**. وقوله: **(فلا يُدرَك)** مُسبَّب عن قوله: **(الخفاء)**.[3]

قوله: **(وفي هذا حجّة)** فيه نظرٌ؛ لأنّ الإدراك بالحاسّة لا يقتضي معرفة الحقيقة.

---

١ ن: متعلّقة.
٢ ن: بقول.
٣ ن: الحفا.

﴿مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يَعني: أَنَّ الأموال التي في أيديكم إنما هي أموالُ الله بخلقهِ وإنشائه لَها، وإنَّما موَّلَكُم إيَّاهَا وخَوَّلَكُم الاستمتاعَ بها، وجعَلكم خلفاءَ في التَّصرُّف فيها، فلَيْست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتُم فيها إلَّا بمنزلة الوُكلاء والنوَّابِ، فأَنفِقُوا منها في حقُوق الله، وَلْيَهُنْ عليكُم الإِنفاقُ منها كما يَهُون على الرجل النفَقةُ من مالِ غيرِه إذا أَذِنَ له فيه.

أو: جعلكُم مُستَخلَفِين ممن كان قبلَكُم فيما في أيديكم بتَورِيثِه إياكم، فاعتبِرُوا بحالهم حيث انتقلَ منهم إليكُم، وسَينتقل منكم إلى مَن بَعْدكم، فلا تبخَلُوا به، وانْفَعُوا بالإنفاق منها أنفسكم.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾

﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ حال من معنى الفعل في ﴿مالكم﴾ كما تقول: ما لكَ قائمًا؟ بمَعنى: ما تَصنعُ قائمًا؟ أي: وما لكم كافِرين بالله.

والواوُ في ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واوُ الحال، فهُما حالان مُتداخِلتان، وقرئ: "وما لكُمْ لا تؤمِنونَ باللهِ ورسولهِ والرسولُ يَدْعوكم".

والمَعنى: وأَيُّ عُذرٍ لكم في تركِ الإيمان والرسُولُ يَدْعوكم إليه ويُنبِّهُكُم عليه، ويتلُو عليكم الكتابَ الناطِقَ بالبَراهين والحججِ، ....

[٣٩٠ظ] قوله: (ولْيَهُنْ) مِن "هانَ"، أي: سَهُل. وقوله: (أو جعلَكم) / عطفٌ على قوله: (يعني).

قوله: (وانفَعوا بالإنفاق) النَّفْع ضِدّ الضرّ، ونَفعتُه بكذا فانتفعَ به.[١]

قوله: (حالان متداخلتان)[٢] التداخل: أن يعمل الحال[٣] الأولى في[٤] الثانية، ويكون الحالان لشيئين مختلفين. والترادف: أن يكونا لشيء واحد.

---

١ الصحاح للجوهري، «نفع».
٢ ن: مبداحلتان.
٣ ن - الحال.
٤ ن - في.

وقبلَ ذلك قد أخذ الله ميثاقكُم بالإيمان، حَيثُ رَكَّبَ فيكم العقُولَ ونصَب لكم الأدِلَّة، ومكَّنَكُم من النظرِ، وأزاحَ علَلَكُم؛ فإذْ لم تَبْقَ لكم علَّةٌ بعد أدِلَّة العُقول وتَنبيهِ الرَّسُولِ فمَا لكُم لا تُؤمِنون.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لمُوجِبٍ ما فإنَّ هذا الموجِبَ لا مزيدَ عليه.

وقرئ: ﴿أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ على البناء للفاعل، وهُوَ اللهُ عزَّ وَجلَّ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ الله بآياته من ظُلمات الكُفر إلى نور الإيمان، أو: ليُخرِجَكُم الرسُولُ بدَعْوتِه.

﴿لَرَءُوفٌ﴾ وقرئ: ﴿لَرَؤُفٌ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾: في أنْ لَا تُنفِقُوا.

قوله: (**وقبل[1] ذلك قد أخذ[2] الله**)...[3] إلخ وقيل: هو قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾... الآيةَ**[4] [الأعراف ١٧٢/٧].

قوله: (**وقُرئ: ﴿لَرَؤُفٌ﴾**)[5] على "فَعُل".

قوله: (**في أنْ لا[6] تُنفِقوا**) حُذف حرف الجرّ[7] مِن ﴿أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾؛ لأنّ حذف[8] الجرّ مع "أن" و"أنّ" قياس مستمرّ.

---

[1] ن: وقيل.
[2] ن: أحده.
[3] ن - الله.
[4] ف - الآية.
[5] ن: لرف.
[6] ف: لا أي؛ ن: لا أن.
[7] ن - الجرّ.
[8] ن: حرف.

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يَرِثُ كلَّ شيءٍ فيهما لا يَبقى مِنه باقٍ لأحَدٍ من مالٍ وغيرِه؛ يعني: وأيُّ غَرَضٍ لكم في تركِ الإنفاقِ في سبيل اللهِ والجهادِ مع رسولِهِ واللهُ مُهلِكُكُم فوَارِثُ أموَالِكم، وهُو مِن أبلغ البَعْث على الإنفاق في سبيل الله.

ثم بيَّن التفاوتَ بين المُنفقِين مِنهم فقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ﴾ فتحِ مكّةَ، قَبلِ عزِّ الإسْلام وقُوَّةِ أَهلِه ودُخولِ الناسِ في دِينِ اللهِ أفواجًا وقِلَّة الحاجة إلى القِتال والنفَقةِ فيهِ، ومَن أنفقَ من بَعد الفتح، فحُذِف لوضوح الدلالة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾؛ أي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين أنفقُوا قَبلَ الفتح -وهم السابقُون الأوّلُون من المُهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبيُّ عليه السلام: «لو أَنفَق أَحَدُكم مِثلَ أُحُدٍ ذهبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهم ولا نَصِيفَه»- ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾.

وقُرِئ: "قبلَ الفتح".

قوله: (لا يبقى منه) أي: مِن الله تعالى، كأنّه تعالى[1] قال: لا يَترُك شيئًا لغيره؛ لأنّه المتفرِّد[2] بالملك والبقاء. ويجوز أن يقال: الضمير مِن "منه" يعود إلى "كلّ شيء"، أي: لا يبقى باقٍ مِن جميع الأشياء[3] لأحَد.

قوله: (قبلَ عِزِّ[4] الإسلام) بدل مِن (قبل فَتْح).

قوله: (وقِلّةِ) أي: قبل قلّة الحاجة، وهو زمان شِدّة الحاجة إليه.

قوله: (فحُذف) يعني التقدير: مَن أنفق قبلَ الفتح ومَن أنفق بعده، فحُذف ذلك لدلالة الكلام عليه.

قوله: (ولا نَصِيفَه)[5] أي: نِصْفَه.

قوله: (وقُرِئ: "قَبْلَ الفَتْحِ") أي: بغير "مِن".[6]

---

١ ف ن - تعالى.
٢ ن: المنفرد.
٣ ف: الأشيا.
٤ ن: عن.
٥ ن: ولا تضيفه.
٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ.
انظر: البحر المحيط لأبي حيّان، ١٠٣/١٠ (الحديد، ١٠/٥٧).

﴿وَكُلًّا﴾: وكُلَّ واحدٍ من الفَريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: المَثوبَةَ الحُسنَى وهي الجنَّةُ مَع تفاوُتِ الدَّرجاتِ، وقرئ بالرفع على: وكُلٌّ وعَدَه اللهُ.

وقيل: نزلت في أَبِي بَكر رضي الله عنه لأنه أوَّلُ مَن أَسْلَم وَأوَّلُ مَن أَنفَق في سبيل الله.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١١﴾

"القرضُ الحَسنُ": الإنفاق في سبيلهِ، شُبِّه ذلك بالقَرْضِ على سبيل المجاز؛ لأنَّه إذا أَعْطَى مالَه لوَجههِ فكأنَّه أقرضَه إيَّاهُ.

﴿فيضاعفُه له﴾؛ أي: يُعْطيه أَجْرَه على إنفاقِه مُضاعَفًا أضعافًا من فضلِه.

﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يَعني: وذلك الأَجرُ المَضمُومُ إليهِ الأَضعافُ كريم في نفسهِ.

وقُرئ: ﴿فيُضَعِّفُه﴾ وقرئا منصُوبَينِ على جَواب الاستفهام، والرَّفعُ عَطفٌ على ﴿يُقْرِضُ﴾ أَو على: فهو يُضاعفُهُ.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢﴾

﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظرفٌ لقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، أو مَنصوبٌ بإضمارِ "اُذكُرْ"؛ تَعْظيمًا لذلك اليَوم، وإنما قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ لأنَّ السُّعَداء يُؤتَونَ صحَائفَ أعمالِهم

قوله: (وقُرئا)[1] أي: ﴿فَيُضَعِّفَهُ﴾ و﴿فَيُضَٰعِفَهُ﴾.[2]

قوله تعالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾[3] حال، أي: يسعى نورهم مَقولًا لهم هذا القول.[4]

---

١ ن: وقرتا.

٢ قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلَف: ﴿فَيُضَٰعِفُهُ﴾ بتخفيف العين وألِف قبلها مع رفع الفاء، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر: ﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾ بتشديد العين وحذف الألف مع رفع الفاء، وقرأ ابن عامر ويعقوب ﴿فَيُضَعِّفَهُ﴾ بتشديد العين وحذف الألف مع نصب الفاء، وقرأ عاصم ﴿فَيُضَٰعِفَهُ﴾ بتخفيف العين وألِف قبلها مع نصب الفاء. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٢٨.

٣ وفي هامش د ف: ﴿بُشْرَىٰكُمُ﴾ مبتدأ و﴿جَنَّٰتٌ﴾ خبره، أي: دخول جنّات. أبو البقاء. | **التبيان** لأبي البقاء العكبري، ٢/١٢٠٨.

٤ ن: االقول.

من هاتيْن الجهتَين، كما أنَّ الأشقياء يُؤتَونَها مِن شَمائلِهم ووراءَ ظهُورِهم فيُجعَلُ النُّورُ في الجهتَين شِعارًا لهُم وآيةً؛ لأنّهم هُم الَّذين بحسَناتِهم سُعِدُوا، وبصحَائِفهم البِيض أفلَحُوا، فإذا ذُهِبَ بهم إلى الجنَّة ومَرُّوا على الصِّراط يَسْعون، سَعَى بسَعْيِهم ذلك النُّورُ جَنيبًا لهُم ومتَقدِّمًا، ويقول لهُم الَّذين يتَلقَّونَهم مِن الملائكة: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾، وقرئ: "ذلك الفوزُ".

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بدلٌ من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾: ﴿ٱنظُرُونَا﴾: انتَظِرونا؛ لأنّهم يُسرَعُ بهم إلى الجنَّة كالبُرُوق الخاطفةِ على رِكَابٍ تَذِفُّ بهم، وهَؤلاء مُشَاةٌ.

أو: انظرُوا إلينا؛ لأنّهم إذا نظرُوا إليهم استقبلُوهم بوُجُوههم والنورُ بَين أيديهم فيَستضِيئون به.

وقرئ: ﴿أَنظِرونا﴾ من النَّظِرة وهي الإمْهالُ، ....

قوله: (قُرِئَ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ﴾) أي: بغير "هو".[1]

قوله: (تَذِفُّ بهم) أي: تسرع بهم، هو بالذال المعجمة. والذفيف: السريع، مثل: الذَّميل. وقد ذَفَّ يَذِفُّ بالكسر، وخَفيف ذَفيف،[2] أي: سريع، وأمّا الدَّفيف[3] -بالدال[4] الغير المُعجمة- فهو الدَّبيب،[5] أي: السير الليّن، والدَّفيف: دَفيف الطائر على وجه الأرض، يُحرِّك جناحَيه ورجلاه على الأرض.

قوله: (قُرِئَ: ﴿أَنظِرُونَا﴾)[6] مِن النَّظِرَة؛ وهي الإمهال. قال الواحدي في **الوسيط**:

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: **المحرّر الوجيز** لابن عطيّة، ٢٦١/٥ (الحديد، ١٢/٥٧). | وفي هامش د ف: قوله: (شُبّه ذلك)... إلخ أي: استعارة تبعيّة في ﴿يُقْرِضُ﴾، شُبّه الإنفاق في سبيل الله بالقَرْض، والجامع إعطاء شيء لِعوض.

[2] ن - ذفيف.

[3] ف: الذفيف.

[4] ف: بالذال.

[5] ف: الذبيب.

[6] قرأ بها حمزة الزيّات. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٨٤/٢.

جُعل اتِّئادُهُم في المُضيِّ إلى أن يَلحَقُوا بهم إنظارًا لهُم.

﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾: نُصِبْ منه، وذلك أن يَلحَقُوا بهم فيَستَنيرُوا به.

﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾ طَرْدٌ لهُم وتهكُّم بهم؛ أي: ارجِعُوا إلى الموقف إلى حيثُ أُعطِينَا هذا النُّورَ فالتمِسُوه هُنالك، فمِن ثَمَّ يُقتَبسُ، أو: ارجِعُوا إلى الدُّنيا فالتِمسُوا نُورًا بتحصيلِ سَببهِ وهُو الإيمان، أو: ارجِعوا خائِبينَ وتَنحَّوا عنَّا فالْتَمِسُوا نورًا آخر، فلا سبيلَ لكم إلى هذا النور، وقد عَلِمُوا أنْ لا نورَ وراءَهُم، وإنما هو تخييبٌ وإقناطٌ لَهُم.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾: بين المؤمِنين والمُنافِقين بحائطٍ حَائلٍ بَيْن شِقِّ الجنَّةِ وشِقِّ النارِ، وقيل: هُو الأعراف.

لذلك السُّورِ ﴿بَابٌ﴾ لأهل الجنة يَدخُلُون منه ﴿بَاطِنُهُۥ﴾: باطنُ السُّور أو البابِ وهو الشِّقُّ الَّذي يَلِي الجنَّة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾: ما ظَهَر لِأهْل النَّارِ ﴿مِن قِبَلِهِ﴾: من عِنده ومن جهتهِ ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ وهو الظلمةُ والنار.

وقرأ زيد بن عليٍّ رضي الله عنهما: ﴿فَضَرَبَ بَيْنَهُم﴾ على البناء لِلفاعل.

«قرأ حمزة: ﴿أَنْظِرُونَا﴾ بقطع الهمزة[١] مِن الإنْظار. قال الزَّجّاج: 'معناه: انتظِرُونا[٢] أيضًا'، وأنشد بيتَ عمرو بن كلثوم:[٣]

أبــا هـنـدٍ فـلا تـعْـجَـلْ علينا   وأنـظِـرنـا[٤] نُـخَـبِّـركَ اليـقينا»[٥]

قوله: (جُعل اتِّآدهم)[٦] اتَّأَدَ في مَشْيه، وتَوأَّد[٧] في مَشْيه؛ افتَعل وتَفعَّل[٨] مِن التُّؤَدة، وأصل التاء في "اتِّآد" واوٌ، يقال: اتَّئِدْ في أمرك، أي: تَثَبَّتْ.

قوله:

---

١ ن: الهمز.

٢ ن: انظرونا.

٣ ن: كلثوب.

٤ ن: أنظرنا.

٥ التفسير الوسيط للواحدي، ٢٤٨/٤ (الحديد، ١٣/٥٧). وانظر: معاني القرآن للزجّاج، ١٢٤/٥.

٦ ف: اتِّآدهم؛ ن: ايتارهم. | وفي هامش د ف: الإمهال مستلزم للاتّآد، فيكون مجازًا مرسلًا.

٧ ن: وتواد.

٨ ن: ويفعل.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾

﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يريدون موافقتهم في الظّاهر.

﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: محَنتُموها بالنِّفاق وأهلَكتُموها ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائرَ ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾: طولُ الآمالِ والطَّمعُ في امتِداد الأعمار ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: وغرَّكم الشيطانُ بأنَّ الله عفوٌّ كريمٌ لا يُعذِّبُكُم، وقرئ: "الغُرور" بالضَّم.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿فِدْيَةٌ﴾: ما يُفتدَى به.

﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ قيل: هي أَوْلَى بكُم، وأُنشِد قولُ لبيدٍ:

فَغَدَتْ كِلَا الفَرْجَينِ تَحْسِبُ أنَّه ... مَوْلى المخافةِ خَلْفُها وَأَمامُها

(فَغَدَتْ كِلا الفَرْجَين تَحسِبُ أنّه ... مَولى المَخافة خلفُها وأمامُها)[١]

"الفَرْجَين"، أي: الجانبَين،[٢] أي: فغدَتْ هذه البقرة على حالةٍ كلا جانبَيها -وهما الخَلْفُ والأمام- مَخوف.[٣] الفَرج: ما بين قوائم الدوابّ، فما بين اليدين فَرْج، وما بين الرِّجلين فَرْجٌ. و"المَولى" ههنا بمعنى الأَولى بالشيء. يقول: فَغَدَت البقرة تَحْسِبُ أنّ كِلا فَرْجَيها[٤] مولى المخافة، أي: مَوضعَها وصاحبَها، أو تحسب[٥] أنّ كلّ فَرْج مِن فرجَيها هو الأَولى بالمخافة منه. وتحرير المعنى: أنّها لم تَقِفْ على أنّ صاحب / الصوت والصائد[٦] خلفَها أو أمامها، فغدتْ فَزِعةً مَذعورةً لا تعرف[٧] مَنجاها مِن مَهْلَكِها. قال الأصمعي: «أراد بالمخافة الكلاب، [٣٩١و]

---

١ للبيد بن ربيعة في ديوانه، ص ٣١١.
٢ ن: الجانين.
٣ ن: المحوف.
٤ ن: فريحا.
٥ ن: بحسب.
٦ ن: الصائد.
٧ ن: لا يعرف.

وحقيقةُ ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾: مَحرَاكم ومَقْمَنُكم؛ أي: مكانُكم الَّذي يُقالُ فيهِ: هُو أَوْلى بكم، كما قيل: هو مَئِنَّةٌ لِلكَرم؛ أي: مَكانٌ لِقولِ القائلِ: إنَّهُ لكريمٌ.

ويجوز أَن يُراد: هي ناصِرُكم؛ أي: لا ناصرَ لكُم غيرُهَا، والمرادُ: نَفيُ النَّاصرِ على البَتاتِ، ونحوهُ قولُهم: ....

وبمَولاها صاحبَها»،[1] أي: غَدَت وهي لا تعرف أنّ الكِلاب والكَلّاب خلفها أو أمامها،[2] فهي تظنُّ كلَّ جهةٍ مِن الجهتين موضعًا للكِلاب والكَلّاب.

والضمير الذي هو اسم "أنّ" عائد إلى "كِلا"[3] باعتبار اللفظ. و"مَولى المَخافة" خبر "أنّ"، و"خلفُها وأمامُها" خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو خَلفها وأمامها، ويكون تفسيرَ "كِلا الفَرجَين"، ويجوز أن يكون بدلًا مِن "كِلا الفَرجَين"، وتقديره: فغَدَت كِلا الفَرجَين خلفها وأمامها تَحْسِبُ[4] أنّه مولى المخافة. فقوله: "كِلا الفَرجَين" مبتدأ، "تَحْسِب"... إلخ خبره، والجملة خبر "غَدَت"، والعائد إلى المبتدأ الضمير في "أنّه"، والعائد إلى اسم "غَدَت" الضمير في "تَحْسِب".[5]

قوله: (مَمْقَنُكُم)[6] القَمين: الجَدير.

قوله: (هو مَئِنّةٌ) قال ابن مسعود رضي الله عنه:[7] «إنّ طول الصلاة وقِصَرَ الخطبة مَئِنّةٌ مِن فِقْهِ الرجل المسلم»،[8] أي: مَخْلَقةٌ ومَجْدَرةٌ، وعن أبي عبيدة: «معناه: أنّ هذا ممّا يُعرَف به فِقهُ الرجل»، وهي "مَفْعِلَة" مِن "إنّ" التوكيديّة،[9] وحقيقتُها مكان؛ لقول القائل: إنّه عالم، وإنّه فقيه.[10]

---

١ شرح المعلّقات السبع للزوزني، ص ١٠٢.

٢ ن: وأمامها.

٣ ن: كلابًا.

٤ ن: بحسب.

٥ انظر: شرح المعلّقات السبع للزوزني، ص ١٠٢.

٦ ن: ممقتكم. | كذا في الأصول الخطيّة، والصواب كما في مطبوع الكشّاف: "ومَقْمَنُكم".

٧ د - رضي الله عنه.

٨ المعجم الكبير للطبراني، ٢٩٨/٩ (٩٤٩٣)؛ السنن الكبرى للبيهقي، ٣٢٦/٦ (٥٨٣٠). وهو في صحيح ابن حبّان، ٣٠/٧ (٢٧٩١)، مِن حديث عمّار بن ياسر مرفوعًا.

٩ ن: التوكيد به.

١٠ المُغرب للمطرّزي، «أنن».

"أُصيبَ فُلانٌ بكذا فاستَنصَر الجَزعَ"، ومنه قولُه تعالى: ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ [الكهف ٢٩/١٨].

وقيل: تَتولَّاكم كما تَولَّيتُم في الدُّنيا أعمالَ أهلِ النَّارِ.

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ﴾ مِن أَنَى الأمرُ يأنِي: إذا جاءَ إنَاهُ؛ أي: وَقتُه، وقرئ: "ألمْ يَئِنْ" مِن آنَ يَئِينُ، بمعنى: أَنَى يَأني، و: "أَلمَّا يَأْنِ".

قيل: كانُوا مُجْدِبينَ بمكَّةَ، فلمَّا هاجَروا أصَابوا الرزق والنِّعمة فَفَتَروا عما كانوا عَليه، فنَزلَتْ.

وعن ابن مسْعُود: ما كان بين إسلامِنا وبَين أن عُوتِبنَا بهذه الآية إلَّا أَرْبعُ سنين.

وعن ابن عباس: إن الله استبطأَ قُلوبَ المؤمنينَ فعاتبَهم على رأس ثلاث عشرَةَ مِن نُزول القرآن.

وعن الحسن: أمَا والله لقد استبطأَهُم وهُم يَقرؤونَ من القرآن أقلَّ ممَّا تَقرؤونَ، فانظُروا في طُولِ ما قرأتُم مِنه وما ظهر فيكُم من الفِسْق.

وعن أبي بَكْر رضي الله عنه: أَن هذه الآية قُرِئت بينَ يديه وعِنده قومٌ من أَهْل اليمامة، فَبكَوا بُكاء شديدًا، فنَظَر إليهم فقال: هكذا كنَّا حتى قسَتِ القلوبُ.

وقرئ: ﴿نَزَلَ﴾ و: ﴿نزَّل﴾ و: "أنزل".

قوله: (فاستَنْصَر[١] الجَزَعَ) أي: اتَّخَذَه ناصرًا.[٢]

قوله: (على رأس ثلاث عشر) أي: سَنةً.[٣] وقوله: (ما قرأتم منه) أي: مِن القرآن.

---

[١] ن: فاستبرَ.

[٢] وفي هامش د ف: قوله: (استبطأَ قلوبَ المؤمنين) أي: عَدَّ قلوب المؤمنين بَطيئًا في الخشوع، والاستفهام يجيء للاستبطاء كما ذكر في المفتاح: «كم دعَوتك؟ للاستبطاء». مِن جملة معاني الاستفهام الاستبطاء. | انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ٣١٤/١.

[٣] ن: منه.

﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾ عطفٌ على ﴿تَخْشَعَ﴾، وقرئ بالتاء على الالتفاتِ.

ويجوز أن يكُونَ نهيًا لَهُم عن مُماثلةِ أهْلِ الكتابِ في قَسوَة القلُوبِ بعد أن وُبِّخوا، وذلك أنَّ بني إسرائيل كان الحقُّ يَحُولُ بَينَهم وبَين شهوَاتِهم، وإذا سمِعُوا التوراةَ والإنجيل خَشعُوا لله ورقَّت قلُوبُهم، فلمَّا طَال عَليهم الزمان غلبَهُم الجفاءُ والقَسوَةُ، واختلفُوا وأَحدَثُوا ما أَحدَثُوا من التحريفِ وغيرِه.

فإن قلتَ: ما معنى: ﴿لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾؟

قلتُ: يجوز أن يرادَ بالذكر وبما نزلَ من الحق: القرآنُ؛ لأنه جامعٌ لِلأمرَين: للذِّكرِ والمَوعظةِ، وأنَّه حقٌّ نازلٌ من السماء، وأن يُراد خشوعُها إذا ذُكِرَ اللهُ، وإذا تُلِي القرآنُ؛ كقوله: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال ٨/٢].

أراد بـ"الأمَد": الأجَلَ؛ كقَوله:

إذا انتهـــــــــى أمـــــــدُه

وقرئ: "الأَمَدُّ"؛ أي: الوقتُ الأطوَلُ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾: خارِجون عن دينهم، رافضُون لمَا في الكتَابينِ.

قوله: **(على الالتفات)** فيكون نَفيًا.

قوله: **(وأن يُراد خُشُوعُها)** وعلى هذا الوجه الثاني لا يكون المراد بـ﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ القرآن؛ بل يكون المراد بـ"الذِّكر" الذِّكرَ الذي هو المصدر، ويكون ﴿مَا نَزَلَ﴾[١] عطفًا على لفظة ﴿ٱللَّهِ﴾، أي: ولِذِكرِ ما نزَل،[٢] يعني: تلاوة **القرآن** كما قال المصنِّف.

قوله: **(كقوله: إذا انتهى أَمَدُهُ)**.

كــلُّ حــيٍّ مُستكـملٌ مــدّةَ العمــــر ومُـــودٍ إذا انـتـهـى أمَـــدُهُ[٣]

يقال:[٤] أودى، أي: مات.

---

١ ن: ترك.
٢ ن: أنزل.
٣ بغير نسبة في **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٩٨.
٤ ن: يقال.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قيل: هذا تَمثِيلٌ لِأثر الذكر في القُلوب، وأنَّه يُحييها كما يُحيي الغيثُ الأرضَ.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾: المتصدِّقين، وقرئ على الأصْل، و: ﴿المصَدِّقين﴾ من صَدَّق، وهم الَّذين صَدَّقُوا الله ورَسولَهُ؛ يَعني: المؤمنينَ.

فإن قلتَ: عَلامَ عُطف قوله: ﴿وَأَقْرَضُوا۟﴾؟

قلتُ: على مَعنى الفعلِ في ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ لأن اللَّام بمَعنى الذين، واسمُ الفاعِل بمعنَى: اصَّدَّقوا، كأنَّه قيل: إن الذين اصَّدَّقُوا وأَقرَضُوا.

و"القرض الحسَنُ": أن يتصَدَّقَ مِن الطيِّب، عن طِيبَةِ النفسِ وصِحَّةِ النِّيـة، على المستحِقِّ للصَّدقةِ.

وقرئ: ﴿يُضَعَّفُ﴾ و: "يضاعِفُ" بكسر العين؛ أي: يُضاعِفُ اللهُ.

يُريد أن المؤمِنينَ بالله ورُسُله هم عِند الله بمَنزِلة الصِّدِّيقين والشُّهداء، وهُم الذي سَبقُوا إلى التصديق، واستُشْهِدُوا في سبيل اللهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي: مِثْلُ أَجر الصِّديقين والشُّهَداء ومِثْلُ نُورهم.

قوله: (**بمنزلة الصِّدّيقين والشهداء**) وعلى هذا يكون ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ عطفًا على ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾. وقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ جملة مستأنفة لبيان أنّهم بمنزلتهم.[١]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله: (واكتَهَلَ) اكتَهَلَ، أي: صار كَهْلًا، واكتَهَلَ النبات، أي: تَمّ طُولُه وظهر نَوْرُه. صحاح. | **الصحاح للجوهري**، «كهل».

فإن قلتَ: كيف يُسَوَّى بينهم في الأجْر ولا بدَّ من التفاوُت؟

قلتُ: المعنى: أنَّ الله يُعطي المؤمنين أجرَهُم ويُضاعِفُه لهُم بفَضلِه حتى يُساوِيَ أَجْرُهُم معَ أضعافه أجرَ أولئك.

ويجوز أن يكون ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ مُبتَدأً و﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ خبَرَهُ.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾

أراد أن الدنيا ليست إلا مُحقَّراتٍ من الأمُور، وهي: اللَّعِبُ واللَّهْوُ والزِّينةُ والتفَاخُرُ والتكَاثُر، وأمَّا الآخرةُ فمَا هي إلَّا أُمورٌ عِظامٌ، وهي: العذابُ الشديدُ والمغفرةُ ورِضوانُ الله.

وشبَّه حالَ الدنيا وسُرعةَ تقَضِّيها مَع قِلَّةِ جَدْواهَا بنَباتٍ أنبَتَهُ الغيثُ، فاستَوى واكتهَل وأُعجِبَ به الكفَّارُ الجَاحِدُون لنِعْمَة الله فيما رَزَقهُم من الغيْثِ والنباتِ، فبَعث عليه العَاهَة فهَاجَ واصفَرَّ وصَار حُطامًا؛ عقوبةً لهُم على جحُودهم كما فَعلَ بأصحاب الجنَّة وصَاحبِ الجنَّتين.

وقيل: ﴿ٱلۡكُفَّارَ﴾: الزُّراعُ، وقرئ: "مُصْفارًّا".

قوله: **(فهاج)** أي: يَبِسَ.

قولـه: **(كمـا فُعـل بأصحـاب)** يريـد بـ"أصحـاب الجنّـة" الذيـن ذكـر الله تعالـى قِصّتَهـم فـي ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾:[1] ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾ [القلم ٦٨/١٧]، وبـ"صاحـب الجنتَيـن"[2] الـذي ذكـر[3] قصّتَـه فـي سـورة[4] الكهـف: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ﴾ [الكهف ١٨/٣٢].

---

١ ف: والقلم.
٢ ن: الشين.
٣ ن - ذكر.
٤ ن: صورة.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾

﴿سَابِقُوٓاْ﴾: سارعوا مُسارعةَ المُسابِقينَ لِأقرانهم في المِضمار إلى جنَّةٍ ﴿عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قال السُّدي: كعَرضِ سَبعِ السماوات وسَبْعِ الأرضين، وذكَر العَرضَ دُون الطولِ لأن كلَّ ما له عَرضٌ وطُولٌ فإنَّ عَرْضَه أقلُّ من طُوله، فإذا وُصِف عرضُه بالبَسْطةِ عُرِفَ أن طُولَه أبسَطُ وأمدُّ.

ويَجوز أن يُراد بالعَرض: البَسطَةُ؛ كقولِه: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ [فصلت ٥١/٤١].

لمَّا حَقَّر الدُّنيا وصَغَّر أمرَها وعَظَّم أمر الآخِرة؛ بَعث عبادَه على المسارعَةِ إلى نيلِ ما وَعَد من ذلك، وهي المغفِرةُ المُنجِيَةُ من العذاب الشديدِ، والفَوزُ بدُخولِ الجنةِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المَوعودُ من المَغفرة والجنَّةِ ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾: عطاؤهُ ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وهُم المؤمنُون.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾

"المُصِيبة في الأرضِ" نحوُ الجَدْب وآفاتِ الزرُوعِ والثِّمَار، وفي الأنْفُس نحوُ الأدْواءِ والموْتِ.

﴿فِي كِتَٰبٖ﴾: في اللَّوح ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ يَعني: الأنفسَ أو المصَائبَ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: إن تقديرَ ذلك وإثباتَه في كتابٍ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ وإن كان عَسيرًا على العِبادِ.

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾

قوله: (ويجوز أن يُراد) هذا عطفٌ على قوله: (ذُكر العَرْض)... إلخ يعني: يجوز أن لا يكون المراد بـ"العَرْض" ما هو في مقابلة الطول.

قوله: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ أي: نَخْلُقَها.

ثم علَّلَ ذلك وبيَّن الحِكمةَ فيه فقال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ﴾ ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ﴾ يعني: أنكم إذا علِمْتُم أنَّ كلَّ شيءٍ مقدَّرٌ مكتُوبٌ عند الله قَلَّ أسَاكُم على الفَائتِ وفرَحُكم على الآتي؛ لأنَّ مَن عَلِم أنَّ ما عِنده مَفقُودٌ لا محالةَ لم يتَفَاقم جَزَعهُ عند فَوْتِه وفَقْدِه لأنه وَطَّنَ نفسهُ على ذلك، وكذلك مَن عَلِمَ أن بعضَ الخَيْرِ واصِلٌ إليه، وأنَّ وُصُوله لا يَفُوته بحالٍ، لم يَعظُم فَرَحُه عند نَيلِه.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لأن مَن فرحَ بحظٍّ مِن الدنيا وَعَظُم في نفسه اختال وافتَخر به وتكبَّر على النَّاسِ.

قرئ: ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ و: ﴿أتاكم﴾ من الإيتَاء والإتيان.

وفي قراءةِ ابنِ مسعودٍ: "بما أُوتِيتُم".

فإن قلتَ: فلا أَحَدٌ يَملِك نفسَه عِند مَضرةٍ تنزِل بِه ولا عِند منفعَةٍ ينالُها أن لا يَحزَن ولا يَفرَح.

قلتُ: المراد: الحُزْنُ المُخرِجُ إلى ما يُذهِل صاحِبَه عن الصَّبرِ والتسليم

قوله: **(لم يَتفاقم)** أي: لم يَتعاظَم.

قوله: **(لأنَّه وطَّنَ نفسَه على ذلك)** كما قال أيّوب عليه السلام / عند مجيء [٣٩١ظ]
عدوّ الله وإخباره بإتلاف المال والأولاد: «**الحمدُ لله الذي هو أعطى وهو أخذ، وقديمًا ما وطَّنْتُ نفسي ومالي على الهلاك**».[١]

قوله: **(لأنّ مَن فَرِحَ)**... إلخ يعني: أنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ بعد قوله: ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ﴾: أنّ مَن فَرِحَ بذلك اختال[٢] وافْتخَر، ومَن كان كذلك[٣] لا يُحبّه الله[٤] تعالى.

قوله: **(أن[٥] لا يَحْزَنَ ولا يفرح)** أي: لئلّا يَحْزَنَ، أو بدل مِن "نفسَه"، أي: فيكون هذا مِن قَبيل تكليف ما لا يُطاق.

---

١ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٣٣٦/١٦ (الأنبياء، ٨٣/٢١).

٢ ن: احتيال.

٣ ن + أن.

٤ ن – الله.

٥ ن: وأن.

لأمرِ اللهِ وَرَجاءِ ثوابِ الصَّابِرين والفَرحِ المُطغِي المُلْهِي عن الشُّكر، فأما الحُزنُ الذي لا يكاد الإنسانُ يَخلُو منه مَع الاستِسلام، والسُّرورُ بنعمةِ الله والاعتدادُ بها مع الشكر، فلا بَأس بهمَا.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بدَلٌ من قوله: ﴿كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ كأنه قال: لا يُحِبُّ الَّذين يَبْخلُونَ؛ يُريد: الذِين يَفرحُونَ الفَرَحَ المُطْغِي إذا رُزِقُوا مَالًا وحَظًّا من الدنيا، فلِحُبِّهم له وعِزَّتِه عِندهُم وعِظَمِهِ في عُيُونهم يَزوُونَهُ عن حُقوق الله ويَبخلُون بهِ، ولا يكفيهم أنَّهم بَخِلُوا حتَّى يَحْمِلُوا النَّاسَ على البُخلِ ويُرَغِّبُوهم في الإِمساك ويُزيِّنُوه لهُم، وذلك كلُّه نتيجةُ فرَحِهم به وبَطَرِهم عند إصابتِه.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن أوامرِ اللهِ ونواهيهِ، ولم يَنتَهِ عمَّا نُهِيَ عنه مِن الأَسَى على الفائتِ والفَرَحِ بالآتي، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ غَنيٌّ عَنه.

وقرئ: ﴿بالبَخَل﴾، وقرأ نافعٌ: ﴿فإنَّ اللهَ الغنيُّ﴾ وهو في مصَاحِف أَهل المدينةِ والشَّام كذلك.

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾ يعني: الملائكةَ إلى الأنبياء ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالحُججِ والمُعجزاتِ ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: الوَحيَ ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾.

رُوي أن جبريلَ عليه السَّلام نزَلَ بالميزانِ فدَفعَهُ إلى نُوحٍ وقال: مُرْ قَومَكَ يَزِنُوا به.

قوله: **(إذا رُزِقوا)** يجوز أن يكون "إذا" ظَرْفًا لقوله: **(يَفرَحون)**. وقوله: **(فلِحُبِّهم)**...[1] إلخ جملة مُسَبَّبةٌ عمّا قبلها، ويجوز أن يكون "إذا" شرطيّة، "فلحُبّهم" الجزاء.

[1] ن: فلحهم.

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ قيل: نزَل آدمُ من الجَنَّة ومَعه خمسَةُ أشيَاءَ مِن حَديدٍ: السِّنْدَانُ والكَلْبَتان والمِيقَعَة والمِطْرَقَةُ والإبرةُ. وروي: ومَعَه المَرُّ والمسحَاةُ.

وعن النبيِّ عليه السلام: «إن الله تعالى أنزلَ أربعَ برَكاتٍ من السماء إلى الأرضِ: أنزَلَ الحديدَ والنَّارَ والماءَ والمِلحَ».

وعن الحسن: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾: خلَقناه؛ كقَوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الزمر ٦/٣٩]، وذلك أن أوامرَه تَنزِلُ من السَّماء وقضايَاهُ وأحكَامَهُ.

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وهو القِتالُ به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في مصَالحهم ومَعَايشِهم وصَنائعهم، فما مِن صِناعةٍ إلَّا والحَديدُ آلةٌ فيها أو ما يُعمَلُ بالحديد.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستِعمالِ السيُوف والرِّماحِ وسائرِ السِّلاح في مُجاهدة أعداء الدِّين.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: غائبًا عنهُم، قال ابن عبَّاس: يَنصُرونَهُ ولا يُبصِرُونَهُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: غنيٌّ بقُدرَتِه وعزَّتِه في إهلاكِ مَن يُريدُ هَلاكَه عنهم، وإنَّما كلَّفَهُم الجهَادَ لينتَفِعُوا بِه، ويَصِلوا بامتثالِ الأَمرِ فيه إلى الثوابِ.

قولـه: (والمِيقَعة)[1] المِيقَعة: خشبة القَصَّار التي يَدُقُّ عليها.[2] والمُراد هنا شِبْهها مِن الحديد.

قوله: (المَرُّ) أي: الحبل، قال الراجز:[3]

ثُـمَّ شَـدَدْنـا فـوقـه بِـمَـرِّ[4]

والمَرير مِن الحِبال: ما لَطُف[5] وطال واشتدّ فَتْلُه، والجمع: المَرائر، وأمرَرت الحبل فهو مُمَرٌّ؛ إذا فَتَلْتَه فَتْلًا شديدًا.[6]

---

١ ن: والمنفعة.

٢ **الصحاح** للجوهري، «وقع».

٣ ن: الزاجر.

٤ قبله:

زَوجُـكِ يـا ذاتَ الثَّنايا الغُرِّ
والـرَّبَـلاتِ والجَبِـينِ الحُـرِّ
أعيـا فَنُطْنـاه مَنـاطَ الجَـرِّ
ثُـمَّ شَـدَدنـا فـوقَـه بِـمَـرِّ

وهي بغير نسبة في **الصحاح** للجوهري، «مرر»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «مرر».

٥ ن: لطِف.

٦ **الصحاح** للجوهري، «مرر».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَالْكِتَابَ﴾: والوَحيَ، وعن ابن عبَّاس: الخطُّ بالقلَم، يُقال: كتب كتابًا وَكِتابةً.

﴿فَمِنْهُم﴾: فمنَ الذُّرِّية، أو مِن المُرسَلِ إلَيهم، وقد دلَّ علَيهم ذِكرُ الإرْسالِ وَالمُرسَلينَ، وهذا تَفْصِيلٌ لِحَالِهم؛ أي: فمِنهم مُهتدٍ، ومِنهم فاسقٌ، والغلَبةُ للفسَّاقِ.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قرأ الحسَنُ: "الأنجيل" بفتح الهَمزةِ، وأَمْرُهُ أَهْوَنُ من أَمْرِ البِرْطِيلِ والسَّكِّينة فيمَن رَواهما بفَتح الفَاء؛ لِأن الكلمةَ أعجميَّةٌ لا يلزمُ فيها حِفظُ أَبْنِيةِ العربِ.

وقرئَ: "رَآفة" على فَعَالَةٍ؛ أي: وَفَّقناهُم لِلتَّراحُمِ والتَّعَاطُف بَينَهم، ونحوُه في صفَةِ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح ٢٩/٤٨].

و"الرَّهْبَانيَّةُ": تَرَهُّبُهم في الجِبَالِ فَارِّينَ من الفِتْنَة في الدِّين، مُخْلِصِين أَنفسَهُم لِلعبَادةِ، وذلك أَنَّ الجَبابرة ظَهَرُوا على المؤمنينَ بَعدَ موْتِ عيسى عَلَيْه السَّلام فقاتَلُوهم ثلاثَ مَرَّاتٍ، فقُتِلُوا حتى لَمْ يَبْقَ مِنهم إلَّا القليلُ، فخَافُوا أَن يُفتَنُوا في دِينهم فاختَارُوا الرَّهبانيَّةَ، ومَعناها: الفَعْلَةُ المَنسُوبةُ إلى الرَّهبَانِ وهو الخائفُ، فَعْلانُ مِن رَهِبَ كخَشيَانَ مِن خَشِيَ.

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما:[١] «الخَطّ»)[٢] يعني: فسّر ﴿الْكِتَابَ﴾[٣] بالكتابة.

قوله: (البِرْطِيلُ)[٤] البِرْطِيل: حَجرٌ يرسَل إلى الحَلْق،[٥] شبّه الرِّشْوة به.[٦]

---

١ د - رضي الله عنهما.

٢ انظر: تفسير ابن أبي حاتم، ٣٠٥٢/٩ (العنكبوت، ٢٧/٢٩).

٣ ن: الكاب.

٤ ن: والبرطيل.

٥ ن: الحلف.

٦ انظر: تاج العروس للزبيدي، «برطل». | وفي هامش د ف: قوله: (بعد موت عيسى) ينبغي أن يكون: بعد رفع عيسى.

وقرئ: "ورُهبانيةً" بالضَّم كأنَّها نِسبةٌ إلى الرُّهبانِ، وهو جَمْعُ رَاهِبٍ كرَاكِبٍ ورُكبانٍ.

وانتِصَابُها بفعلٍ مُضمَرٍ يُفسِّره الظاهر، تَقدِيرُه: وابتدَعُوا رَهْبانيةً ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ يَعني: وأَحدَثُوها مِن عند أنفُسِهم ونَذَرُوهَا ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾: لَم نَفرِضْهَا نحنُ عليهم.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استِثناءٌ منقطِعٌ؛ أي: ولكنَّهُم ابتدَعُوهَا ابتغاءَ رِضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ كما يجِبُ على الناذِرِ رِعايةُ نَذْرِه؛ لأنَّه عَهْدٌ مع اللهِ لا يَحِلُّ نَكْثُه.

﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يُريدُ: أَهْلَ الرَّحمة والرأفةِ الذين اتَّبعُوا عيسَى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾: هم الَّذين لم يُحافِظُوا على نَذْرِهم.

ويجوز أَن تكون الرَّهْبَانيَّةُ مَعْطوفةً على ما قَبْلَهَا، و﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ صِفةً لهَا في مَحَلِّ النَّصْب؛ أي: ﴿وَجَعَلْنَا فِى﴾ قلُوبِهم ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ مُبتدَعَةً من عِندهم؛ بمعنى: وَفَّقْنَاهُم للتَّراحُم بَينهم ولابتِداع الرَّهبانيَّة واستِحْداثها ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا﴾ ليبتَغُوا بهَا رِضوانَ الله ويَستَحِقُّوا بها الثَّوابَ، عَلى أنه كَتَبها عَليهم وأَلزَمَها إيَّاهُم لِيتخَلَّصُوا من الفِتَن ويَبتَغُوا بذلك رِضَا الله وثَوابَه، ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾ جميعًا ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، ولكنْ بَعضُهُم، ﴿فَـَٔاتَيْنَا﴾ المُؤمنين المُراعِين منهم لِلرَّهبَانيَّة ﴿أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾، وهم الَّذين لم يَرْعَوْهَا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

قولـه: **(كأنَّهـا نسبة)** وإنَّمـا قـال: "كأنَّهـا" لأنَّ حـقَّ النِّسـبة أنْ يُـردَّ الجمـع إلـى الواحـد.

قوله: **(على أنَّه)** أي: على معنى "أنَّه".

قوله: **(ولكن بعضُهم)** أي: لكن رعاها بعضُهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يجوز أن يكون خِطابًا لِلَّذين آمنوا مِن أهْل الكتاب، والَّذين آمَنوا مِن غَيْرِهم، فإن كان خِطابًا لِمؤمني أهْلِ الكتاب فالمعنى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بموسى وعيسى آمِنُوا بمحمَّدٍ ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ الله ﴿كِفْلَيْنِ﴾؛ أي: نَصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بمحمَّد وإيمانِكُم بِمَن قبلهُ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ﴾ يومَ القيامة ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وهو النُّورُ المذكورُ في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ [الحديد ١٢/٥٧]، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما أَسْلَفْتُم مِن الكُفر والمعَاصي ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾: ليَعلمَ ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الَّذين لم يُسلِمُوا -و"لا" مَزِيدةٌ- ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ و﴿أَنْ﴾ مُخفَّفةٌ من الثقيلة، أَصْلُه: أَنَّه لا يَقْدِرُون؛ يَعني: أنَّ الشَّأنَّ لا يقدرُون ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا ينالُونَ شيئًا ممَّا ذكرَ من فَضْلِه من الكِفْلَين والنُّورِ والمَغْفرةِ؛ لأنَّهُم لم يُؤْمِنُوا برَسُول الله، فلم يَنفعْهُم إيمانُهم بمَن قبْلَه ولم يَكسِبْهم فَضْلًا قَطُّ.

وإن كان خِطَابًا لِغَيْرهم فالمَعنى: اتَّقُوا اللهَ واثْبُتُوا عَلى إيمانِكم برسُول الله يُؤتِكُم ما وَعَدَ مَن آمَنَ مِن أهل الكِتاب من الكِفلَين في قوله: ....

قوله: (والذين آمنوا) أي: ويجوز أن يكون خِطابًا للذين.[١]

قوله:[٢] (ممّا ذُكِرَ) المذكور قبل ذلك "الكِفْلان[٣] والنور والمغفرة"، وهذا[٤] بعضٌ مِن فضل الله تعالى، وقد حصل ذلك للمؤمنين منهم لا للكافرين. فقوله:[٥] (شيئًا ممّا ذُكر)[٦] أي: مِن الكِفْلَين والنور والمغفرة، فـ"مِن" في "ممّا ذُكر" للتبعيض، و"مِن" في قوله: (مِن فضله) للتبعيض أيضًا، لأنّ هذه المذكورات بَعضٌ مِن فضل الله تعالى، و"مِن" في قوله للبيان، وهو بيان ما ذُكر، ويجوز أن يقال: المراد بالفَضْل هنا: الكِفْلان والنور والمغفرة، فعلى[٧] هذا يكون "مِن" في قوله: "مِن فضله" للبيان. وقوله: (مِن الكِفْلَين) بدل منه بتكرير العامل.

قوله: (وإن كان خِطابًا لغيرهم) أي: لغير أهل الكتاب ممَّن دخلوا في الإيمان.

---

١ ف – للذين؛ ن + آمنوا.
٢ ف + وإن كان؛ ن + كان.
٣ ن – الكِفلان.
٤ ن + من.
٥ ن: بقوله.
٦ ن: ذكره.
٧ ف: وعلى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [القصص ٥٤/٢٨] ولَا يَنقُصُكُمْ مِن مِثلِ أَجْرِهِم؛ لأنَّكم مِثلُهم في الإيمانينِ لا تُفرِّقُونَ بين أَحدٍ من رُسلِه.

روي: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعث جَعْفرًا رضيَ الله عنه في سَبْعين راكبًا إلى النَّجاشِيِّ يدعوهُ، فقدِمَ جَعْفرٌ عليه فدعَاه فاستجَاب له، فقال ناسٌ ممَّن آمَنَ مِن أَهْل مَملَكَتِه وهُم أرْبَعُونَ رجُلًا: ائذَنْ لنَا في الوِفادَةِ على رسُول الله، فأَذِنَ لهُم، فقَدِمُوا معَ جَعفرٍ وقد تَهيَّأ لِوقعَةِ أُحُدٍ، فلمَّا رأوا ما بالمُسلمينَ مِن خصَاصَة استأذَنُوا رسُولَ الله، فرَجَعُوا وقَدِمُوا بأموالٍ لهم، فآسَوْا بهَا المُسلمين، فأنْزَل اللهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [القصص ٥٢/٢٨] إلى قولِه: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [القصص ٥٤/٢٨]، فلمَّا سَمِع مَن لَم يُؤمِن مِن أهْل الكتابِ قولَه: ﴿يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [القصص ٥٤/٢٨] فَخَرُوا على المُسلمينَ

قوله: **(لا تُفرِّقون)** بيان لقوله: **(مثلُهم في الإيمان)**؛ لأنَّ مَن آمَن بنبيِّنا مِن غير أهل الكتاب فقد جمع بين الإيمان بالنبيِّ[١] عليه السلام[٢] وبغيره مِن الأنبياء، كأهل الكتاب إذا آمنوا بنبيِّنا.[٣]

قوله: **(رُوي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)**...[٤] إلخ يُؤيِّد[٥] الوجه الثاني، وهو أن يكون الخطاب للذين آمنوا مِن غير أهل الكتاب. وقوله: **(فدَعاه)** أي: إلى الإسلام.

قوله: **(قوله تعالى: ﴿يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [القصص ٥٤/٢٨])** قال تعالى في سورة القصص: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝ / وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ [٣٩٢و]
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ [القصص ٥٢/٢٨-٥٥].[٦]

---

١ ن: بالشي.
٢ ف ن - عليه السلام.
٣ ف: بنبّينا.
٤ د: عليه السلام.
٥ ف: يريد.
٦ ن - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ [القصص ٥٤/٢٨-٥٥]؛ ن + إلى آخر الآية.

وقالوا: أمَّا مَن آمَن بكتَابكم وكتَابنا فلَه أجْرُهُ مَرتَيْنِ، وأمَّا مَن لم يُؤمن بكِتابكم فلهُ أَجْرٌ كأَجْركم، فمَا فَضْلُكم عَلَينا؟ فنزلَتْ.

ورُويَ: أنَّ مُؤمِنِي أهْلِ الكتاب افتخَرُوا على غَيْرهم من المؤمِنِين بأنهُم يُؤتَوْن أجْرَهم مرَّتين، وادَّعَوا الفَضْلَ عَليْهم، فنَزلَتْ.

وقرئ: "لكي يَعْلَمَ"، و: "لكيلا يَعْلَمَ"، و: "ليَعْلَمَ" و: "لأن يَّعلم" بإدغامِ النُّون في الياءِ، و: "ليَيَّعلم" بقلب الهَمزة يَاءً وإدغامِ النُّون في الياءِ.

وعن الحسن: "لَيْلا يَعْلَمَ" بفَتْح اللَّام وسُكون الياءِ، ورَوَاهُ قُطْرُبٌ بكسر اللَّامِ.

وقيل في وَجهِهَا: حُذِفَت هَمزةُ "أَنْ" وأُدغِمَتْ نونُها في لام "لا"، فصارَ "لِلَّا"، ثُمَّ أبدِلَتْ من اللَّام المُدغَمةِ يَاءٌ كقَولهم: دِيوانٌ وقِيرَاطٌ، ومَن فتحَ اللامَ فعَلى أَنَّ أصْلَ لامِ الجرِّ الفَتحُ؛ كما أُنشِدَ:

أُرِيـــدُ لأَنْــسَـى ذِكْــرَهَــا فكأنَّما   تَـمـثَّـلُ لِـي لَـيْـلَـى بـكـلِّ سبيل

قوله: (فنزلتْ) أي: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾.

قوله: (ورُوي) يؤيّد أيضًا الوجه[1] الثاني.

قوله: (و"لِيَيَّعْلَمَ")[2] فيكون بالياءات.[3]

قوله: (كقولهم: دِيوان وقِيراط) أصل الديوان: دِوّان، فعُوّض مِن إحدى الواوين ياء؛ لأنّه يجمع على دَواوين، ولو كانت الياء[4] أصليّة لَقِيل: دَياوين.[5] وأصل قِيراط: قِرّاط؛ لأنّ جَمعه قَراريط، فأُبدل مِن إحدى حرفَي التضعيف ياءً. والدينار كذلك.[6]

قوله:

(أُريـــــدُ لأنْــــــى[7] ذِكْـــرَهـــا)

---

١ ن: للوجه.

٢ ف: ولِيَتَّعْلَمَ.

٣ ن: باليات. | قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَحدري. انظر: **البحر المحيط** لأبي حيّان، ١١٧/١٠ (الحديد، ٢٩/٥٧).

٤ ن: اليا.

٥ **الصحاح** للجوهري، «دون».

٦ **الصحاح** للجوهري، «قرط».

٧ ن: لاسى.

وقرئَ: "أنْ لا يقدروا".

﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾: في مُلكهِ وتصرُّفهِ، واليَدُ مَثَلٌ ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ولا يشاءُ إلّا إيتاءَ مَن يَسْتَحِقُّه.

عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأَ سُورة الحَديد كُتِبَ من الَّذين آمَنُوا بالله ورُسُلِه».

تمامه:

فكأنَما تمثَّلُ لي ليلى بكُلِّ[1] سبيلِ[2]

قريب مِن معناه معنى قول الشِّبْلي رحمه الله: إذا أردتُ أن أغْفُلَ عنه لحظةً، صاح عليَّ، وقال: إليَّ[3] يا شِبْلي.[4] أي: توجَّه إليّ.[5]

تمّت السورة بحمد الله[6] ومَنّه وكَرمه.[7]

---

١ ن: بل.

٢ لكثيّر عزّة في ديوانه، ص ١٠٨.

٣ ف ن: لي.

٤ لم يُوقف عليه. ومضى في ٣/٣٤٩.

٥ وفي هامش د ف: قوله: (واليدُ مَثَلٌ) يعني: قوله تعالى: ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ استعارة تمثيليّة، شبّه ما في تصرّف الشخص بما في يده، والجامع القدرة على الإعطاء والإمساك.

٦ ن + تعالى.

٧ ن - ومَنّه وكَرمه؛ ف - السورة بحمد الله ومَنّه وكَرمه.

سورة المجادلة

مَدنيَّةٌ، وهي ثنتان وعشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ١﴾

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ قالت عائشةُ رضي الله عنها: الحَمْدُ للهِ الذِي وَسِعَ سَمعُه الأصْوَاتَ، لقد كلَّمتِ المُجادِلةُ رسُولَ الله في جانبِ البَيْتِ وأنا عِندهُ لا أسمعُ وقد سَمِعَ لهَا.

وعن عمر: أنه كان إذَا دَخلتْ عليه أكرَمَها وقال: قَد سَمع الله لها.

وقرئ: "تُحاوِرُك"؛ أي: تُراجِعُكَ الكلامَ، و: "تُحاوِلكَ"؛ أي: تُسائِلُكَ.

وهي خَوْلَةُ بنت ثَعْلَبَةَ امرأةُ أَوْس بن الصَّامتِ أخي عُبادةَ، رآهَا وهي تُصلِّي وكانت حَسَنةَ الجِسْمِ، فلمَّا سَلَّمَتْ رَاوَدَها فأبَتْ، فغَضِب وكانَ به خِفَّةٌ ولَمَمٌ، فظَاهَر مِنها.

فأَتت رسُولَ الله فقالت: إن أَوْسًا تزوَّجَني وأنا شَابَّةٌ مَرغوبٌ فيَّ، ....

سورة المُجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (وقُرئ: "تُحَاوِرُكَ") في موضع ﴿تُجَٰدِلُكَ﴾.[2]

---

[1] ف ن - وبه نستعين.

[2] قراءة شاذة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه واليماني. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٦.

فلمّا خلا سنِّي ونَثَرتُ بَطْني -أي: كَثُرَ وَلَدِي- جَعَلني عليه كأُمِّه.

ورُوِيَ: أنها قالت له: إن لي صِبْيةً صِغَارًا إن ضَمَمْتُهم إليه ضَاعُوا، وإن ضَمَمْتُهم إليَّ جاعُوا، فقال: «ما عِندي في أَمْرِكِ شَيء».

ورُوي أنَّه قال لها: «حَرُمْتِ عليه»، فقالَت: يا رسولَ الله، ما ذكرَ طلاقًا، وإنَّما هُو أبُو وَلَدِي وأحَبُّ الناس إليَّ، فقال: «حرُمْتِ عليه»، فقالَت: أَشكُو إلى اللهِ فَاقتِي ووَحْدتي، كلَّما قال رسُولُ الله: «حَرُمتِ عليه» هَتَفَتْ وشكَتْ إلى الله، فنزلَتْ: ﴿فِى زَوْجِهَا﴾ في شأنهِ.

ومعناه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ يصحُّ أَن يَسمع كلَّ مسْمُوع ويُبصِرَ كلَّ مُبصَرٍ.

فإن قلتَ: ما مَعنى ﴿قَدْ﴾ في قوله: ﴿سَمِعَ ٱللَّهُ﴾؟

قلتُ: مَعناه: التوقُّعُ؛ لأن رَسُولَ الله والمجادِلةَ كانا يتوقَّعانِ أَن يَسمَع الله مُجادَلَتها وشكواهَا ويُنزِلَ في ذلك ما يُفرِّجُ عنها.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم﴾ في ﴿مِنكُم﴾ تَوبيخٌ للعَرب وتهجينٌ لِعادتهم في الظِّهارِ؛ لأنَّه كان من أَيمان أهلِ جَاهليَّتهم خاصَّةً دونَ سائر الأمم.

﴿مَا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ وقرئ بالرَّفع، على اللُّغتين الحجازيَّةِ والتميميَّة، وقرأ ابنُ مَسعودٍ: "بأمهاتهم"، وزيَادةُ الباءِ في لُغةِ مَن يَنصِبُ.

قوله: (**خلا**) أي: مضى.[1]

قوله: (**الحِجازيّة والتَميميَّة**)[2] فيه لفّ ونشر، يريد: أنّ القراءة بكسر التاء -وهي مِن السبعة- لغة حجازيّة، وبرفعها -وهي شاذّة-[3] لغة تميم.

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (نَثَرتُ بَطني) استعارة تمثيليّة، شُبّهت حال الولادة بحال النَّثر، والجامع انفصال ما يتعلّق بكلّ منهما عنهما.

[2] ن - قوله: (خلا) أي: مضى. قوله: (الحِجازيّة والتَّميميّة).

[3] مرويّة عن المفضّل عن عاصم. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٦٦.

والمَعنى: أنَّ مَن يَقُول لامرأته: "أنتِ عليَّ كظَهر أُمِّي"، مُلحِقٌ في كلامِهِ هذا للزَّوج بالأُمِّ وجَاعِلُها مِثلَها، وهذا تشبيهٌ باطلٌ لتبايُنِ الحالين.

﴿إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡ﴾ يُريد أن الأمَّهاتِ على الحقيقةِ إنما هُنَّ الوالِداتُ، وغيرُهنَّ مُلْحقاتٌ بهِنَّ لدُخولهنَّ في حُكْمِهِنَّ، فَالمُرضِعاتُ أمّهاتٌ لأَنهنَّ لمَّا أَرضَعْنَ دخَلْنَ بالرَّضاع في حكم الأمَّهاتِ، وكذلك أزْواجُ رسُولِ اللهِ أُمَّهاتُ المؤمنين لأنَّ الله حرَّم نِكاحهنَّ على الأُمَّة، فدخلنَ بذلك في حكم الأمهاتِ.

وأما الزَّوجاتُ فأبعَدُ شيء من الأمُومَةِ؛ لأنهن لَسْنَ بأمَّهاتٍ على الحقيقة، ولا بداخِلاتٍ في حكم الأُمهاتِ، فكان قولُ المظاهِر ﴿مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ تُنكِرُهُ الحقيقةُ وتُنكِرُه الأحكامُ الشرعيةُ ﴿وَزُورٗا﴾: وكذبًا باطلًا مُنحرِفًا عنِ الحقِّ.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ لِمَا سَلَف منه إذا تِيبَ عنه ولم يُعَد إليه.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ يَعني: والذين كانت عادتُهم أَن يقولوا هذا القولَ المُنكَرَ فقَطَعُوهُ بالإسلامِ، ثم يَعودُون لمثلِه، فكفَّارةُ مَن عادَ أَنْ يُحرِّرَ رَقَبَةً ثم يُماسَّ المُظَاهَرَ مِنها، لا تَحِلُّ لهُ مُماسَّتُها إلَّا بَعد تقديم الكفَّارة.

قوله: (**والذين كانت عادتُهم**) استفاد هذا المعنى مِن قوله تعالى: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾، فإنّه يدلّ على الاستمرار[١] والتكرّر. وقوله:[٢] (**فقَطعوه... ثمّ يَعودون**) استفاده[٣] مِن لفظةِ ﴿ثُمَّ﴾ مع ذكر العَود. وبهذا الكلام دفع قولَ مَن قال: إنّ الظِّهار لا يقع في أوّل مرّة حتّى يُعيد الظِّهار مرّةً أخرى.

---

[١] وفي هامش د ف: استُفيد الاستمرار مِن خلاف مقتضى الظاهر، وهو التعبير عن الماضي بالمستقبل، فإنّه يدلّ على أنّ الواقع في الزمان الماضي موجود في الزمان الحاضر فيدلّ عليه الاستمرار.

[٢] ن: قوله.

[٣] ن: استفادة.

....

قال أبو عليّ الفارسي في **الحُجّة** في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البقرة ٢/٨٥]:

فأمّا مَن ذهَبَ مِن المتأخّرين إلى أنّ الظِّهار لا يقع في أوّل[١] مَرّة حتّى يُعيد الظِّهار مرّة أُخرى فيقول: أنتِ عليّ كَظَهْرِ أُمّي؛ لأنّ ذلك عنده هو الظِّهار لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ فليس في ذلك ظاهرًا كما ادّعاه؛ وذلك لأنّ العَوْد على ضربَين: أحدهما: أن يصير إلى شيء قد[٢] كان عليه قبلُ فتركه ثمّ صار إليه. والآخَر: أن يصير إلى شيء وإنْ لم يكن على ذلك قبلُ. فكأنّ هذا الوجه غَمُضَ[٣] على هذا القائل، وهذا عند مَن خُوطِب بالقرآن مثلُ الوجه الأوّل في الظهور،[٤] وفي أنّهم يَعرِفونه كما يَعرفون ذلك، فمِن ذلك قوله:[٥] -شعر-

إذا[٦] السَّبْعُونَ[٧] أقْصَدَني سواها وصارت في المفاصل والعِظامِ
وصِرْتُ كأنّني أقتادُ[٨] عَنْزًا / وعادَ الرأس منّي كالثَّغامِ [٣٩٢ظ]

والمعنى: صار لَون رأسي كلَون الثَّغام، ولم يكن ثَمّ[٩] لون ثَغام عاد إليه. وإنّما[١٠] المعنى: صار لون الرأس كلَون الثَّغام.[١١]

والثَّغام -بالفتح-: نَبتٌ أبيضُ يكون في الجبل إذا يَبِسَ ابيَضّ،[١٢] يُشبَّه به[١٣] الشَّيْبُ، الواحدة:[١٤] ثَغامة، وهو بالفارسيّة: "درمنهٔ سپيد".[١٥] ويقال: أقصَدَتْه الحيّةُ، أي: قَتَلَتْه، وأقصَد السهم: أصاب فقتل[١٦] على المكان.[١٧]

١ ن - أوّل.
٢ ن: فد.
٣ ف: غُمِض.
٤ ن - في الظهور.
٥ ن ف - قوله. | في مطبوع **الحجّة**: "ما أنشده أبو عثمان أو الرِّياشي".
٦ ن: إد.
٧ في مطبوع **الحجّة**: "التسعون".
٨ وفي هامش د ف: مضارع.
٩ ف: ثمّه.
١٠ ن: إنّما.
١١ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٢/١٣٦.
١٢ ف: ابيَض.
١٣ ف - به.
١٤ ن: الواحد.
١٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ثغم»؛ **ولسان العرب** لابن منظور، «ثغم».
١٦ ن: فقيل.
١٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «قصد»؛ **ولسان العرب** لابن منظور، «قصد».

....

ثمّ ذكر أبو عليّ لتقرير هذا المعنى أمثلةً كثيرةً، ثمّ قال:

وفي بعض ما ذُكر كفاية تدلُّ على غَلطِ مَن ذهَب إلى أنّ العَود لا يكون إلّا أنْ يُفارِق شيئًا كان عليه ثمّ يصير إليه بعد ذلك. ثمّ قال: وقد قيل في الآية قولان؛ يجوز أن يكون في كلّ واحد منهما على غير ما قاله هذا القائل:

قال أبو[1] الحسن: «تقديرها: والذين يُظاهِرون مِن نسائهم فتحرير رَقبة لِما قالوا، ثمّ يعودون إلى نسائهم».

وقال عبيد الله بن[2] الحسن: «تأويلها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ المعنى: ثمّ يعودون إلى المَقول فيه، والمقولُ فيه هو النساء، ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ أي: فتحرير رقبة[3] لكفّارة[4] التحريم الواقع مِن الزوج».

فتقدير قول أبي الحسن[5] الأخفشِ: والذين يُظاهرون مِن نسائهم فعليهم تحرير رقبة لِما قالوا، أي: لِما نَطقوا به مِن لفظ التحريم[6] الموجِب الامتناع مِن[7] الوطء إلّا بعد التكفير، فيكون قوله: ﴿لِمَا قَالُواْ﴾ الجارُّ فيه متعلّق بالمحذوف الذي هو خبر المبتدأ، والجارّ قد يتعلّق بالمعنى وإن تقدّم عليه؛ لكونه بذلك نحو الظرف في نحو: أَكُلَّ يوم لك ثوب؟ ومعنى "يعودون إلى نسائهم"، أي: إلى وَطئهنّ الذي[8] كانوا حرَّموه على أنفسهم[9] بالظِّهار منهنّ. وأمّا التقديم والتأخير الذي قدّره في الآية فكثير جدًّا، مِثل قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ [النمل ٢٧/٢٨]، فالمعنى: اذهبْ بكتابي هذا فألْقِه إليهم فانظُر ماذا يَرجعون ثمّ تولّ عنهم.

وقال عُبيد الله: التأويل: الذين يُظاهرون ثمّ يعودون لِما قالوا، أي: يعودون إلى المَقول فيه، والمقولُ فيه هو القول، لِما قالوا والمقالة[10] والقول بمعنًى،

---

١ ن: أبوا.

٢ ن: ابن.

٣ ن – أي: فتحرير رقبة.

٤ ن: للكفار.

٥ ن: الحسين.

٦ ن + ثمّ.

٧ ن: بن.

٨ ن: الدين.

٩ ن: أنفوسهم.

١٠ ف: المقالة.

....

فالمراد بقوله: ﴿لِمَا قَالُوا﴾ هو المَقول فيه، كما أنّ قولهم: هذا الدرهم ضَرْبُ الأمير؛ يُراد به مَضروبُه.[1]

وبسط في هذا المعنى أيضًا بما فيه فوائدُ جليلةٌ، ثمّ قال:

فأمّا "اللام" في قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ على قول عبيد الله بمعنى "إلى"، وإلى واللام يتعاقَبان في هذا النحو، ويقع كلُّ واحد منهما موقع الآخر، قال تعالى: ﴿يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس ٣٥/١٠]، ﴿يَهْدِيَ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [يونس ٣٥/١٠]، ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة ٥/٩٩]، ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [هود ٣٦/١١]، فوصل الفِعْل مرّة بـ"اللام" ومرّة بـ"إلى".

فأمّا قوله: ﴿يَعُودُونَ﴾ في الآية فهو في القولين[2] يجوز على كلّ واحد مِن المذهبين اللَّذين ذكرناهما في العود في أنّه يكون للحال التي يكون[3] عليها الشيء، ثمّ ينتقل عنها، ثمّ يصير إليها، ويكون للمصير[4] إلى الشيء وإنْ لم يكن / فيه قبلُ. [٣٩٣و]

فقول[5] أبي الحسن الأخفش تقديره: فعليهم تحرير رقبة مِن أجل ما قالوه مِن لفظ الظِّهار الموجِب للتحريم، ثمّ يعودون إلى نسائهم على ما كانوا عليه مِن قبلُ مِن[6] وطئِهنّ. ويجوز أن يكون: فتحرير[7] رقبة[8] لِما قالوا ثمّ[9] يصيرون[10] إلى استباحة وطئهنّ الذي كان قد حَرُمَ عليهم. وكذلك قول عبيد الله: يصيرون[11] إلى الحالة التي كانوا عليها مِن فعل الوطء كما كانوا مِن قبل أنْ يُحدِثوا[12] التحريم بالظِّهار.

ويجوز أن يكون المعنى: ثمّ يعودون[13] إلى استباحة الوطء برفع الكفّارة

---

١ الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ١٣٨/٢.
٢ ن: القرآن.
٣ ن – للحال التي يكون.
٤ ن: للمصمير.
٥ ن: يقول.
٦ ن – من.
٧ ن: للحرير.
٨ ن: وفيه.
٩ ن: لن.
١٠ ف: تصيرون.
١١ ن: يصبرون.
١٢ ن: يحدثو.
١٣ ن: يعدون.

ووَجهٌ آخرُ: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾: ثم يَتداركُون ما قالوا؛ لأنَّ المُتدارِكَ لِلأمرِ عائدٌ إليه، ومنه المثَلُ: "عادَ غَيْثٌ على ما أَفسَد"؛ أي: تَداركه بالإصلاح،

للتحريم الحادث ويَخرجون عنه. فإذا أمكن في الآية كلُّ واحد مِن التأويلين اللّذين[1] يحتملهما الكلمة لم يجز أن يدّعي أنّ أحدهما هو الظاهر دون الآخر.[2]

هذا تقرير ما ذُكر في **الحُجّة**، ويظهر لك مِن هذا أنّ دفع[3] قول مَن قال: الظِّهار لا يقع في أوّل مرّةٍ بما ذكره أبو عليّ أولى مِن الدفع[4] بما ذكره المصنّف، فإنّه توهّم[5] أنّ حُكم الظِّهار مختصّ بالذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالإسلام ثمّ يعودون لمثله، ومعلوم أنّه ليس كذلك.[6]

ثمّ اعلم أنّ حاصل معنى العَود على التفسير المختار راجع إلى أن يُمسِكها زمانًا يمكنه أن يطلِّقها فلا يُطلِّقها،[7] هذا في المطلَق، وأمّا في المؤقَّت فأنْ يَطأَ في المدّة، وفي الرجعيّة الرجعة،[8] كما ذكروا في كُتب الأحكام.

ثمّ اعلم أنّ معنى ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾: الدلالة على أنّ العَود أشدُّ تَبِعةً وأقوى إثْمًا مِن نفس الظِّهار، ألا ترى أنّ الكفّارة تتعلّق بالعَود، لا بالظِّهار بدون العَود؟

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، كأنّه[9] تعالى قال -والله أعلم-: عَفَونا عنهم بأن لا نُؤاخذهم بما سلف مِن ظهارهم، وأوجبنا عليهم الكفّارة. ويجوز أن يكون المراد بالعفو هنا -والله أعلم- رفع الحكم بكونه طلاقًا، فكأنّه قيل: رفعنا عنه حكم الطلاق، وأوجبنا به الكفّارة.

قوله: (ووجه آخر) فعلى هذا الوجه يكون المراد بقوله: ﴿يَعُودُونَ﴾:

---

١ ن: الذين.
٢ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٢/١٤١.
٣ ن: رفع.
٤ ن: الرفع.
٥ ن: يوهم.
٦ ن: لذلك.
٧ وفي هامش د: هذا مذهب الشافعي.
٨ ن: الرجعية.
٩ ف + قال.

والمعنى: أَنَّ تدارُكَ هذا القولِ وتَلافيَه بأَنْ يُكفِّرَ حَتَّى تَرْجِعَ حَالُهما كما كانَتْ قَبل الظِّهار.

ووجهٌ ثالثٌ: وهُو أَن يُراد بـ"ما قالوا": ما حَرَّمُوهُ على أَنفُسهم بلَفظ الظِّهار؛ تَنْزِيلًا للقَول مَنزلةَ المَقُول فيه، نحوَ ما ذكَرْنا في قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ [مريم ١٩/٨٠]، ويكونَ المَعنى: ثُم يُرِيدُون العَود للتماسّ.

والمُماسَّةُ: الاستمتاعُ بها: من جماعٍ، أو لَمْسٍ لِشَهْوةٍ، أو نظَرٍ إلى فرْجها لِشَهوةٍ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحُكْمُ ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ لأن الحُكمَ بالكفَّارة دليلٌ على ارْتكَابِ الجِنايةِ، فيجبُ أن تَتَّعِظُوا بهذا الحكم حَتى لا تَعُودُوا إلى الظِّهار وتخافُوا عقابَ الله عَليْه.

فإن قلتَ: هَلْ يَصحُّ الظهارُ بغَيْرِ هذا اللَّفظ؟

قلتُ: نَعم، إذا وَضعَ مكان "أَنتِ" عُضوًا مِنها يُعبَّر به عنِ الجملَةِ كالرَّأس والوَجْه والرقَبَةِ والفَرْجِ، أَو مَكانَ الظَّهر عُضوًا آخرَ يَحرُمُ النَّظرُ إليهِ من الأمّ كالبَطنِ والفَخِذِ، أَو مكانَ الأم ذاتَ رحِمٍ مَحْرَمٍ منه من نسَبٍ أو رَضاعٍ أَو صِهْرٍ أو جِماع، نحو أَن يقول: "أَنتِ عَليَّ كظَهر أُخْتي من الرَّضاع" أو "عَمتي من النَّسبِ" أَو "امرأة ابنِي، أَو أَبِي" أو "أمِّ امرأتِي، أَو بِنتِهَا"، فهُو مُظَاهِرٌ، وهو مذهبُ أبي حنيفة وأصحابهِ رحمهم الله، وعن الحسن والنَّخعي والزُّهريِّ والأَوزاعيِّ والثَّوريِّ وغيرهم نحوُه.

وقال الشافعيُ رحمه الله: لا يكون الظِّهارُ إلَّا بالأم وحْدَها، وهو قول قتادة والشَّعبيّ، وعن الشعبي: لم يَنْسَ الله أَن يَذكُر البَناتِ والأخواتِ والعمَّات والخالاتِ؛ إذ أَخْبرَ أَن الظِّهار إنما يكون بالأمهات الوَالِدات دون المُرضِعاتِ.

يريدون أن يعودوا، أي: يريدون أنْ[1] يتداركوا. وقوله:[2] **(حتّى تَرجع)** أي: تصير. وقوله: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ [مريم ١٩/٨٠]، أي: المقول فيه، وهو المال والولد.

قوله: **(أو جِماع)** كالوطء بالشبهة؛ إذ تَحرُمُ به أُمُّ المَوطوءة.[3]

---

[1] ن - يعودوا، أي: يريدون أنْ.

[2] ن: قوله.

[3] ن: الموطوة.

وعن بعضهم: لا بُدَّ من ذكرِ الظَّهر حتى يكونَ ظهارًا.

فإن قلتَ: فإذا امتنعَ المُظاهِرُ من الكفَّارة هل للمرأةِ أَن تُرَافِعَه؟

قلتُ: لهَا ذلك، وعلى القاضي أن يُجبِرَهُ على أن يُكفِّرَ وأن يَحْبِسَه، ولا شيءَ من الكفَّاراتِ يُجْبَرُ عليه ويُحبَسُ إلَّا كفارةُ الظِّهار وَحْدَها؛ لأنه يضرُّ بها في تركِ التكْفير والامتناعِ مَن الاستِمتاع، فيُلزَمُ إيفَاءَ حَقِّها.

فإن قلتَ: فإن مَسَّ قَبلَ أَن يُكفِّر؟

قلتُ: عَليه أَن يَستَغفِر ولا يَعُود حَتَّى يُكفِّر؛ لِمَا رُوي: أن سَلَمَةَ بن صَخْرٍ البَياضِيَّ قال لِرسُول الله: ظاهَرْتُ مِن امْرأتي، ثم أبصَرتُ خَلخالَها في لَيْلةٍ قمراءَ فوَاقَعْتُهَا، فقال عليه السلام: «استَغفِر ربَّكَ ولا تَعُدْ حَتَّى تُكفِّرَ».

فإن قلتَ: أَيُّ رَقبةٍ تُجزِئ في كفَّارةِ الظِّهار؟

قلتُ: المُسلمةُ والكافرةُ جميعًا؛ لأنَّها في الآية مُطْلَقةٌ، وعند الشافعي رحمه الله: لا تُجزِئُ إلَّا المُؤمنةُ؛ لقوله تعالى في كفارةِ القَتل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء ٤/٩٢]، ولا تُجزئُ أمُّ الوَلدِ والمُدبَّرُ والمكاتَبُ الذي أدَّى شيئًا، فإن لم يؤدِّ جاز، وعند الشافعي رحمه الله: لا يجُوز.

فإن قلتَ: فإن أعتق بَعضَ الرقبَة أو صَام بَعضَ الصِّيام ثُم مَسَّ؟

قلتُ: عليه أَن يستأنِف، نهارًا مَسَّ أو ليلًا، ناسيًا أو عامدًا، عند أبي حنيفة رحمه الله، وعند أبي يوسف ومحمد رحمهما الله: عتقُ بَعضِ الرقبةِ عِتقُ كُلِّها فيُجزِئُه، وإن كان المسُّ يُفسِد الصَّوم استَقْبَلَ وإلَّا بَنَى.

قوله: (**فيُلزِم إيفاءَ حقِّها**) أي: فيجبره على إيفاء حقِّها.

قوله: (**البَياضِيَّ**) بنو بياضة: قبيلة مِن العرب، وهو منسوب إليها.

قوله: (**نهارًا مَسَّ أو ليلًا**) أي: سواء مسَّ نهارًا أو ليلًا. وقوله: (**يُفسِد**) بأن كان بالنهار. وقوله:[1] (**استقبَلَ**) أي: توجَّه إلى الصوم بالاستئناف.

---

[1] ن: قوله.

فإن قلتَ: كم يُعطِي المِسْكينَ في الإطعَام؟

قلتُ: نِصْفَ صاع من بُرّ أو صَاعًا من غيرِه عِند أبي حنيفة رحمه الله، وعند الشافعي رحمه الله: مُدًّا من طعامِ بلَدِه الذي يُقتَاتُ فيه.

فإن قلتَ: ما بالُ التَّمَاسِّ لم يُذكر عنْد الكفَّارة بالإطْعام كما ذُكر عند الكفارتينِ؟

قلتُ: اختُلِف في ذلك، فعِند أبي حَنيفَة رحمه الله: أنه لا فرق بين الكفَّارات الثلاث في وُجُوب تَقديمها على المِسَاس، وإنما تُرِكَ ذكرُهُ عند الإطْعام دلَالةً على أنه إذا وُجِدَ في خِلال الإطعام لم يُستأنَف كما يُستأنفُ الصومُ إذا وقع في خِلالِه.

وعند غيره: لم يُذكَر للدلالة على أن التكفير قَبله وبَعده سواءٌ.

فإن قلتَ: الضَّميرُ في ﴿أَن يَتَمَآسَّا﴾ إلامَ يَرجِعُ؟

قلتُ: إلى ما دلَّ عليه الكلامُ من المظاهِر والمظاهَرِ منها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ البيانُ والتَّعليم للأحْكام والتنبيهُ علَيها لتُصدِّقوا ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في العَمل بشرائعهِ التي شَرَعَها مِن الظِّهار وغيره، ورَفْضِ ما كُنتُم علَيه في جَاهِلِيَّتكم.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ التي لا يجوز تعدِّيها ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ الَّذين لا يتَّبعونَها ولا يَعملُونَ عليها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝﴾

﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾: يُعَادُون ويُشَاقُّون ﴿كُبِتُوا۟﴾ أُخزُوا وأُهلِكُوا ﴿كَمَا كُبِتَ﴾ مَن قَبلَهم من أَعداء الرُّسُل.

قوله: (الذي) صفة (طعام)، أي: الطعام الذي يُقتات في ذلك البلد.

[٣٩٣ظ] قوله: (على أنّ التكفير[١] قبله وبعده سواء) فيكون ذكر التَّماسّ فيما / تقدَّم إشارة إلى الأولويّة، ولم يَذْكر آخِرًا[٢] لئلّا يُفهَم أنّ المراد الوجوب.

---

[١] ن: التكفين.
[٢] ن: آخر.

قِيل: أُريدَ كَبتُهم يَومَ الخَندق.

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ تَدُلُّ على صِدقِ الرسول وصحّةِ ما جاء به ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ بهذه الآيات ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يَذهبُ بعِزّهم وكِبرهم.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾ منصوبٌ بـ"لهم"، أو بـ﴿مُّهِينٌ﴾، أو بإضمار: "اذكُرْ" تعظيمًا لليَوم.

﴿جَمِيعًا﴾: كلُّهم لا يُترَكُ مِنهم أحَدٌ غيرَ مبعُوث، أو: مجتمِعِينَ في حالٍ واحِدةٍ؛ كما تقول: حَيٌّ جميعٌ.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ تخجيلًا لهُم وتوبيخًا وتشهيرًا بحالهم، يتمنَّون عنده المُسارَعةَ بهم إلى النَّار لِمَا يلحَقُهم من الخِزْي على رؤوس الأشهادِ.

﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أحَاط به عَددًا لم يَفُتْهُ مِنه شيء ﴿وَنَسُوهُ﴾ لأنهم تهَاوَنوا به حينَ ارتكبوه لم يُبالُوا به لضرَاوَتهم بالمعَاصي، وإنما تُحفَظُ مُعظَّماتُ الأمور.

قوله: (منصوب بـ"لَهم") أي: بالجارّ والمجرور، وهو قوله: ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾، وإنّما قال المصنّف: "لهم" إشارة إلى أنّ الظاهر في ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ موضوع[1] موضع المضمَر؛ إذا الأصل "لهم"؛ ليعود إلى ﴿ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾.[2] وقوله: (أو مجتمعين) أي: حال، وعلى الأوّل كان تأكيدًا.

قوله: (حيٌّ جميعٌ) أي: قبيلة مجتمعون.

قوله: (لم يَفُتْه منه شيء) أي: لم يَفُتِ الله منه، أي: ممّا عملوا.

قوله: (لِضَرواتهم) ضَرِيَ الكلب بالصيد ضراوةً، أي: تعوَّد.[3]

قوله: (وإنّما تُحفَظ) يعني: لمّا لم يكن ما فعلوه مِن مُعظمات الأمور عندهم[4] نَسُوه؛ لأنّه إنّما يُحفَظ مُعظمات الأمور.

---

[1] ن – موضوع.
[2] ن: يخادعون.
[3] الصحاح للجوهري، «ضرا».
[4] ف: عنده.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾

﴿مَا يَكُونُ﴾ من "كان" التّامّةِ، وقرئ بالياء والتاء، والياءُ على أنَّ النجوَى تأنيثُها غيرُ حقيقي و﴿مِن﴾ فَاصِلةٌ، أو على أن المَعنى: ما يكون شيءٌ من النجوى.

و"النَّجوَى": التَّنَاجِي، فلا تخلو: إمَّا أن تكون مضافةً إلى ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾؛ أي: من نجوَى ثلاثةِ نَفرٍ. أو مَوصُوفَةً بهَا؛ أي: من أَهْلِ نجوَى ثلاثةٍ، فحُذِف الأهلُ، أو جُعِلُوا نجوَى في أنفسهم مُبالغةً؛ كقوله: ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف ١٢/٨٠].

وقرأ ابن أَبي عبلةَ: "ثلاثةً" و"خمسةً" بالنَّصب على الحالِ بإضمار: يتَناجَونَ؛ لأن ﴿نَّجْوَىٰ﴾ تدلُّ علَيه، أو عَلى تأويل ﴿نَّجْوَىٰ﴾ بـ: متَنَاجِينَ، ونصبِها مِن المُستكِنِّ فيه.

قوله: (و"الياء" على أنّ النَّجوى) يعني: يجوز[١] أن يكون "النَّجوى" فاعلَ ﴿يَكُونُ﴾ و﴿مِن﴾ زائدة، فترْك التأنيث لِما ذكر أوّلًا، ويجوز أن يكون "مِن النَّجوى" صفة موصوف محذوف،[٢] وهو شيء، فتَرْك التأنيث حينئذٍ ظاهرٌ.

قوله: (والنَّجوى: التناجي) قال الأخفش: «وقد يكون النَجِيُّ والنَّجوى اسمًا ومصدرًا».[٣]

قوله: (أو جُعِلوا) أي: جُعِل الأهل في أنفسهم.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾) ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟﴾ [يوسف ١٢/٨٠]، ففي الآيتين جُعِلوا نجوى مبالغة، ولم يُجمَع لأنّه مصدر.

قوله: (أو على تأويل) عطفٌ على قوله: (بإضمار). وقوله: (ونَصْبِها) بالكسر عطفٌ على "تأويل"، أو بالرفع، فهو مبتدأ خبره (مِن المُستكنّ)، يعني:

---

١ ن – يجوز.
٢ ن – محذوف.
٣ ن – قوله: (والنَّجوى: التناجي) قال الأخفش: «وقد يكون النَجِيُّ والنَّجوى اسمًا ومصدرًا». | الصحاح للجوهري، «نجا».

فإن قلتَ: ما الدَّاعي إلى تخصيص الثلاثة والخمسة؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدُهما: أنَّ قومًا من المنافقين تحلَّقوا لِلتنَاجي مُغايَظةً للمؤمِنين على هَذين العَدَدَين: ثلاثةٍ وخمسةٍ، فقيل: ما يتنَاجى منهم ثلاثةٌ ولا خمسةٌ كما تَرونَهُم يتناجَون كذلك ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن﴾ عَدَدَيهِم ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا﴾ واللهُ مَعَهم يَسمَعُ ما يقُولون، فقد رُوي عن ابن عبَّاس رضي الله عنه: أنَّها نزلَتْ في رَبيعَةَ وحَبيبٍ ابنَي عَمرٍو وَصَفوانَ بنِ أُميَّةَ كانوا يومًا يتَحدَّثُونَ، فقال أحَدُهم: أتُرَى أن الله يَعْلَم ما نقُولُ؟ فقال الآخر: يَعلمُ بَعضًا ولا يَعْلمُ بعضًا، وقال الثالثُ: إن كان يَعْلَم بَعضًا فهُوَ يَعْلَمُه كلَّه.

وصَدَقَ؛ لأن مَن عَلِمَ بَعضَ الأشياء بغيرِ سَببٍ فقد عَلِمَها كلَّها؛ لأنَّ كونَه عالِمًا بغَير سَببٍ ثابتٌ له مع كلِّ مَعلوم.

والثاني: أنه قصَد أَن يذكُر ما جَرت عَليه العَادةُ من أَعداد أهلِ النَّجوَى والمُتخالِينَ لِلشُّورَى، والمُنَدَّبُونَ لذلك لَيسُوا بكُلِّ أحَدٍ، وإنما هم طائفةٌ مجْتَباةٌ

يجوز أن يكون ﴿نَّجۡوَىٰ﴾ بمعنى مُتناجِين، ويكون نَصبُ ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ على الحال مِن الضمير المستكنّ في ﴿نَّجۡوَىٰ﴾.

قوله: (بغير سبب) أي: بغير سبب خارجيّ، بمعنى أنّ سبب[1] العِلم بذلك[2] إنّما هو ذاته.

قوله: (والمُتخالين)[3] التخالي:[4] خُلوّ[5] بعضٍ مع بعض.

قوله: (والمُنَدَّبون) يقال: نَدبَه للأمر وانتدَب له، أي: دعاه له فأجاب. فقوله:[6] "المُنَدَّبون" أصله: المنتَدَبون، فقلِب[7] التاء[8] دالًا وأدغِم، وذلك بعد نقل حركة التاء إلى النون.

---

١ ن – سبب.

٢ ن: به لك.

٣ ن: والمتحالين.

٤ ن: التحالي.

٥ ن: حلو.

٦ ف: بقوله.

٧ ن: فقلت.

٨ ن: التا.

من أُولي النُّهَى والأَحلام، ورَهْطٌ مِن أَهل الرَّأي والتَّجارِبِ، وأَولُ عَدَدهم الاثنان فصَاعدًا إلى خمسةٍ إلى ستَّةٍ، إلى ما اقتضَته الحالُ وحَكَم به الاستِصوابُ، ألا تَرى إلى عُمر بنِ الخطاب رضي الله عنه كيف تَرك الأمرَ شُورى بين ستَّةٍ وَلم يتجَاوَز بها إلى سَابع، فذكَر عزَّ وجل الثلاثةَ والخمسةَ، وقال: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ فدَلَّ على الاثنَينِ والأَربعة، وقال ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ فدَلَّ على ما يَلي هذا العَددَ ويُقارِبُه.

وفي مُصحَفِ عبدِ الله: "إلَّا اللهُ رابعُهم ولا أربعةٍ إلَّا اللهُ خامِسُهم ولا خمسةٍ إلَّا الله سَادسهم ولا أَقلَّ من ذلك ولا أكثرَ إلا اللهُ معهم إذا انْتَجَوا".

وقرئ: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ بالنَّصب على أنَّ "لا" لنَفي الجنس.

ويجوز أن يكون: ﴿ولا أكثرُ﴾ بالرَّفع معطُوفًا على محلِّ ﴿لا﴾ مَع ﴿أَدْنَىٰ﴾ كقولك: "لا حَولَ ولا قوةٌ إلا بالله" بفتح الحول ورَفع القوةِ.

ويجوز أَن يكونا مَرْفوعَين على الابتداء؛ كقولك: لا حولٌ ولا قوَّةٌ إلَّا بالله، وأَن يكون ارتِفاعُهما عَطفًا على محلِّ ﴿مِن نَّجۡوَىٰ﴾ كأنَّه قيل: ما يكونُ أَدْنَى ولا أكثَرُ إلا هُوَ معَهم.

ويجوز أن يكونا مجرُورَين عطفًا على ﴿نَّجۡوَىٰ﴾، كأنه قِيل: ما يكون من أَدْنَى ولا أكثرَ إلَّا هُو معَهُم.

وقرئ: "ولا أكبرَ" بالباء.

ومَعنى كونه مَعهم: أَنه يَعلم ما يتَناجَونَ به، ولا يَخفَى عليه ما هُم فيه، فكأنه مُشَاهِدُهُم ومُحاضِرُهم، وقد تعالى عن المكان والمُشاهَدة.

قوله: **(فترك الأمر شورى)** أي: أمرَ الخلافة ذا شُورى.

قوله: **(ويُقارِبُه)** وهو السِّتَّة.

قوله: **(على أنَّ "لا"[١] لنفي[٢] الجنس)** ويجوز أن يكون عطفًا على العدد، فيكون مجرورًا لِعَطْفه على المجرور، أي: ثلاثةٍ وخمسةٍ، إلَّا أنّ جَرَّه بالفتح.

---

١ ن - لا.

٢ ن: النفي.

وقرئ: "ثم يُنْبِئْهم" على التَّخفيف.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾

كانت اليهودُ والمنافقون يَتناجَون فيما بينهم، ويتغامَزُونَ بأعيُنِهم إذا رَأَوا المؤمنينَ يُرِيدُون أن يَغِيظوهم، فنهَاهُم رسولُ الله، فعَادُوا لِمثل فِعلهم، وكان تنَاجِيهم بما هو إثمٌ وعُدوانٌ للمؤمنين، وتَوَاصٍ بمعصيَةِ الرسولِ ومخالفته.

وقرئ: ﴿ويَنْتَجون﴾، "بالإثم والعِدْوان" بكسْر العَيْن، "ومعصياتِ الرسول".

﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعني: أنَّهم يقُولون في تحِيَّتِك: السَّامُ عليك يا محمد، والسَّامُ: الموتُ، واللهُ تعالى يقول: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل ٥٩/٢٧]، و: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة ٤١/٥]، و: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [الأنفال ٦٤/٨].

﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: ما لَهُ إن كان نبيًّا لا يَدعو علَينا حتى يُعذِّبَنا اللهُ بما نقولُ؟! فقال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ خطابٌ للمنافقين الذين آمَنُوا بألْسنَتهم، ويجوز أن يكون للمؤمنِين؛ أي: إذا تناجَيْتُم فلا تَشبَّهُوا بأولئك في تَناجِيهم بالشَّرِّ.

﴿وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ وعن النبيِّ عليه السلام: «إذا كنْتُم ثلاثةً فلا يَتناجَ اثنانِ دون صَاحِبهما، فإنَّ ذلك يحزِنُهُ» ورُوِيَ: «دون الثالثِ».

قوله: (السام عليك يا محمّد) مخالفة تحيَّتهم مِن وجهين: بغير السلام،[1] ونداؤه[2] باسمه صلّى الله عليه وسلّم.[3]

[1] ن: السلم.
[2] ن: وندلوه.
[3] د: عليه السلام.

وقرئ: "فلا تُناجَوا"، وعن ابن مسعُود: "إذا انْتَجَيتُم فلا تَنتَجُوا".

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ اللَّامُ إشارةٌ إلى النَّجوَى بالإثمِ والعُدوانِ، بدلِيل قوله: ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ والمعنى: إنَّ الشَّيطان يُزَيِّنها لَهُم -فكأنها منه- ليَغيظَ الذين آمنوا ويَحْزُنَهُم ﴿وَلَيْسَ﴾ الشيطانُ أو الحُزنُ ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

فإن قلتَ: كيف لا يَضُرُّهم الشيطانُ أو الحُزن إلا بإذن الله؟

قلتُ: كانوا يُوهِمُون المؤمنينَ في نَجوَاهُم وتغَامُزِهم أنَّ غُزَاتَهم غُلِبُوا، وأَن أَقَارِبَهُم قُتِلُوا، فقال: لا يَضُرُّهُم الشَّيطانُ أو الحُزْنُ بذلك المُوهَمِ إلا بإذنِ الله؛ أي: بمشيئتِه، وهو أَن يَقضِيَ المَوتَ على أقَارِبهم، أَو الغَلَبَةَ على الغُزاة.

وقرئ: ﴿لِيَحْزُنَ﴾ و: ﴿لِيُحْزِنَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿تَفَسَّحوا فى المَجْلِسِ﴾: توسَّعُوا فيه، وَلْيفسَحْ بَعضُكُم عن بعضٍ، من قولهم: افسَحْ عَنِّي؛ أي: تَنحَّ، ولا تَتَضَامُّوا، وقرئ: "تفاسَحُوا".

والمرادُ: مجلسُ رسُول الله، وكانُوا يَتَضَامُّونَ فيه تَنافُسًا على القُرْب مِنه، وحِرصًا على استماع كلامِه.

وقيل: هو المجلسُ من مَجالِس القِتال، وهي مَراكِزُ الغُزَاةِ؛ كقَوله: ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران ١٢١/٣] -وقرئ: ﴿فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾- قيل: كانَ الرجُلُ يأتي الصَّفَّ فيقُول: تفسَّحُوا، فيَأبَون لحرصِهم على الشَّهادة.

قوله: **(قيل: كان الرجل)** هذا لبيان قوله: **(وقيل)**، فلذلك لم يأتِ بالواو.
وقوله: **(الصفَّ)** أي: صَفَّ القتال.

وقرئ: "في المجلَس" بفتح اللّام وهو الجُلوسُ؛ أي: توسّعُوا في جُلُوسكُم ولا تتَضايَقُوا فيه.

﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ مُطلَقٌ في كلِّ ما يَبتغِي الناسُ الفُسحَةَ فيه من المكانِ والرِّزقِ والصَّدْرِ والقَبْرِ وغير ذلك.

﴿ٱنشُزُواْ﴾: انهَضُوا للتَّوسعةِ على المقبِلين. أو: انهَضُوا عن مجلس رسُولِ الله إذا أُمِرتُم بالنُّهوض عنه، ولا تُمِلُّوا رسُولَ الله بالارتكازِ فيه، أو: انهَضُوا إلى الصلاة والجهادِ وأعمالِ الخَيْرِ إذا استُنهِضتُم ولا تَثبَّطُوا ولا تُفرِّطُوا.

﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ﴾ المُؤمِنِينَ بامتِثال أوامرِه وأوامِرِ رسُولِه؛ أي: يرفعِ الله المؤمنين منكم عامةً، والعالِمِينَ منهم خاصَّةً ﴿دَرَجَٰتٖ﴾.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء.

وعن عبد الله بنِ مسعُودٍ: أنّه كان إذا قرأهَا قال: يا أيُّها الناسُ، افهَمُوا هذه الآيةَ، ولْتُرَغِّبْكُم في العلم.

وعن النبيّ عليه السلام: «بينَ العالم والعابِدِ مئةُ دَرَجةٍ بَيْنَ كلِّ دَرجتَينِ حُضْرُ الجَوادِ المُضَمَّرِ سَبْعين سَنةً».

وعنه عليه السلام: «فَضْلُ العالم على العابدِ كفَضلِ القمر لَيلَةَ البَدْرِ على سائر الكواكبِ».

قوله: (بالارْتكاز) رَكَزْتُ الرمحَ أركُزُه رَكْزًا؛ غَرَزْته[1] في الأرض.[2]

قوله: («حُضْرُ[3] الجَواد المُضَمَّر»)[4] الحُضْرُ:[5] العَدْوُ. وتضمير الفرَس: أنْ تَعْلِفَه[6] حتّى يَسْمَن ثمّ تَرُدَّه إلى القُوتِ، وذلك في أربعين يومًا، وهذه المدّة تسمّى المِضْمار،[7] وذلك الموضع أيضًا.[8]

---

١ ف: غَرِزته.
٢ الصحاح للجوهري، «ركز».
٣ ن: حصر.
٤ جامع بيان العلم لابن عبد البرّ، ١٢٧/١ (١٢٩).
٥ ن: الحصر.
٦ ن: يعلفه.
٧ وفي هامش د ف: في مِثل هذا يمكن أن يكون استعارة تبعيّة، وأن يكون بالكناية، وأن يكون التمثيل.
٨ الصحاح للجوهري، «ضمر».

وعنه عليه السلام: «يَشفَعُ يَومَ القِيامة ثلاثةٌ: الأنبياءُ ثمَّ العلماءُ ثم الشهداءُ»، فأَعظِمْ بمَرتبةٍ هي وَاسِطةٌ بين النبوَّةِ وَالشَّهادة بشهادةِ رسول الله.

وعن ابن عباس: خُيِّر سُليمان بَين العِلمِ والمالِ والمُلكِ، فاختارَ العِلم فأُعطِيَ المالَ والمُلكَ مَعَه.

وقال عليه السَّلام: «أَوحَى اللهُ إلى إبراهيم: يا إبراهيمُ، إنِّي عليمٌ أحبُّ كلَّ عليمٍ».

وعَن بعض الحكماء: ليْتَ شِعرِي أيَّ شَيءٍ أدركَ مَن فاتَهُ العِلمُ، وأيَّ شيءٍ فات مَن أدركَ العِلمَ.

وعن الأَحنفِ: كاد العُلماء يكونُونَ أَربَابًا، وكُلُّ عزٍّ لم يوَطَّدْ بعِلمٍ فإلى ذُلٍّ ما يَصِيرُ.

وعن الزبيريِّ: العِلمُ ذَكَرٌ، فلا يُحبُّهُ إلَّا ذُكُورَةُ الرِّجالِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾ استعارةٌ ممَّن له يَدانِ، والمَعنى: قَبْلَ نجوَاكم؛ كقول عُمَرَ رضي الله عنه: مِن أفضَلِ ما أوتيَتِ العَربُ الشِّعرُ؛ يُقدِّمُه الرَّجُلُ أمَامَ حاجَتِهِ، فيَستمطِرُ به الكريمَ، ويَستنزِل به اللَّئيمَ. يُريد: قبلَ حَاجتِه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ التقديمُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في دِينكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لأن الصدَقة طُهرَةٌ.

رُوِيَ أنَّ الناسَ أكثَرُوا مُناجَاةَ رسُول الله بما يُريدُون حتَّى أَملُّوهُ وأَبرمُوهُ، فأريدَ أن يكفُّوا عن ذلك، فأُمِرُوا بأَنَّ مَن أرادَ أَن يُناجِيَه قَدَّم قَبْلَ مُناجَاتِه صَدَقةً.

[٣٩٤و] قوله: **(استعارة)** يعني أنَّ "النجوى" لا يدَينِ / له، لكن استُعير[١] لها التقديم بين اليدين[٢] ممَّن له اليَدَان كالأناسيِّ. وقوله: **(أمامَ حاجته)** فاستعار الأمامَ -وهو المكان- للزمان.

---

١ ن: استعبر.

٢ ن - بين اليدين.

قال عَليٌّ رضي الله عنه: لمَّا نزَلَت دَعاني رسُولُ الله فقال: «ما تَقولُ في دينارٍ؟» قلتُ: لا يُطِيقُونَه، قال: «كَم؟» قلتُ: حَبَّةً أو شَعيرةً، قال: «إنَّك لزهيدٌ».

فلمَّا رأوا ذلك اشتدَّ عَليهم فارتَدعُوا وكفُّوا: أمَّا الفَقيرُ فلِعُسرته، وأمَّا الغنيُّ فلِشُحِّه.

وقيل: كان ذلك عَشْرَ ليالٍ ثم نُسِخَ.

وقيل: مَا كَانَ إلَّا سَاعةً من نهَارٍ.

وعن عليّ رضي الله عنه: إنَّ في كتاب الله لآيةً ما عَمِل بهَا أَحَدٌ قَبلِي، ولا يَعمَلُ بهَا أَحدٌ بَعدِي، كان لي دِينَارٌ، فصَرفتُه، فكُنتُ إذا ناجَيتُه تصدَّقتُ بدِرْهمٍ.

قال الكَلبيُّ: تصَدَّقَ بهِ في عَشْرِ كلماتٍ سألَهُنَّ رَسُولَ الله.

وعن ابن عُمَر رضي الله عنهما: كان لعليّ رضي الله عنه ثلاثٌ لو كانت لي واحِدةٌ منهنَّ كانَت أحَبَّ إليَّ مِن حُمرِ النَّعَمِ: تَزويجُهُ فاطِمةَ، وإعطَاؤهُ الرَّايَةَ يومَ خيبَرٍ، وآيةُ النَّجوى.

قال ابن عباسٍ: هي منسوخَةٌ بالآية التي بَعْدَها، وقيل: هي منسُوخةٌ بالزَّكَاة.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾: أَخِفتُم تَقدِيمَ الصَّدقات لِمَا فيهِ من الإنفَاقِ الَّذي تكرهُونَه، وأَن الشَّيطَانَ يَعِدُكُم الفَقرَ ويَأمركم بالفحشاء.

قوله: (حَبَّةً أو شعيرة) قوله: "أو شعيرة" لِتردُّدِ الراوي.

قولـه: (لَزَهِيدٌ) مِن الزُّهْد خلافِ الرَّغبة،[١] يقال: زَهِدَ في الشيء وعن الشيء.[٢] أي: إنَّك قليل الرغبة في الدنيا، فلا جرَم قدّرت على حسب رغبتك فيها.[٣]

---

١ ن: الزغبة.

٢ ن – وعن الشيء.

٣ وفي هامش د ف: قوله: (إنّ في كتاب الله لآيةً) وهي آيات المُناجاة.

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أُمِرتُم بهِ وشَقَّ عليكُم ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وعَذَرَكُم ورَخَّصَ لكُم في أن لا تَفعَلُوه، فلا تُفرِّطُوا في الصَّلاة والزكاةِ وسائرِ الطَّاعاتِ.

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قرئ بالتَّاء واليَاءِ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾

كان المنافقونَ يتولَّونَ اليَهُودَ -وهُم الَّذين ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ في قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة ٥/٦٠]- ويُناصِحُونَهُم وَينقُلُونَ إلَيهِم أَسرَارَ المؤمنين.

﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ يا مُسلِمُون ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾: ولا مِن اليهُود؛ كقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء ٤/١٤٣].

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾؛ أي: يقُولُونَ: واللهِ إنَّا لَمُسلِمُونَ، فيَحلِفُون على الكذبِ الَّذي هُو ادِّعاءُ الإسلامِ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ المَحلُوفَ علَيه كذِبٌ بَحْتٌ.

فإن قلتَ: فما فائدةُ قولِه: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؟

قلتُ: "الكَذِبُ": أن يكُون الخبَر لا علَى وِفَاقِ المُخبَرِ عنه، سَواءٌ عَلِمَ المُخبِرُ أو لم يَعلم، فالمَعنَى: أنَّهم الَّذين يُخبِرونَ وخَبَرُهُم خِلافُ ما يُخبِرونَ عَنه، وهُم عالِمُونَ بذلك مُتعمِّدُونَ له كمَن يَحْلِفُ بالغَمُوسِ.

قوله: **(وشَقَّ عليكم)** كالبيان لقوله: ﴿لَمْ تَفْعَلُوا﴾.

قوله: **(في قوله تعالى)** متعلّق بقوله: **(غَضِبَ)** مِن حيث المعنى، أي: بيّن غضبه عليهم في قوله.

قوله: **(بَحْتٌ)** البَحْت: الصِّرْف، وشرابٌ بَحْتٌ: غير مَمْزوجٍ، وخبزٌ بَحْتٌ: ليس معه غيره.[1]

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «بحت».

وقيل: كان عبْدُ الله بنُ نَبْتَلٍ المُنافِقُ يُجالِسُ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم ثـمَّ يَرْفَعُ حَديثَه إلى اليَهُود، فبَينا رسُولُ الله في حُجْرةٍ من حُجَرِهِ إذ قال: «يَدْخُلُ عَليكم الآن رَجُلٌ قلبُه قلبُ جبَّارٍ ويَنْظُر بعَيْنِ شيطانٍ» فدَخل ابنُ نَبتَلٍ وكان أزرَقَ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «علامَ تشتِمُني أنتَ وأَصْحابُكَ؟» فحَلفَ بالله ما فعَلَ، فقال عليه السلام: «فعَلْتَ» فانطَلق فجاء بأَصحابهِ فحلَفُوا بالله ما سَبُّوه فنزَلَتْ.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٥﴾

﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾: نوعًا من العذابِ متفَاقِمًا.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يَعني: أَنَّهم كانُوا في الزَّمانِ الماضي المُتَطَاوِلِ على سُوء العمَل مُصرِّينَ عليه، أو هي حكايةُ مَا يُقال لَهُم في الآخرةِ.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٦﴾

وقرئ: "إيمانَهم" بالكسر.

أي: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ الَّتي حَلَفُوا بها، أو: "إيمانَهُم" الذي أَظهَرُوه ﴿جُنَّةً﴾؛ أي: سُتْرةً يتسَتَّرُون بها من المؤمِنِينَ ومِن قَتْلِهم ﴿فَصَدُّواْ﴾ النَّاسَ في خلال أَمنِهم

قوله: (**متفاقِمًا**) أي: متعاظِمًا.

قوله: (**أي: اتّخذوا أيمانَهم**) هذا على القراءة المشهورة. وقوله: (**أو إيمانَهم**) هذا على القراءة الغير المشهورة.[1]

قوله: (**ومِن قَتْلِهم**)[2] عطفٌ على قوله: (**مِن المؤمنين**)، وهو مِن قَبيل العطف الذي يكون للبيان، أي:[3] يتَستَّرون مِن قتل[4] المؤمنين إيّاهم.

---

١ أي: قراءة "اتَّخَذُوا إيمَانَهُم" بكسر الهمزة، وهي قراءة شاذّة، مَرويّة عن الحسَن. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٦٨.

٢ ن: قبلهم.

٣ ن: الذي.

٤ ن: قيل.

وسَلامَتِهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكانوا يُثبِّطُونَ مَن لَقُوا عَن الدُّخولِ في الإسْلام ويُضعِّفُونَ أمرَ المُسلمين عِنْدهم، وإنَّما وَعَدهم اللهُ العَذابَ المُهينَ المُخْزِيَ لِكُفْرهم وصَدِّهم؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل ١٦/٨٨].

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مِن عذاب الله ﴿شَيْـًٔا﴾ قليلًا مِن الإغناء؛ رُوي أنَّ رجُلًا مِنْهم قال: لَنُنْصَرَنَّ يَومَ القيامة بأَنفُسِنا وأموالِنا وأولَادِنا.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَيَحْلِفُونَ﴾ لله تعالى على أنَّهم مُسلمُونَ في الآخرة ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدُّنيا على ذلك.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من النَّفع، يَعْني: ليس العَجبُ من حَلِفِهِمْ لكُم، فإنَّكم بَشرٌ تَخفَى عَليكم السَّرائرُ وأنَّ لهُمْ نفعًا في ذلك دَفْعًا عن أَرْوَاحِهِمْ واستِجرارَ فوائدَ دُنيَوِيَّةٍ، وأنَّهم يفعَلُونَه في دارٍ لا يُضطَرُّون فيهَا إلى عِلْمِ ما يُوعَدُونَ،

قوله:[١] (ويُضَعِّفون) أي: يَنسبون إلى الضَّعْف.

قوله: (مِن الإغْناء)[٢] يقال: أغْنِهِ[٣] عنِّي، أي: بعِّدْهُ عنِّي.

قوله: (دفعًا... واستجرار) بدل مِن قوله: (نفعًا). وقوله: (يفعلونه) أي: الحَلِفَ. وقوله: (في دارٍ لا يُضطرُّون) وهي الدنيا، أي: لا يعلمون في الدنيا[٤] ما يُوعَدون عِلمًا ضروريًّا.

---

١ ن – قوله.
٢ ن: الإعناء.
٣ ن: أعنه.
٤ ن – في الدنيا.

ولكنَّ العجبَ مِن حَلِفِهم للهِ عالمِ الغيب والشهادة مع عدَم النَّفعِ والاضْطرارِ إلى عِلْم ما أنذَرَتْهُم الرُّسُلُ، والمرادُ: وصْفُهم بالتَّوغُّلِ في نِفَاقِهم ومرُونهِمْ علَيه، وأنَّ ذلك بعْدَ مَوتهم وبَعثهم باقٍ فيهم لا يضمحِلُّ؛ كما قال: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام ٦/٢٨].

وقد اختَلَفَ العلماء في كَذِبهم في الآخرةِ، والقرآنُ ناطِقٌ بثَبَاتِه نُطقًا مكشوفًا كما تَرى في هذه الآية، وفي قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام ٦/٢٣] ونَحوُ حِسبَانِهم أَنَّهم على شيءٍ من النَّفْعِ إذا حَلَفُوا: استنْظارُهُم المؤمِنِينَ ليَقتبِسُوا من نُورهِم؛ لحسبَانِ أنَّ الإِيمانَ الظَّاهرَ ممَّا ينفَعُهم.

وقيل: عند ذلك يُختَمُ على أفواهِهم.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ يَعني: أَنَّهم الغايَةُ الَّتي لا مَطْمَحَ وراءها في قول الكَذِبِ، حيث استوَتْ حَالُهم فيه في الدُّنيا والآخِرة.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٩﴾

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ﴾: استَولى عليهم، مِن حَاذَ الحمارُ العَانَة: إذا جمَعَها وسَاقَها غالبًا لها، ....

قوله: **(وقد اختلف العلماء)** يريد أنّ العلماء اختلفوا في ذلك، لكنّ **القرآن** دلّ عليه، فالوجه أن يُذهَبَ إلى أنّهم يَكْذِبون.

قوله: **(إذا حلَفوا)** العامل فيه قوله: **(على شيء)**. وقوله: **(لِحِسْبانهم)**[1] عِلّة الاستِنْظار[2] للاقتباس.

قوله: **(العانة)** العانة:[3] القطيع مِن حمار الوحش.

---

١ وفي هامش د: نَثر. | في مطبوع **الكشّاف**: "لحِسْبان". ٣ ن – العانة.

٢ ن: الانتظار.

ومنه: "كان أحْوَذِيًّا نَسِيجَ وَحْدِهِ".

قوله: (ومنه: كان أحْوَذِيًّا[١] نَسيجَ وحده) قال في مجمل اللغة:[٢] «الأحْوَذيّ:[٣] الذي حَذَقَ الأشياء وأتْقَنها. والأحْوَذِيّ:[٤] الخفيف»[٥] في الشيء لِحِذْقه.

يقال: فلان نَسيجُ وَحْدِه، أي: لا نظيرَ[٦] له في علمٍ أو غيره، وأصله في الثوب؛[٧] لأنّ الثوب إذا كان رفيعًا[٨] لم يُنْسَجْ على مِنْواله غيرُه، وإذا لم يكن رفيعًا عُمِل على منواله سَدًى لعدّة أثواب.[٩]

الحَوْذُ: السَّوق السريع، تقول: حُذْتُ[١٠] الإبل أحوذُها حَوْذًا، وأحْوَذْتُها[١١] مثله. والأحْوَذيّ:[١٢] الخفيف[١٣] في الشيء لِحِذْقه،[١٤] عن أبي عمرو. قال يصف جناحَي قَطاةٍ:

على أحْـوَذِيّـيـن اسْـتـقـلَّـتْ عليهما[١٥]

وقال الأصمعي:[١٦] «الأحْوَذيّ:[١٧] المُشمِّر في الأمور، القاهِر لها، لا يَشِذُّ[١٨] عليه منها شيء»،[١٩] قال لبيد يصف حِمارًا وأُتُنًا: -شعر-[٢٠]

إذا اجتمعتْ وأحوذَ جانبَيها وأوردها على عُوجٍ طِوالِ[٢١]

يعني: ضَمّها ولم يَفُتْه منها شيء. وعنى بـ"العُوج" القوائمَ.[٢٢]

---

١ ن: حوديًا.

٢ ن - اللغة.

٣ ن: الأحودي.

٤ ن: والأحودي.

٥ **مجمل اللغة** لابن فارس، «حوذ».

٦ ن: يطهر.

٧ ن: الثواب.

٨ ن: رقيعًا.

٩ **الصحاح** للجوهري، «نسج».

١٠ ن: حدب.

١١ ن: وأحدثها.

١٢ ن: والأحودي.

١٣ ن: الحفيف.

١٤ ن: لحدفه.

١٥ وفي هامش د ف: تمامه:

فما هي إلّا لَمحة وتغيبُ

| هو لحُميد بن ثور. انظر: **المقاصد النحويّة** للعيني، ١/٢٢٢.

١٦ ن - قَطاةٍ: على أحْوَذِيَين اسْتقلّتْ عليهما. وقال الأصمعي.

١٧ ن: الأحودي.

١٨ ن: يشد.

١٩ ن: قياسي.

٢٠ ن - شعر.

٢١ **ديوان لبيد بن ربيعة**، ص ٨٦.

٢٢ **الصحاح** للجوهري، «حوذ».

وهو أحَدُ ما جاء على الأصل نحو: استَصْوَبَ واستَنْوَقَ؛ أي: ملَكَهُم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ لطاعتهِم له في كلِّ ما يُريدُه مِنهم حَتَّى جَعَلهُم رَعِيَّتَه وحزْبَه ﴿فَأَنسَىٰهُمْ﴾ أن يَذكُروا اللهَ أَصْلا لَا بقُلُوبِهم ولا بألسنَتِهم.

قال أبو عُبَيدة: ﴿حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: جُنْدُه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ٢٠﴾

﴿فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾: في جُملةِ مَن هُو أذلُّ خلقِ اللهِ، لا ترَى أحَدًا أَذَلَّ منهُم.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ٢١﴾

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللَّوْحِ ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ بالحُجَّة والسَّيف، أو بأحَدِهما.

قوله: (أي: مَلَكَهُم) دلّ عليه قوله: ﴿حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، فإنّهم إنّما يكونون جُند الشيطان إذا كان الشيطان مَلِكَهم.

قوله: (لا بقلوبهم) "لا" فيه زائدة لتأكيد معنى النفي الذي في ﴿فَأَنسَىٰهُمْ﴾، فكأنّه قال: لا يدعهم يذكرون الله أصلًا، لا بقلوبهم ولا بألسنتهم.[1] ويجوز أن لا تكون زائدة، ويكونَ في الكلام حذف، أي: لا / يذكرون الله أصلًا،[2] لا بقلوبهم ولا بألسنتهم.[3] [٣٩٤ظ]

قوله: (لا ترى أحدًا أذلَّ[4] منهم) الضمير في "منهم" عائد إلى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، وتكون هذه الجملة بيانًا لقوله:[5] (في جملة)... إلخ أي: لا ترى أحدًا أذلَّ[6] مِن أولئك المُحادّين. ويجوز أن يكون عائدًا[7] إلى "مَن"، ويكون كالتكرير للصلة، فكأنّه قال: في جملة مَن لا ترى أحدًا أذلَّ منهم.

قوله: (بالحجّة) في العاقبة. وقوله: (أو بأحدهما) دائمًا.

---

١ ف: ألستهم.
٢ ن - أصلًا.
٣ ف: ألستهم.
٤ ن: أدل.
٥ ن: لقولهم.
٦ ن: أدلّ.
٧ ن: عائد.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ من بابِ التَّخييل، خَيَّل أنَّ من المُمتنِعِ المُحالِ: أن تَجِدَ قومًا مؤمنِينَ يُوالُونَ المُشركين، والغَرَضُ به: أنَّه لا يَنبغِي أن يكون ذلك، وحَقُّه أن يَمتَنِعَ ولا يُوجَدَ بحالٍ؛ مُبالغةً في النَّهي عَنه، والزَّجرِ عن ملابَسَتِه، والتَّوصيَةِ بالتَّصلُّبِ في مُجانَبةِ أعداء الله ومُباعَدَتهِمْ والاحتِراسِ من مُخالَطتِهم ومُعَاشَرتهم، وزادَ ذلك تأكيدًا وتشديدًا بقولهِ: ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾، وبقولهِ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ وبمقابلةِ قوله: أولئك ﴿حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ فلا تَجِدُ شيئًا ....

قوله: **(مِن باب التخييل)**[١] يريد: أنّه تشبيه[٢] تَخييلي، والمراد بالتشبيه التخييلي: أن لا يكون للمُشبّه به تحقّق كما في هذا الموضع،[٣] فإنّ امتناع وجود مؤمنين يُوالُون المشركين تخييل، وأمّا أنّه ينبغي أن لا يوالوا المشركين فأمْرٌ تحقيقي، فشبّه هذا المتحقّق[٤] بذلك الممتنع للمبالغة. وأشار بقوله: **(مبالغة)** إلى أنّ أصله النهي بأن يقال: لا يُوادُّ المؤمنون المُحادِّين،[٥] ثـمّ عدل منه إلى الخبر في "لا ينبغي"، ثمّ عدل منه إلى التشبيه التخييلي في قوله: ﴿لَا تَجِدُ﴾... إلخ. وقوله: "مبالغةً" متعلّق بقوله: **(خُيّل)**، ويجوز أن يتعلّق بقوله: **(والغرض)**[٦] مِن حيث المعنى، كأنّه قيل: أُريدَ[٧] ذلك للمبالغة، والأوّل أوجَه.

قوله:[٨] **(فلا تجدُ)** مرتبط بقوله: "خُيّل"... إلخ، فكأنّه قيل: خُيّل للمبالغة؛

---

١ وفي هامش د ف: أي: التشبيه.

٢ ن: تسبيه.

٣ وفي هامش د ف: الظاهر أنّ المراد بالتخييل: التخييل اللغوي، لا الاصطلاحي، وهو التصوير.

٤ ف: التحقيق.

٥ ن: بالمحادّين.

٦ ن: والعرض.

٧ ف: أراد.

٨ ن - المعنى، كأنّه قيل: أُريد ذلك للمبالغة، والأوّل أوجَه. قوله.

أدْخَلَ في الإخلاص من مُوالَاةِ أولياء الله ومُعاداة أعدائه، بل هُو الإخلاصُ بعَيْنِه.

﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾: أثبَته فيها بما وَفَّقهُم فِيه وشرَحَ له صُدُورَهُم.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾: بلُطفٍ من عِنده حَيِيَتْ بِهِ قلوبُهُم.

ويجوز أن يكونَ الضميرُ للإيمان؛ أي: برُوحٍ من الإيمانِ، على أنّه في نفسهِ رُوحٌ لحيَاةِ القُلُوب بهِ.

لأنّك لا تجد شيئًا أدْخلَ[1] في الإخلاص منه، فأَدْخلَ المصنّف الفاء في السبب، والحكمُ مقدَّم، كما في قوله عليه السلام في حقّ المُحْرِم الذي وَقَصَتْه ناقته: «لا تُقَرِّبوه طِيبًا، فإنّه يُبعث يومَ القيامة ملبّيًا».[2] ثمّ أضْربَ عن قوله: (**أدخلَ في الإخلاص**) بقوله: (**بل هو الإخلاص**)؛ لأنّ الثاني أشدُّ مبالغة مِن الأوّل؛ إذ الأوّل يقتضي الاشتراك بينه وبين غيره، والامتياز بالزيادة، والثاني يقتضي أن لا يشاركَه غيره فيه، وهذا المعنى قريب مِن قول الشاعر:

لئن[3] كان يُهدَى بَرْدُ أنيابها العُلى   لأفْقرَ منّي إنّني لفقيرُ[4]

قوله: (**بما وفّقهم**) "ما" في "بما" يجوز أن يكون موصولة، وهو عبارة عن ترك الموادّة، والضمير[5] يعود إلى "ما"، ويجوز أن يكون مصدريّة، والضمير يعود إلى ترك الموادّة.[6]

قوله: (**ويجوز أن يكون الضمير للإيمان**) إذا كان الضمير في "منه" عائدًا[7] إلى الله تعالى فـ"مِن" للابتداء،[8] وإذا كان عائدًا[9] إلى الإيمان فـ"مِن" للبيان.

قوله: (**لِحياة القلوب**) أي: لأجل حياة القلوب به.[10]

---

١ ن: أخدل.

٢ صحيح البخاري، ٧٦/٢ (١٢٦٧)؛ صحيح مسلم، ٨٦٥/٢ (١٢٠٦).

٣ ن: لبن.

٤ لعبد الله بن الدمينة في ديوانه، ص ٤٩.

٥ وفي هامش د ف: أي: في "فيه".

٦ ن: الموازة. | وفي هامش د ف: قوله: (﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بلُطف منه)... إلخ على الأوّل استعارة استُعير الرُّوح لِلُّطف، والجامع كون كلّ منهما سببًا للحياة؛ الرُّوح سبب لحياة الأبدان، واللُّطف سبب لحياة القلوب. وعلى الثاني يكون مِن قَبيل النسبة للإتيان بالمبيّن، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾... الآية [البقرة ١٨٧/٢].

٧ ن: عائد.

٨ ف ن: للابتدا.

٩ ن: عائد.

١٠ ف - به.

وعن الثوري أَنّه قال: كانوا يرون أنَّها نزَلت فيمَن يَصْحَبُ السُّلْطانَ.

وعن عبد العَزيز بن أبِي رَوَّادٍ: أَنَّه لَقِيَهُ المَنصُورُ في الطَّواف، فلمَّا عَرفه هَربَ منه وتلاهَا.

وعن النبيّ عليه السلام أنّه كان يَقُولُ: «اللَّهم لا تَجْعَلْ لِفاجرٍ ولا لِفاسِقٍ عِندي نِعمةً فإنِّي وجَدْتُ فيما أَوْحَيْتَ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾».

ورُوي: أنَّها نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: وذَلك أنَّ أبا قُحافَة سَبَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فصَكَّه صَكَّةً سقَط منها، فقال له رسولُ الله: «أوَفعَلْتَه؟» قال: نعم، قال: «لا تَعُدْ» قال: واللهِ لو كان السَّيفُ قريبًا منِّي لقتَلْتُه.

وقيل: في أَبِي عُبَيدة بن الجرَّاح، قَتَل أباهُ عَبْدَ الله بنَ الجَرَّاحِ يوْمَ أُحُدٍ.

وفي أبي بكر: دَعَا ابنَه يَوم بَدْرٍ إلى البِرَازِ وَقال لرسُول الله: دَعْنِي أَكُنْ في الرِّعْلَةِ الأُولَى: قال: «مَتِّعْنا بنَفسك يا أبَا بكرٍ، أمَا تعلَمُ أنَّك عِندي بمَنزلة سَمْعِي وبَصَري»، وفي مُصْعَبِ بن عُمَيْرٍ: قَتل أخَاه عُبيْدَ بنَ عُمَيرٍ يوم أُحدٍ، وفي عمرَ رضي الله عنه: قتَل خالَه العاصَ بنَ هِشامٍ يَومَ بَدْرٍ، وفي عليّ وحَمزةَ وعُبَيدةَ بن الحارث رضي الله عنهم: قَتلُوا عُتْبة وشَيْبَة ابنَي رَبِيعَةَ والوَلِيدَ بن عُتبةَ يَومَ بَدْرٍ.

قوله: (أنّها نزلتْ) أي: ﴿لَّا تَجِدُ﴾.

قوله: (أبا قُحافة) وهو أبوه.

قوله: (فصَكَّه)[1] أي: أبو بكر رضي الله عنه،[2] والصَّكُّ:[3] الضَّرْب، ومنه: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الذاريات ٥١/٢٩].

قوله: (إلى البِراز) "البِراز": المُبارَزة في الحرب.

قوله: (في الرِّعْلَة) "الرِّعْلة": القِطْعة مِن الخَيل، أي: الفرقة الأولى.

---

١ ن: فصله.

٢ ف ن – رضي الله عنه.

٣ ن: والصل.

عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سورة المُجادلة كُتبَ مِن حِزْب الله يومَ القيامةِ».

تمّت السورة بحمد الله[١] ومَنّه.[٢]

---

١ ن + تعالى.

٢ ف – السورة بحمد الله ومَنّه. ن – ومَنّه.

سورة الحشر

مَدنيَّة، وهي أربَعٌ وعشرونَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾

صالحَ بنُو النَّضيرِ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكُونوا عليه ولا لَهُ، فلمَّا ظَهر يومَ بَدْرٍ قالوا: هذا هو النبيُّ الَّذي نَعْتُه في التَّوراة لا تُرَدُّ له رَايَةٌ، فلما هُزم المسلمُونَ يومَ أُحدٍ ارتابُوا ونكثُوا، فخرَج كعب بنُ الأَشرف في أربعين رَاكبًا إلى مكَّةَ فحالَفوا عليه قريشًا عند الكعبة، فأمَر عليه السلام

سورة الحَشْر

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (ظَهَر) ظَهَرْتُ على الرجل؛ غَلَبْته، أي: لمّا غلب الرسول صلّى الله عليه وسلّم[2] على المشركين.

/ قوله: (لا تُرَدُّ له رايَةٌ) أي: يُنْصَر أبدًا. [٣٩٥و]

قوله: (فحالَفوا[3] عليه) يقال: حالَفه،[4] أي: عاهَدَه، وتحالَفوا،[5] أي: تعاهَدوا. أي: حالَفوا[6] قريشًا عليه، أي: على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[7] أي: على معاداته ومخالفته.

---

١ ف ن - وبه نستعين.

٢ د: عليه السلام.

٣ ن: فخالفوا.

٤ ن: خالفه.

٥ ن: وتخالفوا.

٦ ن: خالفوا.

٧ د: عليه السلام.

محمَّدَ بن مَسْلمَةَ الأنصاريَّ فقتل كعبًا غِيلَةً وكان أخاه من الرضاعة، ثمَّ صَبَّحهم بالكتائبِ وهو على حِمارٍ مخطومٍ بليفٍ، فقال لهم: «أُخرُجُوا من المَدينةِ» فقالوا: الموتُ أحبُّ إلينا من ذاكَ، فتَنادَوا بالحرْب.

وقيل: استَمْهَلُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عشرة أيّامٍ ليتَجهَّزُوا للخروج، فَدَسَّ عَبدُ الله بن أُبَيّ المُنافِقُ وأصْحابهُ إلَيهم: لا تخرجُوا من الحِصْن، فإنْ قاتَلُوكم فنَحْنُ مَعكم لا نَخذُلُكمْ ولَئن خرَجْتُم لَنَخْرُجَنَّ معَكم، فدَرَّبُوا على الأَزِقَّة وحَصَّنُوهَا، فحاصَرهم إحدَى وعشرين ليلةً، فلمَّا قذف الله الرُّعب في قلوبهم وأَيِسُوا مِن نصر المنافقين طلَبُوا الصُّلحَ، فأَبَى عليهم إلَّا الجَلاءَ على أن يَحمِلَ كلُّ ثلاثةِ أبياتٍ على بَعيرٍ ما شاؤوا من متَاعهم، فجلَوا إلى الشام إلى أَرِيحَا وأَذْرِعَاتٍ إلَّا أَهْلَ بَيْتَيْنِ منهم: آلَ أَبي الحُقَيقِ وآلَ حُيَيّ بنِ أخطبَ فإنَّهم لحِقُوا بخيبرَ، ولحِقَت طائفةٌ بالحِيرة.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾

اللَّامُ في ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ تتعَلَّقُ بـ﴿أَخْرَجَ﴾ وهي اللَّامُ في قولِه تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر ٢٤/٨٩]، وقولِك: "جئتُه لوَقتِ كذا"، والمعنى: أخرجَ الَّذين كفرُوا عند أوَّل الحشرِ.

قوله: (صبَّحهم) أي: الرسول عليه السلام.

قوله: (فدرَّبُوا على الأزِقّة) الدَّرْب: الباب الواسع،[١] أي: وضعوا الأبواب على السِّكك. والزُّقاق: شيء دون السِّكّة نافذة أو غير نافذة، والجمع: أزِقّة.[٢]

قوله: (بالحِيرة) الحِيرة: مدينة بقُرب الكوفة.

قوله: (وهي اللام) أي: مثل اللام.

قوله: (﴿لِحَيَاتِى﴾ [الفجر ٢٤/٨٩]) أي: وقتَ حياتي، قيل: هي لام العِلّة،

---

[١] المُغرب للمطرّزي، «درب».
[٢] المُغرب للمطرّزي، «زقق».

ومَعنى أوَّلِ الحشر: أَنَّ هذا أوَّلُ حشْرِهم إلى الشَّام، وكانوا من سِبْطٍ لم يُصبْهم جَلاءٌ قطُّ، وهُم أوَّلُ مَن أُخرجَ من أهل الكتابِ من جَزيرة العرَبِ إلى الشَّام.

أو: هذا أوَّلُ حَشْرِهم، وآخِرُ حشْرِهم: إجلاءُ عُمر رضي الله عنه إيَّاهُم من خَيبَر إلى الشَّام.

وقيل: آخِرُ حَشْرِهم حشرُ يومِ القيامة؛ لأنَّ المحشرَ يكون بالشَّامِ.

وعن عكرمة: مَن شَكَّ أنَّ المحْشرَ هَاهنا -يعني: الشَّامَ- فليَقرأ هذه الآيَةَ.

وقيل: معناه: أخرجَهم من ديارهم ....

والمعنى: أُخرِجوا ليكون حَشْرهم إلى الشام أوّلَ الحشر. وقيل: هو بمعنى "في".

قوله: (مِن جزيرة العرب) رُوي عن مالك رضي الله عنه[١] أنّ جزيرةَ العرب هي الحجاز واليمَن وما لم يَبلُغه مُلكُ فارس والروم. وعن الأصمعي أنّها مِن أقصى عَدَن[٢] إلى ريف العراق طولًا ومِن جُدّة وما والاها مِن الساحل إلى أطراف الشام عرضًا. وسبب تسميتها جزيرةً إحاطة البحار والأنهار العظيمة بها، كبحر الحبشة، وبحر فارس، ودِجلة، والفرات.

وأمّا الحجاز فقد حَكى الأصحاب عن الشافعي رضي الله عنه[٣] أنّ الحجاز مكّة والمدينة واليَمامة ومَخاليفها، قيل: سُمّي حجازًا لأنّه حجَز بين نَجدٍ وتِهامة، وعن ابن الكلبي أنّ حدود الحجاز ما بين جَبَلَي طَيّ إلى طريق العراق.

وكلمة جمهور الأصحاب مُتّفِقةٌ على أنّ الجزيرة أوسع مِن الحجاز، وعلى أنّ اليمَن يدخل في حدّ الجزيرة، ولا يدخل[٤] في حدِّ الحجاز. جزيرة العرب مِن حَفْرِ أبي موسى الأشعري إلى أقصى اليمَن في الطول، وفي العَرْض ما بين رَمْل يَبْرين إلى منقطَع السماوة.[٥]

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ ن: العدن.

٣ د - رضي الله عنه.

٤ ن: يدل.

٥ انظر: المهذّب للشيرازي، ٥/٣٤٠.

لأوَّلِ ما حَشَر لقتالِهم؛ لأنّه أوَّلُ قِتالٍ قاتلَهم رسُولُ الله.

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾ لشِدَّة بأسِهم ومَنَعَتِهم، وَوِثاقة حصُونِهم وكثرة عَدَدِهِم وعُدَّتهم، وظنُّوا أن حُصُونهم تمنَعُهم من بأس الله.

﴿فَأَتَىٰهُمُ﴾ أَمْرُ الله ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾: من حيث لم يَظنُّوا ولم يَخْطُرْ ببَالهم: وهو قتلُ رَئيسهم كَعبِ بن الأشرف غِرَّةً على يدِ أَخيهِ، وذلك مما أَضعَفَ قُوتَهم وفَلَّ من شَوكَتِهم، وسَلبَ قلُوبَهم الأَمْنَ والطُّمأنِينَة بما قذف فيها من الرُّعبِ، وألْهَمَهُم أن يُوافِقُوا المؤمنينَ في تخريب بُيوتهِم ويُعِينُوا على أنفسِهم، وثَبَّطَ المنافِقين الّذين كانوا يتوَلَّونهم عن مُظَاهَرتهم، وهَذا كلُّه لم يكُنْ في حِسْبانِهم، ومنه أتاهُم الهَلاكُ.

فإن قلتَ: أيُّ فَرق بين قولك: "وَظَنُّوا أَنَّ حُصُونَهم تمنَعُهم" أو "مَانِعتُهم" وبين النَّظْم الذي جاء عليه؟

قلتُ: في تقديم الخَبر على المُبتدأ دَليلٌ على فَرْطِ وُثوقِهم بِحَصَانَتِها ومَنْعِها إيَّاهُم، وفي تَصيير ضَميرِهم اسمًا لـ"أنَّ" وإسنادِ الجُملة إليه دليلٌ على اعتِقادِهم

قوله: **(لأوّل ما حشَر)** أي: حشَر الرسول.[١] والفَرق[٢] بين هذا المعنى والمعنى المتقدِّم أنّ المراد بـ﴿ٱلْحَشْرِ﴾ فيما مرَّ[٣] حَشْرهم، أي: خُروجهم إلى الشام. والمراد بـ﴿ٱلْحَشْرِ﴾ في هذا المعنى: حشر الرسول لقتالهم، يعني: أوّل ما حشَر الرسول لقتالهم[٤] أخرجهم الله تعالى إلى الشام.

قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيّها المؤمنون. وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّواْ﴾ أي: بنو النَّضير.

قوله: **(قلتُ: في تقديم الخبر)** يشير به إلى أنّ ﴿حُصُونُهُم﴾[٥] مبتدأ، و﴿مَانِعَتُهُمْ﴾ خبر مقدّم عليه، والجملة خبر "أنّ". وإنّما حكم بذلك، ولم يجعل ﴿مَانِعَتُهُمْ﴾[٦] خبرَ "أنّ"، و﴿حُصُونُهُم﴾ فاعلًا له؛ لأنّه على هذا التقدير لا يكون الخبر جملة،

---

١ ن + صلّى الله عليه وسلّم.
٢ ن: الفرق.
٣ ن – مرّ.
٤ ن – يعني: أوّل ما حَشَر الرسول لقتالهم.
٥ ن: حتونهم.
٦ ن: مابعتهم.

في أَنفُسهم أَنَّهم في عِزَّةٍ ومَنعَةٍ لا يُبالَى معَها بأحَدٍ يَتعرَّضُ لهُم أو يَطْمعُ في مُعَازَّتِهم، وليس ذاك في قولِك: "وظَنُّوا أنَّ حُصونَهم تَمنَعُهم".

وقرئ: "فآتاهم الله"؛ أي: فآتاهَمُ الهَلاكَ.

و"الرُّعبُ": الخَوفُ الَّذي يَرعَبُ الصَّدْرَ؛ أي: يَمْلَؤهُ.

و"قَذْفُه": إثبَاتُه ورَكْزهُ، ومنه قالوا في صِفة الأَسدِ: مُقذَّفٌ، كأنما قُذِف باللَّحم قَذفًا لاكتنازِه وتَداخُلِ أجزائه.

قرئ: ﴿يُخَرِّبُون﴾ و: ﴿يُخْرِبُونَ﴾ مُثقَّلًا ومُخففًا، والتَّخريبُ والإخرابُ: الإفسادُ بالنَّقْض والهَدْم، والخرْبةُ: الفَسادُ.

كانوا يُخرِّبونَ بَواطِنَها والمُسلمُونَ ظواهرَها؛ لِمَا أرَادَ اللهُ من استئصالِ شَأفَتِهم، وأن لا يَبقى لهم بالمدينةِ دارٌ ولا منهم دَيَّار.

والذي دعَاهُم إلى التخريب: حاجَتُهم إلى الخشبِ والحجارةِ لِيَسُدُّوا بها

وعلى ما ذكره المصنّف يكون الخبر جملة،[١] وبذلك يتقوّى الإسناد. ثمّ أشار المصنّف بقوله: (وليس ذلك) إلى أنّه لو جيء[٢] الخبر جملةً فِعليّةً لم يُفِدْ هذه التقوية.

قوله: (أي: فآتاهم الهلاكَ) أي: المفعول الثاني محذوف[٣] على هذه القراءة.

قوله: (شأْفَتِهم) الشَّأفة: قَرْحة تخرج في أسفل القدم فتُكْوى فتذهب،[٤] يقال في المَثَل: «استأصَلَ / الله شأفَته»، أي: أذْهَبَه الله كما أُذْهِب تلك القَرْحة بالكَيّ.[٥] [٣٩٥ظ]

قوله: (دَيّارٌ) الدَّيّار: فَيعال مِن دار يدور، يقال: ما بالدار دَيّارٌ، أي: أحدٌ، وليس فعّالًا، وإلّا لَقيل: دوّار.[٦]

---

١ ف: حمله.

٢ ن: لوجي.

٣ ن: محذوفًا.

٤ ن: فنذهب.

٥ **الصحاح** للجوهري، «شأف».

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «دور».

أفْواهَ الأَزِقَّةِ، وأنْ لا يتحَسَّرُوا بَعد جَلائهم على بقائها مَساكنَ للمسلمين، وأن ينقُلوا معَهم ما كان في أَبنيتِهم مِن جَيِّدِ الخَشبِ والسَّاج المَليح، وأمَّا المُؤمنون فدَاعيهم إِزالةُ متحَصَّنِهم ومُتمَنَّعِهم، وأن يَتَّسعَ لَهُم مَجالُ الحَرْب.

فإن قلتَ: ما معنى تخريبِهم لهَا بأيْدِي المؤمِنِينَ؟

قلتُ: لمَّا عَرَّضُوهم لذلك وكانُوا السَّبَبَ فيه فكَأنَّهم أمَرُوهم به وكَلَّفُوه إيَّاهم.

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ﴾ بما دَبَّر الله ويَسَّر من أَمْر إِخْراجِهِمْ وتسليطِ المسلمين علَيهم من غيرِ قتالٍ.

وقيل: وعدَ رسُولُ الله المسلمين أن يُورِّثَهم الله أَرضَهم وأَموالَهم بغير قِتالٍ فَكان كما قال.

﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٤﴾

يَعني: أَن الله قد عَزمَ على تَطهيرِ أَرض المدينةِ منهم، ....

قوله: (**أفواهَ الأزِقَّة**)[١] "الأزِقَّة":[٢] جمع زُقاقٍ. أشار إلى ما قال: "درَّبوا على الأزِقَّة". وقوله: (**وأن لا يتحسَّروا**) مِن التحسّر؛ وهو التلهُّف.

قوله: (**والسَّاج**) "السَّاج": ضربٌ مِن الشجر يَعظُم[٣] جدًّا، قالوا: لا يَنبُت إلّا ببلاد الهند، ويُجلَب منها كلُّ ساجةٍ مُشَرْجَعةٍ مُرَبَّعةٍ، وقول مَن قال: استعار ساجةً[٤] ليقيم بها الحائط الذي مال،[٥] يعني: الخَشَبةَ المَنحوتة المُهيَّأة للأساس ونحوه.[٦] المُشَرْجَعةُ: التي حروفها الأربعة منحوتةٌ.[٧]

قوله: (**قلتُ: لمّا عرَّضوهم**) أي: لمّا عرَّض[٨] اليهود المؤمنين للتخريب،

---

١ ن: الأزفة.
٢ ن: الأرفة.
٣ ن: يعضم.
٤ ف: ساحةً.
٥ ن: ما.
٦ المُغرب للمطرّزي، «سوج».
٧ انظر: الصحاح للجوهري، «شرجع».
٨ ف: عرّضوهم.

وإراحةِ المُسلمينَ من جوارهم، وتَوريثِهم أموالَهم، فلولا أنّه كتَب عليهم الجَلاءَ واقتَضَتْهُ حكمتُه ودعَاه إلى اختياره أنّه أشقُّ عليهم من المَوْت ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل كما فَعل بإخوانِهم بني قُرَيْظة ﴿وَلَهُمْ﴾ سَواءٌ أُجْلُوا أو قُتِلُوا ﴿عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ يعني: إنْ نَجَوْا مِن عذاب الدُّنيا لم يَنجُوا من عذابِ الآخرة.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾

﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ بيانٌ لـ﴿مَا قَطَعْتُم﴾، ومحلُّ ﴿مَا﴾ نصبٌ بـ﴿قَطَعْتُم﴾؛ كأنه قيل: أيَّ شيءٍ قَطَعتُم، وأُنِث الضمير الرَّاجعُ إلى ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ لأنه في معنى اللِّينة.

و"اللِّينةُ": النَّخلةُ من الألوانِ، وهي ضُرُوبُ النَّخلِ ما خَلَا العَجْوَةَ والبَرْنِيَّةَ وهما أَجْودُ النَّخيلِ، ....

أي: حملوهم على ذلك.[١]

قوله: (وإزاحةِ)[٢] زاح الشيءُ يَزِيح زَيْحًا؛ بَعُدَ وذهب، وأزاحه غيرُه.[٣]

قوله: (أنّه أشقُّ) فاعل "دعا"،[٤] أي: دعا الله تعالى إلى اختيار[٥] الجَلاء لهم دون القتل أنّ الجلاء[٦] أشقُّ عليهم مِن الموت. والجلاء:[٧] الخروج عن الوطن والبلد، وأجْلَيتُهم أنا.[٨]

قوله: (ولهم سواء)... إلخ يشير به إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ عطفٌ على جملة ﴿وَلَوْلَآ﴾... إلخ، لا على جواب "لو".

---

[١] وفي هامش د ف: حاصل الجواب: أنه مِن قَبيل المجاز في الإسناد، مِن قبيل الإسناد إلى السبب بالنسبة إليهم والمؤمنين، فإنّ التخريب ما كان بقصدهم لا بأيديهم، ولا بأيدي المؤمنين، لكنّهم سبب في التخريب بسبب عدم الإيمان. وقوله: (فكأنّهم أمروهم) هذا بيان السببيّة، فإنّ الأمر ظاهر في السببيّة، يقول: فهذا -أي: ترك الإيمان أيضًا- سبب للتخريب، كما أنّ الأمر سبب له.

[٢] في مطبوع **الكشّاف**: وإراحة.

[٣] **الصحاح** للجوهري، «زيح».

[٤] ن: الدعا.

[٥] ن: اختبار.

[٦] ن: الجلا.

[٧] ن: والجلا.

[٨] **الصحاح** للجوهري، «جلا».

وياؤُهَا عن واوٍ قُلبَتْ لكسرةِ ما قبلَها كالدِّيمَة.

وقيل: "اللِّينة": النَّخلَةُ الكريمةُ؛ كأنَّهم اشتَقُّوهَا مِن اللِّينِ، قال ذُو الرُّمَّة:

كـأنَّ قُـتُـودِي فَوقـهـا عُـشُّ طائرٍ   على لينةٍ سَـوْقـاءَ تَـهْـفُـو جَـنُـوبُـهَـا

وجَمْعُها: لِينٌ.

وقرئ: "قُوَّمًا". و: "على أُصُلِهَا"، وفيه وجهان:

أحدهما: أنَّه جمعُ أَصْلٍ كرَهْنٍ ورُهُنٍ.

وثانيهما: أنه اكتُفِيَ فيه بالضمَّة عن الواوِ.

وقرئ: "قائمًا على أصوله" ذهابًا إلى لَفظِ ﴿مَا﴾.

﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: فَقَطعُها بإذن الله وأَمْرِهِ ﴿وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: وليُذِلَّ اليهُودَ

قوله: **(وياؤها عن واو)** لأنّه مِن اللون.

قوله: **(كالدِّيمة)** وهي المطر الدائم.

قوله:

(كـأنَّ قُـتودي فوقَـهـا عُـشُّ طـائرٍ   علـى لِينـةٍ سَـوْقاءَ تَهفـو[1] جَنوبهـا)[2]

يصف ناقتَه.[3] القَتَد: خشب الرَّحْلِ، وجمعها: أقتاد وقُتود. والأَسْوَقُ: حَسَن الساقين، والمؤنّث: سَوقاء، وأيضًا طويلهما. فقوله: "سَوقاء"،[4] أي: طويل الساق. والهَفْوُ: الذهاب في الهواء، يقال: هَفَت الصوف[5] في الهواء. يصف خشبةَ رَحلِه، وشَبَّهها بعُشّ طائرٍ، وطولَ ناقته، وشبَّهها بنخلة طويل الساق، وتحرُّكَه فوقها، وشبَّهه[6] بتحرُّك النخل عند هبوب الجَنوب.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُخۡزِيَ﴾ "اللام" متعلّق بمحذوف، وهو "أذِنَ"، وحُذف لدلالة ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ عليه.

---

[1] ن: تهفوا. | وفي هامش د ف: تَهْفو، أي: تَهُبُّ.

[2] ديوان ذي الرمّة، ٢/٦٩٩.

[3] ن: ناقة.

[4] ف: سوقا.

[5] ن: الصوق.

[6] ن: شبّهه.

ويَغِيظَهُم أَذِنَ في قطْعِها، وذلك أنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم حين أمَرَ أن تُقْطَع نَخلُهُم وتُحرَّقَ قالُوا: يا محمد، قد كُنتَ تَنهَى عن الفسَاد في الأرضِ فما بالُ قطعِ النَّخلِ وتَحرِيقِهَا، فكانَ في أنفُسِ المؤمنين من ذلك شيءٌ، فنَزلَتْ.

يَعني: أنَّ الله أَذِن لَهم في قطعِهَا لِيَزِيدَكُم غَيْظًا ويُضاعِفَ لكم حَسْرةً إذا رَأيتُمُوهُم يَتحَكَّمُونَ في أَموالكُم كيف أَحَبُّوا ويَتصَرَّفُونَ فيها ما شَاؤُوا.

واتَّفق العُلمَاء أن حُصُون الكَفرة وديارَهم لا بأس بأنْ تُهدَّم وتُحرَّقَ وتُغرَّق وتُرمَى بالمَجانيق، وكذلك أشجَارُهُم لا بَأس بقَلْعِهَا مُثمِرةً كانت أو غيرَ مُثمِرة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قَطعُوا منها ما كان موضِعًا للقِتالِ.

فإن قلتَ: لم خُصَّتِ اللِّينَةُ بالقَطْعِ؟

قلتُ: إن كانت من الألْوَانِ فليَستَبْقُوا لِأَنفُسهم العَجوةَ والبَرْنيَّةَ، وإن كانت من كرَام النَّخلِ فلِيكون غيظُ اليهُود أشدَّ.

ورُوي: أنَّ رجُلين كانا يقطعان: أحَدُهما العَجوةَ والآخر اللَّونَ، فسَألهما رسُولُ الله، فقال هذا: تركتُها لِرسُول الله، وقال هذا: قطعتُها غيظًا لِلكفَّار.

وقد استُدلَّ به على جواز الاجتهاد، وعلى جَوازه بحضرة الرَّسُول؛ لأنهما بالاجتهادِ فَعَلَا ذلك، واحتجَّ به مَن يقُول: كلُّ مجتهدٍ مُصيبٌ.

قوله: **(وذلك)** إشارة إلى سبب النزول.

قوله: **(فكان في أنفُس)** "كان" تامّة، أي: وقعَ وحدثَ.

قوله: **(فإن قلتَ: لِمَ خُصَّتْ؟)** وجه[1] السؤال: أنّ الآية دلّت على أنّهم قطعوا اللِّينة لا غير، فما وجه اختصاصهم القطع باللِّينة.

قوله: **(لأنّهما بالاجتهاد فعَلَا)** ألِف الضمير يعود إلى (رَجلَين).[2]

---

[1] ن + وجه.

[2] وفي هامش د ف: قوله: (ولا إيضاعِ الإبل) أي: إسراع الإبل.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٞ ۝٦﴾

﴿أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: جعَله فيئًا له خاصَّةً، والإيجافُ من الوَجيف، وهو السَّيرُ السَّريعُ، ومنه قولُهُ عليه السَّلام في الإفاضَةِ من عَرفاتٍ: «ليس البرُّ بإيجافِ الخَيلِ ولا إيضَاعِ الإبلِ، على هِينَتِكُم».

ومعنى ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾: فما أوجفتُم على تحصِيلِهِ وتَغَنُّمِهِ خَيلًا ولا رِكابًا، ولا تَعِبْتُم في القِتالِ عليه، وإنَّما مَشيْتُم إليه على أَرْجُلِكم.

والمَعنى: أنَّ ما خَوَّلَ اللهُ رَسُولَه مِن أموال بني النَّضيرِ شيءٌ لم تُحصِّلُوه بالقِتالِ والغَلبَةِ، ولكنْ سلَّطَه الله عَليهم وعلى ما في أَيديهم كما كان يُسلِّط رُسلَه على أَعدائهم، فالأَمْرُ فيه مُفوَّضٌ إلَيه يَضَعُه حيْث يَشاء، يَعني: أنَّه لا يُقسَم قِسمةَ الغَنائم التي قُوتِل عليها وأُخِذت عَنوةً وقهرًا، وذلك أنَّهم طلبُوا القِسمةَ فنزلت.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾

لم يَدخُلِ العاطفُ على هذه الجملة لِأنَّها بيانٌ للأُولَى فهيَ منها غَيْرُ أَجنبيَّةٍ عنها.

بُيِّنَ لرَسُول الله ما يَصْنَعُ بما أفاء اللهُ عليه وأَمَره أن يَضَعَهُ حيث يضعُ الخُمسَ من الغنائم مقسُومًا على الأقسام الخمسة.

قوله: (**على هِينَتكم**) متعلّق بمحذوف، أي: امشوا على هِينَتكم.

قوله: (**فهي منها**) مبتدأ وخبرٌ، و"مِن" فيه للاتّصال. وقوله: (**غيرُ أجنبيّة عنها**) جملة مبيّنة مؤكِّدة للجملة الأولى.[1]

قوله: (**وأَمَرَه أنْ**[2] **يَضَعَه حيث يضع الخُمْسَ مِن الغنائم**) هذا الذي ذكره

[1] ن: اللأولى.
[2] ن: أنّ.

....

خلافُ مذهب الشافعي رضي الله عنه،[١] فعنده يُجعل الفيء خمسة أقسام، والخُمْس الواحد يُخمَّس، ويوضع حيث يوضع الخُمْس مِن الغنائم، وبيان ذلك ما ذكره صاحب **البحر**[٢] فيه فقال:

الأصل في الغنيمة قوله تعالى: / ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾... الآية [الأنفال ٤١/٨]. والأصل في الفَيء[٣] قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾... الآية. [٣٩٦و]

واعلم[٤] أنّ الغنائم كانت في شرع مَن قبلنا لله تعالى لا تَحِلُّ لأحدٍ، فإذا غَنِمَتِ الأنبياء شيئًا جمعوها، فتَنزِل نارٌ مِن السماء فتأخذها، فخُصَّ[٥] النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[٦] مِن بينهم بأن أُحِلّت له، قال صلّى الله عليه وسلّم:[٧] «أُحِلَّتْ ليَ الغنائم، ولم تُحَلَّ لأحد قبلي»،[٨] فكانت في صدر الإسلام له خاصّةً يتفرَّد بها، وكذا كانت غنائم بدرٍ، ثمّ نُسِخ ذلك، واستقرّ أمرها على أنّ له منها الصَّفِيَّ، فيَصطَفي مِن الغنيمة ما شاء مِن جارية وثوب وعَبْد وفَرسٍ ونحو ذلك، ويكون أربعة أخماسها للغانمين، وخُمُسُها لأهل الخُمْس، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾... الآية [الأنفال ١/٨]، فدلّ أنّها كانت للرسول صلّى الله عليه وسلّم[٩] خاصّةً بجملتها.

وهذه الآية نزلت يومَ بدرٍ، فإنّ المسلمين تنازعوا في الغنائم فنزلت هذه الآية، فَقَسَمها صلّى الله عليه وسلّم[١٠] بين الغانمين،[١١] وأدخَل معهم جماعةً لم يَحضُروا المَغنم، منهم: عثمان[١٢] بن عفّان رضي الله عنه،[١٣]

١ ف + رضي الله عنه.
٢ بحر المذهب للروياني، ٢٢٤/٦.
٣ ن: الشيء.
٤ ن: واعلموا.
٥ ن: فحصّى.
٦ د: عليه السلام.
٧ د: عليه السلام.
٨ صحيح البخاري، ٧٤/١ (٣٣٥)؛ صحيح مسلم، ٣٧٠/١ (٥٢١).
٩ د: عليه السلام.
١٠ د: عليه السلام.
١١ ن: القانمين.
١٢ ف: عثمن.
١٣ د ن - رضي الله عنه.

....

فإنّه كان مقيمًا بالمدينة يُمَرِّضُ زوجته رقيّة بنتَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[١] والناسخ لهذه الآية قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾... الآية [الأنفال ٤١/٨]. فتُقْسَم الآن الغنيمة على خمسة أسهم، ثمّ يُقسَم خُمسها على خمسة أسهمٍ، منها[٢] سهم للرسول صلّى الله عليه وسلّم،[٣] وسَهمٌ لذوي القُربى، وسَهمٌ لليتامى، وسَهمٌ للمساكين، وسَهمٌ لابن السبيل، وأربعة أخماسها للغانمين. وروى[٤] أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه أنّ[٥] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٦] قال: «الغنيمة لِمَن شَهِد الوَقعة»،[٧] والخُمس[٨] مقسوم على خمسة أسهمٍ: سَهْمٌ للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[٩] وسهْمٌ لذوي القربى، وسَهمٌ لليتامى، وسَهمٌ للمساكين، وسَهمٌ لابن السبيل.

وأمّا الفيء فكان للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم[١٠] منه شيئان: أربعة أخماسه له وحده،[١١] وخُمْسُه لأهل الخُمْس، منها له سهمٌ أيضًا، فكان جميع مال الفيء مقسومًا على خمسة وعشرين سَهْمًا، أحدٌ وعشرون للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[١٢] وأربعةُ أسهُم لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل؛ لقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾... الآية، فأضاف الفيء إلى رسوله كما أضاف الغنيمة[١٣] إلى الغانمين، ثمّ استثنى مَن سمّاه. والآن يجب أن يُقسَم الفيء على خمسة أسهم كما ذكرنا في الغنيمة، وخُمسه وخُمس الغنيمة الذي كان للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم[١٤] مِن الخُمس انتقل بموته إلى المصالح، وأمّا أربعة أخماسه فالأصحّ[١٥] أنّها للمقاتلين.

---

١ د: عليه السلام.
٢ ن: منا.
٣ د: عليه السلام.
٤ ن: وروي.
٥ ن: عن.
٦ د: عليه السلام.
٧ لم أجده مرفوعًا، وهو في السنن الكبرى للبيهقي، ١٧٠/١٨ (١٨٠٠٩)، موقوفًا على أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. وفي المعجم الكبير للطبراني، ٣٢١/٨ (٨٢٠٣)؛ ومصنّف عبد الرزّاق، ٣٠٢/٥ (٩٦٨٩)؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ١٧١/١٨ (١٨٠١٠)، موقوفًا على عمر رضي الله عنه.
٨ ن: الخمس.
٩ د: عليه السلام.
١٠ د: عليه السلام.
١١ ن: وحدة.
١٢ د: عليه السلام.
١٣ ف: القسمة.
١٤ د: عليه السلام.
١٥ ن: فلأصحّ.

والدَّولة والدُّولة، بالفتح والضم -وقد قرئ بهما-: ما يَدُولُ للإنسان؛ أي: يدُورُ من الجَدِّ، يُقال: دالت له الدَّوْلةُ، وأُدِيل لِفلانٍ.

ومعنى قوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾: كيلا يكُون الفَيءُ الَّذي حَقُّه أَن يُعطَى الفقراءَ ليَكُون لهُم بلغَةً يَعيشُونَ بها جَدًّا بين الأغنياء يتكاثَرُون بهِ.

أو: كيلا يكُون دُولةً جاهِليَّةً بَيْنهم.

ومَعنى الدُّولة الجاهلية: أن الرُّؤسَاء منهم كانوا يَستأثِرُون بالغَنيمة لأنَّهم أَهْلُ الرّياسة والدُّولة والغَلبةِ، وكانوا يقولُون: "مَن عَزَّ بَزَّ"، والمَعنى: كيْلا يكونَ أَخْذُه غَلبةً وأَثرَةً جاهِلِيَّة، ومنه قولُ الحَسن: اتَّخَذُوا عبَادَ الله خَوَلًا ومالَ اللهِ دولًا، يُرِيدُ: مَن غلَبَ منهم أَخَذَهُ واسْتَأْثَرَ به.

قوله: (والدَّولة والدُّولة) القراءة بضمّ الدال مِن السبعة، وبفتحها شاذّة.[1]

قوله: (بُلْغَةً) البُلْغة: ما يُتَبلَّغ به مِن العيش، وتبلّغ بكذا، أي: اكتفى به. وتبلَّغَتْ به العِلّة، أي: اشتدّت.[2]

قوله: (مَن عَزَّ بَزَّ)[3] أي: مَن غلَب سلَب.

قوله: (خَوَلًا)[4] أي: خَدَمًا.

قوله: (ومالَ[5] الله دُوَلًا) قال في **الصحاح**: «الدَّولة في الحرب: أن تُداوَل إحدى الفيئتَين على الأخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدَّولة، والجمع: الدِّوَلُ. والدُّولة -بالضمّ- / في المال، يقال: صار[6] الفيء دُولةً بينهم، أي: يتداولونه، يكون مرّة لهذا، ومَرّة لهذا، والجمع: دُولَاتٌ[7] ودُوَلٌ».[8] [٣٩٦ظ]

---

١ مرويّة عن عليّ رضي الله عنه وابن يعمر واليماني. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٦٩.

٢ **الصحاح** للجوهري، «بلغ».

٣ ن: ين.

٤ ن: خوالًا.

٥ ن: وما.

٦ ن: صاد.

٧ ن: ولات.

٨ **الصحاح** للجوهري، «دول».

وقيل: "الدُّولة": ما يُتداوَل؛ كالغُرفة: اسْمُ ما يُغتَرفُ، يَعني: كيْلا يكُونَ الفَيءُ شيئًا يَتَداوَلُه الأغنياء بَينَهم ويَتَعَاورُونَه فلا يُصِيبُ الفقراءَ، و"الدَّولةُ" بالفتح: بمَعنى التَّداوُل؛ أي: كَيْلا يكُونَ ذا تَداوُلٍ بَينهم، أو: كيْلا يكُونَ إمْساكُهُ تَدَاولًا بينهُم لا يُخرِجُونه إلى الفقراء.

وقرئ: ﴿دُولةٌ﴾ بالرَّفع على ﴿كان﴾ التَّامَّة؛ كقوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة ٢/٢٨٠] يَعْني: كيْلَا يقَعَ دُولَةٌ جاهِليَّةٌ، ولِيَنقَطِعَ أثرُهَا، أو: كيلا يكُون تدَاوُلٌ له بَينهم، أو: كَيلا يكونَ شَيءٌ مُتعَاوَرٌ بَينهُم غَيرُ مُخرَجٍ إلى الفقراء.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ من قسْمةِ غنيمةٍ أو فَيءٍ ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ﴾ عن أخذه مِنها ﴿فَٱنتَهُواْ﴾ عنه ولا تَتْبَعْهُ أنفسُكُم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أن تُخَالِفُوه وتتهاوَنوا بأوامره ونوَاهيهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خَالَف رَسُولَه.

والأَجْودُ أن يكون عامًّا في كلِّ ما أتَى رسُولُ الله ونهى عنه، وأَمرُ الفيءِ داخلٌ في عمُومهِ.

قوله: (**يعني: كيلا يكون**) على القراءة بالضمّ.

قوله: (**أي: كيلا يكون**) على القراءة بالفتح.[١]

قوله: (**ويتعاوَرونه**) يقال: اعْتَوَروا[٢] الشيء، وتَعوَّروه، وتعاوَروه، أي: تداوَلوه فيما بينهم.[٣]

قوله: (**أو كيلا يكون إمساكه**) أي: إمساكُ الفيء، يعني: إنْ[٤] رجع الضمير إلى "الفيء" فلا بُدّ مِن تقدير المضاف قبل ﴿دُولَةً﴾، وإن رجع إلى إمساكِه فلا حاجةَ إليه هناك، وإنّما يُقدّر قبل الضمير المستتِر.

قوله: (**لا يُخْرِجونه**) أي: الفيء.

---

[١] أي: "دَوْلَة" بفتح الدال. قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ وابن يَعمر واليماني. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٦٩.

[٢] ن: اعتورو.

[٣] **الصحاح** للجوهري، «عور».

[٤] ن: إنّ.

وعن ابن مَسْعُود رضي الله عنه: أنَّه لقيَ رَجُلًا مُحرِمًا وعَليه ثِيابُه فقال له: اِنْزِعْ عنك هذا، فقال الرَّجُل: اقرأْ عَليَّ في هذا آيةً من كتابِ الله، قال: نعَم، فقرأهَا عليه.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ بَدلٌ من قوله: ﴿لِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ والمعطوفِ عليه، والذي مَنَع الإبدالَ من: ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ والمعطوفِ عليهما وإن كان المَعنى لرسُول الله: أنَّ الله عزَّ وجلَّ أَخرجَ رَسُولَه من الفُقَراءِ في قولهِ: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾، وأنَّه يُتَرَفَّعُ برسُول الله عن التَّسميةِ بالفَقير، ....

قوله: (وعن ابن مسعود رضي الله عنه)...[1] إلخ حديث ابن مسعود رضي الله عنه[2] يدلّ على أنّه عامّ.

قوله: (والمعطوف عليه) أي: الذي عُطِف على ﴿ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

قوله: (وإن كان المعنى: لرسول الله) أي: وإن كان معنى ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾: لرسول الله.

قوله: (أنّ الله عزّ وجلّ) خبر (الذي).

قوله: (مِن الفقراء) أي: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾.

قوله: (في قوله: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ﴾) إذ لو كان داخِلًا فيهم لم يصحّ قوله: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾.

قوله: (عن التسمية بالفقير) وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[3] يتعوَّذ مِن الفقر.[4]

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ د - رضي الله عنه.

٣ د: عليه السلام.

٤ في سنن أبي داود، ٦٤٤/٢ (١٥٤٤)، عن أبي هريرة أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يقول: «اللّهمّ إنّي أعوذُ بكَ مِن الفَقر».

وأنَّ الإبدال على ظاهر اللَّفظ من خلاف الوَاجبِ في تعظيم الله عزَّ وعَلا.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم وجِهادهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو﴾ مَعْطوفٌ على ﴿ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾، وهُم الأنصارُ.

فإن قلتَ: ما معنى عطفِ الإيمان على الدارِ، ولا يقال: تَبَوَّؤا الإيمانَ؟

قلتُ: مَعناه: تَبوَّؤا الدَّارَ وأَخْلَصُوا الإيمانَ؛ كقوله:

عَـلَـفْـتُـهـا تِـبْـنًـا ومَــاءً بــاردًا

أو: وجَعَلُوا الإيمانَ مُستَقَرًّا ومُتَوطَّنًا لَهم لِتَمكُّنِهم منه واستقَامَتِهم عَليه كما جَعلُوا المَدِينةَ كذلك.

أو أرَادَ: دارَ الهجرة ودارَ الإيمانِ، فأَقام لامَ التَّعريف في الدَّارِ مقام المضافِ إليهِ وحَذَف المُضافَ من دارِ الإيمان ووَضَع المضاف إلَيه مقامَه.

قوله: **(على ظاهر اللفظ)** وإن كان المعنى: لرسول الله. وقوله: **(مِن خلاف)** خبر "أنّ"، فـ"مِن" متعلّق بمحذوف، و"الواجب" بمعنى الثابت.

قوله: **(معطوف على ﴿ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾)** فكأنّه قيل: للفقراء المهاجرين والفقراءِ الذين.

قوله: **(ولا يقال: تَبَوَّأ الإيمان)** لأنّ الإيمان ليس مكانًا يُتبوَّأ.

قوله: **(أو وجعلوا[1] الإيمان مستقَرًّا)** يعني: أنّه يكون استعارة؛ لأنّه شبّه تمكّنهم[2] مِن الإيمان واستقامتهم عليه بجعل المكان مستقَرًّا ومُتوطَّنًا.[3]

قوله: **(أو أراد دار الهجرة)**... إلخ فحذف الثاني مِن الأوّل، والأوّل مِن الثاني، وهو قريب مِن طريقة قوله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[4] [إبراهيم ١٤/٢٤]،

---

[1] ن: وجعلو.

[2] ن: تمكّفهم.

[3] ن: ومتوطّن.

[4] ن + أي: أصلها ثابت في الأرض، وفرعها في السماء.

أو سَمَّى المدينةَ لأنَّهَا دارُ الهجرة ومكانُ ظهُورِ الإيمان بالإيمان.

﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: من قَبْلِ المهاجرين؛ لأنَّهم سَبقُوهم في تَبَوُّءِ دارِ الهِجرة والإيمان. وقيل: من قَبْل هِجرَتهِم.

أي: أصلها ثابت في الأرض، وفرعها ثابت في السماء،[1] فحُذف أحد اللفظين مِن الأوّل، والآخرُ مِن الثاني.

قوله: **(أو سمّى)** فيكون[2] المراد بـ﴿ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ شيئًا واحدًا، وهو المدينة، كما كان المراد بدار الهجرة ودار الإيمان إيّاها في الوجه المتقدّم. واعلم أنّه يتوجّه أن[3] يقال في الفرق بين "أو" في المواضع الثلاثة مثل ما قال المصنّف في الواوات في قوله تعالى: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران ٣/٢٦]، وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ﴾ [الحديد ٥٧/٣]، مِن أنّ الأُولى والثالثة لِعطف المفرد على المفرد، والمتوسّطة لعطف المجموع على المجموع، ولذلك لوَّن[4] العبارة وخالف فيها، أي:[5] عند ذكر الأوّلين والآخرين، فتأمّل يَنكشفْ لك ما رَمَزتُ إليه، وحاصله: أنّ المراد بالإيمان في الوجهين الأوّلين هو معناه المعروف، وأمّا في الوجهين الأخيرين[6] فالمراد به المدينة.

قوله: **(مِن قَبل المهاجرين)** وقوله: **(مِن قَبل هجرتهم)** يعني: إن قلنا: المعنى: تبوّءُوا الدارَ وأخلصوا الإيمان، أو قلنا: / جعلوا[7] الإيمان مستقَرًّا؛ فمعنى ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: مِن قَبل هجرتهم؛ لأنّ الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين، ولكن آمنوا قبل هجرتهم كما في بيعة العقبة، ولذا قال بعضهم: في الآية قَلْبٌ تقديرها: تبوَّءُوا الدار مِن قبلهم والإيمانَ. وإن قلنا: المعنى: دار الهجرة ودار الإيمان، [٣٩٧و]

---

١ ف: السما.

٢ ن: فتكون.

٣ ف: أنّه.

٤ ن: لأنّ.

٥ ن: أيّ.

٦ ن: الآخرين.

٧ ن: جعلو.

﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾: ولا يَعلمُون في أنفسِهم ﴿حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾؛ أي: طلَبَ مُحتاجٍ إليه مما أُوتيَ المُهاجرُونَ من الفَيءِ وغَيره، والمحتاجُ إليه يُسمَّى حاجةً؛ يُقال: خُذْ مِنه حاجَتك، و: أَعطاه من مالهِ حاجَته، يَعني: أنَّ نفُوسَهم لم تَتبَعْ ما أُعْطُوا ولم تَطمَحْ إلى شيءٍ منه تَحتاجُ إليه.

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: خلَّةٌ، وأَصْلُها: خصَاصُ البَيْت وهي فُرُوجُه، والجملةُ في مَوضع الحالِ؛ أي: مَفرُوضةً خصَاصَتُهم، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قسَم أموَالَ بني النَّضيرِ على المهاجرين ولم يُعْطِ الأَنْصارَ إلَّا ثلاثةَ نفَرٍ مُحتاجِين: أبَا دُجانة سِمَاكَ بن خَرَشَةَ وسَهْلَ بنَ حُنَيْفٍ والحارِث بن الصِّمَّةِ، وقال لهم: «إن شئتُم قسَمتُم للمُهاجِرين مِن أموالكم ودياركُم ....

أو سمَّى المدينة بالإيمان؛ فمعنى[1] ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: مِن قبل المهاجرين؛ لأنّهم سبقوهم[2] في تبوُّءِ دار الهجرة ودار الإيمان بلا شُبهة.

قوله: **(أي: طلب محتاج إليه)** فيكون "الحاجة" بمعنى المحتاج إليه، ويكون المضاف محذوفًا.

قوله: **(في موضع الحال)** أي: مَن ﴿يُؤْثِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿خَصَاصَةٌ﴾ الخَصاص والخَصاصة: الفقْر، والخَصاصة: الخَلل والتعب الصغير، يقال للقمر: بدا مِن خصاصة الغيم، قال ذو[3] الرمّة:

أصابَ خصاصةً فبدا[4] كَليلًا كَلَا وانْغَلَّ سائره انْغِلالَا[5]

يقال: غَلّه فانغَلَّ، أي: أدخَله فدخل، وغلَّ أيضًا: دخلَ، يتعدّى ولا يتعدّى، يقال: غلَّ فلان المَفاوِزَ؛ إذا دخلها وتوسّطها.[6]

قوله: **(وقال لهم: إن شئتم)**[7] وإنّما قال صلّى الله عليه وسلّم[8] ذلك

---

[1] ن: بمعنى.
[2] ف: سَبقوهم؛ ن: سبعوهم.
[3] ن: ذوه.
[4] ن – فبدا.
[5] **ديوان ذي الرمّة**، ١٥١٨/٣.
[6] **الصحاح للجوهري**، «غلل».
[7] ن: نسنيتم.
[8] د: عليه السلام.

وشارَكتمُوهُم في هذه الغَنيمة، وإن شئتُم كانت لكم دِيارُكم وأَموالكُم ولم يُقسَم لكُم شيءٌ من الغنيمة» فقالت الأنصار: بل نَقْسِمُ لَهُم من أموالِنا ودِيارنا ونُؤثِرُهم بالغنيمَةِ ولا نُشاركُهم فيها، فنزَلت.

"الشّحُّ" بالضم والكسر -وقد قرئ بهما-: اللُّؤْمُ، وأَن تكون نفسُ الرجل كَزَّةً حَريصَةً على المنع كما قال:

يـمـارِسُ نفسًا بين جَنبَيْهِ كَـزَّةً إذا هَـمَّ بالمَعرُوف قالَت له مَهْلًا

وقد أُضِيفَ إلى النَّفْسِ لأنه غَرِيزَةٌ فيها، وأمَّا البُخلُ فهُو المنعُ نفسُه، ومِنه قولُه تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء ١٢٨/٤].

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾: ومَن غَلَبَ ما أَمَرتْهُ به منه وخَالف هَوَاها بمعُونة الله وتَوْفيقه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: الظَّافرُونَ بما أرَادُوا. وقرئ: "ومَن يُوَقَّ".

لأنّ المهاجرين كانوا قد تركوا أموالهم بمكّة،[١] ولم يكن لهم بالمدينة شيء، وكان الأنصار في ديارهم وأموالهم.

قوله: (كَزَّةً) يقال: رجل كَزّ، أي: قليل المُواتاة،[٢] أي: قليل العطاء.[٣]

قوله:

(يـمـارِس[٤] نَفْسًا بين جنبيه كـزّةً إذا هَمّ بالمعروف قالت له: مهلًا)[٥]

الكَزازة: اليُبْس والانقباض، ورجلٌ كزٌّ، أي: قليل الخَير، ورجل كزّ اليدين؛ إذا كان بخيلًا.[٦] يصف شخصًا بالشُّحّ المُطاع، وأنّه إذا همّ يومًا أن يَتسمّح بمعروف قالت له نفسه: مهلًا، فيطيعُها[٧] ويمتنع عن الخير. هكذا ذكر بعضهم في شرح هذا البيت. وأمّا النظر في قوله: "يُمارِس" فيدلّ على أنّه يمدحه بأنّه لا يطيع دواعي هذا النفس؛ بل يمارسه ويجادله، فيكون مدحًا.

---

١ ن: بملّة.

٢ ن: الخواتاة.

٣ انظر: لسان العرب لابن منظور، «كزز».

٤ ن: يحارس.

٥ بغير نسبة في أساس البلاغة للزمخشري، «كزز».

٦ انظر: لسان العرب لابن منظور، «كزز».

٧ ن: فيطيعهما.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ عطفٌ أيضًا على ﴿ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾، وهم الَّذين هاجَرُوا مِن بعْدُ، وقيل: التّابعُون بإحْسَانٍ.

﴿غِلّٗا﴾ وقرئ: "غِمْرًا"، وهُما الحِقْدُ.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢﴾

﴿لِإِخۡوَٰنِهِمُ﴾: للَّذِين بَيْنَهُم وبَينَهُم أُخُوَّةُ الكُفْرِ، ولأنّهم كانوا يُوالُونَهُم ويُؤاخُونَهُم، وكانوا معَهم على المؤمنين في السِّرِّ.

﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ﴾: في قتالكم ﴿أَحَدًا﴾ من رسول الله والمسلمين إن حُمِلْنا عَليه، أو: في خِذلانِكم وإخلافِ ما وَعدناكم من النُّصرَةِ.

﴿لَكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: في مَواعيدِهم لليَهود، وفيه دليلٌ على صحَّة النُّبوَّةِ لأنَّه إخبَارٌ بالغَيْب.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ﴾ بعد الإخبار بأنَّهم لا يَنصُرونَهم؟

قلتُ: معناه: ولئن نصَرُوهم على الفَرْض والتقدير؛ كقَوله: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر ٦٥/٣٩]، وكمَا يَعْلَم ما يكون فهُو يَعْلم ما لا يكُون لو كان كيف يكُون.

قوله: **(ولأنّهم)** عطفٌ على قوله: **(للذين)** مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل:[١] قال لهم إخوانهم؛ لأنّ بينهم أُخوّةَ الكفر، ولأنّهم كانوا.

قوله: **(مِن رسول الله)** بيان **(أحدًا)**. وقوله: **(عليه)** أي: على القتال.

قوله: **(ما لا يكون)** "ما" مفعول أوّل. وقوله: **(لو)** مفعول ثانٍ.

---

١ ن – قيل.

والمعنى: ولئن نَصَر المنافِقُون اليَهودَ لَيَنْهَزِمَنَّ المنافقُون ثم لا يُنصَرُون بعدَ ذلك؛ أي: يُهلِكُهُم اللهُ ولا يَنفَعُهم نِفَاقهم لِظُهُور كُفْرهم، أو: لَيَنْهزِمنَّ اليَهُودُ ثم لا تَنْفَعُهم نُصرةُ المنافقين.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣﴾

﴿رَهْبَةً﴾ مصْدَرُ "رُهِبَ" المَبنيِّ للمفعُول؛ كأنَّه قيل: أَشَدُّ مَرْهُوبِيَّةً.

وقوله: ﴿فِى صُدُورِهِم﴾ دلالةٌ على نِفاقِهم، يعني: أنَّهم يُظْهِرُون لكم في العَلانية خوفَ الله وأَنتُم أهيَبُ في صُدُورِهم من الله.

فإن قلتَ: كأنَّهم كانُوا يَرْهَبُونَ من الله حتى تكون رَهبَتُهم منهم أَشَدَّ؟

قلتُ: معناه: أنَّ رَهْبتَهم في السِّرِّ مِنكُم أشدُّ من رَهْبتِهِم مِن الله الَّتي يُظهِرُونهَا لكُمْ، وكانوا يُظهِرُون لهم رَهْبةً شدِيدةً منَ الله.

ويجوز أَن يُريد: أَنَّ اليهود يَخافونكُم في صُدُورهم أشدَّ من خوفهم من الله؛ لأنَّهم كانوا قومًا أُولي بأسٍ ونَجدَةٍ، فكانوا يتشجَّعُون لَهُم مع إضمار الخِيفَة في صُدُورهم.

﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا يَعْلَمونَ اللهَ وعَظمتَه ....

قوله: (التي يُظهِرونها) فليس لهم مِن الله رَهبةٌ، لكن يُظهرون الرهبة منه[1] تعالى.

قوله:[2] (ويجوز أنْ[3] يريد) حاصل المعنى: أنَّهم يُظهرون لكم خوف الله تعالى مع أنَّهم لا يخافون[4] الله تعالى، وخوفُهم منكم أشدّ مِن خوف[5] الله الذي يُظهرونه لكم. وحاصل المعنى الثاني: أنّهم يُظهرون لكم[6] أنّهم لا يخافونكم مع أنّهم يخافونكم أشدّ مِن خوفهم مِن الله تعالى.

قوله: (لأنّهم) تعليلُ محذوف، أي: إنّما قال ذلك لأنّهم...

---

[1] ن + قوله.
[2] ن: وقوله.
[3] ن: أنّ.
[4] ن: تخافون.
[5] ن: حوف.
[6] ف - وحاصل المعنى الثاني: أنّهم يظهرون لكم.

حتى يَخشَوهُ حقَّ خَشيَتِهِ.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: لا يَقْدِرُون على مُقاتَلتِكم ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمِعِين متَسانِدِين، يعني: اليَهودَ والمنافقينَ ﴿إِلَّا﴾ كائِنِينَ ﴿فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالخَنادقِ والدُّروب ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ دُون أن يُصْحِرُوا لكم ويُبارِزوكُم؛ لِقَذف اللهِ الرُّعبَ في قلُوبهم، وأنَّ تأييدَ الله ونُصرَتَه مَعكم.

وقرئ: "جُدْرٍ" بالتخفيف و: ﴿جدارٍ﴾، و: "جَدْرٍ" و"جَدَرٍ" وهما: الجِدارُ.

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يَعني: أن البَأس الشديدَ الذي يُوصَفُون به إنما هو بينهم إذا اقتتَلُوا، ولو قاتلُوكم لم يَبْق لَهُم ذلك البَأسُ والشِّدة؛ لأن الشُّجاعَ يَجبُنُ والعَزيزَ يَذِلُّ عِند مُحاربةِ اللهِ ورَسُوله.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: مُجتمِعِينَ ذوِي أُلفَةٍ واتِّحادٍ ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: مُتفرِّقَةٌ لا أُلفَةَ بَينها.

يعني: أنَّ بيْنَهم إِحَنًا وعَداواتٍ، ....

قوله: (حقَّ خَشيته)[١] إشارة إلى ما مرّ مِن المعنيَين: **الأوّل**: أن لا يكون لهم خشيةٌ مِن الله تعالى أصلًا. **والثاني**:[٢] / أن يكون لكن أقلّ مِن خشيتهم المؤمنين. [٣٩٧ظ]

قوله: (**أنْ يُصْحِروا**)[٣] يقال: أصحَرَ، أي: خرج إلى الصحراء، وهي البرّيّة.[٤]

قوله: (إحَنًا) الإحْنةُ: الحِقد، والجمع: إحَنٌ،[٥] يقال: أحِنْتُ[٦] عليه بالكسر.[٧]

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: مَثَل هؤلاء اليهود[٨] كمَثَل الذين مِن قبلهم ﴿قَرِيبًا﴾ يعني: مشركي مكّة ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ يعني القتل ببدر،

---

١ ن: خشية.

٢ ف: الثاني.

٣ ن: نصحروا.

٤ **الصحاح** للجوهري، «صحر».

٥ ن: إحسن.

٦ ن: إحنث.

٧ **الصحاح** للجوهري، «أحن».

٨ ن – اليهود.

فلا يتعَاضَدون حقَّ التعاضُدِ، ولا يَرْمُونَ عن قوْسٍ واحِدةٍ، وهذا تجسيرٌ للمؤمنين وتشجيعٌ لِقُلُوبهم على قِتالِهِم.

﴿قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ أنَّ تشتُّتَ القُلُوبِ ممَّا يُوهِنُ قُواهُم ويُعِينُ على أرْواحهم.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥﴾

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: مَثَلُهمْ كمثَلِ أَهْلِ بَدْرٍ في زمانٍ قَرِيبٍ.

فإن قلتَ: بمَ انتَصَبَ ﴿قَرِيبٗا﴾؟

قلتُ: بـ"مَثَلِ"، على: ﴿كـ﴾وجُودِ ﴿مَثَلِ﴾ أَهْلِ بَدْر ﴿قَرِيبٗا﴾.

﴿وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾: سُوءَ عاقبةِ كُفرِهم وعَداوتهم لِرسُول اللهِ، مِن قولهم: "كَلأٌ وَبِيلٌ": وخِيمٌ سَيِّئُ العاقِبةِ، يَعني: ذاقوا عذابَ القَتل في الدُّنيا ﴿وَلَهُمۡ﴾ في الآخرة عذابُ النار.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾

وكان ذلك قبل غزوة بني النضير، قاله مجاهد. وقال ابن عبّاس: «﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يعني: بني قينُقاع».[1] وقيل: مَثَل قُريظة كمَثَل بني النضير كان بينهما سنتان. ثمّ ضرب مَثَلًا للمنافقين واليهود جميعًا في تخاذلهم، فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، أي: مَثَل المنافقين في غزوهم بني النضير وخِذلانَهم كمَثَل الشيطان؛ إذ قال... معالم.[2]

قوله: (قلتُ: بـ﴿مَثَلِ﴾)... إلخ فيكون ﴿قَرِيبٗا﴾ ظرْفًا لـ"وجودِ" المقدَّر، والمراد بالمَثَل: الصفة العجيبة الشأن، أي: صفة هؤلاء مِثل صفة أهل بدر، وهي الصفة الموجودة في الزمان القريب، وتلك الصفة هي الجُبن والتشتُّت، أو الهلاك والمغلوبيّة.

---

١ ف: قينَقاع.

٢ معالم التنزيل للبغوي، ٨١/٨ (الحشر، ١٥/٥٩).

مَثَلُ المنافِقين في إغرائهم اليهودَ على القتال، ووَعْدِهم إيَّاهُم النَّصْرَ، ثُمَّ مُتارَكَتِهم لَهُم وإخلافِهم ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ إذا استَغْوَى الإنسانَ بكَيْدِه ثمَّ تبَرَّأ منه في العاقبةِ، والمرادُ: استِغواؤُهُ قُرَيْشًا يومَ بَدْرٍ، وقولُه لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنفال ٨/٤٨].

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

قرأ ابنُ مسعودٍ: "خالدان فيها" على أنَّه خبَرُ "أنَّ" و﴿فِى ٱلنَّارِ﴾ لَغْوٌ، وعلى القراءة المشهُورةِ: الظَّرْفُ مُستقِرٌّ و﴿خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ حالٌ.

وقرئ: "أنا بريء"، و: "عَاقبتُهما" بالرَّفع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

كرَّر الأَمر بالتَّقوى تأكيدًا، أو: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أداء الوَاجِباتِ لأنَّه قُرِن بما هو عَملٌ، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في ترك المعاصِي لأنَّه قُرِنَ بما يَجْرِي مَجْرَى الوَعيدِ.

و"الغدُ": يومُ القيامةِ، سمَّاه باليومِ الَّذي يَلِي يومَك تقريبًا له، وعن الحَسَن: لم يزَلْ يُقرِّبُه حتَّى جعَله كالغدِ، ونحوُه قولُه: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس ١٠/٢٤]

قوله: (**وقولُه لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ﴾** [الأنفال ٨/٤٨]) **قوله تعالى في سورة الأنفال**: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال ٨/٤٨].

قوله: (**بما هو عملٌ**) وهو ﴿وَلْتَنظُرْ﴾... إلخ، وقوله: (**بما يجري**) هو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ﴾.[١]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: أمّا تنكير "النفس")... إلخ أي: تنكير "النفس" للتقليل، وتنكير "الغَد" للتعظيم، أي: غدٍ أيِّ غدٍ، غدٍ لا يُكتَنه.

يُريدُ: تقريبَ الزَّمانِ الماضي.

وقيل: عبَّر عن الآخرة بالغَدِ كأنَّ الدُّنيا والآخرة نهَارانِ: يَوْمٌ وَغدٌ.

فإن قلتَ: ما معنى تنكيرِ النفسِ والغدِ؟

قلتُ: أمَّا تنكيرُ النفسِ فاستِقلالٌ للأَنفُس النَّواظِر فيما قَدَّمْنَ للآخرة؛ كأنه قال: فلتَنظُرْ نفسٌ واحِدةٌ في ذلك، وأمَّا تنكيرُ الغَدِ فلتَعْظيمه وإبْهَامِ أَمْرِه؛ كأنه قيل: لغَدٍ لا يُعرفُ كُنْهُه لِعظَمِه.

وعن مالِك بن دِينار: مكتوبٌ على بابِ الجنَّة: وجَدْنا ما عمِلنا، رَبِحْنا ما قدَّمْنا، خَسرنا ما خَلَّفنا.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ١٩﴾

﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: نسُوا حَقَّه فجعَلهم ناسينَ حقَّ أَنفُسِهم بالخِذلانِ حتَّى لم يَسْعَوا لهَا بما يَنفَعُهم عنده، أو فأَرَاهُمْ يومَ القيامة مِن الأَهْوالِ ما نَسُوا فيه أَنفسَهُم؛ كقَوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم ١٤/٤٣].

قوله: (**يريد تقريب**[١] **الزمان الماضي**)[٢] يعني: أنّه تعالى **قرَّب**[٣] الماضي في قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس ١٠/٢٤]، كما قرَّب المستقبل في قوله تعالى:[٤] ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾.

قوله: (**وقيل: عُبّر**) **عطفٌ على قوله: (سمّاه)**...[٥] إلخ.

قوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يعني: ليوم القيامة، أي: لينظر أحدكم أَيش[٦] الذي قدَّم لنفسه عملًا صالحًا ينجيه أم سيِّئًا يوبقه. **معالم**.[٧]

قوله: (**فاستقلال**) مِن القِلّة.

قوله: (**أو فأراهم**) فعلى الوجه **الأوّل** يكون معنى ﴿أَنسَىٰهُمْ﴾ في الدنيا،

---

١ ن: يقريب.

٢ ف ن - الزمان الماضي. ن + تعالى.

٣ ن: قربّ.

٤ ن - تعالى.

٥ ن: يسمّاه.

٦ **في مطبوع معالم التنزيل**: "أيّ شيء".

٧ **معالم التنزيل للبغوي**، ٨٦/٨ (الحشر، ١٨/٥٩).

﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠﴾

هذا تَنبيهٌ للنَّاس وإيذانٌ بأنَّهم لفرْطِ غَفلتهم، وقِلَّة فِكْرِهم في العاقبةِ، وتهالُكِهم على إِيثار العَاجلةِ واتِّباع الشهواتِ: كأنَّهم لا يعرفُونَ الفرقَ بَيْن الجَنَّةِ والنَّار، والبَونَ العظيمَ بين أصحابهما، وأنَّ الفَوز مع أصحاب الجنة، فمِن حقِّهم أن يُعْلَمُوا ذلك ويُنَبَّهُوا عليه؛ كما تقول لمَن يَعُقُّ أبَاهُ: "هُو أَبوك" تَجْعَلُه بمَنزلةِ مَن لا يَعرفُه فتُنَبِّهُه بذلك على حقِّ الأُبوَّةِ الذي يَقتضِي البِرَّ والتعطُّفَ.

وقد استَدلَّ أصحابُ الشافعي بهذه الآيةِ على أن المُسْلِمَ لا يُقْتَلُ بالكافِر، وأنَّ الكُفَّار لا يَملِكون أموالَ المُسلمين بالقَهْر.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾

هذا تمثيلٌ وتخييلٌ كما مرَّ في قَوْله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب ٧٢/٣٣] وقد دَلَّ عَليه قولُه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ والغرضُ: تَوْبيخُ الإنْسَانِ على قسْوة قلْبه وقِلَّةِ تخشُّعهِ عِند تلاوة القرآنِ وتَدَبُّرِ قوَارِعه وزَواجِره.

وعلى الوجه **الثاني** في الآخرة، فهو مِثل قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم ٤٣/١٤] في إرادة شدّة الأهوال.

قوله: **(كأنّهم)** خبر **(بأنّهم)**.[١]

قوله: **(بالقهر)**[٢] يعني: وإن مَلك المسلمون أموال الكفّار بالقهر، فالكفّار لا يملكون أموال المسلمين، فإنّهم لا يستوون.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا﴾... ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ مع أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وكثرةِ عجائبه ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ مع شدّته وغِلظتِه ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ مِن فَرَقِ عذابه، وإنّ قلوب بني آدم لم تَلِن،[٣] ولم تَرِقّ.

---

[١] وفي هامش د ف: قوله: (بهذه الآية) وهي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

[٢] ن: بالقهم.

[٣] ن: تكن.

وقرئ: "مصَّدِّعا" على الإدْغام.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ إشارةٌ إلى هذا المَثَلِ وإلى أمْثالِه في مَواضِعَ من التَّنْزيل.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

"الغيبُ": المَعْدومُ، و"الشهادةُ": الموجودُ المُدْرَكُ كأنّه يُشاهِدُه.

وقيل: ما غابَ عن العِبَادِ وما شاهَدُوه.

وقيل: السِّرُّ والعَلانيةُ.

وقيل: الدُّنيا والآخِرةُ.

"القُدُّوس" بالضَّم والفتح -وقد قُرِئ بهما-: البَليغُ في النَّزاهَة عما يُستقبحُ، ونَظِيرُه: السُّبُوح، وفي تَسْبيح المَلائكة: «سُبُوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الملائكة والرُّوحِ».

و﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ بمعنى: السَّلامةِ، ومنه ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الأنعام ١٢٧/٦] و﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام ٥٤/٦]، وُصِفَ به مُبالغةً في وصْفِ كوْنِه سَلِيمًا من النَّقائصِ، أو في إعْطَائه السَّلامَة.

[٣٩٨و] قوله: (و﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ بمعنى السلامة) فما ورد مِن قوله: «أنتَ السلام» / مبالغة في وصف كونه سليمًا مِن النقائص، «ومنك السلام» إشارة إلى إعطائه السلامة،[1] «وإليكَ يرجع السلام» إلى أنّ كلّ مَن عليها فانٍ، ويبقى وجه ربِّك، «وحيِّنا ربَّنا بالسلام»[2] طلب السلامة منه تعالى.

---

١ ن: المطائية.

٢ في صحيح مسلم، ٤١٤/١ (٥٩١)، عن ثوبانَ، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إذا انصرف مِن صلاته استغفرَ ثلاثًا وقال: «اللّهمّ أنتَ السلام، ومنكَ السلام، تباركتَ ذا الجلال والإكرام». وفي السنن الكبرى للبيهقي، ٥٢٤/٩ (٩٢٨٧)، عن مكحولٍ قال: كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا دخلَ مكّةَ فرأى البيت رفع يديه وكبر، وقال: «اللّهمّ أنت السلام، ومنك السلام، فحيِّنا ربَّنا بالسلام».

و﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾: واهِبُ الأَمْنِ، وقرئ بفتح الميم بمَعنى: المؤمَن به، **على حَذْف** الجارِّ كما تقول في "قَوم مُوسَى" مِن قوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف ٧/١٥٥]: المختارُونَ بلَفْظِ صِفَةِ السَّبْعينَ.

و﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾: الرَّقِيبُ على كلِّ شيء الحافِظُ له، مُفَيْعِلٌ من الأَمْنِ **إلَّا أَنَّ** هَمْزَته **قُلِبَتْ** هاءً.

و﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾: القاهِر الذي جَبَر خَلْقَه على ما أرَادَ؛ أي: أَجْبَرهُ.

و﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾: البَليغُ الكِبرياءِ والعَظَمةِ، وقيل: المُتكبِّرُ عن ظُلْم عِبَادِه.

قوله: **(بمعنى المؤمَن به)** على حذف الجارّ، آمَن به الخلائق، أو آمَن به المؤمنون، قال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ [البقرة ٢/٢٨٥].

قوله: **(كما تقول)** إذا قلتَ: "آمنتُ بالله" فإنّه تَخرج منه الصفة مع الجارّ، فتقول: مؤمَن به، وإذا قلتَ: "آمنتُ اللهَ" بحذف حرف الجرّ، فإنّه تخرُج منه بدون الجارّ، فتقول: مؤمَن، كما ضرب مِن المثال، فإنّ معنى قوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف ٧/١٥٥]، أي: مِن قومه، فلو كان حرف الجر مصرَّحًا به لقلتَ[1] في صفة القوم: المُختار[2] منهم، وإذا لم يكن حرف الجرّ مصرَّحًا به تقول: مختارون، كما تقول في صفة السبعين: هم المختارون، فإنّ السبعين هم المختارون، وأمّا القوم فهم المختار منهم، فإذا قلتَ في حقّ القوم وفي صفتهم: المختارين؛ فقد وصَفْتَهم بصفة السبعين.

قوله: **(قُلبَت هاءً)** ولمّا قُلبَت هاءً أُبقيَت على أصل الإبقاء ولم يحذف كما يحذف مِن "المؤمِن"؛[3] لأنّ الحذف في "المؤمِن" إنّما كان لاجتماع الهمزتين في المتكلّم مِن المضارع وحَمْلُ الباقي عليه، وهذا مثل[4] قولهم: "يُهَرِيقُ" -بفتح الهاء- في مضارع "هَراق"،[5] وأصلهما: أراقَ يُريقُ.

قوله: **(و﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ البليغ)** التفعّل يكون للتكلُّف،[6] إلّا أنّ ذلك على نوعين،

---

[1] ف: لعلت.
[2] ف: المحتار.
[3] ن: المؤمنين.
[4] ن: ميل.
[5] ن: هداق.
[6] ف: للتكليف.

و﴿ٱلْخَـٰلِقُ﴾: المُقدِّرُ لِمَا يُوجِدُه، و﴿ٱلْبَارِئُ﴾: المُميِّزُ بَعْضَهُ من بعضٍ بالأَشْكالِ المختلِفَة.

و﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: المُمثِّلُ، وعن حاطِبِ بن أبي بَلْتَعَة أنَّه قرأ: "البارِئُ المصوَّرَ" بفتح الواوِ ونصبِ الرَّاء؛ أي: الذي يَبرأُ المُصوَّرَ؛ أي: يُميِّزُ ما يُصوِّرُه بتفَاوُتِ الهَيْئاتِ.

وقرأ ابنُ مسعود: "وما في الأرض".

عن أبي هُريرة رضي الله عنه: سأَلْتُ حَبِيبي صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأَعظَم فقال: «عَلَيْكَ بآخِرِ الحَشْرِ فأكثِرْ قِرَاءتَهُ»، فأعذْتُ عليه فأعَاد عَلَيَّ، فأَعَذْتُ عليه فأعَادَ عَلَيَّ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ الحشرِ غفَرَ الله لهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبِه وما تأخَّرَ».

يقال للّئيم:[1] تَكرّم، أي: تكلَّف الكرَمَ، ويقال للكريم: تكرَّم، أي: تكلّف لزيادة الكرَم، فهذا الذي يُراد مثله في حقّه تعالى، لكن بأن يقال: الفعل الذي يجيء بطريق التكلّف يكون أقوى وأتمّ مِن الفعل الذي يكون خاليًا عن التكلّف، فإذا أُطلق شيء مِن هذه الصيغة في حقّ الله تعالى فإنّما يُراد به اللازم، وهو أن يكون على أتمّ ما يكون الفعل وأكمله مِن غير معنى التكلّف[2] والاعتمال حقيقةً.

قوله: (وقرأ ابن مسعود: "وَمَا فِي الأَرْضِ") بزيادة "ما".[3]

قوله: (فأعاد عليَّ)[4] أي:[5] كلّما سألته عن الاسم الأعظم قال: "عليك بآخِر الحشر".

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[6]

---

١ ن: للتيم.

٢ ف ن: التكليف.

٣ قراءة شاذّة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٧٠.

٤ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٨٢/٢٦ (الحشر، ٢٤/٥٩).

٥ ن: أبي.

٦ د - تعالى.

سورة الممتحنة

مدنيةٌ، وهي ثلاثَ عَشرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ①﴾

رُوي: أنَّ مَوْلاةً لِأبي عَمْرو بن صَيْفِيّ بن هاشمٍ يُقال لهَا: سَارَةُ، أتتْ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينةِ وهو يتجهَّزُ لِلفَتح فقال لهَا: «أَمُسلِمةً جئتِ؟» قالت: لا، قال: «أفمهَاجرةً جئتِ؟» قالت: لا، قال: «فما جاءَ بكِ؟» قالت: كنتُم الأَهْلَ والمَوَاليَ والعَشيرةَ، وقد ذهَبَتِ المَوالي -تَعْني: قُتِلُوا يومَ بدرٍ- فاحتَجْتُ حاجةً شديدةً، فحَثَّ عليها بني عبدِ المُطَّلِب فكسَوها وحَمَلُوها وزوَّدُوهَا، فَأتَاهَا حاطبُ بنُ أَبِي بَلتعَةَ وأعْطاهَا عشرةَ دَنانيرَ وكسَاها بُرْدًا واستحملَهَا كتابًا إلى أَهْلِ مكَّة نُسخَتُهُ: مِن حاطِبِ بنِ أبي بَلتعَةَ إلى أَهْلِ مكَّةَ،

سورة المُمتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (فحثَّ) أي: النبيّ عليه السلام.[2]

قوله: (واستَحْمَلَها) أي: طلب منها أن تَحمِل كتابًا.

---

١ ف – وبه نستعين.

٢ ن: صلّى الله عليه وسلّم.

اعلمُوا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُريدُكُم، فخُذُوا حِذْركُم، فخرجَتْ سارَةُ ونزل جبريل عليه السلام بالخَبرِ، فبعَث رسولُ الله عليًّا وعمَّارًا وعُمرَ وطلحةَ والزُّبيْرَ والمِقْدَادَ وأبا مَرثَدٍ -وكانوا فُرْسانًا- وقال: «انطلِقُوا حتَّى تأتُوا رَوضَة خَاخَ، فإنَّ بها ظَعِينَةً معها كتابٌ من حَاطبٍ إلى أهل مكة فخُذُوه منها وخَلُّوها، فإنْ أبَتْ فاضرِبُوا عُنُقَها»، فأدْرَكُوها فجَحَدت وحَلَفتْ فهَمُّوا بالرُّجُوع، فقال عليٌّ رضي الله عنه: واللهِ ما كُذِبنا ولا كُذِبَ رسولُ الله، وسَلَّ سَيفَه وقال: أَخْرِجِي الكتابَ أو تَضَعِي رَأسَكِ، فأَخرَجتْه من عِقَاص شَعرِهَا -ورُوي أنَّ رسول الله أمَّن جميعَ الناس يومَ الفتحِ إلا أَربَعةً هي أَحَدُهم- فاستحضَر رسولُ الله حَاطِبًا وقال: «ما حمَلك عليه؟» فقال: يا رسولَ الله، ما كَفرتُ مُنْذُ أَسلَمتُ،

قوله: (ظَعينة) الظعينة:[١] المرأة ما دامت في الهَودج، فإذا لم تكن فيه فهي المرأة.

قوله: (فأدرَكوها) الفاء فيه فصيحة، أي: فانطلَقوا فأدرَكوها.

[٣٩٨ظ] / قوله: (وجحدَتْ) أي: جحدتْ أنّ معها كتابًا، وحلفتْ: ما معها كتاب.

قوله: (كُذِبنا) و(كُذِبَ) مبنيّان للمفعول، والفاعل في الأوّل: "الرسول"، وفي الثاني: "جبرئيل"[٢] عليه السلام،[٣] أي: ما كذَبَنا رسولُ الله، ولا كذَبَ جبرئيل عليه السلام رسولَ الله عليه السلام.[٤]

قوله: (مِن عِقاص شَعرها) العَقيصة: الضَّفيرة،[٥] وجمعها: عِقَص وعِقاص، ويقال: هي التي تتّخذ مِن شعرها مثل الرُّمّانة، وكلّ خَصلة منها عَقيصة، والجمع: عِقاص وعقائص.[٦]

قوله: (فاستحضر) الفاء أيضًا فصيحة، أي: فجاءوا[٧] بالكتاب إلى رسول الله عليه السلام[٨] فاستَحْضَر.

---

١ ن – الظعينة.
٢ ن: جبرائل.
٣ ف – عليه السلام.
٤ ف: عليهما الصلاة والسلام.
٥ ن: الصغيرة.
٦ **الصحاح** للجوهري، «عقص».
٧ ن: فجاؤ.
٨ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

ولا غَشَشْتُكَ مُنذُ نصَحتُكَ، ولا أَحبَبتُهم مُنذُ فارَقْتُهُم، ولكنِّي كُنتُ امرأً مُلْصَقًا في قريشٍ -ورُوي: عَزيزًا فيهم؛ أي: غَريبًا- ولم أَكُنْ مِن أَنفُسِهَا، وكلُّ مَن معَك من المُهاجِرين لهم قراباتٌ بمكَّة يَحمُون أهَالِيهم وأموَالَهم غيرِي، فخشِيتُ على أَهلي فأَرَدتُ أن أتَّخِذ عندهم يَدًا، وقد علمتُ أنَّ الله يُنزل عليهم بَأسَهُ، وأنَّ كتابي لا يُغني عنهم شيئًا، فصَدَّقه وقَبِلَ عُذرَهُ، فقال عُمر: دَعْني يا رسول الله أَضرِبْ عُنُقَ هذا المنافِق، فقال: «وما يُدريكَ يا عُمر لعَلَّ الله قد اطَّلَعَ على أهل بدْرٍ فقال لهم: اعملُوا ما شئتُم فقد غَفرْتُ لكم» فَفاضت عينَا عمرَ وقال: الله ورسُوله أعلم، فنزلت.

عُدِّي "اتَّخَذ" إلى مفعُوليه وهما ﴿عَدُوِّى﴾ و﴿أَوْلِيَآءَ﴾.

و"العَدُوُّ": فَعولٌ من عَدَا؛ كـ"عَفُوٌّ" من عَفا، ولكَونه على زِنَةِ المَصدر أُوقِعَ على الجَمْعِ إيقاعَه على الواحِدِ.

فإن قلتَ: ﴿تُلْقُونَ﴾ بمَ يتعلَّق؟

قلتُ: يجوز أن يتَعلَّق بـ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ حالًا من ضميرِه، وبـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ صفةً له، ويجوز أن يكون استئنافًا.

فإن قلتَ: إذا جعَلْتَه صِفةً لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وقد جَرَى على غيرِ مَن هُو له، فأينَ الضَّميرُ البارِز وهو قولُك: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم﴾ أنتم ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾؟

قلتُ: ذاك إنما اشترَطُوه في الأسماء دون الأفعال، لو قيل: "أولياءَ مُلقِينَ إليهم بالمودَّةِ" على الوصْف، لَمَا كان بُدٌّ من الضمير البارز.

و"الإلقاءُ": عبارةٌ عن إيصالِ المودَّةِ والإفضاءِ بها إليهم، ....

قوله: (**مُلصقًا**)[1] المُلصق: الدَّعِيّ.

قوله: (**وبـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ صفةٌ له**) أي: لا تتَّخذوهم أولياء موصوفين بالمودّة.

قوله: (**البارز**) يريد بـ"البارز" المنفصل.

---

[1] ن: ماصقا.

يقال: أَلقَى إليه خرَاشيَّ صَدْرِه، وأَفْضَى إليه بشُقُوره.

والباءُ في ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إمَّا زائدةٌ مؤكِّدةٌ للتَّعدِّي مِثلُها في ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة ١٩٥/٢]، وإمَّا ثابتةٌ على أن مفعُول ﴿تُلْقُونَ﴾ محذوف معناه: تُلقُون إليهم أخبارَ رسُول الله بسَبب المَودَّة التي بينكُم وبينَهُم، وكذلك قولُه: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾؛ أي: تُفْضُونَ إليهم بموَدَّتِكُم سرًّا، أو: تُسِرُّون إليهم إسْرَارَ رسُولِ الله بسَبب المودَّةِ.

فإن قلتَ: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ﴾ حالٌ ممَّاذا؟

قوله: (خراشيَّ) الخِرشاء: البلغم، ويقال: ألقى[١] إليه خراشيَّ صدره.[٢] وهذا بطريق الاستعارة، يُشبَّه ما في الصدور مِن الأسرار المكتومة بالبلغم، وإظهارها بإلقائه، فيكون المعنى: أظهر له سرَّه، ويجوز أن يقال: شبّه العداوة المكنونة في الصدر بالبلغم المستور، والتكلّمَ بالكلمات المؤذية الدالّة على العداوة بإلقائه، كما يشبّه تكلُّم الحاسد مِن الحسد بنَفثة[٣] المصدور. والشُّقور -بالضمّ-: الأمور اللاصقة[٤] بالقلب المهمّة، الواحد: شَقْر.[٥] وقولهم: «أفضيتُ إليه بِشُقوري»، أي: أبْثَثتُه سرِّي، وأخبرته بجميع أموري.[٦]

قوله: (وإمّا ثابتة)[٧] أي: غير زائدة.

قوله: (أي: تُفْضون)... إلخ يعني: إنْ جُعل "الباء" زائدة فعلى تضمين ﴿تُسِرُّونَ﴾ معنى "تُفْضون"، فيئُول المعنى إلى قولك: تُفْضون إليهم بمودَّتكم سِرًّا، أي: مُسرّين، وأمّا إن لم يُجعل "الباء" زائدة فذلك إذا لم تضمّن معنى "تُفضون"؛ بل يكون ﴿تُسِرُّونَ﴾ على معناه؛ وذلك لأنّ زيادة "الباء"[٨] في المفعول سماعي لا قياسي، وقد جاء زيادتها في مفعول الفعل مِن الإفضاء، قال في **الصحاح**:

---

١ ف: ألقِيَ.

٢ **الصحاح** للجوهري، «خرش».

٣ ن: بنفشة.

٤ ن: اللاصيقة.

٥ **الصحاح** للجوهري، «شقر».

٦ **المُغرب** للمطرّزي، «شقر». وهو مَثَل يضرب لمَن يُفْضَى إليه بما يُكْتَم عن غيره مِن السرّ. **مجمع الأمثال** للميداني، ٧١/٢.

٧ ن: يابتة.

٨ ن: الياء.

قلتُ: إمَّا من ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ وإمَّا من ﴿تُلْقُونَ﴾؛ ....

«يقال: أفضى إلى فلانٍ بسِرِّه».[1] ولا يجوز زيادة الباء في مفعول ﴿تُسِرُّونَ﴾؛ إذ لم يجئ ذلك، وقد عرفتَ أنّه سماعي. والدليل على ما ذكرنا قولُ صاحب **المُغرب** فيه: «أسرَّ الحديث؛ أخفاه»، ثمّ قال: «وقوله: 'يُسِرّهما' يعني: الاستعاذة والتسمية، وأمّا 'يُسِرُّ بهما'[2] بزيادة الباء فسَهْوٌ»،[3] هذا كلام المطرّزي في **المُغرب**. وهو[4] صريحٌ فيما ذكرنا.

ثمّ ههنا كلام لا بدّ مِن التنبّه له؛ وهو أنّ "الباء" في "تُفْضون إليهم بمودّتكم"، وفي قول صاحب **الصحاح**: «أفضى إلى فلان بسرّه» ليست زائدةً؛ بل هي للتعدية، يدلّ عليه قول المطرّزي في **المُغرب**: «الفضاء: المكان الواسع، وقولهم: أفضى فلانٌ إلى فلانٍ؛ إذا وصل إليه؛ حقيقته: صار في فضائه، وفي التنزيل: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ/ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء ٢١/٤] كناية عن المباشَرة»، ثمّ قال: «ومنه: المُفْضاة؛ المرأة التي صار مَسلكاها واحدًا، وقد أفضاها الرجل إذا جعلها كذلك»،[5] وأشار إلى أنّه بيّن في كتابه **المُعْرب** -بالعين المهملة- أنّ ذلك على حذف حرف الجرّ وإيصال[6] الفعل، والأصل: المفضَى إليها، وقد أفضى إليها، لكن حُذف حرف الجرّ وأُوصِل الفعل،[7] وإنّما فعل كذلك ليدلّ على قوّة الإفضاء والمبالغة فيه، والله أعلم. [٣٩٩و]

ويظهر لك مِن هذا أنّ مراد المصنّف[8] مِن قوله: **(وكذلك)**... إلخ أنّه يجوز أن يكون مفعول ﴿تُسِرُّونَ﴾ محذوفًا، ويجوز أن يكون ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ في محلّ المفعول لكن على وجه التَّضمين، لا على زيادة "الباء" كما هو في أوّل هذه الحاشية.[9]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «فضا».
٢ ن: بها.
٣ **المُغرب** للمطرّزي، «سرر».
٤ ف: فهو.
٥ **المُغرب** للمطرّزي، «فضا».
٦ ن: وأيصل.
٧ ن - إليها، وقد أفضى إليها، لكن حُذف حرف الجرّ وأُوصِل الفعل.
٨ ن: الصنّف.
٩ ن: الخاشيته.

أي: لا تَتولَّوهُم، أو تُوادُّوهُم، وهذه حالُهم.

و﴿يُخۡرِجُونَ﴾ استئنافٌ كالتفسير لكُفرهم وعُتوّهم، أو حالٌ مِن ﴿كَفَرُواْ﴾.

و﴿أَن تُؤۡمِنُواْ﴾ تعليلٌ لـ﴿يُخۡرِجُونَ﴾؛ أي: يُخرِجُونكم لإيمانكم.

و﴿إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾، يَعني: لا تَتولَّوا أعدائي إن كنتُم أَوليائي، وقولُ النحويين في مِثلِه: هو شرْطٌ جوابُه محذوفٌ لدلالةِ ما قبلَه عَليه.

و﴿تُسِرُّونَ﴾ استئنافٌ؛ ومَعناه: أَيُّ طائلٍ لكم في إِسْرارِكم وقد علمتُم أن الإخفاء والإعلانَ سيَّانٌ في علمي لا تفاوُتَ بَينهما، وأنا مُطْلِعٌ رسُولي على ما تُسِرُّونَ.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ﴾: ومَن يَفعَلْ هذا الإِسْرارَ فقد أَخْطَأَ طريقَ الحقِّ والصَّوابِ.

وقرأ الجَحْدَرِيُّ: "لِمَا جاءكم"؛ أي: كفَرُوا لأَجْل ما جاءكُم، بمعنى: أَنَّ ما كان يجِبُ أن يكون سبَبَ إيمانهم جعَلُوه سَبَبًا لكفرهم.

﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢﴾

قوله: **(أي: لا تتولَّوهم[1] أو تُوادُّونهم)** قوله: "لا تَتولَّوهم" تفسير ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾. وقوله:[2] "تُوادُّونهم" تفسير ﴿تُلۡقُونَ﴾ فلذا جزم الأوّل دون الثاني، أي: ينكِر تولِّيه مع تَولِّي عدوِّه، كما قال الشاعر:

تَــوَدّ عـــدُوِّي ثــمّ تَـزعـم أنّـني صديقك ليس النُّوك عنك بعازبِ[3]

قوله: **(وقول النحويّين)** مبتدأ. وقوله:[4] **(هو شرط)** خبره.

قوله: **(بمعنى أنّ ما كان يجب)**[5] فإنّ مجيء الحقّ سبب[6] للإيمان، لا للكفر.

---

١ ن: لا تقولّوهم.

٢ ن: قوله.

٣ نسبه البكري لبشّار بن برد في **سمط اللآلي**، ٢٧١/١. وهو في **ملحقات ديوانه**، ٢١/٤. و"النُّوك" -بالضمّ-: الحُمق. **الصحاح** للجوهري، «نوك».

٤ ن: أو قوله.

٥ ن: بحسب.

٦ ن: بسبب.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾: إن يظفَرُوا بكم ويتمَكَّنُوا مِنكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ خالِصِي العَداوةِ، ولا يكُونوا لكم أولياءَ كما أنتُم.

﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: بالقِتال والشَّتم ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾: وتمنَّوا لَو تَرتَدُّون عن دِينكم، فإذن مُوادَّةُ أمثالِهم ومُناصَحَتُهم خَطأٌ عظيمٌ مِنكم ومُغَالطةٌ لِأنفسكم، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران ١١٨/٣].

فإن قلتَ: كيف أَوْردَ جوابَ الشَّرط مُضارِعًا مِثلَه ثمَّ قال: ﴿وَوَدُّواْ﴾ بلفظِ الماضي؟

قلتُ: الماضي وإن كان يَجْرِي في باب الشَّرط مَجْرى المضارع في عِلم الإِعراب فإنَّ فيه نُكْتةً؛ كأنَّه قيل: ووَدُّوا قبلَ كلِّ شيءٍ كُفرَكُم وارتدادَكُم، يَعْني: أنَّهم يُرِيدُون أن يُلحِقُوا بكم مَضَارَّ الدُّنيا والدِّين جميعًا: مِن قتلِ الأنفُس، وتمزِيق الأَعراضِ، وردِّكم كُفَّارًا، وردُّكم كُفَّارًا أسبَقُ المضارِّ عِندَهم وأوَّلُها؛ لِعلمِهم أنَّ الدِّين أعزُّ عليكم من أَرْوَاحكم لأنكم بَذَّالُون لهَا دُونَه، والعَدوُّ أهمُّ شيءٍ عِنده أنْ يَقصِد أعزَّ شيءٍ عند صاحِبِه.

قوله: **(كما أنتم)** أي: كما أنتم أولياؤهم، فحذف[١] الخبر، و"ما" كافّة للكاف عن عمله الجرّ، فلذا دخلت على الجملة.

قوله: **(بالقتال والشتم)** يفسّر ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾، ففيه لفّ ونشر مِن حيث المعنى؛ لأنّ بَسْط الأيدي بالسُّوء هو القتل، وبسط الألسن بالسُّوء هو الشَّتم.

قوله: **(فإذن)**... إلخ يشير[٢] به إلى أنّ قوله تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾... إلخ كالبيان لقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قوله:[٣] **(قوله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران ١١٨/٣])** أي: لا يُقَصِّرون في إفساد أموركم. والألْوُ:[٤] التقصير. والخَبال: الفساد.

قوله: **(في علم الإعراب)** يشير به[٥] إلى النكتة متعلّقة بعلم البيان.

---

١ ن: فخذف.
٢ ن: يسير.
٣ ن - قوله.
٤ ف: والألوا؛ ن: والألّوا.
٥ ن: بو.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ③﴾

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾؛ أي: قَراباتِكم ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ الَّذين تُوالُونَ الكُفَّارَ مِن أَجْلِهم وتَتَقَرَّبُون إِلَيْهم مُحاماةً عليهم، ثم قال: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ وبين أَقارِبِكم وأَولادِكم ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ الآيةَ [عبس ٣٤/٨٠]، فما لكم تَرفُضُون حَقَّ الله مُراعَاةً لحقِّ مَن يفِرُّ مِنكم غدًا؟

خَطَّأَ رأيَهم في مُوالاةِ الكُفّار بمَا يَرْجِعُ إلى حالِ مَن وَالَوْهُ أوّلًا، ثمّ بما يَرْجِع إلى حالِ مَن اقتضَى تلك المُولاةَ ثانيًا؛ ليُرِيَهُم أنَّ ما أَقدَمُوا عليه من أيِّ جهةٍ نظَرْتَ فيه وَجَدْتَهُ باطلًا.

قرئ: ﴿يُفْصَلُ﴾ و: ﴿يُفَصَّلُ﴾ على البناء للمفعول، و: ﴿يَفْصِلُ﴾ و: ﴿يُفصِّلُ﴾

قوله: (﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ﴾ [عبس ٣٤/٨٠]) أورد قولَه تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ﴾[1] [عبس ٣٤/٨٠] للاستشهاد.

قوله: (بما يرجع) يريد قولَه: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾... إلخ.

قوله: (ثمّ بما يرجع) يعني قولَه: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾.

قوله: (على البناء للمفعول) قال أبو عليّ: «يذهبُ أبو الحسين[2] في هذا النحو إلى أنّ الظرف أُقيم مُقام الفاعل، وتُرِك على الفتح الذي كان يجري عليه في الكلام منصوبًا، وكذلك يجيء على قياس قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام ٩٤/٦]». قال أبو عليّ: «هو على قوله مفتوح، والموضع موضع رفع».[3] هذا كلام أبي عليّ في الحُجّة، وأنا أقول: وأمّا عند غير أبي الحسن فإنّ القائم مَقام الفاعل هو الضمير العائد إلى الفَصل، أي: يُفصَل[4] الفصلُ بينكم، بمعنى: يوقَع الفصْلُ بينكم كما مرّ في قوله: ﴿تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام ٩٤/٦] مِن أنّ المعنى: تقطَّع التقطُّعُ، أي: وقع التقطّعُ بينكم.

---

[1] ف - المرء.
[2] في مطبوع الحجّة: "أبو الحسن". وكذلك جاء فيما سيأتي مِن عبارة المؤلّف.
[3] الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٢٨٥/٦.
[4] ن: يفصّل.

على البناء للفاعِلِ وهو اللهُ عزَّ وجلَّ، و: "نَفْصِلُ" و: "نُفصِّلُ" بالنُّون.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥﴾

قرئ: ﴿إِسوة﴾ و﴿أُسْوَةٌ﴾ وهو اسمُ المُؤتَسى به؛ أي: كان فيهم مَذهبٌ حَسَنٌ مَرْضيٌّ بأَنْ يُؤتَسى به ويُتَّبَعَ أَثَرُهُ، وهو قولُهم لكفَّار قَوْمِهم ما قالوا، حيث كاشَفُوهُم بالعَداوة، وقَشَرُوا لَهُم العَصا، وأَظهَرُوا البَغضاءَ والمَقْتَ، وصرَّحُوا بأنَّ سبَب عدَاوتهم وبَغضائهم ليسَ إلَّا كُفرَهُم باللهِ، وما دام هذا السَّببُ قائمًا

قوله: (على البناء للفاعل) هذه القراءات[1] الأربعة مِن السبعة.[2] وقوله: (بالنون) هما مِن الشاذّ.[3]

قوله: (حيث) تعليل لحُسنه[4] وكونه / مرضيًا.[5] [٣٩٩ظ]

قوله: (وما دام) عطفٌ على قوله: (سبب عداوتهم)... إلخ مِن حيث المعنى،[6] فإنّ قوله: (صرَّحوا[7] بأنّ سبب)... إلخ في معنى قولك: قالوا: صريحًا، فكأنّه قال: قالوا: سبب... إلخ، وقالوا: ما دام، وإنّما قدّرنا كذلك لامتناع عطف "ما دام"

---

١ ن: القرات.

٢ ن: اسبعة. | قرأ عاصم ويعقوب: ﴿يَفصِلُ﴾ بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد مخفَّفةً، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿يُفَصِّلُ﴾ بضمّ الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشدّدةً، وروى ابن ذكوان: ﴿يُفَصَّلُ﴾ بضمّ الياء وفتح الفاء والصاد مشدّدةً، واختلف عن هشام، فروى عنه الحلواني كذلك، وروى عنه الداجوني: ﴿يُفْصَلُ﴾ بضمّ الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مخفّفةً، وكذلك قرأ باقي العشرة. النشر لابن الجزري، ٢/٣٨٧.

٣ "نُفَصِّلُ" مرويّة عن طلحة، و"نَفْصِلُ" مرويّة عن أبي حيوة وزيد بن عليّ. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٥٦؛ **وشواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٧٠.

٤ ن: لحسنة.

٥ ن: فرضيًا.

٦ ن: معني.

٧ د: صرجوا.

كانت العداوةُ قائمةً، حتّى إنْ أزَالُوهُ وآمَنوا بالله وحده انقلَبتِ العَداوةُ مُوالاةً والبَغضاءُ محبّةً والمَقتُ مِقَةً فأفْصَحُوا عن مَحْضِ الإخلاص.

ومَعنَى ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ وبما تَعبُدونَ من دون الله: ....

على قوله: "سبب"؛ إذ[1] لا يجوز دخول "أنّ" على "ما دام"، ويمكن أن يقال: لا حاجةَ إلى هذا التكلّف.

قوله: (حتّى إنْ[2] أزالوه) غاية لقوله: (قائمة)؛ إلى وقت إزالة هذا السبب وإيمانهم وانقلاب العداوة موالاة. قوله: "حتّى إنْ أزالوه" متعلّق بقوله: "سبب عداوتهم"، وهي ابتدائيّة وقع بعدها الجملة، والمعنى: سبب عداوتهم الكفر إلى إزالتهم الكفر وإيمانِهم وانقلابِ عداوتهم موالاة.

قوله: (ومعنى ﴿كَفَرْنَا﴾)... إلخ قول المصنّف في تفسير قوله تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: "ومعنى ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ وبما تعبدون" إشارة إلى أنّ ضمير المخاطب في قوله تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ عائد[3] إلى الضمير المجرور في قوله: ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾ وإلى "ما" في ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ تغليبًا للمخاطَبين على الغَيَب، وللعقلاء على ما لا يَعقِل. ثمّ بيّن أنّ المراد بالكفر عدمُ الاعتداد بطريق المجاز؛ لأنّ الكفر بالشي يستلزم عدمَ الاعتداد به. وإنّما فسّر قوله: ﴿بِكُمْ﴾ بما[4] مرّ لأنّ الكفر إنّما يكون بما يُعبَد حقًّا أو[5] باطلًا، ولم يكن[6] يتحقّق هذا المعنى بعَود الضمير مِن ﴿بِكُمْ﴾ إلى "قَومِهم"، ولا يجوز أيضًا عودُهُ إلى "مَا تَعبدون"؛ لأنّهم ليسوا مخاطبين، فتعيّن التغليب كما ذكرنا. وأمّا قوله: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ فيعود الضمير منه إلى قوله: "قَومِهم"، فلا حاجةَ إلى تكلّف آخر.[7]

---

[1] ن: أو.

[2] ن: إنّ.

[3] ن: عائدًا.

[4] ن: لما.

[5] ن + يكن.

[6] ن - يكن.

[7] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال الزجّاج: «لا تُظهرهم علينا فيظنُّوا أنّهم على الحقّ فيفتتِنوا». وقال مجاهد: «لا تعذِّبنا بأيديهم ولا بعذاب مِن عندك فيقولون: لو كان هؤلاء على الحقّ ما أصابَهم ذلك». معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٩٤/٨ (الممتحنة، ٦٠/٥).

أنَّا لا نعْتَدُّ بشأنِكُم ولا بِشأنِ آلهتِكم، وما أنتُم عندنا على شيءٍ.

فإن قلتَ: ممَّ استُثْني قولُه: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ﴾؟

قلتُ: من قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ لأنّه أراد بالأُسْوة الحسنة: قولَهم الَّذي حقَّ عليهم أن يأتَسُوا به ويتَّخذوه سُنَّةً يَستنُّون بها.

فإن قلتَ: فإنْ كان قولُه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ مُستثنًى من القَول الَّذي هُو أسْوةٌ حَسنةٌ، فما بالُ قوله: ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ وهو غيرُ حقيقٍ بالاستثناء، ألا تَرى إلى قوله: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة ١٧/٥]؟

قلتُ: أراد استثناءَ جملةِ قولهِ لأَبيهِ والقصدُ إلى مَوْعد الاستغْفَارِ له، وما بعدهُ مَبنيٌّ عليه وتابعٌ له؛ كأنَّه قال: أنا أستغفرُ لك وما في طَاقتِي إلا الاستغفارُ.

فإن قلتَ: بِمَ اتَّصلَ قولُه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾؟

قلتُ: بما قَبْلَ الاستثناءِ، وهو من جُملةِ الأسْوة الحَسنة، ويجوز أن يكون المَعنى: قولُوا ربَّنا، أَمْرًا مِن الله تعالى للمؤمنينَ بأن يقُولوهُ وتعليمًا منه لهم؛ تتميمًا لِمَا وَصَّاهم به من قَطْعِ العلائقِ بينَهُم وبين الكفَّار ....

قوله: **(قولَهم)** أي: قولَ إبراهيم والذين معه، وإذا كان المراد قولَهم فكأنَّه قيل: اقتَدوا بقولهم إلّا بهذا القول. وهذا تقرير لِما ذكر عن قريب أنّ المراد بـ"الإسْوة" مذهبُ حسنٍ، وهو قولهم: لَأنفسُهم وذاتُهم، وقد مرّ في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١/٣٣]: أنّ المراد بـ"الإسوة" هو الرسول، كقولك: في هذه الدِّرْع عشرة أمْناء حديد. وقوله: **(حقَّ عليهم)** أي: على المؤمنين.[١]

قوله: **(قلتُ: بما قبل الاستثناء)** إذا كان متَّصلًا بما قبلَ الاستثناء يكونُ مِن كلام إبراهيم، وإذا كان المعنى: قولوا: يكون ابتداءَ كلام مِن الله تعالى.

[١] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: في إبراهيم عليه السلام ومَن معه. وقوله تعالى: ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ تَعدِلوا فيهم بالإحسان والبرّ. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٩٥/٨ (الممتحنة، ٦/٦٠).

والائتِساءِ بإبراهيم وقَومِه في البراءَةِ منهم، وتنبيهًا على الإنابةِ إلى الله عزَّ وجلَّ والاستعاذةِ به من فتنةِ أهل الكفر والاستغفار ممَّا فَرَط منهم.

وقرئ: ﴿بُرآء﴾ كشُركاء، و: "بِرَاءٌ" كظِرافٍ، و: "بُراءٌ" على إبدال الضمّ من الكَسْر كرُخالٍ ورُبَابٍ، و: "بَرَاءٌ" على الوصف بالمَصدر، والبَرَاء والبَرَاءة كالظَّماءِ والظَّماءة.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾

ثمَّ كرَّرَ الحثَّ على الائتِساء بإبراهيم وقوْمِه تقريرًا وتأكيدًا عليهم، ولِذلك جاءَ به مُصَدَّرًا بالقَسَم لأنَّه الغايةُ في التأكيد، وأَبدَل عن قَولِه: ﴿لَكُمْ﴾ قولَه: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ وعَقَّبَه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، فلمْ يَتْرُك نوعًا من التَّأكيدِ إلَّا جاء بهِ.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾

ولمَّا نزلت هذه الآياتُ تَشدَّد المؤمنونَ في عَداوةِ آبائِهم وأَبنائِهم وجميعِ أَقرِبائهم من المُشركين ومُقَاطعَتِهم، فلمَّا رأى اللهُ منهم الجِدَّ والصَّبرَ على الوَجْدِ

قوله: **(فرَط منهم)** أي: مِن المؤمنين، يعني: فِعلَ حاطِب، وقد أسنده إلى الجماعة.

قوله: **(كرُخال)**...[١] إلخ الرُخال: جمع رَخْل؛ وهو الأنثى مِن أولاد الضأن، والرُباب: جمع الرُّبَّى مِن الغنم؛ وهي التي وضعَتْ حديثًا، قال في **الصحاح**: «الرُّبَّى[٢] على فُعلى -بالضمّ-: الشاة التي وَضعَتْ حديثًا، وجمعها: رُباب بالضمّ، والمصدر: رِباب بالكسر؛ وهو قرب العهد بالولادة».[٣]

قوله: **(كالظَّماء)** أي: العطش.

---

١ ن: لرخال.

٢ ن: الربّي.

٣ **الصحاح** للجوهري، «ربب».

الشديدِ، وطُولَ التَّمنِّي للسَّبب الَّذي يُبيحُ لهُمُ المُوالاةَ والمُوَاصَلةَ، رَحِمَهُم فوَعَدَهُم تيسيرَ ما تَمَنَّوه بقوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

فلمَّا يَسَّرَ فتحَ مكَّةَ أَظفَرهم الله بأُمنيَتِهم فأَسْلم قَوْمُهُم وتمَّ بَينَهُم من التَّحابِ والتَّصَافي مَا تمَّ.

وقيل: تزوَّجَ رسُولُ الله أمَّ حَبيبةَ فلانَتْ عِند ذلك عَريكةُ أبي سفيانَ واستَرْخَت شكيمتُه في العداوة، وكانَتْ أمُّ حَبيبةَ قد أسلمَتْ وهاجَرَتْ مع زوجها عبد الله بن جَحْشٍ إلى الحبَشةِ، فتنَصَّر وأرَادَهَا على النَّصرانيَّةِ فأبَتْ وصبَرت على دينها، ومات زَوْجُها فبَعثَ رسولُ الله إلى النَّجاشِيّ فخطَبها عَليه وسَاق عنه إليها أربعَ مئة دينارٍ، وبلَغ ذلك أبَاهَا فقال: ذلك الفَحْلُ لا يُقدَعُ أنْفُه.

و﴿عَسَى﴾ وَعدٌ مِن الله على عادات الملوك، حيث يقولُون في بَعض الحَوائج: "عسَى" أو "لعَلَ"، فلا تَبقى شُبهةٌ للمُحتاج في تمام ذلك.

أو قُصِدَ به إطمَاعُ المؤمنين، واللهُ قديرٌ على تَقليب القلوبِ وتَغييرِ الأَحْوال وتسهيلِ أَسباب المَودَّة.

قوله: (عَريكة) أي: الطبيعة.

قوله: (شكيمتُه) الشكيمة:[1] الحديدة المعترِضة في / فم الدابّة مِن اللِّجام.[2] [٤٠٠و]

قوله: (وأرادها على النصرانيّة) أرادها على الأمر، أي: أكرهها عليه.

قوله: (أباها) أي: أبا سفيان.

قوله: (لا يُقدَع أنفُه) قَدَع الفرسَ: كَبَحَه، ويقال: فَحْلٌ لا يُقدَع أنفُه، أي: لا يُضرب أنفه رَدْعًا وزَجْرًا عن طُروق الناقة الكريمة، وذلك إذا كان كريمًا. وقدعتُ الرجل؛ إذا كَفَفْتَه عنك، قال ورقة بن نوفل لمّا خطب النبيُّ عليه السلام[3] خديجة وكان ابنَ عمِّها: «ذلك فَحلٌ لا يُقدَعُ»، وأكثر الروايات بالراء.

---

١ ن: الشكيمته.
٢ الصحاح للجوهري، «شكم».
٣ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمَن أَسْلم من المشركين.

﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾

﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدَلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾، وكذلك: ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ من ﴿ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ﴾ والمَعْنى: لا يَنهَاكم عن مَبرَّةِ هؤلاء وإنَّما يَنهَاكُم عن تَوَلِّي هَؤلاء.

وهذا أيْضًا رَحْمةٌ لَهُم لِتشدُّدهم وَجِدِّهم في العدَاوةِ مُتقَدِّمةٌ لرَحْمتهِ بتَيْسير إسْلام قَومِهم، حيْثُ رخَّصَ لَهُم في صلةِ مَن لم يُجاهِرْ منهم بقِتَالِ المؤمنين وإِخراجهم من ديارهم.

وقيل: أرادَ بهم خُزاعَةَ وكانُوا صالَحُوا رسولَ الله على أن لا يُقاتِلوه ولا يُعِينوا عَليه.

وعن مجاهِدٍ: همُ الَّذين آمَنوا بمكَّةَ ولم يُهاجِروا.

وقيل: هُم النساء والصِّبيان.

وقيل: قَدِمَت على أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ أُمُّها قُتَيلَةُ بنتُ عَبْدِ العُزَّى وهي مُشرِكةٌ بهَدَايَا، فلم تقبَلْها ولم تَأذَن لهَا بالدُّخول، فنزلت، ....

قوله: (بدل) أي: بدل اشتمال.

قوله: (حيث) ظرف (رحمة)، أي: رحِمَهم[1] حيث رخَّص.

قوله: (قَدِمَتْ) أي: مِن البادية، وكان أبو بكر طلَّقها في الجاهليّة.

قوله تعالى: ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: وتُحسِنوا إليهم، وتعطوهم ممّا تملكون مِن طعامٍ وغيره قِسْطًا. والإقساط: أن تعطوهم[2] مثل ما تُعطَون. وعُدِّي بـ"إلى" لتضمّنه معنى الإحسان.

---

[1] ن: رحمتهم.

[2] ن: تغطوهم.

فأمَرها رسول الله أن تُدخِلَها وتَقْبَلَ منها وتُكْرِمَها وتُحسِن إلَيْها.

وعن قتادة: نسخَتْها آيةُ القِتال.

﴿وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾: وتُفْضُوا إلَيهم بالقسط ولا تَظلِمُوهم، ونَاهيكَ بتَوصيَةِ الله المؤمنينَ أن يَستَعمِلُوا القسط مَع المشركين به ويتحَامَوا ظُلْمَهُم مُترجِمةً عن حال مُسْلمٍ يَجتَرِئ على ظُلْمِ أَخِيهِ المُسْلِم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠﴾

﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ﴾ سَمَّاهُنَّ مؤمناتٍ لتَصْديقهنَّ بألِسنتهنَّ ونُطقِهنَّ بكلمة الشهادة، ولم يَظهَرْ مِنهُنَّ ما يُنَافي ذلك، أو لأنَّهنَّ مُشارِفاتٌ لِثَباتِ إيمانهنَّ بالامتحان.

قوله: **(مع المشركين به)** أي: بالله تعالى.

قوله: **(مترجِمةً)** أي: كفاك مترجِمةً.

قوله: **(سمَاهنّ)**... إلخ إشارة إلى جواب سؤال؛ وهو أنْ يقال: كيف سَمّاهنّ "مُؤمِنات" مع أنّه لم يكن إيمانهنّ معلومًا ولا مظنونًا، بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ﴾ ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾، والمراد بالعلم ههنا الظنّ كما ذكر؟ والجواب مِن وجهين: **الأوّل**: أنّه بالنظر إلى التلفّظ بكلمة الشهادة. **والثاني**: أنّه مشارِفات[1] لذلك.

قوله: **(ولم يظهر)** يجوز أن يكون حالًا مِن فاعل "تصدِيقهنّ"، وأن يكون عطفًا على "تصديقهنّ" مِن حيث المعنى، كأنّه قيل: لأنّهنّ صدَّقْن، ولم يظهر منهنّ.

---

١ ن: مسارفات.

﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾: فابتَلُوهنَّ بالحَلِفِ والنَّظر في الأَمارات ليَغلِبَ على ظُنونكم صِدْقُ إيمانِهنَّ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ للممتَحَنَةِ: «بالله الَّذي لا إله إلَّا هُو ما خرَجْتِ من بُغضِ زَوْجٍ، بالله ما خرَجتِ رَغبةً عن أَرْضٍ إلى أَرْضٍ، بالله ما خرَجْتِ التِماسَ دُنيَا، بالله ما خرَجْتِ إلَّا حُبًّا لله ولِرَسُوله».

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ مِنكم لأنَّكم لا تكْسِبُون فيه عِلْمًا تَطْمَئنُّ معَه نُفُوسُكُم وإن استَحلفتُموهُنَّ ورُزْتُم أَحْوالَهُنَّ، وعند الله حقيقةُ العِلم به.

﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾ العِلمَ الذي تَبلغُه طاقتُكم وهُو الظَّنُّ الغالِبُ بالحَلِفِ وظهُورِ الأَمارَات ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ﴾: فلا تَرُدُّوهُنَّ إلى أزواجهنَّ المُشرِكين؛ لأنَّه لا حِلَّ بين المؤمنةِ والمُشْرِك.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾: وأَعطُوا أَزواجَهُنَّ مثلَ ما دَفعُوا إلَيْهنَّ من المُهور، وذلك أنَّ صُلْح الحُدَيبيةِ كان على أَنَّ مَن أَتَاكُم مِن أَهْل مكَّة رُدَّ إلَيْهم، ومَن أَتَى مكةَ منكم لم يُردَّ إلَيْكُم، وكَتَبُوا بذلك كتَابًا وختَموهُ، فجاءت سُبَيْعةُ بنتُ الحارثِ الأَسْلَميَّةُ مُسْلِمةً والنبيُّ عليه السلام بالحُدَيْبية، فأَقبل زوجُها مُسَافِرٌ المخزُوميُّ -وقيل: صَيفيُّ بنُ الرَّاهبِ- فقال: يا محمَّدُ، أُردُدْ عليَّ امْرأَتِي فإنَّك قد شرَطْتَ لَنا أَن ترُدَّ علينا مَن أَتَاك مِنَّا، وهذهِ طِينَةُ الكتابِ لم تَجِفَّ، فنَزَلت بيَانًا لأنَّ الشَّرْطَ إنَّما كان في الرِّجال دُون النِّسَاء.

وعن الضحاك: كان بين رسول الله وبين المشركين ....

قوله: (فابتَلوهنّ) أمرٌ، وهو بفتح التاء، أصله: ابتَلِيُوا.

قوله: (وإن استحلفتُموهُنّ)[1] للمبالغة.

قوله: (طينة الكتاب) طان فلان كتابه؛ خَتَمَه بالطين.[2]

قوله: (لأنّ الشرط) "اللام" متعلّق بـ"البيان".

قوله: (وعن الضحّاك) عطفٌ على قوله: (وذلك)... إلخ.

[1] ن: استحلفوتموهنّ.

[2] الصحاح للجوهري، «طين».

عَهْدٌ: أَن لا تَأتِيَكَ منَّا امرأة ليست على دِينك إلَّا رَدَدْتَها إلَيْنا، فإن دخَلَتْ في دينك ولهَا زوْجٌ أن تردَّ على زَوْجها الَّذي أنفقَ عليها، وللنَّبي عليه السلام من الشَّرط مِثلُ ذلك.

وعن قتادة: ثم نسَخَ هذا الحُكمَ وهذا العهدَ برَاءةٌ.

فاستَحلفَها رسُولُ الله فحَلفَتْ فأَعْطى زوجَهَا ما أنفقَ وتزوَّجها عُمر.

فإن قلتَ: كيف سُمِّي الظنُّ علمًا في قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾؟

قلتُ: إيذانًا بأنَّ الظَّن الغالِبَ وما يُفْضِي إليه الاجتهادُ والقياسُ جارٍ مَجْرَى العِلم، وأنَّ صاحِبَه غيرُ داخلٍ في قولهِ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء ١٧/٣٦].

فإن قلتَ: فما فائدَةُ قَولِه: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ وذلك مَعْلومٌ لا شُبهةَ فيه؟

قلتُ: فائدتُه: بَيانُ أنْ لا سبيلَ لكُم إلى ما تَطمئنُّ به النَّفسُ ويَثلَجُ الصَّدْرُ من الإحاطة بحقيقة إيمانهنَّ فإنَّ ذلك ممَّا استَأثر به عَلَّامُ الغيُوب، وأنَّ ما يُؤدِّي إليه الامتحان من العِلم كافٍ في ذلك، وأنَّ تكليفكُم لا يَعْدُوه.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ ثم نفَى عنهم الجُناحَ

قوله: **(أنْ لا تأتيك)** بدل مِن **(عهد)**، أو متعلِّق به، أي: عهد على أن لا تأتيك.[1]

وقوله: **(أنْ تَرُدَّ)**[2] في موضع جزاء الشرط. وفي الكلام حذف، والتقدير: فإنْ[3] دخلتْ فالعهد أنْ تَرُدَّ، أو فالواجب، أو فالشرط.[4]

قوله: **(ويَثلَجُ)** ثَلَجَتْ نفسي يَثْلُج ثُلُوجًا؛ اطمأنَّت، وثَلِجَتْ نفسي -بالكسر- يَثْلَج ثَلَجًا؛ لغة فيه.[5]

قوله: **(لا يَعدوه)** أي: لا يتجاوزه.

قوله: **(الجُناح)** الجُناح -بضمِّ الجيم-: الإثم.

---

[1] د: يأتيك؛ ن - بدل مِن (عهدًا)، ومتعلِّق به، أي: عهد على أن لا يأتيك.

[2] ن: يردَّ.

[3] ن: فإنَّ.

[4] ن: فا الشرط.

[5] **الصحاح** للجوهري، «ثلج».

في تزوُّجِ هؤلاء المهاجراتِ إذا آتوهُنَّ أجُورَهُنَّ؛ أي: مُهورَهنَّ؛ لأنَّ المَهْرَ أجْرُ البُضْعِ، ولا يخلو: إمَّا أنْ يُراد بها ما كان يُدفعُ إلَيْهِنَّ ليَدفَعْنَه إلى أزواجهنَّ، فيُشترطُ في إباحَةِ تزوُّجهن تقديمُ أدائه، وإمَّا أن يُراد أنَّ ذلك إذا دُفِعَ إلَيهنَّ على سَبيل القَرض ثم تُزَوِّجْنَ على ذلك لم يكُن به بَأسٌ، وإمَّا أن يُبيّنَ لهُم أنَّ ما أُعْطِيَ أزواجُهُنَّ لا يقومُ مَقام المَهْر، وأنَّه لا بُدَّ من إصْداقٍ، وبه احتجَّ أبو حنيفةَ رحمه الله على أنَّ أحَدَ الزَّوْجَينِ إذا خَرج من دارِ الحرْب مُسْلمًا أو بذمَّةٍ وبَقِيَ الآخر حَرْبيًا وقَعتِ الفُرقةُ، ولا يَرَى العِدَّةَ على المُهاجرَةِ، ويُبِيحُ نِكاحَها إلَّا أن تكون حامِلًا.

قوله: **(لأنّ المهر)**[١] هذا كبيان تفسير "الأجْر" بالمهر.[٢]

قوله: **(وقعتِ الفُرقة)** وعند الشافعي رضي الله عنه[٣] لا تقع الفُرقة إلّا بإسلامها. فأمّا بمجرّد الخروج فلا، فإن أسلمت قبل الدخول تنجّزَت الفُرقةُ، وإن أسلمَتْ[٤] بعد الدخول توقّفت على انقضاء العِدّة.[٥] وليس في هذه الآية دلالة على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه؛[٦] إذ بالإيمان قُيِّدَت الآية.[٧]

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ﴾ في مقابلة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ إلى قوله: ﴿أُجُورَهُنَّ﴾، **فالأوّل** إشارة إلى حكم اللاتي[٨] أسلَمْنَ وخَرَجْنَ مِن دار الكفر، **والثاني** إشارة إلى حكم / المسلمات اللاتي [٤٠٠ظ] ارتَدَدْنَ وخَرَجْنَ مِن دار الإسلام إلى دار الكفر، هذا على تفسير النخعي. وإلى حكم النساء اللاتي[٩] بَقِين في دار الكفر، وما أسلَمْنَ ولا هاجَرْنَ بعد إسلام أزواجهنّ وهِجْرتهم، وهذا على تفسير ابن عبّاسٍ رضي الله عنه[١٠] ومجاهد على ما ذكر المصنّف.

---

١ ن: المهرا.
٢ ن + بدل مِن (عهدًا)، ومتعلّق به، أي: عهد على أن لا يأتيك.
٣ د - رضي الله عنه.
٤ ن - قبل الدخول تنجّزَت الفُرقةُ، وإن أسلمَت.
٥ انظر: **مغني المحتاج** للخطيب الشربيني، ٤/٣٢٠.
٦ د - رضي الله عنه.
٧ ن + قوله قبل الدخول تنجّزن الفرقة، وإن أسلمت.
٨ ن: الاتي.
٩ ن: الاتي.
١٠ د - رضي الله عنه.

﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ و"العِصْمةُ": ما يُعتصَم به من عَقْد وسبَبٍ، يعْني: إيَّاكُم وإيَّاهُنَّ، ولا تكُن بينَكُم وبيْنهُنَّ عصمَةٌ ولا عُلْقَةُ زَوْجيَّةٍ.

قال ابن عبَّاس: مَن كانت له امرأةٌ كافرةٌ بمكَّةَ فلا يَعْتَدَّنَّ بها من نسائه؛ لأن اختلافَ الدَّارَيْن قَطَعَ عِصْمتَها مِنه.

وعن النَّخعي: هي المُسلمَةُ تلحَقُ بدارِ الحَرْب فتكفُرُ.

وعن مجاهد: أمَرَهم بطلاقِ الباقياتِ مَع الكفَّار ومُفَارقتِهنَّ.

﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ من مُهُور أزواجِكُم اللَّاحِقات بالكفَّار ﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ من مهُور نسائهم المُهاجرات.

وقرئ: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ﴾ بالتخفيف، ﴿ولا تُمسِّكُوا﴾ بالتثقيل، "ولا تَمَسَّكوا"؛ أي: ولا تتمسَّكُوا.

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يعني: جميعَ ما ذُكرَ في هذه الآية.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ كلامٌ مُستأنَفٌ، أو حالٌ من ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ على حَذْف الضمير؛ أي: يَحكُمُه اللهُ، أو جُعِل الحكمُ حاكِمًا على المبالَغة.

قوله: (مِن نسائه) عند الشافعي إنَّ ذلك لأنَّها كافرة مِن غير أهل الكتاب أو مرتدّة. وقوله[1] تعالى: ﴿ٱلْكَوَافِرِ﴾ جمع الكافرة.[2]

قوله: (على حذف الضمير) فيكون الضمير المستتر في ﴿يَحْكُمُ﴾ عائدًا إلى الله تعالى، ويكون العائد المحذوف مفعولًا مطلقًا يرتبط به الحال بذي الحال.

قوله: (أو جعل) يعني: فيكون الضمير المستتر عائدًا إلى ﴿حُكْمُ﴾. وحاصل هذين الوجهين: أنَّه إذا جُعل ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ حالًا[3] فلا بدّ مِن ضمير عائد إلى ذي الحال، فهو إمَّا أن يكون ضميرًا منصوبًا محذوفًا، وإمَّا أن يكون الضمير المستتر في ﴿يَحْكُمُ﴾.[4]

---

١ ن: في قوله.
٢ ن: كافرة.
٣ ن: خالًا.
٤ وفي هامش د ف: قوله: (أو جُعل الحكم حاكمًا) فيكون مِن قَبيل "جَدّ جِدُّه".

رُوي: أنَّه لمَّا نزلت هذه الآيةُ أدَّى المؤمنون ما أُمِرُوا به من أداء مُهور المهاجراتِ إلى أزواجهنَّ المشركين، وأبَى المُشركون أن يُؤَدُّوا شيئًا من مهُور الكَوافر إلى أزواجِهنَّ المُسلمين، فنَزَل قولهُ:

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾: وإن سَبَقكم وانفلَتَ منكم ﴿شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾: أَحَدٌ مِنهُنَّ ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾، وهو في قِراءة ابن مسْعُود: "أَحَدٌ".

فإن قلتَ: هَل لإيقاعِ ﴿شَيْءٌ﴾ في هذا الموقعِ فائدةٌ؟

قلتُ: نعَمْ، الفائدةُ فيه: أَنْ لا يُغَادَرَ شيءٌ مِن هذا الجنسِ وإِن قَلَّ وحَقُر غيرَ مُعَوَّضٍ منه؛ تَغْليظًا في هذا الحُكم وتشديدًا فِيه.

﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ من العُقْبَةِ وهي النَّوْبَة، شُبِّه ما حُكِم به على المُسلمين والكافرين من أدَاء هَؤلاء مهُورَ نَساءِ أُولئك تارَةً وأولئك مهُورَ نساء هؤلاء أُخْرَى بأمْرٍ يتَعاقبُونَ فيه كما يُتَعَاقَبُ في الرُّكُوب وغَيْره، ومَعْناه: فجاءَتْ عُقْبَتُكم من أداء المهرِ فآتوا مَن فاتَتْهُ امرأتُه إلى الكفار مثلَ مَهْرها مِن مَهْرِ المُهاجِرةِ، ولا تُؤْتُوه زَوْجَها الكافِرَ،

قوله: (لمّا نزلت الآية) أي: هذه الآية التي مرّ تفسيرها.

قوله: (وإنْ سبَقكم) يعني: أنّ تعدية ﴿فَاتَكُمْ﴾ بـ"إلى" لتضمين معنى "سبَقَ".

قوله: (وهو في قراءة[1] ابن مسعود) هو عائد إلى ﴿شَيْءٌ﴾، يريد أنّ ابن[2] مسعود[3] قرأ: "أَحَدٌ" موضعَ ﴿شَيْءٌ﴾،[4] فكأنّه قال:[5] ﴿شَيْءٌ﴾ في قراءة ابن مسعود "أَحَدٌ"، أي: موضعَ ﴿شَيْءٌ﴾ "أَحَدٌ"، ويجوز أن يقال: هو يعود إلى "أَحَدٌ"، أي: هذا اللفظ في قراءة ابن مسعود، ثمّ بيّنه بقوله: "أَحَدٌ".

قوله: (فآتوا مَن فاتَته)... إلخ يعني: إن فاتت امرأة مسلمٍ إلى الكفّار،

---

١ ف: قراء.
٢ ن: بن.
٣ ف: مسغود.
٤ انظر: معاني القرآن للفراء، ٣/١٥١.
٥ ن: قيل.

وهكذا عن الزُّهْرِي: يُعْطَى مِن صَدَاق مَن لَحِقَ بهم.

وقرئ: "فأعقبتم"، "فعقَّبتُم" بالتَّشديد، و: "فعَقَبْتُم" بالتخفيف بفتحِ القافِ وكسرها.

فمَعنى "أَعْقَبْتُم": دخَلْتُم في العُقْبَةِ، و"عَقَّبْتُم" مِن عقَّبَه: إذا قَفَّاه؛ لأنَّ كلَّ واحِدٍ من المتعَاقِبَيْن يُقَفِّي صَاحِبَه، وكذلك "عَقَبْتُم" بالتَّخفيفِ، يقال: عَقَبَه يَعقُبُه، و"عَقِبْتُم" نَحوُ تَبِعْتُم.

وقال الزَّجَّاجُ: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: فأصَبْتُموهم في القِتال بعُقُوبةٍ حَتَّى غَنِمتُم، والَّذي ذَهَبتْ زَوْجَتُه كان يُعطَى من الغَنِيمة المَهْرَ. وفسَّر غيْرَها مِن القراءاتِ:

ولم يُعْطِ الكفّارُ مَهرها، فإذا فاتت امرأة كافرٍ إلى المسلمين -أي: هجرت إليهم- وجب[١] على المسلمين أن يُعطوا[٢] المسلم الذي فاتَتْه امرأتُه إلى الكفّار مثلَ مَهْر زوجها[٣] الفائتة مِن مَهْر هذه المرأة المهاجِرة؛ ليكون كالعِوض لمَهر زوجِهِ الفائتة إلى الكفّار، ولا يجوز أن يُعطى مهر هذه المُهاجِرة زوجَها الكافر.

قوله: **(دخلتم في العُقبة)** أي: النوبة، ومعناه أيضًا في المآل جاءت عُقْبَتُكم، أي: نوبتُكم.

قوله: **(لأن كلّ واحد)** متعلّق بمحذوف، يعني: أنّ معنى "عقَّبتم"[٤] يرجع إلى "عاقبْتُم" و"أعقَبتم" بمعنى دخلتم في العُقبة، أي: النوبة؛ لأنّ كلّ واحدٍ.

قوله: **(وكذلك عَقِبْتُم)** يعني: أنّ معناهما يعود إلى ما مرّ.

قوله: **(والذي)** تحقيقٌ وتفسيرٌ لقول الزجّاج، ويجوز أن يكون مِن تتمّة قول الزجّاج.[٥]

قوله: **(وفسَّر)** أي: فسَّر[٦] الزجّاج[٧] غيرَها مِن القراءات بقوله: «فكانت»... إلخ،

---

١ ف: وحب.

٢ ن: يعطو.

٣ لعلّ الصواب: زوجه.

٤ ن: عقتّم.

٥ انظر: معاني القرآن للزجّاج، ٥١٩/٤.

٦ ف: وفسّر.

٧ ف: الرجاج.

فكانت العُقبَى لكم؛ أي: كانت الغَلبةُ لكُم حتَّى غنِمْتُم.

وقيل: جَميعُ مَن لحِق بالمشركين من نسَاء المؤمِنين المُهاجرين رَاجِعةً عن الإِسْلام ستُّ نِسوةٍ: أُمُّ الحَكم بنتُ أبي سُفيَان كانت تحتَ عياضِ بن شَدَّاد الفهرِيّ، وفاطمةُ بنتُ أبي أُميَّةَ كانت تَحْتَ عمرَ بن الخطَّابِ وهي أُخْت أُمّ سلمة، وبَرْوَعُ بنتُ عُقْبَةَ كانت تَحْتَ شمَّاسِ بن عثمانَ، وعَبْدَةُ بنتُ عبد العُزَّى بن نَضْلَةَ وزَوجُها عَمرُو بنُ عَبْد وَدٍّ، وهِنْدُ بنتُ أبي جَهْلٍ كانت تَحت هِشام بن العاص، وكلثومُ بنتُ جَرْوَلٍ كانت تحت عُمر، وأعْطَاهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُهُورَ نسائهم من الغنيمةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾

﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ وقرئ: "يُقتِّلْنَ" بالتَّشديد، يُريدُ: وَأْدَ البَناتِ.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت المرأة تَلتقِطُ المولُودَ فتَقولُ لزَوْجها: هو وَلدِي مِنك، كنَّى بالبُهتان المُفتَرَى بينَ يَدَيها ورِجْلَيها عن الوَلَد

أي: قائلًا: «فكانت»،[١] أي: قال: عقَّب وأعْقَب وعَقَبَ وعَقِبَ كلّه بمعنى: كانت العاقبة له.

قوله: (**وقيل: جميع مَن لَحِقَ**) هذه القصّة تؤيّد تفسير الزجّاج قولَه: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾.

قوله: (**راجعةً**) أي: مُرتدّةً.

قوله: (**كُنِيَ بالبهتان**)... إلخ الحصول بين اليدين والرجلين مِن لوازم الولد، فأطلق وأراد الولد، فيكون كناية. والتحقيق أن يقال: ذكر البهتانَ وأراد المبهوتَ به -وهو الولد المُفترَى- مبالغةً في وصفه بالبهتان، كأنّه عين البهتان، ثمّ وَصَفَ / بقوله: ﴿يَفْتَرِينَهُۥ﴾، أي: يَفْترينَه مقدّرًا وجودُه بين أيديهنّ وأرجلهنّ. [٤٠١و]

---

١ ن - إلخ، أي: قائلًا: «فكانت».

الذي تُلصِقُه بزَوْجِها كذِبًا؛ لأنَّ بطنَها الَّذي تَحمِلُه فيه بَيْنَ اليَدينِ وفَرجَهَا الذي تَلِدُه بهِ بين الرِّجْلَيْنِ.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فيما تأمُرهُنَّ به من المُحسَّنَاتِ وتنهَاهُنَّ عنه من المُقبَّحَاتِ.

وقيل: كُلُّ ما وَافَقَ طاعةَ الله فَهُو مَعْروفٌ.

فإن قلتَ: لو اقتصَر على قَوْلِه: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ﴾ فقد عُلِم أنَّ رسُولَ الله لا يَأمر إلَّا بمَعْروفٍ؟

قلتُ: نبَّهَ بذلك على أنَّ طاعةَ المَخلُوق في مَعْصيَةِ الخالِق جَدِيرةٌ بغَايَة التَّوَقِّي والاجتِنابِ.

ورُوِيَ: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا فرَغ يومَ فتح مَكَّة من بَيْعةِ الرِّجال أخَذَ في بَيْعة النساء، وهُو على الصَّفَا وعمرُ بنُ الخطَّاب أسْفَلَ مِنه يُبايعُهنَّ بأَمْرهِ ويُبَلِّغُهُنَّ عَنْه، وهِندٌ بنتُ عُتْبَة امرأةُ أبي سفيَان مُتَقَنِّعَةٌ مُتنكِّرةٌ خَوْفًا من رسولِ الله أن يَعْرفهَا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبايعُكُنَّ على أَن لا تُشرِكْنَ بالله شيئًا» فرَفعَتْ هندٌ رَأسهَا فقالَتْ: واللهِ لقد عَبَدْنا الأَصْنام

يقال: بَهتَ زيد عَمرًا بَهْتًا وبَهَتًا[١] وبُهتانًا، أي: قال عليه ما لم يَفعَلْهُ، فزَيد باهتٌ، وعَمرو مبهوتٌ، والذي بُهِتَ به مبهوت به.

قوله: (**فإن قلتَ: لو اقتُصر**) جواب "لو" محذوف، أي: لكان حسَنًا. وقوله: (**فقد عُلم**) بيان حسن الحَذف.

قوله: (﴿**عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ**﴾) بالياء غَيْبةً، لا بالتاء خِطابًا، لأنه صلّى الله عليه وسلّم[٢] يخاطبهنّ[٣] بما هو لفظ **القرآن**، يدلّ[٤] عليه قوله بعد ذلك: (﴿**وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾)، ويدلّ[٥] عليه ما رُوي في الصحيح أنّ عائشة رضي الله عنها[٦]

١ ن - وبَهَتًا.
٢ د: عليه السلام.
٣ ن: يتخاطبهنّ.
٤ ن: يدّل.
٥ ن: ويدّل.
٦ د - رضي الله عنها.

وإنَّك لَتأخُذُ عَلَيْنَا أَمْرًا ما رَأيناكَ أَخذْتَه على الرِّجالِ، تُبايعُ الرِّجالَ على الإِسْلام والجهادِ، فقال عليه السلام: «﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾» فقالَتْ: إنَّ أبا سفيانَ رَجُلٌ شَحيحٌ،

قالت في بيعة النساء: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[1] كان يمتَحِنهنَّ[2] بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾، فمَن[3] أقرَّتْ بهذا الشرط منهنّ قال لها: 'قد بايعتكِ'، كلامًا يكلّمها به. واللهِ ما مسَّتْ يدُه يدَ امرأةٍ قطُّ في المبايَعة».[4]

قوله: (**على الإسلام والجهاد**)[5] قال في **الوسيط**:[6] «وكان رسول الله عليه السلام[7] يبايع الرجال يومئذٍ على الإيمان والجهاد فقط».[8]

قوله: («**إنّ أبا سفيان رجل شحيحٌ**») قال الإمام الرافعي رحمه الله[9] في **الشرح الكبير** في باب النفقات:

> رُوي أنّ هِندًا امرأة أبي سفيان[10] جاءت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،[11] فقالت: «إنّ أبا سفيان[12] رجلٌ شحيح، لا يُعطيني ما يكفيني وولدي، إلّا ما آخُذُ منه سرًّا وهو لا يعلم، فهل عليَّ في ذلك مِن شيء؟»، فقال: «خُذي ما يكفيك وولَدك بالمعروف».[13] فاستخرج الأصحاب مِن الخبر وراءَ وجوبِ نفقة الزوجة والولد فوائدَ، منها: أنّه يجوز للمرأة الخروجُ مِن بيتها لتستفتي، وأنّ صوتها ليس بعورة، وأنّه يجوز لِمَن مُنِع حَقَّه أن يشكو ويَتظلَّم،[14] وأنّه يجوز ذِكر[15] الغائب بما يسوء عند الحاجة، فإنّها وصفَتْه بالشُّحِ، وأنّه يجوز لمَن له حقّ على غيره وهو ممتنع أن يأخذ مِن ماله بغير علمه، وأنّه لا فرقَ بين أنْ يكونَ مِن جنس حقِّه، أو مِن غير جنس حقّه،

---

[1] د: عليه السلام.
[2] ن: يمتحنهَن.
[3] ن: عن.
[4] **مسند أحمد**، ٣٤٨/٤٣ (٢٦٣٢٦)؛ **صحيح البخاري**، ١٨٨/٣ (٢٧١٣).
[5] ف - والجهاد.
[6] ن: الوسط.
[7] د: عليه السلام.
[8] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٢٨٦/٤ (الممتحنة، ١٢/٦٠).
[9] د - رحمه الله.
[10] ف: سفين.
[11] د: عليه السلام.
[12] ف: سفين.
[13] **صحيح البخاري**، ٦٥/٧ (٥٣٦٤)؛ **صحيح مسلم**، ١٣٣٨/٣ (١٧١٤).
[14] ف: أو يتظلّم.
[15] ن + حقّه.

وإنّي أَصَبْتُ من ماله هَنَاتٍ فما أَدْرِي أَتَحِلُّ لي أم لا؟ فقال أبُو سفيانَ: ما أَصَبْتِ من شيء فيمَا مَضَى وفيما غَبَر فهُوَ لك حَلالٌ، فضَحِك رسُول الله وعَرَفها، فقال لها: «وإنَّك لَهِندٌ بنتُ عُتبَة» قالَت: نعَم، فاعْفُ عمَّا سَلَف يا نَبيَّ الله عَفا الله عَنكَ، قال: «﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾» فقالت: أَوَتَزْني الحُرَّةُ؟ -وفي رِوايةٍ: ما زَنتْ مِنهُنَّ امرأةٌ قطُّ- فقال: «﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾» فقالَتْ: رَبَّيناهُم صِغَارًا وقتَلْتَهم كِبارًا فأَنتُم وَهُم أَعْلمُ، وكان ابنُها حَنْظَلَةُ بن أبي سُفيان قَد قُتِل يومَ بَدْرٍ، فضَحِكَ عُمر حتى استَلقَى وتبسَّم رسُولُ الله فقال: «﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ﴾» فقالت: واللهِ إنَّ البُهتانَ لَأمرٌ قبيحٌ وما تَأمُرُنا إلَّا بالرُّشدِ ومكارِمِ الأَخلاقِ، فقال: «﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾» فقالت: واللهِ ما جَلسْنَا مَجْلِسَنا هذا وفي أنفُسِنا أن نَعصيَك في شيءٍ.

وقيل في كيفيَّة المُبايَعةِ: دعَا بقَدحٍ من ماء فغمسَ فيه يدَه ثمَّ غَمَسْنَ أيديَهنَّ.

وقيل: صَافحهُنَّ وكان على يَده ثوبٌ قِطريٌّ.

وأنّه يجوز للقاضي[1] أن يقضي بعلمه وعلى[2] الغائب، وأجيب عنهما: بأنّه أفتى ولم يقضِ، وأنّ الأمّ[3] تكون قيّمة الولد، فإنّه جوّز لها الأخذ والإنفاق في حياة الأب لامتناعه، فكذلك بعد موته، وهذا وجه صحَّحه بعضهم،[4] وظاهر المذهب خلافُه.[5]

قوله: (دعا بقَدَح) والقول الصحيح أنّه لم يكن المبايَعة[6] إلّا بالكلام كما دلّ عليه حديث عائشة.

قوله: (ثوبٌ قِطْريّ) القِطر: ضَربٌ مِن بُرُود[7] اليمن. قال الأزهري: «بين قَطِيف وعُمان مِن البحرين على سيف البحر مدينة يقال لها: قَطَر، أحسِب هذه الثياب نُسبَتْ إليها، فخُفِّفتْ[8] فقيل: قِطْريّة، والأصل: قَطَرِيّة، كما قالوا: فِخْذٌ في فَخِذٍ».[9]

---

١ ف: للعاضي.

٢ ف: على. | في مطبوع الشرح الكبير: "على".

٣ ن: اللام.

٤ ن: وظاهر. | العبارة في الشرح الكبير: "صحّحه الجُوَيني في المنهاج، وأفتى به القاضي الرُّوياني".

٥ الشرح الكبير للرافعي، ٤/١٠.

٦ ف: المبايغة.

٧ ن: بروج.

٨ ف: فحقّعت؛ ن: فخففتْ.

٩ تهذيب اللغة للأزهري، باب القاف والطاء.

وقيل: كان عُمر يُصَافحهنَّ عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ١٣﴾

رُوي: أنَّ بَعض فقراء المُسلمين كانوا يُواصِلُون اليهُودَ ليصيبُوا مِن ثمارِهم، فقيلَ لهم: ﴿لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا﴾ مغضُوبًا عليهم ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ﴾ أن يكُونَ لهم حَظٌّ في ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لعِنادِهم رسُولَ الله وهم يَعْلمُون أنّه الرَّسُولُ المَنْعُوتُ في التَّوراة ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ﴾ موتاهم أن يُبعَثُوا ويُرجَعُوا أحياءً.

وقيل: ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ بيان لـ﴿ٱلْكُفَّارُ﴾؛ أي: كما يئسَ الكفَّارُ الَّذين قُبِرُوا مِن خَيْرِ الآخرةِ؛ لأنَّهُم تبيَّنُوا قُبحَ حالِهم وسُوءَ مُنقَلَبِهِم.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ الممتحَنة كان له المؤمنون والمؤمناتُ شُفعاءَ يَوْمَ القيامة».

قوله: (بيان لـ﴿ٱلْكُفَّارُ﴾) وعلى الأوّل كان صلة ﴿يَئِسَ﴾، وكان للابتداء.

تمّت السورة بحمد الله ومَنّه وكرمه.[1]

---

[1] ف - بحمد الله ومَنّه وكرمه.

سورة الصفّ

مكيةٌ، وهي أربعَ عشرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾

﴿لِمَ﴾ هي لامُ الإضافة داخلةٌ على "ما" الاستفهاميةِ كما دخل عليها غيرُها من حرُوف الجرِّ في قولك: بمَ، وفيمَ، ومِمَّ، وعَمَّ، وإلامَ، وعَلامَ.

/ سورة الصفّ [٤٠١ظ]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: (﴿لِمَ﴾) هذه حكاية لفظ القرآن، ثمّ قال: (**هي لام الإضافة**)،[٢] وهذا الضمير يعود إلى لام ﴿لِمَ﴾، أو نقول: ليس هذا حكاية لفظ القرآن؛ بل التقدير: لام "لِمَ" هي لام الإضافة، ففي الكلام حذف المضاف. ويجوز أن يقال: ﴿لِمَ﴾ في مقام الابتداء على تقدير:[٣] هذا اللفظ، ولا حاجة إلى تقدير المضاف، يعني: ﴿لِمَ﴾ مركّبة مِن لام الإضافة و"ما" الاستفهاميّة، فهي لام الإضافة مع "ما"، فعبّر عن هذا المعنى بقوله: (**لام الإضافة داخِلةٌ على "ما" الاستفهاميّة**)[٤]. وقوله: (**كما دخل**) "ما" مصدريّة. وقوله: (**عليها**) أي: على "ما". وقوله: (**غيرها**) أي: غير "اللام".[٥]

١ ف - وبه نستعين.
٢ ف: الإصافة.
٣ ف: تقرير.
٤ ن: لاستفهاميّة.
٥ ن: الّام.

وإنَّما حذفَت الألِفُ لأن "ما" والحَرْفَ كشيءٍ واحدٍ، ووقع استعمالُهما كثيرًا في كَلام المستفهِمِ، وقد جاء استعمالُ الأصل قليلًا، والوقفُ على زيادة هاءِ السَّكتِ أو الإسْكانِ.

ومَن أَسْكنَ في الوَصْل فلإجرائه مجرى الوقفِ؛ كما سُمِعَ: «ثَلاثَهْ أَرْبَعَهْ» بالهاءِ وإِلْقَاءِ حركةِ الهَمزة عليها محذوفةً.

وهذا الكلامُ يتنَاولُ الكذِبَ وإِخلافَ المَوعِد.

ورُوي: أنَّ المؤمنين قالوا قَبل أَن يُؤمَرُوا بالقِتال: لَو نعلَمُ أحَبَّ الأَعمالِ إلى اللهِ لَعمِلْناهُ ولَبَذلنا فيه أَموالَنا وأَنفُسنا، فدَلَّهم الله على الجهادِ في سبيلِه، فولَّوا يَومَ أُحُدٍ فعَيَّرهُم.

وقيل: لمَّا أَخبَر اللهُ بِثوابِ شهداء بدْرٍ قالوا: لئن لَقينَا قِتالًا لَنُفرغَنَّ فيه وُسْعَنَا، ففَرُّوا يوْمَ أُحدٍ ولم يَفُوا.

وقيل: كان الرَّجُلُ يقول: قَتلتُ، ولم يَقتُل، و: طَعنتُ، ولم يَطعَن، و: ضَربتُ، ولم يَضرِب، و: صَبرتُ، ولم يَصْبِر.

وقيل: قد آذَى المسلمين رجُلٌ ونكَى فيهم، فقَتلَهُ صُهَيبٌ وانتحَلَ قَتْلَهُ آخَرُ، فقال عُمرُ لصُهَيبٍ: أَخبِرِ النبيَّ عليه السلام أَنَّك قَتلتَهُ، فقال: إنما قَتلتُه لله ولرسُوله،

قوله: (**لأنّ "ما" والحرف**) أي: اللام[1] أو سائر حروف الجرّ، وهو الوجه.

قوله: (**استعمالُهما**) أي: استعمال حرف الجرّ و"ما".

قوله: (**الأصلِ**) أي: إثبات الألف.

قوله: (**والوقف على زيادة**)... إلخ نحو: لِمَهْ، ولِمْ.

قوله: (**ورُوي**)... إلخ هذا مِن قَبيل إخلاف الوعد.

قوله: (**فعيَّرهم**)[2] أي: الله تعالى.

قوله: (**وقيل: كان**) مِن قَبيل الكذب.

[1] ن: الّام.

[2] ف: فغيّرهم.

فقال عُمرُ: يا رسول الله، قَتله صُهَيبٌ، قال: «كذلك يا أبا يَحْيى؟» قال: نعم، فنَزلَتْ في المُنتَحِل.

وعن الحسن: نزلَت في المنافقين، ونِداؤُهم بالإيمان تهَكُّمٌ بهم وبإيمانِهم.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾

هذا من أَفصح كلامٍ وأَبلَغِه في مَعناه، قُصِد في ﴿كَبُرَ﴾ التَّعجُّبُ من غير لفظه كقوله:

غـلَـتْ نـابٌ كُـلَـيْـبٌ بـوَاؤُهَـا

ومَعنى التَّعجُّبِ: تعظيمُ الأمر في قلُوب السَّامِعين؛ ....

قوله: (ونداؤهم[1] بالإيمان) أي[2] على قول الحسن.

قوله: (في معناه) صفة (الكلام) إذ اللام للجنس، كأنّه قال: هذا أفصح كلام يكون في معنى هذا، أو هو ظرف (أفصح).

قوله:

(غَـلَـتْ نـابٌ كُـلَـيـبٌ بَـواؤهـا)

أوّله:

وجـارةُ[3] جَسّـاسٍ أبأْنـا بِنابها كُليبًـا[4]

جَسّاسُ بن مرّة الشيباني[5] قاتل كُلَيب بن وائل، أي: ما أغلى نابًا بواؤها كُليب. والإباءة: الاقتصاص. وأبأْتُ القتيلَ بالقتيل؛[6] إذا قتلتَه[7] به، مِن البَواء، وهو السَّواء.[8] والناب: الناقة المسِنَّة.

قوله: (ومعنى التعجُّب) لمّا لم يَجُز[9] التعجُّب على الله تعالى بيّن معنى

---

[1] ن: ونداكوهم.

[2] ف – أي.

[3] ف: وجارَةٌ.

[4] بغير نسبة في المستقصى للزمخشري، ١/١٧٨؛ وشرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٣٢٧.

[5] ف: الشياني.

[6] في الصحاح: "أبأْتُ القاتلَ بالقتيل".

[7] ن: قتلة.

[8] انظر: الصحاح للجوهري، «بوأ».

[9] ن: يجزه.

لأن التَّعجُّبَ لا يكونُ إلَّا مِن شيءٍ خارجٍ عن نظائره وأشكاله، وأُسند إلى ﴿أَن تَقُولُواْ﴾، ونُصِبَ ﴿مَقْتًا﴾ على تفسيره ....

التعجّب ههنا، فكأنّه قال: معنى هذا التعجُّب هو التعظيم، ثمّ بيّن إفادة التعجّب معنى التعظيم بقوله: (لأنّ)... إلخ، يعني: أنّ التعجّب يستلزم كون المتعجَّب منه خارجًا عن نظائره، فأُطلق لفظ التعجُّب، وأُريد كون الشيء خارجًا عن نظائره، فيكون مجازًا.

قوله: (على تفسيره) أي: على التمييز، فقدّم التمييز هنا على الفاعل، ومثله جائز بلا خلاف بين النحويّين،[1] قال المرزوقي في شرح قول الحَماسي:

أرى كلَّ أرض دَمَّنَتْها[2] وإنْ مضتْ   لها حِجَجٌ يزدادُ طيبًا ترابُها[3]

«إنّ قوله: 'طِيبًا' تمييز قدّم على الفاعل، وليس خلاف في جوازه، بخلاف قول الشاعر:

وما كاد نَفْسًا بالفِراق تطيبُ»[4]

وقوله: "على تفسيره" الضمير يعود إلى هذا الكلام، أي: كبُر أن تقولوا؛ لأنّ هذا تمييز عن النسبة، ولا يَحسُن أن يعود الضمير إلى ﴿أَن تَقُولُواْ﴾؛ لأنّ التمييز ليس عنه، وإن جوّز يكون بنوع مِن التجوُّز.

والأَولى أن نقول: الضمير مِن قوله: "تفسيره" يعود إلى قوله:[5] ﴿أَن تَقُولُواْ﴾، وإن كان / هذا تمييزًا عن النسبة، فإنّ ذلك لا يمنع كون[6] التمييز عبارة عن المميّز عنه، [٤٠٢و]
فإنّ التمييز عن النسبة إذا كان اسمًا جاز أن يكون له كما جاز[7] أن يكون لمتعلّقه،

---

[1] ن: النحوتين.
[2] ن: دمّنها.
[3] بغير نسبة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ١٣٢٩/٣.
[4] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ١٣٢٩/٣.
وتمام البيت:
أتهجرُ ليلى بالفِراق حبيبُها
وما كادَ نفسًا بالفِراق تطيبُ
وقائله هو المُخبَّل السعدي. ويقال: لأعشى همدان. ونسبه ابن سيّده لقيس بن معاذ الملوح العامري. انظر: المقاصد النحويّة للعيني، ١١٨٧/٣.
[5] ن - "تفسيره" يعود إلى قوله.
[6] ف: لون.
[7] ن: جازه.

دلالـةً علـى أَنَّ قولَهـم ما لا يَفعَلُونَ مقتٌ خالـصٌ لا شَوْبَ فيه؛ لِفَرْط تمكُّن المَقْتِ منه، واختِير لفظُ المَقْتِ لأنه أَشدُّ البُغض وأَبلَغُه، ومنه قيل: "نِكَاح المَقتِ" للعَقد على الرَّابَّة.

ولـم يُقتَصَـرْ على أن جُعِلَ البُغْـضُ كَبِيـرًا حَتَّى جُعِل أَشـدَّهُ وأَفحَشَـه، و﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أبلـغُ مـن ذلـك لأنَّـه إذا ثَبـتَ كِبَـرُ مَقْتـهِ عنـد الله فقـد تـمَّ كِبَـرُهُ وشِـدَّتُه وانزاحَـت عنـه الشُّـكوكُ.

كقولك: طاب زيدٌ أبًا. وإنّما قلنا هذا أولى ممّا كتبناه على الجانب[١] الآخَر لأنّه موافق لظاهر لفظه، ويستقيم عليه معنى قوله: **(دلالةً)**... إلخ استقامةً ظاهرةً.

وقوله: "دلالةً" مفعول له لِـ"نُصب"، يريد: أنّه عدَل عن أن يقال: "كبُرَ مَقتٌ[٢] أن تقولوا" إلى هذا الإجمال والتفصيل لإفادة المبالغة. وقوله: **(لِفَرط)** مفعولٌ له أيضًا لـ"نُصِب"، لكن بعد التقييد بقوله: "دلالةً"، فتأمّل. وإنّما لم يحذف اللام هنا لأنّه ليس فعلًا لفاعل الفعل المُعلَّل.

قوله: **(المَقْتِ منه)** "منه" متعلّق بقوله: **(تمكُّن)**، والضمير يعود إلى ﴿أَن تَقُولُواْ﴾، كأنّه قال: تعلَّق المقتُ بهذا القول تعلُّقًا عظيمًا.

قوله: **(على الرابّة)** الرابُّ: زوج الأمّ، والرابّة: امرأة الأب.

قوله: **(ولـم يُقتَصَرْ)**... إلخ يعني: لم يُكتَفَ بلفظ "المقت" الدالّ على الكبَر؛ بل أسند إليه ﴿كَبُرَ﴾ مبالغةً في ذلك. أو نقول: المعنى: أنّه لو قال: "كَبُرَ بُغضًا" لَعُلِم[٣] كِبَرُه، لكن لم يُكتفَ بذلك؛ بل قيل: ﴿مَقْتًا﴾ ليدلّ على أنّه أشدّه وأفحشه، وهذا هو مراد المصنّف.

وقوله: **(و﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾)** مبتدأ، خبره **(أبلغ)**. وقوله: **(ذلك)** إشارة إلى ما فُهِم مِن الكلام، كأنّه قال: ذِكر ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أبلغ مِن تبديل المَقْت بالبغض. وقوله: **(مِن ذلك)** يعني: أنّ التقييد بقوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أشدّ مبالغة مِن تبديل البُغض بالمَقْتِ.

---

١ ف: الحاشية.
٢ ن: مقتًا.
٣ ف: لَعَلم.

وعن بعض السَّلَف أنّه قِيل له: حَدِّثنا، فسَكتَ، ثم قيل له: حَدِّثنا، فقال: تأمُرونني أن أَقُول ما لا أفعَلُ فأستَعْجِلَ مَقْتَ الله؟!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾

في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ عقيبَ ذكْرِ مقتِ المُخْلِفِ دَليلٌ على أن المَقْتَ قد تعلَّق بقولِ الذين وَعَدُوا الثَّبَاتَ في قِتال الكُفَّار فلمْ يَفُوا.

وقَرأ زيدُ بن عليّ رضي الله عنه: "يقاتَلون" بفتح التاء، وقرئ: "يُقتِّلون".

﴿صَفًّا﴾: صَافِّينَ أنفُسَهُم، أو: مَصْفُوفِينَ ﴿كَأَنَّهُم﴾ في تَراصِّهم من غير فُرْجَةٍ وخَللٍ ﴿بُنْيَٰنٌ﴾ رُصَّ بَعضُهُ إلى بَعضٍ ورُصِفَ.

وقيل: يجوز أن يُريدَ استواءَ نِيَّاتِهم في الثَّباتِ حتى يكُونوا في اجتماع الكَلمَة كالبُنيَان المَرْصُوص.

وعن بعضهم: فيه دليلٌ على فَضلِ القِتال راجلًا؛ لأنَّ الفُرسَان لا يَصْطَفُّونَ على هذه الصِّفةِ.

وقولُه: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ﴾ حالَان مُتدَاخِلتانِ.

قوله: (**حدِّثْنا**) أي: عِظْنا.

قوله: (**في قوله**) خبر المبتدأ، والمبتدأ هو قوله بعد ذلك: (**دليلٌ**). وقوله: "دليل"... إلخ هذا إشارة إلى ترجيح الوجه الصائر إلى أنّ المراد إخلاف الوعد.

قوله: (**رُصَّ**) رَصَصْتُ الشيءَ أرُصُّه رصًّا؛ إذا ألصقتَ بعضَه ببعضٍ، وتراصَّ القوم في الحرب؛ تلاصقوا.[1]

قوله: (**حالان[2] متداخلتان**) التداخل: أن يعمل الحال الأولى في الثانية، ويكون الحالان لشيئين، والترادف: أن يكونا لشيء واحدٍ. وإنّما كان مِن التداخل لأنّ التقدير: يَصُفُّون صفًّا، أو مصفوفين، ففيه ضمير، و﴿كَأَنَّهُم﴾ حال منه.

---

[1] ن: تلاصقو. | **الصحاح للجوهري**، «رصص». [2] ن: كالان.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾

﴿وَإِذْ﴾ منصوبٌ بإضمار: اُذكر، أو: وَحِين قال لهُم ما قال كان كَذا وكَذا.

﴿تُؤْذُونَنِي﴾ كانُوا يؤذونَه بأنواع الأذَى: من انتقَاصِه وعَيْبِه في نفْسه، وجُحودِ آياتِه وعِصيَانِه فيما تعُود إلَيهم منافِعُه، وعِبادتِهم البَقرَ، وطَلَبِهِم رُؤيَة الله جَهرةً، والتكذيبِ الَّذي هو تضييعُ حقِّ الله وحقِّه.

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾ في مَوضع الحال؛ أي: تؤذُونَني عالِمِين علمًا يقينًا ﴿أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وقضِيَّةُ علمِكم بذلك ومُوجَبُه: تَعْظِيمي وتوقِيري لا أن تُؤذُونِي وتَستَهِينُوا بي؛ لأنَّ مَن عَرف الله وعَظمتَه عَظَّم رسُولَهُ عِلمًا بأنَّ تعظيمَه في تعظيم رَسُوله، ولِأنَّ مَن آذاهُ كان وعيدُ اللهِ لاحِقًا به.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ عن الحقِّ ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ بأنْ مَنَع أَلْطافَهُ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: لا يَلطُف بهم؛ لِأنَّهم لَيسُوا من أهلِ اللُّطف.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿قد﴾ في قوله: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾؟

قلتُ: معناه: التوكيدُ؛ كأنه قال: وتعلمُون علمًا يَقينًا لا شُبهةَ لكم فيه.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾

قيل: إنَّما قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ولم يَقُلْ: "يا قَومِ" كمَا قال مُوسَى؛ لأنَّه لا نَسَب له فيهم فيَكُونُوا قومَه، ....

قوله: (عِلْمًا) أي: للعلم، فهو مفعول له.

قوله: (قلتُ: معناه التوكيد) لأنَّ "قد" يكون للتحقيق، كقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ﴾ [النور ٦٣/٢٤]، و﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور ٦٤/٢٤].

قوله: (لا نَسَبَ له فيهم) لأنَّ النسب المعتبر هو أن يكون مِن قِبَل الأب.

والمعنى: أُرسلتُ إليكم في حال تَصْدِيقِي ما تقَدَّمَنِي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ وفي حال تَبْشِيري ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى﴾ يَعني: إنَّ دِينِي التَّصديقُ بِكتب الله وأنبيائه جميعًا ممَّن تقدَّم وتأخَّر.

وقرئ ﴿مِنۢ بَعْدِى﴾ بسُكون الياء وفتحها، والخليلُ وسيبَويه يختارَانِ الفتحَ.

وعن كعْبٍ: أنَّ الحَوارِيِّين قالوا لِعيسى: يا رُوحَ الله! هل بَعْدَنا مِن أُمَّةٍ؟ قال: نعم، أُمَّةُ أحْمَدَ، حُكماءُ عُلماءُ أَبْرارٌ أَتقِياء، كأنَّهم من الفِقهِ أنبياء، يَرْضَوْنَ مِن الله باليَسير من الرِّزقِ، ويَرضى الله منهم باليَسير من العَملِ.

فإن قلتَ: بمَ انتصَب ﴿مُصَدِّقًا...وَمُبَشِّرًا﴾ أَبِما في الرَّسول من مَعْنى الإرسَال أم بـ﴿إِلَيْكُم﴾؟

قلتُ: بل بمَعنى الإرسال؛ لأن ﴿إِلَيْكُم﴾ صِلةٌ للرَّسُول فلا يجوز أن تعمَلَ شيئًا؛ لأنَّ حرُوف الجرِّ لا تعمَلُ بأنفُسِهَا ولكنْ بما فيهَا من مَعنى الفعلِ، فإذا وقعَت صِلاتٍ لم تَتضمَّن مَعنًى فعلٍ فمِن أين تعمَلُ؟

وقرئ: ﴿هذا ساحرٌ مُبين﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٧﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ أي: وأيُّ النَّاس أشدُّ ظلْمًا ممَّن يدْعُوهُ ربُّه على لِسان نبيِّهِ إلى الإسلام الذي له فيه سعادةُ الدَّارَيْنِ، فيجعَلُ مكانَ إجَابتهِ إليه افتراءَ الكَذب على الله بِقوله لِكلامهِ الَّذي هُو دُعاءُ عبادهِ إلى الحقِّ: ﴿هَـٰذَا سِحْرٌ﴾ لأنَّ السِّحر كذِبٌ وتَمْويهٌ.

وقرأ طلحةُ بن مُصَرِّفٍ: "وهو يَدَّعَى" بمَعنى: يُدْعَى، دَعَاهُ وادَّعَاه نحو: لَمَسَه والْتَمسَه، ....

قوله: **(لأنَّ السِّحر)** بيان أنَّ هذا القول افتراء.

قوله: **(دعاه)** مبتدأ. وقوله: **(وادّعاه)** عطف عليه. وقوله: **(نحو: لَمَسَه)** خبره.

وعنه: "يَدَّعِي" بمَعنى: يَدعُو، وهو اللهُ عزَّ وجلَّ.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾

أصْله: "يريدون أن يطفئوا" كما جاء في سُورة بَرَاءَة، وكأنَّ هذه اللامَ زيدَت مع فِعلِ الإِرادة تأكيدًا له لِمَا فيها من مَعنى الإرادة في قولك: "جِئتك لإكْرامِكَ" كما زيدَت اللّام في: "لا أبا لك" تأكيدًا لمعنى الإضافة في: "لا أباك".

وإطفاءُ نورِ الله بأفواههم: تهَكُّمٌ بهم في إرَادتهم إبطالَ الإسْلام بقَولهم في القرآن: "هذا سحرٌ"، مُثِّلَتْ حَالُهم بحالِ مَن يَنفخُ في نُور الشَّمسِ بفيه ليُطفئَهُ.

﴿واللهُ متمٌّ نورَه﴾؛ أي: مُتمّ الحقِّ ومُبلِّغُه غايتَهُ، وقرئ بالإضافةِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾

"دينُ الحقِّ": المِلَّةُ الحنيفيَّةُ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾: ليُغلِبَهُ.

﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جميع الأديَان المُخالِفةِ له، ولعَمْرِي لَقَد فَعَل فما بَقِي دينٌ من الأَديان إلّا وهُو مَغلوبٌ مَقهُورٌ بدِين الإسلام.

وعن مجاهد: إذا نَزلَ عيسى لم يكن في الأَرض إلّا دينُ الإسلام.

قوله: (وهو الله عزّ وجلّ) أي: يكون المراد بقوله: "هو" الله[1] تعالى.

قوله: (في سورة براءة)[2] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى/ ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة ٣٢/٩]. [٤٠٢ظ]

قوله: (لا أبا لَك) أي: كنت على وجهٍ لا تعرف أباك، وعلى هذا هو ذمٌّ. وقيل:[3] هو مدح، أي: لا تحتاج في الشرف إلى الانتساب إلى الأب.

قوله: (وعن مجاهد) عطفٌ مِن حيث المعنى على (لَعَمري). فالحاصل

---

١ ن: ايته.

٢ ن: براءت.

٣ ن: وقول.

وقرئ: "أرسلَ نَبيَّهُ".

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّـٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾

﴿تُنجِيكُم﴾ قرئ مخفّفا ومُثقّلا.

و﴿تُؤۡمِنُونَ﴾ استئنافٌ؛ كأنّهم قالوا: كيف نعمَلُ؟ فقال: ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾ وهو خبَرٌ في مَعنى الأَمْر، ولهذا أُجيبَ بقوله: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ وتَدُلُّ عليه قراءةُ ابنِ مَسعُود: "آمِنُوا بالله ورَسُوله وجاهِدُوا".

فإن قلتَ: لمَ جيء بِهِ على لفظِ الخَبر؟

قلتُ: للإيذان بوجُوبِ الامتثالِ، وكأنّه امتُثِلَ فهو يُخبِرُ عن إيمانٍ وجهادٍ مَوجُودَيْنِ، ونظيرُه قولُ الدَّاعِي: "غَفرَ اللهُ لك" و"يَغفرُ اللهُ لك"، جُعِلَتِ المَغفرةُ لقُوَّة الرَّجاء كأنّها كانت ووُجِدَت.

أنّه ذكَرَ وجهين: **الأوّل**: أنّ هذا الموعود قد وقع. **والثاني**: أنّه مترقَّب يكون وقت نزول عيسى عليه السلام.

قوله: **(ولهذا أجيبَ)** أي: أجيبَ ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾ بقوله: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾، ومثله: "اتّقى الله امرُءٌ[1] فعلَ خيرًا يُثَبْ[2] عليه".

قوله: **(ويدلّ[3] عليه)** أي: على أنّه في معنى الأمر.

قوله: **(جعلت المغفرة)** بيان كونه نظيرَه، وهو يحتمل معنيَين:

الأوّل: أنّه لمّا قَوِيَ رجاؤه بالمغفرة نظرًا إلى سَعة رحمة الله تعالى، ولأنّ حُسْنَ الظنّ بالله تعالى مِن حسن العبادة؛ جعلَ المغفرة كأنّها واقعة، فإنّ الله تعالى

---

١ ن: امرءه.
٢ ن: يثبت.
٣ ن: ويدّل.

فإن قلتَ: هل لِقَول الفرَّاءِ: إنَّه جوابُ ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾، وَجْهٌ؟

قلتُ: وَجْهُه: أنَّ متعَلَّقَ الدَّلالة هو التِّجارةُ، والتجارةُ مُفسَّرة بالإيمان والجهاد، فكأنَّه قيل: هل تتَّجِرُون بالإيمان والجهادِ يَغْفِرْ لكم.

حقيق بتحقيق رجاء الراجين، فلذلك أخبر عن وقوعها وقال: "غفر الله لك"، أو جعلها كأنّها الآن في الحصول والوقوع، فهو يُخبر عن ذلك، ويقول: "يغفر الله لك"، فكأنّه يقول: انظر إلى المغفرة أيُّها المخاطب، فإنّها في الحصول والوقوع.

والمعنى **الثاني**: أنّه لمّا قويَ رجاؤه المغفرةَ لِما ذكرنا كرَّرها على نفسه وردَّدها عليها، فانتَقَشَتْ[1] في خياله صورته لكثرة مناجاة نفسه بها، فخُيِّلت المغفرة إليه[2] كأنّها واقعة، فأخبر[3] عن وقوعها.

قوله: **(قلتُ: وجهه أنّ متعلَّق الدلالة)**... إلخ اعلم أنّ الظاهر يقتضي أن يُجاب عن قوله: **(هل لقول الفرّاء وجهٌ؟)** بأن يقال: نعم له وجهٌ، أو بأنْ يقال: لا وجهَ له، لكن عدل المصنّف عنه إلى قوله: "وجهُه"... إلخ، فكأنّه قال: لا كلامَ ولا نزاعَ في أنّ له وجهًا، وإنّما الكلام في بيان وجهه ماذا؟ فأجاب: بأنّ وجهه كذا، فكأنّ السائل سألَ قائلًا: ماذا وجهه؟ فأجاب بما ترى. وهذا مِن أسلوب الحكيم؛ ينزِّل سؤال السائل منزلةَ سؤالٍ غير سؤاله هو أليَق بحاله أن يسأل عنه، فيُجابُ عن ذلك السؤال اللائق ليكون تنبيهًا[4] للمخاطَب بألطف[5] وجهٍ على تعدِّيه عن موضع السؤال اللائق.

أو نقول: معنى قول القائل:[6] هل لقول الفرّاء[7] وجه؟ ما وجهه؟ أو بيّن لنا وجهَه، وهذا أسهل مَأخذًا، والأوّل أملأ فائدةً وأكثر عائدةً. والمصنّف رحمه الله[8] كأنّه اقتبس هذا التركيب مِن قوله تعالى: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف ٧٥/٧]. وقوله:[9] "متعلَّق الدلالة" لأنّها مفعولُها بواسطة الحرف.

---

١ ن: فانتقشب.
٢ ن – إليه.
٣ ن + إليه.
٤ ف: تنيهًا.
٥ ن: باللطف.
٦ ف: العائل.
٧ ن: القرّاء.
٨ د – رحمه الله.
٩ ن: في قوله.

فإن قلتَ: فما وجهُ قراءةِ زيد بنِ عليّ: "تؤمنوا... وتجاهدوا"؟

قلتُ: وجهُها: أن تكُون على إضمارِ لامِ الأَمْرِ؛ كقوله:

محمَّدُ تَفْدِ نفسَك كُلُّ نفْسٍ إذا ما خِفْتَ مِن أَمْرٍ تَبالَا

قوله: (**قلتُ: وجهه أن يكون على إضمار لام الأمر**) فكأنّه لمّا قيل: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ قالوا: إي واللهِ، دُلّنا عليها، / فقيل: لتؤمنوا ولتجاهدوا، أي: عليكم بهما، فإنّها هي التجارة. وفيما ذكره المصنّف بَحْثٌ؛ لأنّ إضمار الجازم قليلٌ مثل إضمار الجارّ[1] كما مرّ، فالأولى أن يقال: هو جواب عن هذا الاستفهام؛ لأنّ "التجارة" كما ذكره مفسَّرة بالإيمان والجهاد، أي: المراد بها الإيمان والجهاد، فكأنّه قيل: هل أدلّكم على الإيمان والجهاد تؤمنوا وتجاهدوا؟ ولا شُبهةَ أنّ هذا أولى مِن إضمار[2] لام الأمر، مع أنّ الأمر للمخاطب الفاعل باللام[3] قليل، كما في قوله تعالى: "فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا" في القراءة الشاذّة،[4] فيقول: أمرُ المخاطَب الفاعل[5] باللام[6] قليل، وحذف الجازم أيضًا قليل، ففيما ذكره المصنّف شذوذ مِن وجهين بخلاف ما ذكرنا، فإنّ اللفظ والمعنى يستقيم[7] عليه. والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ثمّ إن انتحل كلامَنا مَن لاحظَّ له فيه فلا بأس، فأنا أقول: قلتُه لله ورسوله كما قال صُهَيبٌ: «قلته لله ورسوله».[8] [٤٠٣و]

قوله:

(**محمّد تَفْدِ نفسَك كلُّ نفْسٍ إذا ما خِفْتَ مِن أمرٍ تَبَالا**)[9]

أي: يا محمّد لِتَفدِ. والتَّبَلُ: الذَّحْلُ[10] والعداوة، يقال: تَبَلَهم[11] الدهرُ وأتْبَلَهم،

---

[1] ن: الجَاره.

[2] ن: إصمار.

[3] ن: بالام.

[4] هي رواية رُويس عن يعقوب مِن العشرة، وهي قراءة أبيّ رضي الله عنه، ورُويت مسندةً عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٨٥.

[5] ن: والفاعل.

[6] ن: بالَام.

[7] ف: يَسقيم.

[8] ف – كما قال صُهَيبٌ: «قلته لله ورسوله».

[9] يُنسب لحسّان بن ثابت رضي الله عنه، ويُنسب لأبي طالب عمّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ١٤/٩.

[10] ف: الدَّخل.

[11] ن: نبلهم.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه أنَّهم قالوا: لو نَعْلَمُ أَحبَّ الأعمالِ إلى الله لَعمِلناهَا، فنزلت هذه الآية، فمَكثُوا ما شاء اللهُ يقولون: ليتَنا نَعْلَم ما هيَ، فَدَلَّهم الله علَيها بقَوله: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾.

وهذا دليلٌ على أَنَّ ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ كلامٌ مستأنفٌ، وعلى أنَّ الأَمْر الوَارِدَ على النُّفوس بَعْد تَشوُّفٍ وتَطَلُّعٍ مِنها إليه أَوقعُ فيهَا وأقرَبُ من قبُولها له مِمَّا فُوجِئَتْ به.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني: ما ذُكِر من الإيمان والجهادِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أموالكم وأنفُسِكُم.

فإن قلتَ: ما مَعنَى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

أي: أفناهم، وتَبَلَهُ الحُبُّ وأَتْبَله؛ انتقَصه[1] وأفسَده.[2]

قوله: (فدلَّهم[3] الله تعالى بقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾) وتأخير نزول ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ عن قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾... إلخ لزيادة التشويق، وإشارة إلى أنّ ذلك أمرٌ مِن حقّه أن يُرغَبَ فيه ويتوجَّه إليه، ونظيره ما مرّ أنّه صلّى الله عليه وسلّم[4] قال لمعاذ:[5] «يا معاذ» ثلاثة أيّام، ثمّ أمره بما أمره به.[6]

قوله: (بعدَ تشوُّف)[7] التشوُّف:[8] التطلّع، يقال: تشوّفتُ إلى الشيء، أي: تطلّعْتُ، ويقال: النساء يتشوَّفْن مِن السطوح، أي: ينظرْنَ[9] ويتطاوَلْنَ.[10]

قوله: (وأقرب مِن قبولها)... إلخ "مِن" صلة "أقرب"، كما في قولك: قَرُبَ منه. وقوله: (ممّا) هي "مِن" التي تستعمل اسم التفضيل معه.

---

[1] في الصحاح: أسقمه.

[2] الصحاح للجوهري، «تبل».

[3] ن: فدلّيهم.

[4] د: عليه السلام.

[5] ن: المعاذ.

[6] لم أجد قوله: «يا معاذ» ثلاثة أيّام. وفي صحيح البخاري، ١٧٠/٧ (٥٩٦٧)؛ وصحيح مسلم، ٥٨/١ (٣٠)، عن معاذ بن جبل، قال: كنت رِدفَ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم ليس بيني وبينه إلّا مؤخّرة الرَّحل، فقال: «يا معاذ بن جبل»، قلتُ: «لبّيك رسول الله وسعديك»، ثم سار ساعة، ثمّ قال: «يا معاذ بن جبل» قلتُ: «لبّيك رسول الله وسعديك»، ثم سار ساعة، ثمّ قال: «يا معاذ بن جبل» قلت: «لبّيك رسول الله وسعديك»، قال: «هل تدري ما حقُّ الله على العباد؟»... الحديث.

[7] ن: تسوّف.

[8] ن: التسوّف.

[9] ن: ينظرون.

[10] الصحاح للجوهري، «شوف».

قلتُ: معناه: إن كنتم تعلَمونَ أنّه خيْرٌ لكم كان خيْرًا لكم حينئذٍ؛ لأنّكُم إذا عَلِمْتُم ذلك واعتَقدتمُوه أَحْببتُم الإيمانَ والجهادَ فوقَ ما تُحِبُّون أنفسَكم وأموالكم فتُخْلِصُونَ وتُفلِحون.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾: ولكم إلى هذه النِّعمة المَذكُورة من المَغفِرة والثَّوابِ في الآجِلة نِعمةٌ أُخْرَى عَاجِلَةٌ مَحبُوبةٌ إليكم، ثم فسَّرها بقَوْله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾؛ أي: عاجِلٌ وهو فتحُ مكّةَ، وقال الحسن: فتحُ فَارسَ والرُّوم.

وفي ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ شَيءٌ مِن التَّوبيخ على مَحبَّةِ العَاجلِ.

فإن قلتَ: علامَ عُطف قولهُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؟

قلتُ: على ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ لأنّه في مَعنى الأمْر؛ كأنّه قيل: آمِنُوا وجاهِدُوا يُثِبكُم اللهُ ويَنصُرْكم وبَشِّر يا رسولَ الله المؤمنين بذلك.

قوله: (**إذا علمتم ذلك**) أي: كونه خيرًا.

قوله: (**مِن المغفرة**) بيان (**النعمة**).

قوله: (**قلتُ: على ﴿تُؤْمِنُونَ﴾**) وعند صاحب **المفتاح**[1] هو عطفٌ على "قُلْ" مرادًا قبل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾، وكأنّه هو الوجه، لأنّ ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ بيان للتجارة، وهذا لا يصلح بيانًا له.

وقد ورد في خاطري بتوفيق الله تعالى وإلْهامه أنّ وجه قول صاحب **الكشّاف**: أنّه يَحسُن تفسير "التجارة" بالتبشير، كما يَحسُن تفسيرها بالإيمان والجهاد، فإنّ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ شامل للرسول عليه السلام ولأمّته، فإنّه أكملُ المؤمنين وأوّلهم[2] إيمانًا، فلمّا قال تعالى له صلّى الله عليه وسلّم[3] ولأمّته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ بيَّن تجارتهم بالإيمان والجهاد، وبيّن تجارته صلّى الله عليه وسلّم[4] بالتبشير،

---

[1] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ١/٢٦١.

[2] ن: أوّلهم.

[3] د: عليه السلام.

[4] د: عليه السلام.

فإن قلتَ: لِمَ نَصَب مَن قرأ: "نصْرًا من الله وفتحًا قريبًا"؟

قلتُ: يجوزُ أن يَنصُبَ على الاختصاص، أو على: تُنصَرُون نصرًا ويُفتَحُ لكُم فتحًا، أو على: يَغفِرْ لكُم ويُدْخِلْكم جَنَّاتٍ ويُؤتِكُم أُخرَى نَصْرًا وفتحًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾

قـرئ: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ و﴿أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾، وقـرأ ابـن مَسْعُود: "كونـوا أنتم أنصـارًا لله"، وفيـه زيـادةُ حَتْـمٍ لِلنُّصرةِ عليهـم.

فإن قلـتَ: مـا وجهُ صِحَّةِ التشبيه وظاهرهُ تشبيهُ كَونِهم أنصـارًا بقول عيسى صلوات الله عليه: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟

قلتُ: التَّشبيهُ محمُولٌ على المعنى وعليه يَصِحُّ، والمرادُ: كُونوا أَنصارَ اللهِ كما كان الحواريُّونَ أنصارَ عيسى حين قال لهم: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

فإن قلتَ: ما مَعنى قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟

قلتُ: يَجب أَن يكون مَعناه مُطابقًا لجوابِ الحوارِيِّينَ: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾

وهو تبليغ الرسالة، فإنّه أربح التجارة وأنفعها، وبه ينال ما لا ينال غيره بشيء، ويرتفع له به الدرجات.

نحمد[١] الله تعالى على الفيض والإلهام، ونستمدُّه[٢] مِن الإفضال والإنعام، ولا نُبالي بمَن يَنتَحِل كلامَنا سارقًا، كمَن ينتهب مالَ / غيره آبِقًا، فهُم ممَّن قال [٤٠٣ظ] تعالى في حقّهم: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران ١٨٨/٣]، ثمّ إذا كان غرضنا نشر[٣] معاني كلام الله تعالى بعد بيانه فهو حاصل، سواء[٤] انتحَلَه غيري أو لا ينتحِله؛ بل بيَّنه، والحمد لله على التوفيق.

---

١ ن: بحمد.
٢ ن: وتستمدّه.
٣ ن: فشر.
٤ ف: سوا.

والَّذي يُطابِقُه أن يكون المَعنى: مَن جُندي مُتوجِّهًا إلى نُصرة اللهِ، وإضافةُ ﴿أنصَارِي﴾ خلافُ إضافةِ ﴿أنصَارُ ٱللَّهِ﴾ فإنَّ مَعنى ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: نحن الذين يَنصُرُون الله، ومعنى ﴿مَنْ أَنصَارِي﴾: مَن الأَنصارُ الَّذين يَختصُّونَ بي ويكُونُون مَعِي في نصرة الله، ولا يصحُّ أن يكونَ معناه: مَن يَنصُرني مَع الله؛ لأنّه لا يُطابق الجَوابَ، والدَّليلُ عليه قراءةُ مَن قَرأ: "مَن أنصارُ الله".

و"الحَوارِيُّونَ": أَصْفِياؤُه، وهم أوَّلُ مَن آمَن به، وكانوا اثني عشَر رَجُلًا.

و"حَوارِيُّ الرَّجُل": صَفِيُّهُ وخُلْصَانُه، مِن الحَوَرِ وهو البَياض الخالص،

قوله: (متوجّهًا) حال مِن "الياء".

قوله: (فإنّ معنى ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾) فالأوّل إضافة معنويّة. والثاني -أي: ﴿أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾- إضافة لفظيّة. ولا يَبعُد أن يقال: الإضافتان بمعنًى واحدٍ؛ لأنّ المراد بنُصرة[1] اللهِ هو نُصرة دينه، وكذا المراد بنُصرة عيسى هو نصرة دين الله. فنُصرة النبيّ عليه السلام[2] هو نُصرة الله، ونُصرة الله نُصرة نبيّه.[3] قال تعالى: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الحشر ٨/٥٩]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة ٦٢/٩].

قوله: (مَن الأنصارُ) أي: مَن أنصارُ الله الذين.

قوله: (لا يُطابَق الجواب) فيه بحثٌ؛ لأنّه يطابقه أيضًا مِن حيث المعنى؛ لأنّ مَن نَصَر مَن نَصَرَك فقد نَصَرك.[4] وقد قال الواحدي في **الوسيط**: «﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مَن ينصُرني مع الله»،[5] لكن ما ذكره المصنّف أظهرُ غير محتاج إلى التكلّف.

قوله: (والدليل عليه) أي: على أنّ المعنى: "مَن الأنصار الذين يَختَصُّون بي".

---

[1] ن: وبنصرة.

[2] ف - عليه السلام.

[3] ن: بيّنه.

[4] وفي هامش د ف: فإنّ نصرة الرسول نصرةُ الله.

[5] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٢٩٣/٤ (الصف، ١٤/٦١).

والحُوَّارَى: الدَّرمَك.

ومنه قولُه عليه السلام: «الزُّبَيرُ ابنُ عَمَّتي وحَوارِيّي من أُمَّتي».

وقيل: كانوا قصَّارين يُحَوِّرُونَ الثِّيابَ يُبيِّضُونَها.

ونظيرُ الحَوارِيّ في زنتِهِ: الحَواليُّ: وهو الكثيرُ الحِيَلِ.

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ﴾ مِنهم بعيسى ﴿وَكَفَرَت﴾ به ﴿طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا﴾ مُؤمنيهم على كفَّارهم فظَهَروا عليْهم.

وعن زيد بن علي رضي الله عنهما: كان ظُهُورُهم بالحجَّةِ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرَأَ سُورة الصَّف كان عيسَى مُصَلِّيًا عليه مُستَغفِرًا له ما دَامَ في الدُّنيا وهُو يومَ القيامة رَفيقُهُ».

قوله: (الدَّرْمَكُ)[١] أي: الدقيق الحُوّارَى.[٢]

تمّت السورة بحمد الله.[٣]

---

١ ن: الدرّمك.

٢ ن: الحواريّ. | **الصحاح** للجوهري، «درمك». ويقال: الدَّرمَك: هو التراب الناعم الدقيق. تاج **العروس** للزبيدي، «درمك».

٣ ف + ومنّه.

سورة الجمعة

مدنيةٌ، وهي إحدى عشرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾

قُرِئَتْ صِفاتُ الله عزَّ وجلَّ بالرَّفع على المدح؛ كأنَّه قيل: هو الملِكُ القدُّوسُ، ولو قُرِئتْ منصُوبةً لكان وجْهًا كقول العرب: الحمدُ لله أهْلَ الحَمْدِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾

"الأمِّيُّ": منسُوبٌ إلى أُمَّةِ العَربِ؛ لأنَّهم كانوا لا يكتُبونَ ولا يَقرؤونَ مِن بين الأُمَمِ.

سورة الجُمعة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: **(بالرفع)** شاذٌ.[2]

قوله: **(لأنّهم)** متعلّق بقوله: **(مَنسوبٌ)**، يعني: أنّ أمّة العرب لمّا كانت أمّةً لا يكتبون ولا يقرءون نُسِب مَن لا يكتب[3] ولا يقرأ إلى أمّة العرب بحذف المضاف إليه.

---

١ ف – وبه نستعين.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن شقيق بن سلمة ومسلمة بن محارب. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٧٢.

٣ ف: يَكتُبُ.

وقيل: بدَأتِ الكتابةُ بالطَّائف أخذُوها مِن أَهْلِ الحِيرة، وأَهْلُ الحِيرة من أهْلِ الأنبارِ.

ومَعنى ﴿بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا﴾: بعَثَ رَجلًا أُمِّيًّا في قوم أُمِّيين؛ كما جاء في حَدِيثِ شَعيَاء: أَنِّي أَبعَثُ أَعْمَى في عُميانٍ وأُمِّيًّا في أُمِّيِّينَ.

وقيل: ﴿مِّنْهُمْ﴾ كقَوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة ٩/١٢٨] يَعْلمُون نسبَهُ وأحْوالَه.

وقرئ: "في الأمِّين" بحَذفِ يَاء النَّسب.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: يَقرَؤُهَا علَيْهم معَ كونه أُمِّيًّا مِثلَهم لم تُعهَدْ منه قِراءةٌ ولم يُعرفْ بتَعَلُّمٍ، وقراءةُ أُمِّيٍّ بغَيْرِ تعلُّمٍ آيَةٌ بيِّنَةٌ.

قوله: **(وقيل: بُدِأتْ)** إشارة إلى كيفيّة وقوع الكتابة في أمّة العرب بعد كونهم غير كاتبين.

قوله: **(الحِيرة)** "الحِيرة": مدينة بقرب الكوفة.

قوله: **(الأنبار)** الأنبار والقادسيّة موضعان قريبان مِن بغداد.[1]

قوله: **(أعمى)** أي: غير عالم بالشرائع، **(في عُميان)** في قوم غيرِ عالِمين بها، ويقال: عَمِيَ عليه الخبر، أي: خَفِيَ، مجاز مِن عمَى البصر.

قوله: **(وقيل: ﴿مِّنْهُمْ﴾)** أي: وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ﴾ في هذا الموضع كمعنى قوله تعالى في موضع آخر: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة ٩/١٢٨]. ثمّ بيّن المصنّف فائدةَ كونه ومِن[2] أنفسِهم بأنّهم حينئذٍ يعلمون نَسَبَه وأحواله، فيكون ذلك أدعى إلى قَبول قوله، وإلى الإيمان به. وقوله: **(كقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة ٩/١٢٨])** قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة ٩/١٢٨].

قوله: **(لم تُعْهَدْ منه قراءةٌ)** يُفهَم مِن قوله تعالى: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: مِن جنسهم وبصفتهم أُمّيًّا مِثلهم. وقوله: **(ولم يُعرَف بتعلّم)** يُفهَم مِن قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾،

---

[1] ف: بغداذ.

[2] كذا في الأصول الخطّيّة: "ومِن" بالواو، والأولى إسقاطها.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: ويُطهِّرُهم من الشِّرك وخبائث الجاهليَّة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: القرآنَ والسُّنةَ.

و"إنْ" في ﴿وَإِن كَانُواْ﴾ هي المخفَّفةُ من الثقيلة، واللَّامُ دليلٌ عليها؛ أي: كانوا في ضَلالٍ لا ترَى ضَلَالًا أعظَمَ مِنه.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾

﴿وَءَاخَرِينَ﴾ مجرُورٌ عطفٌ على الأميّين، يَعني: أنّه بعَثَه في الأُمِّيين الَّذين على عَهْدِه وفي آخَرِين من الأُمِّيين لم يَلحَقُوا بهم بَعْدُ وسَيَلحَقُونَ بهم، وهمُ الَّذين بَعْدَ الصَّحابةِ رضي الله عنهم.

وقيل: لمَّا نزلت قيل: مَن هُم يا رسُولَ الله؟ فوَضع يَدَه على سَلمانَ ثم قال: «لو كان الإيمانُ عند الثُّريَّا لتنَاوَلَه رجَالٌ مِن هؤلاء».

وقيل: هُم الَّذين يَأتُونَ مِن بَعْدِهم إلى يوم القيامة.

ويجوز أن ينتَصِبَ عطفًا على المنصوب في ﴿وَيُعَلِّمُهُمْ﴾؛ أي: يُعَلِّمُهم

فإنّ قومه إذا كانوا أمّيّين لم يُتصوّر تعلُّمه منهم، ولم يسافر مِن مكّة حتّى يكون تعلُّمُه مِن غيرهم، وأيّد عدمَ تعلِّمه بقوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، أي: يقرأ عليهم، فدلّ على أنّه لم يتعلّم منهم. ويُفهم بالذوق مِن قوله: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ﴾ أنّه ما تعلّم مِن / أحدٍ، ثمّ إنّه يتلو عليهم، فدلّ على نبوّته، وأنّ ذلك مِن جهة الوَحْي. [٤٠٤و]

قوله:[١] **(أي: كانوا في ضلال)**... إلخ وإنّما كان المعنى على ذلك لأنّ ﴿مُبِينٍ﴾ بمعنى بيّن، مِن أبانَ بمعنى بانَ، فكأنّه قيل: ضلالٍ بيّنٍ ضلالتها، ويجوز أن يقال: فهِمَ هذا المعنى مِن التنكير.

قوله: **(وفي آخرين)** ومعنى "بعثه في آخرين" أنّه رسول إليهم، كما هو رسول إلى مَن في زمانه.

قوله: **(ويجوز أن ينتصب)** أي: ﴿ءَاخَرِينَ﴾.

---

١ ف - قوله؛ ن: بوله.

ويُعَلِّم آخَرِين؛ لِأنَّ التَّغْليم إذا تناسَقَ إلى آخِر الزمان كان كلُّهُ مُستَنِدًا إلى أوَّله فكَأنَّه هُو الَّذي تَولَّى كلَّ ما وُجِد مِنه.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تَمكِينِه رَجُلًا أُمِّيًّا مِن ذلك الأَمرِ العظيم، وتأييدِهِ عَليه، واختيارِه إيَّاه مِن بين كافَّة البَشر.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الفَضلُ الَّذي أعْطَاه محمَّدًا -وهو أن يكُون نَبيَّ أبنَاء عصْرِه ونَبيَّ أبناءِ العُصُورِ الغَوابر- هو ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ إعْطَاءهُ وتَقتَضيه حِكمتُه.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾

شبَّه اليهُودَ في أنَّهم حَمَلةُ التَّوراةِ وقُرَّاؤُهَا وحُفَّاظُ ما فيها ....

قوله: (**تناسَق**) أي: ترتَّب وانتظم. والنَّسْق -بسكون السين- مصدر نَسَقَ الدُّرَّ؛[١] إذا نظَمَه، وقولهم: حروف النَّسْق بالسكون -أي: العطف- مجاز، وقولهم: هذا نَسْق على هذا؛ وصفٌ بالمصدر على معنى معطوف، وأمّا النَّسَق -بفتح السين- فاسمٌ للمَنظوم.[٢]

قوله: (**فكأنّه**)[٣] أي: فكأنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم.[٤]

قوله: (**﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تمكينه**)... إلخ فيكون قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ متعلّقًا مِن حيث المعنى بقوله: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾. وقوله: (**في تمكينه... وتأييدِه**) معنى ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾. وقوله: (**واختيارِه**)[٥] معنى ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾. و﴿ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يشمل فضل الدنيا والآخرة. وقوله: (**الغَوابِر**) أي: البواقي.

قوله: (**في أنّهم**) حال مِن (**اليهود**)، أي: مستقرِّين في هذا الوصف،

---

١ ن: الذر.

٢ **المُغرب** للمطرّزي، «نسق».

٣ ف: وكأنّه.

٤ د: عليه السلام.

٥ ف + في.

ثم إنَّهم غَيرُ عَاملين بها ولا مُنتفِعين بآياتهَا -وذلك أَنَّ فيها نعْتَ رسُولِ الله عليه السلام والبشَارةَ به ولم يُؤمِنُوا به- بالحمار حُمِّلَ ﴿أَسْفَارًا﴾؛ أي: كُتبًا كِبارًا من كُتُب العلم، فهُو يَمشي بهَا ولا يَدْري منهَا إلَّا ما يمُرُّ بجنبَيه وظَهْرِه من الكَدِّ والتَّعَب.

وكُلُّ مَن عَلِمَ ولم يَعمَلْ بعلْمِهِ فهَذا مَثَلُه وبِئس المَثَلُ.

﴿بِئْسَ﴾ مَثَلًا ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ وهُم اليَهُود الَّذين كذَّبُوا بآيات الله الدَّالَّة على صحَّةِ نُبوَّةِ محمد صلى الله عليه وسلم.

ومعنى ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: كُلِّفُوا عِلمَهَا والعَملَ بهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: ثم لم يَعمَلُوا بها فكأنهم لم يَحْمِلُوهَا.

وقرئ: "حَمَلوا التوراةَ"؛ أي: حَمَلُوها ثمَّ لم يَحْمِلُوها في الحقيقةِ لِفَقْدِ العَملِ.

وكذلك قوله: (حُمِّلَ أسفارًا). وأمّا وجه التشبيه فلم يتعرّض له المصنّف، وهو حِرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء في الانتفاع مع الكَدّ[1] والتعب[2] في مزاولته ومعالجته.

قوله: (**فكأنّهم لم يَحمِلوها**) ولو قال المصنّف: "فلم يَحمِلوها" كان أظهرَ صوابًا؛ لأنّه لمّا فسّر التحميل بالتكليف بالعلم والعمل جميعًا كان الحَمل هو العلمَ والعملَ، فإذا تركوا جزءًا[3] مِن المجموع كانوا لم يحملوا[4] ما حُمِّلوا؛ لأنّ المجموع ينتفي بانتفاء الجزء، اللّهمّ إلّا[5] أنْ يقال: إنّما قال المصنّف: "فكأنّهم" لأنّ الحَمل بالحقيقة ليس مرادًا هنا؛ بل هو بطريق المجاز، لكن فيه تعسُّف.

قوله: (**وقُرئ: "حَمَلُوا"**)[6] معنى القِراءة بتخفيف[7] "حَمَلوا" قريب مِن قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال ١٧/٨].

---

١ ن: الكرّ.

٢ ن: في التعب.

٣ ف: جزاء.

٤ ن: يحملو.

٥ ن: أولًا.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ وابن عمير. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٧٣.

٧ ف: بتحفيف.

وقرئ: "يَحْمِلُ الأسفارَ".

فإن قلتَ: ﴿يحمل﴾ ما مَحلُّه؟

قلتُ: النَّصْبُ على الحال، أو الجَرُّ على الوصف لِأنَّ الحِمار كاللَّئيم في قوله:

ولـقـدْ أمُـرُّ عـلـى الـلَّـئيم يَسُبُّنِي

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٧﴾

"هاد يهُودُ": إذا تَهوَّدَ.

﴿أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ كانُوا يقُولـون: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة ١٨/٥]؛ أي: إن كان قولُكـم حقًّا وكنتُم على ثِقَةٍ ﴿فَتَمَنَّوُاْ﴾ على الله أن يُميتكـم ويَنقُلَكُـم سَريعًا إلى دار كَرامتِه الَّتي أعدَّها لِأوليائِه، ثـم قال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًا﴾ بسَبَبِ ما قدَّمُوا من الكُفرِ، وقد قال لَهُم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «والَّذِي نَفْسِي بيَدِه لا يقُولُهَا أحَدٌ مِنكم إلَّا غَصَّ بريقِهِ»، ....

قوله:

(ولقـد أمُـرُّ علـى اللئيـم[1] يَسُـبُّني)

تمامه:

فـمـضيتُ ثـمَّـةَ قـلـت: لا يَعنيني[2]

أي: لا يريدني بهذا السَّبِ. ويجوز أن يكون المعنى: لا يُهمُّني جوابه.

قوله: (غَصَّ)[3] الغَصَصُ[4] -بالفتح- مصدر قولك: غَصِصْتَ يا رجل تَغَصُّ، فأنت غاصٌّ بالطعام وغصّان، وأغْصَصتُه أنا. والمنزل غاصٌّ بالقوم، أي: ممتلئ بهم، والغُصّة: الشجى، والجمع: غُصَصٌ.[5]

---

[1] ن: اللئيم.

[2] بغير نسبة في **الصحاح** للجوهري، «ثمم»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «ثمم».

[3] ن: غضّب.

[4] ن + بالطعام وغصّان، وأغصَصته أنا، والمنزل غاصّ.

[5] **الصحاح** للجوهري، «غصص».

فلولا أنَّهم كانُوا مُوقِنين بِصدقِ رسولِ الله لتمنَّوا، ولكنَّهُم علِمُوا أنَّهم لو تَمنَّوا لمَاتُوا مِن ساعتهِم ولَحِقَهُم الوعِيدُ، فما تَمالَكَ أحَدٌ أن يتمَنَّى، وهي إحْدَى المُعجِزاتِ.

قوله: **(فلولا أنّهم)** مُرتّب على قوله: **(وقد قال)**، أي: وإذا قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[١] ذلك فلو لم يعلموا صِدقه ويخافوا غُصَصهم بِرِيقهم[٢] لقالوا ذلك تكذيبًا **للقرآن**.

قوله: **(لتمنَّوا)** أي: لقالوا: تَمنَّينا[٣] تكذيبًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًا﴾، فإنّهم كانوا حِراصًا على تكذيب **القرآن** والرسول، لكن لخوفهم مِن وعيد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٤] لم يقولوه.

قوله: **(مِن ساعتهم)** "مِن" في "مِن ساعتهم" للابتداء، والمراد بـ"ساعتهم" هي الساعة التي تمنَّوا فيها الموت،[٥] فأضافها إليهم لهذه[٦] الملابسة.

قوله: **(فما تَمالك أحدٌ أن يتمنَّى)** يريد: لم يَقدِرْ أحدٌ منهم أنْ يتمنّى، / يعني: لم يتمنَّهُ[٧] أحدٌ. هذا هو مراد المصنّف، لكن في تركيبه نظرٌ، فإنّ تركيب المصنّف لا يفيد[٨] هذا المعنى؛ لأنّ معنى "ما تمالَك أن يتمنّى" أنّه تمنّى، ولم يقدر على ترك التمنّي. قال الجوهري في **الصحاح**: «ما تمالك فلان[٩] أن قال ذلك، أي: ما تماسَكَ».[١٠] وقال المطرّزي[١١] في **المُغرب**: [٤٠٤ظ]

> يقال: فلان ما تَمالَك أن قال ذاك وما تماسَك، أي: لم يستطع[١٢] أن يَحبِس نفسه، ومنه: هذا[١٣] الحائط لا يَتمالَك ولا يَتماسَك. وأمّا ما رُوي في حديث الظِّهار[١٤] عن سَلمة بن صَخْر: «فلم أتمالَك نفسي»، فالصواب لغةً:

---

١ د: عليه السلام.
٢ ف: بَريقهم.
٣ ن: تمنينًا.
٤ د: عليه السلام.
٥ ن: الموة.
٦ ن: بهذه.
٧ ن: يتمنة.
٨ ن: مفيد.
٩ ن: قلان.
١٠ الصحاح للجوهري، «ملك».
١١ ن: المطرزّي.
١٢ ن: يستطيع.
١٣ ن: هذ.
١٤ ن: اظهار.

وقرئ: "فتَمَنُّوا الموتَ" بكسر الوَاو تشبيهًا بـ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ [التوبة ٤٢/٩]، ولا فرْقَ بين "لا" و"لن" في أنَّ كلَّ واحدةٍ منهما نفيٌ للمُستقبَلِ، إلَّا أَن في "لن" تأكِيدًا وتشديدًا ليس في "لا" فأُتِيَ مَرَّةً بلَفْظِ التَّأْكِيدِ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة ٩٥/٢] ومرَّةً بغَيرِ لَفظِه: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥ﴾.

"فلم أملِك نفسي"، على أنّ الرواية: «فلم ألبَث أن نزَوتُ عليها»، هكذا في **سنن أبي داود** و**معرفة الصحابة لأبي نُعَيم**.[1]

هذا هو المذكور في **الصحاح** و**المُغرب**، ويقول أضعف عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربردي:[2] الأولى[3] الحكمُ بصحّة تركيب المصنّف، وأن يقال: قوله هذا يدلّ على أنّ "تمالَكَ" قد جاء بمعنى "مَلَك"، فإنّ المصنّف رحمه الله[4] مِن علماء العربيّة؛ بل هو مِن الطبقة العُليا، فاجعل[5] ما يقوله بمنزلة ما يرويه، فإنّ العلماء يقولون: الدليل على كذا[6] قوله في **المفصّل** كذا، فيقتنعون بذلك لوُثوقهم بروايته وإتقانه، على أنّه قد وردَ في حديث سلمة بن صخر: «فلم أتمالَك» بمعنى: "فلَم أملِك". وأمّا ورود هذا الحديث في بعض الروايات[7] بوجهٍ آخر فلا يَقدح في صحّة هذه الرواية. وقول المطرّزي: «فالصواب لغةً: 'فلم أملِك'» يدلّ[8] على أنّ قوله: «فلم أتمالَك» صوابٌ روايةً، وإذا صحّت الرواية على هذا الوجه، فكيف يمكن أن يقال: لم يجئ "تمالَك" بمعنى "ملَكَ"، فإنّ عدم مجيء ذلك ممّا لا يمكن إثباته، والله أعلم.

قوله: (﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة ٩٥/٢]، ومرّةً) يجوز أن يكون القول مقدّرًا في الموضعين في كلام المصنّف، أي: قائلًا: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة ٩٥/٢]، قائلًا:

---

[1] **المُغرب** للمطرّزي، «ملك». وانظر: **سنن أبي داود**، ٥٣٥/٣ (٢٢١٣)؛ و**معرفة الصحابة لأبي نُعيم**، ١٣٤٦/٣ (٣٤٠٠).

[2] د ن: الجابردي.

[3] ن: الأوّلى.

[4] د ن – رحمه الله.

[5] ف: فاجَعل.

[6] ف: لذا.

[7] ن: الروااية.

[8] ن + عليه.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾

ثم قيل لهم: ﴿إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ﴾ ولا تجسُرُون أن تتمنَّوهُ خِيفةَ أن تُؤخَذُوا بوَبالِ كُفرِكم لا تَفُوتُونَه وهُو مُلاقِيكم لا محَالَة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ إلى الله فيُجازِيكم بما أنتُم أهْلُهُ من العِقابِ.

وقرأ زيدُ بن عليٍّ رضي الله عنه: "إنَّه مُلاقيكم".

وفي قراءة ابن مسعُود رضي الله عنه: "تَفِرُّون منه مُلاقِيكم"، وهي ظاهِرَةٌ.

وأمَّا الَّتي بالفاء: فلِتضمُّن ﴿ٱلَّذِي﴾ مَعنى الشَّرط، وقد جُعِل ﴿إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ﴾ كلامًا برأسه في قراءة زيْدٍ؛ أي: إنَّ المَوت هو الشيءُ الذي تَفِرُّون منه، ثم استُؤنِف: "إنَّه مُلاقِيكم".

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾

"يومُ الجُمْعة": يَومُ الفَوْج المَجموع؛ كقولهم: ضُحْكَةٌ، للمَضْحُوك مِنه،

﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ﴾. ويجوز أن لا يكون القول مقدّرًا، ويكون بيانًا لِما قبله على طريق الاستئناف، فكأنّه قيل: كيف هو؟ فقيل:[1] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ﴾ [البقرة ٢/٩٥]، على حكاية ما في القرآن.

قوله: (ثمّ قيل) عطفٌ على قوله: (ثمّ قال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ﴾).

قوله: (وقد جُعِل)... إلخ كالتأكيد[2] لدخول "الفاء" في الخبر إذا كان المبتدأ متضمّنًا معنى الشرط مع الشرائط، فإنّ "الفاء" لمّا لم توجد[3] في قراءة[4] زيد[5] حملَه بعضهم على أنّه ليس مِن هذا الباب؛ بل ﴿ٱلۡمَوۡتَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾، و﴿ٱلَّذِي﴾ خبره.

---

١ ف: فعتل.
٢ ن: لتأكيد.
٣ ف: توجد؛ ن: يوجد.
٤ ف: قراة.

٥ أي: قراءة زيد بن عليّ: "إنَّهُ مُلَاقِيكُمْ". وهي قراءة شاذّة. ذكرها كذلك أبو حيّان في البحر المحيط، ١٠/١٧٣ (الجمعة، ٦٢/٨)؛ والسمين الحلبي في الدرّ المصون، ١٠/٣٣٠ (الجمعة، ٦٢/٨).

و"يوم الجُمَعة" بفتح الميم: يومُ الوقتِ الجامِعِ؛ كقولهم: ضُحَكَةٌ ولُعَنَةٌ، و"يَومُ الجُمُعَةِ" تثقِيلٌ للجُمْعةِ؛ كما قيل: "عُسُرةٌ" في عُسْرَةٍ، وقرئ بهنَّ جميعًا.

فإن قلتَ: ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ ما هي؟

قلتُ: هي بيانٌ لـ﴿إِذَا﴾ وتفسيرٌ له، والنِّداءُ: الأَذان، وقالوا: المراد به الأَذانُ عند قُعود الإمام على المنبر، وقد كان لرسُول الله عليه السلام مؤذِّنٌ واحدٌ، فكان إذا جلسَ على المِنبَرِ أذَّن على باب المَسْجِدِ، فإذا نَزل أقَامَ للصَّلَاةِ، ثمَّ كانَ أبو بكرٍ وعُمَرُ رضي الله عنهما على ذلك، حَتَّى إذا كان عثمانُ رضي الله عنه وكثُرَ النَّاسُ وتباعَدتِ المَنازلُ زادَ مُؤذِّنًا آخَرَ، فأمَر بالتَّأْذِين الأوَّلِ على دارِه التي تُسمَّى: زَوْراءَ، فإذا جلسَ على المنْبَرِ أذَّن المؤذِّنُ الثَّاني، فإذا نَزل أَقام للصَّلاة، فلم يُعَبْ ذلك عليه.

وقيل: أوَّلُ مَن سمَّاهَا جمعةً كَعْبُ بن لُؤَيٍّ، وكان يُقال لهَا: العَرُوبةُ.

وقيل: إنَّ الأنْصَار ....

قوله: (يومُ الوقت الجامع) فعلى هذا يكون المراد بـ"اليوم" تمام ذلك اليوم، وبـ"الوقت" الجُزء الذي يجب فيه تلك الصلاة مِن ذلك اليوم.

قوله: (وقُرئ بهنّ) القراءة[1] بضمّتين مِن السبعة، والباقي شاذّة.[2]

قوله: (فلم[3] يُعَبْ) أي: فلم يُعَبْ[4] ذلك، أي: الأمر بالأذان الثاني، يعني: لم يُنكره عليه أحدٌ، فيكون إجماعًا سكوتيًا.

قوله: (يقال لها: العَرُوبة) أي: للجمعة. قال في الصحاح: «يوم العَروبة، وهي مِن أسمائهم / القديمة».[5] [٤٠٥و]

---

١ ف: القراة.

٢ "الجُمْعَةِ" بسكون الميم مرويّة عن ابن الزبير وأبي حَيوة وابن أبي عَبلة وزيد بن عليّ والأعمش. و"الجُمَعَةِ" بفتح الميم أسندها الكرماني إلى اليماني، وقال أبو حيّان: «لغة لم يُقرأ بها». انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٧٣؛ والبحر المحيط لأبي حيّان، ١٧٤/١٠ (الجمعة، ٩/٦٢).

٣ ن - فلم.

٤ ف - أي: فلم يُعبْ.

٥ الصحاح للجوهري، «عرب».

قالوا: لليهود يَومٌ يَجْتمعُون فيه كُلَّ سَبْعةِ أيّامٍ، وللنَّصارَى مِثلُ ذلك، فَهَلمُّوا نَجعَلْ لنا يومًا نَجْتمِعُ فيه فنَذْكُرُ اللهَ فيهِ ونصَلِّي، فقالوا: يَومُ السَّبت لليَهُودِ، ويومُ الأحَد للنَّصارى، فاجعَلُوه يومَ العَرُوبَةِ، فاجتَمعُوا إلى أسْعَدِ بن زُرارَةَ فصَلَّى بهم يَومئذٍ ركعتين وذكَّرهم، فسَمَّوهُ يومَ الجُمْعةِ لاجتماعِهم فيه، فأنزلَ اللهُ آيةَ الجُمعة فهي أَوَّلُ جُمعَةٍ كانت في الإسْلام.

وأمّا أوَّلُ جُمعةٍ جَمَّعَها رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فهي: أنّه لمَّا قَدمَ المَدِينةَ مُهاجِرًا نَزَلَ قُبَاءَ على بَنِي عَمرِو بن عَوْفٍ، وأقَام بها يومَ الإثنيْنِ والثلاثاءِ والأربعاءِ والخميسِ، وأَسَّسَ مَسْجِدَهم ثم خرَج يَومَ الجُمعة عامدًا المَدِينةَ، فأدركَتْهُ صَلاةُ الجُمعة في بَني سالِم بن عَوْفٍ في بَطْنِ وادٍ لَهُم، فخطَب وصَلَّى الجُمعةَ.

وعن بعضهم: قد أبطَلَ اللهُ قَولَ اليهودِ في ثلاثٍ:

افْتخرُوا بأنَّهم أولِيَاءُ الله وأحِبَّاؤُه، فكذَّبَهُم في قوله: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

قوله: (قالوا: لليهود يوم)... إلخ "يوم" مبتدأ، ما بعده صفته، و"لليهود" خبره، والجملة مقول القول.

قوله: (في ثلاث) أي: في ثلاث خصال، أو مُفاخرات. فعلى هذا يكون الجارّ متعلّقًا بـ"قول اليهود"، ويجوز أن يكون المعنى: في ثلاث آيات، فيتعلّق بقوله: (أبطل)،[١] فالآية الأولى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ﴾، والثانية: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ﴾، والثالثة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾. وقوله:[٢] (في قولهم) ظرف (كذّبهم) أي: جعلهم كاذبين في قولهم: "نحن أولياء الله" و"أحبّاء الله"،[٣] فمقول قولهم محذوف. وقوله: (﴿فَتَمَنَّوُاْ﴾) مقول قول محذوف هو حال مِن الضمير في "كذّبهم"، أي: كذّبهم الله تعالى قائلًا: ﴿فَتَمَنَّوُاْ﴾. هذا إذا كانت رواية الكتاب: "في قولهم" كما في هذه النسخة، وأمّا إذا كانت الرواية: "في قوله" كما في النُّسَخ -وهو الظاهر- فكان المعنى: كذّبهم[٤] الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾.

---

١ ن: بطل.
٢ ف - وقوله.
٣ ن: لله.
٤ ن: كذّبَهم.

وبأنّهم أهْلُ الكِتابِ والعرَبُ لا كِتابَ لهم، فَشبَّهَهُم بالحِمارِ يَحمِلُ أَسْفارًا.

وبالسَّبْتِ وأَنَّه لَيس للمُسْلِمين مِثْلُه، فشَرَع لهم الجُمعةَ.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «خيرُ يَومٍ طَلَعَت فيه الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمْعَة، فيه خُلِق آدمُ، وفيه أُدخِلَ الجَنَّةَ، وفيه أُهْبِط إلى الأَرْضِ، وفيهِ تقومُ السَّاعة، وهو عند الله يومُ المَزيدِ».

وعنه عليه السَّلام: «أتَاني جبريل وفي كفِّه مِرآةٌ بَيضاءُ وقال: هذه الجُمعةُ يَعْرِضُهَا عليك ربُّكَ لِتكُونَ لك عِيدًا ولأُمَّتِك من بَعْدِكَ، وهو سَيِّد الأيَّامِ عِندنا، ونحنُ نَدْعُوه إلى الآخرة يَوْمَ المَزيد».

وعنه عليه السلام: «إن لِله في كُلِّ جُمعةٍ سِتَّ مئةِ أَلْفِ عَتيقٍ من النَّار».

وعن كعبٍ: إن الله فضَّل من البُلدان مَكَّة، ومن الشُّهور رَمضان، ومِنَ الأيَّام الجمعةَ.

وقال عليه السلام: «مَن ماتَ يومَ الجُمْعة كتَب الله له أَجْرَ شَهيدٍ وَوُقِيَ فِتْنَةَ القَبْرِ».

وفي الحديث: «إذا كان يَومُ الجُمعة قعَدَت الملائكةُ على أَبوابِ المسجدِ بأيديهم صُحُفٌ مِن فضَّةٍ وأَقْلامٌ من ذهَبٍ يكتبُون الأوَّلَ فالأوَّلَ على مَراتبهم».

وكانَت الطُّرُقاتُ في أَيَّام السَّلفِ وَقْتَ السَّحَر وبعد الفجر مُغْتصَّةً بالمُبكِّرين إلى الجُمعة يَمشُون بالسُّرُج.

وقيل: أوَّلُ بدْعَةٍ أُحدثت في الإِسْلام: ترْكُ البُكُور إلى الجُمعةِ.

وعن ابن مسعُود: أنَّه بكَّر فرأَى ثلاثَةَ نفَرٍ سَبَقُوهُ، فاغتمَّ وأَخذَ يُعاتبُ نفسَه يقول: أرَاكَ رابعَ أرْبَعةٍ وما رابعُ أربَعةٍ بسَعيدٍ.

قوله: (**يومُ المزيد**) أي: يزيد فيه الخير.

قوله: (**مُغتصَّةً**) أي: مملوءةً.[1]

---

١ ف: مملوّة؛ ن: مَتلوة.

ولا تُقامُ الجُمعة عند أبي حنيفةَ رحمه الله إلّا في مصرٍ جامِعٍ، لقوله عليه السلام: «لا جُمعَةَ ولا تشريقَ ولا فِطرَ ولا أَضْحَى إلّا في مِصْرٍ جامِعٍ».

والمصْرُ الجامِعُ: ما أُقيمَتْ فيه الحُدُود ونُفِّذَتْ فيه الأحكام، ومِن شرُوطها الإمامُ أو مَن يَقُوم مقَامَه، لقوله عليه السلام: «فمَن تركهَا وَلهُ إمامٌ عادلٌ أو جَائرٌ» الحديث.

وقولِه: «أرْبَعٌ إلى الوُلاةِ: الفَيْءُ والصَّدقَاتُ والحُدودُ والجُمُعاتُ».

فإن أَمَّ رجلٌ بغيرِ إذْنِ الإمام أو مَن ولَّاهُ من قاضٍ أو صَاحِب شُرْطَةٍ لم يجُز، فإنْ لم يمكِنِ الاستِئذانُ فاجْتَمَعُوا على واحدٍ فصَلَّى بهم جازَ.

وهي تَنعقِدُ بثلاثةٍ سِوَى الإمام، وعِند الشافعي رحمه الله: بأربعين.

ولا جُمعَةَ على المُسافرين والعَبيدِ والنِّساء والمَرضَى والزَّمْنَى ولا على الأَعْمَى عِند أبي حنيفة رحمه الله، ولا على الشَّيخِ الَّذي لا يَمْشِي إلّا بقائدٍ.

وقرأ عُمر وابْنُ عبَّاسٍ وابنُ مسعُود وغيرُهم رضي الله عنهم: "فامْضُوا".

وعن عُمَر أنَّه سَمِعَ رجُلًا يَقرأ: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾، فقال: مَن أَقرأكَ هذا، قال: أُبيُّ بن كَعبٍ، فقال: لا يَزالُ يَقْرأ بالمَنسُوخ، لو كانت ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ لَسَعيْتُ حتَّى يَسْقُطَ رِدَائي.

وقيل: المراد بالسَّعْيِ: القَصْدُ، دون العَدْوِ.

و"السَّعيُ": التَّصرُّفُ في كلِّ عَمل، ومنه قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ [الصافات ١٠٢/٣٧] ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم ٣٩/٥٣].

وعن الحسن: لَيْسَ السَّعيُ على الأَقْدام ولكنَّه على النِّيَّاتِ والقلُوب.

وذكَر محمَّدُ بن الحَسن رحمه الله في **مُوَطَّئه**: أنَّ ابن عُمر سَمِعَ الإقَامةَ وهو بالبَقيع فأَسْرَع المشْيَ.

قوله: **(صاحبِ شُرْطة)**[١] أي: عَوان العامل.

---

[١] وفي هامش ف: أي: أميرهم.

قال محمّدٌ رحمه الله: وهذا لا بأسَ به ما لم يَجهَدْ نفسَه.

﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: إلى الخُطْبَة والصَّلاة، ولتَسميَة الله الخُطْبَةَ ذِكرًا له قال أبُو حنيفةَ: إن اقْتَصر الخطيبُ على مِقدَارٍ يُسمَّى ذكرَ اللهِ كقوله: "الحمدُ لله سبحان الله" جاز.

وعن عثمان رضي الله عنه: أنه صَعِد المنبرَ فقال: الحمدُ لله، وأُرْتِجَ عليه فقال: إنَّ أبا بكر وعُمَر كانا يُعِدَّان لهذا المَقام مَقالًا، وإنَّكم إلى إمَامٍ فَعَّالٍ أحوَجُ منكم إلى إمَامٍ قَوَّالٍ، وسَتأتيكم الخُطَبُ. ثم نَزلَ وكان ذلك بحَضْرة الصحابة فلم يُنكِرْ عَليه أحَدٌ.

وعند صاحبَيهِ والشَّافعيِّ: لا بُدَّ من كلامٍ يُسَمَّى خُطْبَةً.

فإن قلتَ: كيف يُفسَّر ذِكرُ الله بالخُطبةِ وفيها ذكْرُ غيْرِ الله؟

قلتُ: ما كان مِن ذكر رسُول الله، والثناءِ عليه وعلى خلفائهِ الرَّاشدين وأتقياءِ المؤمنينَ، والمَوعظةِ والتذكير، فهُو في حُكمِ ذكر الله، فأمَّا ما عَدا ذلك مِن ذكر الظَّلَمة وألْقابهم والثَّناءِ علَيْهم والدُّعاءِ لَهُم -وَهُم أَحقَّاءُ بعكسِ ذلك- فمِن ذكر الشيطان، وهو مِن ذكر الله على مراحلَ، وإذا قال المُنْصِتُ لِلخُطْبة لصَاحبهِ: صَهْ، فقد لَغا، أَفَلا يكُونُ الخَطيبُ الغالي في ذلك لاغِيًا؟! نعُوذ بالله من غُرْبة الإِسْلام ونكَدِ الأيَّام.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله: (وأُرْتِجَ عليه) أُرْتِجَ على القارئ -ما لم يسمّ فاعله- إذا لم يقدِر على القراءة،[1] كأنّه أُطبِق عليه، كما يُرتَجُ[2] الباب، وكذلك ارْتُتِجَ عليه، ولا تقل: ارتُجَّ عليه بالتشديد.[3]

---

١ ن ف: القراة.

٢ ف: يُرتَّج.

٣ الصحاح للجوهري، «رتج».

أرادَ الأَمْرَ بتركِ ما يُذهِلُ صاحبه عن ذكر الله من شَواغِل الدُّنيا، وإنَّما خَصَّ البَيْعَ مِن بَينها لأنَّ يَومَ الجُمعة يومٌ يَهبِطُ الناسُ فيه مِن قُرَاهُم وبوَادِيهم ويَنصَبُّونَ إلى المصْرِ من كُلِّ أوْبٍ، ووَقتُ هُبُوطِهم واجتماعِهم واغتصاصِ الأَسْواقِ بهم إذا انتفَخَ النَّهارُ وتعَالَى الضُّحَى ودنا وَقْتُ الظَّهيرة، وحينئذٍ تَحِرُّ التِّجارَةُ ويتَكاثرُ البَيْعُ والشِّرى.

فلمَّا كان ذلك الوقتُ مَظنَّةَ الذُّهُول بالبيع عن ذِكْر الله والمُضيِّ إلى المَسْجد قيل لَهُم: بادِرُوا تجارَةَ الآخِرة واترُكُوا تَجارةَ الدُّنيا، واسْعَوا إلى ذكر الله الَّذي لا شَيءَ أنفَعُ مِنهُ وأَرْبَحُ ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ الذي نفعُه يَسير وربحُه مُقَارِبٌ.

فإن قلتَ: فإذا كان البيعُ في هذا الوقت مأمُورًا بتَركِه مُحَرَّمًا فهل هو فاسدٌ؟

قلتُ: عامَّةُ العلماء على أنَّ ذلك لا يُوجِبُ فسادَ البَيْع، قالوا: لأنَّ البَيْعَ لم يَحْرُمْ لعَيْنِه ولكنْ لِمَا فيه من الذُّهُول عن الواجبِ، فهو كالصَّلاة في الأرض المغصوبةِ والثوبِ المَغْصُوب والوُضُوءِ بماءٍ مَغْصوبٍ، وعن بعضِ النَّاس: أنَّه فاسِدٌ.

ثـم أَطلَقَ لَهُم ما حَظَر عَليْهم بَعْد قَضاءِ الصَّلاة من الانتِشار وابتغاءِ الرِّبح، مَع التَّوصيَةِ بإكثارِ الذِّكر، وأنْ لا يُلْهِيَهُم شَيءٌ من تجارةٍ ولا غيرها عنه، وأن تكُونَ هِمَمُهُم في جَميعِ أَحْوالهم وأوقاتِهم مُوَكَّلَةً به لا يَنفضُّونَ عَنه؛ لأنَّ فلاحَهُم فيه وفَوزَهم مَنُوطٌ به.

قولـه: (ويَنصَبُّون) أي: يذهبون، مستعار مِن انصباب الماء، يقال: صبَبْتُ[١] الماءَ فانصبَّ، أي: سكبتُه فانسكَبَ، والماء يتصبَّب[٢] مِن الجبل، أي: ينحدِر.[٣] والأوْب:[٤] الناحية. ويقال: انتفخ النهار، أي: علا.

قوله: (مُقارِب) شيء مُقارِب[٥] -بكسر الراء-[٦] أي: وسط بين الجيّد والرديّ.[٧] ولا تقل: مُقارَبٌ، وكذلك إذا كان رخيصًا.[٨]

١ ن: صبّبت.
٢ ن: يصبّبب.
٣ الصحاح للجوهري، «صبب».
٤ ن: والأدب.
٥ ن + شيء مقارب.
٦ ف: الرا.
٧ ن: والردّي.
٨ الصحاح للجوهري، «قرب».

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: لم يُؤمَرُوا بطَلَبِ شيءٍ من الدُّنيا، إنَّما هو عِيادةُ المَرْضَى وحضُورُ الجنائز وزِيارَةُ أخٍ في الله.

وعن الحَسن وسعيد بن المُسَيِّبِ: طَلَبُ العِلم.

وقيل: صَلاةُ التَّطوُّع.

وعن بعض السَّلَف أنَّه كان يُشغِلُ نفسَهُ بعدَ الجُمعَة بشَيءٍ من أمُور الدُّنيا نَظَرًا في هذه الآية.

﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾

روي: أنَّ أهلَ المدينَة أصَابَهُم جُوعٌ وغَلاءٌ شديدٌ، فقدِمَ دِحيَةُ بنُ خَليفَةَ بتجارةٍ من زَيْتِ الشَّام والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَخطُبُ يَومَ الجُمْعةِ، فقَامُوا إلَيْه خَشُوا أن يُسبَقُوا إليه، فمَا بقيَ مَعَهُ إلَّا يَسيرٌ. قيل: ثمانيةٌ، وأَحَدَ عشَر، واثنَا عَشَر، وأربعونَ.

فقال عليه السلام: «والَّذي نفسُ محمَّد بيدِه لو خرَجُوا جَمِيعًا لأَضْرَمَ اللهُ عليهم الوادِيَ نَارًا».

وكانُوا إذا أقبَلَتِ العِيرُ استقبَلُوهَا بالطَّبْل والتَّصْفيقِ فهو المراد باللَّهو.

وعن قَتادةَ: فَعلُوا ذلك ثلاثَ مَرَّاتٍ في كُلِّ مَقْدَمِ عِيرٍ.

فإن قلتَ: فإنِ اتَّفقَ تَفرُّقُ النَّاسِ عن الإمام في صَلاة الجُمعة كيف يَصْنعُ؟

قوله: (دِحْية) دِحْية -بالكسر- هو[١] دِحية بن خليفة الكلبي الذي كان يأتي جبرئيلُ عليه السلام في صورته، وكان مِن أجمل الناس، وأمّا دَحْية -بالفتح- ودَحْوة فهما ابنا معاوية بن بكر بن هوازن.[٢]

قوله: (لأَضْرَمَ) أي: لأشْعَلَ.

---

١ ن + صحاح.

٢ وفي هامش د: صحاح. | الصحاح للجوهري، «دحا».

قلتُ: إن بقيَ وَحْدَهُ أو مع أقلَّ من ثلاثةٍ فعِند أبي حنيفةَ رحمه الله: يَسْتَأنِفُ الظُّهرَ إذا نَفرُوا عَنه قبل الرُّكُوعِ.

وعند صاحبَيْه: إذا كبَّر وَهُم مَعه مضَى فيها، وعِند زُفَر: إذا نَفرُوا قبلَ التشهُّد بَطلَتْ.

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿إِلَيۡهَا﴾ وقَدْ ذكر شَيْئَينِ؟

قلتُ: تقديرهُ: إذا رَأوا تجارةً انفضُّوا إلَيْها أو لهوًا انفضُّوا إلَيْه، فحُذِف أَحدُهما لدلالة المَذكُور عليه، وكذلك قراءةُ مَن قَرأ: "انفضُّوا إليه"، وقراءةُ مَن قرأ: "لهوًا أو تجارةً انفضُّوا إليها".

وقُرِئ: "إليهما".

عَن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورةَ الجُمعة أُعطيَ من الأَجر عَشْرَ حَسناتٍ بعَدَدِ مَن أَتى الجُمعَةَ وبعَدَدِ مَن لم يأتِها في أَمْصارِ المُسلِمينَ».

قوله: (**قلتُ: إن بقي**)... إلخ قال محيي السُّنة في **شرح السُّنَّة**:

قال ربيعة: «تنعقد الجمعة باثني عشرَ رجلًا»؛ لأنّه رُوي عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[1] كان يخطُب[2] يوم الجمعة، فجاءت[3] عِيرٌ مِن الشام تحمل طعامًا، فانفتل[4] الناس إليها حتّى لم يبقَ إلّا اثنا عشرَ رجلًا، فنزلت هذه الآية.[5] وليس فيه بيان أنّه أقام الجمعة بهم حتّى يكون حجّةً لاشتراط[6] ذلك العدد.[7]

قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِن الثواب. وقيل: مِن الرزق، ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: لم يكن يفوتهم الرزق.

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنّه وكرمه.[8]

---

١ د ن: عليه السلام.

٢ ن: يتخطب.

٣ ن: فجاد.

٤ وفي هامش د: فانفلت.

٥ **صحيح البخاري**، ٥٥/٣ (٢٠٥٨)؛ **صحيح مسلم**، ٥٩٠/٢ (٨٦٣).

٦ ن: الاشتراط.

٧ **شرح السنّة** للبغوي، ٢٢٠/٤.

٨ ف - بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه؛ ن: كرمه.

سورة المنافقين

مدنيَّةٌ، وهي إحدى عَشْرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①﴾

أرادوا بقَولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ شهادةً واطأت فيها قلُوبُهُم أَلْسِنَتَهُم، فقال الله عزَّ وجلَّ: قالُوا ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أَنَّ الأَمرَ كما يَدُلُّ عليه قولُهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ إنَّهم ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ في قولهم: ﴿نَشْهَدُ﴾ وادِّعائهم فيه المُواطأةَ.

أو: إنَّهُم لَكاذبُون فيه؛ لأنَّه إذا خَلا عن المواطأة لم يَكن شهَادةً في الحقيقة، فَهُم كاذِبُون في تسميَته شهادةً.

سورة المنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: **(وادّعائهم)** عطفٌ على **(قولهم)**، وهو مِن قَبيل قولك: أعجبني زيدٌ وكرمُه، أي: / إنّهم[2] لَكاذبون في ادّعائهم المواطأة في ﴿نَشْهَدُ﴾. [٤٠٥ظ]

قوله: **(أو إنّهم لكاذبون)** الوجه[3] **الأوّل**: أنّه كَذِب لأنّهم كانوا يدَّعون مواطأة[4] القلوب الألسنةَ، ولم يكن كذلك. **والثاني**: أنّه كَذِب لأنّهم كانوا يدَّعون

---

١ ف - وبه نستعين.
٢ ن: أنهمَ.
٣ ن: الالوجه.
٤ ن: هواطأة.

أو أرَادَ: واللهُ يشهَدُ إنَّهم لَكاذبُون عِند أنفُسِهم؛ لأنَّهم كانُوا يَعتَقِدُونَ أنَّ قولَهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كَذِبٌ وَخَبرٌ على خلافِ ما عليه حالُ المُخبَرِ عنه.

فإن قلتَ: أيُّ فائدةٍ في قَوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾؟

قلتُ: لو قال: "قالُوا نشهَدُ إنَّكَ لرَسُول الله واللهُ يَشهَدُ إنَّهُم لَكاذِبُونَ" لكان يُوهِم أنَّ قولهم هذا كَذِبٌ، فوسَّط بَينهما قولَه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ ليُمِيط هذا الإيهامَ.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢﴾

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ يجوزُ أن يُراد أَنَّ قَولَهُم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يَمينٌ من أَيمانِهم الكاذِبة؛ لأنَّ الشهادة تُجرَى مُجْرَى الحَلِفِ فيما يُرادُ به مِن التَّوْكيد، يقولُ الرجلُ: "أشهَدُ، وأشهَدُ بالله"، و"أَعْزِمُ، وأَعزمُ باللهِ"، في مَوضع: أُقسِمُ وأُولِي، وبه استَشْهَد أبو حنيفةَ رحمه الله على أنَّ "أَشْهَدُ" يَمينٌ.

ويجوز أن يكون وصْفًا للمنافقين في استِجْنَانِهم بالأَيمان.

وقرأ الحسنُ: "إيمانَهم"؛ أي: ما أظهرُوهُ من الإيمان بألْسِنَتِهم، ويَعْضُده قولُه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾.

أنّهم يشهدون، وهم كاذبون في هذه الدعوى؛ لأنّ مِن شرط الشهادة مواطأةَ[١] القلوب الألسنةَ.[٢] **والثالث:** أنّهم[٣] كاذبون بزُعمهم وباعتقادهم؛ **لأنّهم**[٤] **يعتقدون** أنّ هذا الكلام ليس مطابقًا للواقع،[٥] فيكون كذبًا عندهم، وإنْ كان صدقًا في نفس الأمر.[٦]

قوله: **(في استِجْنانهم)** الاستجنان: أخذ الجُنّة؛ وهي التُّرْس.

---

[١] ن: هوالحاة.

[٢] ن: الاالسنة.

[٣] ف + كانوا.

[٤] ن: لأنهمَ.

[٥] وفي هامش د ف: وقيل: مطابقته لاعتقاد المُخبر ولو خطأ وعدمُها؛ بدليل ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾، ورُدّ بأنّ المراد: لكاذبون في الشهادة، أو في تسميتها، أو المشهود به في زعمهم. | **تلخيص المفتاح** للقزويني، ص ٣٨.

[٦] وفي هامش د ف: على الوجه **الأوّل** الكذب يعود على الشهادة المقيّدة بالمواطأة والخلوص والصميم. وعلى **الثاني يعود على مطلق** الشهادة. وعلى **الثالث يعود إلى قوله تعالى:** ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ على زعمهم.

﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من نِفاقهم وصَدِّهم الناسَ عن سبيل الله.

وفي ﴿سَآءَ﴾ مَعنى التَّعجُّبِ الذي هو تعظيمُ أَمْرِهم عِند السَّامِعين.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ③﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى قوله: ﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ذلك القَولُ الشَّاهدُ عليهم بأنهم أَسْوأُ النَّاسِ أعمالًا ﴿بـ﴾سَبب ﴿أنهم آمنوا ثم كفروا﴾، أو إلى ما وُصِفَ مِنْ حالِهم في النِّفاقِ والكَذِب والاستِجنان بالأَيمان؛ أيْ: ذلك كلُّه بسَببِ أنّهم آمَنُوا ثم كَفروا ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فجَسَروا على كلِّ عَظيمةٍ.

فإن قلتَ: المنافقون لم يَكُونوا إلَّا على الكُفر الثابت الدَّائم، فما معنى قوله: ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾؟

قلتُ: فيه ثلاثة أوْجُهٍ:

أحَدُها: ﴿ءَامَنُواْ﴾؛ أي: نَطَقوا بِكلمةِ الشهادةِ وفَعَلُوا كما يَفْعلُ مَن يدخُلُ في الإِسْلام ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾: ثم ظَهَرَ كفرُهم بعدَ ذلك وتَبيَّن بما اطُّلِعَ عليه من قَوْلهم: إن كان ما يَقُولهُ محمَّدٌ حقًّا فنَحْنُ حَميرٌ. وقَوْلِهم في غَزْوَة تَبوكَ: أَيَطْمَعُ هذا الرَّجُلُ أَنْ تُفتح له قصُورُ كِسْرَى وقَيْصَر؟! هيهات.

قوله: **(أي: ذلك القول)** يعني: إنّما قيل في حقّهم: ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لأنّهم آمنوا ثمّ كفروا.

قوله: **(أو إلى ما وُصِفَ)** يعني: بسبب شؤم فعلهم هذا -وهو كفرهم بعد الإيمان- صدر هذه الأفعال السيّئة عنهم.[1]

قوله: **(على كلّ عظيمة)** مِن النفاق والكذب والاسْتِجنان.

قوله: **(إن كان ما يقوله)** هذا كلام قاله بعض المنافقين مع إخوانهم، فظهر هذا الكلام، فعُلِم نفاقهم.

---

١ ف: عندهم.

ونحوُه قولُه: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة ٧٤/٩]؛ أي: وظهَر كُفرهُم بعد أن أسْلَمُوا، ونحوُه: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة ٦٦/٩].

والثاني: ﴿ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: نطَقُوا بالإيمان عِند المؤمنين، ثم نطَقُوا بالكُفر عند شيَاطِينهم استهزاءً بالإسلام؛ كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة ١٤/٢].

والثالثُ: أنْ يُراد أَهْلُ الرِّدَّة مِنهم.

وقرئ: "فطَبَعَ على قلوبهم"، وقرأ زيدُ بنُ عَليٍّ: "فطَبَعَ الله".

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ④﴾

كان عَبْدُ الله بنُ أُبيّ رجُلًا جَسيمًا صَبيحًا فصِيحًا ذَلِقَ اللِّسان، وقَومٌ مِن المنافقين في مِثْلِ صِفَتِه وهُم رُؤساءُ المدينة، فكانوا يَحضُرون مجْلسَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم فيَستَنِدُون فيه ولَهُم جَهَارَةُ المَناظر وفصَاحَةُ الأَلْسُنِ، فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم ومَن حَضر يُعجَبُونَ بهيَاكِلهم ويَسمَعون إلى كلامهم.

فإن قلتَ: ما معنى قولِه: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾؟

قلتُ: شُبِّهُوا في استنَادهم وما هُم إلَّا أَجْرَامٌ خالِيةٌ عن الإيمان والخيْر

قوله: (صَبيحًا) الصباحة: الجمال، وقد صَبُح -بالضمّ- صَباحةً، فهو صَبيحٌ.[١]

قوله: (جَهارةُ المناظر) رجل جَهيرٌ بيِّن الجَهارة، أي: ذو منظرٍ.[٢]

قوله: (بهياكِلهم) الهَيكل: البناء المُشرف، والهيكل: الفرَس الطويل.[٣]

قوله: (وما هم إلّا أجْرام) "الواو" للحال، و"ما" للنفي.

قوله: (ولأنّ الخُشُب) عطفٌ على قوله: (شُبِّهوا في استنادهم)، فكأنّه قال:

---

١ الصحاح للجوهري، «صبح».
٢ الصحاح للجوهري، «جهر».
٣ الصحاح للجوهري، «هكل».

بالخُشبِ المُسنَّدَةِ إلى الحَائطِ، ولأنَّ الخَشَب إذا انتُفِع به كان في سَقْفٍ أو جدار أو غَيْرِهما من مظانِّ الانتفاعِ، وما دام مَتْرُوكًا فارِغًا غيرَ مُنتَفَعٍ به أُسنِد إلى الحائطِ فشُبِّهُوا بهِ في عدمِ الانتفاع.

ويجوز أن يُراد بالخُشُبِ المُسنَّدة: الأَصْنامُ المَنحُوتةُ منَ الخَشَب المُسنَّدةُ إلى الحِيطانِ، شُبِّهُوا بهَا في حُسْنِ صُوَرِهم وقِلَّة جَدْوَاهُم.

والخِطابُ في ﴿رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ لِرسُول الله، أو لكلِّ مَن يُخاطَبُ.

وقرئ: "يُسْمَعْ" على البناء للمفعول.

ومَوضع ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ رَفعٌ على: هُم كأنَّهم خُشُبٌ، أو هُو كلامٌ مُستأنف لا محَلَّ لَه.

وقرئ: ﴿خُشْبٌ﴾ جمعُ خَشَبةٍ كبَدَنةٍ وبُدْنٍ، و: ﴿خُشُبٌ﴾ كثَمَرةٍ وثُمُرٍ، و: "خَشَبٌ" كمَدَرَةٍ ومَدَرٍ، وهي في قراءةِ ابن عبَّاس.

وعن اليَزيديِّ أنه قال في ﴿خُشْبٌ﴾: جمعُ خَشْباءَ، والخَشْباء: الخَشَبةُ التي دَعِرَ جَوْفُها، شُبِّهُوا بهَا في نِفاقِهم وفسَادِ بواطِنِهم.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ ثاني مَفعُولَي ﴿يَحْسَبُونَ﴾؛ أي: يَحسَبُون كلَّ صَيْحةٍ واقِعةً عليهم وضَارَّةً لهُم؛ لجُبْنِهم وهَلَعِهم وما في قلُوبهم من الرُّعْبِ؛ إذا نادَى مُنادٍ في العَسْكر أو انفَلَتَتْ دابَّةٌ أو أُنشِدَتْ ضَالَّةٌ ظَنُّوه إيقَاعًا بهم.

وقيل: كانوا على وَجَلٍ من أَنْ يُنْزِلَ اللهُ فيهم ما يَهْتِك أَسْتَارَهُم ويُبيحُ دماءَهُم وأَمْوالَهم.

ومنه أَخذَ الأَخْطَلُ:

إنَّما[1] قال: ﴿مُسَنَّدَةٌ﴾ لأنَّهم شُبِّهوا، ولأنَّ الخُشُب.

قوله: (دَعِرَ)[2] أي: فسَدَ.

قوله:

---

[1] ن: إنمله

[2] ن: دعى.

ما زِلـتَ تحسَبُ كُلَّ شيءٍ بَعْدَهم خَـيْـلًا تَـكُـرُّ عـلَـيهـم ورِجَـــالَا

يُوقَفُ على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ويُبتَدأُ ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾؛ أي: هُم الكامِلُون في العَداوةِ؛ لأنَّ أَعْدَى الأَعداء: العَدُوُّ المُدَاجي الَّذي يكاشِرُكَ وتحْتَ ضُلُوعِهِ الداءُ الدَّوِيُّ.

﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾ ولا تَغْتَرِرْ بِظَاهِرِهم.

(ما زلْـتَ تَحْسِبُ كلَّ شيءٍ بعدهم خيـلًا تَـكُـرّ عـلـيهـمُ ورجـــالَا)[1]

هذا البيت لِجرير يخاطب به الأخطل. قال الواحدي في شرح قول المتنبي:

وضاقت الأرضُ حتّى كان هاربُهم إذ رأى[2] غيـرَ شـيء ظنّـه رجـلَا[3]

«عن أبي عبيدة أنّه لمّا أُنشِد[4] الأخطل قولَ جرير فيه:

مـا زِلْـــتَ تَـحْـسِـب كـلّ شـيء

قال: 'سرَقَه[5] واللهِ مِن كتاب الله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾'».[6]

وأنا أقول: إذا ظهَرَ أنّ البيت لجرير فاعلم أنّ معنى[7] قول المصنّف: (منه أخَذ الأخطل)[8] أنّ الأخطل قال: "إنّ بيت جريرٍ مستفاد مِن هذه الآية، مُقتَبَسٌ منه"، لا أنّ المعنى: أنّ الأخطل قائلُ هذا البيت، لِما عرفتَ أنّه لم يَقلْه؛ بل قاله جَرير في حقّه. وقوله: "رجالًا" أي: رجّالة.

قوله: (المُداجي الذي يُكاشِرك) الدُّجى:[9] الظُّلمة، يقال: دَجى الليل يَدجُو،[10] والمُداجاة: المُداراة، يقال: داجَيتُه إذا دارَيتَه، كأنّك ساترتَه العداوةَ، قال:[11]

كـلٌّ يُـداجي على البغضاء صاحبَه ولـن أُعـالِـنَه كي يُمكن الـظَّـفَـرُ[12]

---

[1] ديوان جرير، ١/٥٣.

[2] ن: رائي.

[3] وفي هامش د ف: بعده:
فبَعد ذا وإلى ذا اليوم لـو ركَضَتْ
الخيلُ في لَهَوات الطِفلِ ما سَعَلا
| ديوان أبي الطيّب المتنبّي، ص ١٢.

[4] ن: أشدّ.

[5] ن: سرقة.

[6] شرح ديوان المتنبّي للواحدي، ص ١٥.

[7] ن - معنى.

[8] ن: الأنطل.

[9] ن: الدجي.

[10] ن: يدجوا.

[11] في الصحاح: "قال قَعنب ابن أمّ صاحب".

[12] الصحاح للجوهري، «دجا».

ويجوز أن يكون ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ المفعولَ الثانيَ كما لو طَرَحْتَ الضَّميرَ.

فإن قلتَ: فحَقُّه أن يقال: هي العَدوُّ؟

قلتُ: منظورٌ فيه إلى الخبَرِ؛ كما ذُكِر في ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام ٦/٧٦].

وأن يُقدَّر مُضافٌ مَحْذُوفٌ على: يَحسبُونَ كلَّ أهْلِ صيحةٍ.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دُعاءٌ عليهم، وَطَلَبٌ من ذاتِه أن يَلعنَهم ويُخزِيَهم، أو تَعْلِيمٌ للمؤمنين أن يَدْعُوا عليهم بذلك.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يُعدَلُونَ عن الحق؟ تعجُّبًا من جَهلهم وضَلالتهم.

ويقال: كَشَر البعير عن نابه، أي: كشف عنها، والكَشْر: التبسّم، يقال: كَشَر الرجل، وانكلَّ، وابتسمَ،[١] وافْتَرَّ، كلُّ ذلك يبدو منه الأسنان.[٢]

قوله: **(كما لو طرحتَ الضمير)** أي: ﴿هُمُ﴾.

قوله: **(وأنْ يُقدَّر)**[٣] عطفٌ على قوله: **(أن يكون)**، وهو مِن تتمّته.[٤] والمعنى: يجوز أن يكون / ﴿ٱلْعَدُوُّ﴾ مفعولًا ثانيًا بتقدير[٥] المضاف، أي: يَحسِبون كلَّ أهل صَيحةٍ العدوَّ. وإنّما احتيج في هذا الوجه إلى هذا التقدير؛ لأنّ الصَّيحةَ لا تكون عَدُوًّا. ولا يجوز أن يقال: هذا وجه آخر؛ لأنّ تقدير المضاف لا يقابل كون ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ مفعولًا ثانيًا. فإن قيل: إذا كان التقدير: كلَّ أهلِ صيحةٍ، فلا يَرِدُ السؤال، لجواز اعتبار المحذوف والثابت، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف ٧/٤]. قلتُ: يَرِدُ لكن يكون له جوابان: أحدهما: ما ذكرَ المصنّف هنا. والثاني: ما ذكرْتُ وذكرَ هو في موضع آخر. [٤٠٦و]

قوله: **(تعجُّبًا)** أي: ذكر ذلك تعجُّبًا.

---

١ ف: وابتسّم.

٢ الصحاح للجوهري، «كشر».

٣ وفي هامش د: وجاز الإتيان بضمير الفَصل؛ لأنّ ﴿كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ في حكم المعرفة.

٤ وفي هامش د ف: الظاهر أنّ هذا وجه آخر، وحاصله: أنّه إذا جعل ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ المفعولَ الثاني يجوز أن يكون التذكير في ﴿هُمُ﴾ باعتبار الخبر، وأن يكون باعتبار المحذوف، ففيه ثلاثة أوجه.

٥ ف: تقدير.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٦﴾

﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾: عطفوها وأمالُوها إعراضًا عن ذلك واستكبارًا، قرئ بالتخفيف، والتشديدُ للتكثير.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

رُوي: أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لِقيَ بني المُصْطَلِق على المُرَيْسِيعِ -وهُوَ ماءٌ لَهُم- وهَزَمَهم وقتَل منهم، اِزدحَم على الماء جَهْجاهُ بنُ سَعيدٍ أَجيرٌ لعُمرَ يَقُودُ فَرَسَه، وسنَانٌ الجُهَنيُّ حلِيفٌ لعبد الله بن أُبيّ، واقتَتَلا، فصَرخَ جَهجَاهٌ: يا لَلمهاجرين، وسنَانٌ: يا لَلأنصار، فَأَعَانَ جَهْجَاهًا جِعالٌ -من فقراء المهاجرين- وَلَطم سِنَانًا، فقال عبدُ الله لجِعَالٍ: وأنتَ هُناك؟!

قوله: (على المُرَيسِيع) المُرَيسِيع: ماءٌ[١] بناحية قُدَيدٍ بين مكّة والمدينة، رُوي بالعين والغين، وغزوة المُرَيسيع هي غزوة بني المُصطلق كانت قبل غزوة الخندق، وبعد دُومةِ الجَندل.[٢] ودُومةُ الجَندل بالضمّ، والمحدّثون بالفتح، قال ابن دُرَيد: «هو خطأ»، وهو حِصْن على خمسَ عشرة ليلةً مِن المدينة، ومِن الكوفة على عشر مراحل.[٣]

قوله: (وقَتَل منهم) أي: قَتَل ناسًا منهم، أو بعضًا منهم.

قوله: (جِعالٌ) اسم رجل.

قوله: (وأنت هناك) أي: قال عبد الله على وجه الإنكار: أنتَ في تلك المرتبة وهذا المقام، أي: أنت بحيث تقدِر أنْ تَلطِمَ حليفي.

---

١ ف: ما.

٢ **المُغرب** للمطرّزي، «رسع».

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «دوم».

وقال: ما صَحِبْنَا مُحمَّدًا إلّا لِنُلْطَمَ، واللهِ ما مَثَلُنا ومَثَلُهم إلّا كما قال: سَمِّن كَلْبَك يأكُلْكَ، أمَا والله لئن رجَعْنا إلى المَدِينة لَيُخْرِجَنَّ الأَعزُّ منها الأذَلَّ. عَنَى بالأَعزِّ: نَفْسَه، وبالأذلِّ: رسولَ الله.

ثمَّ قال لقومه: ماذا فعلتُم بأنفسكم؟! أَحْلَلْتُموهم بِلادَكُم، وقَاسَمْتُموهُم أموالَكُم، أمَا والله لو أَمسكتُم عن جِعَالٍ وذَويهِ فَضْلَ الطعَامِ لَمْ يركبُوا رِقابكم ولَأوشكُوا أن يَتَحوَّلُوا عنكم، فلا تُنفِقوا عليهم حتى ينفضُّوا مِن حَول محمَّدٍ، فسمِعَ بذلك زيدُ بنُ أرقمَ وهو حَدَثٌ، فقال: أنت والله الذَّليلُ القليلُ المُبغَضُ في قَومك، ومحمَّدٌ في عزٍّ من الرَّحمنِ وقوَّةٍ من المسلمين، فقال عبدُ الله: اُسْكت فإنَّما كُنتُ أَلعَبُ، فأَخبرَ زيدٌ رسولَ اللهِ، فقال عمرُ: دَعْني أَضْرِبْ عُنقَ المنافق يا رسولَ الله، فقال: «إذَنْ تُرعَدُ آنُفٌ كثيرةٌ بيثرِبَ»، قال: فإن كرِهتَ أن يَقتُله مُهاجريٌّ فَأْمُرْ بِهِ أَنصاريًّا، فقال: «فكيف إذَا تحدَّث الناسُ أنَّ محمَّدًا يَقتُلُ أَصحابَه»، وقالَ عليه السلام لعبد الله: «أنت صاحبُ الكلام الذي بلَغني؟»

قوله: (إلّا كما قال) "ما" مصدريّة، والمَثَل بمعنى القولِ السائر، والضمير مِن "قال" للقائل،[١] أي: ليس المَثَل الذي ينبغي أن يُضرَب لنا ولهم في مِثل هذه الحال إلّا مِثل هذا[٢] القول.

قوله: (لو أمسكتم) أي: لو منعتم.

قوله: (وهو حَدَثٌ) رجل حدَثٌ، أي: شابٌّ، وإذا ذكرتَ السِّنَّ قلتَ: حديثُ السِّنِّ.[٣]

قوله: (آنُفٌ) الآنُف: جمع أَنْفٍ، وهو عبارة عن الاضطراب والخوف، أو عن الغَضَب. والارتعاد: الاضطراب، يقال: أرعَدَه فارتَعَد،[٤] والاسم الرِّعْدة، وأُرعِد الرجلُ؛ أخذَتْه الرِّعدة، وأُرعِدَتْ فَرائِصه[٥] عند الفَزَع.[٦]

---

١ ن: للعائل.
٢ ن: هذ.
٣ الصحاح للجوهري، «حدث».
٤ ن: فارتعدَ.
٥ ن: فرائضه.
٦ الصحاح للجوهري، «رعد».

قال: واللهِ الذي أنزلَ عليك الكِتابَ ما قلتُ شيئًا من ذلك وإنَّ زيدًا لكَاذبٌ، فهو قولُه تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ [المجادلة ٥٨/١٦]، فقال الحاضِرونَ: يا رسولَ الله: شَيخُنا وكَبيرُنا، لا تُصَدِّقْ عليه كلامَ غُلامٍ عسَى أَنْ يكون قَدْ وَهِمَ.

فرُوي أنَّ رسُول الله قال لزَيْدٍ: «لعَلَّك غَضِبْتَ عليه؟» قال: لا، قال: «فلعَلَّه أَخْطَأَ سمْعُك؟» قال: لا، قال: «فلَعَلَّه شُبِّه عليك؟» قال: لا، فلمَّا نزلَتْ لَحِقَ رَسُولُ الله زيدًا من خَلْفِه فعَرَكَ أُذنَه وقَال: «وَفَتْ أُذُنُك يا غلامُ، إنَّ الله قد صَدَّقكَ وكذَّب المنافِقينَ».

ولمَّا أرَادَ عبْدُ الله أَن يَدخل المدينةَ: اعترضَهُ ابنُه حُبَابٌ -وهو عبد الله بنُ عبدِ الله، غيَّر رسُولُ الله اسْمَه وقال: «إنَّ حُبَابًا اسمُ شَيطانٍ»، وكان مُخْلِصًا- وقال: ورَاءكَ، واللهِ لا تَدخُلُهَا حَتَّى تقولَ: رسولُ الله الأَعزُّ وأَنا الأَذَلُّ، فلم يزَل حَبِيسًا في يدِهِ حتَّى أمرَهُ رسُولُ الله بتخليَته.

وروي أنَّه قال له: لئِن لم تُقِرَّ للهِ ورسُوله بالعزِّ لأَضربنَّ عُنقك، فقال: وَيحكَ أَفاعِلٌ أنت؟ قال: نَعَم، فلمَّا رأى مِنه الجدَّ قال: أَشهدُ إنَّ العِزَّة لله ولرسُوله وللمؤمنين، فقال رسول الله لابنه: «جزاك الله عن رسُوله وعن المؤمنين خيرًا».

قوله: (وَهِمَ) أي: غلِطَ. يقال: وهِمْتُ -بالكسر- أوهَمُ وَهْمًا؛ إذا غلِطْتَ. ووهَمْتُ في الشيء أهِمُ وَهْمًا؛ ذهب وَهمي[1] إليه.[2]

قوله: (قال له) أي: لزيد.

قوله: (فَعَرَكَ أُذنَه)[3] وعَرْكُ رسولِ الله عليه السلام[4] أُذُنَ زيد بن أرقم كان بطريق التلطُّف، ونوعٌ مِن المِزاح لإكرامه. والعَرْك: الدَّلْك.

قوله: (وَفَتْ[5] أُذُنك)[6] أي: ما أخطأ سمْعُك.

قوله: (وراءَك) أي: تأخَّر، أي: ارجعِ القَهقَرى.

---

[1] ن: وهمن.
[2] الصحاح للجوهري، «وهم».
[3] ن + أي.
[4] ف: صلّى الله عليه وسلّم.
[5] ن: دفت.
[6] انظر: أسباب النزول للواحدي، ص ٤٥٠.

فلمَّا بانَ كِذْبُ عبدِ الله قيلَ له: قد نزلت فيكَ آيٌ شدَادٌ، فاذْهَب إلى رسُول الله يَسْتَغفِرْ لكَ، فلوَى رَأسه ثُمَّ قال: أمَرْتُموني أن أُومِن فآمَنْتُ، وأَمَرْتمُونِي أَن أُزكِّي مالي فَزَكَّيتُ، فما بَقِي إلَّا أن أَسْجُدَ لمحمَّد! فنَزلت ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ ولم يَلْبَثْ إلَّا أيَّامًا قَلائلَ حتَّى اشتكَى ومَاتَ.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الاستغفارُ وعدمُه؛ لأنَّهم لا يَلتَفِتُون إليه ولا يعتَدُّون به لِكُفرهم، أو لِأنَّ الله لا يَغفرُ لهُم.

وقرئ: "اسْتَغْفَرْتَ" على حذف حرْفِ الاستفهام لِأنَّ ﴿أَمْ﴾ المعادلةَ تدلُّ عليه، وقرأ أبو جَعْفرٍ: "آستغفرت" إشبَاعًا لهمزة الاستفهام للإظهار والبيانِ، لا قلبًا لِهمْزة الوصل ألفًا كما في: ﴿آلسِحْرُ﴾ [يونس ٨١/١٠] و﴿ءَآللَّهُ﴾ [يونس ٥٩/١٠ والنمل: ٥٩].

﴿يَنفَضُّواْ﴾: يتفرَّقوا، وقرئ: "يُنْفِضُوا" من أَنفَضَ القومُ: إذا فَنِيتْ أزوادهُم، وحقيقتُه: حان لهم أن يَنفُضُوا مَزاوِدَهُم.

قوله: (حتّى اشتكى)[1] أي: مرِضَ.

قوله: (إشباعًا لهمزة الاستفهام) يريد: أنّ القراءة بالمدّ[2] لإشباع همزة الاستفهام، وذلك للبيان، وليس بطريق القلب كما في "آلحَسَنُ؟"، فإنّه إذا دخل همزة الاستفهام على الاسم المعرَّف باللام[3] قُلبت همزة الوصل ألِفًا؛ لئلّا يلتبس الخبر بالاستِخبار، وأمّا هنا فلا لَبْسَ؛ لأنّ همزة الوصل هنا مكسورة، فلا يَلتَبِس.

قوله: (و﴿ءَآللَّهُ﴾ [يونس ٥٩/١٠]) ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ/ لَكُمْ﴾ [يونس ٥٩/١٠]. [٤٠٦ظ]

قوله: (أن يَنْفُضُوا) نَفَضْتُ الثوبَ والشجرَ أنفُضُه نَفْضًا؛ إذا حرّكته ليتَنفِضَ.[4]

---

[1] ن: استكى.

[2] القراءة "آسْتَغْفَرتَ" بالمدّ قراءة شاذّة، رواها النهرواني عن ابن شبيب عن الفضل عن عيسى بن وَردان عن أبي جعفر. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٨٨/٢؛ وشواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٧٤.

[3] ن: بالّام.

[4] الصحاح للجوهري، «نفض».

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وبيدِه الأرزاقُ والقِسَمُ، فهُو رَازقُهم منها وإنْ أَبى أهلُ المدينةِ أن يُنفِقوا عليهم، ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ عبدَ الله وأضرابَه جاهِلون ﴿لَا يَفۡقَهُونَ﴾ ذلك، فيَهْذُونَ بما يُزيِّن لهُم الشَّيطانُ.

وقرئ: "لَيَخْرُجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ" بفتح الياء، و: "لَيُخْرَجنَّ" على البناء للمفعُول.

وقَرأَ الحسَنُ وابنُ أَبي عَبْلةَ: "لنُخرِجَنَّ" بالنون ونَصْبِ الأَعزِّ والأذلِّ، ومَعناه: خروجَ الأذلِّ، أو: إخراجَ الأذلِّ، أو: مثلَ الأذلِّ.

قوله: (وأضرابَه) أي: أمثالَه.

قوله: (وقُرئ: "لَيَخْرُجَنَّ الأَعَزُّ")... إلخ المراد بـ"الأعَزّ" في هذه القراءات[١] رسولُ الله عليه السلام.[٢] ثمّ فسّر بقوله: (ومعناه)... إلخ كلَّ واحد مِن القراءات بما يناسبه.

وفي الكلام لفّ ونشر، فقوله: (خَرْجَ[٣] الأذَلّ)[٤] متعلّق بالأوّل، أي: لَيَخْرُجَنَّ[٥] الأعزُّ خَرْجَ الأذلِّ.[٦] وقوله: (أو إخراجَ) متعلّق بالثاني، أي: لَيُخْرَجَنَّ[٧] الأعَزُّ إخراجَ الأذلِّ،[٨] ومتعلّق أيضًا بالثالث، وهو قراءة الحسن، أي: لَنُخرِجَنَّ[٩] الأعزَّ إخراجَ الأذَلِّ،[١٠] وعلى هذا يكون[١١] نصب "الأذَلَّ"[١٢] في هذه القراءات على المصدر.

ثمّ أشار[١٣] المصنّف بقوله: (أو مِثلَ) إلى أنّه يجوز أن يكون نصبُه على الحال على جميع هذه القراءات الثلاث، فقوله: "أو مِثلَ" عطفٌ على قوله:

---

١ هي قراءات شاذّة؛ أمّا قراءة "لَيَخْرُجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ" فحكاها الكسائي والفرّاء عن بعضِهم، وأمّا قراءة "لَنُخْرِجَنَّ الأَعَزَّ مِنْهَا الأَذَلَّ" فمرويّة عن الحسن وابن أبي عبلة والمفضّل، وأمّا قراءة "لَنُخْرِجَنَّ الأَعَزَّ مِنْهَا الأَذَلَّ" فمرويّة عن الحسن فيما ذكر أبو عمرو الداني. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٧٤؛ و**البحر المحيط** لأبي حيّان، ١٠/١٨٣ (المنافقون، ٦٣/٨).

٢ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ في مطبوع **الكشّاف**: "خروج".

٤ ن: الأذّل.

٥ ن: ليخرجّن.

٦ ن: الأذّل.

٧ ن: ليخرجّن.

٨ ن: الأذّل.

٩ ن: ليخرجّن.

١٠ ن: الأذّل.

١١ ن: لكون.

١٢ ن: الأذّل.

١٣ ن: إشارة.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾: الغلبةُ والقُوَّةُ، ولِمَن أَعزَّه الله وأيَّدهُ من رسُولِهِ ومن المؤمنين، وهم الأَخِصَّاءُ بذلك كما أنَّ المَذلَّةَ والهَوانَ للشيطان وذَويهِ من الكافرين والمنافِقين.

وعن بعضِ الصَّالحات وكانت في هيئَةٍ رثَّةٍ: أَلَسْتُ على الإسلام، وهو العزُّ الَّذي لا ذُلَّ مَعه، والغِنَى الَّذي لا فَقر مَعه؟

وعن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما: أَنَّ رجُلًا قال له: إنَّ الناس يزعمُون أَنَّ فيك تِيهًا، قال: ليس بتِيهٍ ولكنَّه عزَّةٌ، وتلا هذه الآيَةَ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ٩﴾

﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾: لا تَشغَلْكُم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ﴾ والتَّصرُّف فيها، والسَّعيُ في تَدبير أَمْرهَا، والتَّهالُكُ على طلَبِ النَّماء فيها بالتِّجارةِ والاغتلالِ وابتغاءِ النِّتاج والتلذُّذِ بها والاستمتاعِ بِمنافِعها.

﴿وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ﴾ وسُرُورُكم بهم، وشفَقتُكم عليهم، والقيامُ بِمُؤَنِهم وتَسوِيَةِ ما يُصْلِحُهم من مَعايشهم في حَيَاتكم وبَعد ممَاتِكُم، ....

"معناه"... إلخ، وهذا هو المعنى الصحيح، لا ما قُيِّدَ بالرَّقْم مِن أنَّ الأوّل[1] متعلِّقٌ بالأوّل، والثانيَ بالثاني، والثالثَ بالثالث،[2] فإنّه فاسد يَظهر بالتأمّل.

قوله: (مِن رسوله) بيان (مَن).

قوله: (مِن الكافرين) بيان (ذَويه).

قوله: (لا تَشغَلْكُم) شَغَلْتُ فلانًا، فأنا شاغِل، ولا تَقُل:[3] أشْغَلْتُه، فإنّها لغة رديَّة.[4]

قوله: (والاغتلال) الغَلّة: كلّ ما يحصُل مِن رَيْعِ أرض أو كِراها أو أُجرةِ غلام أو نحوِ ذلك، وقد أغلّت الضَّيعةُ[5] فهي مُغِلّة، أي: ذات غَلّة.[6]

---

١ ف: الأولى.

٢ ن: الثالث.

٣ د: يقل.

٤ **الصحاح** للجوهري، «شغل».

٥ ن: الصيغة.

٦ **المُغرب** للمطرّزي، «غلل».

وقد عَرفْتُم قَدْرَ مَنفعَةِ الأَمْوالِ والأولادِ، وأنَّه أَهوَنُ شيءٍ وأَدْوَنُه في جَنب ما عند الله ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وإيثارِه عليها.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يُريد: الشُّغْلَ بالدُّنيا عن الدِّين.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ في تجارَتهم حيثُ باعُوا العظيمَ الباقيَ بالحقير الفاني.

وقيل: ذكرُ اللهِ: الصَّلواتُ الخَمسُ.

وعن الحسن: جميعُ الفرائض؛ كأنَّه قال: عن طاعةِ الله.

وقيل: القرآن.

وعن الكلبي: الجهاد مع رسول الله.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾

"مِن" في ﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ لِلتَّبعيض، والمرادُ: الإنفاقُ الواجبُ.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: من قَبْلِ أَن يَرَى دلائلَ المَوتِ، ويُعَاينَ ما ييأسُ معَه من الإمْهالِ، ويضيقَ به الخِناقُ، ويتعذَّرَ عليه الإنفاقُ، ويفوتَ وقتُ القبول، فيتحسَّرَ على المنع ويَعَضَّ أنامِلَه على فَقْدِ ما كان مُتمكِّنًا منهُ.

قوله: (**وقد عرفتم**) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن ١٥/٦٤].

قوله: (**عن ذكر الله**) أي: لا يشغلكم عن ذكر الله، وعن إيثارِ ذكرِ الله على الأموال والأولاد.

قوله: (**ويَضيقَ به الخُناقُ**)[١] الباء في "به" للسببيّة، و"الهاء" يعود إلى "ما"، أي: يضيق بسببه الخُناق.[٢] والخَنِقُ -بكسر النون- مصدر قولك: خَنَقَه[٣] يَخْنُقُه،[٤]

---

١ ن: الخنّاق.
٢ ن: الخنّاق.
٣ ن: حنقة.
٤ ن: يحنقه.

وعن ابن عبَّاس: تَصَدَّقُوا قَبل أن يَنزلَ عليكم سُلطانُ الموتِ فلا تُقبَلَ تَوبةٌ ولا يَنفَعَ عمَلٌ.

وعنه: ما يَمنعُ أَحدَكم إذا كان له مالٌ أن يُزَكِّيَ، وإذا أطاق الحجَّ أن يحُجَّ، من قَبْل أَنْ يَأْتِيَه المَوْتُ فيَسأَلَ ربَّه الكرَّةَ فلا يُعْطَاهَا.

وعنه: أَنَّها نزلَت في مانِعي الزَّكاة، ووالله لو رَأى خَيْرًا لَمَا سأل الرَّجعة، فقيل له: أَمَا تَتَّقِي اللهَ، يسأَلُ المؤمنون الكرَّةَ؟ قال: نعَم، أنا أَقرأُ عليكُم به قرآنًا.

يعني: أَنَّها نزلَت في المؤمنِينَ، وهم المخاطَبُونَ بها، وكذا عن الحَسن: ما من أحَدٍ لم يُزَكِّ ولم يَصُمْ ولم يحُجَّ إلَّا سَأَلَ الرَّجْعة.

وعن عكرمة: نزلت في أهل القِبلة.

﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ وقرئ: "أَخَّرْتَنِ".

وموضعه مِن العُنُق مُخَنَّق بالتشديد، وكذلك الخُناق بالضمّ، يقال: أخذ بِخُناقه، والخِناق -بالكسر-: حَبْل يُخنَق[1] به.[2]

قوله: (ما يمنع؟) أي: أيّ شيء؟

قوله: (الكَرّةُ) "الكَرّة": الرجعة، أي: المرّة مِن الرجوع.

قوله: (فقيل له: أما تتّقي الله؟)[3] يعني: قيل لابن عبّاس: كيف تقول:[4] إنّ المؤمنين يسألون الرجعة إلى الدنيا؟ فإنّ حال المؤمنين في الآخرة خير مِن حالهم في الدنيا، فكيف يَسألون الرَّجعة إلى الدنيا؟ أما تخاف الله في أن تقول هذا الكلام في حقّ المؤمنين؟ فقال ابن عبّاس رضي الله عنهما:[5] «أنا أقول هذا الكلام مِن القرآن»، يعني هذه الآية.

قوله: (في أهل القِبلة) أي: أهلِ الإسلام.

---

١ ن: يحنق.

٢ الصحاح للجوهري، «خنق».

٣ انظر: جامع البيان للطبري، ٦٧٢/٢٢ (المنافقون، ١٠/٦٣).

٤ ن: يقول.

٥ د ن - رضي الله عنهما.

يُريد: هَلَّا أخَّرتَ موتِي ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: إلى زمانٍ قليلٍ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾، وقرأ أبيٌّ: "فأتصدَّقَ" على الأصل.

وقرئ: ﴿وَأَكُن﴾ عطفًا على محلِّ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ كأنّه قيل: إن أخَّرتَني أصَّدَّقْ وأكُنْ، ومَن قرأ: ﴿وأكونَ﴾ على النَّصب فعلى اللَّفظ.

وقرأ عُبيدُ بن عُميرٍ: "وأكونُ" على: وأنا أكونُ، عِدَةٌ مِنه بالصَّلاح.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ﴾ نفيٌ لِلتأخِير على وجه التأكيد الذي معناه مُنافاةُ المنفيِّ الحكمةَ، والمَعنى: إنّكم إذا علِمْتم أنَّ تأخير المَوتِ عن وقتِهِ ممَّا لا سبيلَ إليْه، وأنّه هاجِمٌ لا مَحالةَ، وأنَّ الله عليمٌ بأعمالكم فمُجَازٍ عليها مِن منْعِ واجبٍ وغيْرِه، لم تبقَ إلا المُسارعَةُ إلى الخرُوج عن عُهدةِ الواجباتِ والاستعدادُ لِلقاءِ الله.

وقرئ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء.

قوله: (﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى زمان قريب)[1] واعلم أنّه قد مرّ أنّ "الأجَل" يقع على المدّة كلِّها، وعلى آخر المدّة، يقال لِعُمر الإنسان: أجَلٌ، وللموت الذي ينتهي به: أجلٌ. فالمصنّف رحمه الله[2] حمَل "الأجَلَ" هنا على جميع المدّة، لا على / الجزء الأخير، بدليل قوله: "إلى زمان"، ولذلك فسّر "القريب" بالقليل، ولو فسّر "الأجل" بالجزء الأخير لَما احتاج إلى تفسير "القريب" بالقليل، ولَكان أظهرَ مِن حيث المعنى، ولَكان مناسبًا لقوله: ﴿أَخَّرْتَنِىٓ﴾، فإنّ التأخير إلى جميع المدّة لا معنى له إلّا بتقدير المضاف، أي: إلى انتهائه، ولا حاجةَ إلى هذا التفسير المُلجِئ[3] إلى هذا التقدير. [٤٠٧و]

---

[1] في مطبوع الكشّاف: قليل. وهو الصحيح، ويدل عليه قول المؤلف فيما بعد: «ولذلك فسر "القريب" بالقليل».

[2] د ن - رحمه الله.

[3] ف ن: الملجى.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قَرأ سُورةَ المنافقين بَرئَ من النفاقِ».

قوله: (بَرِئَ) وذلك لأنَّه إذا تأمَّل السورة وعَلِمَ وَبالَ النِّفاق وسوءَ[١] عاقبته أخلصَ الدين لله تعالى وجانَبَ النفاق.

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنِّه وكرَمه.[٢]

---

١ ن: وهو في.

٢ ف - السورة بحمد الله تعالى ومَنّه وكرمه.

سورة التغابن

مدنية، وقيل: مكيّة إلَّا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ﴾ الآيات الثلاث.
وهي ثماني عشرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾

قُدِّمَ الظَّرْفانِ ليُدَلَّ بتَقديمهما على معنى اختصاصِ المُلك والحمْدِ بالله عزَّ وجلَّ،

سورة التغابن

مختلَف فيها

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: (مُختلَفٌ)[٢] أي: اختُلِفَ[٣] في أنّها مكّيّة أو مَدنيّة.

قوله: (بتقديمهما)[٤] أي: بتقديم الظرفَين.

قوله: (على معنى اختصاص) يجوز أن يكون مِن إضافة العامّ[٥] إلى الخاصّ للبيان، فكأنّه قيل: على المعنى الذي هو اختصاص، وإنّما قال كذلك -ولم يَقُلْ: على اختصاص- لسلوك نوع مِن طريقَي[٦] الإجمال والتفصيل.[٧] ويجوز

١ ف - وبه نستعين.
٢ ليست موجودة في مطبوع الكشّاف.
٣ ف: اختلَف.
٤ ن: بتقديمها.
٥ ن: العَام.
٦ ن: طريق.
٧ ن: والتفضيل.

وذلك لأن المُلك على الحَقيقة له لأنه مُبْدئ كلِّ شيءٍ ومُبْدِعُه والقائمُ به والمُهيمنُ عليه، وكذلك الحمدُ لأن أُصُول النِّعم وفرُوعَها مِنْه.

وأمَّا مُلكُ غيْرِه فتَسْليطٌ مِنْه واستِرْعاءٌ، وحمْدُهُ اعتدادٌ بأنَّ نعمةَ الله جرَتْ على يدِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ يَعْنِي: فمِنكم آتٍ بالكفر وفاعلٌ له ومنكم آتٍ بالإيمان وفاعلٌ له؛ كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد ٢٦/٥٧]، والدَّليلُ عليه قولُه:

أن يكون المراد: قُدِّم الظرفان ليُدَلَّ[1] على معنى[2] قولك: اختَصَّ المُلكُ بالله تعالى، واختصَّ الحمد لله تعالى.

قوله: **(وذلك)** إشارة إلى تقديم[3] الظرف للدلالة، فعَلَّلَ التقديم بالدلالة، ثمّ علّلَ هذا المجموع بقوله: **(لأنَ المُلك)**، فكأنّه قال: التقديم المُعلَّل بالدلالة إنّما كان لأنّ المُلكَ...

قوله: **(والمهَيمِنُ)** أي: الرقيب.

قوله: **(فتسليطٌ منه)** أي: تسليطٌ مِن الله تعالى، فقوله:[4] "منه" صفة "تَسليط". وقوله: **(استِرعاء)** أي: استِرعاء منه تعالى، وحذف ذلك لِدلالة ما قبله عليه، فإنّ الله تعالى سلَّطَهم، وطلَبَ منهم الرعاية. وقوله: **(وحَمْدُه)**... إلخ عطفٌ على جملة قوله: **(وأمّا مُلكُ)**... إلخ والضمير للغير، وهو مضاف إلى المفعول، و"الباء" صِلة الاعتداد،[5] أو للسببيّة[6] وصِلتُه محذوفة.[7]

قوله: **(والدليل عليه)** أي: على أنّ المعنى: منكم فاعلٌ للكفر، ومنكم

---

[1] ن: ليدّل.

[2] ن: معني.

[3] ن: لقت.

[4] ن: فتقوله.

[5] ف: لاعتداد.

[6] ن: وللسببيّة.

[7] ن: مخذوفة.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ أي: عالمٌ بكفركم وإيمانكُم اللَّذَيْنِ هُما مِن عَملِكم.

والمَعنى: هو الَّذي تَفضَّلَ عليكم بأَصْلِ النِّعم الَّذي هو الخلْقُ والإيجادُ عن العَدم، فكان يجبُ أَن تَنظُروا النَّظَرَ الصَّحيحَ وتَكُونوا بأَجْمعكُم عِبَادًا شاكِرين، فمَا فَعَلْتُم مع تمَكُّنِكُم، بل تشعَّبتُم شُعَبًا وتفرَّقتُم أُمَمًا ﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾ وقَدَّم الكفرَ لِأَنَّه الأَغْلبُ عليهم والأَكثرُ فيهم.

وقيل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ﴾ بالخَلْقِ وهم الدَّهريَّةُ ﴿وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾ به.

فإن قلتَ: نعَم إنَّ العِبادَ هُم الفاعلُون للكُفر، ولكن قَد سَبَق في عِلم الحكيم أنه إذا خلَقَهُم لم يفعَلُوا إلَّا الكُفر ولم يختَارُوا غَيرَهُ، فما دَعَاه إلى خلْقِهم مَع علمهِ بما يكُون منهم، وهل خَلْقُ القبيح وخلْقُ فاعِلِ القبيح إلَّا واحِدٌ، وهَل مَثَلُه إلَّا مَثَلُ مَن وَهبَ سَيْفًا باتِرًا لمَن شُهِرَ بقَطعِ السَّبيلِ وقَتلِ النَّفس المُحرَّمة فقَتل به مُؤمنًا، أَمَا يُطْبِقُ العُقلاءُ على ذمِّ الواهبِ وتعنيفهِ والدَّقِّ في فَرْوته كما يَذُمُّون القاتلَ، بل إنحاؤُهم باللَّوائم على الواهبِ أشدُّ؟

فاعلٌ للإيمان.[1] يريد المصنّف بهذا الكلام إثبات مذهبه مِن أنّ العبد خالق لأفعاله، ففسَّره بما فسَّره ثمّ أيّده بما ذكَره. وأمّا أهل السُّنّة فيقولون في تفسيره: خلقكم كافرين ومؤمنين. قال الواحدي في **الوسيط**: «قال الوالبي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما:[2] 'إنّ الله تعالى خلقَ بني آدم مؤمنًا وكافرًا، ثمّ يُعيدهم يوم القيامة كما خلَقهم[3] مؤمنًا وكافرًا'. قال الزَّجّاج: 'جاء في التفسير أنّ يحيى بن زكريّا خُلِقَ في بطن أمّه مؤمنًا، وخُلِقَ فِرعون في بطن أُمّه كافرًا'».[4]

/ قوله: **(باتِرًا)** أي: قاطعًا. وقوله: **(في فرْوَتِه)** أي: في جِلْدة رأسه. [٤٠٧ظ]

قوله: **(إنْحاؤهم)**[5] أي: إقبالهم. واللائمة:[6] المَلامة، وكذلك اللَّوْمَى[7] على فَعْلَى،

---

١ ن: الإيمان.

٢ د ن - رضي الله عنهما.

٣ ن: خلفهم.

٤ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣٠٦/٤ (التغابن، ٢/٦٤). وانظر: **معاني القرآن** للزجّاج، ١٧٩/٥.

٥ ف: انخاؤهم.

٦ ن: والائمة.

٧ ضبطه بعضُهم بالضمّ، وهكذا هو في بعض نُسخ **الصحاح**. **تاج العروس** للزبيدي، «لوم».

قلتُ: قد عَلِمنا أنَّ الله حكيمٌ عالمٌ بقُبْحِ القَبيح عالمٌ بغِناهُ عنه، فقد عَلِمنا أنَّ أفعاله كلَّها حسَنةٌ وخَلقُ فاعِل القبيحِ فِعْلَهُ، فوجَبَ أن يكُون حسَنًا وأن يكُون له وجْهُ حُسنٍ، وخَفاءُ وجه الحُسنِ علينا لا يَقدَحُ في حُسْنه كما لا يقدَحُ في حُسْن أكثر مخلُوقاته جَهْلُنا بدَاعي الحِكمة إلى خَلْقها.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالغَرَض الصَّحيح والحكمةِ البالِغةِ، وهو أن جَعَلها مَقَارَّ المُكلَّفين ليَعْملُوا فيُجازِيَهم.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ -وقرئ: "صِوَرَكم" بالكسر- لِتَشكُروا، وإليه مَصيرُكم فجَزاؤكم على الشُّكر والتَّفريطِ فيه.

فإن قلتَ: كيف أَحسنَ صُوَرَهُم؟

قلتُ: جَعَلهُم أَحسَنَ الحَيوانِ كلِّه وأَبهَاه، بدليلِ أن الإنسان لا يَتمنَّى أنْ

يقال: ما زِلْتُ أتجرَّع فيكَ اللوائمَ.[1]

قوله: **(فِعْلَه)** الظاهر أنّ الضمير منه يعود إلى الله تعالى؛ بل هذا مُتعيّن لا يجوز غيره، ويدلّ[2] عليه الفاء في قوله: **(فوَجَب)**.

قوله: **(وخَفاءُ وجه)**...[3] إلخ وبهذا يَبطُل مذهبُه، بأن نقول: الله خلق الإيمان في المؤمِن ويُثيبُه، ويَخلُق الكفر في الكافر ويعاقبه، ولهذا وجه حسَن خفيَ علينا. لِمَ قلتم: إنّه ليس كذلك؟ لا بدَّ له مِن دليل، وقد اقتضى كلامُكم هذا جوازَ ذلك.

قوله: **(فجزاؤكم)** عطفٌ على قوله: **(مصيرُكم)**. و**(على الشكر)** متعلّق بقوله: "فجزاؤكم"، فكأنّه قال: فُوِّضَ إليه -أو انتهى إليه- جزاؤكم على الشكر، وعلى التفريط في الشكر.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «لوم».

٢ ن: ويدّل.

٣ ن + وجه.

تكون صُورتُه على خِلافِ ما يرَى من سائر الصُّور، ومن حُسن صُورَته أنَّه خُلِقَ مُنْتصِبًا غيرَ مُنكبٍّ كما قال عزَّ وعلا: ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين ٩٥/٤].

فإن قلتَ: فكَم من دَميمٍ مُشوَّهِ الصُّورة سَمجِ الخِلْقة تقتَحمُهُ العُيُون؟

قلتُ: لا سَماجَةَ ثَمَّ، ولكنَّ الحُسنَ كغيره من المعاني على طبقاتٍ ومراتبَ، فلانحطاطِ بَعْضِ الصُّور عن مَراتبِ ما فَوْقَها انحِطَاطًا بيِّنًا وإضَافتِها إلى المُوفَّى عليها لا تُستمْلَحُ، وإلَّا فَهِي داخِلةٌ في حَيِّزِ الحُسْن غَيْرُ خارِجةٍ مِن حَدِّه.

ألَا تَرى أنَّك قد تُعجَبُ بصُورَةٍ وتَستَملِحُها ولا تَرَى الدُّنيا بها، ثمَّ تَرَى أَملَحَ وأَعْلى في مَراتب الحُسن، فيَنْبُو عن الأولى طَرْفُك وتَستثقِلُ النظرَ إليها بَعْد افْتِتانِك بها وتَهالُكِك عَليْها، وقالَت الحكماءُ: شيئانِ لا غايَةَ لهُما: الجَمالُ والبَيانُ.

قوله: **(تَقْتَحمُه)** أي: تَزدَريه.

قوله: **(وإضافتِها)** أي: إضافةِ بعض الصور. وإنّما أنّث لتأنيث المضاف إليه، أو لأنّ بعض الصورةِ صورة، أو لأنّ المراد ببعض الصورة[١] صُورٌ كثيرة. وقوله: **(إلى الموفَّى عليها)** أي: إلى الصورة الموفَّى عليها، وليس في "الموفَّى" ضمير؛ بل هو مستنَد إلى الظرف.

قوله: **(وإلّا)** أي: وإن لم يكن هذه الإضافة لَما كان عدم الاستملاح، ولَما اقتحمَته العيون؛ لأنّ هذه الصورة داخلة في حيّز الحسن.[٢] والمراد بـ"الموفَّى عليها" هي التي أتمَّ الله حُسنها، يقال: وَفَى الشيءُ وُفِيًّا على فُعول، أي: تَمَّ وكثُر.

قوله: **(ولا ترى الدنيا بها)** أي: لا ترضى أن يكون لك الدنيا[٣] بعوضِها وفي مقابَلتها. وهذه "الباء" مثلها في قولك: بِعْتُ هذا بهذا.

قوله: **(فيَنبُو)** نَبا الشيءُ عنه يَنبو؛ تجافَى وتباعَد، وأنبَيتُه؛ دفعْتُه.[٤]

---

١ ف: الصور.

٢ ن: الحسَن.

٣ ن - فعول، أي: تمّ وكثُر. قوله: (ولا ترى الدنيا بها) أي: لا ترضى أن يكون لك الدنيا.

٤ الصحاح للجوهري، «نبا».

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾

نَبَّه بعِلمِهِ ما في السَّماوات والأرضِ ثُمَّ بعِلمهِ ما يُسِرُّهُ العبَادُ ويُعْلِنُونَه ثمَّ بعلمِهِ ذوَاتِ الصُّدُور: أَنَّ شيئًا من الكُليَّاتِ والجزئياتِ غيرُ خَافٍ عليه ولا عَازِبٍ عنه، فحقُّه أن يُتَّقى ويُحذَرَ ولا يُجتَرأَ على شيءٍ مما يُخالِف رِضاه.

وتكرِيرُ العِلمِ في مَعْنى تكريرِ الوعيدِ، وكُلُّ ما ذكَره بعْدَ قوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ كما ترى في مَعنى الوَعيدِ على الكُفرِ وإنْكارِ أن يُعْصَى الخالِقُ ولا تُشكَرَ نِعْمتُه، فمَا أَجْهَلَ مَن يَمْزُجُ الكُفرَ بالخَلْقِ ويَجعَلُهُ من جُملتهِ، والخَلْقُ أعظَمُ نِعمةٍ من الله على عبادهِ، والكُفرُ أعظم كُفرانٍ من العباد لرَبِّهم!

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥﴾

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ الخطابُ لكفَّار مكَّةَ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكِر من الوَبال الَّذي ذَاقُوه في الدُّنيا وما أُعِدَّ لهُم من العذاب في الآخرة ﴿بِأَنَّهُۥ﴾: بأنَّ الشَّأنَ والحديثَ ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم﴾.

﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكرُوا أن يكون الرُّسُلُ بَشرًا ولم يُنكِرُوا أن يكُون اللهُ حَجرًا.

﴿وَٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ أُطلِق ليَتناوَلَ كلَّ شيءٍ، ومن جُمْلَته إيمانُهم وطَاعتُهم.

قوله: (مَن يَمْزُجُ الكفر) أي: يقول: الكفر مِن جملة خَلْقِ الله تعالى، وهذا مذهب أهل السنّة والجماعة. ونحن نقول: يجوز أن يخلُقَ الكفر فيهم ويوعِدُهم عليه لِحكمةٍ يَعلمُها ولا نَعلمُها.[١] وهذا بناء على مذهبه، وأمّا على طريقة أهل السُّنّة والجماعة فلا يَرِد شيء مِن ذلك، فإنّه يفعل ما يشاء[٢] ويَحكم ما يريد.

---

[١] ن: ولا تعلمها.

[٢] ف: يشا.

فإن قلتَ: قوله: ﴿وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ﴾ يُوهِم وجُودَ التَّولِّي والاستغناءِ معًا، والله تعالى لم يَزلْ غنيًّا!

قلت: مَعناه: وظهر استغناءُ الله حيث لم يُلجِئْهُم إلى الإيمانِ ولم يَضطرَّهُم إلَيْه مع قدرَتِه على ذلك.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٨﴾

"الزَّعْمُ": ادِّعاءُ العلم: ومنه قولُه عليه السَّلام: «زَعَمُوا مَطيَّةُ الكَذِب».

وعن شُرَيحٍ: لكلِّ شيءٍ كُنيةٌ، وكُنيَةُ الكَذبِ: زعموا.

ويتعَدَّى إلى مفعولين تعدِّيَ العِلم، قال:

ولَـم أَزعُـمكَ عَـن ذاك مَـعْـزلَا

و﴿أَن﴾ مَعَ مَا في حَيّزه قائمٌ مقامَهما، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أَهْلُ مكَّة.

و﴿بَلَىٰ﴾ إثباتٌ لِمَا بعْدَ ﴿لَن﴾ وهو البَعثُ.

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾؛ أي: لا يَصْرِفُه عنه صَارفٌ.

وعَنى بـ﴿وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ﴾: محمدًا صلى الله عليه وسلم والقرآنَ.

قوله: (**وظهر استغناء الله**) لأنّه لو لم يكن مستغنيًا عن إيمانهم لاضطرَّهم إلى الإيمان.

قوله: (**ومنه قوله عليه السلام: «'زَعَموا' مَطِيَّةُ الكذب»**)[1] أي: هذا القول مَطيّةُ الكذب، فإنّ مَن أراد أن يَكذِبَ يقول: زَعموا كذا، وقالوا كذا. وقال ابن السِّكِّيت: «يقال للأمر الذي لا يُوثَق به: مَزْعَمٌ، أي: يَزْعُم هذا أنّه كذا، ويزعم هذا أنّه كذا».[2]

قوله: (**مَعْزِلًا**) يقال: هو بِمَعْزِل، أي: بمكان بعيد.

---

١ قال الزيلعي: «غريب بهذا اللفظ، والموجود في الحديث: 'بِئسَ مَطيّة الرجل: زَعَموا'». **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ٤/٤١. وحديث: «بِئسَ مَطيَّةُ الرَّجل: زَعَمُوا» في **سنن أبي داود**، ٣٢٨/٧ (٤٩٧٢).

٢ **الصحاح** للجوهري، «زعم».

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠﴾

وقرئ ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ و﴿يُكَفِّرْ﴾ و﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون.

فإن قلتَ: بمَ انتصب الظَّرْفُ؟

قلتُ: بقوله: ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾، أو بـ﴿خَبِيرٌ﴾ لِمَا فيه من مَعنى الوعيد؛ كأنَّه قيل: واللهُ معاقبُكُم يومَ يجمَعُكُم، أو بإضمار: اذْكُرْ.

﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾: ليومٍ يُجمَعُ فيه الأوَّلون والآخِرُون.

"التَّغابن": مُستعَارٌ من تَغابُنِ القومِ في التِّجارَة -وهو أن يَغبِنَ بَعضُهم بعْضًا-

---

قوله: (**فإنْ قلتَ: بِمَ انتصب الظرف؟**) أي: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾.

قوله: (**لِما فيه**) وإنّما قال: "لِما فيه" لأنّه لا يَحسُن تعلُّقه بظاهر ﴿خَبِيرٌ﴾؛

[٤٠٨و] لأنّه تعالى / خبير في جميع الأوقات، فتقييد كونه خبيرًا بيوم يَجمعُكم يوهِم[1] أنّه ليس خبيرًا في غير ذلك اليوم، فقال المصنّف دفعًا لهذا السؤال: إنّ معناه الوَعيد، فكأنّه قيل: يَعِدُكم أو يجازيكم يومَ يجمعُكم.

قوله: (**ليومٍ يُجمَع**) أي: لِحسابٍ أو لِجزاءٍ[2] يومٍ يُجمع فيه.

قوله: (**وهو أن يَغبِنَ**) أي: التغابُن: أن يَغبِن -أي:[3] يَخدَع- بعضهم بعضًا في البيع، فيُلحِقَ به الخُسران.[4] قال في **الصحاح**: «الغَبْن -بالتسكين- في البيع، والغَبَن في الرأي، يقال: غَبَنْتُه في البَيع بالفتح، أي: خَدَعته، وقد غُبِنَ فهو مَغبون، وغَبِنَ رأيَه -بالكسر- إذا نقصه فهو غَبينٌ، أي: ضعيف الرأي، وفيه[5] غَبانة.[6]

---

١ وفي هامش د: قال: "إنّما يوهم" لأنّه لا يدلّ عليه.
٢ ن: الجزاء.
٣ ن: أن.
٤ ن: الخيران.
٥ ن: فيه.
٦ **الصحاح** للجوهري، «غبن».

لِنزُول السُّعداءِ مَنازلَ الأشقياءِ التي كانوا يَنزِلُونها لو كانُوا سُعدَاءَ، ونُزُولِ الأشقياء منازلَ السُّعداءِ التي كانوا يَنْزِلُونها لو كانوا أشقيَاءَ، وفيه تهَكُّمٌ بالأشقياء لأنَّ نزُولَهم ليس بغَبْنٍ.

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما مِن عَبْدٍ يَدخلُ الجَنَّة إلَّا أُرِيَ مَقعَدهُ من النَّارِ لو أَساء ليَزدادَ شُكرًا، وما مِن عَبْد يَدخُلُ النَّارَ إلَّا أُرِيَ مَقعَدَه من الجنَّةِ لو أَحسَن ليزداد حَسْرةً».

ومعنى ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ -وقد يَتغابَنُ النَّاسُ في غير ذلك اليَوْمِ-: استعظامٌ لَه، وأَنَّ تَغابُنَهُ هو التَّغابُنُ في الحقيقة لا التغابُنُ في أُمُور الدُّنيا وإن جَلَّتْ وعَظُمتْ.

﴿صَٰلِحًا﴾ صفةٌ للمصدر؛ أي: عملًا صَالحًا.

قوله: **(لأنّ نزولهم)** أي: في النار. وقوله: **(ليس بغَبْن)** لأنّهم لا يَغْبِنون أهل الجنّة.

قوله: **(وفي حديث رسول الله عليه السلام)**...[1] إلخ هذا بيانٌ وتقريرٌ لقوله: **(لنزول السُّعداء)**... إلخ.

قوله: **(وقد يتغابن)** جملة معترضة.

قوله: **(استعظام له)** أي:[2] لتغابُن ذلك اليوم، أو لذلك اليوم.

قوله: **(وأنّ تغابُنَه)** عطفٌ على قوله: "استعظامٌ"، وفيه حذف، أي: وبيان أنّ تغابُنَه... إلخ. ولا يجوز أن يكون عطفًا على الضمير المجرور؛ إذ لا يستقيم ذلك لفظًا ولا معنًى.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ استثناءٌ مُفرَّغ منصوب المحلّ على الحال، أي: ما أصاب مصيبةٌ مُلتبِسةٌ بشيء مِن الأشياء[3] إلّا بإذن الله.

---

١ ف: صلّى الله عليه وسلّم.
٢ ن: لرأي.
٣ ن: لا يشاء.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: إلَّا بتَقْديرِه ومشيئته كأنّه أَذِنَ للمُصيبَة أن تُصيبَهُ.

﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾: يَلْطُفْ بهِ ويَشْرَحْهُ لِلازدِيادِ من الطَّاعَة والخَيْرِ.

وقيل: هو الاستِرْجاعُ عند المُصيبَةِ.

وعن الضَّحَّاك: يَهْدِ قَلْبَه حتى يَعْلَم أَنَّ ما أَصَابَه لم يكُن ليُخطِئَهُ، وما أَخطَأَه لم يكُن ليُصيبَه.

وعن مجاهِدٍ: إن ابْتُلِي صَبَر، وإن أُعطِي شَكَر، وإنْ ظُلِم غَفَرَ.

وقرئ: "يُهْدَ قَلْبه" على البناءِ للمفعول، والقلبُ مرْفوعٌ أو منصُوبٌ، ووجهُ النَّصبِ: أن يكون مِثلَ ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة ١٣٠/٢]؛ أي: يُهْدَ في قلْبِهِ.

ويجوز أن يكون المَعنى: أَنَّ الكافر ضالٌّ عن قَلبه بَعيدٌ مِنه، والمؤمنُ واجِدٌ له مُهتدٍ إليه؛ كقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق ٣٧/٥٠].

وقرئ: "نَهْدِ قلبَه" بالنون، و: "يَهَدِّ قَلْبُه" بمَعنى: يَهتَدِ، و: "يَهْدَأْ قَلْبُه": يَطمَئِنُّ، و: "يَهْدَ"، و: "يَهْدَا" على التخفيف.

قوله: **(هو الاسترجاع)** هو أن يقول: "إنّا للهِ وإنّا إليه راجعون".[1]

قوله: **(ضالٌّ عن قلبه)** قريب مِن قول الشاعر:

كان لي قلبٌ أعيشُ به ضاعَ منّي في تَقَلُّبِه[2]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (أي: يُهْدَ في قلبِه) فيكون نَصبه على نزع الخافض. قوله: (ويجوز أن يكون) فعلى هذا يكون "قَلْبُهُ" المفعول الثاني، وفي "يُهْدَ" ضمير يعود إلى "مَن"، أي: ومَن يؤمن بالله يُهْدَ إلى قلبه، يعني: يكون واجِدًا قلبَه، فيكون مُدْرِكًا، فيكون مِن المجاز المرسَل، فإنّ القلب مستلزم للإدراك. | قراءة "يُهْدَ قَلْبُهُ" قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عمير. وكذا قراءة "يُهْدَ قَلْبُهُ" قراءة شاذّة، مرويّة عن السُّلَمي والضحّاك وأبي جعفر. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٧٥؛ و**البحر المحيط** لأبي حيّان، ١٠/١٩١ (التغابن، ١١/٦٤).

[2] للعبّاس بن الأحنف في **البصائر والذخائر** للتوحيدي، ٦٧/٣.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ يَعْلمُ ما يُؤثِّرُ فيه اللُّطفُ من القُلوبِ ممَّا لا يُؤثِّرُ فيهِ فيَمنَحُه ويَمنَعُه.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢﴾

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ فلا عَليه إذَا تولَّيتم لأنَه لم يُكتَب عَليه طَاعتُكُم إنَّما كُتِب عليه أن يُبلِّغَ ويُبيِّنَ فحَسْبُ.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ بعثٌ لرَسُول الله على التوكُّلِ عليه والتَّقَوِّي به في أَمْره حتَّى يَنصُرَهُ على مَن كَذَّبه وتَولَّى عَنهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾

إنَّ من الأَزْواجِ أزواجًا يُعادِينَ بعُولَتَهُنَّ ويخاصِمْنَهم ويُجْلِبنَ علَيهم، ومن الأَولاد أَولادًا يُعَادُون آباءَهم ويَعُقُّونهُم ويُجرِّعُونهم الغُصَصَ والأَذَى.

﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ الضميرُ للعَدوِّ، أو لِلأزواج والأولادِ جميعًا؛ أي: لمَّا عَلمتُم أنَّ هَؤلاء لا يَخلُونَ من عدُوٍّ فكُونوا مِنهم على حَذَرٍ ولا تأمَنُوا غَوائلَهم وشَرَّهم.

﴿وَإِن تَعۡفُواْ﴾ عَنهم إذا اطَّلَعْتُم منهم على عَداوةٍ ولم تقابِلُوهم بمِثْلها، فإنَّ الله يَغفِرُ لكم ذنوبَكم ويُكفِّرُ عنكم.

وقيل: إنَّ نَاسًا أَرَادُوا الهِجرَةَ عن مكَّةَ فثبَّطَهُم أزْوَاجُهم وأولَادهم وقالوا: تَنْطَلقُونَ وتضيِّعُوننا؟! فَرَقُّوا لَهم ووَقَفُوا، ....

قوله: (فيَمْنَحه ويمنَعُهُ) مِن باب اللفِّ والنشر.

قوله: (فلا عليه) اسم "لا" محذوف، أي: فلا تَبِعةَ عليه.

قوله: (ويُجْلِبْنَ) الإجلاب مِن الجَلَبة؛ وهي الصيحة، وقيل: **هو اختلاط الأصوات ورفعُها.**

فلمَّا هَاجَرُوا بعد ذلك ورَأوا الذين سَبَقُوهم قد فَقُهُوا في الدِّين أرادُوا أَن يُعاقِبُوا أَزواجَهُم وأولادَهم فزُيِّن لَهُم العَفوُ.

وقيل: قالُوا لهُم: أينَ تذهبُون وتَدَعُون بلدَكم وعَشِيرتَكُم وأَمْوالكم؟ فغَضِبُوا عَليْهم وقالوا: لئِن جَمعَنا اللهُ في دارِ الهجرة لم نُصبْكم بخيْرٍ، فلمَّا هاجروا مَنعُوهم الخيرَ، فحُثُّوا أنْ يَعفُوا عنهم ويرُدُّوا إليهم البِرَّ والصِّلة.

وقيل: كان عوفُ بنُ مالكٍ الأَشجعيُّ ذا أَهْلٍ ووَلدٍ، فإذا أرَاد أن يَغزوَ تَعلَّقُوا به وبكَوْا إليه ورَقَّقُوه، فكأنَّهُ هَمَّ بأذاهُم فنزلَت.

﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾

﴿فِتۡنَةٞ﴾: بلَاءٌ ومحنةٌ؛ لأنَّهم يُوقِعُون في الإِثم والعُقُوبةِ ولا بلاءَ أَعْظمُ منهما، أَلَا ترى إلى قَوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ وفي الحديث: «يُؤتَى برجُلٍ يومَ القيامةِ فيقال: أَكَلَ عِيَالُه حَسنَاته». وعن بعْض السَّلف: العِيالُ سُوسُ الطَّاعاتِ.

وعن النبيّ عليه السلام: أَنَّه كان يَخطُبُ، فجاء الحسنُ والحسَينُ وعليهما قميصَانِ أحمران يَعثُرَانِ ويَقومان، فنزل إليهما فأخَذهما ووضَعهما في حجْره على المِنْبرِ فقال: «صَدَق الله ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ رَأيتُ هذين الصَّبيَّين فلم أَصْبِرْ عَنهما»، ثم أَخذ في خُطبَتِه.

قوله: (فَقُهوا في الدين) الفِقه: الفَهْم، تقول منه: فَقِه الرجل[١] -بالكسر- يَفقَه، وأفقَهتُك الشيءَ بيَّنتُه لك، ثمَ خُصّ[٢] به عِلم الشريعة، والعالِم به فَقيهٌ،[٣] وقد فَقُه بالضمِ فَقاهةً.[٤]

قوله: (سوسُ) السوس: دودٌ يقع في الصوف والطعام.

قوله: (في حِجْرِه) حَجْرُ الإنسان وحِجْرُه، بالفتح والكسر، والجمع حُجُورٌ.[٥]

---

[١] ن: الرجُل.

[٢] ن: خصّن.

[٣] ن + وقد فقيه.

[٤] الصحاح للجوهري، «فقه».

[٥] الصحاح للجوهري، «حجر». | وفي هامش د ف: قوله: (في الاستدعاء) أي: الطلب. قوله: (جُهدَكم) تفسير ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾، و"ما" مصدريّة، وهو حال، أي: اتّقوا الله باذِلًا جهدَكم وقوّتكم.

وقيل: إذا أمكنَكُم الجِهادُ والهِجْرةُ فلا يَفتِنَنَّكُم المَيلُ إلى الأَموالِ والأَوْلادِ عَنهما.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٦﴾

﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: جُهْدَكم ووُسْعَكُم؛ أي: ابْذُلُوا فيها استطَاعَتكم.

﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ ما تُوعَظُونَ به ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ فيما تُؤمرُونَ بِهِ وتُنهَونَ عنه ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في الوُجُوهِ التي وَجَبت عَليكم النَّفقةُ فيها.

﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ نصبٌ بمحذوفٍ تقديرهُ: ائتُوا خيرًا لأنفُسكم، وافعَلوا ما هُو خيرٌ لهَا وأنفَعُ، وهذا تأكيدٌ للحثِّ على امتِثال هذه الأوامر، وبَيانٌ لأنَّ هذه الأمورَ خيْرٌ لأنفُسكم من الأموال والأولاد وما أنتُم عاكفُون علَيه من حُبِّ الشَّهواتِ وزخَارف الدُّنيا.

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾

ذِكرُ القَرض تلطُّفٌ في الاستدعاء.

﴿يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ﴾: يَكتُبْ لكُم بالواحدة عَشْرًا وسَبْعَ مئةٍ إلى ما شاءَ من الزِّيادةِ، وقرئ: ﴿يُضَعِّفْه﴾.

﴿شَكُورٌ﴾: مَجازٌ؛ أي: يفعَلُ بكُم ما يفعَلُ المُبالِغُ في الشُّكر من عظيم الثوابِ،

قوله: (﴿شَكُورٌ﴾ مُجازٍ) قوله: "مُجازٍ" بضمّ الميم وكسر الزاي، أي: "الشَّكور" في صفة الله تعالى بمعنى المُجازي. وفي بعض النُّسخ: "مَجازٌ" بفتح الميم وضمّ الزاي، أي: "الشَّكور" في صفة الله تعالى[1] مَجازٌ.[2]

---

[1] ف - تعالى.

[2] وفي هامش د ف: قوله: (﴿شَكُورٌ﴾ مُجازٍ)... إلخ أي: استُعير الشكور للمُجازي، وقوله: (أي: يفعَلُ)... إلخ بيان العلاقة، أي: الجامع بينهما التعظيم، فإنّ الشاكر يعظِّم المنعِم، والمُجازي يعظِّم المجازَى.

وكذلك ﴿حَلِيمٌ﴾: يَفعل بكم ما يفعَلُ مَن يَحْلُم عن المُسيءِ، فلا يُعاجِلُكُم بالعقَابِ مع كثرَةِ ذُنوبكم.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قَرأ سورةَ التَّغَابُن دُفع عَنْه مَوْتُ الفُجَاءة».

قوله: (وكذلك ﴿حَلِيمٌ﴾) يريد أنّ "الحليم" في صفة الله تعالى أيضًا[1] مَجازٌ،[2] لأنّ الغضَب في حَقّه تعالى مَجازٌ، فكذا الحِلْمُ؛ لأنّ الحِلْمَ والغضبَ متقابلان.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[3]

---

١ ف - تعالى أيضًا.

٢ ن: مجازًا.

٣ ف - بحمد الله تعالى؛ ن + ومنّه وكرمه.

سورة الطلاق

مدنيةٌ، وهي إحدى عشرةَ، وقيل: اثنتا عشرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ① فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ③﴾

خُصَّ النَّبيُّ عليه السلامُ بالنِّداء وعُمَّ الخطابُ لأنَّ النبيَّ إمامُ أمَّتِهِ وقِدوَتُهم؛

/ سورة الطلاق [٤٠٨ظ]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: (وعُمَّ بالخطاب) ليس في "عُمَّ" ضمير؛ بل هو مسنَدٌ إلى الجارِّ والمجرور. وأصل هذا التركيب: خَصَّ الله النبيَّ عليه السلام[٢] بالنداء، وعَمَّ الله الناسَ بالخطاب. ثمّ بُني الفِعلان للمفعول، وأسند الأوّل إلى المفعول به، والثاني إلى الجارّ والمجرور.

قوله: (لأنّ النبيّ) تعليل للمعنى المفهوم مِن قوله: "خُصّ... وعُمّ".

---

١ ف – وبه نستعين.

٢ ف – عليه السلام.

كما يقال لِرَئيس القومِ وكبيرِهم: "يا فلانُ افعَلُوا كيت وكيتَ" إظهارًا لتَقدُّمِه واعتبارًا لترؤُّسِه، وأنّه مِدْرَهُ قَومِه ولِسَانُهم، والَّذي يَصْدُرون عن رَأيه ولا يَستبِدُّون بأَمرٍ دُونه، فكان هو وَحدَه في حكمِ كلِّهم وسادًّا مَسَدَّ جميعِهم.

ومَعْنى ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: إذا أَرَدْتُم تَطْلِيقَهنَّ وهَمَمْتُم به على تنزيلِ المُقبِلِ على الأَمرِ المُشارِفِ له منزلةَ الشَّارع فيه؛ كقوله عليه السلام: «مَن قَتل قَتِيلًا فله سَلَبه»، ومنه كان الماشي إلى الصَّلاة والمنتظِرُ لهَا في حُكم المُصلِّي.

وقوله: **(كما)** "ما"[١] مصدريّة، و"يقال" مُستنِد إلى الجارّ والمجرور ليس فيه ضمير، و"الكاف" بمعنى المِثل صفةُ مصدر "خُصّ... وعُمّ"، أي: خصوصًا وعُمومًا مثلَ خصوص وعموم القولِ للرئيس. والأَولى أن يقال: مسنَدٌ[٢] إلى "يا فلان افعلوا"، واللام في "لِرئيس" متعلّق بـ"يُقال".

قوله: **(وأنّه مِدْرَه)**[٣] مِدْرَهُ القوم: زعيمهم ومتكلّمهم،[٤] مِن دَرَهْتُ عن القوم؛ دفعتُ عنهم، مثل: دَرَأْتُ.[٥]

قوله: **(ولا يَستبِدُّون)** استبدَّ[٦] فلان بكذا؛ تفرَّد به.[٧]

قوله: **(المُشارِف)**[٨] يقال: شارفتُ الشيء، أي: أشرفتُ عليه، ويقال: أشرفتُ على الشيء، أي: اطّلعتُ عليه مِن فوق، وأشرفته: عَلَوتُه.[٩] وقوله: **(كقوله عليه السلام: «مَن قتلَ قتيلًا»)**[١٠] المراد بالقتيل في الحديث: مَن هو مُشارف لأَنْ يُقتَل، لا المقتول حقيقةً؛ لأنّ قتل المقتول مُحال.

قوله: (ومنه) أي: مِن أجل ما ذكرنا مِن أنّ المُشارِف للشيء بمنزلة مَن شَرَع في ذلك الشيء؛ كان الماشي...[١١] إلخ، وهذا إشارة إلى قوله عليه السلام:[١٢]

---

١ ن ف - ما.
٢ ن - مسند.
٣ في بعض مطبوعات **الكشّاف**: مدرة.
٤ ن: ولا متكلّمهم.
٥ **الصحاح** للجوهري، «دره».
٦ ن: استَبد.
٧ **الصحاح** للجوهري، «بدد».
٨ ن: المشارق.
٩ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شرف».
١٠ **صحيح البخاري**، ٩٢/٤ (٣١٤٢)؛ **صحيح مسلم**، ١٣٧٠/٣ (١٧٥١).
١١ ن: الماشئ.
١٢ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: فطلِّقُوهن مُستَقبِلاتٍ لعدَّتهن؛ كقَوله: "أَتيْتُهُ للَيْلةٍ بَقِيَتْ من المحرَّم"؛ أي: مُستَقبِلًا لهَا.

وفي قراءةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "في قُبُلِ عِدَّتهن"، وإذا طُلِّقت المرأةُ في الطُّهرِ المُتقدِّم لِلقُرْء الأوَّل من أَقرائها فقد طُلِّقت مُستَقبِلةً لِعدَّتها.

والمراد: أن يُطَلِّقْنَ في طُهْرٍ لم يُجامَعْن فيه ثم يُخَلَّيْنَ حتى تنقَضيَ عِدَّتُهن،

«إذا أُقيمت الصلاة فلا تأتُوها تَسعَون، وأتُوها تمشُون، وعليكم السكينةَ، فإنّ أحدكم إذا كان يَعْمِد إلى الصلاة فهو في صلاة»،[1] وإلى قوله عليه السلام:[2] «لا يزال أحدكم في الصلاة ما انتظر الصلاة».[3]

قوله: (مُستقبِلات[4] لِعدّتهنّ) أي: في حال طُهْرهنّ،[5] مِن غير أن تكونوا جامَعتموهنّ منذ طَهُرْنَ، وهذا طلاق السنّة.

قوله: (في الطُّهر المتقدّم للقُرء الأوّل) هذا على مذهب مَن فسّر "القُرْء" بالحيض. وأمّا[6] على مذهب الشافعي فذلك الطُّهْر هو القُرء الأوّل مِن أقرائها، فمعنى ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: طلّقوهنّ[7] لزمان عِدّتهنّ، وهو الزمان الذي يصحّ[8] أن تعتدَّ فيه المرأة، وهو الطُّهر، فَيَضِحُ المعنى ويَظهر.

قوله: (ثـمّ يُخلَّيـنَ) في قوله: "ثـمّ يُخلَّيـنَ" إشعار بأنّه لا يُجمَعُ بين الطلقات الثلاث، فإنّ قوله: "ثـمّ يُخَلَّيـنَ" إشارة إلى ما كان يفعلُه أهل الجاهليّة،[9] فإنّهم كانوا يُطلِّقون النساء ويَدَعونها حتّى ينقضي قُرْءٌ واحدٌ ثـمّ يراجعونها لتطول عدّتُهنّ، ثـمّ يُطلِّقون ثـمّ يراجعون إضرارًا بهنّ. يعني: أُمروا بأن لا يفعلوا ذلك

---

١ بلفظ قريب في **صحيح مسلم**، ٤٢١/١ (٦٠٢).

٢ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ **صحيح البخاري**، ١٣١/١ (٦٤٧). وفي **صحيح البخاري**، ١٣٢/١ (٦٥٩)؛ و**صحيح مسلم**، ٤٦٠/١ (٦٤٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا يزال أحدكم في صلاة ما دامَت الصلاة تحبِسه».

٤ ن: مستقبلات.

٥ ن: ظهرهنّ.

٦ ن + لعدتهنّ طلّقوهنّ لزمان عدتهنّ.

٧ ن: طلّقوهَن.

٨ ن: يصَح.

٩ ن: الجاهليّة.

وهذا أَحْسنُ الطَّلاقِ وأَدخَلُه في السُّنةِ وأَبعَدُه مِنَ النَّدم، ويَدُلُّ عليه ما رُوي عن إبراهيم النَّخعيّ: أنَّ أصحَابَ رسُول الله كانوا يَستحِبُّونَ أن لا يُطلِّقوا للسُّنة إلَّا وَاحِدةً، ثمَّ لا يُطلِّقُوا غيرَ ذلك حتى تَنقضيَ العِدَّةُ، وكان أحسنَ عندهم من أن يُطلِّق الرَّجلُ ثلاثًا في ثلاثة أطهارٍ.

وقال مالكُ بن أَنسٍ: لا أَعرفُ طلاق السُّنة إلَّا واحِدةً، وكان يكرَهُ الثَّلاثَ مجمُوعةً كانت أو مُتفرِّقة.

وأمَّا أبو حنيفة وأصحَابُه فإنَّما كَرِهُوا ما زاد على الواحدة في طُهْرٍ واحدٍ، وأمَّا مُفرَّقًا في الأطْهار فلا؛ لِمَا رُوي عن النبيّ عليه السَّلام أنه قال لابن عُمر حين طَلَّق امرأتَه وهي حائضٌ: «ما هكذا أَمرك اللهُ، إنَّما السُّنَّة أن تستقبِلَ الطُّهرَ استِقْبَالًا وتُطلِّقَها لكلِّ قُرءٍ تَطْلِيقةً».

وروي أنَّه قال لعُمَر: «مُرْ ابنكَ فلْيُراجِعْها، ثم لْيَدَعْها حتى تحيضَ ثم تَطْهُرَ ثم لِيُطلِّقَها إن شاء، فتِلْك العِدَّةُ الَّتي أمَرَ اللهُ أن تُطَلَّقَ لهَا النِّساءُ».

وعند الشافعيِّ رحمه الله: لا بأسَ بإرْسال الثَّلاثِ، ....

لئلَّا تتضرَّر بها النساء؛ بل يُخلِّينَ في عِدّة تلك الطَّلقة[١] حتّى تنقضي عِدَّتُهُنّ مِن تلك الطَّلْقة. وقوله: "ثمّ يُخلِّينَ" فُهِم منه أمران: **الأوّل**: أنْ لا يُجمَعَ بين ثلاث طَلقاتٍ، **والثاني**: أنّه إذا طلَّقها واحدة لا يُطلِّقُها بعد ذلك حتّى تنقضي عِدَّتُها، فاستدلّ على ذلك بقوله: **(ويدُلّ[٢] / عليه)**... إلخ ودلالته على الأمر الثاني أظهر. [٤٠٩و]

قوله: **(لِيَدَعْها)** فإنّه كان طلَّقها في الحيض، فأمرَ بأن يُراجِعَها ويَدَعَها حتّى تطهر ثمّ تحيض ثمّ تطهر؛[٣] ليكون طلاقها في الطُّهر[٤] الثاني.

قوله: **(وعند الشافعي رضي الله عنه[٥] لا بأس)**...[٦] إلخ يعني: لا يَحرُمُ[٧] جمع الثلاث، لكن التفريق أَولى.[٨]

---

١ ن: الظلقة.
٢ ن: ويدّل.
٣ ن: يظهر.
٤ ن: الظهر.
٥ د ن - رضي الله عنه.
٦ ن: بائس.
٧ ف: لا يَجُرم.
٨ انظر: **الحاوي** للماوردي، ١٠/١١٧.

وقال: لا أَعْرِفُ في عَدد الطَّلاق سُنَّةً ولا بدْعةً، وهو مُباح.

فمالكٌ يُراعِي في طلاق السُّنَّةِ الوحدَةَ والوقتَ، وأبو حنيفة رضي الله عنه يُراعِي التَّفريقَ والوَقتَ، والشَّافعيُّ يُرَاعي الوقتَ وَحْدَهُ.

فإن قلتَ: هل يقعُ طَلاقُ المخالِف للسُّنَّة؟

قلتُ: نَعم، وهُو آثمٌ؛ لِمَا رُوي عن النبيّ عليه السَّلام أنَّ رجُلًا طَلَّق امرأته ثلاثًا بين يدَيْه فقال: «أتلعَبُون بكتاب الله وأنَا بَين أَظهُركُم».

وفي حديث ابن عمر أنَّه قال: يا رسول الله، أرأيتَ لو طلَّقتُها ثلاثًا؟ فقال له: «إِذَن عصَيْتَ وبانَت مِنْك امرأتُكَ».

وعن عُمر رضي الله عنه: أنَّه كان لا يُؤتَى برجُلٍ طَلَّق امرأتَه ثلاثًا إلَّا أوجَعَهُ ضرْبًا، وأجَاز ذلك عَلَيه.

وعن سعيدِ بن المُسيّب وجماعةٍ من التَّابِعين: أنَّ مَن خالف السُّنَّةَ في الطَّلاق فأوقعَهُ في حيضٍ أو ثَلَّثَ لم يَقعْ، وشبَّهُوه بمَن وكَّل غيرَه بطَلاقِ السُّنَّة فخالَفَ.

فإن قلتَ: كيف تُطَلَّق للسُّنَّة التي لا تحيضُ لِصِغرٍ أو كِبَرٍ أو حَمْلٍ وغَيرُ المَدخولِ بها؟

قلتُ: الصَّغيرةُ والآيسةُ والحاملُ كلُّهنَّ عند أبي حَنيفة وأبي يُوسفَ رحمه الله يُفَرَّقُ عَليهنَّ الثَّلاثُ في الأَشهُرِ، وخالَفَهُما محمَّدٌ وزُفرُ رحمه الله في الحامِل فقالا: لا تُطَلَّق للسُّنَّةِ إلَّا واحدةً، وأما غيرُ المدخول بها ....

قوله: **(وأجاز ذلك عليه)** أي: كان يَحكم بوقوع الطَّلقات[1] الثلاث. يقال: جُزْتُ المكان أجُوزُه جَوازًا؛ سلَكتُه، وأجزْتُه: أنفذتُه.[2]

قوله: **(كُلّهنّ)** أي: ممَّن لا تحيض؛ لأنَّ الكلام فيه.

قوله: **(وأمّا غير المدخول بها)** سواء مِمَّن لا يحيض،[3] أو مِمَّن يَحيض.[4]

---

[1] ن: الطلقاة.

[2] وفي هامش د: أبعدتُه. | **الصحاح** للجوهري، «جوز».

[3] ف: تحيض.

[4] ف: تحيض.

فلا تُطلَّق للسُّنَّة إلَّا واحدةً ولا يُراعَى الوقتُ.

فإن قلتَ: هل يُكرهُ أن تُطلَّق المدخولُ بها واحِدةً بائنةً؟

قلتُ: اختلفَت الروايةُ فيه عن أصحابنا، والظَّاهرُ الكراهَةُ.

فإن قلتَ: قولُه: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ عامٌّ يتنَاولُ المَدْخولَ بهنَّ وغيرَ المدخول بهنَّ من ذَواتِ الأَقراء والآيسات والصَّغائرِ والحَوامل، فكيف صَحَّ تخصيصُه بذواتِ الأقراء المَدخُول بهِنَّ؟

قلتُ: لا عمُومَ ثَمَّ ولا خصوصَ، ولكنَّ النساء اسمُ جنسٍ للإناث من الإنسِ، وهذه الجنسيَّةُ مَعنًى قائمٌ في كلِّهنَّ وفي بَعضهنَّ، فجاز أن يُرادَ بالنِّساء هذا وذاك، فلمَّا قيل: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ عُلِم أنَّه أُطلِقَ على بَعْضهنَّ، وهنَّ المدخولُ بهنَّ من المُعتدَّاتِ بالحَيضِ.

قوله: **(ولا يُراعَى الوقتُ)** إذ لا عِدَّةَ لها، فلا يُتصوّر رعاية الوقت.

قوله: **(والظاهر الكراهة)** وهذا لا يُتصوّر على مذهب الشافعي إلّا بالخُلْع مع الأجنبي؛ لأنه إذا طلَّق المدخول بها طلقة واحدة لا تَبينُ إن كان مَجّانًا، وإنْ خالعها لا يكون مكروهًا،[1] وأمّا إنْ خالع مع الأجنبي والمرأة حائضة مثلًا يكون الطلاق بِدْعِيًّا.

قوله: **(تخصيصُه)** وذلك لأنّها لو لم تكن مدخولًا بها لم تكن لها عِدّةٌ، ولو لم تكن مِن ذوات الأقْراء لا يرد الأمر بطلاقها لِعدّتها، أي: لِقُرْئها، فثَبت أنّ الآية مختصّة بذوات الأقراء المدخول بهنّ.[2]

قوله: **(قلتُ: لا عمومَ)** قوله: "لا عمومَ"[3] مُشكِل؛ لأنّ اسم الجنس المعرَّف باللام[4] مِن صِيغ العموم، فالأولى أن يُقال: هو عامّ، ولمّا قيل: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ عُلِم أنّ المراد به الخصوص.

---

١ ن: مكرًا.

٢ ن: بهَن.

٣ ن - لا عموم.

٤ ن: بالام.

﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾: واضبطُوهَا بالحِفظ وأكمِلوهـا ثلاثـةَ أقـراء مسْتقبَلاتٍ كَوامِلَ لا نُقصَـانَ فيهـنَّ، و﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ﴾ حتى تنقضِيَ عدَّتُهـن ﴿مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾: مـن مسَـاكِنِهنَّ التـي يَسْكُنَّها قَبل العِدَّة وهـي بيُـوت الأزواج، وأُضِيفَـت إلَيْهـنَّ لاختِصاصهَـا بهِـنَّ مـن حيث السُّكنى.

فإن قلتَ: ما معنى الجمْعِ بين إخراجهنَّ وخروجِهنَّ؟

قلتُ: مَعنى الإخراج: أَنْ لا يُخرِجَهنَّ البُعُولَةُ غَضبًا عليْهنَّ وكراهةً لمُسَاكَنتِهنَّ أو لحَاجةٍ لَهُـم إلى المساكنِ، وأَن لا يَأذَنُوا لهُنَّ في الخُروج إذا طلَبْنَ ذلك إيذانًا بأنَّ إِذْنهُم لا أثَرَ له في رَفْع الحَظْر، ولا يَخرُجْنَ بأنفُسهنَّ إن أرَدْن ذلك.

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ قرئ بفتح الياء وكسرها، قيل: هي الزّنا، يَعْني: إلَّا أَن يَزنينَ فيُخرَجْنَ لإقامة الحدِّ عليهِنَّ.

قوله: (مستَقْبَلاتٍ) بفتح الباء ههنا، مثل قوله في أوّل السورة: (مستَقْبِلاتٍ) بكسر الباء، فإنّه إذا طلَّقها في الطُّهْر[1] كان القُرء الأوّل -أي: الحيض الأوّل- مستَقْبَلًا كالقُرْأين،[2] أي: الحيضَين الأخيرين، فلو طلّقها في الحيض لم يكن القُرْء الأوّل مُعتدًّا[3] به، وهذا مبنيّ على مذهب مَن جعل القُرء بمعنى الحيض، وأمّا مَن جعل القُرءَ بمعنى الطُّهْر[4] فالقُرء الأوّل مَحسوب[5] عنده وإن لم يكن كاملًا. وقوله: (كواملَ) إشارة إلى أنّ القُرء الأخير ما لم يتمّ لا تنقضي العِدّة، وإلى أنّ القُرء الأوّل -أي: الحيض الأوّل أيضًا- ينبغي أن يكون كاملًا.

قوله: (لاختصاصها)[6] وأيضًا أشار إلى أنّهنّ استَحْقَقْنَهُنّ بأن يكُنَّ فيها أيّام عِدّتِهِنّ.

قوله: (البُعولة) جمع بَعْل.

قوله: (ولا يَخْرُجْنَ) عطفٌ على قوله: (معنى الإخراج)، وفي الكلام حذف، أي: ومعنى الخروج أنْ لا يَخْرُجْنَ.

---

١ ن: الظهر.
٢ ف: كالقربن؛ ن: كالقدين.
٣ ن: معتدًا.
٤ ن: الظهر.
٥ ن: محتسوب.
٦ ن: لاختصاص.

وقيل: إلَّا أن يُطلَّقنَ على النُّشوزِ، والنُّشوزُ يُسقِط حَقَّهَا في السُّكْنَى.

وقيل: إلَّا أن يَبْذُونَ فيَحِلُّ إخراجُهنَّ لبَذَائهنَّ، ويُؤكِّده قراءَةُ أُبيِّ: "إلا أنْ يَفْحُشْنَ عليكم".

وقيل: خُرُوجُها قبل انْقِضاء العِدَّة فاحِشةٌ في نفسه.

﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ الأمْرُ الَّذي يُحدِثه الله تعالى: أن يَقْلِبَ قلبَه من بُغضِها إلى مَحبَّتِها، ومن الرَّغبة عنها إلى الرَّغبةِ فيها، ومن عزيمةِ الطَّلاق إلى النَّدم عليه فيُرَاجعَها.

والمَعنى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ لعَلَّكم ترغَبُونَ وتندَمُون فتُراجعُون ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ -وهو آخِرُ العِدَّة- وشَارَفْنه فأنْتُم بالخيَار: إن شئتُم فالرَّجعَةُ والإمْساكُ بالمعرُوفِ والإحْسَانُ، وإن شِئتُم فتركُ الرَّجعة والمُفارقَةُ واتِّقاءُ الضِّرارِ، وهُو أن يُراجِعَها في آخِر عِدَّتِها ثُمَّ يُطَلِّقَها تَطْويلًا لِلعدَّة عليها وتغْذيبًا لَها.

﴿وَأَشْهِدُواْ﴾ يَعني: عند الرَّجْعة والفُرقة جميعًا، وهذا الإشهادُ مندوبٌ إليه عند أبي حنيفة رضي الله عنه؛ كقَوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة ٢/٢٨٢]، وعند الشافعي رحمه الله: هو واجبٌ في الرَّجْعة مَندُوبٌ إليه في الفُرقة.

قوله: (**وقيل: خروجُها قبلَ**)... إلخ الاستثناء عند الجمهور مِن الجملة الأولى، وقيل: هو مُنقطع، أي: إلّا أنْ يَفْحُشْنَ فيُخْرَجْنَ. والمعنى: مَن خرَجَتْ فقد أتتْ بفاحشة، فعلى هذا يحتمل أن يكون الاستثناء مِن الجملة الثانية.

قوله: (**وشارَفْنَهُ**) عطفٌ على قوله: (﴿بَلَغْنَ﴾) على وجه البيان، يريد أنّ المراد بالبُلوغ هنا المُشارَفة، لا البلوغُ حقيقةً؛ إذ لا يمكن الرَّجْعة بعد بُلُوغ / الأجل حقيقةً، وهو انقضاء العِدّة. [٤٠٩ظ]

قوله: (**إنْ شئتم**) مفعولُه محذوف، أي: إن شئتم الرَّجعة فأمركم الرجعة والإمساك بالمعروف، وإن شئتم ترك الرجعة فأمركم ترك الرجعة... إلخ.

قوله: (**تطويلًا**) مفعول له مِن قوله: (**يُراجعها ثمّ يطلِّقها**).

وقيل: فائدةُ الإشهاد: أَنْ لا يَقع بَيْنَهما التَّجاحُدُ، وأَن لا يُتَّهمَ في إمسَاكها، ولئلَّا يمُوتَ أحَدُهما فيَدَّعِيَ البَاقي ثبُوتَ الزَّوجيَّة ليَرِثَ.

﴿مِنكُمْ﴾ قال الحسنُ: من المُسلمين، وعن قتادة: مِن أَحْرارِكم.

﴿لِلَّهِ﴾: لوجْههِ خالِصًا، وذلك أن تُقِيمُوهَا لا للمشهُودِ له ولا لِلمشهُود عَليه، ولا لِغَرضٍ من الأَغراضِ سِوَى إقامةِ الحقّ ودَفْعِ الظُّلْم؛ كقَوله: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء ٤/١٣٥].

﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ أي: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحَثُّ على إقامة الشَّهادة لوَجْه الله ولِأجْل القيامِ بالقِسْط ﴿يُوعَظُ بِهِۦ﴾.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يجُوز أن تكون جُملةً اعتراضيَّةً مُؤكِّدةً لِمَا سَبق من إجراء أمرِ الطَّلاق على السُّنَّة وطريقِهِ الأَحسَنِ والأَبْعَدِ من النَّدم، ويكونَ المَعنى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فطَلَّقَ لِلسُّنَّة ولم يُضارَّ المُعتَدَّةَ ولم يُخرِجْهَا من مَسْكنها واحتَاط فأَشْهَدَ ﴿يَجْعَل﴾ اللهُ ﴿لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ ممَّا في شأنِ الأَزوَاج مِن الغُمُوم والوقوع في المَضايِق، ويُفرِّجْ عنه، ويُنفِّسْ ويُعْطِه الخلاصَ ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ من وَجْهٍ لا يُخْطِرُه ببَاله ولا يحتَسِبُه، إنْ أَوفَى المَهْرَ وأَدَّى الحقُوقَ والنَّفقاتِ وقلَّ مالُه.

وعـن النبيّ عليه السلام: أَنَّـه سُئِلَ عمَّـن طَلَّق ثلاثًا أو أَلْفًا: هَل لـه من مخـرَجٍ؟ فَتَلاهَـا.

قوله: (إنْ أوفى) يُقال: أوفاه حقَّه ووافاه، أي: أعطاه وافيًا.[1]

قولـه: (وعـن النبيّ عليه السـلام)[2] هـذا الحديـث أورده المصنّف لبيـان أنّ مَـن لـم يتّـق الله بالمعنـى المذكـور ههنـا لـم يجعـل لـه مخرجًـا ممّـا فـي شـأن الأزواج، وأنّ المـراد بالاتّقـاء هـو الاتّقـاء الـذي ذكـره المصنّـف، فكأنّـه عليـه السـلام[3] قـال: لا يجعل الله مخرجًا لمَن لا يتّقي على الوجه المذكـور، وحديث ابـن عبّـاس بيّـن مـا ذكرنـا.

---

١ الصحاح للجوهري، «وفى».

٢ ف: صلّى الله عليه وسلّم. | انظر: سنن الدارقطني، ٣٦/٥ (٣٩٤٣).

٣ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

وعن ابن عباس أنّه سُئل عن ذلكَ فقال: لم تَتَّقِ اللهَ فلم يَجعَل لك مَخرَجًا، بَانَتْ مِنكَ بثلاثٍ والزِّيادةُ إِثْمٌ في عُنُقِك.

ويجوز أن يُجَاءَ بها على سَبيلِ الاسْتطراد عِند ذِكْر قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ يَعني: ومَن يتَّق الله يجعَلْ له مَخرجًا ومَخْلَصًا مِن غُمُوم الدُّنيا والآخرةِ.

وعن النبيّ عليه السلام أنّه قَرأها فقال: «مَخْرجًا مِن شُبُهاتِ الدُّنْيَا، ومن غَمرَات المَوت، ومن شدائدِ يَومِ القيامة».

وقال عليه السَّلام: «إنِّي لأَعْلم آيةً لو أَخذ الناسُ بها لكَفَتْهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾»، فما زال يَقْرؤها ويُعيدُها.

ورُوي: أنَّ عَوْفَ بنَ مالك الأَشجعي أَسَرَ المشركُون ابنًا له يسمَّى سالِمًا، فأتى رسولَ الله فقال: أُسِرَ ابنِي، وشكا إليه الفاقَة، فقال: «ما أَمْسَى عِند آل محمَّد إلا مُدٌّ فاتَّقِ الله واصْبِرْ، وأكثِرْ من قول: لا حَوْلَ ولا قوَّة إلَّا باللهِ»، ففَعَل فبَينا هو في بَيتِه إذ قَرعَ ابنُه البابَ ومعَه مئةٌ من الإبل تَغفَّلَ عَنها العَدُوُّ فاستَاقَها، فنزلَت هذه الآية.

قوله: (فلم يجعل) أي: اللهُ تعالى.

قوله: (بانتْ منك) هذه جملة مستأنَفة لبيان أنّه لم يتّقِ، وإنّما قال: والزيادة إثم؛ لأنّه لم يحصل له بالتعرّض للزيادة على الثلاث سوى الإثم، وإنّما أثِمَ لأنّ التعرّض للزائد انحرافٌ عمّا عيَّنه الله تعالى، وعدمُ مبالاة بما يجري[١] على لسانه، نعوذ[٢] بالله مِن سقط القول، وعدمِ الوقوف على ما حدَّه الله تعالى، ومِن سخَطه برضاه. وقوله: (بها) أي: بهذه الجملة، وهو قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾... إلخ.

قوله: (وعن النبيّ عليه السلام)...[٣] إلخ هذه الأحاديث دلَّتْ على أنّ المراد بهذه الآية الاستطراد.[٤]

---

[١] ن: جري.
[٢] ن: تعوّذ.
[٣] ف: صلّى الله عليه وسلّم.
[٤] وفي هامش د ف: الاستطراد: ذِكر غير المقصود لمناسبة للمقصود.

﴿بالغُ أمرَه﴾؛ أي: يَبلُغُ ما يُريد، لا يَفُوتُه مُرادٌ ولا يُعجِزُه مَطلوبٌ، وقرئ: ﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ بالإضافةِ، و: "بالغٌ أمرُه" بالرَّفع؛ أي: نافِذٌ أَمْرُه.

وقَرأَ المُفضَّلُ: "بالغًا أمرُه" على أنَّ قولَه: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ خَبرُ ﴿إِنَّ﴾ و"بالِغًا" حَالٌ.

﴿قَدْرًا﴾: تقديرًا وتوقيتًا، وهذا بيانٌ لوجُوب التَّوكُّل على الله وتفويضِ الأمر إليه؛ لأنَّه إذا عَلِم أنَّ كلَّ شيءٍ مِن الرِّزقِ ونحوه لا يكون إلا بتَقديره وتوقيتِه لَم يَبقَ إلَّا التَّسليمُ لِلقَدَرِ والتَّوكُّل.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾

روي أنَّ ناسًا قَالُوا: قد عَرفْنَا عِدَّةَ ذوَاتِ الأَقراء، فمَا عِدَّةُ اللَّائي لا يَحِضْنَ؟ فنَزلت.

فمَعنى ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾: إنْ أشكَلَ عَليكم حُكمُهنَّ وجَهِلْتُم كَيف يعتَدِدْنَ فهذا حُكْمُهنَّ.

وقيل: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ في دَم البالغاتِ مَبْلغَ اليأس -وقد قدَّرُوه بسِتِّين سَنةً، وبخمْسٍ وخمسين- أهو دَمُ حِيض أو استحاضةٍ.

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ وإذا كانت هذه عِدَّةُ المُرْتابِ بها فغيرُ المُرتابِ بها أولى بذلك.

قوله تعالى: ﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ الضمير مِن ﴿أَمْرِهِۦ﴾ يعود إلى الله تعالى.

قوله: (**مَبْلَغَ اليأس**)[1] مفعول "البالِغات". وقوله: (**وقد قدَّروه**) جملة معترِضة. وقوله: (**أهوَ؟**) متعلّق مِن حيث المعنى بقوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾، وهو مُعلَّقٌ عن العمل بسبب الهمزة.

قوله: (**فغير المرتاب بها**) أي: مِن الآيِسات التي تحقّق يأسُهُنَّ، وعلى هذا الوجه يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ﴾: اللائي بَلَغْنَ سِنَّ اليأس، أو المراد:

---

١ ن: اليائس.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ﴾ هُنَّ الصَّغائرُ، والمَعنى: فعِدَّتُهنَّ ثلاثةُ أَشْهُرٍ، فَحُذِف لدَلالة المذكُور عليه.

اللَّفظُ مُطلقٌ في "أُولاتُ الأَحْمال" فاشتَمَلَ على المُطلَّقاتِ والمُتوفَّى عَنهنَّ، وكان ابنُ مسعُود وأبيٌّ وأبُو هريرة رضي الله عنهم وغيرُهم لا يَفرِّقُونَ.

وعن عليٍّ وابن عباس رضي الله عنهما: عِدَّةُ الحامِلِ المُتوفَّى عَنها زوجُها أبْعَدُ الأَجَلينِ.

وعن عبد الله: مَن شاء لاعَنْتُه: أن سُورَة النساء القُصْرَى نزلَت بعد الَّتي في البَقرةِ.

الآيِساتِ بالحقيقة؛ لأنّ يأسَهنَّ لا يقتضي أن لا يَرَينَ الدم، فربّما يَرَينَ الدمَ بعد اليأس، وشككْنَ[1] هل هو دم الحيض أم لا؟ لكن فيما ذكره بحثٌ؛ وذلك لأنّ الآيِسة إذا رأت الدم بشرائط الحيض يبطل الحكم بيأسها، وعليها الاعتداد[2] بالأقراء دون الأشهر، فكأنّه قال -والله أعلم-: واللائي بلغْنَ سنَّ اليأس إنْ ارتبتم في أنّهنّ آيِساتٌ أم لا فعدّتهنَّ ثلاثة أشهر. ثمّ قال المصنّف: وإذا عُلِم مِن الآية حُكم المرتاب بها فحكم الآيِسات التي تحقّق يأسهنّ أَولى أن يكون كذلك.

قوله: (**فحُذف**) يحتمل أن لا يكون فيه حذفٌ؛ بل يكون مِن القلب،[3] أي: واللائي يئِسْنَ مِن المحيض مِن نسائكم إنْ ارتبتُم واللائي لم يَحِضْنَ فعِدَّتهنَّ ثلاثة أشهر.

[٤١٠و] قوله: (**القُصْرى**) تأنيث الأقصر. والمراد بسورة النساء / القُصرَى هي سورة الطلاق، وأمّا الطُّولى فهي التي بعد آل عِمران. ويريد بالآية التي في البقرة قولَه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ [البقرة ٢/٢٣٤]، فهذه الآية ناسخة أو مخصِّصة لتلك. وقوله: (**بعد التي**) أي: بعد الآية التي.

---

[1] ن: وشلكن.

[2] ن: الاعتداء.

[3] ف: العلب.

يَعني: أنَّ هذا اللَّفظ مُطْلَقٌ في الحَوامِلِ.

ورَوَتْ أمُّ سَلمة: أنَّ سَبيعةَ الأَسلميَّةَ وَلَدَتْ بَعد وفاةِ زَوْجها بلَيالٍ فذَكَرت ذلك لرسُولِ الله فقال لهَا: «قَدْ حَلَلْتِ فانكحِي».

﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾: يُيسِّرْ له مِن أمْرِهِ ويَحلُلْ من عُقَدِه بسَببِ التَّقوَى.

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ يُريد: ما عَلَّم مِن حُكم هؤلاءِ المُعتدَّات، والمَعنى: ومَن يتَّق الله في العَمل بما أَنزلَ اللهُ مِن هذه الأحْكامِ وحَافَظَ على الحُقُوقِ الواجِبةِ عَليه ممَّا ذُكِرَ من الإِسْكان وتركِ الضِّرارِ والنَّفقَةِ على الحَوامل وإيتاءِ أَجْرِ المُرضِعَاتِ وغيْرِ ذلك: استَوْجَب تَكفيرَ السيِّئات والأجْرَ العظيم.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦﴾

قوله: (قد حَلَلْتِ) هذا[1] الحديث يريد[2] قول ابن مسعود رضي الله عنه،[3] وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه.[4]

قوله: (يريد ما عَلَّمَ)... إلخ أشار[5] المصنّف بهذا[6] الكلام إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ ابتداء كلام للتمهيد لِما يذكره بعد ذلك مِن قوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾،[7] وقد صرَّح المصنّف بعد هذا بهذا المعنى.

قوله: (استوجب) كأنّه يشير[8] بقوله: "استوجَبَ" إلى مذهبه.

---

١ ن: هذ.
٢ كذا في الأصول الخطّيّة، ولعلّ الصواب: "يؤيّد".
٣ د ف - رضي الله عنه.
٤ د ن - رضي الله عنه. | انظر: الأمّ للشافعي، ٥٦٧/٦.
٥ ن: أسار.
٦ ن: بهذ.
٧ ن: أسكنوهن.
٨ ن: يسئر به.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ وما بعْدَه بيانٌ لِمَا شُرِطَ مِن التَّقوى في قولِهِ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ كأنَّه قِيل: كيفَ نَعمَلُ بالتَّقوى في شأن المُعتدَّاتِ؟ فقيلَ: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾.

فإن قلتَ: ﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ ما هيَ؟

قلتُ: هي "مِن" التَّبعيضيَّةُ مُبَعِّضُهَا مَحذوف، معناه: أَسْكِنُوهنَّ مَكانًا مِن حَيث سَكنتُم؛ أي: بَعضَ مكانِ سُكنَاكم؛ كقَوله تعالى: ﴿يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور ٣٠/٢٤]؛ أي: بَعضَ أَبْصارِهم، قال قتادةُ: إنْ لم يكُن إلَّا بَيْتٌ واحِدٌ فأَسكِنْها في بَعضِ جَوانبِهِ.

فإن قلتَ: فقَولُه: ﴿مِن وُجْدِكُمْ﴾ ما معناه؟

قلتُ: هو عَطفُ بيانٍ لقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ وتَفسيرٌ له؛ كأنَّه قِيل: أَسكنوهنَّ مَكانًا مِن مَسْكنِكم ممَّا تُطِيقُونَه.

و"الوُجْدُ": الوُسْعُ والطَّاقة، وقرئ بالحركاتِ الثلاث.

والسُّكنى والنَّفقةُ واجبَتَانِ لكلِّ مُطَلَّقةٍ، وعند مالكٍ والشافعيِّ رحمهم الله: ليْسَ للمَبتُوتة إلَّا السُّكنى ولا نَفقةَ لها.

قوله: (أي: بعضَ مكانٍ) كقولكَ: جئت مِن الليل، أي:[١] بعضَ الليل.[٢]

قوله: (قال قتادة) يدلّ[٣] على التبعيض.

قوله: (فإنْ قلتَ: فقوله)... إلخ جزاء شرط محذوف، أي: إذا كان معنى ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ ما ذكرتَ،[٤] فقوله: ﴿مِن وُجْدِكُمْ﴾ ما معناه؟

قوله: (واجبتان لكلّ مُطلّقةٍ) رجعيّةٍ أو بائنة، أي: عند أبي حنيفة رحمه الله.[٥]

قوله: (للمبتوتة)[٦] قال الفرّاء: «بَتَّ وأَبَتَّ[٧] لغتان، يقال: أبَتَّتُ عليه القضاء، وبَتَتُّه،[٨] أي: قطعتُه».[٩]

---

١ ن: إلى.
٢ ن: الليْل.
٣ ن: يدّل عليه.
٤ ن: ذكرة.
٥ د ن – رحمه الله.
٦ ن: للمبقوتة.
٧ ن: وربّت.
٨ ن: وبتتّه.
٩ الصحاح للجوهري، «بتت».

وعن الحسَن وحمَّاد: لا نفقةَ لها ولا سُكْنى؛ لحديث فاطمة بنتِ قيسٍ: أنَّ زَوجَها أبتَّ طَلاقها، فقالَ لهَا رسولُ الله عليه السلام: «لا سُكْنَى لكِ ولا نفقةَ».

وعن عمرَ رضي الله عنه: لا ندَعُ كِتابَ رَبّنا وسُنَّةَ نبيّنَا لِقول امرأة لعَلَّهَا نسيَتْ أو شُبِّه لهَا، سَمِعْتُ النَّبي عليه السَّلام يقُول: «لهَا السُّكنَى والنَّفَقةُ».

قوله: (لحديث فاطمة بنت قيس)... إلخ قالت عائشة رضي الله عنها:[١] «ما لِفاطمة؟ ألا تتّقي اللهَ؟».[٢] يعني: ألا تتّقي اللهَ فاطمةُ بنتُ قيسٍ في نسبة[٣] الكذِب إلى الرسول عليه السلام.[٤] يعني: نقلتْ فاطمة أنّ النبيّ عليه السلام[٥] قال: «لا نفَقةَ لك»، ولم يقل النبيُّ ذلك، وإنّما أمرها بالخروج مِن منزلها والاعتدادِ في بيت أمّ مكتوم؛ لأنّ مكانها كان خاليًا وَحِشًا، فخِيف على ناحيتها، فلأجل هذا أمرَها بالانتقال مِن موضعها، لا[٦] لأنّه لا سُكنى لها على الزوج.

وقال سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه:[٧] «إنّما نُقِلَتْ فاطمة بنتُ قيس لطول لسانها على[٨] أحمائها».[٩]

ومذهب أبي حنيفة رحمه الله[١٠] وجوب النفقة والسُّكنى للمعتدّة[١١] البائنة حاملًا كانت أو حائلًا.[١٢] ومذهب الشافعي ومالكٍ أنّ لها السُّكنى بكلّ حالٍ، وأمّا النفقة فإنْ كانت حاملًا استحقّتْ وإلّا فلا، أمّا السُّكنى فلقوله تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾، وهذا مطلق، وأمّا النفقة للحامل[١٣] وعدمُها لغيرها فلقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾.[١٤]

---

١ د ن - رضي الله عنها.
٢ صحيح البخاري، ٥٧/٧ (٥٣٢٣)؛ صحيح مسلم، ١١٢١/٢ (١٤٨١).
٣ ن: نسبية.
٤ ف: صلّى الله عليه وسلّم.
٥ ف: صلّى الله عليه وسلّم.
٦ ن: ألا.
٧ د ن - رضي الله عنه.
٨ ن + أكما.
٩ معالم السنن للخطّابي، ٢٨٥/٣؛ شرح السنّة للبغوي، ٢٩٤/٩.
١٠ د ن - رحمه الله.
١١ ن: للمعتدة.
١٢ انظر: بدائع الصنائع للكاساني، ٢٠٩/٣.
١٣ ف: فللحامل.
١٤ انظر: المدوّنة لمالك، ٢٤٣/٢؛ والأمّ للشافعي، ٦٠٢/٦.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾: ولا تستعمِلُوا مَعَهُنَّ الضِّرارَ ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ في المَسْكن ببَعضِ الأَسْبابِ: من إنزالِ مَن لا يُوَافِقُهنَّ أو يَشغَلُ مكانهنَّ، أو غيرِ ذلك، حتَّى تَضطَرُّوهنَّ إلى الخرُوج.

وقيل: هُو أن يُراجِعَها إذا بَقِي مِن عدَّتها يَومانِ ليُضيِّقَ عَليْها أمْرَهَا.

وقيل: هو أن يُلجِئَها إلى أَن تَفتَدِيَ منْهُ.

فإن قلتَ: فإذا كانتْ كلُّ مُطلَّقةٍ عندكم تَجِبُ لها النَّفقةُ، فما فائدةُ الشَّرطِ في قَوله: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾؟

قلتُ: فائدتُه: أنَّ مُدَّة الحَمْل ربَّما طالت فظَنَّ ظَانٌّ أنَّ النفقةَ تَسقُط إذا مَضَى مِقدارُ عِدَّةِ الحَائلِ فنُفِيَ ذلك الوَهمُ.

فإن قلتَ: فما تقولُ في الحَامِلِ المتَوفَّى عنها؟

قلتُ: مُختلفٌ فيها، فأكثرُهم على أنه لا نفقَة لها؛ لوقُوع الإجْماع على أنَّ مَن أُجبِرَ الرَّجُلُ على النَّفقة عليه من امرأةٍ أو وَلدٍ صَغيرٍ لا يَجبُ أن يُنفَق عَليه من مالِهِ بعد مَوته، فكذلك الحامِلُ.

قوله: (**أنْ تفتديَ**) أي: لتَختَلِعَ.

قوله: (**عندكم**) أي: عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله أجمعين.

قوله: (**الحائل**) "الحائل" ضِدُّ الحامل.

قوله: (**على أنّ مَن أُجبِر**)... إلخ حاصله: أنّ الرجل الذي يجب عليه الإنفاق على ولَده أو زوجه، فإذا مات ذلك الرجل لا يجب إخراج النفقة مِن ماله لأجل الولد والزوج، قال الإمام الرافعي رحمه الله[1] في **الشرح[2] الكبير**:

[٤١٠ظ] المُعتدّة[3] عن الوفاة لا نفقةَ لها حائلًا كانت أو حاملًا، / أمّا إذا كانت حائلًا فلأنَّ البائنة الحائلَ لا نفقةَ لها على الزوج في حياته، فبعد

---

١ د ن - رحمه الله.

٢ ن: شرح.

٣ ن: المتعدّة.

وعن عليٍّ وعبد الله وجَماعةٍ: أنّهم أوجَبُوا نفقَتها.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ يَعني: هؤلاء المطلَّقاتِ إنْ أرضَعْنَ لكم وَلدًا من غيرِهنَّ أو مِنهنَّ بعد انقِطاع عِصمةِ الزَّوجيَّة ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ فحُكمُهنَّ في ذلك حُكمُ الأَظآر، ولا يجوزُ عِند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجارُ إذا كان الوَلدُ مِنهُنَّ ما لم يَبِنَّ، ويجوز عند الشافعي.

﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ "الائتمارُ" بمَعْنى التَّآمُر؛ كالاشتِوار بمَعنى التَّشاوُرِ، يُقالُ: ائتمَر القَومُ وتَآمَرُوا: إذا أَمَر بعْضُهم بعضًا.

والمَعنى: ليأمُرْ بَعضُكم بعْضًا، والخطابُ لِلآباء والأُمَّهاتِ.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بجميلٍ، وهو المُسامَحةُ، وأن لا يُماكِسَ الأَبُ ولا تُعاسِرَ الأُمُّ؛ لأنَّه وَلدُهُما مَعًا، وهُما شَرِيكانِ فيه وفي وجُوبِ الإشْفاقِ عليه.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ فستُوجَدُ ولا تُعْوِزُ مُرضِعةٌ غيرُ الأُمِّ تُرضِعُهُ، وفيه طَرَفٌ من مُعاتَبةِ الأُمِّ على المعاسَرة؛ كما تقول لمَن تَستَقْضِيهِ حَاجَةً فيَتَوانَى: سَيَقْضِيها غَيرُك، ....

الموت أَولى، وأمّا إذا كانت حاملًا فلأنّ النفقة للحمل أو للحامل، فإن كانت للحمل فنفقة الأقارب تسقط بالموت، وإن كانت للحامل فسبب استحقاقها الحملُ، فإذا كانت نفقتُه في نفسه بعد الانفصال لا تجب بعد الموت، فكذلك النفقة الواجبة بسببه.[1]

قوله: **(يعني هؤلاء المطلَّقات)** "هؤلاء" مبتدأ، و"المطلَّقات" صفته، و"إن أرضَعْنَ"... إلخ خبره.

قوله: **(وأنْ لا يُماكِسَ)** يريد بالمُماكسة:[2] استنْقاص[3] الأُجرة. والمَكْسُ في البيع: استنقاص الثمن، والمُماكَسة[4] والمِكاس في معناه.[5]

---

١ **الشرح الكبير** للرافعي، ١٠/٤٣.
٢ ن: بالحماكسة.
٣ ن: استقاص.
٤ ن: والحماكسة.
٥ **المُغرب** للمطرّزي، «مكس».

تُريد: "لَن تَبقَى غيرَ مَقضِيَّةٍ، وأنتَ مَلُومٌ".

وقولُه: ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: للأبِ؛ أي: سَيَجِدُ الأَبُ غيرَ مُعَاسِرةٍ تُرْضِعُ له وَلَدَه إن عَاسَرتْه أُمُّه.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ٧﴾

﴿لِيُنفِقْ﴾ كُلُّ واحدٍ من المُوسرِ والمُعْسِر ما بَلَغه وُسْعُهُ، يُريد: ما أُمِرَ به من الإنفاقِ على المُطلَّقاتِ والمُرضِعاتِ؛ كما قال: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة ٢/٢٣٦].

وقرئ: "لِيُنفِقَ" بالنَّصبِ؛ أي: شرَعْنَا ذلك لِيُنفِقَ.

وقَرأ ابنُ أَبِي عَبْلَةَ: "قُدِّر".

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ﴾ مَوعِدٌ لفُقراءِ ذلك الوقتِ بفَتح أبوَابِ الرِّزقِ عليهم، أو لفُقَراءِ الأَزْواج إنْ أَنفقُوا ما قدَرُوا عَلَيْه ولم يُقصِّرُوا.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ١٠﴾

﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾: أَعرَضَتْ عَنه على وَجْهِ العُتوِّ والعِنَادِ.

قوله: **(وأنت مَلوم)** كما قال:

ومَن يكُ ذا فضل فيَبخَلْ بفضله   على قومه يُستَغْنَ[١] عنه ويُذَمَّمِ[٢]

قوله: **(يريد ما أُمِرَ به)** أي: يريد بالوُسع القدر المأمور به.

قوله: **(أعْرَضَتْ عنه)** يريد: أنّ هذه التعدية على وجه التضمين.

---

[١] ن: يستغنى.

[٢] لزهير بن أبي سلمى. انظر: **شرح شعر زهير** لثعلب، ص ٣٥.

﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالاستقصاءِ والمُناقَشةِ.

﴿عَذَابًا نُّكۡرًا﴾ -وقرئ: ﴿نُكُرا﴾-: مُنكَرًا عظيمًا، والمراد: حسَابُ الآخرةِ وعذابُها، ومَا يَذُوقُونَ فيهَا من الوَبال ويَلقَوْنَ من الخُسْرِ، وجِيءَ بهِ على لفظ الماضي كقَوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف ٧/٤٤] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف ٧/٥٠] ونحوِ ذلك؛ لأنَّ المنتَظَر مِن وَعْدِ الله ووعيدِه مُلْقًى في الحقيقة وما هُو كائِنٌ فكَأَنْ قَد كان.

وقولُه: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكريرٌ للوَعيد، وبيَانٌ لكونه مُترَقَّبًا؛ كأنَّه قال: أعَدَّ الله لهم هذا العذابَ فليَكُن لكم ذلك.

قوله: (وما هو كائن فكأنْ) وفي النُّسخ: "فكأنْ قد"،[١] أي: فكأنْ قد كان، فحذف[٢] "كان"، كما في قول الشاعر:

أفِدَ الترحُّلُ[٣] غيرَ أنّ رِكابنا لمّا تَزُلْ برحالنا وكأنْ قَدِ[٤]

أي: كأنْ قد زالت بها. "أفِدَ الترحُّل"، أي: دَنا وأزِفَ، وأفِدَ -بالكسر- يأْفَدُ أَفَدًا عَجِلَ، فهو أفِدٌ على فَعِل، أي: مستَعجِل.

قوله: (تكرير للوعيد) كأنّه إجمال بعد التفصيل، وأيضًا بيان أنّ قوله: ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا﴾... إلخ مُترقَّبة، لا أنّها واقعة. و"اللام" في "للوعيد" للعِلّيّة،[٥] فهو مفعول له، لا مفعولٌ به، أي: كرّر ذكر العذاب ليكون ذلك وعيدًا، فلذا وصل به قوله:[٦] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، وأيضًا هو بيان أنّ المراد بـ"حاسَبْنا" و"عذَّبْنا" و"فذاقَتْ" و"كان" الاستقبالُ بدليل قوله: ﴿أَعَدَّ﴾.

واعلم أنّ[٧] في هذا البيان نظرًا، والصواب أنّ قوله: "للوعيد" مفعول به بواسطة "اللام"، يعني: كرّر الوعيد بقوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا﴾، فإنّ قوله: ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا﴾ وعيد، وهذا تكريرٌ لذلك الوعيد.

---

١ ن + كان. | في مطبوع الكشّاف: "فكأن قد كان".

٢ ن: فخذف.

٣ ن: أفدالة حلّ.

٤ للنابغة الذبياني في ديوانه، ص ٨٩.

٥ ن: للعليّة.

٦ ن – قوله.

٧ ن + الوعيد.

﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ من المؤمنين لُطفًا في تَقوَى اللهِ وحَذَرِ عقابه.

ويجوز أن يُرادَ إحصاءُ السيّئاتِ واستقصاؤها عليهم في الدُّنيا وإثباتُها في صحائف الحَفَظةِ، وما أُصيبُوا به من العذاب في العَاجل، وأن يكُونَ ﴿عَتَتۡ﴾ وما عُطِف عَليه صِفةً لِلقَريةِ، و﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ جَوابًا لـ"كَأَيِّن".

﴿رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴿١١﴾﴾

﴿رَّسُولٗا﴾ هو جبريلُ صَلوات الله عليه، أُبدِلَ من ﴿ذِكۡرٗا﴾ لأنّه وُصِفَ بتلاوةِ آياتِ الله، فكان إنزالُه في مَعنى إنزالِ الذِّكر، فصحَّ إبْدالُه منه.

قوله: **(ويجوز أن يُراد)** وعلى هذا يكون المَجيء بلفظ الماضي على الأصل، بخلافه في الوجه الأوّل كما مرّ.

قوله: **(وأنْ يكون ﴿عَتَتۡ﴾)** هذا تتمّة لهذا الوجه. وحاصل هذا[١] الوجه: أن يكون ﴿عَتَتۡ﴾ صفةً، و﴿أَعَدَّ﴾ خبرًا، ويكون المراد بقوله: ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا﴾... إلخ ما أشار إليه بقوله: **(إحصاءُ السيّئات)**... إلخ. وحاصل الوجه الأوّل: أنّ ﴿عَتَتۡ﴾ جواب ﴿كَأَيِّن﴾، و﴿أَعَدَّ﴾... إلخ تكرير وبيان. والمراد بقوله: **(الجواب)** هو الخبر؛ لأنّ ﴿كَأَيِّن﴾ بمعنى "كم" الخبريّة.

قوله: **(أُبدِل)** يجوز أن يكون بدل الكلّ؛ لأنّه لمّا كان يتلو[٢] آياتِ الله -وهو الذِّكْر- فكأنّه هو الذِكْر. ويجوز أن يكون بدل اشتمال، ويكون قوله: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ موضوعًا موضع الضمير العائد مِن بدل الاشتمال، أي: المُبدَل منه، وهو الذِّكْر، فكأنّه قيل:[٣] رسولًا يتلوه، أي: يَتلو الذِكْر.

قوله: **(وُصِفَ بتلاوة)**[٤] أي: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾.

---

١ ن: هذ.
٢ ن ف: يتلوا.
٣ ن: مقيل.
٤ ف: يتلاوه.

أو أُرِيد بالذِّكر: الشَّرفُ، من قَوْله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ [الزخرف ٤٣/٤٤]، فأُبْدِلَ منه كأنَّه في نفسه شَرفٌ: إمَّا لأنَّه شَرفٌ للمُنْزَلِ عَليْه، وإمَّا لأنَّه ذُو مَجْدٍ وشَرفٍ عِند الله كقَوله: ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير ٨١/٢٠].

أو جُعِل لِكثرة ذكرِهِ لله وعبَادتهِ كأنَّه ذِكرٌ.

أو أُريد: ذا ذِكْر؛ أي: مَلَكًا مذكُورًا في السَّماوات وفي الأُمَم كلِّها.

أو دَلَّ قولُه: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا﴾ على: أَرسَلَ؛ فكأنَّه قيل: أَرْسَل رَسُولًا.

أو أُعمِلَ ﴿ذِكۡرٗا﴾ في ﴿رَّسُولٗا﴾ إعْمالَ المصدر في المَفاعيلِ؛ أي: أنزَلَ الله أَنْ ذَكَرَ رسُولًا، أو ذِكْرَهُ رسُولًا.

وقرئ: "رسولٌ" على: هو رسُولٌ.

أَنزَلَه ﴿لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بَعْد إِنْزالِهِ؛ أي: ليُحصِّلَ لَهُم ما هُم عَليه السَّاعةَ مِن الإيمان والعَملِ الصَّالحِ؛ لأَنَّهم كانُوا وَقتَ إنزاله غيرَ مؤمنينَ، وإنَّما آمَنُوا بَعد الإنزال والتَّبليغ.

أو: لِيُخرِجَ الَّذين عَرَف منهم أَنَّهم يُؤمِنونَ.

قرئ: ﴿يُدۡخِلۡهُ﴾ باليَاء والنُّون.

﴿قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا﴾ فيه مَعْنى التَّعجُّبِ والتَّعظيم لِمَا رزقَ المؤمنَ من الثَّوابِ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ مُبتَدأٌ وخَبرٌ.

قوله: **(أو دلّ)** عطفٌ على قوله: "أُبدِلَ"، يعني: يكون منصوبًا بفعل دلّ عليه ﴿أَنزَلَ﴾. وقوله: / **(أو أُعمِلَ)** عطفٌ عليه أيضًا. [٤١١و]

قوله: **(لأنّهم كانوا)** متعلّق بمحذوف، أي: صحّ قوله تعالى: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مع ﴿لِّيُخۡرِجَ﴾ بالفعل المضارع؛ لأنّهم وإن كانوا مؤمنين الآن

وقرئ ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ بالنَّصب عطفًا على ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ وبالرَّفع على الابتداء، وخَبرُه: ﴿من الأرض﴾، قيل: ما في القرآنِ آيةٌ تدلُّ على أنَّ الأَرضِينَ سَبْعٌ إلَّا هذه.

وقيل: بينَ كُلِّ سماءينِ مَسيرةُ خمسِ مئةِ عامٍ، وغِلَظُ كُلِّ سماءٍ كذلك، والأَرْضُونَ مِثلُ السَّماوات.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾؛ أي: يجرِي أمرُ اللهِ وحُكْمُه بَينهنَّ ومُلْكُه يَنْفذُ فيهنَّ.

فَهُم غير مؤمنين عند إنزال الذِّكرِ الرسولَ، فيكون إيمانهم متأخِّرًا عن ذلك الإنزال، فيصحّ أن يقال: أنزلَ ليؤمنوا.

قوله: (بالنصب) سبعة، (وبالرفع) شاذّ.[1]

قوله: (وقيل: ما في القرآن آية)... إلخ اختلفوا في ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ على أقوال:

أحدها: أنّ الأرضَ واحدة، وقوله: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ أي: في الخَلق، لا في العَدد.

والثاني: أنّ المراد بها الأقاليم السبعة، والدعوة شاملة جميعها.[2]

والثالث: أنّها سَبع أرضين متّصل بعضها ببعض، والحائل بين كلّ أرض وأرض بحار لا يمكن قطعُها، ولا الوصول إلى[3] الأرض الأُخرى، ولا تصل الدعوة إليهم.

والرابع: أنّها سَبع أرَضينَ، بعضها فوق بعض، متّصلة[4] لا فُرجةَ بينها.

والخامس: أنّ بين كلّ واحدة منها إلى الأُخرى مَسيرةَ خمس مئة عام، كما جاء في ذكر السماء،[5] وفي كلّ أرض منها خَلْق، حتّى قالوا: في كلّ أرض آدم وحوّاء[6] ونوح وإبراهيم،[7] وهم يشاهدون السماءَ مِن جانب أرضهم، ويَشهدون الضياء[8] منها. وقيل: جعل الله لهم نورًا يستَضِيئون به.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن الضحّاك واليماني وعاصم. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٧٧.
[2] ف: حميعها.
[3] ن - إلى.
[4] ن: متصلَة.
[5] ف: السما.
[6] ف: وحوا.
[7] د ف: وإبرهيم.
[8] ف: الضيا.

وعن قتادَة: في كلِّ سَماء وفي كلِّ أرضٍ خَلْقٌ من خلْقِه، وأَمرٌ من أَمْرِه، وقضَاءٌ من قضائه.

وقيل: هو ما يُدبَّر فيهنَّ من عجائِب تَدبيره.

وقرئ: "يُنزِّلُ الأمرَ".

وعن ابن عبَّاس: أَنَّ نافعَ بن الأَزرق سأَلَه: هل تحت الأَرضينَ خَلْقٌ؟ قال: نعَم، قال: فمَا الخلقُ؟ قال: إمَّا مَلائكةٌ أو جِنٌّ.

﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾ قرئ: بالياء والتاء.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرَأ سُورةَ الطَّلاق ماتَ على سُنَّةِ رسُولِ الله».

تمّت السورة بحمد الله.[١]

---

١ ف + ومنّه.

Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları

Yayın No. 1429
İSAM Yayınları 267
Klasik Eserler Dizisi 62

TETİMMETÜ'l-KEŞŞÂF (HÂŞİYETÜ'l-ÇÂRPERDÎ ale'l-KEŞŞÂF)
Fahreddin el-Çârperdî

Cilt 10

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî

Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)
TDV İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM)
Tahkik/Tenkitli Neşir Birimi ilmî kontrolünde hazırlanmıştır.

İcadiye-Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
Tel. 0216. 474 08 50
www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

Editör Okan Kadir Yılmaz
İlmî kontrol Mehmet Taha Boyalık, Abdurrahman Rıdvan Haraş
İnceleme kısmı son okuma Sait Kayacı (Arapça), Mustafa Demiray (Türkçe)
Tashih (Arapça) Abdulnasır Hakimi (İmla, İndeks ve Bibliyografya), Nour Alhila (İmla)
Ali Haydar Ulusoy (İmla ve İndeks), Azat Sarsanbaev (İmla)
(Türkçe) İsa Kayaalp (İmla), İsmail Özbilgin (Bibliyografya)
Tasarım Ali Haydar Ulusoy, İbrahim Dervişmüezzin (Uygulama),
Hasan Hüseyin Can (Kapak), Ramzi Haj Mustafa (Kapak Hattı)

Bu eser
TDV İslam Araştırmaları Merkezi'nin (İSAM)
İkinci Klasik Dönem Projesi
kapsamında yayımlanmıştır.

Bu kitap
İSAM Yönetim Kurulu'nun
27/12/2024 tarihli ve 2024/11 sayılı kararıyla basılmıştır.

Birinci Basım: İstanbul, Aralık 2024 m. / 1446 h.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.)
978-625-428-645-2 (10. Cilt)

Basım Yayın ve Dağıtım
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No. 11
Yenimahalle / Ankara
Tel. 0312. 354 91 31 Faks. 0312. 354 91 32
bilgi@tdv.com.tr
Sertifika No. 48058

Fahreddin el-Çârperdî
Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf) [تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف)]
/ Fahreddin el-Çârperdî ; tahkik Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî. İstanbul ; Ankara : İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM) ; Türkiye Diyanet Vakfı, 2024.
10. c. (656 s.) ; 24 cm. – (Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları ; 1429. İSAM Yayınları ; 267. Klasik Eserler Dizisi ; 62)

Dizin ve kaynakça var.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.) 978-625-428-645-2 (10. Cilt)

İSAM
TÜRKİYE DİYANET VAKFI
İSLAM ARAŞTIRMALARI MERKEZİ
مركز البحوث الإسلامية

Tetimmetü'l-Keşşâf
(Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)

Fahreddin el-Çârperdî
(ö. 746 h. / 1346 m.)

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş
Muhammed İmâd el-Nabulsî

Proje Yürütme
Mehmet Taha Boyalık

Onuncu Cilt

TÜRKİYE DİYANET VAKFI YAYINLARI